

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة وهران 2

كلية علوم الأرض والكون

قسم: الجغرافيا وتهيئة الإقليم

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

شعبة: الجغرافيا وتهيئة الإقليم

تخصص: تهيئة قطرية وتنمية مستدامة

الديناميكية الحضرية والتحويلات المكانية والاجتماعية في السرسو (غرب الجزائر)

إعداد الطالبة: عائشة مزياني

لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة محمد بن أحمد، وهران 2	أستاذ التعليم العالي	أ. طراش سيدي محمد
مقررا	جامعة محمد بن أحمد، وهران 2	أستاذ التعليم العالي	أ. عثمان الطيب
ممتحنا	جامعة محمد بن أحمد، وهران 2	أستاذ التعليم العالي	أ. معاشو حاج محمد
ممتحنا	جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا	أستاذ التعليم العالي	أ. شادلي محمد
ممتحنا	جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي	أستاذ التعليم العالي	أ. بوساحة أحمد
ممتحنا	جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم	أستاذ التعليم العالي	أ. مرقومة منصور

2023-2022

إلى روحٍ طيبةٍ تلازمي وترافقني

أبي رحمه الله

إلى كل المتعلمين في مدرسة عبد القادر

اللهم لك الحمد في السّراء والضراء، ولك الحمد في النعماء والبأساء، ولك الحمد في الشدة والرخاء، ولك الحمد على حلمك بعد علمك، ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك، ولك الحمد على كل حال. الحمد لله في الأولى والآخرة، الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذي لا يخيب من دعاه، ولا يقطع رجاء من رجاءه، الحمد لله على ما رزقنا من صبر وهدى وتوفيق لتخطي صعاب إنجاز هذا العمل، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

توطئة

تقودك رحلة خفيفة على الطريق الوطني رقم 14 الرّابط بين تيارت والجزائر العاصمة، أو الطريق الوطني رقم 40 المؤدي إلى ولاية الجلفة، أو على برنامج قوقل أرث للاستمتاع بمنظر التّجمعات السّكانية المتتالية والحظائر المنتشرة وسط الحقول والأراضي الفلاحية الواسعة. مشهد ماتع يلفت انتباه من لا يعرف منطقة السّرسو، ويمكن من يعرف تاريخها أن يميز تحولاتها المجالية بوضوح ويسر.

السّرسو كلمة مشتقة من كلمة سرو، التي تعني في معجم البلدان، المنطقة التي ترتفع عن مجرى السّير وتخفض دون الجبل، وجاء في قول ياقوت الحموي في الصفحة 217 من الجزء 3 من كتاب معجم البلدان "السّرو بفتح أوله وسكون ثانيه على وزن الغزو، وهو الشّرف، والسّرو من الجبل ما ارتفع عن مجرى السّيل وانحدر عن غلظ الجبل، والسّرو سخاء في مروءة" (ياقوت الحموي، 626 هـ)، وهو وصف ينطبق على سهل السّرسو، في كونه يرتفع عن مجرى سير نهر واصل، وينخفض عن جبال الونشريس شمالا وجبلي الناظور وسيدي عابد جنوبا. وسماه ابن حوقل في كتاب صورة الأرض ببلد السّير، بينما يشير بن خلدون في مؤلفه كتاب العبر لأرض السّرسو وذكرها في إحدى عشر موضعا (بن خلدون، 1378)، غير أنّ الأسطورة الشّعبية تروي تقاتل قبيلتين جنوب تيارت بسبب محاولة اختطاف لؤلؤة الواحة. باءت محاولة الاختطاف بالفشل، ففر أفراد القبيلة المنهزمة ليلا بحثا عن مأوى، فتسلقوا جبل الناظور ووجدوا أرضا واسعة أسفل سفحه الشّمالي، فأحدثوا فوضى تعبيرا عن فرحتهم، وسميت المنطقة المكتشفة بالسّرسو تحريفا لما قاله رئيسهم تنبيهها لهم ليهدئوا "امشوا وأرسو" بمعنى امشوا واسكتوا. ارتبط اسم السّرسو محليا بلؤلؤة الواحة التي كانت سببا في اكتشاف جمال وسحر هذه المنطقة.

يقال في الأمثال الشّعبية بمنطقة تيارت "أهل السّرسو ياكلو ويدسو" وهو ما يرمز لخيرات هذا السّهل الذي تخصص منذ وطأه البشر في إنتاج الحبوب وخاصة القمح الصلب، فارتبط اسمه به وأصبح يعرف بمخزن الحبوب في الفترة الاستعمارية، تصل حدود سهل السّرسو محليا إلى غاية جبال فرندة بالقرب من وادي فرجة، يطلق على هذه الأراضي اسم بلاد السّرسو نظرا لتشابه خصائصها المناخية ونتاجيتها إلى حد كبير مع خصائص سهل السّرسو.

وقع اختيارنا على هذا السّهل لدراسة موضوع الدّيناميكية الحضريّة والتّحولات المجالية والاجتماعية والاقتصادية كونها المنطقة الأكثر ديناميكية بولاية تيارت ونظرا لخصائصه الاقتصادية، في الجهة الغربية والوطن أيضا، ولأنها لم تحظى بدراسة متعددة الجوانب بعد الاستقلال.

تشعب موضوع الديناميكية واتساع منطقة الدراسة، تطلب منا القراءة الكثيرة والمتنوعة لفهم الموضوع واستيعابه من جهة والتّعرف على المنطقة من جهة أخرى. فرغم أن السّرسو ارتبط بذهني منذ نعومة أظفري بالعطاء والانتاجية، فقد كان والدي رحمه الله كثيرا ما يذكره في مقارنة بين (بلاد السّرسو الباردة

وبلاد التّات الحارة) ، إلا أنّ الخوض في غمار هذه الدراسة جعلته اكتشافا حقيقيا بالنسبة لي، وما ساعدنا على التعرف عليه هو الإبحار في تاريخ المنطقة، منذ فترة الدّولة الرّستمية إلى يومنا هذا، رغم أنّ كلمة السّرسو لم تذكر بالشكل الواسع إلا في بعض المراجع التي تناولت الفترة الاستعمارية، لكننا تمكنا من تعيين المنطقة بناء على وصفها حسب أوديتها وحدودها كما جاء في كتابي الحريري والمالكي عن الدولة الرّستمية.

دراسة موضوع ومنطقة بهذا الحجم، ما كان له أن يرى النور رغم كل ما يحمله العمل من نقائص وفجوات، ورغم الجهد المبذول طوال ثمان سنوات تخللها الفتنور والمَلل أحيانا والحماس والاجتهاد أحيانا أخرى، لولا توفيق الله عز وجلّ أولا ثم الصبر ومساعدة الأستاذ "عثمان الطيب" وتوجيهاته القيّمة منذ عرفته إلى يومنا هذا، فقد قادني دائما نحو التّحدي وعزّز ثقتي بنفسي لإنجاز موضوع عن منطقة بهذا الاتساع والأهمية. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أُعطيَ عطاءً فوجد فليجزّ به، ومن لم يجد فليئنّ فإن من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر، ومن تحلّى بما لم يُعطه كان كلابس ثوبَي زور".

فكل الشّكر والامتنان أخصه للأستاذ المشرف **عثمان الطيب**، صاحب المبادئ والقيم، الأستاذ الذي أسميه دائما الرّيان، لأنّه سقاني علما وكان قدوة لي في مساري العلمي وأيضا الشّخصي، وهو من تنطبق عليه مقولة: **"أستاذية العطاء وتلكم هي النّعمة الكبرى، ومبناها على قيم الحوارية والنّدية، ونفخ الرّوح في الفكرة الهامدة، وضخ الثّقة في العقل المتطلع والرّوح المستوفز، مع استبقاء الهيبة وحفظ المقام، وقليل ما هم! إن ربك هو الذي يوتي الحكمة من يشاء، ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا".**

فشكرا أولا على قبوله أن يرتبط اسمي باسمه علميا، وعلى صبره وتحمله لشلل تفكيري في بعض الأحيان، وغيابي واختفائي، وكثيرا لمجارة أفكار غير النّاضجة وصقلها وتقويتها بفتح منافذ للتّفكير والتّحليل. شكرا على تسخير الوقت والجهد لمناقشة كل صغيرة وكبيرة في الرّسالة وفي المقال، وعلى صبره في قراءة العمل وتصحيحه وتصويبه، وعلى اقتراحه ومرافقته لي في زيارة ميدانية غطت معظم مناطق السّرسو لمدة فاقت ثمان ساعات متواصلة.

شكرا على دعمه النّفسي والمعنوي، وعلى توجيهاته التي نمت أفكاري طوال أكثر من عشر سنوات منذ اشرافه على مذكرة الماجستير إلى غاية يومنا هذا.

وأقدم بشكري الجزيل إلى أساتذتي الموقرين في لجنة المناقشة رئاسة وأعضاء لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الرّسالة وعلى تسخيرهم الوقت والجهد لقراءتها وتقييمها، فهم أهل لسد خللها وتقويم معوجها وتهذيب نتواتها والإبانة عن مواطن القصور فيها، سائلين الله الكريم أن يثيبهم عنا خيرا، وشكر خاص للسّادة الأساتذة الأفاضل من خارج الجامعة على تحملهم عناء التّنقل إلى وهران، وأخصّ ذكرا الأستاذ "بوسماحة أحمد" الذي طالما أتاح لي الفرصة في المشاركة في الملتقيات العلمية.

شكر خاص للأستاذ "معاشو حاج محمد" على دعمه النفسي وأسلوبه المتميز في التّهوين، والأستاذ "طراش سيدي محمد" على حماسه الدائم واهتمامه وتحفيزه لي بطريقته الخاصة، دون أن أنسى الأستاذ "يوسفي بدر الدّين" على تشجيعه ودعمه النفسي أيضا، ولكل الأساتذة والزّملاء بقسم الجغرافيا وتهيئة الإقليم بجامعة وهران 2 وخاصة الأستاذ عدون الطيب، صانع بوعلام وبن زخروفة خليفة، وصديقتي ورفيقتي الأستاذة شبلي نورة، على صدق الأخوة والمؤازرة والدّعم النفسي دائما.

شكر خاص لصديقي الأستاذ "لالق عزيز" بجامعة باب الزّوار على المساعدة والنّصيحة والدّعم النفسي، والأستاذ فراحي خالد بجامعة الشلف الذي أتاح لي فرصة المشاركة في تأطير بعض الطلبة بقسم تسيير التقنيات الحضرية وعلى كل الدّعم والتّشجيع، وأيضا الأستاذ "روبيح خالد" بالمدرسة العليا للأساتذة بسطيف، والأستاذة "برغوث كريمة" بجامعة باتنة، ومزيان لامية بجامعة باب الزّوار، والأستاذة جميلة صادق بجامعة تيسمسيلت، والأخ الصديق رميكي حسام الدين.

جزيل الشكر والامتنان للصديق والأخ علي آيت عميرات، على التحفيز والمساعدة، وعلى حضوره وتغطيته يوم المناقشة بصوره الجميلة التي التقطها.

شكر خاص لصديقتي "فتيحة شطوف" و" مليكة ابراهيمي" وخلفاوي حورية" في مساعدتي في إنجاز بعض الخرائط. ولأمانة مخبر الفضاء الجغرافي والتهيئة العمرانية السيّدة حاسي نورية على جميل مساعدتها ودعمها.

شكر للسيّد بوخلوة محمد مدير المكتبة المركزية، على صدقه ونصحه أولا ومساعدتي في حل المشاكل التقنية المتعلقة بالحاسوب دائما.

وشكر للسيّدة بشير بلمهدي فريدة، رئيسة قسم الجغرافيا على كل ما قدمته لنا من دعم وتحفيز، وعلى إعارتي للحاسوب في وقت كنت في أمس الحاجة إليه. كما أشكر جميع الأخوة القائمين على مكتبة القسم وعلى ما يقدمونه من مساعدة وتسامح عن التجاوز في مدة الإعارة.

شكرا لكل موظفي الإدارات العمومية بولايتي تيارت وتيسمسيلت على مساعدة في الحصول على المعطيات وأخص بالذّكر:

المهندسة "نوريّة مزياني" بدائرة مدرسة والسيّد "قلّته محمد" بجامعة بن خلدون تيارت، ورؤساء المصالح بالمؤسسات الاستشفائية "مستشفى دمرجي، مركز تصفية الكلى والأمراض السرطانية، المؤسسة الاستشفائية المتخصصة في الأمراض النفسية والعقلية بمدينة تيارت، المؤسسة العمومية الاستشفائية بمهديّة. مدير المدرسة الوطنيّة للتّكوين الشبه طبي بتيارت،

مدراء ورؤساء المصالح لمعاهد التّكوين المهني بتيارت،

شكر لموظفي ومهندسي مكتب الدّراسات والانجاز العمراني بتيارت،

موظفوا ديوان الحبوب والبقول الجافة بتيارت وخاصة السيد "عم الناس"،

مدير ومهندسو الديوان الوطني للسقي والتطهير بالذحموني،

شكر خاص لزملائي وأصدقائي بمديرية التعمير والهندسة المعمارية والبناء لولاية تيارت، خاصة حكيمة معمر، خالد عزيز الذي لم يبخل عليا بوقته رغم انشغاله ومسؤولياته بالمديرية، ولا بمعرفته الجيدة للمجال، وأيضا حليلة مزياني، فاطمة درعي، نور الدين صغير، غربالي تركية وبختة شعيب وشكر خاص لمدير الصناعة والمناجم والسيد بلمداني امحمد وزملائه بمديرية تيارت، وموظفي مديرية البرمجة وتسيير الميزانية خاصة السيد ميموني وصديقه،

خالص الشكر والامتنان للسيد بوقنين مهدي، مدير مؤسسة تسيير المناطق الصناعية بولاية تيارت على مساعدته وتشجيعه الدائم لي، وشكر خاص لصديقتي بمديرية البرمجة لولاية تيسمسيلت (جميلة وفتيحة وفاطمة)، وصديقتي المهندسة المعمارية "ياسمين" والسيد رئيس مصلحة السكن بمديرية السكن لولاية تيارت،

شكر خاص للمدير السابق لمديرية البرمجة وتسيير الميزانية لولاية تيسمسيلت السيد "عبد اللاوي سالم" على الترحيب والمساعدة والتشجيع واعارته لي لمكتبته الخاصة قبل مغادرته المديرية، والسيدة محجوبة رئيسة مصلحة التعمير بمديرية البناء والتعمير لولاية تيسمسيلت سابقا، والسيدة "بوعلام دنيا" بمديرية التربية لولاية تيارت على مساعدتي في الحصول على الترخيص لإجراء التحقيق الميداني عن طريق أولياء التلاميذ،

شكر خاص لموظفي مديرية الفلاحة لولاية تيارت وخاصة السيدة "بختة صافو" والسيد "يحي محمد"، وموظفوا القسم الإقليمي للفلاحة لدائرة مهدية، كل باسمه ووصفه، وبدائرتي الذحموني ومدروسة.

شكر لكل موظفي مديرية النقل بالولاييتين، والسيد "بوخرص بلقاسم" رئيس نقابة الناقلين لولاية تيارت، شكر خاص لمفتش الجمارك "الأستاذ خالد" بالمفتشية الجهوية للجمارك بتيارت، ولمدير التجارة لولاية تيارت وموظفيه خاصة السيدة هند على تسخيرها الوقت لإجراء المقابلة وتجميع المعطيات، ولموظفي بلديات مهدية، الذحموني، حمّادية، تيارت، تيسمسيلت والرّشايقة، على مساعدتهم،

شكر خاص للمهندسين بشركة شمال جنوب للتنمية الفلاحية بالرّشايقة، والمهندس بلعوجة سفيان بشركة سمّاد الأطلس بسي الحواس.

شكرا للمصورين المبدعين بولاية تيارت وخاصة السيد "خليفة محمد" وأصدقائه على مساعدتهم لي في الحصول على بعض الصور من سرسو تيارت.

كما أتقدم بالشكر الجزيل والتّناء الجميل لكل المدراء، أعوان التربية وأولياء التلاميذ بالمدراس الابتدائية والمتوسطات المتواجدة ببلديات سرسو تيارت، وشكر خاص لكل سكان المناطق الرّيفية والقرى على كرمهم وضيافتهم أوّلا، ثم تعاونهم معنا في عملية التحقيق الميداني، ولفلاحي المنطقة على تسخيرهم الوقت للإجابة على أسئلة الاستمارة التي كانت طويلة ومتشعبة، ولكل من أعطاني من وقته لملي استمارات التحقيق

الميداني وأخص بالذكر أصحاب المحلات التجارية وزبائنهم، تجار سوق الجملة بتيارت، الفلاحين ممن صادفتهم بالأقسام الإقليمية للفلاحة لولاية تيارت، المسافرين بمحطات النقل المختلفة بتيارت وتيسمسيات، بائعو الخضر والفواكه على حواف الطريق الوطني رقم 14،

شكر لصدیقتي فاطمة علوش على مرافقتي في التّحقیق الميداني بالمحلات التّجاریة بمدينة تيارت، وشكر خاص للمهندسين (طلبتی الاعزاء) كدّادة محمد الصّفراني وحسّاني أمين على المساعدة في التّحقیق الميداني بالأسواق الأسبوعية، والطالبة طهراوي مختارية في مساعدتي في التقاط بعض الصّور بمدينة مهدية. شكر لزملائي بالعمل السّابق (بلدية تخمرت) خاصة الأمين العام "عبيد الطّاهر"، رئيس البلدية السّابق "درويش قادة" ومهندس الاعلام الّالي "هوّاري عبد الرّحمن" و"غالم أحمد" وصدیقتي المهندسة "صلاي فاطمة"،

واشكر بوجه خاص تلك المهندسة المعمارية بمديرية السّكن لولاية تيسمسيات على قبولها إجراء المقابلة الموجهة وتسريب بعض المعلومات والمعطيات عن السّكن، دون علم رؤسائها الذين رفضوا الادلاء بأي معلومة. وشكر أيضا لكل من ساعدني، فلهم في النفس منزلة وإن لم يسعف المقام لذكرهم نسيانا لا جودا، فهم أهل للفضل والخير والشكر..

شكر خاص وامتنان دائم حبا و عرفانا ووفاء لعائلتي وعلى رأسهم أمي التي أرهقتها بالبعد عنها وانشغالي الدائم بالدراسة، لكن دعائها كان رفيقا دائما لي، وشكر وفضل و عرفان لإخوتي على دعمهم ومساندتهم خاصة أخي وأبي الثاني "محمد" على تحمله مسؤوليتي رغم أنني أكبره سنا وعلى مرافقته لي وحرصه على راحتني، وشكرا للسّواعد الشابة، اخوتي من الجيل الثّاني الذين ساعدوني ورافقوني في التّحقیقات الميدانية وخاصة أيمن، شهد وأيهم. وشكر للمؤنسين الصّغار، أطفال عائلتي الذين عاشوا معي ميلاد هذا العمل وتحمسوا كي يروني متحررة من ملازمة الحاسوب لسنوات طويلة.

شكر لأختي التي لم تلدها أمي صدیقتي ورفيقة حياتي "ليلی" على كل شيء، وأخي الروحي نسيم، على مساعدته ووقوفه دائما بجانبني.

شكرا لصويحباتي من فوج رفيقات الجّنة بمدرسة عمر بن الخطاب بفرنّدة على الدّعم والدّعاء ومشاركتي فرحة الإنجاز، وخاصة أختي يمينة.

وأخيرا وليس آخرا....

شكر لكل من بخلني وصدّني ومنع عني المعطيات، لأنهم كانوا سببا في اصراري على مواصلة البحث دون كلّ أو ملل.

عائشة مزياني

الملخص:

يعتبر تعمير السرسو قديم النشأة إلا أنه كان محصورا مجاليا، تسارع هذا التعمير في الفترة الاستعمارية بدوافع عسكرية واقتصادية، مما أدى الى إنشاء مدن وقرى صغيرة لتأطير ومراقبة المناطق المحيطة به ولاستغلاله زراعيًا خصوصا في انتاج الحبوب بإعادة صياغة بنيته العقارية على حساب القبائل المتواجدة به. تواصل تعمير السرسو بعد الاستقلال لكن بدوافع وأغراض مغايرة، فتكثفت الشبكة العمرانية بإنجاز القرى الفلاحية الاشتراكية التي أدت الى تثبيت السكان لكنهم اعدوا صياغة فضاءاتها السكنية متأثرين بالأوساط الحضرية ولامحها، كما توطنت به أنشطة صناعية أخرى في نهاية السبعينات من القرن الماضي فزادت من الاستقطاب العمراني.

حفزت الزيادة الديمغرافية المتسارعة نموا عمرانيا كبيرا، كان أكثر بروزا في المجمعات الثانوية. لعبت الترقية الإدارية دورا مهما في تكثيف تجهيز المنطقة واكسابها وظائف جديدة وأيضا دورا مفصليا في إعادة صياغة الأداء الوظيفي للمجمعات وتأطيرها لمجالاتها، خصوصا الصغيرة منها. كان انجاز السكن بصيغ متعددة محركا لإنتاج عقار عمراني على الأراضي الزراعية العمومية في الغالب ومحفزا أساسيا في الوسط الحضري كما في الوسط الريفي على حد سواء في تمدد أنسجة المجمعات العمرانية.

ترجع قطاعي الفلاحة والصناعة في التسعينات من القرن الماضي في المنطقة ثم عاودا الانتعاش من جديد. عرف السرسو، بالإضافة الى نشاطه الفلاحي المعتاد المعتمد على الزراعات المطرية وتربية الماشية، في إطار الاستصلاح الزراعي في الثمانينات من القرن الماضي، بفضل مصادره المائية المتعددة وخصوبة تربته، ميلاد نمط زراعي جديد تكثيفي مبني على السقي الحديث وموجها لإنتاج الخضر والفواكه، فأصبح قطبا زراعيًا وطنيا جاذبا لمستثمرين تليين. كما تم بعث صناعات تعدينية وتركيبية ذات بعد دولي.

نمت البنية العمرانية لسرسو في خضم هذه التحولات وتميزت بشبكة متكاملة من المراكز الكبيرة، المتوسطة والصغيرة، الموروثة عن الفترة الاستعمارية والحديثة، التي تتقاسمها كل من ولايتي تيارت وتيسمسيلت ويغلب عليها التوزيع المجالي المتجانس، تراتبياتها الحضرية الظاهرية لامركزية لكنها تدور في فلك مركز عمراني كبير، تيارت، بحكم تاريخه وتجميعه لعديد الوظائف السامية، إلا أنه أصبح يشهد منافسة من قبل مدينة تيسمسيلت، مقر الولاية الفتية، لتسيير مجالها الإداري خصوصا الغربي منه.

أثرت الديناميكية الاقتصادية والحضرية في المنطقة على بنيتها التجارية، فتطورت الخدمات التجارية القارة وحافظت الأسواق الأسبوعية على زخمها وتنوعت تجاراتها وصاحبها تطورا في شبكة الطرقات ووسائل النقل، مما نشط التحركات والتنقلات السكانية والتبادلات الخدمية والتجارية وأعاد صياغة العلاقات بين المدينة والريف. إن تحضر السرسو لم يفقده معالمه الريفية كلية التي تأثرت واستوحت الكثير منه، لأنها قاومت، حافظ البعض منها على استمراريته وتأقلم مع أخرى.

الكلمات المفتاحية: السرسو، الديناميكيات، الشبكة العمرانية، التحضر، التحولات، الزراعة، الأنشطة، علاقات مدينة/ريف

Résumé

L'urbanisation du Sersou est ancienne, mais elle a été circonscrite spatialement, elle s'est accélérée pendant la période coloniale pour des raisons militaires et économiques, ce qui a conduit à la création de petites villes et villages pour encadrer et contrôler les zones environnantes et pour l'exploitation agricole notamment céréalière en déposant les tribus qui y étaient présentes. Cette urbanisation s'est poursuivie après l'indépendance, mais pour des objectifs différents, en conséquence, le réseau urbain s'est densifié par l'implantation des villages socialistes agricoles qui ont permis la fixation de la population, mais celle-ci, influencé par le mode de vie urbain, a transformé l'espace habité. De plus, des activités industrielles ont été implantées à la fin des années 1970 dans la zone faisant augmenter la polarisation urbaine. La croissance démographique rapide a stimulé un développement urbain important, plus particulièrement dans les agglomérations secondaires. La promotion administrative a joué un rôle important dans l'équipement de la zone et la création de l'emploi, ainsi que dans la réorganisation du fonctionnement du réseau d'agglomérations et dans l'encadrement de leurs espaces respectifs, en particulier les petites agglomérations. La production du logement sous diverses formes a constitué un moteur pour la production du foncier urbain sur des terres agricoles majoritairement publiques et un stimulant majeur de l'expansion des tissus urbains tant aux centres urbains qu'aux centres ruraux.

Les secteurs agricole et industriel ont décliné dans les années 1990 dans la zone, une période de récession économique, puis ils se sont à nouveau redressés. Outre son activité agricole habituelle basée sur les cultures pluviales et l'élevage, et grâce à ses multiples ressources hydriques et à la fertilité de son sol, le Sersou a connu un développement, dans le cadre de la mise en valeur agricole des années 1980, de l'agriculture intensive qui est basée sur l'irrigation et orientée à la production des légumes et des fruits, ainsi, il est devenu un pôle agricole national qui attire les investisseurs telliens. De plus, il connaît une réindustrialisation de dimension internationale.

Dans ce contexte des transformations, la structure urbaine du Sersou s'est développée en constituant un réseau composé de grandes, moyennes et petites agglomérations, héritées des périodes coloniale et récente, appartenant aux wilayas de Tiaret et de Tissemsilt, et caractérisée par une répartition spatiale équilibrée. De fait, la hiérarchie urbaine paraît décentralisée, mais elle s'articule autour d'un grand centre urbain, Tiaret, de par son histoire et les nombreuses fonctions supérieures qu'il regroupe, cependant, il est soumis aujourd'hui à une concurrence par la ville de Tissemsilt, le chef-lieu de la jeune wilaya, pour gérer son territoire administratif, surtout la partie ouest de celui-ci.

La dynamique économique et urbaine de la zone a affecté sa structure commerciale, subséquemment, les services commerciaux se sont développés dans les agglomérations et les marchés hebdomadaires ont maintenu leur élan tout en diversifiant leur offre commerciale. Cette dynamique a été soutenue par le développement du réseau routier et des moyens de transport, ce qui a stimulé les déplacements des populations et les mobilités résidentielles ainsi que les échanges commerciaux et de service, et recomposé les relations ville/campagne. En fin, l'urbanisation du Sersou n'a pas fait lui perdre complètement ses caractéristiques rurales, mais elle lui a beaucoup influencé et inspiré ; certains aspects ruraux ont résisté, d'autres ont gardé des permanences tout en s'adaptant.

Mots clés : Sersou, Dynamiques, urbanisation, réseau urbain, transformations, agriculture, activités, relations ville/campagne.

Summary

The urbanization of Sersou is ancient, but it was limited to a specific spatial area. It accelerated during the colonial period due to military and economic reasons, resulting in the establishment of small towns and villages to oversee and control the surrounding regions, particularly for agricultural exploitation, such as cereal production, at the expense of the local tribes. This urbanization continued after independence, albeit with different objectives. As a result, the urban network became denser with the introduction of socialist agricultural villages, which facilitated population settlement. However, influenced by urban lifestyles, the population transformed the inhabited space. Furthermore, industrial activities were introduced in the area in the late 1970s, leading to increased urban polarization.

Rapid population growth has stimulated significant urban development, especially in secondary towns. Administrative promotion has played a crucial role in providing infrastructure to the area, generating employment, reorganizing the network of agglomerations, and managing their respective spaces, particularly in the case of small agglomerations. The production of housing, in various forms, has been a driving force for the conversion of predominantly public agricultural land into urban land, fueling the expansion of urban areas in both urban and rural centers.

The agricultural and industrial sectors experienced decline in the 1990s during an economic recession, followed by a subsequent recovery. In addition to the customary rainfed agriculture and livestock farming, the Sersou region has witnessed the development of intensive agriculture, focusing on irrigation and the production of vegetables and fruits, transforming it into a national agricultural hub that attracts investors from the Tell region. Furthermore, the area is undergoing international-scale reindustrialization.

Within this transformative context, the urban structure of Sersou has evolved, forming a network consisting of large, medium, and small agglomerations inherited from the colonial and recent periods. These agglomerations fall under the jurisdiction of the wilayas of Tiaret and Tissemsilt, characterized by a balanced spatial distribution. Although the urban hierarchy appears decentralized, it revolves around a major urban center, Tiaret, due to its historical significance and numerous key functions it encompasses. However, it currently faces competition from Tissemsilt, the capital of the young wilaya, in managing its administrative territory, particularly its western part.

The economic and urban dynamics of the area have influenced its commercial structure. Consequently, commercial services have expanded in the agglomerations, and weekly markets have maintained their momentum while diversifying their commercial offerings. This dynamic has been supported by the development of road networks and transportation infrastructure, stimulating population movement, residential mobility, commercial and service exchanges, and reshaping urban-rural relationships. Ultimately, the urbanization of Sersou has not completely eradicated its rural characteristics, but rather exerted a significant influence and inspiration. Some rural aspects have persevered, while others have adapted to the changing environment.

Keywords: Sersou, dynamics, urbanization, urban network, transformations, agriculture, activities, city/countryside relations.

الفهرس المحتويات

10	مقدمة عامة
14	الإشكالية:
16	أهداف الدراسة:
17	فرضيات الدراسة:
17	المنهجية ووسائل العمل:
17	الإطار المفاهيمي للموضوع:
17	جمع المعطيات:
19	معالجة البيانات والصّور ورسم الخرائط:
19	تحليل المعطيات والتّحرير
20	1. السّرسو، منطقة منبسطة مفتوحة ذات مقومات طبيعية وخصوصية فلاحية
20	1.1 السّرسو: منطقة منبسطة مفتوحة ذات مقومات طبيعية وخصوصية فلاحية
23	2.1 مصادر الجيوب المائية الجوفية:
23	2. سهل السّرسو، مجال أهل بالسّكان ومستغل منذ القديم
23	1.2 موقع السّرسو جعله محط اختيار الرّومان لإنشاء مركز عسكري يربط المنطقة السّهبية بتلمسان
24	2.2 السّرسو عاصمة للرّسمتين
25	3. التّركيب والتنّظيم الاجتماعي في السّرسو:
25	1.3 الأعراش والقبائل في الفترة العربية
26	2.3 التّنظيم القبلي في الفترة الاستعمارية:
	القسم الأول: تعمير متنوع الأنماط السّرسو من البداوة إلى التّحضر
27	مقدمة القسم الأول
	الفصل الأول: التّعمير في السّرسو، ثنائية بين حياة تقليدية وأخرى حديثة
29	مقدمة
29	1. تاهرت عاصمة السّرسو التّاريخية والاقتصادية
29	2. الفترة الاستعمارية (1830-1962) من الاستحواذ على العقار إلى الاستيطان العمراني
30	1.2 التّمدن العسكري بالسّرسو
30	2.2 شق الطرقات، نشاط كثيف بالسّرسو تمهيدا لتعميره (الطرقات حفزت التّعمير)
32	3.2 مصادرة الأراضي وتعمير السّرسو
33	4.2 تفكيك القبائل وتجميع الأهالي لتسهيل مراقبتهم
33	5.2 توقف تعمير السّرسو وتكوين مراكز المحتشدات الاستعمارية
34	6.2 التّرحيل في الهجرة دعم للاستيطان الاستعماري في المنطقة
35	7.2 التّجزئة آلية لتهيئة وتعمير السّرسو ومحرك للديناميكية العمرانية بالمنطقة
35	1.7.2 تجزئة الحدائق
37	2.7.2 التّجزئة الصناعية
37	3.7.2 التّجزئة الحضرية كنمط للتخطيط، إنتاج السّكن والوظائف بالقرى الاستعمارية
38	3. مراكز حضرية ذات وظائف مختلفة
39	4. القرى الريفية الاستيطانية: مراكز للسّكن بخطة كلاسيكية
41	1.4 التّعمير حول مصادر الماء والأراضي الخصبة
42	2.4 المحتشدات، استراتيجية استعمارية لتجميع السّكان
43	1.2.4 إعادة الإسكان بالسّرسو وتوسع المراكز الاستعمارية، وإنشاء أنوية جديدة بالدّواوير
44	2.2.4 مراكز التّجميع، أنوية لمجمعات عمرانية
45	5. تنظيم مجالي متمايز ومتناقض أفرزته سياسة الاستيطان الاستعماري في السّرسو

فهرس المحتويات

46	6. العقار الفلاحي آلية لتعمير السّرسو، من المصادرة إلى إعادة التّمك
47	1.6 القرى الاشتراكية الفلاحية: تعمير إرادي، نمط قديم بوظائف جديدة وتحولات كثيرة
48	2.6 القرى الاشتراكية أداة لتكثيف الشّبنة العمرانية بالسّرسو
48	□ إدراج قرية ضمن نسيج موجود (greffé ou Acculturation)
48	□ إنشاء جديد من العدم (Ex Nihilo)
49	3.6 إعادة هيكلة القطاع وانتاج قرى صغيرة
50	1.3.6 المزارع الاشتراكية، حلقة تعمير مصغر حول ملاكو
51	2.3.6 المزارع الاشتراكية ببلدية تيارت، من الفلاحة إلى التّوطن الصناعي
52	3.3.6 تسلمت من مزرعة استعمارية إلى مزرعة اشتراكية، قرية تتوسع عموديا
52	4.3.6 عين قاسمة من مجموعة مزارع استعمارية إلى مزرعة فلاحية اشتراكية (DAS)
53	7. تواصل تعمير السّرسو عن طريق المشاريع السكنية الحضرية متعددة الصيغ
55	8. ديناميكية تعميرية في المدن التّوابع
55	9. التّجهيزات الكبرى المهيكلة للمجال الحضري
55	1.9 المعاهد والجامعات نشطت التّعمير بتيارات وتيسمبيلت وأنعشت التّحركات اليومية
57	2.9 الخدمات الصحية، محرك للتّعمير والحضرية، جعلت تيارت قطب صحي ببعد جهوي
59	الخلاصة:
	الفصل الثاني: السّرسو من البداوة والتّرحال إلى التّمدن والاستقرار
60	مقدمة:
60	1. سكان السّرسو من التّبعثر إلى التّجمع والتّحضر
60	1.1 توطن استعماري وميلاد أنوية استعمارية
68	2.1 تطور مستمر لسكان السّرسو بعد الاستقلال
68	1.2.1 المرحلة الأولى 1966-1977: زيادة محسوسة في النمو الديمغرافي
72	2.2.1 المرحلة 1977-1987: زيادة ديمغرافية متسارعة
74	3.2.1 المرحلة الثالثة 1987-1998: تواصل النّم السّريع
76	4.2.1 المرحلة الرابعة 1998-2008: انخفاض وتيرة النّم وعدم التّوازن بين أنماط الاستيطان
81	5.2.1 المرحلة (2008-2019): ارتفاع وتيرة النّم مجددا
82	2. التّجمع في السّرسو، نمط مختار إرادي
88	3. تراجع السّكان المبعثرين بالسّرسو
93	4. التنظيمات الإدارية إحدى أهم آليات إعادة التّشكيل المجالي في السّرسو
93	1.4 التّنظيم الإداري في العهد العثماني
94	2.4 التّنظيم الإداري، وتيرة متباطئة قبل اصلاح سنة 1956
96	1.2.4 من التّقسيم القبلي إلى التّقسيم الجغرافي، تفكيك القبيلة وظهور الدّوار
97	2.2.4 الإصلاح الإداري عام 1956: السّرسو منطقة جغرافية واحدة مجزأة إداريا
98	3.4 التّنظيم المجالي للسّرسو بعد الاستقلال: التّرقية الإدارية وجه جديد لتأدية القرى ووظائف المدينة
102	5. توزيع مجالي متباين لسكان بلديات السّرسو
103	1.5 كثافة سكانية مرتفعة بالبلديات الحضرية وضعيفة بالرّيفية
105	2.5 سكان السّرسو أغلبهم حضريون
108	الخلاصة:
109	خلاصة القسم الأول
	القسم الثاني: بنية مجالية موروثية وشبكة عمرانية في توسع مستمر
111	مقدمة القسم الثاني

الفصل الثالث بنى عمرانية تمديدية بملامح حضرية

113	مقدمة:
113	1. نمو متسارع للمجمعات الكبرى بالسرسو
114	1.1 [1] تمدد سريع لمجموعة تيارت على أراضي سهلة التعمير
114	1.1.1 نشأة تاريخية
117	2.1.1 التعمير عن طريق البرامج السكنية أدى إلى ظهور مركزية حضرية جديدة بتيارت
118	3.1.1 التجزئة الحضرية السكنية والصناعية، امتداد عمراني واستهلاك للعقار الحضري
119	4.1.1 التمدد الحضري لتيارت والتحامه مع زعرورة
120	5.1.1 التكتيف الحضري وإعادة توجيه التعمير من السهل إلى السفوح
121	6.1.1 كرماني، مركزية حضرية جديدة في طريق التشكيل
123	2.1 مدينة تيسمسيلت، من مركز استعماري صغير إلى مدينة كبيرة ووظائف إدارية هامة
124	1.2.1 الترقية الإدارية حفزت التعمير بالمنطقة
125	2.2.1 نمو عمراني باتجاه الضواحي الريفية
129	3.1 مهدية، نمو عمراني على الأراضي الفلاحية
133	2. التنظيم المجالي والعناصر الوظيفية للقرى الفلاحية
133	1.2 الشكل النجمي (الإفخاري) بقرية الونشريس البيضاء
134	2.2 قرية عين الكرمة، خطة دائرية إشعاعية، توسعت بالشكل الرباعي
137	3.2 قرية سلمانة: ديناميكية مجالية ووظيفية
138	4.2 قرية السبعين، النموذج الشطرنجي وتجهيزات تخدم الوظيفة الفلاحية
139	5.2 قرية ضاية الثرفاس، وتيرة تعمير ضعيفة وبطيئة
141	3. السكن بالوسط الريفي محرك للتوسع المجالي
141	1.3 انتاج السكن الريفي في السرسو، أنماطه، تطوره وتوزيعه الجغرافي
144	1.1.3 سي بن خروبي من التبعثر إلى التجمع والاندماج مع المجموعة الرئيسية
145	2.1.3 قرية سيدي منصور، السكن الريفي المتجمع وسيلة للتوسع الحضري
145	2.3 إدراج النمط الحضري بريف السرسو وتنوع مورفولوجيته المعمارية
147	1.2.3 قرية عين مريم، وعاء ريفي للبرامج السكنية الحضرية
148	2.2.3 التوطن الصناعي أداة لتعمير عين بوشقيف
149	4. الطريق، محفز للتعمير والتوسع وأداء وظائف جديدة
150	1.4 سي الحواس (Ex Bourlier) قرية استعمارية، منحها الطريق ديناميكية خاصة
151	2.4 ديناميكية الطريق، جعلت عين مصباح منطقة توسع لتيارت
153	5. إعادة صياغة الفضاء السكني: من البنية المغلقة إلى البنية المفتوحة
159	6. ريف السرسو، تحولات حديثة بسمات حضرية
159	1.6 التوطن الصناعي والسكن، محركان للتحولات المجالية بالسرسو
163	2.6 تحول البنية الاقتصادية لصالح القطاع الثالث
165	3.6 السرسو، استقطاب اجتماعي متنوع منذ نشأته
165	الخلاصة:
	الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السرسو، التوزيع والتنظيم المجالي
167	مقدمة:
167	1. حضارات متتالية ونسق عمراني متباين قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر (قبل 1830):
167	1.1 التواجد الروماني:
168	2.1 التواجد العربي بالمنطقة:
168	3.1 الوجود التركي 1515-1830

170	2. الفترة الاستعمارية 1830-1962: تأسيس شبكة عمرانية جديدة بالسرّسو
170	1.2 العوامل الطبيعيّة والاقتصاديّة، مهيكّل رئيسي للشبكة العمرانية
172	2.2 شبكة عمرانية بمجمعات ريفية متعدّدة
175	3. تكثيف الشبكة العمرانية بالسرّسو بعد الاستقلال
177	1.3 من القرى الاشتراكية إلى مراكز ريفية، فحضرية
178	2.3 الترقية الإدارية والتخطيط الاقتصادي أسهما في توسع الشبكة العمرانية بالسرّسو
182	3.3 التوزيع المكاني للمجمعات: تركّز واضح إلى حد ما في المناطق الأكثر كثافة سكانية
182	4. البنية الهرمية للمجمعات العمرانية بالسرّسو، نمو غير متكافئ حسب صنف المجمعات
182	1.4 البنية الهرمية في 1966، قاعدة واسعة تحتلها المجمعات السكانية الصّغيرة جدا
185	2.4 البنية الهرمية سنة 1977، استمرارية اتساع القاعدة وسيطرة المجمعات الأقل من 5000 نسمة
186	3.4 تأثير نسبي للترقية الإدارية على البنية الهرمية في السرّسو سنة 1987
187	4.4 تراجع عدد المجمعات الصّغيرة مع استمرار اتساع قاعدة الهرم وضخامة الرّأس في سنة 1998
189	5.4 استمرار سيطرة القطب التّيارتي على البنية الهرمية سنة 2008
192	5. شبكة عمرانية في السرّسو بأنماط متعدّدة مع سيطرة الصّنف الرّيفي (1966-2008)
196	6. تصنيف المجمعات، إعادة تشكيل الشبكة العمرانية في السرّسو لصالح التّحضر
200	7. بنية مجالية لا مركزية تهكيلها الطّرق
201	1.7 شبكات الطّرق بالسرّسو، محاور تعمير مهيكلة للمجال
204	2.7 السّكك الحديدية، إحياء الشبكة القديمة واستحداث أخرى
205	8. البنية العمرانية في السرّسو: ميلاد ثنائية قطبية
205	1.8 تيارت، مدينة ذات سيادة سكانية واقتصاديّة تهيكّل معظم إقليم السرّسو
206	2.8 تيسمسيلت، مدينة داعمة، ونقطة تهيكّل شمال السرّسو
208	خلاصة الفصل
	الفصل الخامس: تحولات البنية العقارية محرّك أساسي في هيكلّة المجال الرّيفي بالسرّسو
209	مقدمة
209	1. البنية العقارية قبل الاستقلال، المجال الرّيفي من الاستقلالية إلى التّبعية
209	1.1 الرّيف والعقار في الفترة العثمانية
210	1.1.1 أراضي البايك:
210	2.1.1 أراضي العزل:
210	3.1.1 أراضي الملك:
211	4.1.1 أراضي العرش:
211	5.1.1 أراضي الحبوس:
211	6.1.1 أراضي الموات:
211	2.1 البنية العقارية الفلاحيّة في الفترة الاستعمارية:
212	1.2.1 قانون سيناتيس كونسلت، تقسيم أراضي القبائل والأعراش وإرساء الملكية الفردية
213	2.2.1 قانون وارني، تعميم تطبيق القانون الفرنسي لتسهيل المبادلات العقارية
218	3.1 تملك العقار الفلاحي بغرض تعمير الأرياف خدمة للاقتصاد الفرنسي
220	2. إصلاح البنية العقارية الزراعيّة بعد الاستقلال، بغرض إثراء الملكية العامة وتنمية الرّيف
221	1.2 قانون الأملاك الشّاغرة، أكسب الدولة رصيذا عقاريا كبيرا
221	2.2 التّسيير الذاتي، مركزية في التّسيير وضعف في الإنتاج
224	3.2 إعادة هيكلّة القطاع الزراعي بدمج مختلف المزارع الاشتراكية (DAS) في نظام موحد
	4.2 المستثمرات الفلاحيّة (الجماعية والفردية)، مؤشر لانسحاب الدّولة من الاشراف المباشر على أملاكها
228	

229	3. الإصلاح الفلاحي بعد سنة 2000
229	1.3 المخطط الوطني للتنمية الفلاحية (PNDA) 2000-2010
230	2.3 قانون التوجيه الفلاحي، سياسة للتجديد الفلاحي والزيفي:
239	3.3 قانون الامتياز الفلاحي، استبدال حق الانتفاع الدائم بصيغة الامتياز
242	الخلاصة:
245	خلاصة القسم الثاني:
247	القسم الثالث: التدافع الوظيفي محرك للهيكلة المجالية في السرسو
247	مقدمة القسم الثالث
249	الفصل السادس: الفلاحة في السرسو، تكييف تدريجي مع التنوع واكتساب وظائف جديدة
249	مقدمة
249	1. الفلاحة في السرسو في المرحلة الاستعمارية
249	1.1 السرسو منطقة زراعية انتقالية
250	2.1 الممارسات الزراعية خلال الفترة الاستعمارية، من الزراعة المعاشية إلى الزراعة الصناعية
255	3.1 تربية المواشي، نشاط فلاحي مكمل في السرسو
256	2. الفلاحة في السرسو بعد الاستقلال، عمليات هيكلية متعددة
257	1.2 إعادة الهيكلة الثانية: نظام المستثمرات الفلاحية في السرسو
258	2.2 التنمية الفلاحية: التكيف مع التوجهات الاقتصادية الجديدة
258	1.2.2 عقار فلاحي في توسع مستمر
266	2.2.2 الزراعة المسقية: إعادة إحياء نمط قديم وتوسيعه
270	3.2.2 مصادر الري متعددة، تعتمد خاصة على استغلال الطبقات الجوفية
272	4.2.2 تحديث وتطوير أنظمة السقي والتكيف معها
276	3. المشتغلون في السرسو، من الفلاحة إلى تعدد الوظائف
280	4. تطور الأنماط الزراعية وتداخلها بين التقليدي والحديث
281	1.4 هيمنة شعبة الحبوب على الإنتاج مع تذبذب المردود
285	2.4 الممارسات الزراعية الجديدة: تطور زراعة الخضر والفواكه، وظهور الزراعات التجارية
288	3.4 الزراعة المكثفة في الأشجار المثمرة، نظام حديث وممارسة حتمية لرفع الإنتاج
294	5. مخاطر الزراعة في السرسو
296	الخلاصة
298	الفصل السابع: الوظائف وإعادة تشكيلها وأثرها على المجال
298	مقدمة
298	1. التوطن الصناعي في السرسو، تحولات هيكلية وحضرية
299	1.1 الصناعة محرك للتعمير في مدينة تيارت وعامل استقطاب
301	2.1 التصنيع محفز للتعمير بقرى السرسو
305	2. الصناعة: نشاط حرك التحضر في السرسو
308	3. إعادة بعث النشاط الصناعي مجددا
310	1.3 التوطن الصناعي الجديد بالمجمعات الصغيرة يحاكي خصوصية السرسو الفلاحية
312	2.3 مساهمة الزراعة في تطوير الصناعة الغذائية:
313	1.2.3 المطاحن (إنتاج السميد والفرينة):
314	2.2.3 إنتاج زيت الزيتون (الرشايقة وسلمانة)
315	3.2.3 إنتاج اللحوم البيضاء والحمراء:
316	4.2.3 إنتاج الحليب ومشتقاته:

318	3.3 العودة إلى سياسة التصنيع التقبيل
320	4.3 استرجاع العقار الصناعي (التطهير)
321	4. التّنظيم والتّحولات الهيكلية للبنية التجارية في السّرسو
323	1.4 تجارة المساحات الكبيرة، نمط جديد بدأ بالانتشار بالمجمعات الكبرى
327	2.4 ديناميكية تجارية محتشمة للميناء الجاف بتيارت
327	5. الأسواق الأسبوعية، دعامة مستمرة للعلاقات التجارية
332	6. مساهمة الزراعة في تطوير قطاع التجارة في السّرسو
332	1.6 مقومات وتحديات التسويق الفلاحي في السّرسو
337	2.6 الفاعلون والمتعاملون في التجارة الزراعية
340	3.6 استراتيجيات جديدة وأساليب تجارية متنوعة
342	4.6 الديناميكية التجارية والتّوزيع المجالي لتجارة المنتجات الزراعية في السّرسو
344	الخلاصة:
	الفصل الثامن: العلاقات مدينة ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسّرسو
347	مقدمة:
347	1 شبكة النّقل متنوعة وكثيفة ومتعددة الاتجاهات ذات بعد وطني
350	2. المجمعات الحضرية الكبيرة: علاقات تبادل محلية مهمة ووطنية بفضل توفر النّقل
356	3. تعمير الضواحي والأرياف حفز التّحركات السّكانية
356	1.3 القرى الفلاحية الاشتراكية، تحركات سكنية بعضها حضرية باتجاه الأرياف
357	2.3 إعادة الإسكان والتّجديد الحضري، آلية حفزت التّحركات السّكانية من المدينة إلى الوسط الريفي
358	4.3 تحويل التّعمير وقرب المسافة جعلنا من الدّاحموني وعين بوشقيف مدنا توابع لتيارت
360	4. تيارت: وجهة مفضلة للتّنقلات اليومية لأسباب مختلفة وحتمية
365	5. العلاقات المكانية (مدينة - ريف) في السّرسو تبادلية ذات اتجاهين
365	1.5 التّنقل اليومي لسكان المجمعات الصّغيرة والريفية، أنماط متعددة واتجاهات مختلفة
366	2.5 العلاقات الحضرية الريفية، إقامة ريفية وعمل حضري
368	3.5 التجارة أهم أوجه العلاقة الوظيفية بين المدينة والريف:
372	6. التّجهيزات ذات المستوى العالي عززت العلاقات الريفية الحضرية
273	1.6 المعاهد والجامعات نشطت التّعمير بتيارت وتيسمسيلت وأنعشت التّحركات اليومية
378	2.6 المؤسسات الاستشفائية، أدوات إدماج مجالية
387	الخلاصة
389	خلاصة القسم الثالث
391	الخلاصة العامة
396	قائمة المراجع
411	قائمة الجداول
425	قائمة الخرائط
418	قائمة الأشكال
419	قائمة الصور
	الملحق

المدخل العام

مقدمة عامة

يعيش ما يقارب من ثلثي السكان في العالم في الوقت الحالي في المدن، فقد تسارعت وتيرة التّحضّر بفعل تركّز الأنشطة والوظائف بها. فالتّحضّر السّريع من أهم مميزات المجتمعات المعاصرة، ويظهر بأنّه خاصية ولا يستثني أي بلد أو منطقة. العالم العربي عموماً والمغرب العربي بشكل خاص يسيران في نفس السّياق، حيث سجلت دولهم معدّلات للتّحضّر مرتفعة جداً. بالرّغم من ذلك مازال ثلث سكان العالم يعيش في الأرياف وأصبح يميل نحو التّجمع أكثر، الأمر الذي سهّل الطّريق نحو غزو المدينة للأوساط الرّيفية وقّص دورها، فلم تعد هناك ثنائية مبسطة بين هذين الواسطين، فسيطرت المعالم الحضريّة على الحياة الرّيفية بسرعة كبيرة ولاسيما في الدّول النامية (El Moujaddidi, 1995)، رافقت هذه العملية بعض التّغيرات أو التّحولات التي زعزعت النّظام القديم، والواقع أنّ الهجرة الرّيفية كانت أحياناً هي من أكثر العوامل المحركة لهذا التّحوّل. فالهجرة من الرّيف إلى المدن أكثر تأثيراً من النّمو الطّبيعي للسّكان في المناطق الحضريّة. في بعض الفترات، هذه الهجرة حدّتها عوامل دافعة تدل على الظّروف الصّعبة التي كانت تعيشها الأرياف.

أنّج هذا النّزوح شكلاً إقليمياً متميزاً وفريداً في بلدات ومدن المحيط الهادئ، أصبح يسمّى القرى الحضريّة والمدن القروية وهو أكثر وضوحاً في جزيرة ميلانيزيا (Asian Développent Bank, 2016)، حيث يقيم الرّيفيون في السّكن الرّيفي الذي يمكن تمييزه حسب (Cavaillès, 1936) من خلال وظيفته، والتي عادة ما تكون زراعية، ولو أنّها ذات قيمة ثانوية، إذا ما أضيفت لها وظائف أخرى.

عرفت الجزائر ظاهرة التّحضّر منذ القدم حيث تعود جذورها التّاريخية لمختلف الحضارات التي مرت بها إلّا أنّها كانت محصورة مجالياً ولم تعرف تطوراً كبيراً إلّا خلال الأربعين عاماً الأخيرة، حيث اتخذت شكلاً من أشكال الانفجار الحضري الذي زعزع المشهد والعقليّات والمجتمع نفسه (Cote, 1994). تغيّرت المدن كثيراً، ممّا أقحم ضواحيها ومراكزها في أزمة، لعبت الأنشطة الطّوعية والمخططة للسلطات المحليّة في هذه التّحولات دوراً ريادياً. ففي الجزائر تضاعف معدّل التّحضّر مرّتين ما بين 1966 و2022 (31.43% مقابل 74,8%).

شهدت معظم دول العالم في القرنين الثّامن عشر والتّاسع عشر سياسة الإصلاح الفلاحي، وقد ارتبطت بتوطيد القرى وتحديثها والعمل على تنميتها، ممّا سمح بانتقال العديد من العائلات إلى الحقول، ولا سيّما في أوروبا (سويسرا والدنمارك). تطورت العديد من هذه القرى في القرن العشرين وأصبحت مراكز خدمة صغيرة، بها حرفيون ومتاجر للضروريات اليومية (Palle, 2020).

¹ <https://www.statista.com/statistics/455775/urbanization-in-algeria/>

على مستوى الدّول العربيّة قامت مصر بتجربة مشابهة عرفت بمرحلة إعادة التّمنية في الفترة (1975-1952) ركزت على تنمية الرّيف المصري بإصدار قوانين الإصلاح وهيكلّة النّظام الزراعي، وتعمير الرّيف بتوسيع وتطوير القرى القديمة وتجهيزها، وإنشاء قرى جديدة بالقرب من الملكيات الزراعيّة الكبرى، ثم كررت التجربة سنة 2007 فتضاعفت القرى المصريّة وزاد عددها من 2325 قرية في بداية القرن التاسع عشر إلى 5066 قرية حاليا (Mahgoub, 2016).

عرفت الجزائر سياسة السّكن الرّيفي المتجمّع منذ الفترة الاستعماريّة، حيث تعدّدت الآليات من مصادرة الأراضي في بداية الاحتلال سنة 1830، إلى محاولة قمع الثّورة بتجميع السّكان في المحتشدات ومراكز إعادة الإسكان بهدف مراقبتهم بموجب مرسوم 29 سبتمبر 1955. أنجزت العديد من القرى في الأوساط الرّيفية الموجهة للمستوطنين لإسناد النّشاط الزراعي الذي أخذ يتطور بشكل مستمر، بعد الاستقلال أخذت سياسة السّكن الرّيفي في الجزائر بعدا آخر، ترجم التّوجه الثّوري للدّولة المستقلة التي انتهجت النّظام الاشتراكي، الذي كان يدعو إلى تحجيم الملكية الفرديّة كونها نظاما غير عادل ولا يحقق رفاهية المجتمع، وتعويضها بالملكية الجماعيّة والعامّة وفق شعار "الأرض لمن يخدمها" (حوشين، 2007). اعتمدت الجزائر برنامجا كبيرا لتحديث أوساطها الرّيفية وتنميتها اقتصاديا واجتماعيا عرف "بالثّورة الزراعيّة" والتي كان السّكن الرّيفي إحدى ركائزها الكبرى (Meziani et Otmane, 2022). لتحقيق هذا الهدف سطر برنامجا فريدا من نوعه تمثّل في برمجة إنجاز ألف قرية اشتراكية تمّ الموافقة عليها في 1973 إثر الملتقى الوطني حول السّكن الرّيفي، باعتبارها وسيلة دعم لنمط جديد من التّخطيط الرّيفي، لها أهداف طويلة الأمد (Lesbet, 1983). ففكرة القرى الفلاحيّة في الجزائر هي في الواقع تحديّ ورد فعل في نفس الوقت اتجه الألف قرية المعروفة "بقرى المستقبل التي أطلقها الإدارة الفرنسيّة عام 1959 لإعادة تجميع سكان الرّيف وعزلهم عن الثّورة. تطور السّكن الرّيفي كنمط استيطان في المناطق الرّيفية، سواء المتجمعة أو المبعثرة في الجزائر عبر مختلف المراحل التّاريخية وتطورت الأشكال والتّصاميم أيضا وارتبطت بالبيئة المحليّة وخصائصها فالسّكن الرّيفي في قرى القبائل يختلف عن مثيله في الأوراس (بلاد الشاوية) وأيضا عنه في السّهول والصّحراء. هذا التّطور لا يخص الجزائر فقط، بل شهدته معظم دول العالم، وقد تأثر بالبيئة المحليّة وكذا السياسات العقاريّة والعمرانيّة، كما تماشى هذا التّطور مع موجة التّحضر التي اجتاحت العالم بدون استثناء، حيث أصبحت المدن والممارسات الحضريّة تسيطر على جميع أرجاء الكرة الأرضيّة، وان كانت النسب تختلف من دولة إلى أخرى.

تعتبر الزراعة أحد أهم المكونات الأساسيّة لعالم الرّيف والحضر، نظرا لما توفره من مواد توجّه للمدن باعتبارها أكبر سوق استهلاكي مرتبط بحجمها السّكاني، فقد شهد القطاع بالجزائر اهتماما من طرف الدّولة في نهاية الثّمانينات في إطار قانون الحيازة على الملكية العقاريّة بموجب القانون رقم 83-83 الذي سمح

باستصلاح الأراضي الفلاحية وإنشاء محيطات السقي. عرفت الفلاحة قفزة في الانتاج ونوع المحاصيل الزراعية منذ ما يقارب العشرين عاما على إثر المخطط الوطني للتنمية الفلاحية (PNDA) من أجل ضمان الأمن الغذائي في البلاد، وتطوير فرص العمل وزيادة الدخل في المناطق الريفية. توسع هذا البرنامج وأصبح المخطط الوطني للتنمية الفلاحية والريفية (PNDRA) بداية من سنة 2002، وفي هذا الإطار تم وضع البرامج الجوارية للتنمية الريفية المدمجة (PPDRI). سمح تطبيق سياسة التنمية الريفية في الجزائر على مدى عقدين من الزمن بتطور مستوى نتائج النشاط الزراعي واستغلال الموارد الطبيعية والبشرية وتنويع الأسس الاقتصادية للسكان الريفيين وتحسين ظروفها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (بوعزيز وعبدلي، 2013)، فالتنمية الريفية لا تعمل فقط على الرفع من جاذبية الحياة والعمل في الأرياف على مختلف المستويات، بل تؤثر على السكان الحضريين فتعكس على مستوى وحجم الاستهلاك من الجهة وعلى المهن الممارسة من جهة أخرى، خاصة بالقطاع الثالث لأن منتجات الزراعة تعزز نمو الأنشطة التجارية. فالتجارة حسب ويلسون¹، تعتبر محركاً أساسياً للتنمية الاقتصادية العالمية، إذ لا يمكن تحقيق الأهداف الإنمائية المتعلقة بالصحة والتغذية والتعليم، إذا لم تُمنح التجارة الوسائل الكافية لاستغلال إمكاناتها². لم تقتصر الجزائر على سياسة التنمية الفلاحية فحسب، بل اعتمدت سياسة صناعية في السبعينات وبداية الثمانينات باعتبارها أحد آليات التنمية من جهة ودافعا للتعمير من جهة أخرى، إلا أن الأشكال المطروح آنذاك لم يكن قائما عن التصنيع في حد ذاته بقدر ما كان يدور حول أسلوب التصنيع المعتمد (Kassedellah, 2013). لأن السرعة في الإنشاء الصناعي طرح مشاكل مضاعفة كإشكالية التوازن بين أنشطة مختلف القطاعات الاقتصادية في الولايات المستفيدة من النسيج الصناعي وبين التنمية المتجانسة لمختلف مجالاتها الإقليمية، وإشكالية نجاح النشاط الصناعي نفسه، للوصول لإنتاجية وربح كافيين في بيئة لم يكن لديها أي هيكل صناعي ولا تجربة سابقة في هذا المجال. مرّ قطاع الصناعة بالجزائر بمطبات متكررة متأثرا بالأزمة الاقتصادية التي مرت بها البلاد، أدى إلى إفلاس المؤسسات وتسريح العمال وتنازل الدولة عن ريادة الأعمال، فالتجهت إلى الخوصصة، غير أنها عادت إلى الإصلاح الصناعي مجددا. فبعدها كان التشريع الخاص بالاستثمار، يأخذ قيمة رؤوس الأموال كأولوية عند منحه التسهيلات للمستثمرين بهدف تشجيع الاستثمارات، وجد المشرع نفسه يتخذ شيئا فشيئا تدابير فرضت نفسها في توجيه الاستثمارات نحو المشاريع الخالقة لمواطن الشغل، ثم نحو القطاعات الخالقة لمناصب الشغل بتكاليف معتدلة (الصناعات المتوسطة والصغيرة)، ثم نحو أنشطة الصناعات التقليدية والحرفية والمهن الصغرى، التي تخلق عادة أقل من عشر مناصب شغل (مشاريع وكالة تشغيل الشباب)، من ناحية أخرى عملت على الحد من المركزية

¹ اقتصادي في التجارة والتكامل الدولي في مجموعة أبحاث التجارة العالمية، وتطوير البنك الدولي

² <https://www.banquemonde.org/fr/news/feature/2010/09/17/trade-promises-path-out-of-poverty>

بإقرار تحفيزات هامة للمناطق المراد ترقيتها، فلاقت الأنشطة التصديرية تشجيعا كبيرا في كل قوانين المالية السنوية وفي قوانين الاستثمار المتعاقبة كونها المصدر الأساسي للعملة الصعبة الخارجية. تعتبر منطقة السرسو بخصوصيتها المميزة مثالا مصغرا لما عرفته مختلف الأوساط الجزائرية من تحولات مجالية، اجتماعية واقتصادية في فترات زمنية متتالية ومثالا حيا لما تم تقديمه انفا. كما تعتبر انعكاسا للسياسات المتعاقبة والآثار المترتبة عنها في صياغة العلاقات مجاليا وزمنيا وعليه فهي تعتبر مثالا حيا جديرا بدراسة جغرافية متعددة الجوانب.

الإشكالية:

يعتبر سهل السرسو المعروف بموطن الحبوب والماشية، منطقة مأهولة بالسكان منذ التواجد الروماني بالجزائر في بداية القرن الثالث الميلادي، فقد لعب دورا في الربط بين التل والمنطقة السهبية، إلى غاية التواجد العربي بها في حكم الدولة الرستمية، الذي جعل من موقع عاصمتها تاهرت ملتقى للطرق الرئيسية في المغرب الأوسط، تمر بها القوافل التجارية وهمزة وصل بين الساحل وغرب إفريقيا، كما أن قوة الدولة الرستمية آنذاك ساعدها على السيطرة على سلسلة من الطرق التجارية التي تؤدي إلى مختلف الاتجاهات وبالتالي جعلها مركزا هاما لمدة قرن ونصف تقريبا فأصبح السرسو مركزا للتبادل التجاري الدولي مع المشرق الإسلامي عن طريق مصر، مع الأدارسة في الغرب وسجلماسة في الجنوب الغربي، مع غانا والسنگال في الجنوب، مع السودان في الشرق ومع الأمويين في الأندلس (المالكي، 2014)، وعند مقدم بني هلال في منتصف القرن الحادي عشر ميلادي (1050 م) وانفصال السرسو عن بني عبد الواد، أصبحت منطقة عبور لملوك تلمسان نحو بجاية وقسنطينة، فتطورت التجارة مع الفلاحين وقوافل الرّحل المحلية، الجهوية وحتى الوطنية. كما يعتبر السرسو إحدى محطات الحركة الخاصة بالعشابة مع المناطق السهبية مما شكل قاعدة اقتصادية تدعم النشاطات الرئيسية المتمثلة في الزراعة وتربية المواشي. فازدهار هذه النشاطات أعطى ميلاد الكثير من الأسواق، مما أكسب المنطقة جاذبية وأدى في ذات الوقت إلى تمركز العديد من القبائل. يجعلنا هذا نقف على إمكانيات ومؤهلات سهل السرسو التي أعطته قوة وشهرة تاريخية عبر مختلف الحقب التي مر بها.

بداية تعمير السرسو كانت في الفترة الاستعمارية باستثناء تيارت، انطلق بتحديد ثلاث محيطات استعمارية¹ تمثلت في كل من تيارت، مهدية وفيالار (تيسمسيلت حاليا) تمّ تعميرها عن طريق إنشاء عدة مراكز إسكان على شكل قرى فلاحية استعمارية بالقرب من المزارع، لهيكله هذا المجال الزراعي الخصب، متخصصة في إنتاج الحبوب على أراضي الأهالي، إلا أن التعمير تواصل بعد الاستقلال وبوتيرة أسرع وفق سياسة عقارية مغايرة انتهجتها الجزائر المستقلة رغم أنها كانت بنفس الصورة السابقة تقريبا، غير أن

¹ المحيط الاستعماري هو حوض التعمير وتتكون من مركز وأراضي فلاحية خصبة محيطة به.

أهدافها وأدواتها اختلفت هذا ما يجعلنا نتساءل وفق أي منطق وأي سياسات حضرية وآليات تم تعميم السّرسو؟ وما هي النتائج المترتبة عن ذلك؟

عرف السّرسو نموا سكانيا متزايدا منذ التواجد الفرنسي به إلى يومنا هذا ممّا يدفعنا إلى دراسته وتحليل توزيعه المجالي وتحديد العوامل المتحركة فيه. من بين مميزات السّرسو أنّه حافظ على سكانه المبعثرين وخاصة في العشرية السوداء فإلى ماذا يعود ذلك؟

عرف التّخطيط الإداري في الجزائر تغيرات متعددة ومتعاقبة، تركت بصمات واضحة على التّخطيط الاجتماعي والمجالي، فالتّخطيط الإداري في الفترة الاستعمارية سمح بإنشاء الدّوار وعدّة مجمعات عمرانية انتظمت بصورة بلديات مختلطة ثم بلديات ذات الصّلاحيات الكاملة ممّا أدى إلى وضع اللّبنة الأساسية للشّبكة العمرانية بالسّرسو، بعد الاستقلال عرف التّخطيط الإداري هيكلية جديدة ولاسيما التّقسيم الإداري لسنة 1984 الذي سمح بإنشاء بلديات جديدة بالسّرسو، انطلاقا من مراكز ريفية فما هي إذن انعكاساته على تنظيم البنية المجالية للسّرسو؟

ساهم التّمو الديمغرافي لسكان السّرسو إثر ترقية بعض مجمعاته إداريا واستفادتها من التّجهيز بمختلف المرافق العمومية وربطها بشبكة الطرقات، في ازدياد حاجيات السّكان خاصة السّكن، مما أدى إلى توسع هذه المجمعات مجاليا تلبية لحاجياتهم، خاصة الكبرى منها، فما هي عوامل وآليات التّمدد الحضري للمجمعات الكبيرة بالسّرسو وماهي عناصر التّحول في المراكز العمرانية الرّيفية؟

تتميز الشّبكة العمرانية في السّرسو بأنها كثيفة ومتكاملة بين شبكة قديمة موروثية عن الفترة الاستعمارية وأخرى حديثة ناتجة عن تراكمات سياسية واقتصادية بعد الاستقلال، فهل تخضع لتراتب معين وكيف تتفاعل فيما بينها وظيفيا؟

أعدت السياسة العقارية الاستعمارية صياغة التّخطيط المجالي في الجزائر بالانتقال من النّظام القبلي التّقليدي إلى نظام الملكية الفردية المقيدة والتي تخضع للتّسيير الإداري، ممّا أدى إلى ظهور تحولات عميقة فيه. بعد الاستقلال، وجدت الجزائر نفسها أمام وضعية عقارية معقّدة تستدعي إعادة النّظر فيها، فانتهجت سياسات مغايرة وأعدت هيكلية القطاع الزراعي: من التّسيير الدّاتي، مرورا بالثّورة الزراعيّة إلى التّنمية الفلاحية والتّجديد الرّيفي. لم تكن منطقة السّرسو بمعزل عن هذا كلّ، فكيف أثّرت هذه السياسات على هيكلية البنية العقارية والتّخطيط المجالي في السّرسو وهل كان لها تأثيرا في ديناميكيتها؟

هناك تفاعل متبادل بين الفلاحة والتّوطن السّكاني في السّرسو، فالنّشاط الزراعي يمثّل محرّكا للتّنمية في المنطقة كلّها، نظرا لوجود مقومات ساهمت في إعطاء الخصوصيّة الزراعيّة لها، حيث أنّ زراعة الحبوب تعتبر مكونا أساسيا في المنطقة منذ التّواجد الرّوماني بها، أنتجت هذه الزراعة ديناميكية وحقّقت التّوازن في المناطق الرّيفية، ولم تكن فقط نشاطا أساسيا لسكان السّرسو، بل كانت دافعا للتّعمير انطلاقا من القرى

الاستعمارية ووصولاً للقرى الفلاحية الاشتراكية في فترة السبعينات، ثم الاستصلاح الزراعي وسياسة التنمية والتّجديد الريفيين حالياً، كما كانت داعماً للاقتصاد المحلي والوطني بالمنطقة. توسع استخدام الأرض من زراعة الحبوب والكروم في بعض المناطق إلى تنويع الإنتاج الزراعي، إذ بدأ السّرسو يكتسب ممارسات جديدة فما هي دوافع ذلك؟ هذه التّحوّلات التي شهدها القطاع الفلاحي أكسبت السّرسو ديناميكية اقتصادية جديدة مرتبطة بالنشاط الفلاحي، فما هو دورها في هيكلية المجال الريفي من جهة والبنية الزراعيّة من جهة أخرى؟

تأكد البعد الزراعي للسّرسو أثناء الفترة الاستعمارية ودعم بإيجاد صناعة غذائية من خلال المطاحن المنتشرة به إلا أنّ سياسة التّصنيع بعد الاستقلال أخذت منحى آخر حيث أدرجت به صناعات تعدينية وميكانيكية وهيأت لها منطقتين صناعيتين بتيارات وأخرى بعين بوشقيف بالإضافة إلى عدد آخر من مناطق النشاط. عرفت هذه الديناميكية الصناعيّة تراجعاً كبيراً في التسعينات ثم عاودت الانبعاث من جديد، فكيف أثر السّرسو وتأثر بالتّوطن الصناعي القديم والجديد؟ وما هي التّحوّلات الناجمة عنه؟ وما هو دور الفلاحة في تنشيط هذا القطاع؟

عرف السّرسو تحوّلات هيكلية في البنية التجاريّة، انعكاساً لتحضّره من جهة وتأثراً بالديناميكية التي عرفتھا المنطقة في مختلف المجالات من جهة أخرى، فكيف ساهم تعدّد الأنشطة بالسّرسو في إنعاش القطاع الثالث وفي تطور التبادلات التجاريّة داخل المنطقة وخارجها؟

ترقية مجمعات السّرسو إدارياً جعلته يستفيد من أنشطة وتجهيزات ذات بعد جهوي ووطني وحتىّ دولي وأدّت إلى تطوير الأنشطة الاقتصادية والخدمات التجاريّة والأسواق التقليديّة، ممّا ساعد على تنشيط التّنقل على الصّعيدين المحلي والإقليمي، حيث أصبحت هذه المراكز الحضرية تشكل أقطاباً تعيد تحديد العلاقات المكانية بينها وبين محيطيها القريب والبعيد، فكيف ساهمت هذه العوامل في التّحركات السّكانية في السّرسو وكيف أثر تفاعل الأنشطة الاقتصادية على الأداء الوظيفي داخل المنطقة، وكيف أعاد صياغة علاقات مدينة/ريف؟

أهداف الدّراسة:

معظم التّحوّلات التي تطرأ على المجال الجغرافي تكون بارزة للعيان، إلا أنّ ميكنزمات التّحول هي التي يسعى الجغرافي إلى اكتشافها، من خلال تحليله لعناصر المجال ومختلف العلاقات التي تربط بينهما. يعدّ سهل السّرسو قطباً فلاحياً بامتياز والمنطقة الأكثر ديناميكية بولاية تيارت، عايش مختلف الفترات التّاريخية التي مرّت على المنطقة منذ اكتشافه من طرف البدو القادّمين من الصّحراء، وهو ما جعل اختيارنا يقع عليه، لدراسته وتحليله تحليلاً متعدّداً الأبعاد، بغية تحقيق الأهداف التّالية:

1. على المستوى المجالي: معرفة وتحليل دوافع التّعمير وديناميكيته في منطقة السّرسو وتحديد دور الفاعلين فيه.

2. على المستوى الاقتصادي: فهم وتحديد مصير هذه المنطقة ذات الخصوصيّة الفلاحية في ظل التّغيرات التي عرفتها، ودراسة التّفاعل بين مختلف وظائفها.

فرضيات الدّراسة:

تنتقل هذه الدّراسة من فرضية أنّ السّياسات صنعت بوادر التّحضر في السّرسو، عن طريق مشاريع تنموية اقتصادية واجتماعية، بدءا من فكرة الاستيطان الأوروبي وتعمير الرّيف، ثم ترسخت معالمه بعد الاستقلال لكن بأهداف ورؤى مختلفة عن تلك الاستعمارية، وبالتالي فإن الديناميكية التي عرفها سهل السّرسو كانت مخططة وليست عفوية، أثرت بشكل عميق على التّركيب الاجتماعي والوظيفي بالمنطقة بعد إدراج وظيفة جديدة (الصّناعة) منافسة للوظيفة التقليدية بالمنطقة (الفلاحة).

الفرضية الثانية ترى أن بروز المجمعات الريفية كحلقة أساسية في الشبكة العمرانية وحفاظها على بعض من معالمها الريفية هو خاصية تعمير جزائرية وهو مقاومة للتّحضر الكاسح وأيضا استراتيجية منتهجة من قبل سكانها للاستفادة من إيجابيات العالمين الحضري والريفي.

كما تقترض الدّراسة أن سيرورة التّحضر في السّرسو ساهمت بشكل إيجابي في تطور الوظائف الاقتصادية بمختلف أنواعها وجذب المستثمرين اليه وحفزت التفاعل فيما بينها، رغم العثرات التي عرفها قطاع الفلاحة والصّناعة في فترة التّسعينات، لكنهما عادا للانتعاش من جديد بإدراج استراتيجية التّكامل بين الوظيفتين الأصليّة والمستحدثة والذي خدم في ذات الوقت قطاع التّجارة بشكل غير مباشر.

المنهجية ووسائل العمل:

تعيش المجمعات العمرانية الجزائرية ديناميكيات متعدّدة قد تكون حضرية وقد تكون ريفية أو مجتمعيتين معا في نفس المنطقة وفي نفس الوقت، ممّا يؤدي إلى التّحام الأنسجة وبالتالي تشكيل تجمعات حضرية من جهة وتحضر المناطق الريفية من جهة أخرى، فتنشأ الازدواجية في المجال وتتأثر أنماط الحياة في هذه المجمعات. غالبا ما تشهد المناطق السّهلية هذه الازدواجية باعتبارها مناطق سهلة التّعمير فضلا على خصوصيتها وامكانياتها المتعدّدة، والسّرسو أحد النّماذج المعبّرة عن هذه الظّاهرة.

الإطار المفاهيمي للموضوع:

المرحلة الأولى لأي بحث علمي، يتم من خلالها تكوين خلفية نظرية عن موضوع الديناميكية الحضرية والتحويلات المجالية والاجتماعية في مختلف أبعاده، بالاطلاع على مختلف المراجع المتاحة التي درست الموضوع بصفة عامة والمنطقة على وجه الخصوص، نتائجها سنتناولها خلال مختلف الفصول المكونة

للأطروحة ووفق الحاجة. كما تم استكمال البحث النظري بالاطلاع على مختلف النصوص التشريعية والتنظيمية، المتعلقة بمختلف السياسات التنموية عبر المحطات التاريخية التي مرت بها الجزائر.

جمع المعطيات:

لمعالجة هذا الموضوع اعتمدنا على مصادر متعددة: الملاحظة والمسح الميداني، الاستقصاء، المقابلة، المعطيات الاحصائية والتقنية.

قمنا بالمسح الميداني لمختلف لأنسجة العمرانية بالسرسو، حيث تم التركيز على المجمعات الصغيرة (مدن موروثية عن الفترة الاستعمارية وقرى اشتراكية)، وأيضا المجمعات الكبيرة (تيارت، تيسمسيلت ومهدية) من أجل تحديد استخدام الأرض بها، وتطوره ومعرفة مستوى تجهيزها وتصاميم مساكنها. ساعدتنا الملاحظة التشاركية مع كبار السن في معرفة ظروف نشأة هذه المراكز العمرانية، ومع عدد آخر من السكان في فهم دوافع التوسعات العمرانية لهذه المجمعات الكبيرة وللقرى الفلاحية (الاستعمارية والاشتراكية) والاستراتيجيات المعتمدة من قبل السكان. جاء تركيزنا على المجمعات الصغيرة لأن الشبكة العمرانية بالسرسو تركز على قاعدة مهمة من المجمعات الصغيرة.

كما قمنا بالتحقيق عن طريق الاستمارة، حيث تعددت نماذجها فكان عددها الكلي 1164 استمارة استعملت حسب الغرض منها. بالنسبة للتحقيق الميداني الخاص بالسكن والسكان، وزعنا ما يقارب ألف استمارة، لكن لم يتم استرجاع إلا 350 منها فقط مجابة بعناية ومملوءة بنسبة 100%. وزعت الاستمارات على أربعة عشر قرية أغلبها قرى اشتراكية (تسع قرى) بمجموع 270 استمارة وأخرى قرى استعمارية (عددها خمسة). منها ما هو مباشر مع عدد من أرباب الأسر أغلبهم من الذكور، تم اختيارهم بشكل عشوائي، ومنها ما هو غير مباشر، حيث وزعنا نفس الاستمارة على عدد من تلاميذ المؤسسات التربوية لملئها من طرف أوليائهم، غير أن مديرية التربية لولاية تيسمسيلت لم ترخص لنا القيام بهذا التحقيق عن طريق تلاميذ مدارسها. تتكون الاستمارة من مزيج من الأسئلة المغلقة والأسئلة وذات الخيارات المتعددة وأخرى مفتوحة، ومست عدد من الجوانب تتعلق ب: عدد الأسر وخصائصها الاجتماعية (الأصل الجغرافي، العرش)، التحركات والتنقلات السكانية ودوافعها، المساكن وتجهيزها والتغيرات التي مستها، وأيضا المهن الممارسة من طرف الجنسين وتحولاتها.

أجرينا كذلك عدد من المقابلات شبه الموجهة مع سكان القرى والمجمعات الريفية، وعدد من سكان مدينة تيسمسيلت بالأحياء المحصاة على أنها هشة ومع عدد من الفاعلين (رؤساء مصالح، منتخبين وناقلين...) لمعرفة العلاقات الوظيفية لهذه القرى وما مدى اندماج سكانها في محيطهم.

أما فيما يتعلق بالجانب الوظيفي، فقد قمنا بالتحقيق المباشر مع الفلاحين في الأراضي الفلاحية، غطى التحقيق خمس بلديات، تم اختيارها من سرسو تيارت كونه يستحوذ على المساحة الأكبر من المنطقة، حاولنا

تغطية مختلف مناطق، فاخترنا بلدية الرّشايقة جنوب السّرسو، لأنّها من البلديات الرّائدة وأهم قطب زراعي بولاية تيارت والمنطقة بشكل عام، بلدية النّاطورة وعين دزاريت، من وسط السّرسو (الضّفة الجنوبية لنهر واصل)، كما اخترنا كل من بلديتي مهدية والسّبعين في شمال المنطقة، مس التّحقيق الميداني عينة قدرها 250 فلاح، قسمت بنسب متساوية بين البلديات الخمسة، غطت أسئلة الاستمارة عدّة جوانب تتعلق بالفلاح (المستغل)، أصله الجغرافي ومكان إقامته، المهنة الممارسة سابقا وحاليا، أسئلة تتعلق بالعقار الفلاحي، مساحته، طبيعته القانونية، أنماط الإنتاج، نظام السّقي والتّسويق.

شمل التّحقيق الميداني عن طريق الاستمارة أيضا 200 محل تجاري، بمجمعتي تيارت وتيسمسيلت مناصفة بينهما، باعتبارهما قطبان عمرانيان رئيسيان في المنطقة، لمعرفة الأصول الجغرافية للتّجار، الزبائن، أسباب واتجاهات التّحركات والتّردد خاصة على المراكز التّجارية ذات المساحات الكبيرة، وقمنا أيضا بالتّحقيق الميداني (100 استمارة) بالأسواق الأسبوعية وأسواق السيارات والمواشي بسهل السّرسو وأيضا بالأسواق القريبة الدّاعمة ولاسيما السّوق، قصر الشّلاله وحاسي فحول وتم إتمام المعطيات الخاصة بالقطاع عن طريق المعطيات المكتبية المتحصل عليها من مديرية التجارة لولاية تيارت، لفهم ميكنيزمات التّسويق الفلاحي واستكمالاً للتّحقيق المباشر مع الفلاحين في مستثمراتهم، تم إجراء مقابلة موجهة شملت التّجار بسوق الجملة للخضر والفواكه بمدينة تيارت (عددها 79) وبعض الأسواق الجوارية بالمنطقة، تجار الخضر المتنقلون، خاصة بالطّرق الوطنية التي تشهد حركة مرورية كثيفة (رقم 14 ورقم 40)، بعض الفلاحين الذين تمت مقابلتهم على مستوى مديرية المصالح الفلاحية وأقسامها الاقليمية (مهدية، السّبعين، عين دزاريت، الناطورة، ملاكو، الدّاحموني وعين بوشقيف)، وشركة شمال جنوب للتنمية الفلاحية "أنسديا" بمنطقة الرّجل ببلدية الرّشايقة (NSD¹) وشركة سماد الأطلس بسي الحواس. شمل التّحقيق الميداني أيضا محطات النقل البري بمدينتي تيارت وتيسمسيلت بمجموع 185 مسافر.

كما اعتمدنا على معطيات التّعدادات العامة للسّكن والسّكان للفترة الممتدة من 1966 الى 2008 ومعطيات المصالح التّقنية (مديرية البناء والتعمير والهندسة المعمارية للولاييتين، مديرية السّكن لولاية تيارت، المصالح الفلاحية لولاية تيارت، الدّيون الوطني للحبوب والخضر الجافة، مديرية الصّناعة والمنجم، مديرية التّجارة والمطاحن الكبرى بتيارت ومهدية) ومخططات التّهيئة والتّعمير (المخططات التّوجيهية للتّهيئة والتّعمير، مخططات شغل الأراضي، مخططات التّناسق الحضري ومخططات تهيئة الولاية) لتدعيم التّحقيق والمسح الميدانيين وتكوين صورة كاملة عن المنطقة المدروسة.

خلق لنا كبير مساحة منطقة الدّراسة وتبعثر مجتمعاتها صعوبات أثناء التّحقيق الميداني، كغياب رب الأسرة في الفترة الصباحية، مما اضطرنا للتّردد عليها مرات عديدة، كما أنّه لم يتم استرجاع العديد من الإجابات

¹ SARL Nord Sud développement agricole NSDA, la zone de Rdjel à Rechaïga (wilaya de Tiaret).

عن الأسئلة المطروحة عن طريق التّحقيق غير المباشر لأنّها غير مكتملة أو لم تفهم بشكل كافي. كما أنّ غياب الأرشيف لعدد من المجمعات دفعنا إلى تحيّن المخططات بالاعتماد على برنامج قوئل ارث والمسح الميداني. تأخر التّحقيق الميداني بالنّسبة للفلاحة والأسواق الأسبوعية بسبب جائحة كورونا، إلى غاية سبتمبر 2021. التّحقيقات الميدانية ركزت بشكل أكبر على سرسو تيارت، كونه يغطي المساحة الأكبر من المنطقة، إضافة إلى صعوبة التّعامل مع الفاعلين المحليين على مستوى ولاية تيسمسيلت، وبالتالي يشهد البحث نقصا فيما يتعلق بالمعطيات المكتبية التي تغطي البلديات التابعة إداريا لإقليم ولاية تيسمسيلت، كما أنّ بعد المسافة صعب القيام بالتّحقيق المباشر لأنّه يتطلب الإقامة بالولاية.

معالجة البيانات والصّور ورسم الخرائط:

لتسهيل مقارنة تعميم منطقة السّرسو وفهم ميكانيزماتها، تم إنشاء قاعدة بيانات تتكون من المعطيات المكتبية والمعطيات المستقاة من التّحقيقات الميدانية ومعالجتها إما بطريقة موضوعاتية أو بطريقة استخلاصية، وتمثيلها بيانيا وخرائطيا حسب الحاجة.

تحليل المعطيات والتّحرير

لمعالجة موضوع الديناميكية الحضرية والتّحولات المجالية، الاجتماعية والاقتصادية في السّرسو، انطلقنا بداية من تحديد المنطقة جغرافيا، واعتمدنا في ذلك على الحدود التي استعملها برين (Perrin, 1960) في دراسته عن المنطقة سنة 1960. مر السّرسو بعدة محطات تاريخية منذ اكتشافه من طرف قبائل الجنوب إلى يومنا هذا، مما حثّ علينا دراسته وفق مقاربة تاريخية، قصد إبراز قوته وخصائصه المتعددة.

انتظم العمل في ثلاث أقسام وثمانية فصول تتكامل فيما بينها، يتناول القسم الأول الديناميكية المجالية والديمغرافية في السّرسو وأشكال تحول المجتمع من البداوة إلى التحضر، فناقش الفصل الأول تعميم السّرسو في مختلف المراحل التي عايشها مع التّركيز على مختلف الاستراتيجيات والأليات المعتمدة في كل فترة تعميرية، بينما تطرق الفصل الثّاني إلى الديناميكية الديمغرافية في المنطقة وتطور مختلف المجمعات بمختلف أصنافها وكيف انتقل السّرسو من التبعثر إلى التجمع.

خصص القسم الثّاني، لدراسة البنية المجالية والشبكة العمرانية بالمنطقة، فتناول الفصل الثالث التّممد والتنظيم المجالي للمجمعات العمرانية بمختلف أصنافها، بدراسة عوامل وآليات التّممد الحضري للمجمعات الكبيرة بالسّرسو (تيارت، تيسمسيلت ومهدية) وعلى عناصر التّطور والتّحول للمراكز العمرانية الرّيفية بعد مرور أكثر من نصف قرن على إنشائها، بينما جاء الفصل الرابع مكملا لما سبقه، عني بدراسة الشبكة العمرانية وتطورها في المنطقة، والعوامل التي أوجدتها وهيكلتها، ومساهمتها في التنظيم والأداء المجالي للسّرسو، أمّا الفصل الخامس فقد خصص لدراسة تحليلية للبنية العقارية في الجزائر والتحويلات التي شهدتها

في مختلف المراحل منذ الفترة الاستعمارية إلى يومنا هذا وانعكاساتها على هيكله المجالي الريفي في السرسو.

أما القسم الثالث فقد خصص لدراسة الأداء الوظيفي للسرسو، قمنا من خلال الفصل السادس بدراسة الوظيفة الأصلية للمنطقة المتمثلة في الفلاحة، وأهم التحويلات التي عرفها القطاع بتتبع مختلف محطات التنمية الفلاحية، ومدى تكيف المنطقة مع الممارسات الجديدة، بينما ذهب الفصل السابع إلى دراسة الوظائف الحضرية الداعمة للوظيفة الأصلية، وكيف ساهمت الزراعة في تطور الوظيفة الصناعية وفي الديناميكية التجارية في المنطقة، أما الفصل الثامن، فقد خصص لدراسة العلاقات الوظيفية من خلال تحليل التحويلات السكنية والسكانية ودوافعها، ركزنا من خلاله على العلاقات المكانية مدينة ريف، وعلى تحليل أشكال التنقلات من خلال التجهيزات الكبرى وأيضا من خلال الأسواق.

1. السرسو، منطقة بخصوصيات متعدّدة

1.1 السرسو: منطقة منبسطة مفتوحة ذات مقومات طبيعية وخصوصية فلاحية

يقع سهل السرسو جنوب كتلة الونشريس، يبلغ متوسط ارتفاعه حوالي 950 مترا، وهو عبارة عن شريط واسع، ممتد بشكل طولي من الشرق إلى الغرب بحوالي 237 كلم وبشكل عرضي من الشمال نحو الجنوب بحوالي 37 كلم، مساحته حوالي 8700 كلم²، محصور من الشمال بالسفوح الجنوبية للونشريس ومن الجنوب بالسهول السهبية التي تتخللها كتلتان جبليتان بارزتان الناظور وسيدي عابد. يقع السرسو بالمنطقة المناخية شبه جافة الباردة شتاءً والحارة صيفا. تتميز بخصوصيات تتمثل في ثلاث عوامل ملائمة للفلاحة: السطح والارتفاعات، التساقطات والمناخ، طبيعة التربة وعمقها (عمق مناسب للفلاحة).

يمثل السرسو جزء من السهول العليا الغربية يمتد بين جبل الناظور جنوبا والونشريس شمالا، يتصل بسهولة إلى الشرق مع سهل الشهبونية (ولاية المدية) وإلى الجنوب الغربي مع منخفض من شط الشرق، ويمكن تحديد بعض الوحدات فيه، الهضبة العليا للسرسو، المنخفض الأعلى لنهر واصل، منخفض تيارت وملاكو وحوض تيسميسيلت، هي منطقة منخفضة تقع على ارتفاع 840 متر وتحيط بها التلال على ارتفاع 1000م في الشمال ومن الشرق إلى الجنوب (Perrin, 1960).

تتفصل الهضبة العليا للسرسو عن حوض تيسميسيلت بواسطة نهر واصل، حيث تميل ببطء نحو الشرق بـ 1000 م بمنطقة بوريشة (على 7 كلم شرق تيارت)، 937 م بسي الحواس، 905 م بمهدية و830 م بزناخرة القور. يغلب على المنطقة التسطيح الذي تتخلله بعض المنخفضات الصغيرة والوديان الواسعة.

تتخلل سهل السرسو شبكة هيدرولوجية، يهيكلها بشكل أساسي نهر واصل في الوسط والشرق، يجمع أكبر حجم من المياه المنحدرة من جوانب الهضبة، يبلغ طوله حوالي 137.5 كلم، وواد مينا في الجهة الغربية

وهو واد دائم الجريان تصب فيه عدة مجاري مائية كواد ملاكو وواد تاقدمت، وواد سوسلم في الجنوب، كما تتواجد به العديد من الضايات. وهو جزء لا يتجزأ من حوض الشلف الكبير، لديه خاصية التصريف نحو البحر من جهتين عن طريق المينا من الجهة الغربية للشلف الأدنى، وعن طريق نهر واصل من الجهة الشرقية للشلف الأعلى، تعد هذه الجهة الخزان الأساسي للمياه بالمنطقة.

المنطقة منبسطة جدا مع غياب الأشجار إلا في بعض المجمعات العمرانية والقرى، بل لا يُلاحظ إلا مساحات واسعة من الأراضي الفلاحية المنتجة للحبوب، في الغرب والشمال توجد التربة حمراء وحجارة قليلة السمك، في الشرق والجنوب نجد الحجارة تغطي سطح التربة على طول الطرق وحول المزارع. يميل جزء كبير من السطح على الحدود الشمالية لسرسو تيارت نحو الجنوب الشرقي، يختلف الارتفاع من 1200 متر في جبل قزول، 970 متر بالقرب من واد نهر واصل ومن الأودية المتشعبة منه، يعتبر هذا الواد منطقة تجميع الطمي والمارن في الأماكن المنخفضة، في الجنوب، نجد واد مينا الذي يقطع منطقة متموجة أين يظهر عمل الأودية، يمس التلال الكلسية ممتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ومن الغرب إلى غاية وادي الصّصاف.

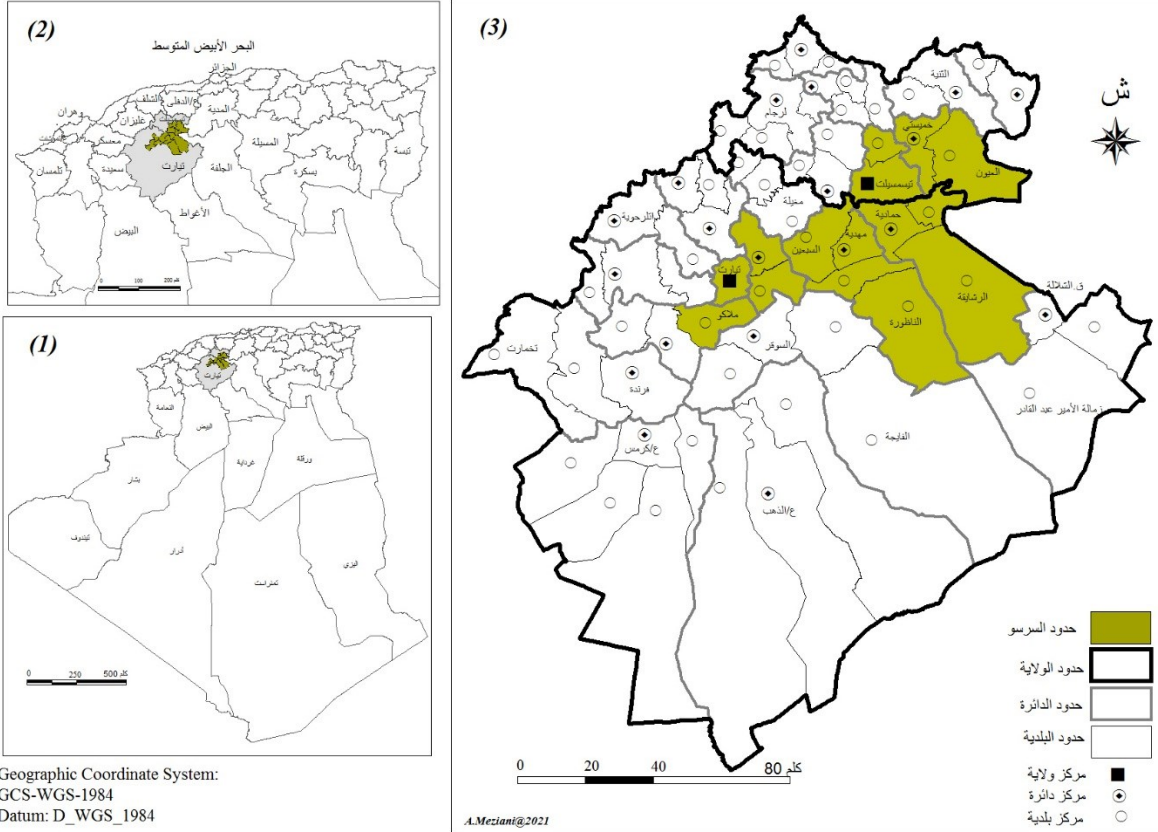
ويمكن تقسيم السرسو إلى ثلاث مناطق كالتالي:

منطقة الاتصال الشمالية مع جبال الونشريس، منطقة السّفوح أو الأقدام (piémonts) هي منطقة اتصال مع الهضبة الشاسعة للسرسو، إنها منطقة جبلية ذات منحدرات ضعيفة حادة، ارتفاعها يتراوح ما بين 800 و1200م، متوسط التساقطات بها يتراوح ما بين 450 إلى 600 ملم سنويا ولكنها غير منتظمة وتتوزع بشكل غير متعادل على مدار العام. يتكون الغطاء النباتي من غابات متفرقة (التين والصنوبر الحلبي) وأحراش، إلا أنه تعرض لعملية تدهور متقدمة، ومع ذلك فهي منطقة ذات إمكانات قوية تبلغ مساحتها الزراعية أكثر من 45000 هكتار. إن وجود جيوب وأراضي طينية قابلة للرّي، خاصة على مستوى سفوح المنحدرات المنخفضة، قد سمح بممارسة زراعة الحبوب، الخضروات والأشجار المثمرة وكذا تربية المواشي الواسعة النطاق، تتمثل هذه المنطقة في بلديات تيسمسيلت، خميستي، العيون، وأولاد بسّام.

أما منطقة الاتصال الجنوبية بجبل الناظور، فهي منطقة "السّحاري" تمتد بشكل شريطي، ذات طبيعة زراعية ورعوية، يتراوح ارتفاعها ما بين 600 و800 متر، تتلقى تساقطات من 250 إلى 300 ملم في السنة. تشمل هذه المنطقة بلدية الناظورة و جنوب بلديتي عين دزاريت والرّشايقة.

منطقة وسط السرسو (المنطقة الوسيطة): سهول عالية يتراوح ارتفاعها ما بين 600 و1000 م فوق مستوى سطح البحر، تتلقى أمطارا من 350 إلى 450 ملم في السنة، تعتبر هذه المنطقة قلب السرسو، وتشمل بلديات مهدية، السّبعين، الداحموني، تيارت وملاكو، تعتبر هذه المنطقة زراعية بامتياز.

يضم سهل السرسو حاليا 15 بلدية تنتمي إداريا إلى ولايتي تيارت وتيسمسيلت (الخريطة رقم 1)، إلا أن معظمه يقع بولاية تيارت (11 بلدية تابعة لولاية تيارت وأربعة تابعة لولاية تيسمسيلت)، وهو بذلك يمثل الحدود الشمالية لبلدية للسوقر، الحدود الشرقية لبلدية مدروسة، يتصل مع سهل الشهبونية شرقا (ولاية المدينة).



الخريطة رقم 1: الموقع الإداري لسهل السرسو

2.1 مصادر الجيوب المائية الجوفية:

يتربع السرسو على ثلاث جيوب مائية جوفية هامة وذات مساحات كبيرة وهي الجيب المائي للسرسو الذي يشمل البلديات عين دزاريت، مهدية والرّشايقة، وجزء من بلديتي حمادية وبوقارة، الجيب المائي واصل، يغطي جزء من بلدية حمادية، وبلديات بوقارة، السبعين، الداحموني وعين بوشقيف، أما الجيب المائي مينا فيغطي بلديتي ملاكو وعين بوشقيف. يوجد بهذه الطبقة المائية الجوفية حوالي 23 بئر عميقة أي ما يعادل 26 % من مجموع الآبار على مستوى ولاية تيارت بتدفقات تتراوح ما بين 6 لتر/ثا - 45 لتر/ثا، كما تتزود مدينة تيسمسيلت بالماء الصّالح للشرب عن طريق تسع آبار ببلدية الرّشايقة.

يحتوي السرسو على مجموعة من السدود والحواجز المائية، منها سدين منجزين على مجرى وادي نهر واصل، سد الدحموني سنة 1987 وسد بوقارة سنة 1991، وسد بخدة المنجز على الضفة العليا لواد مينا يقع بإقليم بلدية مشرع الصفا خارج حدود السرسو إلا أنه موجه لتزويد بلدية تيارت بالمياه الصالحة للشرب.

2. سهل السرسو، مجال أهل بالسكان ومستغل منذ القدم

1.2 موقع السرسو جعله محط اختيار الرومان لإنشاء مركز عسكري يربط المنطقة السهبية بتلمسان

السرّسو منطقة قديمة النشأة تعود إلى التواجد الروماني بالجزائر، أنشأت في هذه الفترة مدينة عين تكرية شمال خميستي حاليا (ولاية تيسمسيلت) حيث كانت تسمى " الكليمونطا" ويعود تاريخ نشأتها إلى أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث ميلادي (بوشامة، 2014) ، أنشئت بهدف دفاعي ضد القبائل المورية المعادية للوجود الروماني بالمنطقة وهي إحدى النقاط المشكلة للخط الدفاعي ليميس الذي أنشأه الحاكم الروماني آنذاك، وتعد عين تكرية الحد الفاصل بين سهل السرسو ومرتفعات الونشريس، إنشاؤها مكن الرومان من استغلال الأراضي الخصبة للسهل ومنع القبائل المورية من الهبوط إليها.

لم تكن عين تكرية منشأة عسكرية فقط، بل شهدت أيضا استقرارا بشريا، خصوصا وأن المنطقة تمتاز بكثرة الينابيع المائية وخصوبة الأراضي الفلاحية مما جعل العديد من الجنود والعساكر المتقاعدین يستوطنوها ويكون لهم دورا كبيرا في تعميرها، وأصبحت الكليمونطا مركزا يسيطر على المنتجات الزراعية والحبوب والبقول والعنب والخشب أيضا، وعليه أصبح السرسو ككل هو منطقة عسكرية تربط المنطقة السهبية شمال المسيلة إلى تلمسان (بوماريا) بواسطة الطريق التي تربط بوقارة، تيارت مرورا بتيسمسيلت وسيدي الحسني (أحمد بوشامة، 2014).

2.2 السرسو عاصمة للرّسمتين

لا يعرف أي شيء عن السرسو إلا بقدم العرب نحو تاهرت (تأقدمت حاليا) وإقامة الدولة الرّسّمية. تميزت هذه الفترة بوجود تاهرت كعاصمة للدولة وبالتالي مركزا قياديا لكل المنطقة آنذاك. اختلف المؤرخون في تحديد سنة بناء تاهرت الحديثة (تيارت حاليا)، والمرجح أن بناؤها كان سنة 148هـ/765م وبيعة عبد الرّحمن بن رستم إماما كانت سنة 160هـ. مهما يكن من أمر هذا الاختلاف فإن مدينة تاهرت لم تلبث أن صارت عامرة ومركزاً لدولة عرفت بالدولة الرّسّمية (160-296هـ/776-908م)، وكانت مقرا لقبائل صحراوية تنتقل في أقاليم المغرب الشرقية بطرابلس ونفزاوة وبلاد الجريد في جنوب المغرب الأدنى. تحولت تاهرت في ظرف أربع سنوات من قرية صغيرة إلى مدينة عامرة (المالكي، 2014). من ناحية أخرى كانت تاهرت منطقة تتجمع فيها خطوط المواصلات، من الجنوب إلى الشمال بطريق وادي الشّلف ومن الشّرق إلى الغرب أو الجنوب الغربي خاصة، ويشير اليعقوبي إلى قصر الطّريق بينها وبين سجلماسة

¹ تاريخ الأبحاث الأثرية لموقع عين تكرية بخميستي ولاية تيسمسيلت، <https://www.djazairiss.com/ouarsenis/5482>

بوابة تجارة الذهب عبر الصحراء، مما جعل المدينة سوقا، وجعل أهلها يشاركون في التجارة، وكانت ثروة هذا الإقليم وتجارته الواسعة سببا في اجتذاب الناس من فارس، موطن أجداد بني رستم الذين ينحدرون من بهرام الفارسي، ومن عرب إفريقية، ومن جهات مختلفة من بلاد البربر، من قبائل نفوسة بطرابلس، ومن قبائل زناتة الرّحل في إفريقية (تونس) والمغرب الأوسط، وقد ترددت هذه القبائل كثيرا على أسواق هذا الإقليم. استولى أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد على تاهرت في سنة 296هـ/908م، وأنهى حكم الرّستميّين فيها، وصارت تاهرت تابعة للفاطميين ونوابهم من صنهاجة، بعد انتقال الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر، وتعرضت المدينة لسيطرة قبيلة زناتة عليها مرارا، ثم صارت تابعة للموحدين.

من تتبع أخبار تاهرت يلاحظ أن اليعقوبي، وهو من جغرافيين القرن الثالث الهجري، لا يتحدث إلا عن تاهرت المحدثّة، بينما يصف ابن حوقل، من جغرافيين القرن الرابع الهجري، تاهرت القديمة والمحدثّة معا مما يدل على أن الحياة عادت ثانية إلى القديمة، فهو يذكر أن في تاهرت القديمة كثير من الناس، وفيها جامع كما أن للمحدثّة جامعا، ولكل منهما إمام وخطيب، إلا أن النّجار والتّجارة بالمحدثّة أكثر، ويشير إلى أن لأهل المدينتين مياها كثيرة تدخل على أكثر دورهم، وأشجارا وبساتين وحمامات وخانات وأن العسل والسّمّن وضروب الغلات كثيرة، وكذلك الماشية والغنم والبغال والحمير.

ارتبطت تاهرت بعلاقات مختلفة الاتجاهات والغايات، فربطتها علاقات ثقافية مع البصرة القريبة من بغداد، وعلاقات تجارية وثقافية مع مصر وهي ولاية من الدّولة العباسية ببغداد، حيث كانت وسيطا في التّجارة بين الشّرق والغرب فقد حتمت طبيعة امتداد الدّولة الرّستمية إلى طرابلس أن تكون مصر منفذا للقوافل الرّستمية المتجهة إلى المشرق الإسلامي، كما أنّ علاقات تاهرت مع الأدارسة في الغرب والعلاقات التّجارية والثقافية مع سجماسة في الجنوب الغربي، كانت جد نشيطة لأنّ طريق التّجارة الرّستمية (تجارة الذهب) إلى غانا والسّنغال كان يتم عن طريقها، كما كان لها علاقة مع السّودان وأيضا مع الأمويين في الأندلس.

3. التّركيب والتنّظيم الاجتماعي في السّرسو:

3.1 الأعراس والقبائل في الفترة العربية

يعرف التّقسيم القبلي بأنه "تنظيم جماعي تقليدي، يعتمد على القرابة من الأب، وتعتبر فيه العائلة هي البنية الأساسية لهذه الهيكلية الجماعية التي تضم ثلاثة إلى أربعة أجيال ينتمون جميعا إلى اسم واحد (الفترة العثمانية) فالتماسك والترابط بين أفراد القبيلة الواحدة يمتد إلى التّكامل للمجتمع والملكية وهو ما يتضح في نمط امتلاك الأرض المتمثل في نوعين هما العرش والملك.

سكان السّرسو هم البربر وينقسمون إلى قبيلتين، البرانس يسكنون المدن ومنهم قبيلة هوارة، والبُتر يسكنون البادية وهم الرّحل والمنتجعون ونجد: نفوسة، لواتة ويسمون أيضا المور (مزاتة وسدراتة) ولماية، كانوا

يهاجرون من أوطانهم في فصل الربيع إلى تاهرت وأحوازا لما حولها من كلاً (المالكي، 2014). كما وجدت بالسرسو آنذاك قبائل **زواغة ومطماطة**، أصلهم من أقاليم المغرب الشرقية في طرابلس (الحريري، 1987)، وقبائل **الجنوب** التي تلجأ إلى المنطقة في الربيع بحثاً عن المراعي، محملة ببضائع بلاد السودان الغربي من الذهب والعاج والرقيق (بن حسن، 1986)، وقبائل **مداسة وصنهاجة**، فهم الملاك الأصليون لتاهرت، ويروي البكري أنهم كانوا قوم مستضعفين، راودهم عبد الرحمن بن رستم على بيع الأرض لبناء مدينة تاهرت عليها، فرفضوا ذلك في بداية الأمر، لكنهم قبلوا فيما بعد، شريطة أن يؤدي إليهم خراج أسواقها (الحريري، 1987). كما وُجد بها أيضاً العرب والعجم (الفرس الذين سكنوا المنطقة في عهد الدولة الرستمية)، إلا أن ازدهار الأنشطة الاقتصادية في المنطقة أعطى ميلاد الكثير من الأسواق، ما أكسبها جاذبية وأدى في ذات الوقت إلى تمركز العديد من القبائل مثل "أولاد عياد" في القرن 15 ميلادي، انشقت منها بني مايدة في تيسمسيلت وأولاد رحال بخميسيتي والعمارم ودوي حسني بالعيون، واستقر بني قرين في القرن 17 ميلادي، وقبائل بويش والرشايق والزرقة¹ في القرن 18.

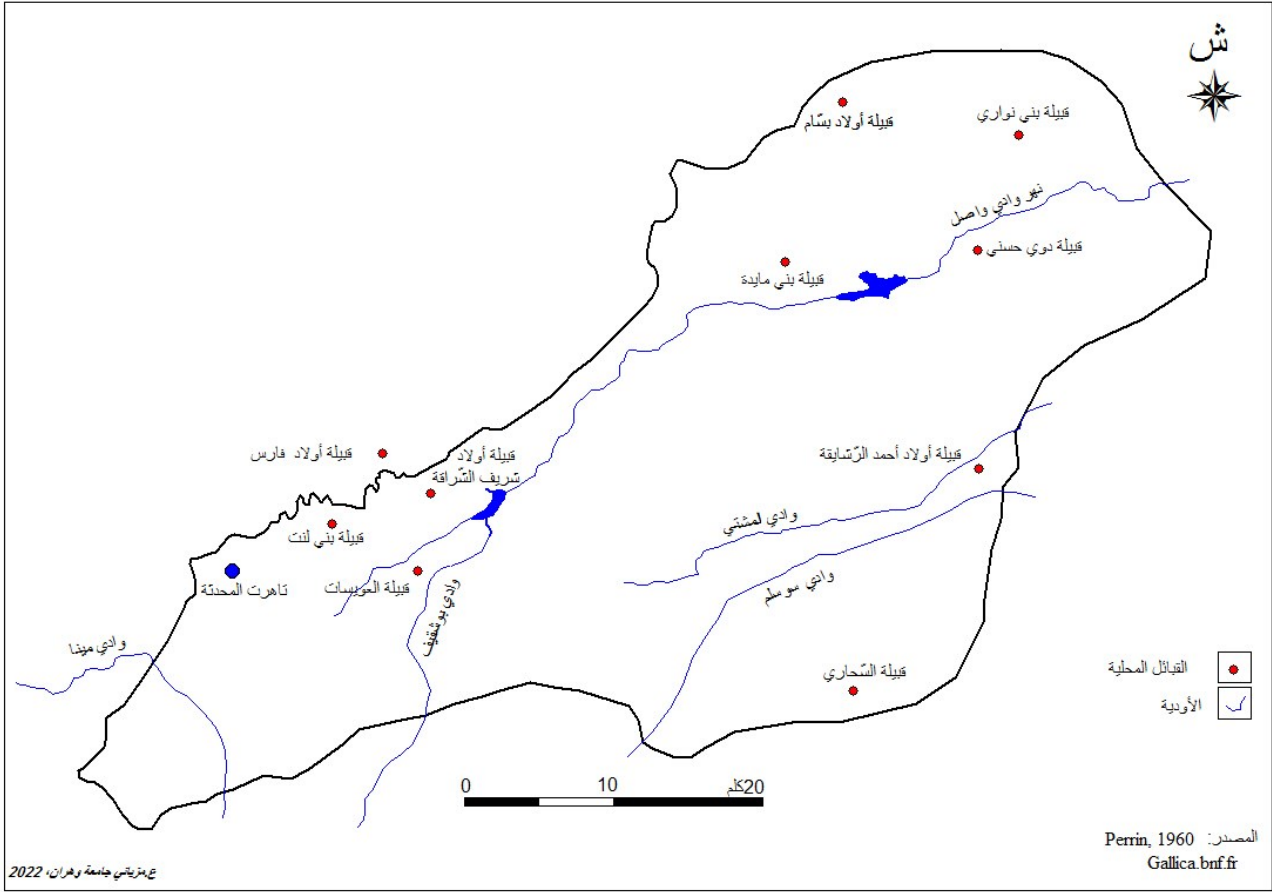
الهجرات المتنوعة نحو السرسو والاستقرار به، ما جعلته يحوي تراكيب سكانية متعددة وغير متجانسة، فإمكانياته الزراعية والمائية وكذا الرعوية جعلته جاذباً لسكان البدو الرحل القادمين من الصحراء والسّهوب.

2.3 التّنظيم القبلي في الفترة الاستعمارية:

اختلف التّنظيم القبلي في الفترة الاستعمارية (الخريطة رقم 2) قليلاً عما كان عليه سابقاً، بسبب تحالفات القبائل في بداية التواجد الفرنسي بالمنطقة (1840-1845)، كتحالف أولاد عياد في الشرق والقبالة في الغرب، لأنّ أراضيهم كانت رعوية قابلة لهذا النوع من الممارسات، بينما بقيت قبائل البربر على الحياد مثل قبيلة العويسات (عائلة أولاد بوغدو) وبني لنت الذين تجمعوا في سهل السرسو منذ التواجد التركي بإقليم وهران. أمّا القبائل التي استقرت بالسّهول العليا، لم يكون هناك حدود بينها، باستثناء بني مايدة الذين يتمركزون جنوب نهر واصل (كانوا يشكلون دّوار مستقل).

سكان السرسو الأصليون مستقرون وليسوا من البدو الرحل، على الرغم من أن أراضيهم كانت قليلة الإنتاج في بعض المواقع، غير أن أراضي شمال السرسو وحوض تيسمسيلت وشمال جبل قزول الذي تسكنه قبائل القبلة خصبة ومنتجة للقمح الصلب، هذا التنوع ساهم في التّنقل الداخلي لقبائل السرسو بين الأراضي الفلاحية والرّعوية.

¹ بوابة الوثرييس، <http://www.ouarsenis.com/ara/histoire/5869.html>



الخريطة رقم 2: توزيع القبائل المحلية في سهل السرسوق قبل 1863

القسم الأول
تعمير متنوع الأنماط
السّرسو من البداوة إلى التّحضر

مقدمة القسم الأول

تتأثر المجمعات العمرانية بمختلف أنماطها بمعطيات الوسط الذي تتمركز فيه، وكذا بمختلف الأنظمة والسياسات العمرانية، هذا ما يفرض على المدن وتيرة نمو تتحكم بها عوامل تتعلق خاصة بالتطور الديمغرافي، الأوضاع الاقتصادية، والسلوك الجماعي كتيارات الهجرة على سبيل المثال، أو في حالة ما إذا كان الإطار أكثر اتساعاً فإنه يتأثر بالتكنولوجيات الحديثة فيما يخص مواد البناء، المواصلات، فكل مدينة مسجلة في مجال له أبعاد وحدود إقليمية، وطنية وقارية، تشهد تحولات ديمغرافية، اجتماعية، تكنولوجية واقتصادية، وكل عنصر من هذه العناصر يحمل في إطار مجموعة معينة إمكانيات خاصة للتنمية، هذه القوى الداخلية والخارجية تشكل محركاً للديناميكية الحضرية (Chaline, 1980).

لا يمكن لأي زائر لسهل السّرسو ألا يلاحظ الانتشار الكبير للمجمعات السكانية الصغيرة المتتالية وسط الحقول والأراضي الزراعية ولاسيما في الضفة الجنوبية لنهر واصل، توزيع متجمع تارة ومبعثر تارة أخرى، يصنع مشهداً متميزاً، ومزيجاً معمارياً بين نسق موروث (نمط أوروبي استعماري)، نمط تقليدي يعكس البيئة المحلية للمنطقة ونسق حديث لكنه نمطي، لعبت فيه إرادة الدولة دوراً مفصلياً، هذا المشهد يجعلك تركز على ماهية هذا الوجود المكثف في هذه المنطقة التي كانت في أمس البعيد منطقة قليلة السكان ضعيفة التعمير، ومركز عبور للبدو الرّحل من الجنوب صيفاً وقبائل الشّمال شتاءً، رغم أن المنطقة اشتهرت في الفترة العربية ولاسيما فترة الدولة الرستمية التي جعلت من تاهرت عاصمة لها.

أحدث التواجد الاستعماري بالمنطقة فارقاً مجالياً، بالتعمير المكثف بمنطقة مكرسة بشكل طبيعي لتربية الماشية وليس للزراعة، بالاندفاع نحو تملك الأراضي بواسطة الشراء من الأعراس تارة والمصادرة تارة أخرى. تبنت الدولة الجزائرية بعد الاستقلال النظام الاشتراكي، وقد كانت بموجبه الفاعل الوحيد في عملية البناء والتشييد، لكن سرعان ما تغيرت سياستها في نهاية الثمانينات وانتهجت نظاماً مغايراً بالانتقال من نظام الاحتكار المطلق المنصوص عليه في الأمر رقم 74-26 إلى نظام السوق العقارية الحرة الجديدة في التّعاملات العقارية التي تخص الأراضي المعمرة والقابلة للتعمير بموجب القانون رقم 90-25.

تشكّل السّرسو كما هو اليوم وفق مختلف الآليات والسياسات التنموية للدولة على امتداد 60 سنة، أنتجت منطقة محتفظة بسكانها وجاذبة في نفس الوقت. على الرّغم من أنّ وتيرة التّعمير متباينة بين مجمعات السّرسو، لكنّها تشترك في بعض السمات، فكل مرحلة من هذا التشكيل تركت بصماتها، وشاركت فيها جهات فاعلة من مختلف المستويات.

نحاول من خلال هذا القسم، دراسة تعمير السّرسو عبر مختلف مراحل التاريخيّة وتأثره بمختلف الأحداث والسياسات المتبعة من طرف الجهات الفاعلة والاستراتيجيات المتخذة من طرف السّكان للتكيف مع هذا الوسط. كما سنحاول دراسة تأثير حركة التّعمير على استقرار السّكان والتّحول الاجتماعي من ريفي مبعثر إلى حضري متجمع، وكيف أثرت الخصوصيات الطّبيعية للمنطقة في التّركز السّكاني؟

الفصل الأول

التعمير في السّرسو، ثنائية بين
حياة تقليدية وأخرى حديثة

مقدمة

عرف السّرسو آليات تعمير مختلفة وأنماط متباينة لكن متكاملة فيما بينها في مختلف المراحل التاريخية التي مر بها، ابتداء من الفترة الرومانية ثم العربية التي شهدت قيام الدولة الرّسّمية إلى الحكم العثماني فالاستعمار الفرنسي، ثم الجزائر المستقلة وما عرفته من سياسات عقارية متعاقبة، أثرت على وتيرة وسيرورة التّعمير بالمنطقة كونها ذات خصوصية اقتصادية، فنجد أن التّعمير بالسّرسو تم وفق مقاربتين أو نمطين مختلفين: التّعمير الكلاسيكي والتّعمير الإرادي وان كان النّمطين متكاملين في المنطقة. سندرس من خلال هذا الفصل مختلف الآليات وأنماط التّعمير في ودور السياسات الحضرية فيها والانعكاسات المترتبة عنها.

1. تاهرت عاصمة السّرسو التاريخية والاقتصادية

حكمت الدولة الرّسّمية السّرسو بداية من النّصف الثاني للقرن الثامن وإلى غاية القرن التاسع ميلادي (777-909 م). لم تعرف حدودا ثابتة فقد كانت تتسع أحيانا وتتقلص أحيانا أخرى، إذ كانت تضم كافة المغرب الأوسط وأجزاء من المغرب الأدنى حيث كان يحدها شرقا سرت والدولة الأغلبية، وغربا تلمسان ونهر ملوية. اتخذت من مدينة تاهرت عاصمة لها.

أصبح السّرسو في نهاية القرن الثالث عشر (XIII) منطقة عبور لمملوك تلمسان، وقُطع طريق التلّ في وجه بدو ورحل السّهول العليا. توسع الزّيانيون على حساب الحفصيين نحو بجاية وقسنطينة، انطلاقا من وادي الشّلف حيث كان السّرسو يغطي الجناح الأيمن للدولة، ونظرا للتّحالف والتّعاون بين المرينيين وبنو سويد في منتصف القرن الرابع عشر (XIV) استطاع بنو سويد فرض السّيطرة على إقليم بني توجين باستثناء الونشريس نظرا لطبيعته الوعرة، بينما تُركت مملكة تلمسان للمرينيين. احتل الإسبان غرب الجزائر منذ عام 1500 لكنهم طردوا من قبل الأتراك في 1515. وظلت المنطقة تحت رقابة الحكم التركي باعتبارها جزء من بايالك الغرب حتى الاستعمار الفرنسي الذي خلق القرية. (بن هطال، 1788).

2. الفترة الاستعمارية (1830-1962) من الاستحواذ على العقار إلى الاستيطان العمراني

بالرّغم من المساحة الشاسعة للسّرسو إلا أنّه كان منطقة ضعيفة التّعمير، قليلة السّكان لأنّ معظمهم كان يتواجد بالمدن خاصة تاهرت لكن اهتمام الاستعمار بزراعة الحبوب فتح طريق نحو تعميره بطريقة سريعة. أول ما قام به الاستعمار هو توطين قرى جنينية خاصة بالمعمرين الأوائل في قلب السّرسو، بدأت تظهر في الأفق ثنائية مجالية، مجال تقليدي بعمرانه المتواضع ونشاطاته التّقليدية، ومجال استعماري غريب عن ثقافة وسوسولوجية العالم الرّيفي.

تعمقت الثنائية المجالية وتجدرت في مختلف المناطق، بدعم العمليات والإجراءات الاستحواذية للمجال الرّيفي (فكار، 2013)، بنمطين من التعمير بدء من المراكز العسكرية ثم القرى الاستعمارية والدّوار. أحدث الاستعمار الفرنسي وعلى مدى فترة الاحتلال تغييرات عميقة في سهل السّرسو سواء كان ذلك في المجال الاقتصادي أو الاجتماعي من خلال حركة التعمير به لاستغلال ثرواته الطبيعية ولاسيما الأراضي الفلاحية الخصبة.

1.2 التّمدن العسكري بالسّرسو

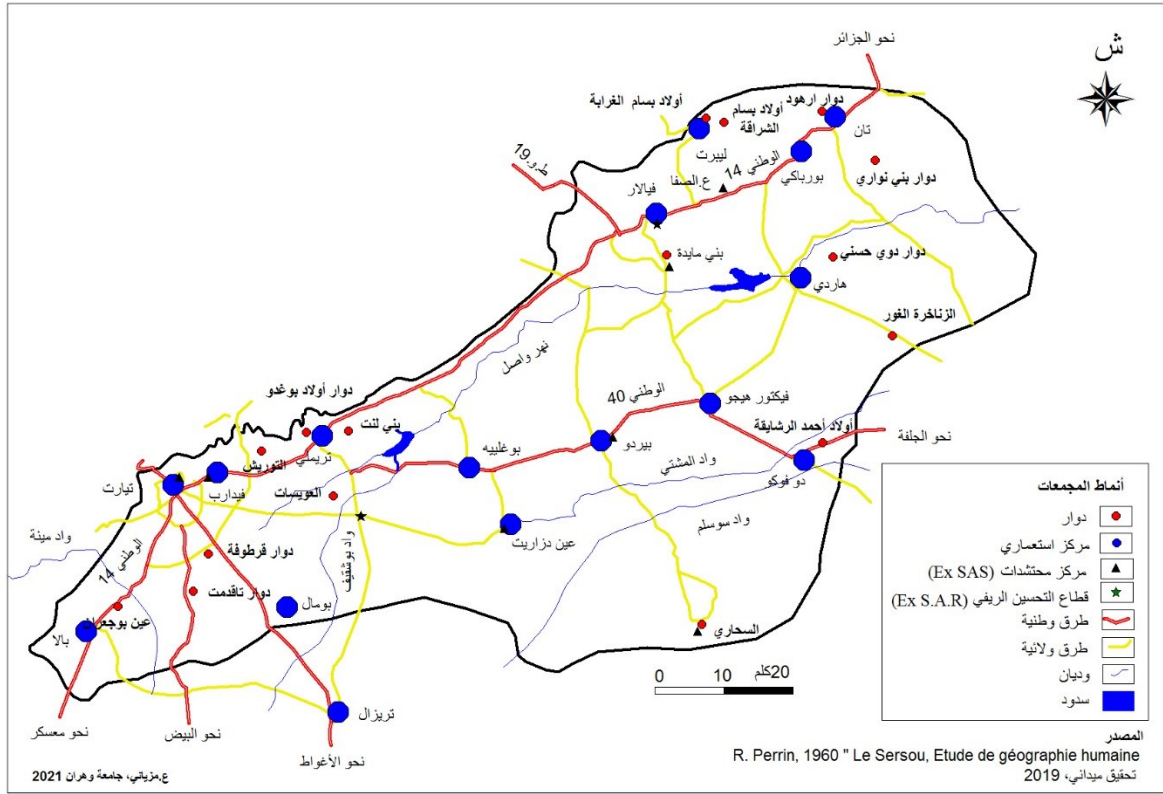
أنشأ مركز تيارت في بداية احتلال المنطقة سنة 1842 على بعد 8 كلم من تاهرت القديمة¹ (تأقمت حاليا) من أجل قمع مقاومة الأمير عبد القادر، وفرض السيطرة على المنطقة كلّها، وقد كانت تيارت في بداية الأمر عبارة عن مركز ذو طابع عمراني عسكري وليس سكني بالرّغم من استقرار بعض الأوروبين والجنود وعمال البناء داخل المجمع العسكري وتمت زراعة الأراضي المجاورة، فأصبح الإقليم المرتبط بالمدينة يضم 4517 هكتار خمسها غير قابل للزراعة. تمّ استصلاح 150 هكتارا من الأراضي في سنة 1853، قدّمتها الإدارة الاستعمارية للمستوطنين عن طريق التنازل بدون عقد ملكية. كانت مدينة تيارت في هذه الفترة عبارة عن سوق كبيرة أكثر منها قرية فلاحية، فقد اشتهرت بتجارة المواشي، نظرا لوجود حوالي 120000 رأس وازدهرت بها تجارة الصّوف، بلغت 11000 قنطارا سنة 1856. توسعت المدينة عام 1867، ليس لإسكان مستوطنين جدد وإنما لاستقبال التّجار الذين استقطبتهم تجارة الصوف والقمح (وابل، 2013).

2.2 شق الطرقات، نشاط كثيف بالسّرسو تمهيدا لتعميره (الطرقات حفزت التعمير)

شهد شق الطرقات بالسّرسو لربطه بعالمه الخارجي نشاطا كثيفا في الفترة 1860-1871 وهي الفترة التي تزايد فيها قدوم عدد كبير من المهاجرين الأجانب إلى تيارت، فتم ربط الطرق الوطنية بالطرق الدّاخلية (ولائية وبلدية) لتسهيل نقل المنتجات الفلاحية إلى الأسواق، تأمين نقل البضائع والسّلع من المدن الكبرى إلى المناطق الدّاخلية من جهة وتسهيل استقرار المستعمر بالسّرسو من جهة أخرى. أنشأت الهياكل القاعدية وطرق المواصلات لربط المنطقة بالأصنام وبأفريفيل (Affreville خميس مليانة حاليا)، وببوغار (قصر البخاري حاليا)، كما رافق هذه المشاريع بناء مجموعة مخابئ على الطرق تقطع السّرسو طوليا وعرضيا بلغ عددها سبعة وعشرون مخبأ بين تيارت وخميس مليانة (وابل، 2013)، كما

¹ تاهرت القديمة هي تأقمت حاليا، اتخذها الأمير عبد القادر زمالة له، وكانت عاصمة الدولة الجزائرية في تلك الفترة.

قامت شركة السكة الحديدية بربط السرسو بالموانئ منها الخط الرابط بين غليزان والجلفة (سعيداني، 2008) وتقرر مد خط يربط الأصنام بالسرسو، إلا أنه لم ينجز نظرا لطبيعة السطح الوعرة وصعوبة المناخ¹.



الخريطة رقم 3: التعمير في السرسو في الفترة الاستعمارية

تمثلت أهم مشاريع الطرق في ستة خطوط، الأول يربط تيارت و غليزان على امتداد حوالي 89 كلم وهو يمثل حاليا الطريق الوطني رقم 23، الثاني يربط تيارت ومعسكر مرورا بفرندة على مسافة 155 كلم ويمثل حاليا الطريق الوطني رقم 14، الثالث هو ما يسمى حاليا الطريق الولائي رقم 11، يربط تيارت بمعسكر مرورا بتاقدمت، يربط الخط الرابع تيارت بثنية الحد، والخامس يربط تيارت بأفلو (الطريق الوطني رقم 23 حاليا) أما السادس فيربط تيارت وعمي موسى وهو ما يعرف حاليا بالطريق الوطني رقم 90. كل الطرق التي أنشئت لربط السرسو كانت تنطلق من مدينة تيارت كونها عاصمة المنطقة وأهم مركز استعماري بها. تطور الطريق الجنوبي الذي يربط تريملي وفيكاتور هيجو (الداحموني وحمادية) بالاتجاه

¹ أهمية المنطقة يدعو إلى ربطها بالمواصلات لذلك جاء في تقرير نشر سنة 1880 " لكي ينتقل معمر من الجزائر إلى السرسو يستغرق يوم في القطار، سبع ساعات في العربة وخمسة عشر ساعة على البغل" مما اوجب صدور قرار مد خط يربط المنطقة بالأصنام، لكن بعد مرور تسع سنوات نشر تقرير آخر أكد فيه استحالة مد هذا الخط الحديدي نظرا لطبيعة السطح الوعرة وصعوبة المناخ

الشّرقى جعل السّرسو في اتصال مباشر مع منطقة القبائل، أكبر مستهلك للشعير وبالتالي فتح سوقا نشطة في ذلك الاتجاه وعزز اقتصاد المنطقة.

3.2 مصادرة الأراضي وتعمير السّرسو

ارتبط تعمير السّرسو في الفترة الاستعمارية بالمراعي، التي كانت ملكا للعائلات والقبائل المقيمة هناك. نتج عن هذا التعمير تنظيما مجاليا حول الأراضي الخصبة ومصادر المياه بالحوض السّفحي لنهر واصل وكذا شمال السّهّل بمنخفض تيسمسيات، أتاح تطبيق قانون سيناتيس كونسلت عام 1893 تعبئة العقار وتملك الأراضي الشاغرة بغرض التعمير.

استمرت السّلطة الفرنسية في تطبيق قوانين الاستيلاء على الأراضي فصدر بتاريخ 23 يونيو 1887 قرار يجيز تنفيذ الإجراءات قبل مصادرة أراضي بني مايدة، حيث تقرر إنشاء قرية فيالار عليها في منطقة يقال لها عين تيسمسيات (تيسمسيات حاليا)، بعدها قرر الحاكم العام رفال (REVOIL) في 13 سبتمبر 1904 إنشاء مجموعة من مراكز بالسّرسو، وعليه باشرت الإدارة الاستعمارية بإجراءات الشراء والاستحواذ على الأراضي حول تكرية (خميسي حاليا) وفعلا تمكنت من شراء ما يفوق 43 % من الأراضي وبالتالي أصبحت أهم مالك بالمنطقة (Perrin, 1960).

أغلب المراكز العمرانية بالسّرسو هي ذات نشأة استعمارية، أوجدتها السّلطات الفرنسية بهدف تعمير السّرسو واستغلال ثرواته، فقد أنجزت المحيطات الاستعمارية التّلاث (تيارت، مهدية وفيالار) وكذا مجموعة من المراكز الصغيرة (الخريطة رقم 3) على ضفاف الأودية وبالقرب منها، خاصة بنهر واصل، على شكل سلسلة من المراكز المتتابعة (الدّاحموني، سي الحواس، مهدية، حمادية، وبوقارة) وكذا أنشأ عين دزاريت بالقرب من واد المشتي، والرّشايقة بالقرب من واد سوسلم، وفي منطقة حوض فيالار أنشأ مراكز فيالار، بورباكي (خميسي) وتان (العيون) وبواد بوشقيف أنشأ بومال (Pomel سي عبد المومن حاليا)، أمّا بواد المينا فقد أنشأ بالالا (Pala ملاكو حاليا). تتوزع هذه المراكز بانتظام بمسافة متساوية تقريبا تقدر بـ 15 كلم بين المركز والآخر. شجع الاستيطان العسكري بالسّرسو انشاء الشركات الرأسمالية وأنشأ ورشات لتصنيع مواد البناء والحداة، وقد اختيرت بورلييه (سي الحواس) لتكون قرية للصناعات التّقليدية والتجارة، فاستقر بالمنطقة مستوطنون وقاموا بإنجاز طريق نحو تريملي (الدّاحموني) لتسهيل نقل محاصيلهم الزراعيّة التي تجاوزت 20000 قنطار (Perrin, 1960). حفز إنشاء الطرقات والأسواق المفتوحة توطن المستعمرين الخواص بوتيرة أسرع ممّا تم توطينه من طرف الإدارة الاستعمارية، ولاسيما بين السلسلة الأولى للقرى (تريملي، فيالار وبورباكي) والسلسلة الثانية (بيردو، فيكتور هيجو وهاردي)، نظرا لوجود أراضي واسعة كانت سهلة الاقتناء من طرف الأوروبيين بسبب سلوك الأهالي الذين مالوا للتملك الفردي

للأراضي، مما عرقل إلى حد ما المستعمر في إنشاء مراكز جديدة أو توسيع تلك المراكز الموجودة، لكن رغم ذلك أوجدت الإدارة خططا بديلة سنة 1882 وأنشأت أربع مراكز في سرسو تيارت (عين الشريطة¹، مشرف، عين قرمة، والجبل المربع بسيد العابد (Trézel) جنوب مركز بومال.

4.2 تفكيك القبائل وتجميع الأهالي لتسهيل مراقبتهم

كانت القوانين التي صدرت للتسريع من عملية الاستعمار مجحفة في حق الأهالي وأحدثت تغييرات داخل المجال والمجتمع، حيث انعدمت مقدرتها للتصرف في أراضي القبائل ووقفت كحاجز أمام توسعها وقيام مشاريعها المستقبلية على جميع الأصعدة. لجأت السلطة الاستعمارية لتطبيق سياسة التّجميع لكنها لم تنفع، مما أوجب التّفكير في وسائل أخرى للخروج من هذا المشكل، هذا ما جعلها تأسس قاعدة تشريعية عقارية من أجل تملك الأراضي. جاء قانون سيناتيس كونسلت (Sénatus Consulte) سنة 1863 فحول النظام التقليدي للقبائل في استغلال أراضيهم من الملكية الجماعية إلى نظام ملكية فردية و عوض القبيلة بالدوار، حيث لا تزيد المساحة التابعة للدوار الواحد عن 12000 هكتار والسكان لا يقل عددهم عن 1000 نسمة. يعتبر هذا القانون من أهم القوانين في تاريخ الريف والزراعة الجزائرية، كما أنه أداة استعمارية جديدة، الهدف منها هو تشتيت القبائل وجعلها دواوير ذات حدود، للتمكن من مراقبتها وبالتالي وضع نهاية للنظام العقاري (ملك عرش) القديم، ليحل محله نظاما للملكية التامة الحديثة حسب القانون الفرنسي، وعليه أنشأ بالسرسو بعد تأسيس الملكية الفردية للأرض 15 دوار (الخريطة رقم 3) وجمع عدداً كبيراً من الأفراد ضمنها، وأصبح الدوار كوحدة إدارية وجغرافية معلومة الحدود. تنتظم هذه الدواوير بشكل دائري تضم مجموعة من الجزيرات ذات الوظيفة السكنية وأيضاً نشاطاً لتربية المواشي والتّخزين وتتوضع بشكل عشوائي في المجال الجغرافي حيث ترتبط فيما بينها بواسطة شبكة طرقات وممرات غالباً في حالة رديئة.

5.2 توقف تعمير السّرسو وتكوين مراكز المحتشدات الاستعمارية

توقف نمو السّرسو خلال حرب 1914-1918، فمعظم المستوطنين انتقلوا، وبالتالي توقفت على إثر هذه الحرب التّصريحات الفلاحية سنة 1917 بسبب انخفاض المحاصيل الزراعية، فقد كانت الغلال سيئة جداً لم تبلغ ربع عوائد السنوات السابقة مما استوجب إيقافها إلى غاية 1923 عندما بات الوضع يتحسن (Perrin, 1960). قامت محافظة الجزائر بالتحقيق من أجل البحث عن أراضي جديدة للاستيطان عام 1921، فلم يكن هناك إلا أراضي بدوار بني لنت وبني مايدة الذين باعوا الآلاف من الهكتارات ولاسيما بعد تعرض المنطقة للجفاف سنة 1920، فانبعث التّعمير من جديد في المنطقة، من خلال إنشاء مراكز

¹ محاولات الاستعمار لزراعة التبغ بمنطقة الشريطة هو ما ساعد على نزول الهجرات من اسبانيا تحديداً من منطقة موريس

المحتشدات العسكرية (ex- SAS) التي تطورت فيما بعد إلى مراكز عمرانية مثل عين دزاريت التي أنشأت على الضفة الجنوبية لواد المشتي والتأطيرة بدوار السحاري بغرض مراقبة السكان، وأنشأ مركز دو فوكو (De Foucauld: الرشايقه حاليا) عام 1923 جنوب هاردي، إلا أن المشروع فشل، فتم توزيع السكان على بقية المراكز. من بين الإصلاحات التي قامت بها الإدارة الفرنسية في المجال الزراعي تأسيس جمعيات وتعاونيات لتحسين هذا القطاع أمام تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية. تقوم هذه التعاونيات على أساس تقديم قروض من طرف الشركة الأهلية للاحتياط (SIP) والشركة الزراعية للاحتياط، كما أقرت مشروعا يتضمن خلق هيئات فرعية متخصصة لتدعيم الشركات الزراعية للاحتياط تعرف باسم قطاعات التحسين الريفية (S.A.R) (قراوي، 2010) في نهاية ثلاثينيات القرن الماضي، تهدف إلى توسيع مجال الزراعة المسقية، ورفع الأجور ومساعدة الفلاحين لتسويق منتجاتهم. تم إنشاء قطاعين في السرسو الأول بنته الإدارة بين تيارت وبورليه (سي الحواس) على الضفة الجنوبية لواد بوشقيف على مشاع دوار العويسات، بخطة شريطية لتوطين السكان الأصليين الذين لا أرض لهم، وقد استقر عمال الزراعة سواء الفلاحين أو الرعاة هناك وحصل كل منهم على سكن وحوالي 20 هكتارا مزروعة تحت إشراف الإدارة، حيث تم إنشاء حوالي ستة وثلاثون حوشا (36) للأهالي الذين بلغ عددهم 130 نسمة، تطور هذا القطاع بعد الاستقلال واصبح المجمع العمراية عين بوشقيف، أما الثاني فقد تم بناؤه شرق المركز العمراني فيالار على بعد ستة كيلومتر منه. أنشأ بمباني مزرعة بولو (Poulot)، إلا أن أراضيها كانت قليلة جدا لم تمكنها من أن تلعب دور مزرعة نموذجية.

6.2 التّريب في الهجرة دعم للاستيطان الاستعماري في المنطقة

حفز الاستعمار الهجرة الأوروبية نحو السرسو عن طريق منح قطع أراضي مجانية ومنح امتيازات فلاحية للقادمين الجدد، بغرض تشجيع الاستيطان وتوسعه، وقد اشتدت هذه الهجرة واستمرت في الارتفاع ابتداء من مارس 1844 وهي توافق السنة التي أخضعت فيها فرنسا السرسو إلى سلطتها الفعلية، وأسست مكتبا عربيا يضم قبائل المنطقة بعد توقف المقاومة وسقوط زمالة الأمير عبد القادر مباشرة، فاشتد الإقبال عليها خاصة سنة 1851 وتزايد عدد المهاجرين من كلا الجنسين وخاصة من فرنسا (الجدول رقم 1).

الجدول رقم 1: الهجرة الأوروبية نحو السرسو

السنة	عدد المهاجرين (ألف نسمة)				
	فرنسيين	أجانب (يهود، اسبانيا، ايطاليا)	المجموع	ذكور	إناث
1844	18	20	38	28	10
1846	53	28	81	52	29
1851	296	144	440	302	138

المصدر: وابل، 2013

وقد تم التعمير في هذه المرحلة وفق أليتين متكاملتين بصورة معمارية تمثلت في التّجزئة بنمطين مختلفين، تجزئة سكنية حضرية داخل القرى وتجزئة الحدائق بالمجال الرّيفي.

7.2 التّجزئة آلية لتهيئة وتعمير السّرسو ومحرك للديناميكية العمرانية بالمنطقة

بادرت القوة الاستعمارية مع اندلاع الثورة التحريرية، إلى النّظر بصورة جديدة في المسألة العقارية. بدأت تنظر إليها من زاوية اقتصادية حقيقية، ترمي إلى تحقيق التّمنية واستصلاح الأراضي وتحقيق التّهوض بسكان الأرياف، وقد تجسد ذلك في سن العديد من النّصوص الهامة كالمراسيم الصادرة سنة 1956 حول التّهيئة العقارية، والاستصلاح الزراعي، والأمر الصادر حول مساحات "العصرنة العقارية"، وينبغي الإشارة مع ذلك إلى أن هذه النّصوص لم تطبق، وبالتالي لم يكن لها أي أثر على الأوضاع العقارية السّائدة. من الأساليب العقارية التي انتهجتها السّلطات الاستعمارية "التّجزئة السّكنية" التي تعد كمحرك للديناميكية العمرانية (مزياني، 2014).

1.7.2 تجزئة الحدائق

أنشأت تجزئة الحدائق، بغرض الجمع بين السّكن والعمل في الفلاحة، فحددت وظيفة القطع المنشأة ونوع الزّراعة (المسقية، الكروم والحبوب) وتتماشى مساحة القطع مع وظيفة كل قطعة وقربها أو بعدها من المركز العمراني أو القرية الاستعمارية التي غالبا ما تتوسط التّجزئة.

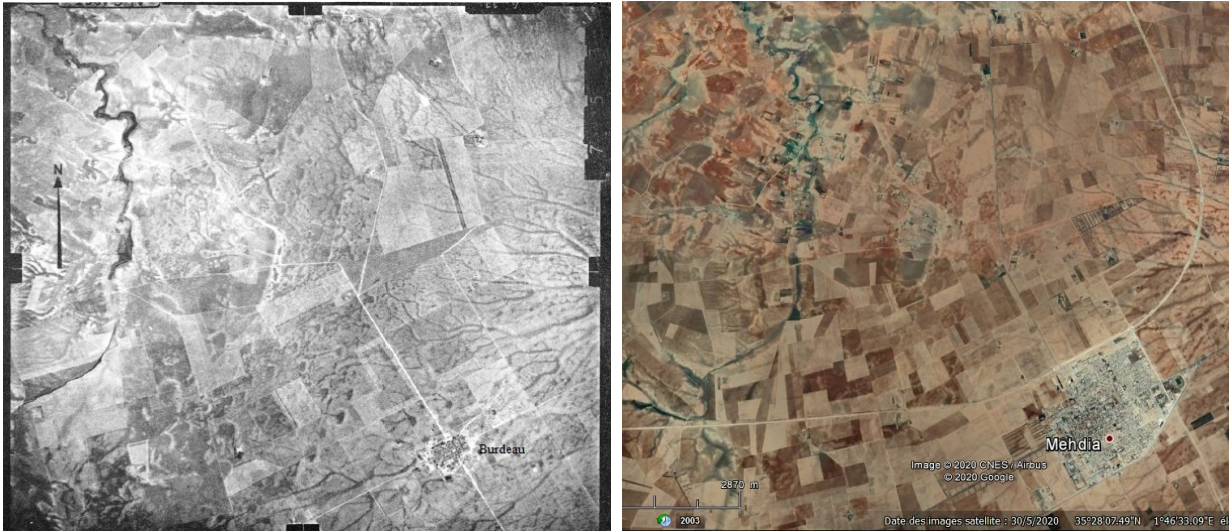
¹ التّحصيلات، التّجزينات، التّقسيمات، المجموعات السّكنية مصطلحات متعددة لشكل من الأشكال السّكنية، اختلفت تسميتها من بلد إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى، لكنها تشترك في كونها نمط من أنماط السّكن الفردي، الذي جاء نتيجة لفكر إيديولوجي ظهر في بداية الأمر بسبب عجز المدن الصناعية عن مراقبة نموها العمراني، والذي تحول فيما بعد إلى نمط مخطط ومقنن في إطار توسع الضواحي التي عرفت أولى بوادر البناء بمواصفات التّجزينات التّرابية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، نتيجة للأزمة السّكنية التي عرفتتها معظم مدن العالم خاصة النّامية منها، أين كانت في البداية بمبادرة من الأسر المتواضعة من خلال إنجازها لمسكنها بنفسها، لتشهد العملية فيما بعد تدخل وضاء عرفوا بالمجزئين أو ما يعرف حاليا بالمقرنين العقاريين، هؤلاء كان دورهم يقتصر على تقسيم القطعة الأرضية التي يشترونها من البلديات الرّيفية المجاورة للمدن الكبرى دون إضافات، أين تهمل مختلف عمليات التّهيئة من طرق وشبكات الصرف الصحي ومياه الشّرب، ما ساهم في الإخلال بتوازن بيئتها العمرانية، وتطلب الإسراع إلى تقنين العملية وتنظيمها ومحاولة البحث عن سبل إنتاج تجزينات سكنية ذات بيئة عمرانية منسجمة (Code de l'urbanisme).

صناعي	المزارع		تنازل مدفوع		تنازل مجاني		النّمت المجمعة
	المساحة (هكتار)	العدد	المساحة (هكتار)	العدد	المساحة (هكتار)	العدد	
17	-	-	-	-	35-30	91	ملاكو (PALAT)
08	-	-	-	-	90-35	51	تيسمبيلت (VIALAR)
10	-	-	-	40	30-25	80	الدّاحموني (TRUMELET)
12	149-144	03	-	-	37-31	68	خمبستي (BOURBAKI)
28	160-100	34	-	-	52-50	50	مهدية (BURDEAU)
15	-	-	-	-	-	-	سي الحواس (BOURLIER)
-	146-100	10	-	-	48	35	العيون (TAINÉ)
-	113-110	04	-	-	90-45	35	أولاد بسام (LIBERT)
13	200-196	27	73-70	45	-	-	حمادية (Victor Hugo)
-	200-150	17	78-76	35	-	-	بوقارة (HARDY)
21	-	-	95-70	37	-	-	عين دزاريت
-	100	03	70-65	19	-	-	كرمان (FAIDHERBE)
124	-	98	-	176	-	410	المجموع

المصدر: Perrin , 1960

أنشأت قرية أو مركز بيردو (مهديّة حالياً) وسط تجزئة الحدائق. امتدت مساحات الحدائق من الجنوب والجنوب الغربي إلى الشمال والشمال الشرقي، وباتجاه الضواحي، فكانت مساحة القطع الصغيرة 16 هكتار، بينما مساحة القطع الكبيرة تفوق 34 هكتاراً، على شكل سلسلة من المستطيلات تفصلها ممرات بعرض حوالي عشرة أمتار، تتوزع المزارع في كل الاتجاهات (الصورة أدناه نفس الموقع بتاريخين مختلفين 1912، 2020).

بلغ إجمالي عدد القطع الحضرية والحدائق بما فيها الكروم والزراعات الواسعة 586 قطعة بين تنازل مجاني ومدفوع (الجدول رقم 2)، أعلى نسبة تتركز في الداحموني وملاكو، بينما القطع ذات المساحات الكبيرة تتركز بشكل خاص في كل من فيالار، عين دزاريت وأولاد بسام.



الصورة رقم 1: هضبة السرسو شمال غرب بيردو (مهديّة حالياً) إلى جانب أحد روافد نهر واصل المصدر: Perrin, 1960، صورة جوية من برنامج قوغل أرث (2020)

2.7.2 التّجزئة الصناعية

أولت الإدارة اهتماماً بالتّجزئة الصناعية بنفس القدر الذي أولته للمزارع، بل أن عدد القطع الصناعية يفوق عدد القطع الموجهة للمزارع، يرتفع عددها في كل من بوردو وعين دزاريت وقد جاء التّخطيط على هذا النحو بهدف تأمين وظائف لأصحاب المهن والحرفيين من المستوطنين القادمين من أوروبا، رغم أن معظمهم يصرحون أنهم فلاحون أو فلاحون مالكون، كما استفاد أيضاً بعض التّجار والقياد الجزائريين من القطع الصناعية في بوردو وفيالار.

3.7.2 التّجزئة الحضرية كنمط للتخطيط، إنتاج السّكن والوظائف بالقرى الاستعمارية

التّخطيط الحضري الذي انتهجته السّلطات الفرنسية بمبدأ فصل المجتمعين، اعتمد اعتماداً واضحاً على وسيلة عمرانية تمثلت في التّجزئة السكنية الحضرية بمختلف القرى الاستعمارية التي أنشأت في السرسو،

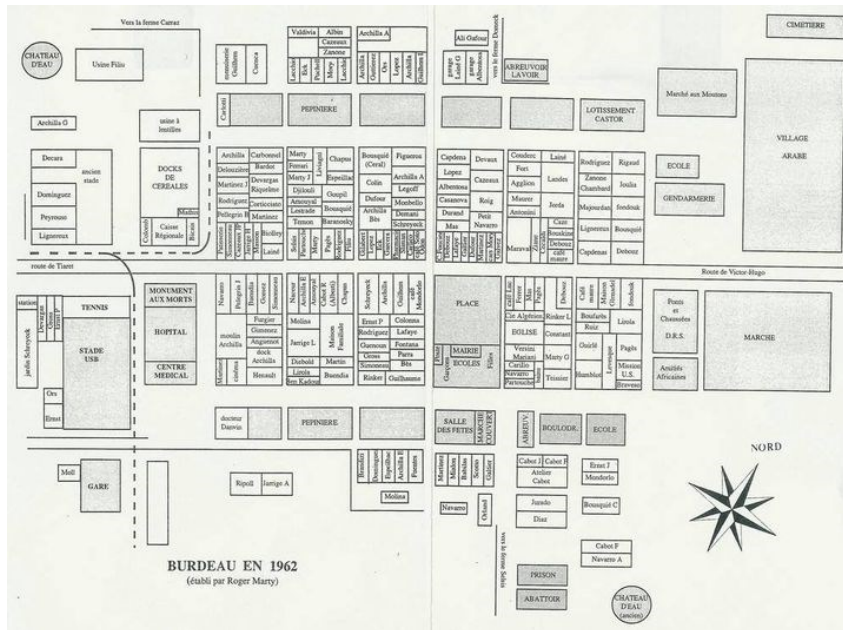
ارتكزت على الشكل الشّطرنجي في أغلب المراكز، كانت مرفقة بتجهيزات ووظائف متنوعة ولاسيما في المراكز الحضرية المتمثلة في كل من تيارت، تيسمسيلت ومهدية.

3. مراكز حضرية ذات وظائف مختلفة

أنشأ بالسّرسو في بداية احتلاله مركزا عسكريا تمثل في تيارت الحالية ومركزيين عمرانيين هما تيسمسيلت ومهدية، ومجموعة من القرى الفلاحية انتشرت على كامل المجال، إلا أنها أكثر تركيزا بالضفة الجنوبية لنهر واصل كما ذكرنا سابقا.

تحولت مدينة تيارت من مركز عسكري إلى مركز عمراي بشري بوظائف متعددة وأصبحت عاصمة قاعة ليس للسّرسو فقط بل لمنطقة أكبر، فقد استفادت المدينة إلى حد كبير من تطور السّرسو، فهي قبل كل شيء مكان لتجارة الجملة والتجزئة، والعلامات التجارية الكبرى من المعدات الزراعية والأسمدة، وموطن للعديد من التجهيزات كالبنوك، الائتمان الزراعي والتعاونيات، لها علاقات تجارية ومالية مع السكان المحليين وأولئك القادمين من بيردو وفيالار، ولها علاقات كثيرة تبادلية مع الجزائر العاصمة ومدن الجهة الغربية.

كما أنشأت عدة قرى استيطانية موجهة للأوروبيين واختيرت المواقع في قلب السّرسو على غرار مهدية (بيردو) وتيسمسيلت (فيالار). نشأت مدينة بيردو على بعد 43 كلم شرق تيارت في 1905-1907، على الشكل الشّطرنجي (الخريطة رقم 4) وسميت باسم الفيلسوف الفرنسي Auguste Burdeau على مساحة 8 هكتار، سكنتها آنذاك حوالي 50 عائلة أغلبهم فرنسيين وبعض الفلاحين الجزائريين وحرفيين من أصول مختلفة (اسباني، ايطالي ومغربي).



الخريطة رقم 4: مخطط مدينة مهدية عام 1962

بنيت دار البلدية في سنة 1908 وتوسعت المدينة غربا، وبعد الاستقلال أصبحت مركز بلدية واستقلت عن تيسمسيلت، ثم أصبحت مقر دائرة خلال تقسيم 1984 تضم عين دزاريت، السبعين والناظورة. شيدت بيردو التي تعتبر مركز السرسو، بخطة شطرنجية بشكل هندسي تتوزع فيه الشوارع الرئيسية تتفرع منها الثانوية. تتواجد البنايات الرئيسية والتجهيزات في المركز (مركز بريد، مركز ضرائب، بنك ومساحة خضراء أو ساحة عمومية) أين يسكن المعمرون، ثم نجد البنايات السكنية الجماعية والفردية والمحلات التجارية ومرافق التعليم. تحيط بمركزها الأبنية والمزارع والفيلات، المستودعات والمكاتب الجديدة من الجهة الغربية، بينما توجد مساكن العرب والأهالي شرقا (الصورة رقم 2) فتجاور قرى المستوطنين بقرى العرب كان بهدف فتح آفاق تطوير الحياة المعيشية للإنسان الريفى، وتلقينه قيم الحياة الحضرية كتغيير نمط الإقامة، والأثاث الداخلي، وإحاطتها ببستان، وتبييض الفضاء الداخلي بالجير من أجل النظافة، إلى جانب إقامة إدارة تسيير شؤون العرب... إلخ (De Baudricourt, 1853).

تعد بوردو من المراكز العمرانية التي يتجسد فيها الجانب الحضري فيها من خلال التجهيزات كالسوق، المستشفى الخاص بالمعمرين والمركز الصحي للأهالي، مدارس، مركز البريد، قاعة الحفلات، Boulodrome، القرض العقاري، البلدية، الدرك، ملعب، محطة نقل بري، مخازن الحبوب، الشوارع في حالة جيدة مهيكلة حول ساحة عامة، كما يتجسد أيضا من خلال نمط المباني ذات المساحة الكبيرة والتصميم المعماري الراقى.

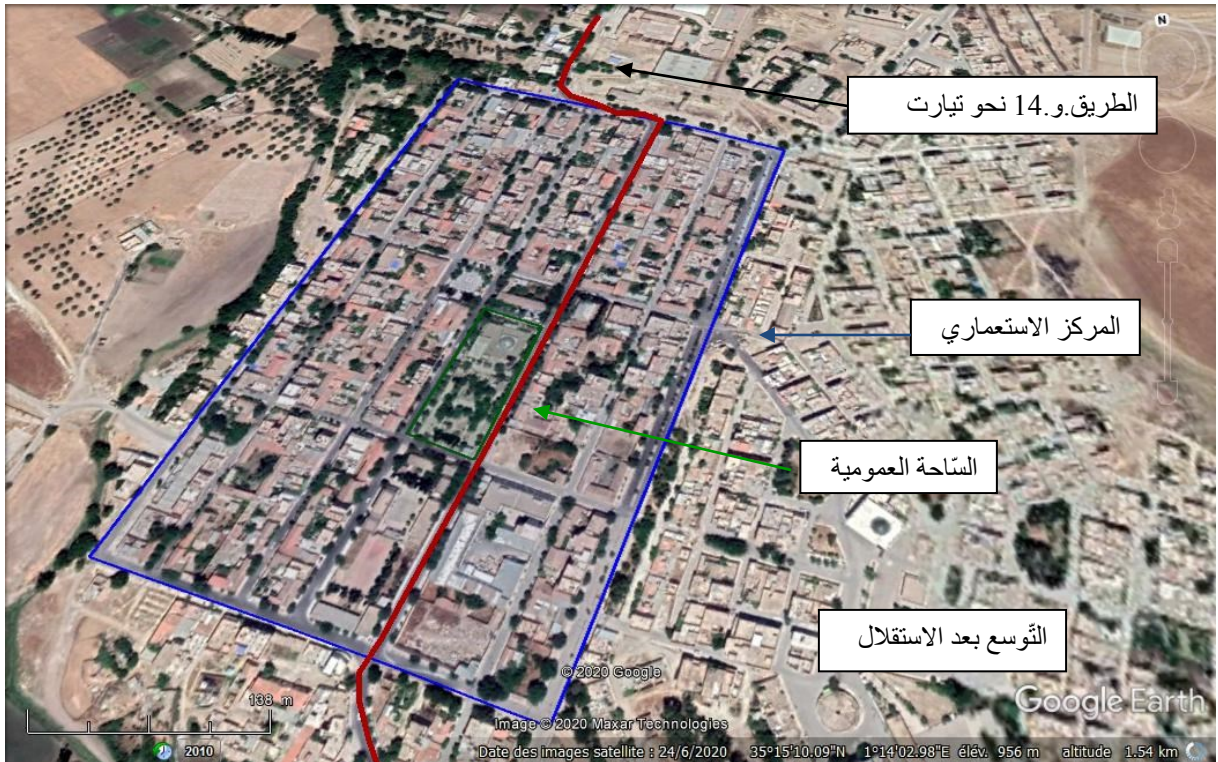


الصورة رقم 2: التجهيزات في مهدية خلال الفترة الاستعمارية (مركز صحي، Boulodrome) المركز الاستعماري لا يزال لحد اليوم محافظ على شكله المعماري الأصلي (طابق ارضي وآخر علوي قرميدي). تتميز سكناته بالمساحات كبيرة (1000-500 م²) وربما هذا ما يفسر عدم اللجوء للتوسع العمودي، فالفيلات الموجودة فاخرة قد لا توجد بمناطق أخرى، والسبب يعود إلى أن الملاك كانوا أثرياء جدا ومن أكبر ملاك العقار الزراعي المنتج بالمنطقة، هذه المداخل سمحت لهم ببناء مساحات كبيرة ومباني فخمة. إضافة للوظيفة التعليمية والإدارية نجد في المراكز الحضرية بالسرسو الوظيفة الصناعية خاصة في تيارت ومهدية ولا سيما الصناعة الغذائية من خلال المطاحن.

أما مركز فيالار فقد أنشأ سنة 1890 على أراضي بني مايدة بالقرب من عين تسمى تيسمسيات، تشكلت في ثلاث أحياء تسكنها فئات اجتماعية مختلفة، لم يتطور هذا المركز عمرانيا، كما أنه أقل تجهيزا مقارنة بتيارت ومهدية، فخارج الشارع الرئيسي لا نجد إلا شوار عا سيئة الصيانة، وبيوتا بسيطة عكس فيلات بيردو الفاخرة لكنّه عرف بالوظيفة الإدارية فقد كان عاصمة بلدية السّرسو المختلطة التي أصبحت فيما بعد محافظة فرعية خلال الإصلاح الإداري عام 1957.

4. القرى الريفية الاستيطانية: مراكز للسكن بخطة كلاسيكية

تبدو التجمعات السكنية في ريف السّرسو بعدة صور، فتظهر على شكل منازل واسعة منفردة بالقرب من الحقول الزراعية أو على هيئة قرى استعمارية، خضعت هذه القرى للتخطيط العمراني، فمشروع قرية الاستيطان النموذجية التي تم بناؤها في الفترة 1848-1855 تقوم على الخطة الكلاسيكية والمخطط الشطرنجي (الصورة رقم 3)، حيث تتجمع المرافق الرئيسية حول الساحة المركزية التي تقع عند تقاطع المحوريين الرئيسيين (على هيئة صليب)، وتتصل بها بقية الأماكن العامة الأخرى، على سبيل المثال لا الحصر نجد قرية بالا (ملاكو حاليا) جنوب غرب السّرسو.



الصورة رقم 3: القرية الريفية الاستيطانية بالا (ملاكو حاليا)

اختير موضع بالا (ملاكو حالياً) للحد من فيضان واد ملاكو، وأنشأ عام 1888 لإسكان المستوطنين، تعتبر ملاكو المركز الاستعماري الوحيد الذي لم يسكنه إلا الأوروبيون سواء المهاجرين الجدد أو أولئك الذين كانوا موجدين بالجزائر منذ الاحتلال، أنشأت القرية الفلاحية بالا بخطة شطرنجية كلاسيكية، يعبرها الطريق الوطني رقم 14، تألفت في بداية نشأتها من 18 وحدة سكنية، تهيكلها طريقتين كبيرتين متعامدين، وست ممرات جانبية، تتوسطها السّاحة التي تحولت بعد الاستقلال إلى جامع. حصلت الإدارة الاستعمارية على الأراضي التي أنشأت عليها القرية الفلاحية الاستيطانية بالا والتي قدرت بـ 3500 هكتاراً مجاناً من القبائل (2594 هكتار)، وما تبقى حصلت عليها عن طريق التبادل (906 هكتار) (Perrin, 1960).

توسعت القرية بعد فتح باب الهجرة للمستوطنين الجدد، وتم إيجاد 91 قطعة جديدة لهم. باشرت الإدارة الاستعمارية في الإنشاء والبناء وأعمال التهيئة من طرق وشبكات مختلفة، وإنشاء التجهيزات المختلفة خاصة المدرسة ومسكن المعلم لضمان تعليم أطفال المعمرين، ثم أنجزت البلدية والبريد كمرحلة ثانية بعد الإعمار بالسكان.

احترم توسع ملاكو بعد الاستقلال في بدايته الخطة الشطرنجية حيث الارتفاعات لم تتجاوز الطابق الواحد في المركز، مع أحداث بعض التغيرات على البنايات الموجودة، لكن في السبعينات اكتسب التعمير زخماً جديداً بتكثيف النسيج العمراني، في الجهة الجنوبية، وأنجزت القرية الفلاحية الاشتراكية سرايدي شرق المركز الاستعماري، والعديد من المشاريع كالتجهيزات التعليمية خاصة، والبرامج السكنية في إطار التجزئة الفردية. يظهر النسيج القديم بتنظيم متناسق وفقاً للخطة الشطرنجية وهو يمثل النواة الأولى للمجموعة التي تضم كل التجهيزات الضرورية (بلدية، بريد، دار الشباب). عرف النسيج القديم أيضاً تحديثات عديدة غيرت المجال كتحويل الساحة العامة وبناء المسجد عليها وتكثيف عشوائياً داخل المساكن نفسها، بالمقابل يتميز النسيج الحديث بالعشوائية ويفتقر للرؤية المعمارية المناسبة، فهناك فجوة واضحة بين ما هو قديم وحديث. توسعت المجموعة في سنوات الثمانينات بواسطة التجزئة السكنية استجابة للطلب الملح على السكن، لكن دون الأخذ بعين الاعتبار للروابط الوظيفية مع النسيج الموجود. شهدت مجموعة ملاكو إنجاز السكن الجماعي، تم توطينه جنوب المجموعة وفي شمالها الشرقي، من خلال البرامج الخماسية الأخيرة بمختلف الصيغ أهمها السكن العمومي الإيجاري.

1.4 التعمير حول مصادر الماء والأراضي الخصبة

عرف السّرسو خلال الفترة الاستعمارية إنشاء المزارع على طول نهر واصل بلغت حوالي 25 مزرعة في الشمال بين تسلمت والشلالة، وست مزارع على الهضبة الجنوبية عام 1907. (Perrin, 1960) تميزت هذه المزارع بمساحات كبيرة وخاصة تلك المنشأة في كل من مهدية وحمادية (الجدول رقم 2) ببنايات

ضخمة تحيط بها الحدائق، ومنازل بأشكال معمارية مغايرة للنمط المحلي وتصاميم مستمدة من الهندسة المعمارية الإغريقية، أنشئت هذه المزارع بالمناطق التي يوجد بها الماء، إذ يعد هذا المورد ذو بعد اقتصادي أكثر منه اجتماعي ويعطي قيمة مضافة للعقار (فكار، 2013).

شهدت هذه المزارع تطورا عمرانيا وتحولات مجالية كبيرة بعد الاستقلال، متأثرة بالسياسات الفلاحية التي انتهجتها الجزائر بدء من التسيير الذاتي بموجب المرسوم رقم 63-90 المؤرخ في 22 مارس 1963 الذي يقضي بتأميم جزئي لأراضي بعض كبار الملاك، تلاها مرسوم أكتوبر 1963 لتنظيم الأراضي الزراعية وكيفية استغلالها وإضفاء الشرعية القانونية للاستيلاء الجماعي من طرف الفلاحين على الأراضي، حيث يقضي هذا القانون بتأميم جميع الممتلكات الفلاحية التي كانت بحوزة المعمرين وإحاقها بالأملك الوطنية، عقبته سياسة الثورة الزراعية التي جاءت كنتيجة للوضع التي آل إليها القطاع الفلاحي من حيث التراجع الكبير الذي عرفته المزارع المسيرة ذاتيا وكذا التوزيع غير العادل للأراضي الفلاحية، بصدر قانون الثورة الزراعية سنة 1971، تم تأميم الأراضي وتشكيل تعاونيات زراعية (CAPRA) وتعاونيات خدمية (CAPS)، ثم جاء الإصلاح عن طريق إعادة هيكلة القطاع الفلاحي (1980-1987)، تمت سنة 1981 إعادة هيكلة المزارع الفلاحية التابعة للدولة، مس هذا المشروع في الجزائر 2000 مزرعة مسيرة ذاتيا والتي تحولت إلى 3400 مزرعة فلاحية اشتراكية (DAS) دعمت هذه المزارع بالمختصين في الفلاحة من مهندسين فلاحين ومسيرين، وانطلقت بها برامج استثمارية هامة في مجال السكن الريفي، والتجهيزات الاجتماعية-الثقافية، وتعميم الكهرباء الريفية (بسعود، 2003).

2.4 المحتشدات، استراتيجية استعمارية لتجميع السكان

اتخذت سلطة الاحتلال الفرنسي استراتيجية لتجميع السكان من أجل مراقبتهم بهدف قمع الثورة الجزائرية وان كانت هذه الإستراتيجية ليست بالجديدة، فقد استعملت قبل الثورة من خلال المراكز الاستعمارية التي استعملت بغرض الترحيل القسري للسكان وتفكيك القبائل وإضعاف قدرتها على المقاومة وقامت بعدة مشاريع لحصر السكان أطلقت عليها عدة تسميات منها الزّماله، القرى الفلاحية... عرفت المحتشدات في الجزائر عدة أنواع منها (مقدر، 2020):

➤ **القرى المجمعة:** «Villages regroupés» وهي القرى التي أنشأت في إطار التحسين الريفي.

➤ **مراكز إعادة الإسكان:** «Recasement» تشبه النوع الأول لكن السكان لا يجمعون إلا بعد توفير الحد الأدنى من ضروريات الحياة.

➤ **مراكز التجميع والحصر:** ويقصد بها تجميع سكان المناطق الجبلية البعيدين عن كل مراقبة

وحصرهم في منطقة ضيقة لمراقبتهم (les Sections Administratives Spécialisées Ex SAS)

إلا أنّ فكرة تجميع السّكان بدأت تأخذ طابع الخطة المنظمة بعد 1956 أطلقت عليها فرنسا اسم مراكز التّجميع وكانت تعرف عند الأهالي باسم المحتشدات تنجز بالقرب من المراكز والتّكنات العسكرية، أخذت هذه العملية طابعا مقننا خاصة بعد إدراجها في مخطط قسنطينة تحت مسمّى مشروع ألف قرية. فالإسكان أصبح في هذه الفترة أحد أهم خطط الجنرال ديغول لقمع الثورة التحريرية تحت غطاء خطة التّمنية الاجتماعية والاقتصادية المسمّاة مخطط قسنطينة (Henni, 2019)، كما جاءت بعض المراكز على شكل معسكرات اعتقال تطورت بعد الاستقلال وأصبحت تجمعات سكانية.

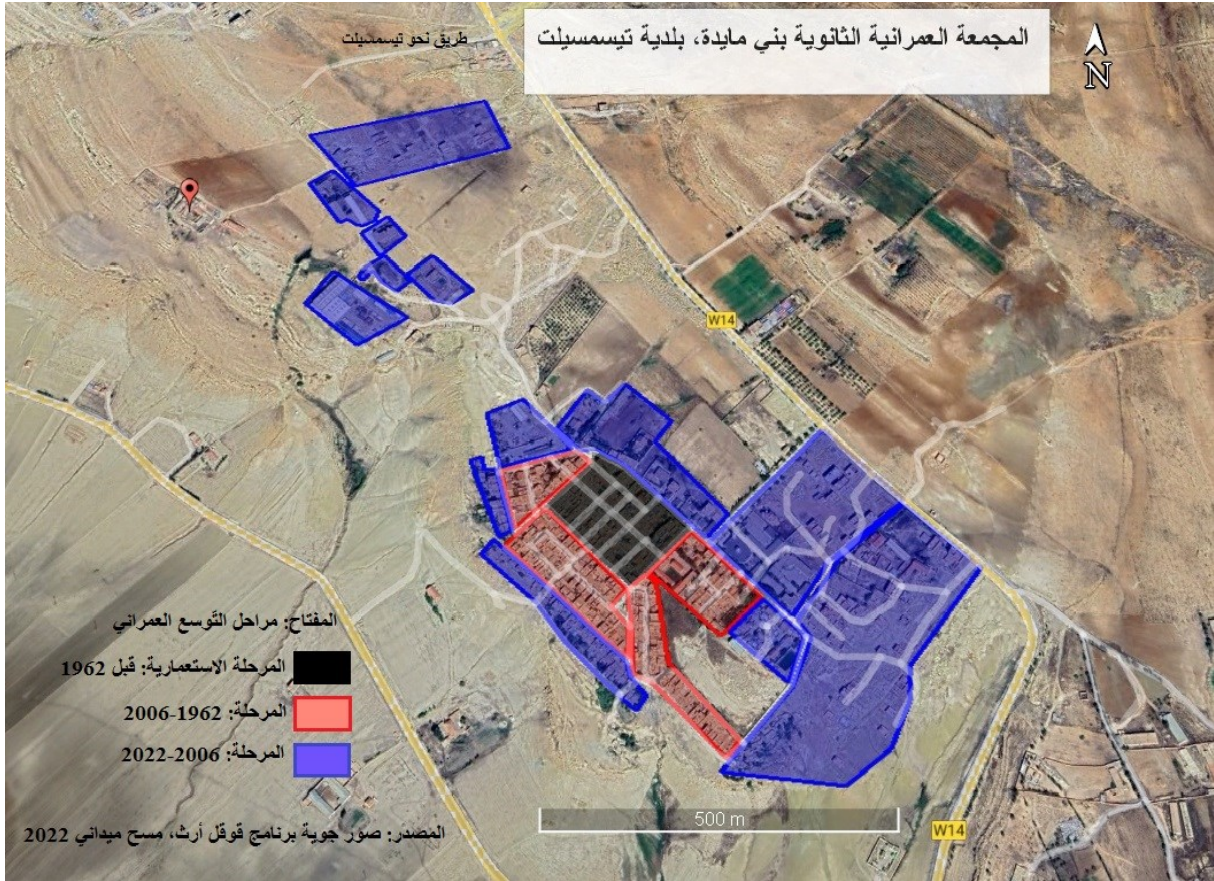
1.2.4 إعادة الإسكان بالسّرسو وتوسع المراكز الاستعمارية، وإنشاء أنوية جديدة بالدّواوير

بعد اندلاع الثورة التحريرية، كان من الضروري في نظر المستعمر استعمال العمارة والعمران في السيطرة على الإقليم ومراقبة السّكان بإنشاء مراكز لتجميع السّكان أو ما سمي بمراكز إعادة الإسكان ونقل الأهالي قسرا إلى الجبال والمناطق المعزولة، وعليه عرف السّرسو تعميرا جديدا وتوسعا للمراكز الموجودة عن طريق هذه الإستراتيجية ببناء أحياء إعادة الإسكان ضمن برنامج كاستور الذي كان يهدف إلى مراقبة الأهالي ولاسيما اليد العاملة لدى المستعمر، أنجز ضمن هذا البرنامج حي شمال شرق مركز مهدية، وحي آخر شمال المدينة الأوروبية بتيارت (حي بوهني حاليا (293 مسكن)، عند أقدام جبل قزول (الكتلة الغابية) بخطة شطرنجية بموقع مكبوح نظرا لوجود الغابة شمالا والمنحدرات صعبة التّعمير. كما عرفت قرية فيدارب (كرمان حاليا) عام 1959 توسعا، عن طريق مخطط قسنطينة، تم إنشاء حي سكني جنوبا يتميز بنفس النمط المعماري الذي طبق بمعظم المدن الجزائرية في تلك الفترة مساحة لا تتعدى 120 م². أنجزت مساكن بطابق أرضي مسطحة بالقرميد، وقليلة الارتفاع، متراسة تهيكلاها طرقات ضيقة، وقد اختير موقع فيدارب (كارمان حاليا) لهذا الغرض نظرا لقربها من المركز العسكري تيارت. تم بناء كل هذه المساكن من مخططات نمطية مستوحاة من نماذج بنيت في فرنسا في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

قام مخطوط الإسكان الاجتماعي في مخطط قسنطينة بتغيير السّكن من نمط إلى آخر مختلف تماما، وغريب عن ثقافة الجزائريين وأسلوب حياتهم، في فترة زمنية قصيرة جدا، فرغم أنه كان يطمح إلى التّحديث أو التّمنية حسب الخطاب السّياسي آنذاك، إلا أنّه في الحقيقة كانت له انعكاسات في السّنوات الموالية، فقد أدى الانتقال إلى حداثة الرّصيد السّكني في الجزائر عموما والسّرسو على وجه الخصوص في البداية إلى محو السّكن التقليدي من جهة، وإدخال السّكن الحديث ذي النوعية الرديئة للغاية من جهة أخرى، والذي لا يهتم إلا بالكمية (Henni, 2019).

تميزت الفترة الاستعمارية كما ذكرنا سابقا بإنشاء نقطة مراقبة للجيش الفرنسي في مكان يسمى قبة سي عبد الهادي شمال المقبرة الإسلامية لدوار بني مايدة، تسيطر هذه الأخيرة على سهل السّرسو شمال نهر واصل، وجزء كبير من إقليم الدّوار.

بعد الثورة التحريرية تم إنجاز مركز بني مايدة لإعادة الإسكان بهذه المنطقة على النمط الشّطرنجي (الخريطة رقم 5)، بنياته متماثلة شكلا وهندسة، وذات هيكل من الخرسانة المسلحة، وهو نمط جديد بالمنطقة، ونواة توسعت بعد الاستقلال شيئا فشيئا إلى غاية تصنيفها مجمعة عمرانية ثانوية في تعداد 2008، قرب هذه النواة من تيسمسيلت سمح وشجع على توسعها في الجهة الشرقية باتجاه الطريق الولائي رقم 14 وشمالا عن طريق برامج سكنية والتجهيزات الأولية (مدرسة، مسجد، ملحق إداري، قاعة علاج ومركز ترقية المرأة الريّفية، كما عرف أيضا مشاريع منحت في إطار الاستثمار كمؤسسة المراقبة التّقنية للسيارات، تجزئة سكنية (105 قطع) شمالا ستؤدي إلى التّحام نسيج المجمع مع تيسمسيلت، وارتفع عدد سكانها مسجلا 2601 نسمة حسب التّناجج الأولية لتعداد سنة 2019.



خريطة رقم 5: مراحل توسع مركز إعادة الإسكان (بني مايدة) جنوب تيسمسيلت

2.2.4 مراكز التّجميع، أنوية لمجمعات عمرانية

عندما جعلت فرنسا من الرّيف الجزائري معسكر اعتقال واسع، قامت بإنشاء مراكز التّجميع التي عرفت بسياسة المحتشدات أثناء حرب التّحرير الوطني والمتمثلة في ترحيل الفلاحين وعائلاتهم إلى معسكرات مراقبة عملت على قطعهم عن بيئتهم الطبيعية وعلاقتهم بالأرض وتجريدهم من صفة الفلاحين (مرضي،

(1999)، وقد أنشأ بالسرّسو محتشد بدوار السّحاري، الذي يضم قبيلتي السّحاري الشّراقة والقنادزة (البلدية المختلطة النّاطور) لتجمع سكان الجبال (غغورور، حرشاو، غوتيجا، جبل كويدية) هذا المحتشد هو مركز مجمعة النّاطورة حاليا والذي يضم سكنات في حالة هشّة وريئة، ومحتشد بعين دزاريت بالقرب من المركز العسكري الموجود بها، وهو مركز المجمعّة الذي يتميز بالنّمط الاستعماري. كما أنشأ محتشد عين الصفا سنة 1955 على بعد حوالي خمس كيلومترات عن مركز فيالار بالطريق الوطني رقم 14 باتجاه خميسي، على الوعاء العقاري لمزرعة المستوطن بولو (POLO) التي حولت لمعسكر اعتقال وتعذيب، إلا أن هذا المركز سكنه الجزائريون بعد الاستقلال وهو الآن عبارة عن مركز سكاني وتستعمل أرضية المزرعة لاستضافة الاحتفالات السنوية بالثورة الجزائرية.



صورة رقم 4: التّجمع السّكاني عين الصفا "مركز الاعتقال والتّجميع سابقا" (تيسمسيات)

5. تنظيم مجالي متمايز ومتناقض أفرزته سياسة الاستيطان الاستعماري في السرسو

كان السرسو قبل مجيء الاستعمار الفرنسي للمنطقة مجال واسع قليل السّكان، يتجمعون فيه حسب التّنظيم القبلي القديم على شكل أعراش وقبائل باستثناء تيارت التي كانت مدينة منذ سيادة الدّولة الرّسمية بالمنطقة وإلى غاية التّواجد العثماني، فسياسة التّعمير التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية والتي شجعت الاستيطان الأوروبي بالمنطقة خدمة لمصالحها الاقتصادية، نقل المنطقة من التّبعر إلى التّجمع وأعطاه صيغة الحياة الحديثة مقارنة بما كانت عليه سابقا، حيث أن المحصلة المجالية للتّعمير أفرزت تنظيما متمايزا يظهر سياسة التّفرة بين المستوطنين والأهالي. كان التّعمير بالمجال الرّيفي والحضري عن طريق شبكة المراكز، القرى والمزارع متوازنا ومحوريا سواء على شبكة الطّرق وخاصة الطّريق الوطني 14، أو مصادر المياه ولاسيما نهر واصل، بينما الدّواوير لم تؤخذ نفس التّنظيم المجالي فلم تكن بشكل تسلسلي بل كانت عشوائية لم تخضع لتنظيم هندسي كما خضعت المراكز الاستعمارية، لأن الغرض منها كان تفكيك

القبائل وإضعاف قوتهم. هذا التّمايز والاختلاف أثر على التّركيب المجالي نفسه فدراسة العلاقة بين التّصميم والاستخدام المجالي يوضح مدى التّباين والتّناقض الموجود وهو ما سوف نوضحه في الفصول اللاحقة. تميزت الفترة الاستعمارية بحركة تعمير سريعة ومتشعبة على كامل مجال السّرسو بخصائص عمرانية متشابهة تحمل ملامح الاستدامة بالمراكز الاستعمارية والاستيطانية التي شهدت تهيئة وتجهيز وتوفير العمل والخدمات وتعدد الوظائف، وإنتاج نمط سكني حديث مجهز بمختلف الشّبكات وتصميم مستوحى من النّمط الأوروبي في حين نجد أيضا مراكز أو أحياء موجهة لإقامة الأهالي سواء داخل المجتمع الأوروبي نفسه في أحياء قريبة لكن منعزلة أو في محتشدات التّجميع التي تعبر عن أسوأ صور الفقر والحرمان لهذه الفئة. شهد المجال الرّيفي في السّرسو تحولا تزامنا وعملية استعلاك الأراضي، حيث أقام الاستعمار نمطا سكنيا وعمرانا يخدم في مجمله سياسة الاستيطان، من خلال الاستحواذ على العقار، وإقام نماذج سكن مغايرة للنّمط التّقليدي من حيث الشّكل، والمواد البنائية المستعملة، والتّهيئة والتنظيم المجالي لها. استفادت مدينة تيارت من تطور ونمو السّرسو بشكل كبير مقارنة ببقية المراكز العمرانية لأنها القاعدة الإدارية له. بسطت نفوذها على مساحة كبيرة وتطورت الخدمات الإدارية بها، فقد كانت مركزا لمختلف الخدمات ولاسيما المصرفية والمالية لا تزال موجودة لحد الساعة، كما استفادت بوردو أيضا من التّجهيزات كونها مركز دعم أوجد في وسط السّرسو.

نجد من خلال ما سبق بأن التّعمير في السّرسو في الفترة الاستعمارية لم يستجيب لأي منطق داخلي لكنّه ارتبط بالطّبع بأهداف اقتصادية واستعمارية في البداية (فلاحة، صناعة) حيث أنشأت مراكز جديدة استجابة لاحتياجات المجتمع المسيطر وتطورت المراكز في المناطق السّهلية الأهلة بالسّكان حيث يقيم المعمرين مثل مهدية، تيسمسيلت وتيارت، وفي نفس الوقت أنشأت الدّواير التي أصبحت فيما بعد أنوية عمرانية تطورت بشكل مستمر.

6. العقار الفلاحي آلية لتعمير السّرسو، من المصادرة إلى إعادة التّمك

بعد الاستقلال انتهجت الدّولة الجزائرية المستقلة النّهج الاشتراكي القائم على المسؤولية المطلقة للدّولة في كل الأمور، فهي الفاعل الوطني الوحيد، تستثمر، توجه وتراقب الإنتاج، أما التّسيير العقاري فهو موافق للخيارات السّياسية (التّسيير الدّاتي الفلاحي، التّعاونيات والتّسيير الاشتراكي للمؤسّسات) من خلال أيلولة الأملاك الشّاغرة للدّولة، التّأميم واسترجاع الممتلكات ممّا أعطى أهمية كبرى ونمى الرّصيد العقاري لدى الجماعات المحلية حيث أدمجت بشكل آلي ضمن أملاكها.

أمّا في مجال التعمير فقد تمّ الاعتماد على نفس المخططات المستعملة في الفترة الاستعمارية والمتمثلة في "المخطط العمراني الموجه" (PUD) و"المحيط العمراني المؤقت" (PUP)، مع تحديثهما وبقيت سارية المفعول حتى سنة 1990، أين تم استحداث وسائل جديدة.

1.6 القرى الاشتراكية الفلاحية: تعمير إرادي، نمط قديم بوظائف جديدة وتحولات كثيرة

بعد الاستقلال عرف المجال الريفي في الجزائر هيكلة جديدة عن طريق الثورة الزراعية بهدف إعادة الأرض إلى الفلاحين وتحديث الزراعة وعالم الريف، فقد كان من الضروري في منظور السلطة الجزائرية أنذاك إخراج الجزائر الزراعية من آثارها القديمة على أساس دعامين: وحدات إنتاجية وتمثل في الأرض لمن يخدمها ويعمل فيها وتأمين أرض أولئك الذين لا يعملون بها، ومراكز إسكان تتمثل في بناء قرى اشتراكية في بداية السبعينات والتي تلت مباشرة سياسة التصنيع، فالقرى الاشتراكية هي إحدى آليات التحديث والتنمية الريفية، كانت تهدف إلى كبح النزوح الريفي نحو المدن عن طريق ترقية الأرياف اجتماعيا وثقافيا وتحسين شروط الحياة، فهي في واقع الأمر مستوحاة من الأفكار التي تضمنها مخطط قسنطينة فقد شجعت الدولة على إحياء فكرة التصنيع والسير في طريق المخططات (بولكعبيات، 2002) ففكرة القرى التي اقترحتها فرنسا لتحسين أوضاع الريف الجزائري بعد اندلاع الثورة التحريرية، حيث عزت الإدارة الاستعمارية أسباب نشوبها إلى ضعف تنمية المناطق الريفية وإلى الأوضاع المزرية التي يعيشها الأهالي بصفة عامة، هذه العملية نتاج مسح عام حول وضعية التجمع في الجزائر والتي أثمرت اقتراح برنامج ألف قرية في جوان 1959 أطلق عليها اسم "قرى المستقبل" لإعادة تجميع سكان الريف وعزلهم عن الثورة.

جاءت فكرة القرى الفلاحية في الجزائر في سبعينيات القرن الماضي، وهي في حقيقة الأمر تحدي ورد فعل في نفس الوقت اتجاه قرى المستقبل. تم الموافقة على إنجازها في 1973 اثر الملتقى الوطني حول السكن الريفي (Arecchi, et Megdich, 1979) تعتبر هذه القرى من أدوات التهيئة الإقليمية، إنشاؤها سمح بإعادة تشكيل المساحة الريفية الموروثة من الاستعمار (Meziani et Otmame, 2022)، كما سمح أيضا بتوفير البنى التحتية والمجالية الضرورية لاستغلال الأراضي وتزويد هذه القرى بمختلف التجهيزات الضرورية وأيضا الخدمات المرتبطة بالإنتاج الفلاحي كالحظائر والإسطبلات وحتى معاهد البذور كما حدث في قرية السبعين، حيث أنشأت هذه القرى لتلبية الوظيفة الزراعية والتي من المفروض تحتاج إلى أسواق لتصريف المنتجات الفلاحية، كما جاء خيار السكن الريفي المجمع كآلية للتنمية الفلاحية من جهة وضمان حياة جماعية والتنظيم الجماعي للإنتاج من جهة أخرى، حيث يكون السكان في القرية على مقربة من حقولهم ويمارسون حياة اجتماعية سهلة كما أن العيش في قرى مندمجة له مميزات أخرى مثل سهولة

الحصول على خدمات القرية المركزية كالّعليم والصحة وغيرها والتي يمكن أن تتم في القرى المندمجة أكثر منها في القرى المبعثرة.

2.6 القرى الاشتراكية أداة لتكثيف الشبّكة العمرانية بالسّرسو

أنجزت في السّرسو في السبعينات وبداية الثمانينات 12 قرية، تركزت خصوصا في الضفة الجنوبية لنهر واصل الذي يهيكل جزء كبير منه، حيث المنطقة منبسطة وغنية بالأراضي الفلاحية المنتجة. هذه القرى الفلاحية عبارة عن كتل مترابطة ونسيج متضام.

أعدت القرى الاشتراكية مبدأ الانتشار السكاني على كامل مجال السّرسو وأحدثت نوعا من التوازن ولو أن التوطن المحوري بمحاذاة الطرقات غلب على توزيعها. إنشاء هذه القرى كان على شكل وحدة مجالية انطلاقا من تعميم جديد وفق نمطين مختلفين:

➤ إدراج قرية ضمن نسيج موجود (greffé ou Acculturation) : القرى المطعمة أو ما يعرف التثقاف¹ وهي عبارة عن إنشاء مجال جديد ذو نمط حضري بالقرب من مجال ريفي موجود يكون في العموم عبارة عن نواة استعمارية أو دوار ونذكر منها (عين بوشقيف، سرايدي، الونشريس البيضاء، الرّشايقة).

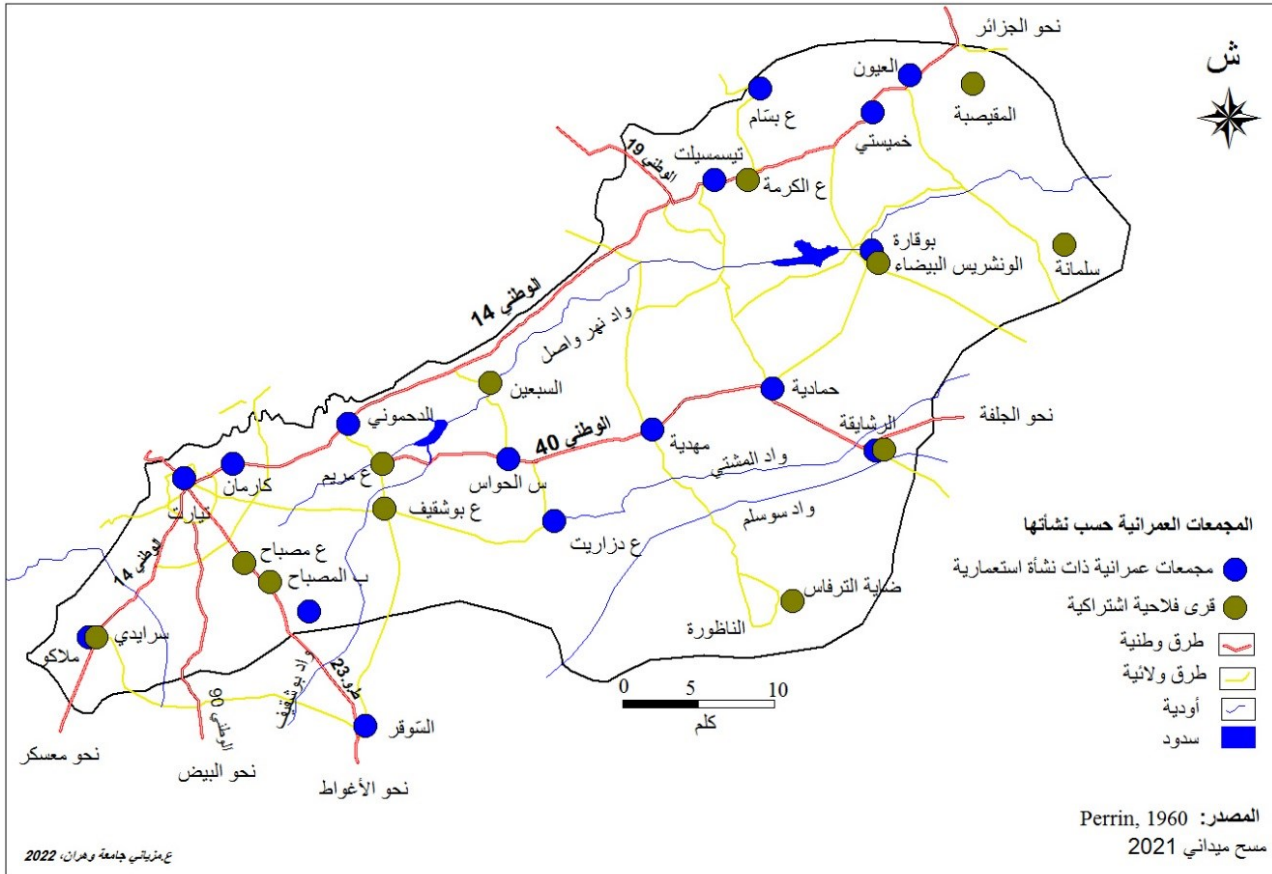
➤ إنشاء جديد من العدم (Ex Nihilo): وهي عبارة عن إنشاء قرية جديدة في الرّيف بأرض عذراء بعيدا عن أي اعتبارات فيما عدا إعادة هيكلة الأراضي وتتمثل في كل من (عين مريم، بيبان المصباح ببلدية عين بوشقيف، ضاية الثّرفاس، وعين الكرمة بتيسمسيلت).

إنّ إنشاء القرى الاشتراكية بالسّرسو كان بمبدأ إعادة الانتشار على كامل المجال بهدف خلق نوع من التوازن في المنطقة (الخريطة رقم 6)، مع الاحتفاظ بالتوطن المحوري على الطرقات الوطنية ولاسيما رقم 14، رقم 40، رقم 23 وكذا الولائية رقم 3-4-6-7-16-77 فهي تتوزع بالقرب من مصادر المياه والأودية على نفس النّحو الذي أنشأت عليه القرى الاستعمارية سابقا وبنفس التّباعد تقريبا إضافة إلى عامل ملكية الأرض الذي شجع على اختيار المواقع، حيث تم إنشاء ثمان قرى جديدة إضافة إلى خمسة أخرى أدرجت ضمن أو بالقرب من قرية فلاحية استعمارية، كما جاء اختيار إنشاء قرية الرّشايقة بنفس موقع دو فوكو (De

¹ ظهر المصطلح في نهاية القرن التاسع عشر لتحديد التحوّلات في أنماط الحياة والتّفكير في المهاجرين على اتصال مع المجتمع الأمريكي، التثقاف هو عملية تغيير ثقافة مجموعة أو شخص تحت تأثير ثقافة أخرى، في علم الاجتماع أو علم النفس، يشير مصطلح "التثقاف" إلى عملية تكيف فرد أو مجموعة من مكان آخر مع الثقافة المحلية، مما يؤدي إلى التّخلي الجزئي أو الكلي عن عناصر ثقافتهم الخاصة.

يعرّفها A و R. Mucchielli (1969 في Lexique des sciences sociales) بأنها "العملية التي يتعلم من خلالها الفرد أنماط السلوك والنماذج والمعايير الخاصة بالمجموعة لكي يتم قبولها في هذه المجموعة والمشاركة بدون صراع".

(Foucauld) الذي اخترته الإدارة الفرنسية وفشلت في إسكانه سابقا. صممت هذه القرى بأشكال مختلفة لكن بأحجام متساوية تقريبا.



الخريطة رقم 6: التوزيع الجغرافي للقرى الاشتراكية بالسّرسو

3.6 إعادة هيكلة القطاع وإنتاج قرى صغيرة

ورثت الجزائر عن الحقبة الاستعمارية الكثير من السّكنات الرّيفية الفخمة معماريا والكبيرة مساحيا كان يقطنها المستوطنون، هندستها مستوحاة من الثقافة الغربية، أدرجت هذه المساكن ضمن المزارع المسيرة ذاتيا، وتم بناء العدّيد من السّكنات الرّيفية بمحاذاتها، منها ما استغلّت من طرف السّكان وسوّيت وضعيتها لأنّها تندرج ضمن الأملاك الشاغرة التي تم التنازل عليها بموجب القانون رقم 81-20، ومنها ما تركت مهجورة أو استعملت لغير أغراض السّكن فتدهورت، وبقيت مجرد أطلال شاهدة على تاريخ المنطقة. أُعيد هيكلة المزارع المسيرة ذاتيا بموجب التّعليمية الرّئاسية رقم 14 المؤرخة في 17/10/1981 وكذلك إعادة هيكلة القطاع الفلاحي ككل بموجب المرسوم رقم 81-77 المؤرخ في 15 مارس 1981. يهدف هذا الأخير إلى إنشاء وحدات إنتاجية قوية ومتماسكة يمكن التّحكم فيها من حيث التّسيير. شمل ذلك كل أشكال

الملكية الزراعيّة سواء تعاونيات الثّورة الزراعيّة أو مزارع التّسيير الذاتي أو تعاونيات القطاع الخاصّ وقدماء المجاهدين، أطلق عليها اسم المزارع الفلاحية الاشتراكية (DAS) بهدف الحد من الازدواجية التي أصبح هذا القطاع يتصف بها (جعفري، ولعجال، 2018). جاء هذا الإصلاح لإلغاء نظام الثّورة الزراعيّة وإعادة تنظيم القطاع الفلاحي خاصة من حيث المساحة المتعلّقة بكل مزرعة، فرغم الإصلاحات السّابقة إلا أنّه لم يتمّ القضاء على المساحات الشّاسعة للملكيات الزراعيّة التي كانت منتشرة منذ 1962 (حوشين، 2007)، لذلك جاء في المنشور الوزاري رقم 707 لسنة 1981 بأنّ الغاية من إعادة الهيكلة هي "إنشاء وحدات إنتاج ممكن التّحكم فيها بشريا وقابلة للحياة اقتصاديا" انطلاقا من هذا القول يمكن الاستنتاج أن إعادة هيكلة المزارع سواء المسيرة ذاتيا أو تعاونيات الثّورة الزراعيّة صاحبتة حركة تعمير لاستقبال الفلاحين وتوفير التّجهيزات الضروريّة لهم من أجل ضمان استقرارهم، لأنّ تلك المزارع السّابقة كانت تفتقد لمقومات الحياة البشريّة وقد يكون هذا أحد أسباب فشلها.

1.3.6 المزارع الاشتراكية، حلقة تعمير مصغر حول ملاكو

أنشأت المزارع الاشتراكية بأهداف مشابهة إلى حد ما للأهداف التي سطرت عند انجاز القرى الاشتراكية سابقا، إلا أن المقياس يختلف حيث أن المزارع الاشتراكية لا تضم إلا عدد قليل من المساكن وبالتالي عدد قليل من السّكان (بهدف التّحكم فيها بشريا كما جاء في التّشريع الجزائري) وبعض التّجهيزات غالبا هي تجهيزات تعليمية كما أن معظم المزارع شهدت إنشاء بنايات سكنية فقط.

لم يكن السّرسو بمنأى عن هذه الهيكلة فقد تمّ إنشاء عدة مزارع اشتراكية بالوسط الفلاحي على النمط الشّطرنجي، فبلدية ملاكو لوحدها تضم 12 مزرعة اشتراكية (سي حميد، سي بولنوار بلقاسم، الإخوة ختال، سي فارس (قرية بيتير)، عين قاسمة (المزرعة الفلاحية التّموجية حيدر) دحام مختار (سيدي واضح)، جبار محمد، عويبي بن عيسى، سي مناد، عواد قادة وحساني الحاج).

شكّلت هذه المزارع حلقة تعمير مصغر منتظم حول ملاكو ولا سيما (مزرعة جبار محمد، مزرعة سي بولنوار، سي بوسيف وسي حميد) وقد عرفت هذه المزارع التي هي الآن مستثمرات فلاحية فردية وجماعية توسعا عمرانيا في نسيجها عن طريق السّكن الرّيفي المبعثر الذي استفادت منه كل المزارع بدون استثناء أو المجمع الذي أنجز في عين قاسمة وأيضا بمزرعة جبار محمد في حين مزرعة (عويبي بن عيسى، سي مناد) رفض مشروع تجزئة ريفية بها من طرف مديرية الفلاحة نظرا لأن الأرض المختارة ذات مردودية فلاحية جيدة. تعمير كل من عين قاسمة وسي حميد وفق آلية السّكن الرّيفي (الصورة 5) أدى إلى ارتفاع عدد المساكن إلى أكثر من 100 مسكن (عين قاسمة بـ 188 مسكنا، سي حميد بـ 133 مسكنا) وبالتالي سمح للمزرتين الارتفاع إلى صنف مجمعة عمرانية ثانوية.



الصورة رقم 5: التعمير المصغر بواسطة المزارع الفلاحية الاشتراكية (DAS) ببلدية ملاكو

2.3.6 المزارع الاشتراكية بلدية تيارت، من الفلاحة إلى التوطن الصناعي

أضحت المزارع الفلاحية بلدية تيارت عرضة للتعمير نظرا لقربها من مركز التجمع الرئيسي ولاسيما مزرعة مبروك الشيخ المعروفة بالسّانيا وهي قرية صغيرة تشغل مساحة 22 هكتار، تقع جنوب شرق مدينة تيارت. نشأت عفويا بدون نواة واضحة. لم تكن ضمن إطار تخطيطي لكنها انطلقت من مجموعة مزارع استعمارية، آلت ملكيتها بعد الاستقلال للدولة. نمت هذه القرية وتطورت بخطة رباعية على محور الطريق الوطني رقم 23. قربها من مدينة تيارت جعل منها رصيда عقاريا مناسباً لتوسع المدينة (الصورة رقم 6)، استقبلت مشاريع التّجزئة السكنية الفردية وبعض التّجهيزات مما أدى إلى التّحامها بمجمعة تيارت، مبانيها عبارة عن سكنات جديدة من نمط فيلا بمستوى أرضي فأكثر، معظم البنايات في حالة جيدة ومتوسطة، أمّا الحالة الرديئة فتخص المزارع القديمة فقط.



الصورة رقم 7: توطين منطقة صناعية بعقار فلاحي جنوب غرب تيارت

الصورة رقم 6: تعمير وتوسع المزرعة الاستعمارية السّانيا جنوب شرق مدينة تيارت

تم اقتطاع مزرعة غوثي جيلالي جنوب غرب تيارت على محور الطريق الوطني رقم 90 (الصورة 7)، لغرض إنشاء المنطقة الصناعية الجديدة (zone du parc)، بمساحة 430 هكتارا، استقبلت هذه المزرعة أيضا الميناء الجاف، المفتشية الجهوية للجمارك ومشروع سكني.

3.3.6 تسلمت من مزرعة استعمارية إلى مزرعة اشتراكية، قرية تتوسع عموديا

تسلمت من بين المزارع التي أنشأت بالحوض الأعلى لنهر واصل على الطريق الوطني رقم 14 الرّابط بين تيارت وفيالار، نمت المزرعة وتوسعت حولها مساكن الفلاحين فأصبحت قرية وتغيرت ملامحها العمرانية بفضل الطريق الذي شجع على إدخال نمط السّكن الجماعي والتّجارة على محوره من خلال البرنامج الخماسي (2005-2009)، وقد عرفت المجموعة توسعا عمرانيا مهما خلال العشر سنوات الأخيرة بفضل برامج السّكن الرّيفي سواء المبعثر أو المجمع فقد استفادت من مشروع تجزئة ريفية مجمعة (12 قطعة) برنامج 2012.

4.3.6 عين قاسمة من مجموعة مزارع استعمارية إلى مزرعة فلاحية اشتراكية (DAS)

عين قاسمة هي مجموعة من المزارع أنشأت شرق ملاكو على بعد سبعة كلم جنوب تيارت، بعد الاستقلال أصبحت هذه المزارع الاستعمارية تابعة للدولة ومسيرة ذاتيا، وبعد الإصلاح الزراعي عن طريق إعادة الهيكلة في بداية الثمانينيات تحولت إلى مزرعة فلاحية اشتراكية، وعليه استفادت من مشروع سكني وبعض التّجهيزات المتمثلة في المدرسة التي تستقطب تلاميذ المنطقة المبعثرة على بعد 3 كلم، قاعة علاج ومقر حرس بلدي، نمت على محور الطريق الوطني رقم 90 الذي يربط تيارت بولاية سعيدة والبيض.



الصورة رقم 8: تعمير وتوسع المزرعة الاستعمارية عين قاسمة بعد الاستقلال إلى 2022 هذا

بنيت القرية على الشكل المربع، شهدت نموا سكانيا وتوسعا عمرانيا في المحور الجنوبي منذ 2012 إلى يومنا هذا (الصورة رقم 8)، عن طريق التّجزئة السّكنية الرّيفية المجمعّة حيث استفادت من مشروع بناء 80 سكن ريفي مجمع فتضاعف بذلك عدد مساكنها الذي انتقل من 80 سكن سنة 2008 إلى 160 سكنا سنة 2014 (بعد استلام مشروع التّجزئة السّكنية الرّيفية المجمعّة).

7. تواصل تعمير السّرسو عن طريق المشاريع السّكنية الحضرية متعددة الصيغ

تواصل التعمير بالسّرسو، بإيجاد مجمعات عمرانية جديدة كما ذكرنا سابقا، وأيضا بتوسع أنسجة المجمعات ذات النّشأة الاستعمارية بمختلف أصنافها، ولا سيما الكبيرة منها، حيث شهدت توسعا عمرانيا ساير سياسة التّهيئة العمرانية والسّكنية في الجزائر، خاصة بعد الانفتاح على اقتصاد السّوق وتحرير المعاملات العقارية، ولاسيما في الفترة الأخيرة؛ بسبب الانتعاش الاقتصادي، الذي حفز تمويل قطاع السّكن واستحدثت صيغا جديدة في المخططات الخماسية الأخيرة.

الجدول رقم 3: السّكن ببلديات السّرسو حسب الصّيغة السّكنية (2019-2020)

البلدية	السّكن العمومي الايجاري (LPL)	القضاء على السّكن الهش (RHP)	السّكن التّرقوي المدعم والتساهمي (LPA+LSP)	البيع بالإيجار (LV)	السّكن التّرقوي العمومي (LPP)	السّكن التّرقوي الحر (LP)	التّجزئة السّكنية	المجموع
تيارت	11602	1800	4036	4819	218	3390	218	26083
تيسمسيلت	8170	4272	860	800	611	-	-	14713
خميستي	2166	1216	294	-	-	-	-	3676
العيون	1817	1083	140	-	-	-	-	3040
مهدية	1284	50	258	300	-	-	-	1892
أولاد بسام	920	520	80	-	-	-	-	1520
الدّاحموني	710	180	317	-	-	-	-	1207
حمادية	636	60	66	-	-	-	-	762
ملاكو	410	50	44	-	-	-	-	504
عين بوشقيف	398	40	198	-	-	-	-	636
الرّشّاقية	330	40	-	-	-	-	779	1149
السّبعين	240	40	-	-	-	-	-	280
دزاريت	220	40	-	-	-	-	312	572
بوقارة	220	-	-	-	-	-	-	220
النّاطورة	190	-	-	-	-	-	-	190
السّرسو	29313	9391	6293	5919	829	3390	1309	56444
ولاية تيارت	31914	3000	6961	6100	218	6767	6912	61872
ولاية تيسمسيلت	20830	9000	1405	850	611	-	-	32696

المصدر: مديرية السّكن لولايتي تيارت وتيسمسيلت (2019)

استفاد السّرسو خلال الخماسيين الأخيرين (2010-2014) و(2015-2019) من حصة سكنية كبيرة جدا تجاوزت 56000 ألف وحدة خلال عشر سنوات، إلا أنّ مشاريع السّكن التّرقوي الحر وأيضا التّجزئة السّكنية المنشأة في البلديات الخاضعة لصندوق الهضاب العليا والجنوب مازالت في طور الإنجاز والتي خصت بها بلديات السّرسو الجنوبية التابعة لولاية تيارت إداريا دون غيرها من بلديات السّرسو الأخرى¹. أخذت مجمعة تيارت حصة الأسد من حيث البرامج السّكنية بمختلف صيغها (الجدول رقم 3) تليها تيسمسيلت، وما رفع انتاج السّكن بمجمعة تيارت صيغة السّكن العمومي الايجاري وصيغة البيع بالإيجار (سكنات عدل) فقد استقبلت تيارت أكبر حصة مقارنة ببقية بلديات السّرسو وبلديات الولاية بصفة عامة، توطنت أكبر نسبة بمجمعة كرمان. بدأ القطاع الخاص يحذو حذوه نحو ممارسة التّرقية العقارية الحرّة بالسّرسو بموجب قانون التّرقية العقارية رقم 04-11 وتحديدًا بمدينة تيارت، فهذا القانون كان دافعا قويا لظهور هذا النوع من الصّيغ، في وقت أصبح الحصول على المسكن من الضروريّات لدى الأفراد، ومن أولويات سياسة التنمية الوطنية، وفتح المجال للقطاع الخاص بالدخول في التّرقية العقارية، إضافة إلى الأشخاص المعنوية العامة، والتي يقصد بها الهيئات والمؤسسات، التي تعترف لها الدولة بالشخصية المعنوية لتحقيق أهداف خاصة وتخضع في عملها لقواعد القانون الخاص (مزياني، 2014).

ساهمت التّرقية العقارية الحرّة في إنعاش قطاع السّكن بمجمعة تيارت بـ 4816 مسكن موزعة على مختلف القطاعات الحضرية، منها 777 مسكنا تحصل المرقون العقاريون وهم أربعة على العقار في إطار اللّجنة المساعدة على اختيار مواقع الاستثمار سابقا (CALPIREF)، أمّا ما تبقى فتم الحصول على أرضية إنشاؤه في إطار قانون الاستثمار الجديد.

نلاحظ من خلال الجدول رقم 3 أن البلديات التابعة إداريا لولاية تيسمسيلت استفادت من حصص سكنية أكبر من تلك التي استفادت منها بلديات تيارت، رغم أنها بلديات متشابهة من حيث الحجم السّكاني والوظائف التي تؤديها، خاصة بلدية أولاد بسام نصف الرّيفية، ولعلّ ما رفع وتيرة الإنتاج هو صيغة السّكن الموجه للقضاء على الحظيرة الهشة، فقد استفادت بلديات تيسمسيلت من حصص أكبر من تلك المسجلة في بلديات تيارت، وخاصة بمدينة تيسمسيلت أين تجاوزت 4000 وحدة سكنية، نظرا لانتشار المواقع الفوضوية على مساحات كبيرة، على سبيل المثال حي الدرب العتيق شمال شرق مجمعة أولاد بسام، حي الحمرا والدرب بخميسي. بينما لم تستفد البلديات الرّيفية بسرسو تيارت (السّبعين، بوقارة،

¹ عدم توفر المعطيات الخاصة بولاية تيسمسيلت

والناظورة) من السّكن الحضري إلا بحصة ضئيلة، لم تتجاوز 28 مسكنا سنويا، تركزت على إنجاز السّكن العمومي الايجاري فقط.

8. ديناميكية تعمرية في المدن التّوابع

الدّحموني وعين بوشقيف مجتمعان تقعان بالقرب من مدينة تيارت واحدة بالشرق والثانية بالجنوب الشرقي على الترتيب، المجتمعين ذات نشأة استعمارية، ارتبطتا بتيارت إداريا ووظيفيا منذ فترة الاحتلال، ووجدهما على محاور طرق مهمة ولا سيما الدّحموني ذات الموقع المحصور بين الطريقين الوطنيين 14 و40، عين بوشقيف على الطريق الولائي رقم 7، ناهيك عن قرب المسافة نشطا الحركة اليومية نحو تيارت وهي حركة أحادية الاتجاه في أغلبها، كما أن استغلال العقار الحضري في كل منهما من طرف مجمعة تيارت عن طريق تحويل التّحضر كآلية للتعمير وحل مشاكل الإسكان بها، جعلهما تستقبلان المشاريع السّكنية الخاصة بتيارت ولا سيما مشاريع إعادة الإسكان، فقد تم بناء سكنات مخصصة لسكان الأحياء الهشة بتيارت. استقبلت عين بوشقيف مشروع إعادة إسكان حي زعرورة الفوضوي الذي أزيل نهائيا وتم ترحيل سكانه إلى حي 150 و204 مسكن، ومشروع آخر استقبل سكان من مواقع مختلفة من السّرسو، إلا أنّ تيارت لوحدها ساهمت بحوالي 11.30% من الأسر المرحلة لهذا الموقع، هذا من جهة ومن جهة أخرى استقبلت عين بوشقيف سابقا حي سكني لعمال شركة السّباكة. ساهم تحويل التعمير في تغيير التركيبة الاجتماعية في عين بوشقيف بواسطة سكان تيارت، وبالتالي جذبت ممارسات اجتماعية وسلوكيات جديدة للوسط شبه حضري، كما استقبلت الداحموني أيضا مشاريع إعادة الإسكان من مختلف مواقع من السّرسو، مثل سكان بلدية تيارت أكثر من سدس السّكان المرحلين (15%) (بوفروج، 2018). هذا التّمدد الحضري لمجمعة تيارت على أراضي مجعتي عين بوشقيف والدّحموني جعلهما تستفيدان من نمط تعمر جديد وسكان حضريون في الوسط شبه حضري وبالتالي أنتج مدنا توابع بالقرب من تيارت، أو منطقة تحضر بالنسبة لتيارت.

9. التّجهيزات الكبرى المهيكلة للمجال الحضري

1.9 المعاهد والجامعات نشطت التّعمير بتيارت وتيسمستيلت وأنعشت التّحركات اليومية

تطور النّسيج الجامعي ومؤسسات التّعليم العالي بالجزائر بعد الاستقلال، جعل السّرسو إحدى المحطات التي استفادت من مؤسسة جامعية في 1980 بإنشاء مركز جامعي بتيارت يضم معهدين وطنيين عاليين في بداية انطلاقه بتخصصات تتماشى وطبيعة المنطقة الزراعيّة الرّعوية، المعهد الوطني العالي للبيطرة والعلوم الفلاحية حيث يضم قسم العلوم البيطرية مستشفى فريد من نوعه في الجزائر، ومعهد آخر متخصص في الهندسة المدنية.

توسعت التجهيزات الجامعية بالسّرسو، عن طريق التّكثيف وذلك بتوسيع النّسيج بتيارات بإضافة أقسام وكليات بتخصصات جديدة وتوفير مختلف الهياكل الجامعية (الخدمات الجامعية كإقامة الطلبة، مديرية الجامعة، حظيرة النّقل الجامعي، المكتبة المركزية والمسكن الوظيفية لعمال القطاع) مما أدى إلى استهلاك وعاء عقاري كبير جدا على حساب الأراضي الفلاحية للسّرسو وسمح بالتّعمير المكثف بمجمعة تيارت خاصة بالمحور الشّمالي الشّرقي باتجاه مجمعة كرمان عند إنشاء القطب الجامعي الجديد (كرمان)، الذي استحوذ على مساحة عقارية كبيرة جدا فاقت 160 هكتار نصف هذه المساحة تقريبا مبني (حوالي 80 هكتار). هذا التّجهيز سمح بتأمين التّعمير باتجاه مجمعة كرمان، ما قد يؤدي إلى التّحاماها بمجمعة تيارت.



الصورة رقم 10: جامعة بن خلدون حاليا على الوعاء العقاري



الصورة رقم 9: مركز التكوين المهني المتخصص بالشركة الوطنية للسباكة سابقا

كما استحوذت مؤسسة التّعليم العالي بتيارات على العقار الذي كانت تشغله الشركة الوطنية للسباكة-SN) Métal، (الصورة رقم 9) حيث كان يوجد مركز تكوين مهني بالوحدة. قرار استرجاع هذا التّجهيز أدى إلى إنشاء كليات ملحقة للجامعة بهذا الموقع غير المدروس بمنطقة صناعية أي بمنطقة معرضة للأخطار (صورة رقم 10).

استرجاع الأوعية العقارية وإعادة توجيهها بغرض التّعمير واستغلالها لم يكن منطقيا بسبب تجاهل خصوصية الموقع في منطقة أخطار صناعية هذا من جهة ومن جهة أخرى يبقى السّؤال مطروح، كيف يمكن لنموذج تنمية أن يتحول أو يستحوذ عليه التّكوين الجامعي، وحدث هذا أيضا في عين بوشقيف حيث استحوذت مؤسسة التّعليم العالي على الوعاء العقاري الخاص بمعهد التّكوين التّابع للمنطقة الصناعية عين بوشقيف ليتحول لإقامة جامعية لعشرية كاملة ثم التّراجع على الفكرة وإرجاع معهد التّكوين لوظيفته الأصلية، خاصة بعد عقد الشراكة مع ألمانيا والإمارات لإنشاء شركة مرسيدس بنز.

توسعت أيضا التّجهيزات الجامعية في السّرسو (الصورة 11) عن طرق الإنشاء الجديد، فقد استفادت تيسمسيلت أيضا من مركز جامعي في 2005 مع مختلف الهياكل والخدمات الجامعية سمح للمجموعة بالتّوسع شرقا على مساحة حوالي 66 هكتار قابلة للتّوسع مستقبلا.



الصورة رقم 11: التّجهيزات الجامعية بالسّرسو (مجمعتي تيارت وتيسمسيلت)

إنشاء مؤسسات التّعليم العالي وما ترتب عليها من هياكل إيواء وإطعام (تيارت لوحدها تضم ستة أحياء جامعية) وأيضا برامج سكنية لعمال القطاع، شجع التّعمير بمناطق الإنشاء وحرك الهجرة اليومية اتجاهها، كما نشط أيضا التّشّاط التجاري المتخصص ولاسيما نشاط الإطعام، خدمات الإعلام الآلي والمكتبات والورقات نظرا لكم الهائل من الطلبة والمترددين على هذه المؤسسات التّعليمية. كما ساهمت المعاهد العليا للتّكوين المهني وأيضا مراكز التّكوين والتمهين وملاحقها في استهلاك عقار حضري مهم خاصة بالمجمعات الكبيرة، حيث يضم السّرسو أربع معاهد عليا تتركز اثنين منها في تيارت وآخرين في كل من مهدية وتيسمسيلت، أما مراكز التّكوين المهني والتمهين فيوجد ثمان مراكز وملحقتين (أربعة بتيارت، اثنين بتيسمسيلت، واحد بحمادية وأخر بمهدية، خمستي وأولاد بسام ثلاث ملحقات بكل من تيارت، العيون ومهدية). الهياكل التّعليمية للتّكوين والتمهين ساهمت في تفعيل التّحركات في المنطقة.

2.9 الخدمات الصحية، محرك للتّعمير والحضرية، جعلت تيارت قطب صحي بعيد جهوي

ترتبط الخدمات الصّحية بالتطور العمراني للمدن، فهي بمثابة مؤشر لقياس مدى حضرية المنطقة وتطور المجتمع فيها. تتنوع الخدمات الصّحية في السّرسو وخاصة في المجمعات الكبرى (تيارت، تيسمسيلت ومهدية)، تشمل الهياكل الصحية في تيارت على ما يلي:

- 1- المؤسسة العمومية الاستشفائية يوسف دمرجي بمدينة تيارت،
- 2- المؤسسات الاستشفائية المتخصصة بمدينة تيارت (طب العيون، طب الأسنان، طب الأذن والأنف والحنجرة) ومؤسسة تصفية الكلى ومشروع مؤسسة متخصصة للأمراض السرطانية،
- 3- مؤسسة استشفائية في الصّحة النّفسية والأمراض العقلية ذات بعد جهوي،

4- المؤسسة الاستشفائية المتخصصة في التّوليد وطب الأطفال،

5- المؤسسات العمومية للصّحة الجوارية (10 عيادات صحية + 5 مراكز صحية)

الجدول رقم 4: توزيع الهياكل الصّحية بالسّرسو

البلدية	المؤسسات الاستشفائية المتخصصة	المؤسسات العمومية الاستشفائية	المؤسسات العمومية للصّحة الجوارية	قاعات العلاج
تيارت	8	4	12	5
الدحموني	-	-	1	4
عين بوشقيف	-	-	1	4
ملاكو	-	-	1	1
مهدية	-	1	1	3
السبعين	-	-	-	3
الناظورة	-	-	-	4
عين دزاريت	-	-	-	4
حمادية	-	-	1	2
الرشايقية	-	-	-	2
بوقارة	-	-	1	4
تيسمسيلت	-	1	3	12
خمستي	-	-	1	8
العيون	-	-	1	6
أولاد بسام	-	-	1	4
السّرسو	8	6	24	66
ولاية تيارت	8	8	43	134

المصدر: مديرية البرمجة وتسيير الميزانية لولايتي تيارت وتيسمسيلت (2019)

أهمية مدينتي تيارت وتيسمسيلت على المستوى المحلي والإقليمي نظرا لكونهما مقار ولايات وأيضاً لحجمهما السكاني والديمغرافي الكبيرين، جعلهما تستقطبان الخدمات الصحية (العمومية والخاصة) وبالتالي استقطاب الأطباء المتخصصون، والمستثمرون في مجال الصّحة، وعليه تطورت خارطة الصّحية بمدينة تيارت، وتدعم القطاع الصّحي الخاص بإيجاد العيادات الطبية في مختلف التّخصصات.

الجدول رقم 5: الاستثمار في الصّحة ببلدية تيارت

الموقع	المساحة (م ²)	المشروع
المنطقة الشمالية الشرقية للمدينة	1230	عيادة للتوليد
	1215	عيادة جراحية
	960	عيادة طبية (بوعزة أحمد)
	930	عيادة طبية (حلوز أحمد)
	1340	عيادة لجراحة وطب الأطفال
	1200	عيادة Clinique en kinésiologie

المصدر: مديرية الصّناعة لولاية تيارت

منح قانون الاستثمار الفرصة للاستثمار في المجال الصّحي، وهو ما جعل الاقبال عليه متناميا من طرف الأطباء المتخصصون، خاصة بمدينة تيارت.

الخلاصة:

السّرسو منطقة قديمة النّشأة ترجع إلى ما قبل الفترة الرّومانية، نمت وتطورت وذاع صيته أثناء التّواجد العربي بالمنطقة بقيام الدّولة الرّستمية، إلّا أنّ التّعمير أنداك كان قائما على المدن بشكل خاص ولاسيما تاهرت، بموقعها الذي يتوسط التّل والصحراء ممّا سمح لها بتحقيق السّيادة على المنطقة السّهبية الشّاسعة. غير أنّ مرتكزات التّعمير خلال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر اختلفت وتباينت دوافعها، فاهتمام المستعمر بزراعة الحبوب في السّرسو فتح طريقا نحو تعميره بوتيرة سريعة، وقد كان حينها قائما على التّعمير المصغر، بواسطة إنشاء قرى استعمارية ومراكز عسكرية، متتابعة فيما بينها بالقرب من مصادر المياه والطرق وبمسافات متساوية تقريبا، كما دُعّم المناطق الرّيفية بوحدات إنتاجية تمثلت في المزارع ووحدات إسكان لخدمة الأرض، وأنشأ لهذا الغرض قطاعات التّحسين الرّيفي خدمة للاقتصاد الفرنسي. لطالما كانت الدّوافع الاستعمارية سببا في التّعمير، فقد أنشأ المستعمر محتشدات عسكرية قصد مراقبة السّكان وقطعهم عن بيئتهم الطّبيعية وعلاقتهم بالأرض، وتجريدهم من صفة الفلاحين. استعمل المستعمر الفرنسي عدة آليات لتعمير المراكز الاستعمارية وخاصة التجزئة السّكنية والصّناعية والتّجهيزات الكبرى. بعد الاستقلال استمر السّرسو في التّوسع بآليات جديدة، كانت إرادة الدولة دافعا قويا للتّغيرات المجالية التي حدثت، استمرت فكرة التّعمير المصغر بإنشاء قرى فلاحية اشتراكية مخططة ومجهزة بمختلف التّجهيزات الأولية، وقد شملت عدة أنواع من القرى سواء الجديدة أو المنشأة بالقرب من مراكز قديمة، كانت محصولتها المجالية 12 قرية انتشرت على كامل المجال. شهد السّرسو اندماجا وتكاملا لمختلف أنماط التّعمير التي شهدتها المنطقة بين التّعمير المصغر بواسطة القرى والمزارع الاشتراكية، أو التّحضر المرافق للتّوطن الصّناعي في المنطقة، أو بإنجاز التّجهيزات الكبرى المهيكلة للمجال الحضري كالمناطق الصّناعية، التّجهيزات التّعليمية وملاحقها خاصة التّعليم العالي والتّكوين المهني والتّمهين وأيضا التّجهيزات الصّحية، استفادت المجمعات الحضرية ولاسيما الكبيرة منها من التّوسع المجالي، لعب فيه السّكن دورا مفصليا، كما أنّه لعب نفس الدّور في مختلف المجمعات. توسعت كل مجموعة وكل مزرعة وقرية على حدّ وفق آليات مختلفة أنتجت السّرسو كما هو عليه اليوم، مزيج من التّجمعات مختلفة الأصناف من المراكز الرّئيسية (تيارت، تيسمسيلت)، مراكز دعم لمدينة تيارت مثل عين بوشقيف والدّحموني نظرا لقرب المسافة بينهما، ومراكز للإشراف الإداري مثل مهدية وخميستي.

الفصل الثّاني

السّرسو من البداوة والترحال إلى
التمّدن والاستقرار

مقدمة:

السّرسو إقليم محدد جغرافياً، كان يتميز بقلّة سكانه (faible peuplement) باستثناء المناطق الحضرية مثل تاهرت عاصمة الدّولة الرّستمية. جمعته علاقات تبادلية مع الدّول الأخرى في فترة الرّستمين، كالعلاقات التّقافية بين تاهرت والبصرة القريبة من بغداد، والعلاقات التّجارية والتّقافية مع مصر أي مع الدّولة العباسية. حثّمت طبيعة امتداد الدّولة الرّستمية إلى طرابلس أن تكون مصرَ منفذاً للقوافل الرّستمية المتجهة إلى المشرق الإسلامي، كما كانت لها علاقات مع الأدارسة في الغرب وعلاقات تقافية وتجارية نشيطة مع سجماسة في الجنوب الغربي، كونها منطقة عبور بالنّسبة لتجارة الذهب نحو غانا، إضافة إلى العلاقة مع السّودان وأيضاً مع الأمويين في الأندلس. أدّت هذه العلاقات المتعددة إلى تنشيط المنطقة وأكسبتها ديناميكية خاصة، فامتد عمرانها وقويت تجارتها.

شهد السّرسو تعميراً مستمراً في كل المراحل والحقب التّاريخية، كان لها الأثر الواضح على تطور السّكان، فقد كان فيما مضى يتميز بنمط حياة بدوية تعيش على الزّراعة وتربية المواشي، ومرتعا أساسياً للبدو الرّحل القادمين من جنوب جبل النّاطور (الأغواط من جبل عمور والعربة) وعرف نمواً سكانياً متزايداً ومتبايناً في كل الفترات التّعميرية التي مرت به إلى يومنا هذا.

تأثر التّنظيم المجالي في السّرسو بمختلف الإصلاحات الإدارية التي شهدتها الجزائر قبل وأثناء وبعد الاحتلال الفرنسي. أثرت كل مرحلة بخصوصياتها، بشكل مباشر على البنية الاجتماعية والتّنظيم المجالي للمنطقة، إلا أنّ الفترة الاستعمارية الطّويلة أفرزت أشكاليات معقدة مسّت مختلف المستويات (السياسية، الاقتصادية والمجالية) وأنتجت فوارقاً اقليمية وأقاليمية وحشة. بعد الاستقلال أعطت الدّولة لنفسها الأولوية في تسيير مشاريع التّنمية الوطنية، باعتبارها قوة سياسية مركزية. يفرض مشروع التّنمية الوطنية سياسة التّوازن الإقليمي ومعالجة التّفاوتات المجالية، مما جعل الدّولة تعتمد على التّقسيم الإداري كآلية للتّنمية، لإعادة تنظيم التّراب الوطني من جهة، وتنمية المراكز المراقبة من جهة أخرى، والعمل على تجهيزها من أجل ضمان خدمة صحيحة للمناطق الرّيفية (Hadeid, 2006).

نتناول في هذا الفصل التّطور السّكاني والتّنظيم الإداري الذي عرفه السّرسو في الفترة الاستعمارية ثم بعد الاستقلال، وانعكاساته على تنظيم البنية الاجتماعية والمجالية، ونظراً لنقص المعطيات المتعلقة بفترة ما قبل الاحتلال الفرنسي سنحاول استعمال مقاربة تاريخية تخص الفترة العربية بالمنطقة (فترة الرّستمين).

1. سكان السّرسو من التّبعر إلى التّجمع والتّحضر.

1.1 توطن استعماري وميلاد أنوية استعمارية

أنشأ الاستعمار الفرنسي بعد قدومه للمنطقة مركزاً استعماريّاً بالقرب من تاهرت (تيارت الحالية) والذي تحول شيئاً فشيئاً إلى مركز سكاني، فاستقطبت منطقة السّرسو المعمرين لما لها من خصوصيات وإمكانات

طبيعية فتصريحات بجيجا (Bugéja)¹ للصّحافة في بداية الاستعمار الفرنسي بأن مناخ السّرسو شبيه بمناخ الهضبة الوسطى لفرنسا شجع المعمرين للاستقرار به، فقد قارب عدد سكانه في 1884 خمسون ألف نسمة بمختلف الأجناس أغلبهم من الأهالي في حين نجد أن الفرنسيين يتمركزون بشدة في كل من تيارت وملاكو (Pala) كما أن 85% من السّكان يقطنون في الدّواوير أي في الأرياف ويمتهنون الزّراعة. أعلى نسبة لتمركز السّكان سجلت في بني مايدة وبني لنت وأولاد بوغدو، كما نلاحظ أيضا من خلال الجدول رقم 6 أن تيارت يسكنها مختلف الجنسيات.

الجدول رقم 6: توزيع سكان السّرسو حسب المجمعات والأجناس عام 1884

المساحة (هكتار)	عدد السكان						نمط الاستيطان	المجمعات
	المجموع	جنسية أخرى	مغرب تونس	الأهالي (عرب، مزاب، قبائل، يهود)	اليهود	الفرنسيين		
2527	394	31	00	75	57	231	مركز	فيالار ²
3306	257	11	00	34	17	195	مركز	بورباكي (تكرية مركز)
39905	3740	204	00	3424	00	112	دوار بلدية	بني لنت ³
28398	1481	00	00	1481	00	00	دوار بلدية	دوي حسني
47002	4720	1	00	4679	00	40	دوار بلدية	بني مايدة
19277	2923	00	00	2913	00	10	دوار بلدية	بني التّواري
20205	4200	00	00	4200	00	00	دوار بلدية	إبغود (Ighoud)
50200	1834	00	4	1830	00	00	قبيلة	الزّناخرة ⁴ الغور
100800	958	06	02	950	00	00	قبيلة	أولاد أحمد الرّشايقة
130027	2968	00	00	2968	00	00	دوار بلدية	أولاد بسام ⁵ الشّراقة
11700	2370	00	00	2370	00	00	دوار بلدية	أولاد بسام الغرابية
21096	3257	00	25	3232	00	00	دوار بلدية	تاقدمت
24422	3208	00	00	3208	00	00	جزء من دوار بلدية	قرطوفة ⁶
2904	450	53	00	61	03	333	مركز	تريملي (Trumelet)
3530	668	84	22	16	22	524	مركز	بالا (Pala)
5476	933	00	00	933	00	00	دوار بلدية	بوشتو
10585	1810	00	10	1800	00	00	جزء من دوار بلدية	عويسات
7866	1043	00	20	1023	00	00	دوار بلدية	أولاد بوغدو ⁷
24810	3498	00	03	3495	00	00	دوار بلدية	طوريش ⁸

¹ Administrateur principal de Commune Mixte de Tienet et promoteur de la colonisation officielle dans la région.

² Département d'Alger, Arrondissement Miliana « commune mixte Téniet El Had » tableau général des communes de l'Algérie 1901 (décret des 28/12/1901 et 06/09/1902)

³ ضمن تراب بلدية السّبعين حاليا (مجمعة سي الحواس)

⁴ Subdivision Médéa commune indigène Boghar, annexe Chellala (1902)

⁵ Département d'Alger, Arrondissement Orléansville, commune mixte Ouarsenis « tableau général des communes de l'Algérie 1901 (décret des 28/12/1901 et 06/09/1902)

⁶ Département d'Oran Arrondissement Mostaganem « commune mixte Tiaret »

⁷ يقع حاليا ضمن حدود بلدية الدّحموني

⁸ أصبح هذا الدّوار مجمعة ثانوية ضمن إقليم بلدية واد ليلي حسب إحصائيات 1998

تيارت ¹	بلدية الصّلاحيات	597	312	1204	00	1121	3234	4142 هكتار
أولاد خروبي ²	قبيلة	00	00	2610	00	00	2610	78850
السّحاري الشّراقة	قبيلة	00	00	1692	00	00	2610	108700
تيارت مخزن	-	00	00	139	00	00	139	-
مجموع السّرسو		2042	411	44337	86	1557	49305	

المصدر: الإحصاء العام للبلديات كاملة الصّلاحيات، البلديات المختلطة وبلديات الأهالي المديرية العامّة للشؤون المدنية والعسكرية 1884/09/30 (source Gallica.bnf.fr)

تتركز الفرنسيون بالمراكز العمرانية بنسبة أكبر مقارنة ببقية الأجناس ولاسيما بفيالار، تريملي وبالا (ملاكو حاليا) لأنّ إنشاء هذه المراكز بالأراضي الفلاحية الكبرى كان بهدف استعماري بحت، عكس ما هو عليه في بلدية تيارت حيث أن معظم سكانها من الأهالي.

بالرغم من المساحة الشاسعة للسّرسو إلا أنّه كان منطقة ضعيفة التّعمير (قليلة السّكان)، لكن اهتمام الاستعمار بزراعة الحبوب فتح الطّريق نحو تدميرها بطريقة سريعة منذ 1920، فارتفع عدد سكان السّرسو في الفترة (1884-1957)، من 49305 نسمة إلى 83456 نسمة، بمعدل نمو إجمالي قدر بـ 0.72 %، وهو معدل منخفض بسبب السّياسة الاستعمارية المتبعة مع الأهالي، كالقتل والتّشريد إلى الجبال والاستيلاء على الأراضي.

أكبر تركيز للسّكان كان ببلدية تيارت والذي فاق 24 ألف نسمة (الخريطة رقم 7) بمعدل نمو سنوي قدر بـ 3.21 % في الفترة (1884-1957) وهو أعلى معدل سجل بالمنطقة مقارنة ببقية التّجمعات، ويعود ذلك إلى الدّور الإداري والعسكري الذي كانت تلعبه تيارت بصفتها عاصمة المقاطعة الإدارية آنذاك، ونظرا لتوفر مختلف الخدمات والتّجهيزات بها (الجدول رقم 7). فإنشاء المركز الاستعماري بالقرب من المدينة العربية القديمة وتحوله شيئا فشيئا إلى مركز سكاني جعله يستقطب المستوطنين وأيضاً الأهالي، الذين استغلوا الأراضي الفلاحية المجاورة، فانتعشت الوظيفة التّجارية بالمنطقة، ممّا جعل تيارت سوقا كبيرة جاذبة، خاصة وأنها تدعمت بشبكة من الطّرق، جعلت منها مركزا لشبكة اتصالات مهمّة تربط بين الشّمال والجنوب والشرق والغرب.

الجدول رقم 7: توزيع سكان السّرسو عام 1957

المجموعات	عدد السكان غير المسلمين	عدد السكان المسلمين	المجموع
عين بوجهران	19	1491	1510
العويسات	32	1331	1363
أولاد بوغدو	16	3491	3507

¹Tiaret enclavée dans l'arrondissement de Mostaganem, Département d'Oran territoire civil (situation au 30 septembre 1884)

² Département d'Oran, Territoire de commandement, Subdivision de Mascara « commune Indigène Tiaret-Aflou » tableau général des communes de l'Algérie 1901 (Arrêté du 13/11/1874)

1871	1585	286	ملاكو (Palat)
1204	1161	43	سيدي عبد المؤمن (Pomel)
602	500	102	كارمان (Faidherb)
24578	18916	5662	تيارت
3391	3352	39	طوريش Torriche
2174	1797	377	الدّحموني (Trumelet)
40200	33624	6576	مجموع المنطقة الإدارية تيارت¹
6037	5263	774	فيالار
5238	5171	67	بني مايدة
6991	6943	48	أولاد بسام
7780	6681	1099	مهديّة (Burdeau)
941	920	121	سي الحواس (Bourlier)
457	350	107	أولاد بسام (Liébert)
1002	890	112	بوقارة (Hardy)
4154	4079	75	بني لنت
692	546	146	عين دزاريت
4441	4385	56	السّحاري
1147	944	203	حماديّة (Victor Hugo)
38880	36172	2808	مجموع المنطقة الإدارية فيالار²
1471	1275	196	بورباكي (Bourbaki)
5288	5183	105	العيون (Taine)
6759	6458	301	مجموع المنطقة الإدارية ثنية الحد³
3742	3742	0	الزّناخرة
74	0	74	دو فوكو (De Foucauld)
3460	3460	0	الرّشايقة
7276	7202	74	مجموع المنطقة الإدارية عين وسارة Paul Cazelles⁴
93115	83456	9759	مجموع منطقة السّرسو

المصدر: الإحصاء العام للبلديات، المديرية العامة للشؤون المدنية والعسكرية 1957 (Gallica.bnf.fr)

سجل عدد السكان المسلمون في السّرسو ثمانية أضعاف الأوروبيون سنة 1957، وتركزوا بشدة في مقاطعة تيارت تليها فيالار. يقطن الأهالي بالدواوير ولاسيما بدوار بني مايدة، على الرّغم ممّا تعرض له هذا الدّوار من سلب لأراضيه، إلّا أنّ عدد سكانه تزايد في هذه الفترة، حيث حقق معدل التّمّو السنوي 1.23%، يفسر

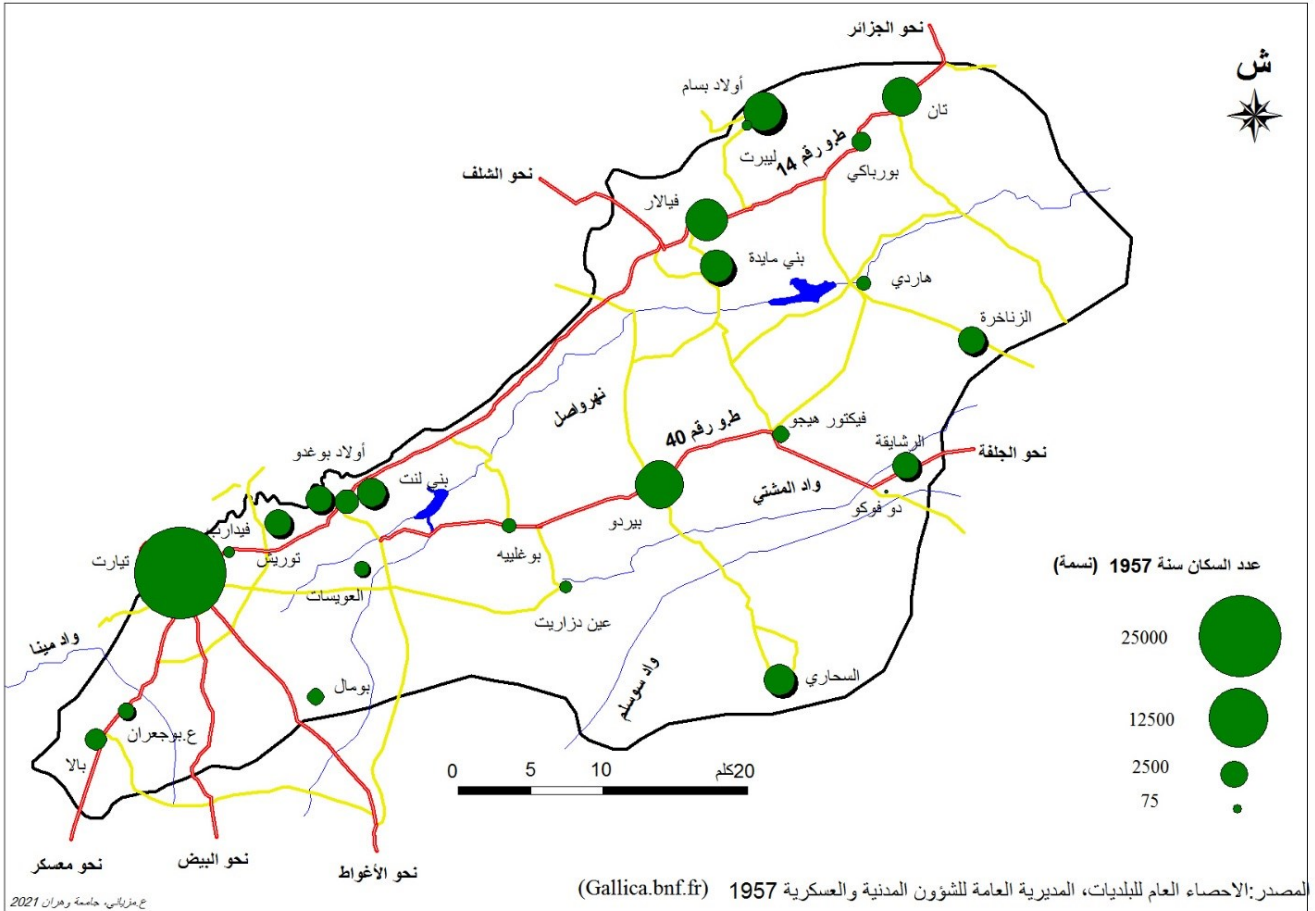
¹ Département Tiaret ; Arrondissement Tiaret

² Département Tiaret ; Arrondissement Vialar

³ Département Orléansville ; Arrondissement Téniet el Had

⁴ Département Media ; Arrondissement Paul Cazelles

هذا الارتفاع بحركة نزوح السّكان من المناطق المجاورة للعمل في مزارع المستعمر خاصّة أولئك القادمون من جبال الونشريس شمالا، وسكان البدو من الجنوب، كما أنّ لتحسن الظروف الحياتية في المراكز الاستعمارية نظرا لما توفره من تجهيزات مختلفة وخاصة الصّحية منها كالمستشفيات في كل من تيارت وبيردو ومستوصف بفيالار (Perrin, 1960) دور في هذه الحركة أيضا.



الخريطة رقم 7: توزيع سكان السّرسو حسب المجمعات عام 1957

بينما سجل المعدل قيمة أقل في المراكز الاستعمارية باستثناء تيارت، ففي فيالار قدر معدل النّمو الإجمالي بـ 1.09% وهو معدل يفوق المتوسط. إلا أنّ باقي المجمعات سجلت قيما سالبة ولاسيما بدوار بني لنت وبني حسني، فقد قامت الإدارة الاستعمارية بإنشاء مركزي بيردو (مهدية) وبوغلييه (سي الحواس حاليا) على أراضي دّوار بني لنت عام 1904 وإنشاء هاردي وفيكتور هيجو بأراضي بني مايدة وهو ما شجع هجرة سكان الدّواوير لهذه المراكز نظرا لما توفره من تجهيزات وفرص عمل.

هذا الارتفاع في عدد السّكان وإن كان يفسر بالزيادة الطّبيعية من جهة فهو يعزى أيضا للهجرة، نظرا لإنشاء شركة سرسو وهران الزراعيّة في الفترة 1908-1909 ثم شركة الاستعمار بجبل الناظور حيث عملت هذه الشّركات على شراء الأراضي من دوار السّحاري على ضفاف واد سوسلم عام 1923 والقيام باستصلاح الأراضي الفلاحية هناك، ممّا شجع الأهالي على الاستيطان، وإنشاء مطحنة بمهدية عام 1954، إضافة إلى ظهور تجمعات ومراكز جديدة في المنطقة نظرا لحركة التّعمير التي شهدتها السّرسو في هذه الفترة بإنشاء المراكز الاستعمارية أوسط المزارع الكبرى على أراضي الأهالي الذين نزحوا للجبال، فقد أنشئت عين دزاريت ووجهت للإسكان عام 1912، وكذلك الأمر بالنّسبة لبوغلييه (سي الحواس) كما تم إنشاء مركز بومال (سي عبد المومن حاليا) جنوب عين بوشقيف من أجل جمع عمال الفلاحة عام 1909، وأخيرا أنشأ مركز فيدارب (كارمان) على أرض ملك للدولة، كانت مستغلة من طرف Smala Tiaret وفي عام 1923 أنشئ مركز دو فوكو (الرشايقة) جنوب هاردي (بوقارة)، لكن التّجربة فشلت ونقل المستوطنون إلى المراكز الأخرى.

توقف السّرسو عن التّمو خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1918 لأنّ أغلب المعمرين انتقلوا، فالنّصريحات الفلاحية توقفت عام 1917 في الوقت الذي كان فيه الحصاد كارثي، حيث سجلت منطقة السّرسو بالكاد ربع محاصيل السّنوات السّابقة، مما استوجب إعادة النّظر في هذا الإشكال والعمل على تحسين الأوضاع سنة 1923 فعادت المنطقة للانتعاش من جديد، واستفادت تيارت من تطوير سهل السّرسو ووصل نفوذها إلى مناطق كثيرة من خلال تطوير الخدمات الإدارية، حيث كانت المدينة مركزا للعديد من التّجهيزات العمومية والهيئات (مصارف، بنوك، مخازن) لا تزال موجودة إلى الآن.

عرفت هذه الفترة أيضا شق الطّرق و ربط المجمععات بمقرات المقاطعات والدوائر مما سهل حركة التّنقلات والاستقرار في بعض الأحيان خاصة بعد الثّورة التّحريرية، حيث كانت الأرياف أكثر تضررا، فقد ارتفع عدد سكان السّرسو في الفترة 1900-1954 حوالي ثلاث أضعاف بينما ارتفع سكان تيارت أربع أضعاف عمّا كان في نفس الفترة حيث تماشى نمو كل من الأوروبيين والمسلمين بنفس الوتيرة إلى غاية 1921 ثم تفوقت وتيرة نمو المسلمين بشكل سريع بينما سجل الأوروبيين انخفاضا لكن بطيء.

يوفر التّل المتخصص في إنتاج الحبوب للبدو الرّحل المراعي الصّيفية، ولاسيما بعد الاتفاق مع قبائل الشّمال للسّماح لها باستخدام القش وبقية المراعي، هذه الحركة تسمى العشابة (Achaba) مشتقة من كلمة العشب الأخضر، لكنها لا تمارس بنفس الطّريقة (Hadeid, 2006).

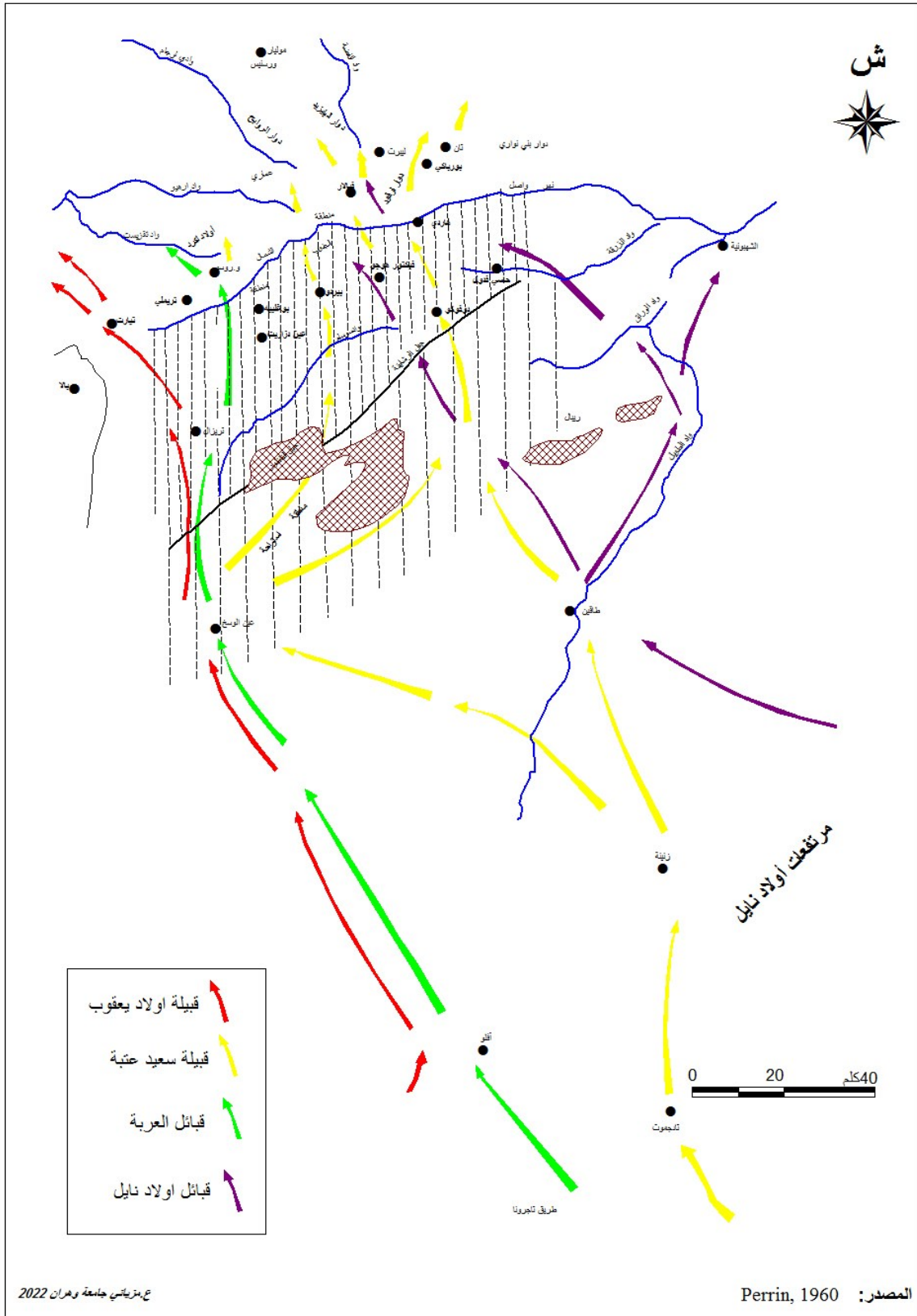
¹⁴ أصدر المحافظ العام رفوال (Revoil) في 13 سبتمبر 1904 مرسوما يقرر فيه إنشاء مراكز استعمارية في سهل السّرسو، إلا أن السّكان القدامى في المشاتي لم يرغبوا في التّركز في أي مجمعة من المجمععات الجديدة، فقد كانت هناك تحركات مهمة فيما بينهم باتجاه القرى الكبرى ذات الخصوصية الحضريّة ولاسيما تيسمسيلت ومهدية

بالنسبة للسّرسو فإن القبائل التي تقضي الصّيف بأراضيه هي العربية وسعيد عتبة وهي قبائل قادمة من الصّحراء (الأغواط وورقلة على التّرتيب)، وقبائل أخرى من أولاد نايل تأتي من الأطلس الصّحراوي من الجلفة وأيضاً أولاد يعقوب (Perrin, 1960)، حيث يجيء عتبة والعربية كل عام في أوائل الصّيف، ويتركون مخيماتهم في فصل الشّتاء إلى أواخر شهر ماي، فيستقرون في الرّوافد الجنوبية للسّرسو في شهر جوان، ويستقر العربية الشّراقة في منطقة تيسمسيلت (فيالار) وخمستي (بورباكي)، أما العربية الغرابية فيستقرون في دوار بني لنت، وهناك قبائل تعبر السّرسو للتخيم في أولاد لكرد والعويسات سنويا دون تغيير المكان، ويكون موعد عودتها في شهر أكتوبر نحو الجنوب (الخريطة رقم 9).

تتعلق هذه الهجرات الموسمية بالرّعي وتربية المواشي، إلا أنّ هناك سنة استثنائية لم يستقبل السّرسو حركة البدو وكان ذلك عام 1882 حيث أمطرت الصّحراء بما فيه الكفاية، فاكتف البدو بالقوافل التّجارية بغرض شراء الحبوب من السّرسو دون نقل القطعان (Perrin, 1960)، إلا أنّ السّرسو لا يعتبر حداً لحركة البدو بل يقطعون نهر واصل إلى غاية الونشريس لشراء القمح الصّلب والشّعير، أما بالنسبة لتيارت فيعبرها قبائل أولاد يعقوب القادمون من جبل عمور وصولاً إلى شمال جبل قزول لشراء الحبوب.

يوجد رحلتين موسميتين في السّرسو، حركة البدو في الشّتاء وأخرى في الصّيف، فالسّرسو يمثل مراعياً لقبائل الجنوب (أولاد نايل والعربية) صيفاً، ومخيماً لسكان المناطق الجبلية شتاءً، تقصده تجنبا لوفيات الحملان والأطفال بسبب البرد القارس، يسلم سكان الونشريس قطعانهم لرعاة السّرسو بداية من شهر نوفمبر وتعتبر هذه الحركة خارجية، كما توجد حركة داخلية مماثلة في نفس الموسم، تقوم بها قبائل بني لنت وبني مايدة مع باقي قبائل السّرسو، فقبيلة بني مايدة تستقبل قطعان قبيلتي الزناخرة والسّحاري الجنوبيتين. الغرض من هذه الحركة الدّاخلية هو الحفاظ على المراعي. كما تستقبل في فصل الصّيف قطعان قبيلة العربية (الأغواط).

إمكانيات السّرسو الرّاعية والمائية وكذا الرّعوية جعلته جاذباً لسكان البدو الرّحل القادمين من السّهوب والصّحراء سواء من أجل التّجارة أو من أجل التّخيم ولاسيما في فصل الصّيف، كما ساهمت في استقرار عدد منهم، ممن يجيئون للعمل الموسمي وخاصة من قبائل أولاد نايل، سعيد عتبة والعربية (الجدول رقم 8) لا تزال المنطقة إلى يومنا هذا تشهد هذه التّحركات ولاسيما في فصل الصّيف (دفاتر الدّخول بمستشفى مهدية)، ممّا جعلها تحوي تراكيب سكانية متعددة وغير متجانسة.



الخريطة رقم 8: تحركات قبائل البدو في السرسو

الجدول رقم 8: الأصل الجغرافي للعمال الموسمين

العدد	اسم القبيلة	الأصل الجغرافي (البلدية، الإقليم)
2 097	أولاد نايل	الجلفة
450	العربية	الأغواط
340	سعيد عتية	ورقلة
246	أولاد سيدي زيّان	بوسعادة
70	اولاد علوش، اولاد ارض	متليلي
60	تملاحت	وارسنيس
60	توات	توات
59	ميقن- وسارة	الشّلالة
40	بيجو	بسكرة
36	واد اللحم	سيدي عيسى
8	-	الأخضرية (Palestro)
6	-	السّحاولة (Saoula)
5	أولاد خروبي	جبل الناظور
3 477	-	المجموع

المصدر: Perrin, 1960

2.1 تطور مستمر لسكان السّرسو بعد الاستقلال

شهد السّرسو بعد الاستقلال ارتفاعا في عدد السّكان، بسبب الهجرة الرّيفية نحو المراكز نظرا لتوفر الحظيرة السّكنية الشّاغرة من جهة وأيضا بسبب السّياسات التّنموية التي عرفتها البلاد خلال المخططات الاقتصادية ممّا أحدث تحولات عميقة في المجتمع الجزائري ككل على مختلف الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية لكل مرحلة خصوصيات ونتائج معينة، نحاول دراسة النّمو السّكاني في فترة ما بعد الاستقلال اعتمادا على نتائج الإحصائيات العامّة للسكن والسّكان (1966-2019).

تميّز السّرسو في بداية تعميره بعدد سكانه الضّئيل مقارنة بأهميته وإمكانياته، ولاسيما في السّنوات الأولى بعد الاستقلال، إلّا أنّ هذا لا يفي أن سكانه تطورا بشكل مستمر بوتيرة مرتفعة تتقارب بين الفترات التّعددية المختلفة، بلغت أقصاها في الفترة (1987-1998)، ثم انخفضت بعد ذلك، لكن سرعان ما عادت للارتفاع من جديد في الفترة الأخيرة (2008-2019)، فاقت المعدل الوطني في كل المراحل باستثناء الفترة (1998-2008).

1.2.1 المرحلة الأولى 1966-1977: زيادة محسوسة في النمو الديمغرافي

بلغ معدل نمو سكان السّرسو في هذه الفترة 3.45% يتجاوز قليلا المعدل الوطني (3.21%)، أعلى قيمة سجلت ببلدية تيارت 4.37% (الجدول رقم 9) وكذا بالمراكز الاستعمارية القديمة كمهدية، الدّحموني، تيسمسيلت وملاكو، بسبب الهجرة الرّيفية إليها، نظرا لتوفر الحظيرة السّكنية الشّاغرة إثر خروج الاستعمار، ونظرا لاستقطاب تيارت بفضل إمكانياتها وما تقدمه من فرص حفز الهجرة نحوه، الذي بينما سجلت بلديتي خميستي وأولاد بسام معدلات ضعيفة مقارنة بمعدل السّرسو 1.65%، 1.15% على التّرتيب.

تركزت الزيادة السكانية في هذه الفترة لصالح المجمعات المهمة وخاصة المراكز ذات النّشأة الاستعمارية (الجدول رقم 9) لكن بمجمعاتها الثّانوية، محققة بذلك معدل 9.41% ومراكز البلديات في المرتبة الثّانية بمعدل 3.60% باستثناء بلدية تيارت، أعلى معدل نمو سجل بمنطقتها المبعثرة 9,44%، يمكن القول أنّ استقطاب مدينة تيارت لم يرفع نمو مركزها فقط بل ساهم في نمو منطقتها المبعثرة أيضا.

جدول رقم 9: معدل النّمو حسب نمط الاستيطان حسب بلديات السّرسو

البلديات	نمط الاستيطان	معدل النّمو (%)			
		1977-1966	1987-1977	1998-1987	2008-1998
تيارت	ACL	3,27	5,87	4,00	1,84
	AS	8,10	-1,21	11,11	3,18
	ZE	9,44	2,06	-9,19	-0,66
	المجموع	3,97	5,19	4,00	1,93
ع بوشقيف	ACL			8,64	3,91
	AS			0,05	0,83
	ZE			0,69	-0,17
	المجموع			2,74	1,93
ع دزاريت	ACL	3,73	6,75	2,54	0,76
	AS				
	ZE	-16,11	10,26	-2,46	0,25
	المجموع	-1,04	-0,43	0,52	0,59
الناظورة	ACL			2,41	0,88
	AS			5,94	2,94
	ZE			-1,94	-0,42
	المجموع			0,46	0,73
ملاكو	ACL	3,62	5,12	3,91	1,68
	AS				
	ZE	2,72	-2,67	0,58	0,95
	المجموع	3,02	0,71	2,49	1,41
الدّموني	ACL	3,92	4,55	4,17	1,77
	AS				
	ZE	2,77	-6,28	-1,71	-0,47
	المجموع	3,20	-0,65	2,52	1,59
مهديّة	ACL	4,44	4,63	3,21	0,97
	AS	8,12			
	ZE	1,17	-14,04	-0,03	-0,49
	المجموع	3,35	0,30	2,99	0,89
السّبعين	ACL			1,65	1,03
	AS			4,03	1,02
	ZE			-1,33	0,27
	المجموع			0,82	0,69
الرّشايقة	ACL			3,86	3,28
	AS				
	ZE			3,47	1,69
	المجموع			3,62	2,33

تابع الجدول رقم 9: معدل النّمو حسب نمط الاستيطان حسب بلديات السّرسو

البلديات	نمط الاستيطان	معدل النّمو (%)			
		1977-1966	1987-1977	1998-1987	2008-1998
حمادية	ACL	3,93	7,36	6,69	1,74
	AS	3,58			
	ZE	2,33	-3,39	2,40	-2,42
	المجموع	2,97	-0,31	5,22	0,70
بوقارة	ACL			1,22	8,09
	AS			2,16	
	ZE			1,75	0,83
	المجموع			1,72	0,60
تيسمسيلت	ACL	3,77	4,23	6,29	2,31
	AS			16,33	2,33
	ZE	1,33	6,59	-5,43	-0,39
	المجموع	3,28	4,90	5,18	2,15
العيون	ACL	4,87	5,87	7,01	0,88
	AS		5,21	0,31	-0,43
	ZE	-0,28	-0,17	0,99	-1,21
	المجموع	3,25	2,87	3,24	0,01
خميسي	ACL	2,26	5,26	6,57	1,68
	AS			4,98	16,25
	ZE	1,19	-1,49	-1,30	-11,59
	المجموع	1,57	1,94	3,74	1,30
أولاد بسام	ACL	12,29	0,64	4,32	1,92
	AS				
	ZE	-1,99	-10,37	-0,32	0,28
	المجموع	1,04	-4,95	2,85	1,51
مجموع السّرسو	ACL	3,60	5,97	4,54	1,91
	AS	9,41	5,75	5,78	2,32
	ZE	1,56	-0,32	-0,80	-0,59
	المجموع	3,04	4,12	3,66	1,63

المصدر: الدّيون الوطني للإحصائيات 1966-1977-1987-1998-2008 + معالجة شخصية للمعطيات

شهدت هذه الفترة (1966-1977) نموا سكانيا سريعا للغاية شمال السّرسو بمنطقة الاتصال بجبال الونشريس، حيث وصلت الكثافة السّكانية فيه بل وتجاوزت 64 نسمة/كلم² في برج بونعام (بني هندل سابقا) و 47 نسمة/كلم² في تيسمسيلت و 30 نسمة/كلم² في ثنية الحد، وبالتالي فإن منطقة السّفوح (تيسمسيلت وخميسي) أصبحت جاذبة لسكان الرّيف لممارسة الرّاعة بعيدا عن المناطق المعرضة للأخطار (, Sehli, 1990).

جدول رقم 10: تطور سكان السّرسو حسب البلديات والتّعدادات العامّة للسّكن والسّكان (1966-2019)

معدل التّمو الإجمالي السنوي (%)					2019		2008		1998		1987		1977		1966		البلديات
19-08	08-98	98-87	87-77	77-66	%	عدد السّكان	%	عدد السّكان	%	عدد السّكان	%	عدد السّكان	%	عدد السّكان	%	عدد السّكان	
1,91	1,93	4	5,19	4,37	40,38	248413	41,74	201263	40,42	165899	38,68	106891	35,89	63639	32,18	41109	تيارات
3,82	0,7	5,22	0,31-	3,27	4,07	25059	3,41	16463	3,74	15357	3,13	8652	5,03	8922	5,04	6435	حمادية
2,23	0,59	0,52	3,89-	2,32	1,69	10405	1,69	8 139	1,87	7673	2,62	7247	4,27	7567	6,64	8486	عين دزاريت
2,03	1,41	2,49	0,71	3,32	2,66	16385	2,72	13 107	2,77	11384	3,13	8657	4,55	8066	4,53	5789	ملاكو
0,37	1,59	2,52	0,65-	3,52	3,45	21215	4,23	20 380	4,24	17392	4,77	13183	7,93	14067	7,74	9895	الدّحموني
1,55	0,89	2,99	0,3	3,68	6,38	39222	6,86	33082	7,37	30264	7,88	21783	11,92	21138	11,45	14625	مهديّة
1,58	0,69	0,82			2,08	12805	2,23	10763	2,45	10042	3,32	9178					السّبعين
1,26	2,33	3,62			3,7	22769	4,11	19830	3,83	15709	3,82	10554					الرّشايقة
2,41	0,73	0,46			1,6	9851	1,57	7 559	1,71	7030	2,42	6685					الناظورة
1,64	1,93	2,74			2,93	17995	3,12	15022	3,02	12386	3,32	9161					عين بوشقيف
2,17	0,6	1,72			1,45	8950	1,46	7047	1,62	6637	1,99	5494					بوقارة
3,58	2,15	5,18	4,9	3,61	18,12	111470	15,6	75197	14,78	60639	12,42	34318	11,86	21025	11,47	14660	تيسمسيلت
2,21	0,01	3,24	2,84	3,6	4,26	26228	4,27	20579	5,01	20566	5,21	14401	6,11	10837	5,92	7562	العيون
2,89	1,3	3,74	2,01	1,65	5,11	31461	4,75	22900	4,9	20107	4,82	13324	6,15	10898	7,23	9236	خميسي
1,59	1,51	2,85	4,95-	1,15	2,1	12910	2,25	10839	2,27	9318	2,47	6813	6,31	11182	7,8	9969	أولاد بسام
2,21	1,61	3,6	4,26	3,45	100	615138	100	482170	100	410403	100	276341	100	177341	100	127766	السّرسو
1,91	2.34	2.27	3.85	3.21	معدل التّمو الوطني												

المصدر: الدّيون الوطني للإحصائيات 1966-1977-1987-1998-2008-2019 + معالجة شخصية للمعطيات

2.2.1 المرحلة 1977-1987: زيادة ديمغرافية متسارعة

ارتفع عد السّكان في السّرسو بوتيرة أسرع، وبمعدل أكبر مقارنة بباقي الفترات الإحصائية، فقد انتقل من 177341 نسمة سنة 1977 إلى 276341 نسمة سنة 1987 بمعدل سنوي فاق معدل النّمو الوطني مسجلا بذلك 4.26% وهو أعلى معدل نمو سجل في منطقة السّرسو منذ الاستقلال إلى يومنا هذا. تعتبر هذه الفترة، فترة استرداد وإعادة هيكلة بالنّسبة للجزائر من خلال المبادئ التّوجيهية للخطة الخماسية (1980-1985) التي تهدف إلى إعادة الهيكلة الاقتصادية وتلبية احتياجات الاقتصاد والمواطنين من خلال تحسين ظروف الشّغل، سيطرة أكبر على جهاز الإنتاج والالتزام بتحقيق نتائج أنشطة الأعمال فيما يتعلق بالأهداف المخصصة للإصلاحات وجعل النّظام الموروث يعمل بشكل أفضل والتأثير بشكل خاص على الجوانب التّنظيمية لجميع القطاعات (Kassedellah, 2013). استمرت الدّولة في نفس الرّؤية السّياسية السّابقة لدمج عالم الرّيف في عملية التّمنية الوطنية فيما يخص إصلاح القطاع الزراعي، ويتعلق هذا الأخير بإنشاء مجالات زراعية اشتراكية من خلال دمج ممتلكات للدولة (المجالات ذات الإدارة الذاتية والتعاونيات الإنتاجية للثورة الزراعيّة أو CAPRA).

سمحت الدّولة عام 1983 بالحصول على ملكية الأراضي الزراعيّة، من أجل تعزيز المناطق ذات الكثافة المنخفضة (السّهول العليا وخاصة الصّحراء)، في القطاع الصّناعي، كان هناك تحول في السّياسة الصّناعية. فالنّمو السّكاني في هذه الفترة كان موازيا للنمو العمراني للسّرسو من جهة وأيضا للنمو الاقتصادي، من خلال تحرير وإعادة هيكلة القطاع الزراعي وبناء القرى الفلاحية الاشتراكية الجديدة أو المدمجة ضمن نسيج موجود، باعتبارها مراكز دعم داخل مجالها وإعمارها بسكان ريفيين وتجهيزها. تكتفت الشّبنة العمرانية للسّرسو في هذه الفترة بفعل إرادي للدّولة وذلك بإنجاز اثني عشر قرية فلاحية ولاسيما في الضّفة الجنوبيّة لنهر واصل الذي يهيكل جزء كبير من السّرسو حيث المنطقة منبسطة وغنية بالأراضي الفلاحية المنتجة إضافة إلى سياسة التّصنيع وذلك بجعل تيارت ثاني قطب صناعي بالتّساوي مع سيدي بلعباس بعد وهران في الغرب الجزائري، ضم أربع مركبات كبيرة وصناعات ثقيلة خلقت ما يفوق عشر آلاف منصب عمل، إضافة إلى مناطق النّشاط بمهدية وتيسمسيلت، كما أن سياسة التّعمير والسّكن سمحت بإنشاء بلديات جديدة انطلاقا من مراكز ريفية ولاسيما بعد التّقسيم الإداري سنة 1984 والتّعديل سنة 1991 على غرار عين بوشقيف، السّبعين، الرّشايقة، التّناظورة وبوقارة مما أدى إلى تكثيف الشّبنة الإدارية بالمنطقة، وتعززت المراكز المرقاة الجديدة بإنشاء السّكن، التّجهيزات والبنى التّحتية من خلال مختلف البرامج ومخططات البلدية للتّمنية.

من خلال الجدول رقم 10 أعلاه نجد أن أعلى تركيز سكاني سجل ببلدية تيارت بنسبة تفوق 38%، تليها تيسمسيلت بنسبة 12.42%، بينما تراجع مهدية من 11.45% سنة 1966 إلى 7.88% سنة 1987. يفسر

ذلك بالترقية الإدارية واستحداث بلديات جديدة، كانت تشكل أجزاء من تراب بلدية مهدية تتمثل في بلدية السّبعين. سجلت بلدية تيارت أيضا أعلى معدل نمو في المنطقة قدر بـ 5.19% بسبب الهجرة إليها ممّا أدى إلى توسعها وارتفاع عدد سكان المجوعة الثانوية زعرورة فاندجت ضمن المركز الرئيسي للبلدية، تليها تيسمسيلت بمعدل نمو كبير كذلك قدر بـ 4.90%، بينما لم تسجل مهدية إلا 0.30% فقط، رغم أن مركزها سجل معدلا مرتفعا قدر بـ 4,63%، لأن المنطقة المبعثرة سجلت معدلا سالبًا بقيمة كبيرة جدا (14,04%)، بسبب إنشاء بلدية السبعين سنة 1984، كما نجد بلديات سجلت معدلات نمو سالبة، مثل الدّحموني (-0.65%) بالرغم من أنها سجلت معدل نمو كبير بمركزها، ويفسر ذلك بقربها من بلدية تيارت فهي تعد مغذي بشري لها، كما أن إعادة الخريطة الإدارية لولاية تيارت واستحداث بلدية عين بوشقيف التي استحوذت على جزء من تراب بلدية الدّحموني تسبب في هذا التناقص، وبالنسبة لحمادية أيضا بسبب اقتطاع بوقارة منها ونفس الأمر يتكرر بالنسبة لأولاد بسام مع تيسمسيلت، لكن تبقى البلديات التابعة لولاية تيارت تنمو بمعدل أكبر (5.20%) مقارنة ببلديات ولاية تيسمسيلت (2.44%).

الجدول رقم 11: تطور سّكان السّرسو حسب ولايات المنطقة (1966-2019)

البلديات	معدل النمو %					عدد السّكان					
	19-08	08-98	98-87	87-77	77-66	2019	2008	1998	1987	1977	1966
و. تيارت	1.87	1.62	3.35	5.20	3.57	433069	352655	299773	207485	123399	86339
و. تيسمسيلت	3.10	1.58	4.31	2.44	2.64	182069	129515	110630	68856	53942	41427
السّرسو	2.21	1.61	3.60	4.26	3.45	615138	482170	410403	276341	177341	127766

المصدر: الدّيون الوطني للإحصائيات 1966-1977-1987-1998-2008-2019+ معالجة شخصية للمعطيات

يرتفع معدل النمو الإجمالي بولاية تيارت عن مثيله بولاية تيسمسيلت في كل الفترات الإحصائية (الجدول رقم 11)، ما عدا المرحلة الأخيرة التي تفوقت فيها ولاية تيسمسيلت عن تيارت وبفارق كبير، يعود الاختلاف في معدل النمو في الولايتين، إلى جاذبية ولاية تيارت، نظرا لتاريخها المتنوع من جهة ولما تحمله من مقومات طبيعية واقتصادية من جهة أخرى، واهتمام التخطيط بها بجعلها أحد أقطاب الصناعة في الغرب الجزائري، مما شجع الهجرة نحوها لأنها كانت حوض عمالة مهمة في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات، عكس تيسمسيلت فهي ولاية فتية لم تنفصل إداريا عن تيارت إلا سنة 1984، لكنّها بقيت تابعة لها وظيفيا لسنوات عديدة، غير أنّها في الفترات الأخيرة بدأت تنفصل عنها تدريجيا. تماشى معدل نمو الإجمالي لسكان السّرسو بانسجام مع مثيله بولاية تيارت. تركّز سكان السّرسو في هذه الفترة بمراكز الولايات وهي البلديات الحضرية (باستثناء مهدية التي لم ترحب زيادة سكانية مهمة) فقد كان لها الحظ الأوفر من الزيادة السكانية ولاسيما تيارت بينما انخفض عدد السّكان في البلديات شبه حضرية والتّصف الرّيفية والتي سجلت معدلات نمو سالبة (أولا بسام، حمادية والدّحموني).

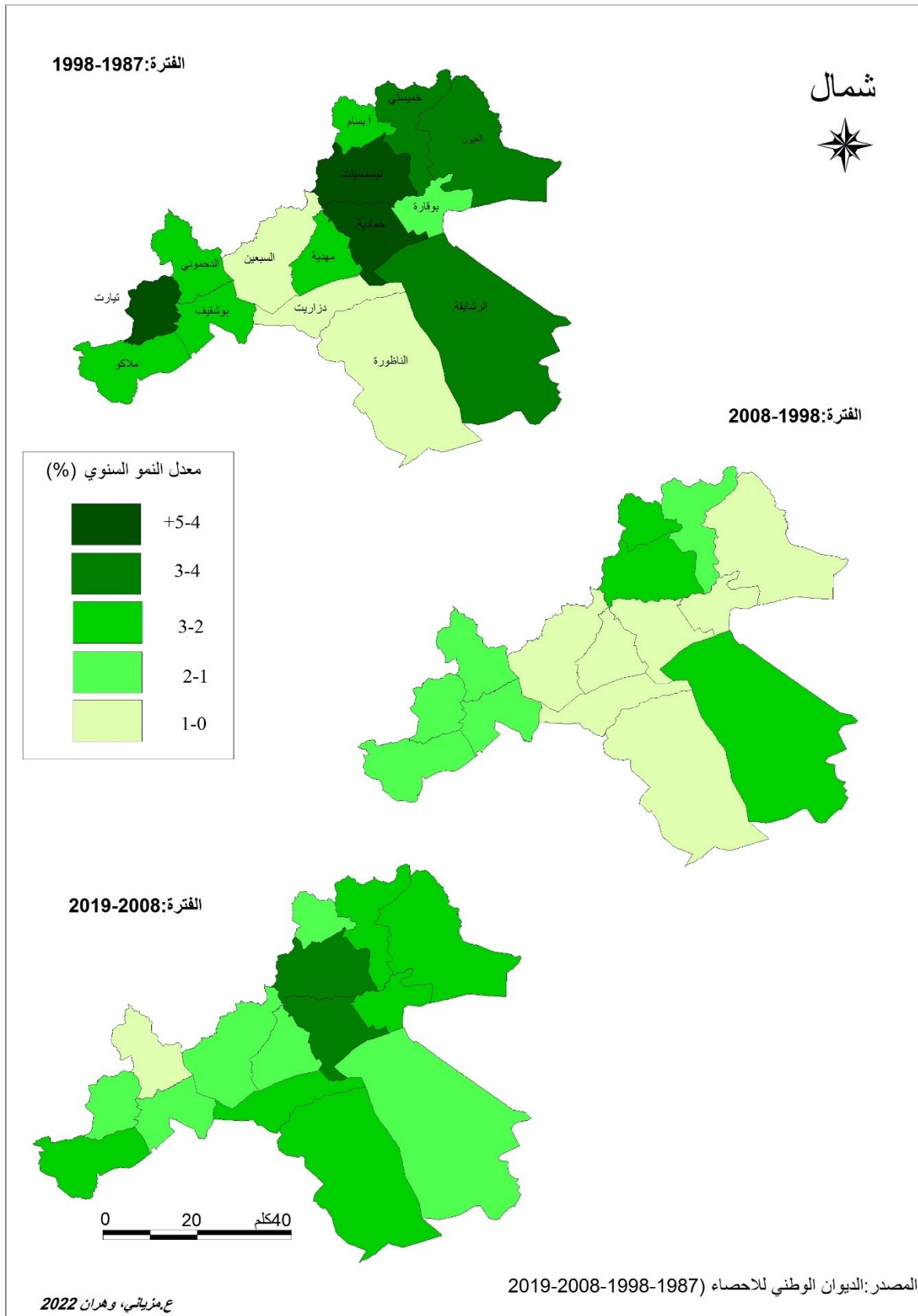
3.2.1 المرحلة الثالثة 1987-1998: تواصل النّمو السّريع

فاق عدد سكان السّرسو 400 ألف نسمة في تعداد 1998، مسجلا بذلك معدل نمو كبير قدر بـ 3,6% رغم أنه انخفض بقليل عن الفترة السّابقة إلا أنه يبقى مرتفعا وفاق المعدل الوطني (2.27%)، وذلك في كل البلديات سواء الحضرية أو الرّيفية، غير أنه سجل معدلا مرتفعا جدا بالنّسبة لسرسو تيسمسيلت فتجاوز بذلك 4.31% في حين لم يسجل بسرسو تيارت إلا 3.35%.

شهدت البلديات التي سجلت معدلا سالبا في الفترة السّابقة ارتفاعا كبيرا في معدل نموها ولاسيما بلدية حمادية التي سجلت أعلى معدل نمو في المنطقة فاق 5.22% في حين كان (-0.31%) في الفترة السّابقة، فقد تضاعف عدد سكان مركزها بالرغم من استحداث بلدية بوقارة التي كانت تابعة لها سابقا، يفسر هذا الارتفاع إلى اسنادها بوظيفة إدارية جديدة، فقد أصبحت حمادية مقر دائرة سنة 1991، تضم البلديات الثلاث (حمادية، بوقارة والرّشايقة) كما أنّ هذه الفترة زامت العشرية السّوداء، التي دفعت بالسّكان إلى مغادرة الأماكن غير الآمنة، والسّرسو وفر الأمن وهو ما جعله مستقطب لسكان المناطق غير الآمنة (الخريطة رقم 9).

ثاني أعلى معدل سجل ببلدية تيسمسيلت وذلك راجع للدور الإداري الذي تلعبه في إقليمها كونها عاصمة ولاية وكذا استفادتها من مشاريع التّمنية في مختلف المجالات مما جعلها حوض هجرة جاذب لكامل الظهير، يتكرر الأمر نفسه بالنّسبة لبلدية تيارت والتي تشهد أكبر تركيز سكاني بها ومعدل نمو مرتفع يقدر بـ 4%، كما تفوق معدل النّمو السّكاني في المجمعات العمرانية الثّانوية بقيمة 5.78% عن نظيره في المناطق المبعثرة والتي سجلت قيمة سالبة (-0.80%)، يفسر ذلك بالفترة الأمنية الحرجة التي عرفت مختلف مناطق الوطن.

حافظت المراكز العمرانية الكبرى والمجمعات الصّغيرة بالسّرسو على ديناميكيّتها الديمغرافية ما بين 1987-1998، مثل تيارت (4%) وتيسمسيلت (6.29%)، حمادية (6.96%) والعيون (7%) وبقيت المنطقة محتفظة بسكانها بل وجاذبة أيضا، نظرا لتركز الأنشطة بمختلف أنواعها (الخدمية، الصّناعية والفلاحية). إذ استفاد السّرسو في هذه الفترة من استثمارات كبيرة في قطاعات متعددة كتهيئة مناطق صناعية وأخرى للنشاطات استقطبت مركبات صناعية ذات بعد وطني ووحدات إنتاجية متوسطة.



الخريطة رقم 9: تطور سكان السّرسو في الفترة 1987-2019

4.2.1 المرحلة الرّابعة 1998-2008: انخفاض وتيرة النّمو وعدم التّوازن بين أنماط الاستيطان

انخفضت وتيرة الزّيادة السّكانية في الفترة 1998-2008، فلم يسجل معدل النّمو إلّا 1.61% في كامل منطقة السّرسو، وهو معدل معتدل لكن أقل بكثير من المعدل الوطني (2.34%). بلغ عدد السكان بذلك 482170 نسمة، أعلى معدل سجل في كل من بلدية الرّشايقة (2.33%) وتيسمسيلت (2.15%) تليهما تيارت وعين بوشقيف (1.93% في كل منهما). انخفض معدل النّمو السنوي رغم ارتفاع معدل الولادات الخام بولاية تيارت (2.47% سنة 1998 إلى 2.70% سنة 2008).

رغم التّراجع في وتيرة النّمو إلّا أنّ الزّيادة السّكانية مسّت كل بلديات السّرسو، لكنها لم تقتصر على نمط معين، وإن كانت واضحة جدا في مراكز الولايات وهذا الأمر ليس استثنائيا نظرا لأهمية المجمعيتين (تيارت وتيسمسيلت) كونهما عاصمتا ولايتين ومركزي قيادة للبلديات التّابعة لهما إداريا، كما انخفضت معدلات النّمو ببعض البلديات الصّغيرة ولاسيما العيون التي سجل فيها معدل النّمو أدنى قيمة له قدرت بـ 0.01% وكذلك الأمر بالنّسبة لعين دزاريت (0.59%)، بوقارة والسّبعين (0.69%). سجلت معدلات النّمو الاجمالي قيما مرتفعة في التّجمعات الثّانوية (2.32%) (الجدول رقم 12)، تلتها مراكز البلديات (1.91%) بينما سجلت المنطقة المبعثرة قيما سالبة (-0.59%)، وهذا ما يدل أنّ جزء من الهجرة كانت باتجاه المجمععات الثّانوية، ففي بلدية تيارت سجل معدل النّمو في المجمععات الثّانوية نسبة مرتفعة قدرت بـ 3.18% ولاسيما في مجمعة كرماني التي شهدت برامج سكنية كبيرة وأصبحت منطقة توسع لمدينة تيارت.

ويرجع السّبب في ذلك إلى الهجرة خارج الولاية حيث سجل رصيدها¹ قيمة سالبة (-116924 في الفترة 1998-2008)، كما سجل صافي الهجرة الخارجية قيمة سالبة أيضا (8953 مغادر في الفترة 1998-2008). نفس الوضع شهده السّرسو فقد سجل رصيد الهجرة خلال هذه الفترة قيمة سالبة (8787 مهاجر) وخاصة بالبلديات الكبيرة (الخريطة رقم 11) بقيم معتبرة خاصة بلدية تيارت (6493 مهاجر)، تيسمسيلت (2773 مهاجر) ومهدية (611 مهاجر) وخميسي (150 مهاجر)، تفسر هذه الهجرة المغادرة بالظروف الاقتصادية الصّعبة التي نتجت عن غلق العديد من المؤسسات الاقتصادية.

¹ الفرق بين الزّيادة الكلية والزّيادة الطّبيعية

الجدول رقم 12: توزيع سكان السّرسو حسب نمط الاستيطان (1966-2008)

البلديات	2008		1998		1987		1977		1966		نمط الاستيطان
	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	
تيارت	88,9	178915	89,72	148850	89,64	95821	83,72	53277	90,42	37169	ACL
	9,96	20042	8,79	14585	4,02	4297	7,62	4850	4,84	1989	AS
	1,15	2306	1,49	2464	6,34	6773	8,66	5512	4,75	1951	ZE
	100	201263	100	165899	100	106891	100	63639	100	41109	المجموع
ع بوشقيف	47,62	7153	39,05	4837	20,41	1870	-	-	-	-	ACL
	35,12	5276	35,01	4336	47,08	4313	-	-	-	-	AS
	17,26	2593,00	25,94	3213	32,51	2978	-	-	-	-	ZE
	100	15022	100	12386	100	9161	-	-	-	-	المجموع
ع دزاريت	67,24	5473	66,11	5073	52,96	3838	25,82	1954	15,27	1296	ACL
	0	0	0	-	0	-	16,15	1222	-	-	AS
	32,76	2666	33,89	2600	47,04	3409	58,08	4391	84,73	7190	ZE
	100	8139	100	7673	100	7247	100	7567	100	8486	المجموع
الناظورة	31,42	2375	30,95	2176	24,97	1669	-	-	-	-	ACL
	24,59	1859	19,72	1386	10,79	721	-	-	-	-	AS
	43,99	3325	49,33	3468	64,25	4295	-	-	-	-	ZE
	100	7559	100	7030	100	6685	-	-	-	-	المجموع
ملاكو	63,61	8337	61,89	7046	52,96	4585	34,06	2747	31,85	1844	ACL
	11,18	1465	0	0	0	0	0	0	0	0	AS
	25,22	3305	38,11	4338	47,04	4072	65,94	5319	68,15	3945	ZE
	100	13107	100	11384	100	8657	100	8066	100	5789	المجموع
الدّموني	79,52	16206	78,09	13581	65,11	8583	38,69	5443	35,76	3538	ACL
	2,64	539	0	0	0	0	0	0	0	0	AS
	17,84	3635	21,91	3811	34,89	4600	61,31	8624	64,24	6357	ZE
	100	20380	100	17392	100	13183	100	14067	100	9895	المجموع
مهديّة	94,9	31396	94,15	28493	91,85	20007	59,55	12588	52,83	7726	ACL
	0	0	0	0	0	0	6,25	1321	3,7	541	AS
	5,1	1686	5,85	1771	8,15	1776	34,2	7229	43,47	6358	ZE
	100	33082	100	30264	100	21783	100	21138	100	14625	المجموع
السّبعين	22,60	2432	21,86	2195	19,95	1831	-	-	-	-	ACL
	43,89	4724	33,52	3366	23,53	2160	-	-	-	-	AS
	33,51	3607	44,62	4481	56,52	5187	-	-	-	-	ZE
	100	10763	100	10042	100	9178					المجموع
الرّشايقّة	42,17	8362	38,34	6023	37,34	3941	-	-	-	-	ACL
	0	0	0	0	0	0	-	-	-	-	AS
	57,83	11468	61,66	9686	62,66	6613	-	-	-	-	ZE
	100	19830	100	15709	100	10554	-	-	-	-	المجموع
حماديّة	78,61	12942	70,8	10873	60,19	5208	27,96	2495	25,16	1619	ACL
	0	0	0	0	0	0	17,85	1593	16,71	1075	AS
	21,39	3521	29,2	4484	39,81	3444	54,18	4834	58,14	3741	ZE
	100	16463	100	15357	100	8652	100	8922	100	6435	المجموع

تابع الجدول رقم 12: توزيع سكان السّرسو حسب نمط الاستيطان (1966-2008)

البلديات	نمط الاستيطان		1966		1977		1987		1998		2008	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
بوقارة	ACL	-	-	-	1992	36,26	2278	34,32	5114	72,57	0	0
	AS	-	-	-	2035	37,04	2580	38,87	1933	27,43	0	0
	ZE	-	-	-	1467	26,7	1779	26,8	7047	100	7047	100
	المجموع	-	-	-	5494	100	6637	100	7047	100	7047	100
تيسمسيلت	ACL	11357	77,47	17203	81,82	26250	76,49	52451	86,5	66084	87,88	66084
	AS	0	0	0	0	684	1,99	4124	6,8	5205	6,92	5205
	ZE	3303	22,53	3822	18,18	7384	21,52	4064	6,7	3908	5,2	3908
	المجموع	14660	100	21025	100	34318	100	60639	100	75197	100	75197
العيون	ACL	1503	19,88	2568	23,7	4620	32,08	9984	48,55	10906	53	10906
	AS	0	0	2381	21,97	4007	27,82	4146	20,16	3972	19,3	3972
	ZE	6059	80,12	5872	54,33	5774	40,09	6436	31,29	5701	27,7	5701
	المجموع	7562	100	10812	100	14401	100	20566	100	20579	100	20579
خميسيتي	ACL	3122	33,8	4003	36,73	6775	50,85	13962	69,44	16508	72,09	16508
	AS	0	0	0	0	542	4,07	937	4,66	1635	7,14	1635
	ZE	6114	66,2	6969	63,27	6007	45,08	5208	25,9	4757	20,77	4757
	المجموع	9236	100	10972	100	13324	100	20107	100	22900	100	22900
أولاد بسام	ACL	1036	10,39	4003	35,8	4267	62,63	6861	73,63	8311	76,68	8311
	AS	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0	0
	ZE	8933	89,61	7179	64,2	2546	37,37	2457	26,37	2528	23,32	2528
	المجموع	9969	100	11182	100	6813	100	9318	100	10839	100	10839
المجموع	ACL	70210	54,95	104327	58,44	189588	70,31	312507	77,47	378139	79,67	378139
	AS	3605	2,82	10145	5,68	18038	6,69	34074	8,45	42954	9,05	42954
	ZE	53951	42,23	64046	35,88	62030	23	56792	14,08	53518	11,28	53518
	المجموع	127766	100	178518	100	269656	100	403373	100	482170	100	482170

المصدر: الديوان الوطني للإحصائيات: 1966-1977-1987-1998-2008

تميزت هذه الفترة بالاستقرار، بعد تحسن الظروف الأمنية، وعودة الرّيفيين إلى مواطنهم وأراضيهم على إثر برامج التّمنية الرّيفية، ولاسيما السّكن الرّيفي خاصة المبعثر الذي استحوذ على أكبر نسبة (90.24%) من مجموع برامج السّكن الرّيفي بالمنطقة، إلا أن بلديات تيسمسيلت استفادت من حصص أكبر من مثيلتها ببلديات تيارت. أكبر حصة كانت من نصيب بلديات خميسيتي (10.97%) العيون (10.30%) تيسمسيلت (10.13%)، تليها الرّشايقة (9.04%) بينما تنخفض بالبلديات المتبقية وخاصة تيارت (2.15%) لأنها بلدية حضرية (لا يمثل سكانها المبعثرون إلا 1.15%). استفادت المجمعات الرّيفية الصّغيرة سواء المراكز أو التّجمعات الثّانوية من نمط السّكن الرّيفي المتجمع الذي أنجز على هيئة تجزئة سكنية، أعلى نسبة سجلت ببلدية العيون بالمجمعة الثّانوية سلمانة (الجدول رقم 13). التّوجه نحو سياسة إعادة التّوازن بين السّكان الرّيفيين والحضرين، والعمل على تحسين ظروف الحياة في المناطق المبعثرة بغرض الحدّ من الهجرة نحو المراكز الحضرية، وتنشيط السّكان بالبرامج التّمنوية وتوفير العمل خاصة في المجال الفلاحي، وكل

ما يرتبط به من نشاطات عن طريق الاستثمار والتّدعيم المالي، وتشجيع عمل المرأة الرّيفية في مؤسسات صغيرة في الرّيف وتسهيل وصول الخدمات إليه بمد الطّرقات للتمكن من تسويق المنتج، سيتمكن لا محالة إذا ما طبق من إعادة نشر السّكان، وهذا ما يفسر ارتفاع معدل النّمو بشكل كبير في المجمعات الثّانوية كما ذكرنا سابقاً.

الجدول رقم 13: السّكن الرّيفي ببلديات السّرسو في الفترة 2002-2016

البلديات	سكن ريفي مبعثر		سكن ريفي مجمع		المجموع	
	العدد	% ³	العدد	% ²	العدد	% ¹
تيارت	305	65,17	163	34,83	468	100
ع بوشقيف	880	89,8	100	10,2	980	100
ع دزاريت	759	92,67	60	7,33	819	100
الناظورة	746	76,43	230	23,57	976	100
ملاكو	772	91,69	70	8,31	842	100
الدّحموني	1048	100	0	0,00	1048	100
مهدية	687	100	0	0,00	687	100
السّبعين	977	94,21	60	5,79	1037	100
الرّشايقة	1280	96,24	50	3,76	1330	100
حمادية	663	86,89	100	13,11	763	100
بوقارة	723	87,85	100	12,15	823	100
مجموع تيارت	8840	90,45	933	9,55	9773	100
تيسمسيلت	1435	95,73	64	4,27	1499	100
العيون	1459	78,48	400	21,52	1859	100
خميسي	1553	92	135	8	1688	100
أولاد بسام	873	100	0	0,00	873	100
مجموع تيسمسيلت	5320	89,88	599	10,12	5919	100
السّرسو	14160	90,24	1532	9,76	15692	100,00

المصدر: مديرية السّكن لولاية تيارت

مديرية التّعمير والهندسة المعمارية والبناء لولاية تيسمسيلت

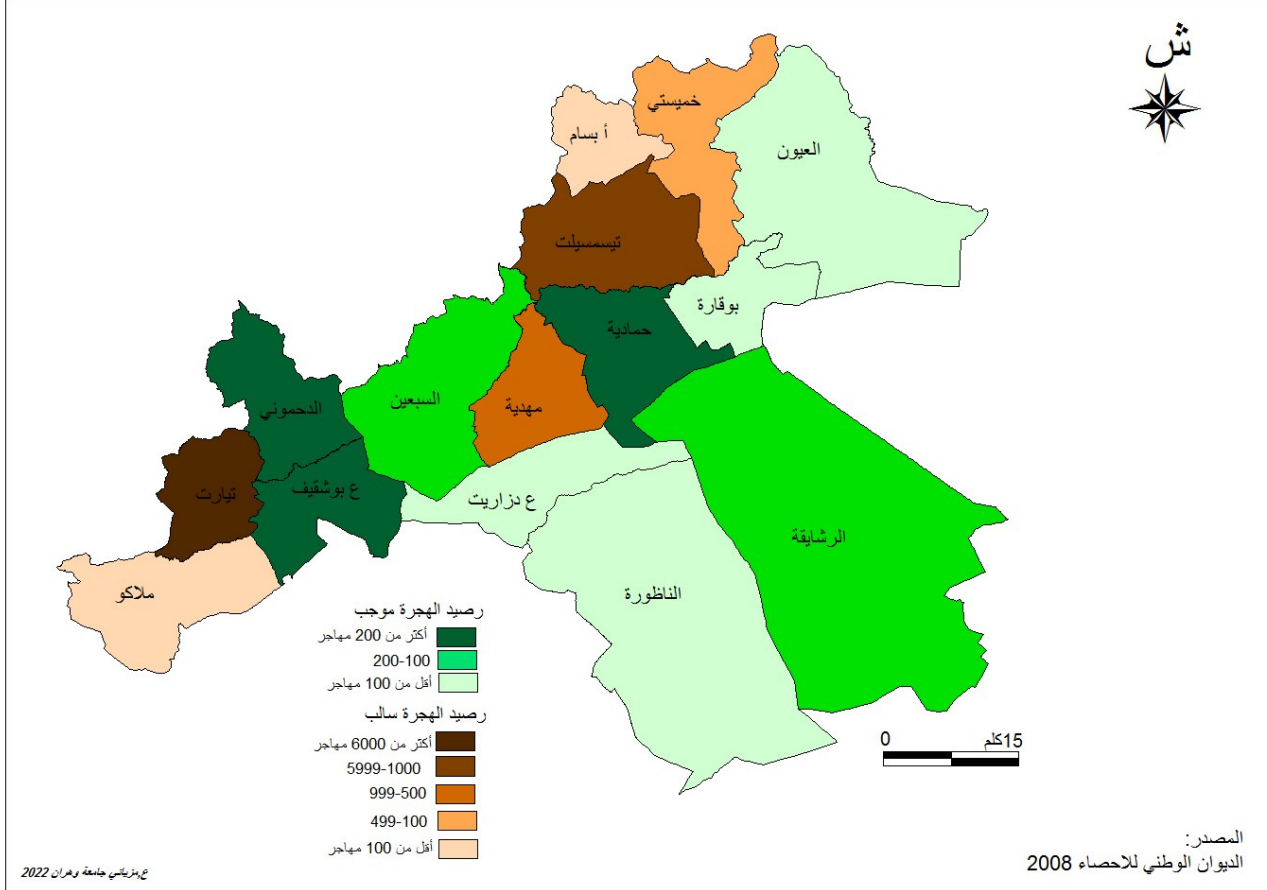
سجل السّرسو رصيد هجرة سالب في الفترة 1998-2008 متماشيا في ذلك مع كل من ولايتي تيارت وتيسمسيلت (الجدول رقم 14)، رغم أن معظم البلديات سجلت رصيذا موجبا خاصة تلك التابعة لسرسو تيارت خاصة الدّحموني، عين بوشقيف وحمادية ثم السّبعين والرّشايقة وأخيرا العيون، عين دزاريت، الناظورة وبوقارة على الترتيب (الخريطة رقم 10)، بينما البلديات الكبيرة ولاسيما تيارت، تيسمسيلت ثم مهدية على الترتيب فهي طاردة للسّكان لأنها سجلت رصيذا سالبا في هذه الفترة (1998-2008)، رغم أنّ

¹ نسبة السّكن الرّيفي في كل بلدية بالنّسبة للمجموع الكلي بالسّرسو

² نسبة السّكن الرّيفي المتجمع في كل بلدية من مجموع السّكن الرّيفي المتجمع في السّرسو

³ نسبة السّكن الرّيفي المبعثر في كل بلدية من مجموع السّكن الرّيفي المبعثر في السّرسو

الرّصيد السّالب انخفض في الفترة 2003-2008، ويفسر ذلك بمختلف السياسات التّنموية التي عرفتھا الجزائر ولاسيما بعد 2002، والتي سمحت بتثبيت السكان في أماكنهم أو عودتهم إليها.



الخريطة رقم 10: رصيد الهجرة ببلديات السّرسو في الفترة 1998-2008

الجدول رقم 14: رصيد الهجرة حسب بلديات السّرسو

البلدية	الفترة 2008-2003			الفترة 2008-1998		
	رصيد الهجرة	عدد المغادرين	عدد الوافدين	رصيد الهجرة	عدد المغادرين	عدد الوافدين
تيارت	-2 242	3 289	1 047	-6 493	9 346	2 853
عين بوشقيف	161	39	199	265	113	378
عين دزاريت	-11	25	14	27	68	95
ملاكو	1	39	40	-14	102	88
الدحموني	42	37	78	291	111	402
مهدية	-137	238	101	-611	836	225
السبعين	80	10	90	162	26	188
الرشايقية	40	135	176	186	300	486
الناظورة	10	13	23	15	43	58
حمادية	59	120	179	263	339	602
بوقارة	-15	34	19	40	110	150
مجموع ولاية تيارت	-2444	6516	4072	-8570	19451	10880
تيسمسيلت	-886	1 405	519	-2 773	4 093	1 320
العيون	-7	89	82	13	286	299

خميسني	149	299	-150	43	89	-46
أولاد بسام	135	142	-7	84	31	53
مجموع ولاية تيسمسيلت	4 027	8 942	-4 916	1 619	2 792	-1 172
مجموع السرسو	7 429	16 216	-8 787	2 695	5 594	-2 899

المصدر: الديوان الوطني للإحصائيات

تعكس منطقة السّرسو وتلخص بصورة ملحوظة السّمات الرّئيسية للسياسة الوطنية للتّمنية، حيث ظهرت في فترة السّبعينات فكرة إدراج البحث في التّمنية الفلاحية في الجزائر لتكون نموذجا من أجل تكثيف زراعة الحبوب في بقية مناطق الهضاب العليا، وجهود التّمنية أيضا بخلق قطب صناعي بتيارت وعين بوشقيف وبالتالي خلق مناصب عمل خارج القطاع الفلاحي وكذا سياسة التّحضر والسّكن ببناء اثني عشر قرية فلاحية نموذجية وإنشاء خمس بلديات انطلاقا من مراكز ريفية قديمة تركزت بإقليم ولاية تيارت. هذه لمحة عن مبادرة الدّولة لتّمنية السّرسو كانت حافزا لوضع السّكان الرّيفيين في ظروف ملائمة بتوفير السّكن والعمل عن طريق تهيئة المجال، إلا أنّ الواقع كان مغاير تماما فديناميكية مختلف الفئات الاجتماعية اتجهت نحو طرق مختلفة غير الفلاحة.

5.2.1 المرحلة (2008-2019): ارتفاع وتيرة النّمو مجددا

ارتفعت وتيرة الزّيادة السّكانية في الفترة الأخيرة (2008-2019) فقد بلغ معدل النّمو السنوي بمنطقة السّرسو (2.21%) وهو أعلى قيمة من مثيله في ولاية تيارت (2.06%) والوطن معا (1.91%)، ويفسر ذلك بالهجرة الوافدة نحو الولاية لأن معدل الولادات في هذه الفترة لم يتغير كثيرا عما كان عليه سابقا (2.78%).

بلغ عدد سكان السّرسو 615138 نسمة سنة 2019، أعلى معدل سجل ببلدية حمادية (3.82%) في حين كان معدل نمو سكانها في الفترة السّابقة لا يتعدى 0.7%، تيسمسيلت (3.58%)، كما سجلت البلديات الرّيفية وشبه حضرية معدلات مرتفعة أيضا حيث كانت وتيرة نموها بطيئة جدا في الفترة السّابقة ولاسيما النّاطورة، أين انتقل معدل النّمو من 0.73% إلى 2.41%)، وارتفع في عين دزاريت إلى 2.23% ممّا كان عنه سابقا (0.59%) وشهدت بلدية العيون أيضا ارتفاعا في معدل نموها الإجمالي الذي انتقل من 0.01% إلى 2.21%. بينما حافظت بلدية تيارت على وتيرة نموها السّابقة، فلم يتغير معدل النمو كثيرا (1.91%).

تميزت الفترة الأخيرة بإعادة إنتاج نمط سكني جديد في الأوساط الرّيفية المتمثل في السّكن الفردي المتجمع في صورة تجزئة سكنية منذ 2012، استفادت منه معظم مجتمعات السّرسو الرّئيسية وكذا التّانوية (الجدول رقم 14)، كما استفادت من مختلف الأنماط والصّيغ السّكنية من خلال البرامج الخماسية الأخيرة (2010-2014)، (2015-2019)، وهو ما سمح بارتفاع وتيرة النّمو مجددا خاصة بالبلديات التي شهدت ركودا في الفترة السّابقة بحيث سجلت معدلات نمو ضعيفة جدا.

استفادت ولاية تيارت من 37826 وحدة بصيغة السّكن الرّيفي، ما يمثل 39.24% من مجموع المشاريع السّكنية (96392 وحدة بمختلف الصّيغ)، تم إنجاز جزء منها بصيغة السّكن الرّيفي المتجمع قدر بـ 3302 وحدة (8.72%) ووقعت اختيارات توطينه في العديد من المجمعات الرّيفية بالسّرسو بشكل عام (933 وحدة أي ما يقابل 28.25% من حصة الولاية) والقرى الاشتراكية بشكل خاص (603 وحدة ما يمثل 64.33% من حصة السّرسو). ساهم السّكن بمختلف أصنافه في تمدد القرى الاشتراكية حيث أنها استحوذت على ما يفوق 24% من مجموع البرنامج السّكنية المختلفة الصّيغ (19991 وحدة) المخصصة لمنطقة السّرسو.

يتزايد تركيز سكان السّرسو في المجمعات الرّئيسية من فترة إلى أخرى فقد سجل نسبة 79.67% سنة 2008، كما يتزايد التّركز أيضا في المجمعات الثّانوية لكن بنسب ضعيفة 9.05%، بينما تراجع التّركز السّكاني بالمناطق المبعثرة فلم يسجل سنة 2008 إلا 11.28% بالمقابل كان 42% سنة 1966، وهذا النّمط من التّركز السّكاني تشهده معظم بلديات السّرسو ولاسيما الحضرية منها، بينما ترتفع نسبة السّكان المقيمون بالمناطق المبعثرة في بلديات الرّشايقة (57.83%)، النّاطورة (43.99%) والسّبعين (42.76%) وهي بلديات زراعية (خاصة السّبعين) ورعوية، تتميز بانتشار السّكن الرّيفي المبعثر بالقرب من المساحات الزراعية وخاصة في أراضي المستصلحة ببلدية الرّشايقة. ممّا يعني أن السّرسو منطقة احتفظت بسكانها الرّيفيين مقارنة بمناطق أخرى هُجرت بسبب الظروف الأمنية في الثّسعينات، ويعود السّبب في ذلك لارتباطهم بالأرض والفلاحة فهي مصدر عيشهم.

2. التّجمع في السّرسو، نمط مختار إرادي

يمثل السّكان الجزائريين المتجمعين 85% من مجموع السّكان عام 2008 في حين لم يكونوا يتجاوزون 57% سنة 1966 (الجدول رقم 15)، هذا النّمط من التّعمير ساهم فيه النّمط السّريع للمراكز الرّيفية الصّغيرة فالإرادة السّياسية للدولة لعبت دورا كبيرا في تجسيد هذه الوضعية منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، رغم أن نمط التّجمع عرف منذ فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر.

الجدول رقم 15: تطور نسبة السّكان المتجمعين حسب بلديات السّرسو

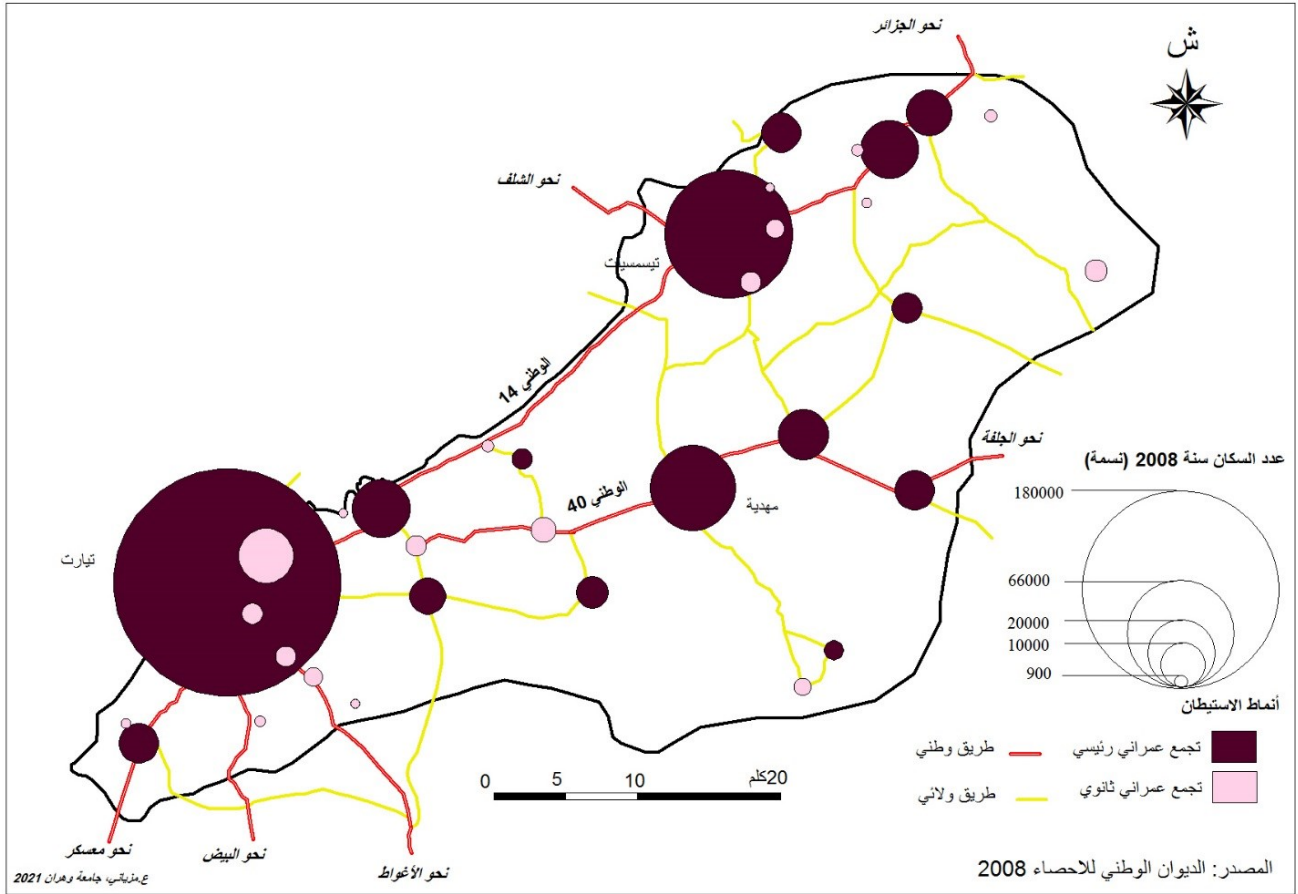
البلديات	1966		1977		1987		1998		2008		2019	
	عدد السكان	%	عدد السكان	%	عدد السكان	%	عدد السكان	%	عدد السكان	%	العدد	%
تيارت	39158	95,25	58 127	91,34	100 118	93,66	163 435	98,51	198 957	98,85	245929	99,00
ع بوشقيف					6 183	67,49	9 173	74,06	11 863	78,97	14211	78,97
ع دزاريت	1296	15,27	3 176	41,97	3 838	52,96	5 073	66,11	5 473	67,24	6996	67,24
النّاطورة					2 390	35,75	3 562	50,67	4 234	56,01	5517	56,00
ملاكو	1844	31,85	2 747	34,06	4 585	52,96	7 046	61,89	8 337	63,61	10407	63,52
الدّموني	3 538	35,76	5443	38,69	8 583	65,11	13 581	78,09	16 745	82,16	17431	82,16
مهديّة	5382	36,80	13 909	65,80	20 007	91,85	28 493	94,15	31 396	94,90	37222	94,90

57,22	7327	57,24	6 161	55,38	5 561	43,48	3 991					السّبعين
42,17	9601	42,17	8 362	38,34	6 023	37,34	3 941					الرّشايقة
78,62	19701	78,61	12 942	70,80	10 873	60,19	5 208	45,82	4 088	41,86	2 694	حمادية
72,57	6495	72,57	5 114	73,20	4 858	73,30	4 027					بوقارة
95,63	106598	94,80	71 289	93,30	56 575	78,48	26 934	81,82	17203	77,47	11357	تيسمسيلت
78,13	20491	72,30	14 878	68,71	14 130	59,91	8 627	45,67	4 949	19,88	1 503	العيون
83,93	26405	92,86	21 265	74,10	14 899	54,92	7 317	36,73	4 003	33,80	3122	خميستي
84,13	10861	76,68	8 311	73,63	6 861	62,63	4 267	35,80	4 003	10,39	1 036	أولاد بسام
88.63	545192	88,21	425 327	85,32	350 143	76,00	210 016	66,34	117 648	57,77	73 815	م. السّرسو

المصدر: الدّيون الوطني للإحصاء 1987-1998-2008
*نسبة السّكان المتجمعين بالنّسبة للمجموع الكلي لسكان كل بلدية

يعبر نمط الاستيطان مجاليا في السّرسو عن خصوصية المنطقة الفلاحية فنجد أن التّجمع كان نمطا مختارا من طرف المستعمر خدمة للاقتصاد الفرنسي باستغلال الأراضي الفلاحية في السّرسو فقد عملت الإدارة الفرنسية على إنشاء المحيطات والمراكز الاستعمارية وسط الأراضي الزراعيّة الكبيرة على غرار مهدية، الدّحموني، بوقارة، الرّشايقة، ملاكو وسي الحواس وكرمان وكذا تيسمسيلت وخميستي متخصصة في إنتاج الحبوب. بعد الاستقلال اتبعت الدّولة الجزائرية ذات المنهج من خلال انجاز مراكز ريفية جديدة أو توسيع أخرى قديمة في إطار سياسة القرى الفلاحية الاشتراكية ثم التّرقية الإدارية للمراكز الرّيفية والصّغيرة سواء إلى مصاف البلديات أو الولايات مما جعل هذه المراكز المراقبة تستفيد من مختلف التّجهيزات والبنى التّحتية وأصبحت مراكز جذب للسّكان.

فتاريخ التّجمع في ولاية تيارت يعود للفترة الاستعمارية فقد سجل السّكان المتجمعون 65.78% عام 1966 واستمرت هذه النّسبة في الارتفاع بينما تأخرت ولاية تيسمسيلت مقارنة بتيارت إلى غاية 1977 مسجلة بذلك 55.90% لكن نسبة التّجمع بها فاقت تلك المسجلة بتيارت عام 2019، ويفسر ذلك بهجرة السّكان نحو مراكز التّجمع الرّئيسي خاصة في الفترة الأمنية الحرجة (الجدول رقم 11).



الخريطة رقم 11: توزيع السّكان في السّرسو حسب نمط الاستيطان سنة 2008

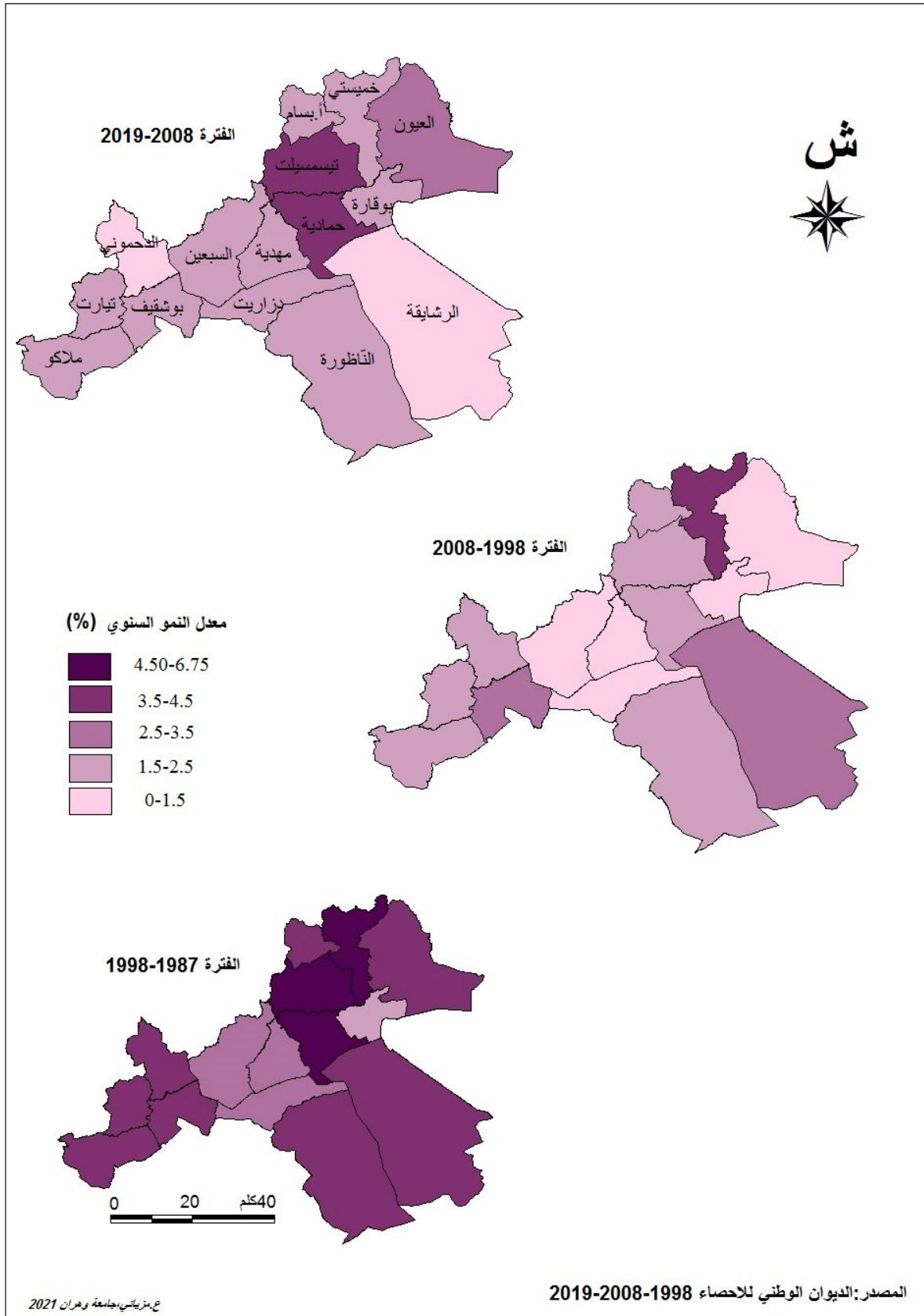
انتقلت نسبة المتجمعون في السّرسو من 55.77% عام 1966 إلى 88.63% سنة 2019، وأصبح يغلب عليه نمط التّجمع، خاصة بالبلديات الحضرية ولاسيما تيارت، تيسمسيلت ومهدية، بينما تقل نسبة التّجمع ببعض البلديات الرّيفية التابعة إداريا لولاية تيارت مثل النّاظورة (53%)، السّبعين (57.22%) وتسجل بلدية الرّشايقة أقل نسبة تجمع (42.17%) سنة 2019، ويفسر ذلك باحتفاظ هذه البلديات بالسّكان الرّيفيين المبعثرين نظرا لارتباطهم بالعمل الفلاحي وارتفاع نسبة الملكية الخاصة للأراضي بها. يتركز متجمعو السّرسو بأعلى نسبة في بلدية تيارت بنسبة 45.11% تليها تيسمسيلت بنسبة 19.55% فقط مع وجود فارق كبير بينهما، بينما تتقاسم باقي البلديات ما تبقى من سكان السّرسو المتجمعون بنسب ضئيلة ومتقاربة في غالب الأحيان، وهذا ما يؤكد أن فكرة التّجمع بالسّرسو ليست وليدة الحاضر إنما تعود جذورها للفترة الاستعمارية.

الجدول رقم 16: معدل نمو السّكان المتجمعون في السّرسو

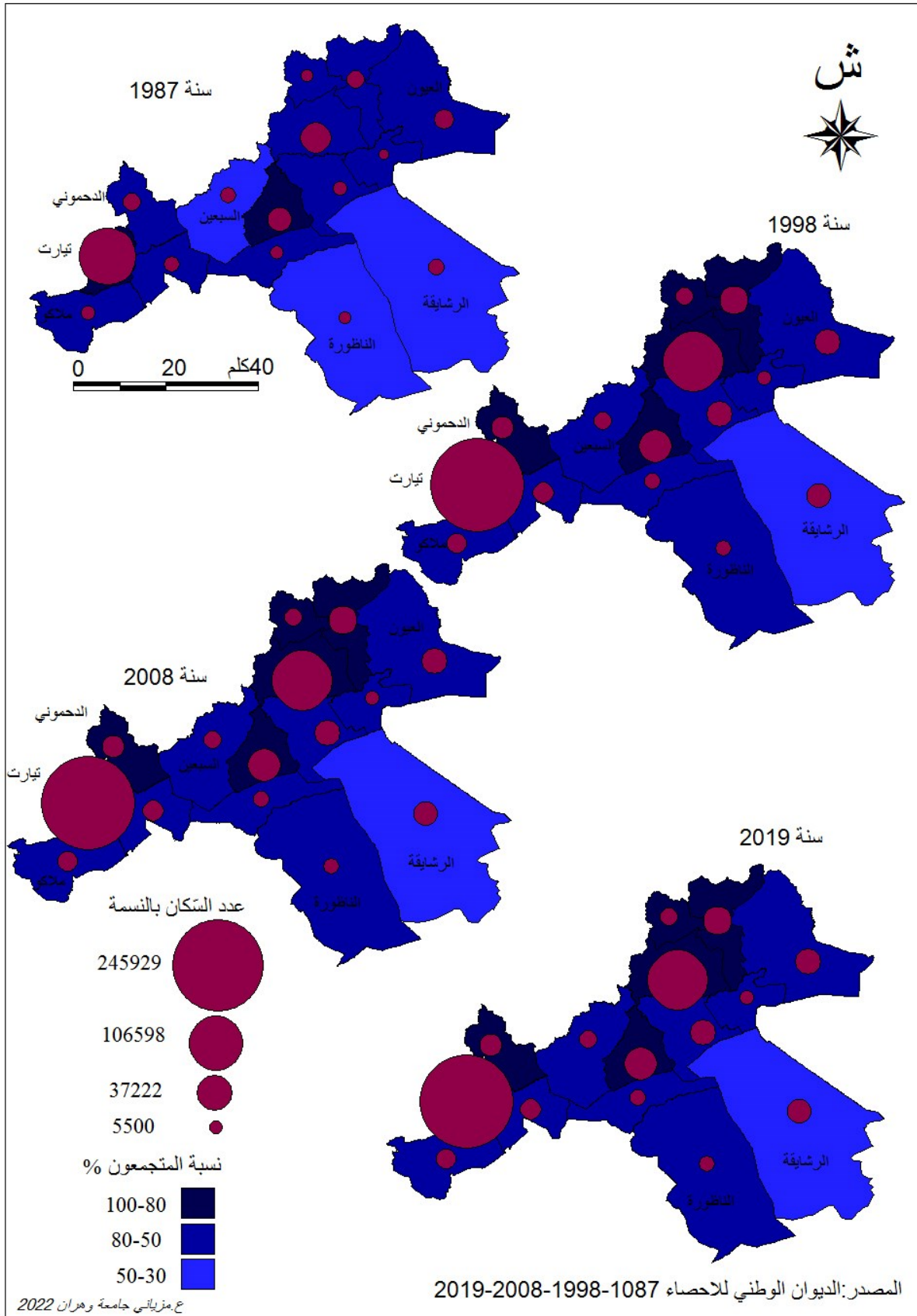
البلديات	معدل النّمو السنوي (%)				
	2019-2008	2008-1998	1998-1987	1987-1977	1977-1966
تيارت	1,93	1,97	4,46	5,44	3,59
ع بوشقيف	1,64	2,57	3,59		
ع دزاريت	2,23	0,76	2,54	1,89	8,15
الناظورة	2,41	1,73	3,63		
ملاكو	2,02	1,68	3,91	5,12	3,62
الدّموني	0,37	2,09	4,17	4,55	3,92
مهدية	1,55	0,97	3,21	3,64	8,63
السّبعين	1,58	1,02	3,02		
الرشايقة	1,26	3,28	3,86		
حمادية	3,82	1,74	6,69	2,42	3,79
بوقارة	2,17	0,51	1,71		
م، ولاية تيارت	1,88	1,84	4,17	6,21	4,40
تيسمسيلت	3,66	2,31	6,75	4,48	3,77
العيون	2,91	0,52	4,49	5,56	10,83
خميستي	1,97	3,56	6,46	6,03	2,26
أولاد بسام	2,43	1,92	4,32	0,64	12,29
م، ولاية تيسمسيلت	3,19	2,25	6,12	4,47	5,20
مجموع المتجمعين بالسّرسو	3,35	1,95	4,65	5,79	4,24
مجموع سكان السّرسو	2,21	1,61	3,60	4,44	2,98

المصدر: الدّيون الوطني للإحصاء 2019-2008-1998-1987-1977-1966

تطور السّكان المتجمعون بمعدلات موجبة في كل الفترات الإحصائية (الجدول رقم 16)، أعلى معدل سجل في الفترة 1987-1977 (5.79%)، خاصة ببلديات ولاية تيارت (6.21%) ثم انخفض تدريجيا إلى غاية 2008-1998 (1.95%) ليعاود الارتفاع من جديد في الفترة الأخيرة (2008-2019) مسجلا 3.35% خاصة ببلديات ولاية تيسمسيلت (3.19%) ولاسيما ببلدية تيسمسيلت (الخريطة رقم 12). تتواصل الزيادة في نسب المتجمعين خاصة بالمجمعات الرّئيسية، ولاسيما الكبيرة منها ممّا يدل أنّ السّرسو منطقة محتفظة بسكانها بل وجاذبة لسكان آخرين (الخريطة رقم 13).



الخريطة رقم 12: معدل النّمو السنوي السّكان المتجمعين حسب بلديات السّرسو في الفترة 1987-2019



الخريطة رقم 13: تطور السّكان المتجمعين حسب بلديات السّرسو في الفترة 1987-2019

3. تراجع السّكان المبعثرين بالسّرسو

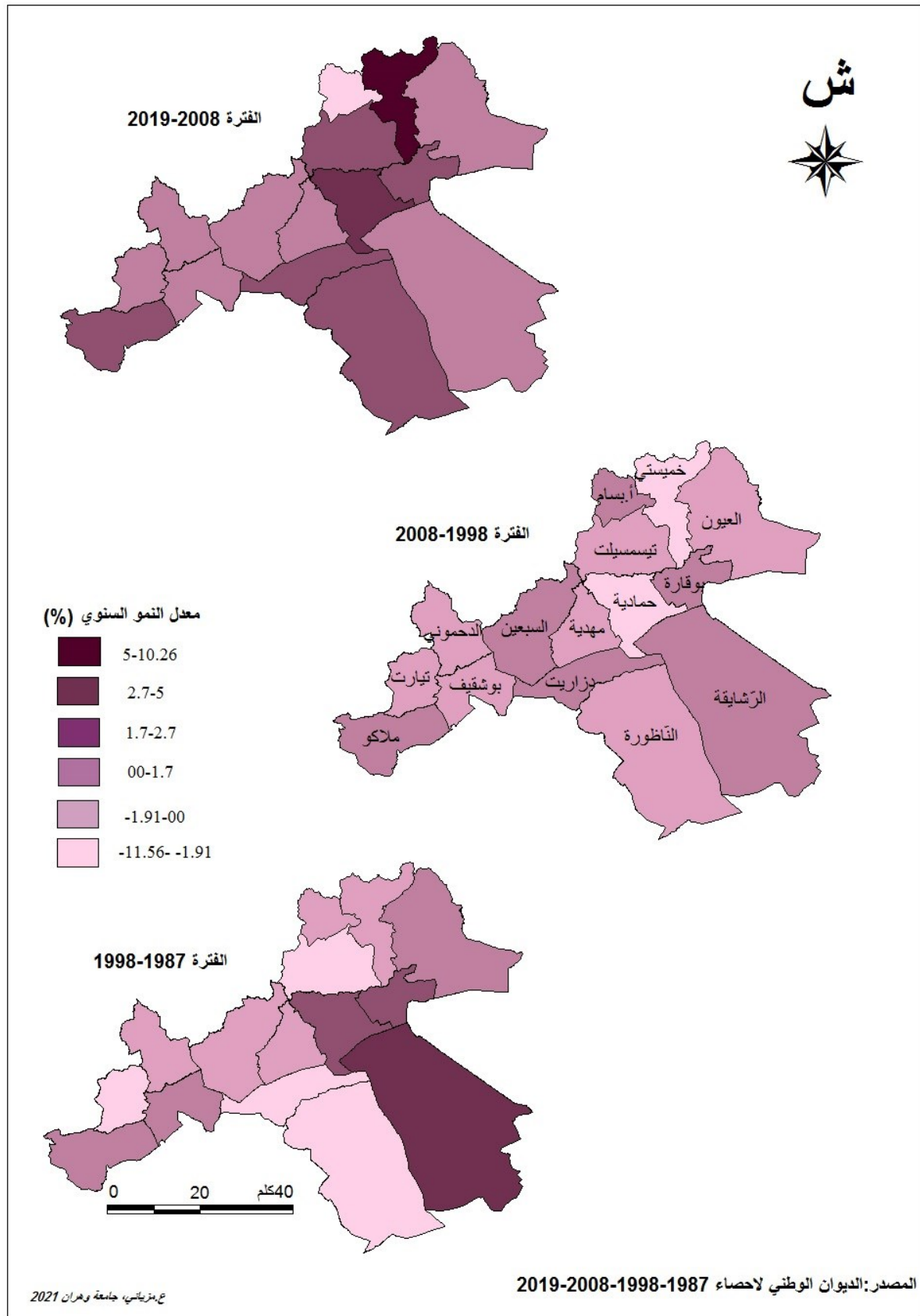
يتناقص السّكان المبعثرون في السّرسو في مختلف التّعدادات السّكانية بداية من عام 1977 (الجدول 17)، فقد انتقل معدل نموهم الاجمالي من 1.56% عام 1966 ليسجل أدنى نسبة قدرت بـ -0,32% سنة 1977. هذا التناقص في عدد المبعثرين كان لصالح المجمعات الثانوية والرئيسية خاصة في الفترة 1977-1987 التي شهدت أعلى معدلات للنمو الاجمالي في المجمعات بصنفيها. شهد معدل نمو المبعثرين أعلى قيمة له ببلدية تيارت تجاوزت 9%، ويرجع السّبب في ذلك إلى إنجاز قرية عين مصباح سنة 1974، حيث صنفت في المنطقة المبعثرة للبلدية.

الجدول رقم 17: معدل نمو السّكان المبعثرون بالسّرسو (1966-2019)

البلديات	معدل النّمو (%)				
	2019-2008	2000-1998	1998-1987	1987-1977	1977-1966
تيارت	0,68	-0,66	-9,19	2,06	9,44
ع بوشقيف	1,64	-0,17	0,69		
ع دزاريت	2,23	0,25	-2,46	-2,53	-4,48
الناظورة	2,41	-0,42	-1,94		
ملاكو	2,05	0,95	0,58	-2,67	2,72
الذّموني	0,37	-0,47	-1,71	-6,28	2,77
مهديّة	1,55	-0,49	-0,03	-14,04	1,17
السّبعين	1,58	0,27	-1,33		
الرّشايقّة	1,26	1,69	3,47		
حماديّة	3,82	-2,42	2,40	-3,39	2,33
بوقارة	2,17	0,83	1,75		
م. ولاية تيارت	1,75	0,23	-0,53	2,17	1,77
تيسمسيلت	2,00	-0,39	-5,43	6,59	1,33
العيون	0,06	-1,21	0,99	-0,17	-0,28
خميسي	10,26	-11,59	-1,30	-1,49	1,19
أولاد بسام	-1,91	0,28	-0,32	-10,37	-1,99
م. ولاية تيسمسيلت	2,29	-2,77	-1,62	-0,94	-0,21
مجموع السّرسو	2,43	-0,59	-0,80	-0,32	1,56

المصدر: الدّيون الوطني للإحصاء 1966-1977-1987-1998-2008-2019 + معالجة شخصية

استمرّ السّكان المبعثرون في التّناقص منذ 1977 إلى غاية 2008 مسجلون بذلك معدلات نمو سالبة (الجدول رقم 17)، إلا أنّ هذا المعدل ارتفع بشكل كبير سنة 2019 مسجلا أعلى قيمة له منذ الاستقلال قدرت بـ 2.43% خاصة ببلدية خميسي، حيث نمت سكانها المبعثرون بمعدل مرتفع جدا تجاوز 10% وتليها بلدية حماديّة بـ 3.82% (الخريطة رقم 14)، يفسر هذا الارتفاع في عدد السّكان المبعثرين بهذه البلديات بتوطن السّكن الرّيفي المبعثر والمشاريع الجوارية للتنمية الرّيفية المدمجة وخاصة فتح وتهيئة مسالك ريفية وفلاحية وإنجاز مصدات الرّياح ومشاريع فلاحية مختلفة.



الخريطة رقم 14: معدل النّمو السنوي السّكان المبعثرون حسب بلديات السّرسو في الفترة 1987-2019

يدل انتشار السّكن الرّيفي المبعثر في السّرسو على أنّ المنطقة احتفظت بسكانها الرّيفيين، بسبب ارتباطهم بالأرض والفلاحة مقارنة بمناطق أخرى هجرها سكانها بسبب الظروف الأمنية في تسعينيات القرن الماضي، فطبوغرافية المنطقة المنبسطة والسّهلة جعلت موقع السّرسو مكشوفاً وبالتّالي آمناً، كما أن الفلاحة هي مصدر عيش هؤلاء السّكان، ولأنهم ملاك الأرض تمسكوا بها أيضاً. تنتشر الملكية الخاصة للأراضي الفلاحية ذات المساحة الواسعة في عدّة بلديات، تنصدها الرّشايقة التي تعد من البلديات التي تمتلك أكبر عدد من المستثمرات الخاصة بالسّرسو وبولاية تيارت أيضاً قدّرت بـ 1191 مستثمرة خاصة، وهذا ما تتميز به بلديتي الدحموني وعين بوشقيف أيضاً. تهدف سياسة السّكن الرّيفي التي تندرج في إطار السياسة الوطنية للتنمية الرّيفية إلى ترقية الفضاءات الرّيفية وتثبيت السّكان المحليين، وترمي إلى مساعدة الأسر في بناء سكنات في محيطهم الرّيفي، وفي هذه الحالة يساهم المستفيد بقطعة أرضية ملكاً له، ويساهم في بنائها ويقوم بكل الأعمال الخاصة بتهيئة السّكن داخلياً. ساهمت الملكية الفردية للأراضي الفلاحية بالسّرسو في نمو الحظيرة السّكنية الرّيفية المبعثرة، كما سمحت المستثمرات الفلاحية الفردية المنتشرة بالمجال لمستغليها من بناء سكن ريفي وإنجاز أي مشروع له علاقة بالنشاط الفلاحي وهو ما يفسر أيضاً انتشار حظائر تربية الحيوانات بالمنطقة.

الجدول رقم 18: تطور المبعثرين حسب بلديات السّرسو (1966-2019)

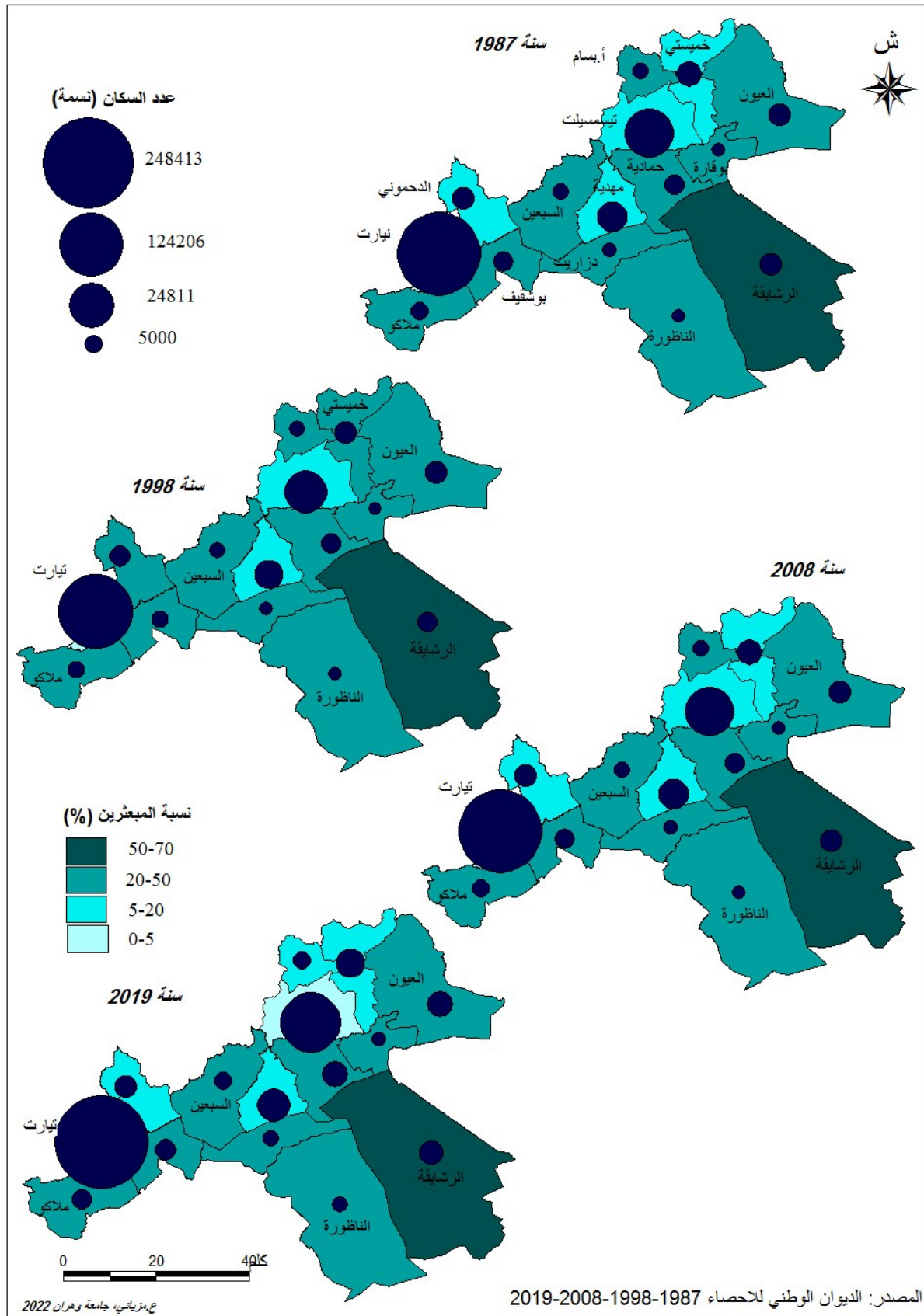
البلديات	1966		1977		1987		1998		2008		2019	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
تيارت	1951	4,75	5512	8,66	6773	6,34	2464	1,49	2306	1,15	2484	1,00
ع بوشقيف					2978	32,51	3213	25,94	3159	21,03	3784	21,03
ع نزاريت	7190	84,73	4391	58,03	3409	47,04	2600	33,89	2666	32,76	3409	32,76
النّاظورة					4295	64,25	3468	49,33	3325	43,99	4334	44,00
ملاكو	3945	68,15	5319	65,94	4072	47,04	4338	38,11	4770	36,39	5978	36,48
الدحموني	6357	64,24	8624	61,31	4600	34,89	3811	21,91	3635	17,84	3784	17,84
مهديّة	6358	43,47	7229	34,20	1776	8,15	1771	5,85	1686	5,10	2000	5,10
السّبعين					5187	56,52	4481	44,62	4602	42,76	5478	42,78
الرّشايقة					6613	62,66	9686	61,66	11468	57,83	13168	57,83
حمادية	3741	58,14	4834	54,18	3444	39,81	4484	29,20	3521	21,39	5358	21,38
بوقارة					1467	26,70	1779	26,80	1933	27,43	2455	27,43
م. ولاية تيارت	29542	34,22	35909	29,10	44614	21,50	42095	14,04	43071	12,21	52232	12,06
تيسمسيلت	3303	22,53	3822	18,18	7384	21,52	4064	6,70	3908	5,20	4872	4,37
العيون	6059	80,12	5888	54,33	5774	40,09	6436	31,29	5701	27,70	5737	21,87
خميسّتي	6114	66,20	6895	63,27	6007	45,08	5208	25,90	1635	7,14	5056	16,07
أولاد بسام	8933	89,61	7179	64,20	2546	37,37	2457	26,37	2528	23,32	2049	15,87
م. ولاية تيسمسيلت	24409	58,92	23784	44,09	21711	31,53	18165	16,42	13772	10,63	17714	9,73
مجموع السّرسو	53951	42,23	59693	33,66	66325	24,00	60260	14,68	56843	11,79	69946	11,37

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء 1966-1977-1987-1998-2008-2019 + معالجة شخصية

انتشر السّكن الرّيفي ولاسيما المبعثر منه على ضفتي نهر واصل وبالقرب وعلى حواف الطّرق، استفادت منه مختلف مناطق السّرسو وخاصة بلدية خميستي بأكبر حصة قدرت بـ 1553 وحدة سكنية في إطار السّكن الرّيفي المبعثر، وتليها الرّشايقة بأكبر حصة مقارنة ببلديات سرسو تيارت (1280 وحدة سكنية)، كما استفادت بلدية حمادية أيضا من برنامج السّكن الرّيفي المتجمع والذي تم توطينه بالمنطقة المبعثرة (دوار سي بن خروبي ودوار عين البيضاء)، أنجزت جل المساكن الرّيفية سواء المبعثرة أو المتجمعة التي استفاد منها السّرسو، لأنّ عملية البناء متابعة من طرف مديرية السّكن، ولا يمكن للمستفيدين من صرف حصص المساعدة المالية إلاّ بإثبات نسبة التّقدم في الأشغال في كل مرحلة، غير أنّ هذا لا يعني بالضرورة أنّ كل المساكن المنجزة مشغولة حقا، فمنها الشاغرة ومنها ما تغيرت وجهتها من سكنية إلى أغراض أخرى كفضاء لتخزين المحصول ، فقد وجدنا من خلال التّحقيق الميداني أنّ بعض المستفيدين من السّكن الرّيفي المبعثر خاصة ببلدية مهدية والسبعين هم ملاك للأرض الفلاحية فعلا أو من الحائزين على عقد الامتياز، لكنّهم يملكون مساكن في الوسط الحضري يقيمون بها، وبقيت المساكن في الرّيف شاغرة وتوجه لإسكان عمال الفلاحة في مواسم جني المحاصيل..

تمثل نسبة المبعثرين (الخريطة رقم 15) قيما عالية في بعض بلديات تيارت الرّيفية على غرار الرّشايقة (57.53%) خاصة بمحيطات الاستصلاح مثل كدية الجراد (592 نسمة)، الرّجل (574 نسمة)، وتمثل نسبة المبعثرين ببلدية السبعين 42.78% وبلدية النّاطورة نسبة 44% وهي مناطق محتفظة بسكانها الرّيفيون وجاذبة أيضا للعمل في الفلاحة، سواء بالعمل المباشر فيها أو عن طريق كراء الأرض لمستثمرين غير محليين.

فرضت سياسة الدّولة التّجمع في السّرسو من خلال هيكلية القطاع الفلاحي سنة 1981 عن طريق إنشاء مزارع فلاحية اشتراكية (DAS) بإلغاء قطاع الثّورة الزراعيّة وتعاونيات قدماء المجاهدين وضمها إلى القطاع المسير ذاتيا، حيث أنّ إنشاء هذه المزارع رافقه تعميرها ببعض السّكنات من النّمط المجمع، منها ما تطورت سكانيا ومجاليا وأصبحت مجمعات عمرانية ثانوية ومنها ما زالت تصنف مبعثرة نظرا لصغر حجمها العمراني وعدد مساكنها. تعتبر بلدية ملاكو أكبر مثال على ذلك، كونها تضم 13 قرية أنجزت في إطار المزارع الاشتراكية، منها 2 فقط صنفتا مجمعات ثانوية (عين قاسمة وسي حميد) سنة 2008.



الخريطة رقم 15: تطور السّكان المبعثرون حسب بلديات السّرسو في الفترة 1987-2019

تطورت المناطق المبعثرة في السّرسو ولاسيما تلك الواقعة على محاور الطّرق مثل، سي بن خروبي (600 نسمة) بالقرب من مجمعة حمادية، دوار السّرسو الجنوبي (633 نسمة) ودوار الخول الغربي (773 نسمة) ببلدية بوقارة، قرية سيدي واضح (566 نسمة)، قرية سي بولنوار (273 نسمة) على الطّريق الوطني رقم 14 وقرية سي جبار (270 نسمة)، مزرعة سي فارس المعروفة باسم قرية بيتر (148 نسمة) على الطّريق الوطني رقم 90 ببلدية ملاكو، وقرية تسلمت (995 نسمة) على الطّريق الوطني رقم 14، رأس السّبعين (222 نسمة) على الطّريق الولائي رقم 4 وهو ما جعل هذه البلديات تضم نسب مرتفعة من السّكان المبعثرين على عكس بلديات أخرى تنخفض بها نسبة التّبعثر وخاصة تيارت (1 % فقط سنة 2019).

4. التّنظيمات الإدارية إحدى أهم آليات إعادة التّشكيل المجالي في السّرسو

عرف المجال الجزائري تغييرات متعددة ومتعاقبة بتعاقب الحضارات التي مرت عليه كنتيجة حتمية لمختلف الظروف السياسية والاقتصادية، حيث تركت بصمات واضحة على التّنظيم المجالي والاجتماعي معاً، "فالبنية المجالية الحالية ليست وليدة الحاضر، وإنما هي نتاج التّنظيمات الإدارية السابقة وبالأخص الموروثة عن الإدارة الفرنسية طيلة فترة الاستعمار" (عشبي، 2010).

التّنظيم المجالي هو توزيع الوظيفة الإدارية بين السّلطات المركزية في الدّولة، وبين الهيئات المنتخبة والمختصة على أساس إقليمي، لتباشر عملها تحت رقابة هذه السّلطة (عزباوي، 2005) والهدف من التّطرق للتّنظيم المجالي للسّرسو عبر الفترات التاريخية المختلفة التي مرت عليه هو محاولة فهم اتجاهات النّمو الحضري بين الماضي والحاضر الذي أخذ أشكالاً متعددة والتّعرف على العلاقات المكانية وتطورها التاريخي وأيضاً القوى المؤثرة في النّمو حسب التّنظيم المجالي في كل حقبة، ولاسيما الفترة الاستعمارية، التي كان لها الأثر الواضح على البنية المجالية.

1.4 التّنظيم الإداري في العهد العثماني.

إن التّواجد العثماني في الجزائر، لم يشمل جميع المجال الوطني. بل اقتصر على مناطق محددة، ذات الكمون العالي والسّواحل، بهدف المراقبة. وهو الأمر الذي لم يؤدي إلى قلب البنية الاجتماعية الداخليّة للمجتمع الجزائري. بل حاول الأتراك التّأقلم معها بشكل سمح لهم بالسيطرة عليها، "فقد اكتفوا بوضع تنظيم إداري مرن بمحاولة التّكيف بما تفرضه الأحوال المختلفة" (مزياني، 2014)، وقد قسم النّظام التّركي شمال الجزائر إلى ثلاث مقاطعات تعرف باسم البايك، يشرف على كل منها جهاز إداري مشكل على نمط التّنظيم القائم في الإدارة التّركية، وكل باييك يشرف على مجال محدد. وكانت هذه الأقاليم بدورها مقسمة إلى قيادات، على رأس كل منها شيخ قبيلة أو زعيم طائفة، حيث تشكل القبيلة الوحدة الأساسية المحلية. وبذلك يكون الجهاز الإداري جهازاً لا مركزياً، لأن علاقة الحكومة برعاياها علاقة غير مباشرة، فقد كانت مكتفية باستعمال الرّعاء المحليين لجمع الضّرائب وفرض الأمن.

كان المخزن هو القائد والمنظم لإقليم الغرب كمظهر لافلت مقارنة بالأقاليم الأخرى، وكان ينقسم إلى ثلاث قيادات، حيث كانت قيادة الشّرق في أعلى نهر الشّلف والكتلة الجبلية المحيطة، وإلى جوار أراضي خليفة الباي، بينما كان باقي الإقليم يتوزع بين الأغوات التّابعين للقبيلتين المخزنتين الدّواير والزّمالة، لكن التّقسيم كان يخضع لتقديرات الرّقابة التي كانت متبادلة بين أغا الدّواير وأغا الزّمالة (مغدوري، 2021).

كان المجتمع الجزائري خلال الحكم العثماني منغلّق على نفسه، ويرتكز على القبيلة التي تتميز بالوحدة والتّضامن من المجموعة الاجتماعية، إذ كانت إدارة البايات أقرب إلى الإدارة العسكرية منها إلى الإدارة المدنية، حيث لم توجه عنايتها لخدمة المواطنين، بل اهتمت أكثر بخدمة الدّاي والحكام العسكريين، وعليه لم تستطع الإدارة العثمانية قلب الهيكل الاجتماعي الداخلي المتمثلة في النّظام القبلي.

2.4 التّنظيم الإداري، وتيرة متباطئة قبل اصلاح سنة 1956

ورثت الجزائر تنظيميا إداريا عن الحكم العثماني، حيث شهدت اتحادات العروش والكنفدراليات القبلية، التي تسمى أغويات (مجموع أغاليك) وكانت تخضع لسلطة الباي (بوحوص، 2021). عند إقامة الأمير عبد القادر للدولة الجزائرية في بداية الاحتلال الفرنسي، تخلى على هذا النّظام غير العادل بإيجاد بديل عنها ضمن دوائر مماثلة، فأنشأ خليفاليك، منها واحدة في التّل أصبحت فيما بعد باش أغاليك التّل تضم منطقة السّرسو، يديرها خليفة، وكل خليفاليك تنقسم إلى مجموعة من الأغاليك¹، حيث تشكل القبيلة الوحدة الأساسية المحلية لها، يديرها أغا² يعين لمدة سنتين، وهي بدورها مجزأة إلى قيادات كل قيادة تمثل عرش أو فرقة يديرها قائد³ يعين لمدة سنة قابلة للتّجديد، بينما تخضع فرق القبائل إلى سلطة الشّيخ (مغدوري، 2021).

اتبعت الإدارة الفرنسية نهج الأمير عبد القادر في التّنظيم الإداري خاصة في بداية الاحتلال، واحتفظت بنظام الرّتب القديم الذي كان موجودا في الفترة العثمانية، بغرض الحصول على اعتراف القبائل الجزائرية بسلطتها المدنية، كما أبقت على الوحدة الإدارية الأغاليك التي تضم مجموعة من القبائل، أما المجموعة المؤلفة من عدة أغاليك فقد شكلت قطبا قياديا تحت قيادة الخليفة، الذي حل محله الباش أغا⁴ وسميت المجموعة بالباش أغاليك بدلا من الخليفاليك، ومنها تشكلت الدّوائر التي تشمل على واحدة أو عدة أغاليك سابقة، وأحيانا تدعى "القيادات" الكبيرة وهي تفرعات قيادية مستوحاة من "الخليفات" التي أسسها الأمير عبد القادر، أما القبائل فقد قسمت إلى دّواير ومشاتي بغرض إضعاف التركيبة الاجتماعية للسّطو على الأراضي..

¹ وحدة إدارية، تمثل قبيلة أو كونفدرالية

² رتبة إدارية، يختص بها المسير لشؤون القبيلة

³ رتبة إدارية، يختص بها المسير الأعلى لشؤون العرش أو الفرقة، وتعرف محليا بالقائد.

⁴ رتبة إدارية، تنشأ عن ترقية الأغا إلى رتبة أعلى.

كان سهل السّرسو ينتمي إلى باش أغاليك التّل ويضم عدة أغاليك منها: أغاليك تيارت، أغاليك أولاد بسام وأغاليك أولاد عياد وتضم قبيلتين (أولاد عياد ودوي حسني) بمجموع سكان قدره 1050 نسمة يقطنون 199 قربي، تنتمي للقسم الفرعي مليانة مقاطعة الجزائر. أغاليك بني مايدة، تضم قبليتي بني مايدة وبني لنت، عدد سكانها 1225 نسمة يسكنون 219 خيمة.

في أواخر شهر أبريل سنة 1845، صدر مرسوم يؤكد، إلحاق الجزائر بفرنسا ويقسمها إلى ثلاث محافظات (قسنطينة، الجزائر ووهران) إضافة إلى المنطقة العسكرية في الجنوب، أما إداريا فقد قسمت إلى مناطق مدنية وأخرى عسكرية، كما يوجد مناطق تجمع بين الوظيفتين وهي المناطق المزدوجة (مطمر، 2003). كما اعتمد الاستعمار، تقسيما مجاليا مهيكلا حول نواة أساسية وهي البلدية. كانت تشكل الوحدة الإدارية الأساسية، لتنظيم وتسيير شؤون البلاد، ويوجد نوعان في الشّمال هما البلديات كاملة الصلاحيات وأخرى مختلطة)، إضافة إلى نوع ثالث في الجنوب وتسمّى البلديات الأهلية.

تم إنشاء البلديات كاملة الصّلاحيات، بمقتضى قانون 15 أبريل 1884، وتسود المناطق التي تقطنها أغلبية أوروبية، يتم انتخاب رئيس البلدية من الأوروبيين ومجلس بلدي ربعه من الجزائريين (ممثّل واحد لكل 1000 مسلم)، صنفت بلدية تيارت في هذا الصّنف وكانت تابعة إلى عمالة وهران ومحافظة مستغانم.

أما البلديات مختلطة التي تم إنشاؤها بموجب مرسوم صادر في 24 نوفمبر و10 ديسمبر 1871 فكانت تتكون في الواقع من تجميع عدد من الدواوير تسود المناطق التي يقل فيها المستوطنون الأوروبيون ويكثر فيها الأهالي، تتميز باتساع مساحتها، يديرها إداري معين من عامل العمالة، الأعضاء الأوروبيين ينتخبون أما الجزائريون فيعينون وهم القيادة. أنشأت بلدية تيارت المختلطة بموجب القرار الصادر في الفاتح ديسمبر 1888 تضم بعض المراكز والدواوير المحلية، كما تضم أيضا أجزاء من خارج السّرسو. أما النوع الثالث الموجود في الجنوب فيعرف بالبلديات الأهلية، يدير شؤونها ضباط عسكريون، بمساعدة القيادة، يعينهم الحاكم العام ولكل قبيلة مجلس جماعة يضم أشخاص من عملاء الاستعمار (مزياني، 2014)، لا يوجد هذا النوع من البلديات في السّرسو.

كما شهد المجال الرّيفي أيضا هيكله ريفية متنوعه خاصة في الفترة الاستعمارية وهي مرحلة حاسمة ذات ميزات خاصة ومعقدة في تاريخ التّنظيم الاقتصادي، الاستصلاح وتهيئة الإقليم هذه الهيكله برزت في مراكز إسكان (قرى استعمارية) ووحدات إنتاجية (مزارع) على أراضي زراعية خصبة لاسيما أراضي السّهول والأحواض. بهذا التّدرج تكون السّياسة الاستعمارية قد أسفرت عن خلق شبكة قرى ومزارع تغطي المجال الرّيفي وتذهب إلى عمق هذا الأخير محاولة منه في احتوائه واستغلاله بأحسن صورة¹.

¹ Congrès de la colonisation rurale. 3, Monographies algériennes : Alger 26- 29 mai 1930

بلغ عدد البلديات في السّرسو سنة 1884 بلديتين فقط، أما بقية أجزائه فقد كانت تنتمي للبلديات من خارج السّرسو كبلديتي ثنية الحد والورسنيس المختلطتين.

1.2.4 من التّقسيم القبلي إلى التّقسيم الجغرافي، تفكيك القبيلة وظهور الدّوار.

تسارعت وتيرة التّعمير في السّرسو في الفترة الاستعمارية اعتماداً على أسلوب التّجميع لإسكان المستوطنين من جهة وتوفير مختلف التّجهيزات لضمان ممارسة حياتهم بشكل طبيعي من جهة أخرى، بينما اقتصر التّعمير المبعثر على المزارع الكبيرة والتي غالباً لا تبعد كثيراً عن التّجمعات السّكانية، هذه التّجمعات الجديدة انتشرت مجالياً تحت تأثير عدة عوامل أهمها القرب من مصادر المياه والأراضي الفلاحية الخصبة والطّرق، لكنها انتظمت إدارياً وفق عدة آليات اعتمدها المستعمر الفرنسي قبل وبعد الثورة التّحريرية، من خلال الإجراءات والقوانين التي أصدرها من أجل تحويل ملكية الأراضي من الأهالي إلى المستعمرين، وبالتالي السيطرة على المجال الذي بدأ بقانون سيناتيس كونسلت لتقسيم الأعراش إلى دواوير سنة 1863، وإنشاء البلديات المختلطة والبلديات ذات الصّلاحيات الكاملة سنة، والتّنظيم الإداري لسنة 1956. كان تنظيم المجتمع الريفي على المستوى الإداري قائماً على القبيلة كوحدة أساسية، لكل منها منطقة رعي خاصة بها معلومة الحدود، لكنها في نفس الوقت محيط قابل للعبور. بالنّسبة لقبائل السّرسو كانت تنظم عملية الرّعي والتّخيم مرتين في السّنة (رحلتي الشّتاء والصّيف). إلا أن القوانين التي صدرت، لتسريع عملية الاستعمار كانت محجفة في حق الأهالي وأحدثت تغييرات داخل المجال والمجتمع، حيث أن عدم مقدرتها في التّصرف في أراضي القبائل وقعت كحاجز أمامها للتوسع وإنجاز مشاريعها المستقبلية على جميع الأصعدة، وبالتالي لجأت لتطبيق سياسة التّجميع لكنها لم تنفع، مما أوجب التّفكير في وسائل أخرى للخروج من هذا المشكل، هذا ما جعل المستعمر يلجأ إلى تأسيس قاعدة تشريعية عقارية من أجل تملك الأراضي. ومن هنا جاء قانون سيناتيس كونسلت (Sénatus Consulte) سنة 1863، حيث قلب النّظام التّقليدي في استغلال الأراضي من طرف القبائل، من الملكية الجماعية إلى الفردية، كما قام بتفكيك القبيلة إلى مجموعة من الدّواوير لها حدود معلومة ومساحة لا تزيد عن 12000 هكتار للدّوار الواحد وعدد سكان لا يقل عن 1000 نسمة. يعتبر هذا القانون من أجراً للقوانين في تاريخ الرّيف والزّراعة الجزائرية، فهو أداة استعمارية جديدة، الهدف منها تشتيت القبائل وجعلها دواوير ذات حدود، للتّمكن من مراقبتها وبالتالي وضع نهاية للنّظام العقاري (ملك، عرش) ليحل محله نظام الملكية الثّامة حسب القانون الفرنسي.

تم تطبيق سيناتيس كونسلت لعام 1863 لأول مرة في سرسو تيارت حيث تم إنشاء عدّة دواوير كالعويسات، أولاد بوغدو، التّوريش، قرطوفة وتاقدمت، تعرف الأرض في المنطقة بالسّابقة. ولأن الدّولة لا يمكنها الحصول على أراضي "الدّومين"، فإن تطبيق قانون وارني سنة 1873 هو الحل البديل عن طريق إنشاء الملكية الفردية بدلاً من الملكية الجماعية للقبائل، كما أن هذا القانون مكن الدّولة من تملك الأراضي الشّاغرة،

فبعض جماعات الدّواوير اشتكت من المصادرة الجماعية لأراضيها. أنشأت الإدارة الفرنسية تعاونيات المواشي بالسّرسو، وقد اوجدت خمسة في السّرسو هي الزناخرة، الرشايقية وفيكاتور هيجو وأخر في بيردو وبورباكي، أنشأت لنفس الغرض وهو مراقبة القبائل والتحكم في الأراضي واقتصاد المنطقة بتنظيم حركة القطعان.

2.2.4 الإصلاح الإداري عام 1956: السّرسو منطقة جغرافية واحدة مجزأة إداريا

كان السّرسو قبل الإصلاح الإداري لسنة 1956 الذي جاء كرد فعل اتجاه الثورة التحريرية، مقسّم لمجموعة من البلديات الكاملة الصلاحيات وعدّها ستة هي تيارت، بورباكي، بيردو، بالا وتريميلي، ومجموعة من البلديات المختلطة مثل جبل الناظور، السّرسو، الورسنيس وثنية الحد، غير أنّ هذه البلديات المختلطة تقع مراكزها خارج السّرسو، فهي تضم بعض أجزاء ضمن أقاليمها فقط.

صدر القانون رقم 56-258 بتاريخ 16 مارس 1956 تصديا للمقاومة الوطنية ومنح صلاحيات خاصة للحكومة في الجزائر ليخول لها تنفيذ برنامج للتوسع الاقتصادي والتّقدم الاجتماعي والإصلاح الإداري، ويمكنها من اتخاذ كافة إجراءات استثنائية من أجل استعادة النّظام، وحماية النّاس والممتلكات والمحافظة على الأراضي، وبالتالي فإنه يمكنها من اتخاذ التّرتيبات اللازمة لإعادة تنظيم المؤسسات الإدارية، بما في ذلك إصلاح المنظمة الإقليمية، وخاصة نظام الصّحراء، من خلال إعادة تنظيم الحكومة المحلية وإصلاح الإدارة المركزية، الحكومة العامّة. فإنشاء مقاطعة تيارت جاء مباشرة من خلال إصلاح التّقسيمات الإقليمية في الجزائر كمحاولة لمعالجة نقص إدارة البلاد.

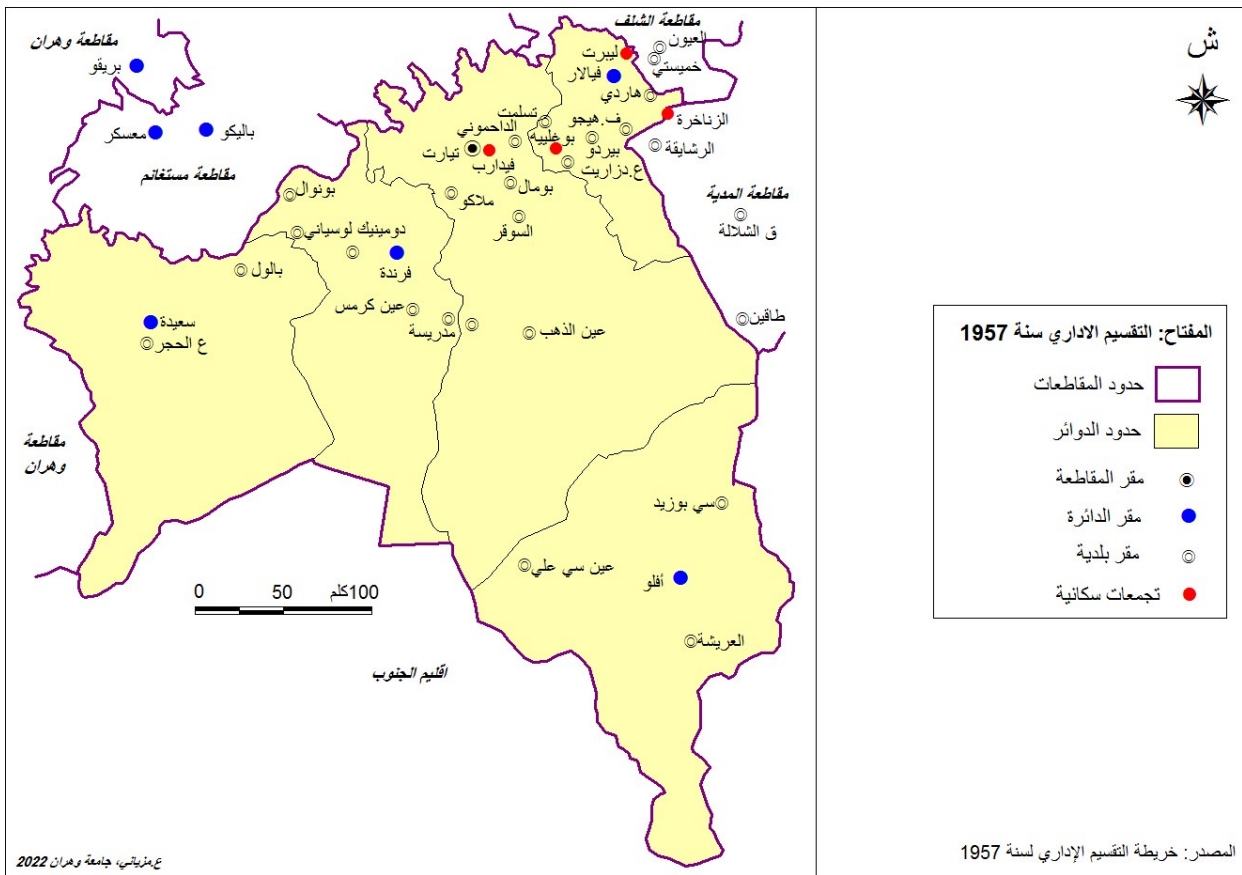
صدر المرسوم رقم 56-641 في 28 يونيو 1956 المتعلق بإعادة تنظيم الأراضي في الجزائر بتقسيم المناطق الشماليّة إلى اثنتي عشرة مقاطعة، نشأت عنه مقاطعة تيارت والتي تضم دائرتين فقط هما تيارت وسعيدة بينما كانت فيالار، خميستي، العيون وأولاد بسام تابعة لشلف، والرّشايقية تابعة للمدية، كما ألغى هذا المرسوم البلديات المختلطة وأصبحت كل البلديات تخضع للقانون البلدي الفرنسي لسنة 1884).

أثناء الإصلاح الإداري لسنة 1957 تم ربط معظم السّرسو الجزائري بمقاطعة تيارت، أصبحت تيسمسيلت دائرة تابعة لمقاطعة تيارت، كما انفصلت دائرة سعيدة عن مقاطعة تيارت سنة 1959 لتصبح مقاطعة قائمة بذاتها، وشهدت سنة 1960 تعديل طفيف في الحدود الإدارية فيما يخص دائرة أفلو. أصبح السّرسو ابتداء من سنة 1957 يضم 19 بلدية تابعة لثلاث مقاطعات مختلفة، منها مقاطعات خارج حدوده.

أصبحت مقاطعة تيارت ابتداء من عام 1959 تضم أربع دوائر هي فرنّدة، أفلو، تيارت وفيالار و74 بلدية، تمتد المقاطعة على 99625 كلم²، تضم 110267 نسمة بكثافة سكانية تقدر بـ 10 نسمة / كلم² الواحد.

¹ المرسوم رقم 59-1282 من 7 نوفمبر 1959

ينتمي جزء من السّرسو لمقاطعة تيارت (الخريطة رقم 16)، لدائرتين هما تيارت تحوي ثمان بلديات هي: عين بوجعران، العويسات، أولاد بوغدو، وهي بلديات في دواوير محلية، وبلدية بالا، بومال، تيارت، تريملي والتوريش. أمّا دائرة فيالار (تيسمسيلت حاليا) فتضم تسع بلديات كاملة الصّلاحيات منها بلديتين قديمين، فيالار وبيردو وعين دزاريت، بني لنت، بني مايدة، هاردي، أولاد بسّام، السّحاري وفكتور هيجو. أما بلديتي تان وبورباكي فكانتا ضمن دائرة ثنية الحد التابعة لمقاطعة الشلف، بينما تنتمي بلدية الرشايقه لدائرة بول غزال (عين وسارة حاليا) التابعة لمقاطعة المدية.



الخريطة رقم 16: التقسيم الإداري سنة 1957

3.4 التّنظيم المجالي للسّرسو بعد الاستقلال: التّرقية الإدارية وجه جديد لتأدية القرى وظائف المدينة بعد الاستقلال حاولت الدولة الجزائرية تصحيح الإرث الاستعماري فيما يخص التقسيم الإداري ومطابقة الخريطة الإدارية لخدمة أهداف التنمية الوطنية وتقريب الإدارة من المواطن، فكان أول إجراء هو رفع عدد الولايات إلى 15 ولاية، 91 دائرة و676 بلدية عام 1963 طبقا للأمر رقم 67-24 المؤرخ في 18/01/1963. إلا أن عدد الولايات ارتفع إلى 31 ولاية، والبلديات إلى 703 بلدية خلال إصلاح التّنظيم الإقليمي عام 1974 ف 48 ولاية عام 1984 كما ارتفع أيضا بالموازاة عدد الدوائر والبلديات الذي أصبح

553 دائرة و1541 بلدية ثم ارتفع عدد الدوائر عام 1991 إلى 742 دائرة بينما حافظت على نفس عدد الولايات والبلديات، إلى غاية الإصلاح الإداري سنة 2010 الذي استحدثت الولايات المنتدبة التي أصبحت ولايات قائمة بذاتها.

أول تنظيم إداري للجزائر المستقلة تم عام 1963 بعد الاستقلال مباشرة، وكان في الواقع تجميعا للبلديات بسبب ضعف الموارد الاقتصادية من جهة والموارد البشرية من جهة أخرى. كان الهدف من هذا التقسيم هو التعامل مع الأمور الأكثر إلحاحا، من خلال تزويد الدولة بالحد الأدنى من الإشراف الإداري. أثرت هذه الاستراتيجية على الأراضي الوطنية بأكملها بما في ذلك السّرسو، حيث تقلص عدد البلديات إلى عشرة فقط، تم دمج كل من بومال وعين بوشقيف (العويسات) مع الدّحموني، وهاردي مع فيكتور هيجو التي أصبحت حمادية، ودو فوكو (الرّشايقة) والزناخرة مع قصر الشّلال، وتقدمت مع ملاكو، وبني لنت مع مهدية (بيردو سابقا).

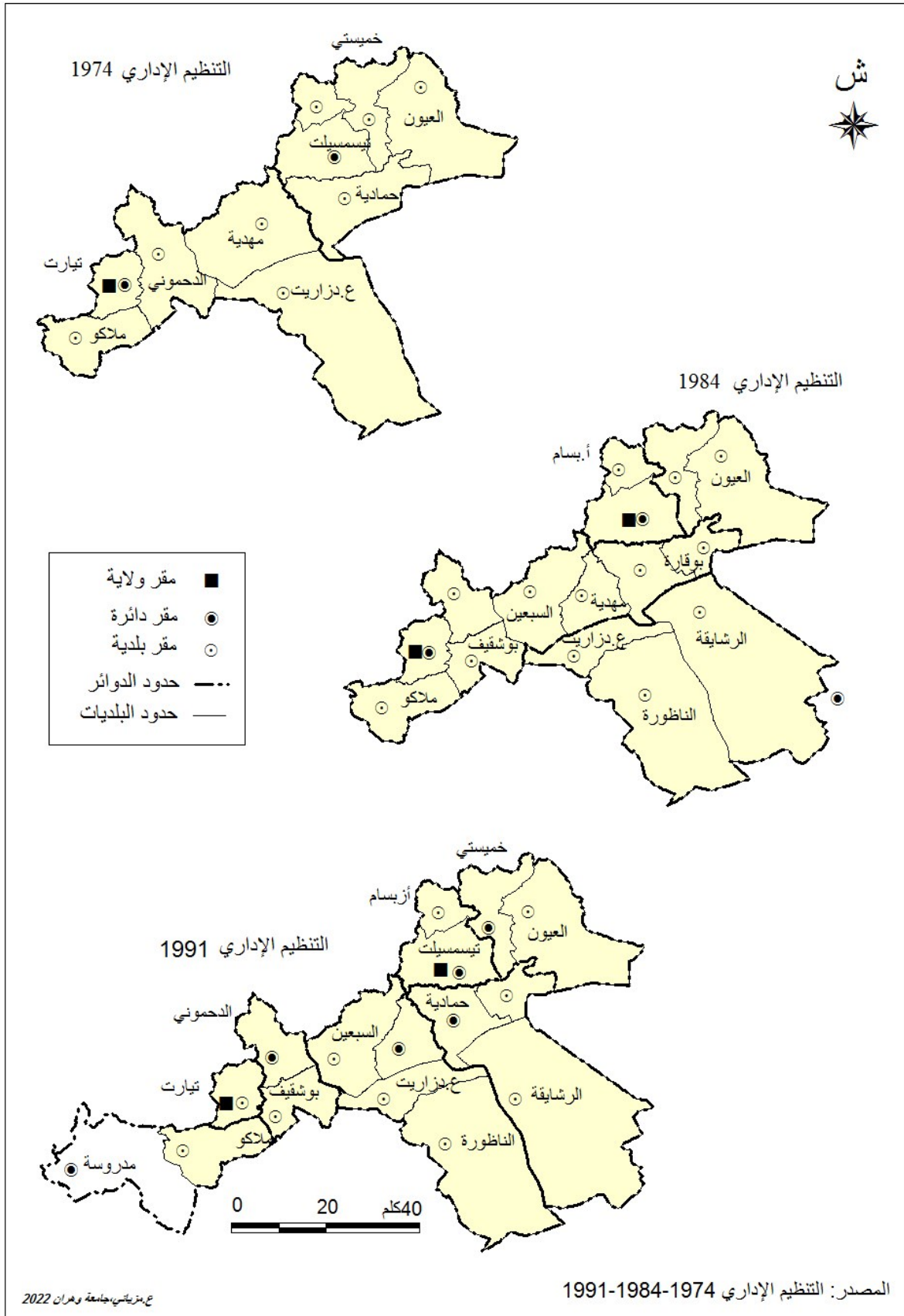
لم يتأثر السّرسو بالتّنظيمات الإدارية بعد الاستقلال، فقد حافظ على نفس البنية المجالية إلى غاية 1984، التي قلبت موازين المنطقة باستحداث ولاية تيسمسيلت بهدف تنمية المناطق الجبلية الفقيرة، وبالتالي عدلت الخريطة الإدارية التي كانت تجمع السّرسو تحت إدارة ثلاث ولايات ليصبح مؤطر إداريا بين ولايتين فقط هما تيارت وتيسمسيلت. كما توسعت الشّبكة الإدارية بالمنطقة خلال هذا التقسيم وذلك بترقية خمس مجمعات بولاية تيارت إلى مصاف البلديات، وهي في الأصل قرى فلاحية اشتراكية (بوقارة، الرّشايقة، السّبعين، عين بوشقيف وضاية التّرفاس) وعليه أصبح السّرسو يضم 15 بلدية بدلا من عشرة فقط في التّنظيمات السابقة. كما استحدثت دائرة خميستي إضافة إلى دائرتين قديمتين هما تيارت وتيسمسيلت.

في التّعديل الإداري لسنة 1991، انشقت عدة بلديات من دائرة تيارت مشكلة بذلك دوائر منفصلة منها مهدية، حمادية، انفصال ملاكو عن دائرة تيارت وأصبحت بلدية ضمن إقليم دائرة مدروسة التي كانت تابعة لدائرة فرندة، انفصال عين دزاريت عن دائرة قصر الشّلال لتصبح ضمن إقليم دائرة مهدية (الخريطة رقم 17).

جدول رقم 19: تطور الهيكلية الإدارية للسّرسو بعد الاستقلال

السّنوات	1963	1974	1984	1991
ولايات	1	1	2	2
دوائر	2	2	3	6
بلديات	10	10	15	15

المصدر: التقسيم الإداري 1963-1974-1984، التّعديل الإداري 1991



الخريطة رقم 17: السّرسو حسب التنظيمات الإدارية (1974-1984-1991)

أدت التّرقية الإدارية لبعض المجمعات في السّرسو إلى رتبة ولاية ودائرة وبلدية إلى الإخلال بالنّظام الوظيفي والتّنظيم السّابق لهذه المساحة. بقيت المراكز المرقاة في تبعية وظيفية كاملة لولاية تيارت وخاصة للمجموعة الرّئيسية، خاصة تلك القرى الرّيفية الصّغيرة التي أسندت لها وظائف إدارية لتسيير مجال ريفي أكبر، لم تتمكن البلديات الجديدة في بداية إنشائها من تسيير مجالها وبقيت معتمدة بشكل كامل على تيارت، نفس الشّيء بالنّسبة لولاية تيسمسيلت بقيت تابعة وظيفيا وأيضا إداريا لولاية تيارت فيما يخص بعض القطاعات إلى غاية بداية الألفية الثّالثة.

لكن مع مرور الوقت وإنشاء سلسلة من المرافق العامّة رفيعة المستوى وتطوير الأنشطة التّجارية في بعض مجمعات السّرسو وخاصة تيسمسيلت ومهدية قد مكّنها من تعزيز الإطار الحضري وتطوير شبكات التّبادل المحليّة لتشكيل مجموعات حضرية فرعية وظيفية. كما استفادت البلديات المرقاة من شبكة طرقات وتجهيزات مختلفة عادة توجد في المدن، خدمة للوظيفة الإدارية الجديدة، إضافة إلى تلك التي استفادت منها عند نشأتها، جعلها تستقطب سكان الرّيف المجاور، فارتفع عدد السّكان بها واستقطبت وظائف حضرية ولاسيما عين بوشقيف. هذا التّنظيم المكاني الجديد، على الرّغم من كونه مؤطر من خلال الإرادة السّياسية للدولة، يهدف إلى تقويم الإطار الحضري، هو أيضا جزء من التّاريخ الحضري للمنطقة. تأثر السّرسو من جرّاء التقسيم الإداري لسنة 1984 على المستويين المجالي والوظيفي.

تمت التّرقية الإدارية لتيسمسيلت سنة 1984 وهي عبارة عن مركز عمراني حضري قديم، عدد سكانه لا يتجاوز 30000 نسمة، ويبعد عن مركز تيارت بستين كيلومترا، اختيرت تيسمسيلت من الوسط السّهلي، لتشرّف على جزء كبير من جبال الونشريس ولم تختار ثنية الحد لهذا الغرض، رغم أنّ تنمية المناطق الجبلية كان أهم أهداف التّنظيم الإقليمي في هذه الفترة. هذه التّرقية سمحت بتكوين إطار إداري جديد في المنطقة، كما أنّ إعادة هيكلة المجال، ألحقت كل من أولا بسام، خميستي والعيون بولاية تيسمسيلت.

تقسيم البلديات الكبيرة إلى قسمين أو أكثر بهدف توسيع التّنمية المحليّة التي تعتبر البلدية المحرك الرّئيسي لها، ولقد ارتكز التّقسيم في ولاية تيارت على التّوازن بين الأوساط السّهلية (5 بلديات)، السّهبية (5 بلديات) والجبلية بشكل كبير واختيرت التّجمعات العمرانية الجديدة (القرى الاشتراكية) كمراكز لها، حيث انشقت من البلديات التي كانت مراكز استعمارية، أكبر مساحة استحوذت عليها بلدية الرّشايقة التي انشقت عن بلدية قصر الشّلالة، تليها النّاطورة التي انشقت عن بلدية عين دزاريت، فيما تقاسمت مهدية المساحة مع السّبعين، والدّموني مع عين بوشقيف وانشقت بوقارة عن حمادية. أما بالنّسبة للبلديات التّابعة لولاية تيسمسيلت فقد انشطرت عين بسام إلى بلديتين (عين بسام وسيدي عابد)، كما تم تقليص بلدية خميستي من الجهة الشّمالية لصالح بلدية سيدي بوتشن. اختيار المراكز الجديدة اعتمد على الرّهانات الدّيمغرافية في الوسط الرّيفي

بهدف إدماج المجالات الرّيفية الزراعيّة في العمليّة التّنمويّة وإحداث التّوازن بين مختلف الأوساط، وبالتّالي التّحكم أكثر في المجال.

أمّا وظيفيا مازالت الرّشايقة مرتبطة بقصر الشّلاله التي تبعد عنها بمسافة 48 كلم، وبالأقاليم التي كانت تابعة للمدية سابقا وأصبحت حاليا ضمن إقليم ولاية الجلفة، خاصة حاسي فحول التي تبعد عنها بمسافة 23 كلم فقط. أمّا بالنسبة لتيارات عاصمة ولايتها فتبعد عنها بمسافة 60 كلم، لكنّ العلاقات بينهما محدودة مقارنة مع البلديات القريبة منها والتي تشترك معها في الماضي الإداري وأيضا العلاقات الاجتماعيّة. نفس الأمر يتكرر مع حمادية وبوقارة في ارتباطهما بتيسمسيلت وظيفيا أكثر من تيارت، بحكم أنّها كانت تابعة لها إداريا (دائرة تيسمسيلت) قبل انشاء ولاية جديدة، ونظرا لقرب المسافة وقوة العلاقات الاجتماعيّة لأنها تنتمي لنفس القبيلة (بني مايدة). أصبحت البلديات المستحدثة مراكز للقرار، واستفادت من شبكة تجهيزات وطرق، كما استفادت عين بوشقيف من توطن صناعي في بداية الثّمانينات، ساهم في جذب اليد العاملة إليها وإنجاز عدد معتبر من السّكنات.

5. توزيع مجالي متباين لسكان بلديات السّرسو

يتركز سكان السّرسو في منطقة الأقدام (منطقة الاتصال بجبل الونشريس) بنسبة مرتفعة مقارنة ببقية المناطق، هذا التّركز له خلفية تاريخية تتعلق بتعمير المنطقة، الذي اعتمد على انشاء مراكز عسكريّة وأخرى حضرية منها الموجهة لإسكان المستوطنين ومنها المختلطة، أهم هذه المراكز هي تيارت، فيالار، بيردو وبورباكي وتان، معظمها يقع في منطقة الأقدام. استمر هذا التّركز بنفس المنحى التّصاعدي بعد الاستقلال فقد انتقلت نسبتهم من 64.60% سنة 1966 إلى 68.98% سنة 2019. ترتفع نسبة تركيز السّكان بهذا المجال نظرا لوجود كل من بلدية تيارت (40.37%) وتيسمسيلت (18.12%) به، بينما تتقاسم كل من خميستي والعيون وأولاد بسام النّسبة المتبقية على التّوالي (5.11%، 4.26%، 2.1%).

لا علاقة للجانب الطّبيعي في هذه الحالة بتركيز السّكان بقدر ما يتعلق الأمر بالجانب الوظيفي والإداري لتيارت وتيسمسيلت كونهما مراكز ولائية وقيادية، تليها المنطقة الوسطى أو هضبة السّرسو، تشمل ضفتي نهر واصل، الجنوبيّة (عين بوشقيف، مهدية، حمادية، بوقارة والسّبعين) والشّمالية (الدّحموني) وحوض ملاكو، تركّز بها 23.02% من سكان السّرسو سنة 2019، بينما تبقى المنطقة الجنوبيّة للسّرسو، منطقة الاتصال بجبل الناظور والمناطق السّهبية قليلة السّكان بنسبة 6.99% فقط.

إذا ما استثنيت كل من تيارت وتيسمسيلت، نجد أن أهم تركّز سكاني في السّرسو يكون حول الأحواض وعلى طول الأودية ولاسيما نهر واصل كمهدية وحمادية وعلى محاور الطّرق المهمّة.

1.5 كثافة سكانية مرتفعة بالبلديات الحضرية وضعيفة بالرّيفية

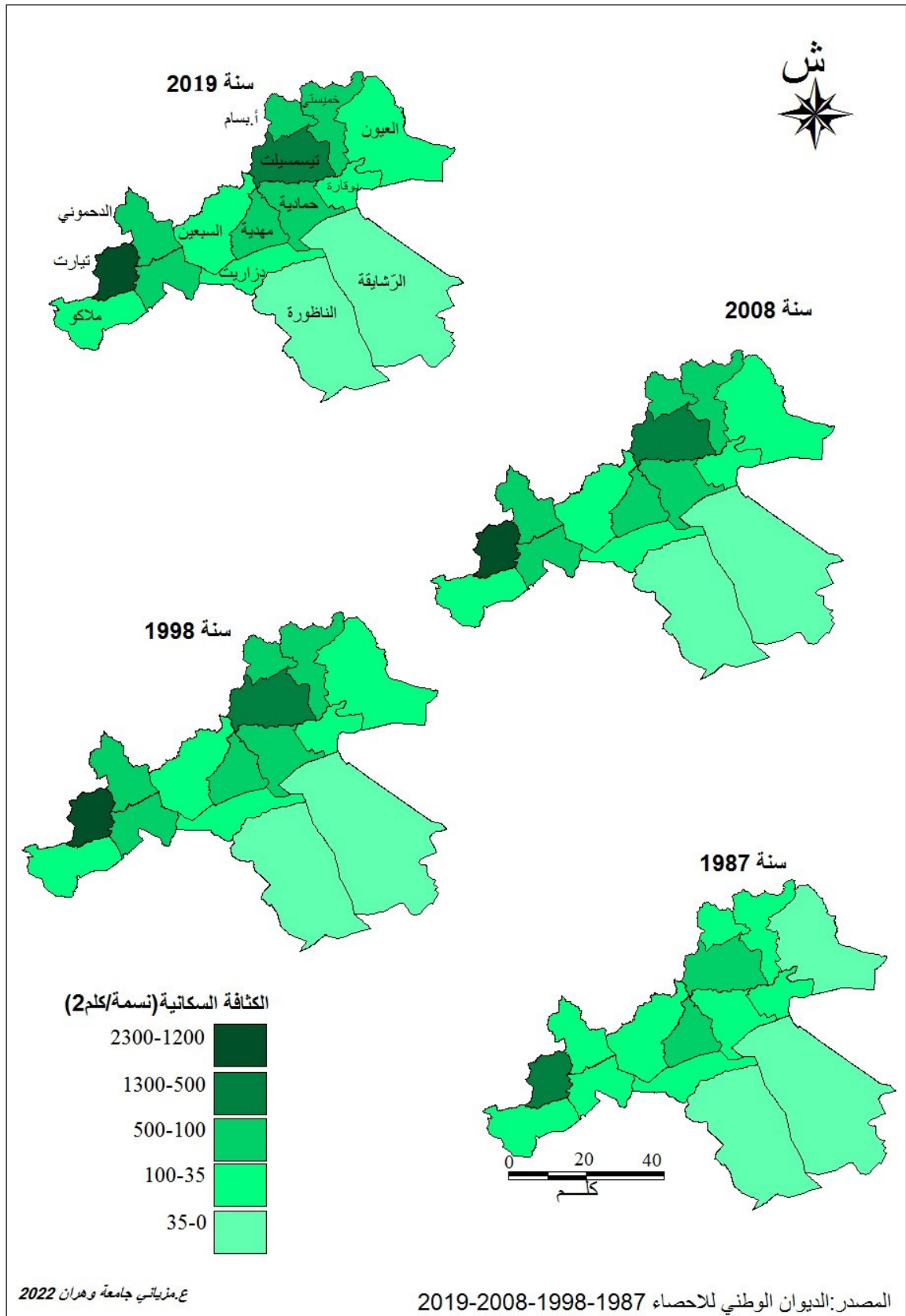
شهد السّرسو ارتفاعا مستمرا في الكثافة السّكانية التي بلغت 600 نسمة/كلم² سنة 2019، وهي كثافة مرتفعة لكنها لا تعكس تركز السّكان على كامل المساحة، فنطاق الكثافة العالية يقتصر على بلدية تيارت (الخريطة رقم 18)، حيث فاقت كثافتها السّكانية 2228 نسمة/كلم² سنة 2019، نظرا لحجمها السّكاني الكبير، ثاني تركز سكاني كان ببلدية تيسمسيلت (530.81 نسمة/كلم²)، بينما تنخفض الكثافة السّكانية بالبلديات الرّيفية ولاسيما الرّشايقة والنّاظورة كأدنى قيمة نظرا لحجمها السّكاني الضّئيل وأيضا مساحتهما الكبيرة (الجدول 20)، رغم أن المنطقتين محتفظتين بسكانهما ولم تتأثرا بالتّحولات التي حصلت في المنطقة. انتقلت الكثافة السّكانية في حمادية إلى قيمة أعلى بكثير سنة 2019 (134.78 نسمة/كلم²) من مثيلتها سنة 1998 (88.55 ن/كلم²) نظرا لنسبة الزيادة السّكانية المهمة التي عرفتتها البلدية في الفترة الأخيرة (3.82%).

الجدول رقم 20: الكثافة السّكانية في السّرسو حسب البلديات (1987-2019)

البلديات	المساحة كلم ²	الكثافة السّكانية 1987 (ن/كلم ²)	الكثافة السّكانية 1998 (ن/كلم ²)	الكثافة السّكانية 2008 (ن/كلم ²)	الكثافة السّكانية 2019 (ن/كلم ²)
تيارت	111,45	959,09	1 488,55	1 805,86	2228,92
تيسمسيلت	210	163,42	288,76	358,08	530,81
مهدية	138,94	156,78	217,82	238,1	282,29
خميسي	159	83,8	126,46	144,03	197,87
أولاد بسام	93,5	72,87	99,66	115,93	138,07
حمادية	185,92	46,54	82,6	88,55	134,78
الدّحموني	172,07	76,61	101,08	118,44	123,29
ع. بوشقيف	148,37	61,74	83,48	101,25	121,28
ملاكو	206,13	42	55,23	63,59	79,49
بوقارة	115,45	47,59	57,49	61,04	77,52
ع. دزاريت	166,7	43,47	46,03	48,82	62,42
العيون	450	32	45,7	45,73	58,28
السّبعين	259,56	35,36	38,69	41,47	49,33
الرّشايقة	883,96	11,94	17,77	22,43	25,76
النّاظورة	651,12	10,27	10,80	11,61	15,13
السّرسو	1 023,95	263,35	393,94	463,51	600,75
السهول السطّافية ¹	1447,32	-	360,14	438,58	-

المصدر: الدّيون الوطني للإحصاء 1987-1998-2008-2019

2- معبد، 2013



الخريطة رقم 18: تطور الكثافة السكانية حسب بلديات السّرسو في الفترة 1987-2019

يتشابه سهل السّرسو إلى حد كبير مع السّهول السّطّافية فيما يخص التّركز السّكاني، فالكثافة السّكانية متقاربة في كل منهما، مع أنّها متفوقة في سهل السّرسو رغم كبر مساحته مقارنة بسهل سطيف. تطور الكثافة السّكانية صاحب تطور معدلات النمو الإجمالي في المنطقتين (سهل السّرسو وسهل سطيف)، أحدث وجود مدينتي تيارت وتيسمسيلت فارقاً في التّركز السّكاني بالنسبة للسّرسو، بسبب وظائفهما الإدارية والاقتصادية وكونهما عاصمتا ولايتين، نفس الفارق أوجدته مدينتي سطيف والعلمة في السّهول السّطّافية، رغم وجود بعض التفاوتات، فلا يمكن مقارنة ديناميكية مدينة العلّمة بمثيلاتها في تيسمسيلت، لكن تبقى مظاهر التطور السكاني وتركزه متشابهة في المنطقتين.

فالدّيناميكية الجغرافية الحديثة للسّكان سجلت تناقضات حادة بين تركيز السّكان في مختلف المناطق حيث يتركزون بشدة بالمراكز الرّئيسية خاصة بالبلديات الحضرية (تيارت، تيسمسيلت، مهدية وخميسيتي)، بينما يتركزون بنسب متقاربة بين المجمعات الثّانوية والمناطق المبعثرة بالبلديات الرّيفية (العيون، بوقارة، السّبعين، النّاطورة وعين بوشقيف)، إلّا أنّ سكان بلدية الرّشايقة يتركزون بشدة في المنطقة المبعثرة، نظراً لنشاطها الزراعي المكثف وتوفر اليد العاملة، الذي حفز السّكان على الاستقرار بأريافها.

2.5 سكان السّرسو اغلبهم حضريون

لم يتجاوز معدل التّحضر في السّرسو بعد الاستقلال 48 % (الجدول 21)، أي أنّ أكثر من نصف السّكان يقيمون في المناطق الرّيفية. لكنه استمر في الارتفاع، ففي سنة 1977 أصبح السّكان الحضريون فوق الرّيفيون لكن بفارق طفيف (52.51%)، شهدت هذه الفترة قفزات نوعية في السّياسة الوطنية كإصلاح القطاع الفلاحي والرّيفي من خلال الثّورة الرّزراعية وإنجاز القرى الفلاحية الاشتراكية وعرفت المنطقة أيضاً توطناً صناعياً وخاصة ببلدية تيارت، ظهرت نتائجها في الفترات اللاحقة، فقد تحسن الوضع الاقتصادي في منطقة السّرسو من خلال برامج التّنمية والتّعمير، انعكس الوضع فتسارع التّحضر في المنطقة، فقد سجل (70.71%) سنة 1998 وارتفع إلى (78.25%) سنة 2008، إذ أنّ ما يفوق ثلاث أرباع السّكان حضر، وهو معدل مرتفع مقارنة مع المعدل الوطني الذي سجل 65 % سنة 2008.

الجدول رقم 21: معدل التّحضر في السّرسو حسب البلديات (1966-2008)¹

البلديات	1966		1977		1998		معدل النمو الحضري %		
	السّكان	معدل التّحضر (%)	السّكان	معدل التّحضر (%)	السّكان	معدل التّحضر (%)	1966-1977	1977-1998	1998-2008
تيارت	37169	90,41	53277	83,71	148850	89,72	3,27	4,89	2,63
تيسمسيلت	11357	77,47	17203	81,82	52451	86,49	3,77	5,31	2,31
مهدية	7726	56,53	12588	59,55	28493	494,1	4,44	3,89	0,97

¹ عدم توفر المعطيات الخاصة بالهيكل الحضري لسنة 1987

1,77	4,35	3,92	79,51	16206	78,09	13581	38,69	5443	35,76	3538	الدّحموني
1,74	7,01	3,93	78,61	12942	070,8	10873	27,96	2495	25,15	1619	حمادية
1,68	-	-	63,61	8337	61,89	7046	34,06	2747	-	-	ملاكو
1,68	-	-	72,08	16508	69,43	13962	-	-	-	-	خميسي
0,88	-	-	52,99	10906	48,54	9984	-	-	-	-	العيون
-	-	-	76,67	8311	-	-	-	-	-	-	أولاد بسام
-	-	-	47,61	7198	-	-	-	-	-	-	ع. بوشقيف
2,64	5,30	3,85	78,25	371421	70,71	285240	52,51	93753	48,06	61409	م. السّرسو

المصدر: الديوان الوطني للإحصائيات 1966-1977-1998-2008 + معالجة شخصية للمعطيات

شهدت المراكز ذات النّشأة الاستعمارية (تيارت، تيسمسيلت ومهدية) أعلى معدل تحضر في سنة 1966، لعبت دورا مهما في تنظيم منطقة السّرسو إداريا ووظيفيا ولا سيما مدينة تيارت، فقد سجلت معدل تحضر يفوق 90 %، بينما انخفض معدل التّحضر بقيمة أقل من 40% في كل الدّحموني وحمادية (حسب الجدول رقم 21) رغم تصنيفهما حضريتين، لأنّهما مراكز داعمة أنشأت في السّرسو بهدف إسكان ملاك الأراضي من المستوطنين.

انخفض معدل التّحضر في بلدية تيارت سنة 1977 مقارنة بسنة 1966 فسجل 81.71% رغم أنّ عدد السّكان الحضر ارتفع، ويفسر ذلك بإنشاء قرية عين مصباح في هذه الفترة، وارتفاع معدل نمو سكان المنطقة المبعثرة الذي حقق أعلى نسبة قدرت بـ 9.44%، بفضل سياسة إصلاح القطاع الفلاحي من خلال الثّورة الرّاعية. ارتفع معدل التّحضر بباقي البلديات الحضرية لكن بزيادة ضئيلة، فقد صنفت مجموعة ملاكو في الصّنف الحضري في تعداد 1977 رغم أنّ عدد سكانها لم يتجاوز 3000 نسمة، وبهذا سجل معدل التّحضر بها قيمة ضعيفة قدرت بـ 34.06%، لكنّها أعلى من مثيلاتها ببلدية حمادية 27.96%.

أعيد تصنيف المجمعات العمرانية سنة 1998، فأصبحت كل من مجموعة خميسي التي أصبحت مقر دائرة خلال التّعديل الإداري سنة 1991 ومجموعة العيون التّابعتان لولاية تيسمسيلت مجموعتين حضريتين. تجاوز معدل التّحضر 50% في كل البلديات المصنفة حضرية سنة 1998، باستثناء العيون (48.54%)، ارتفع هذا المعدل بكثير في تيارت فسجل 89.72%، يفسر بإدماج مجموعة زعرورة ضمن مجموعة تيارت سنة 1987، سجلت مهدية أعلى معدل تحضر قدر بـ 94.14%، حيث يقيم معظم السّكان في المجموعة الرّئيسية. تم تصنيف كل من مجموعة كرمان (بلدية تيارت)، مجموعة جنان بشري (أولاد بسام) وعين بوشقيف إلى الصّنف الحضري سنة 2008، وبذلك ارتفع معدل التّحضر في السّرسو إلى 78.25%، شهدت معظم البلديات قيما تفوق المتوسط ولاسيما تيارت بـ 96,18% ومهدية بـ 94.90%، بينما شهدت بعض البلديات معدلا أقل من المتوسط ولاسيما عين بوشقيف بـ 47.61% نظرا لأن مجالها الرّيفي مأهول بالسّكان خاصة بالمجمعات الثّانوية المتمثلة في القرى الفلاحية الاشتراكية عين مريم وعين مصباح).

ساهم تنفيذ برامج تحديث القطاع الزراعي وإنشاء قرى جديدة في هذا المجال الذي يوصف بمخزن الحبوب للغرب الجزائري، والتّوطن الصّناعي بالمنطقة وخاصة الميكانيكية في تيارت وعين بوشقيف إضافة إلى ترقية العديد من مجتمعاته إلى مراكز رئيسية في البلدية مثل عين بوشقيف، ومراكز الدائرة كمهدية، خميستي، حمادية والدّحموني) ومقر ولاية بالنسبة لتيسمسيلت (تيسمسيلت) بشكل كبير في تحول بعض المراكز إلى مدن صغيرة مثل ملاكو، عين بوشقيف، حمادية والعيون، ومتوسطة كمهدية وتيسمسيلت. ميلاد هذه المراكز الحضرية هو نتيجة للإرادة السياسية للدولة وحركة السّكان التي استجابت لمشاريع وبرامج التّمية التي حدثت في السّرسو، ممّا رفع نسبة السّكان في المناطق الحضرية.

الخلاصة:

عرف السّرسو ديناميكية ديمغرافية تماشت مع تطوره العمراني منذ نشأته في الفترة الاستعمارية، بفضل امكانياته الزراعيّة والطّبيعية التي جذبت المعمّرين للاستقرار به. اتسمت هذه الفترة (1884-1957) بمعدل نمو سكاني متوسط قدر بـ 1.72%، لكنّه مرتفع في المراكز الاستعمارية الكبيرة ولاسيما تيارت بـ 3.21%، نظرا لوظائفها المتعددة (العسكرية، الإدارية والاقتصادية) فقد لعبت دورا حاسما في ربط السّرسو بأقاليمه المحلية والجهوية. جذب السّرسو الأوروبيين من مختلف الجنسيات وجذب في نفس الوقت سكان محليين والبدو الرّحل الذين كانوا يترددون على المنطقة صيفا وشتاءً من الجنوب والشّمال. شهد السّرسو نموا ديمغرافيا سريعا في كل البلديات الرّيفية والحضرية بعد الاستقلال بوتيرة مرتفعة ولاسيما في الفترة (1977-1987)، دعمت الإرادة السّياسية هذا النّمو خاصة بتنمية المناطق السّهلية عن طريق البرامج التّنموية في الصّناعة والفلاحة والتّعمير، أين شهد السّرسو إنشاء مراكز جديدة تمثلت في القرى الفلاحية الاشتراكية، تعززت هذه الاستراتيجية التّنموية للدولة بالتّرقية الإدارية (1974، 1984). انخفضت وتيرة النّمو في الفترة (1998-2008) فسجل معدل النّمو قيمة أقل من المعدل الوطني، تسببت الهجرة خارج ولاية تيارت في تراجع هذا المعدل، لكن سرعان ما عادت نسبة الزيادة السّكانية في الارتفاع مجددا في الفترة (2008-2019)، خاصة في البلديات الرّيفية والشّبه حضرية (الناظورة، عين دزاريت، العيون وحمادية)، يرجع الفضل في هذا الارتفاع للبرامج السّكنية وخاصة السّكن الرّيفي بصنفيه المجمع والمبعثر، والبرامج التّنموية ولاسيما في مجال الصّناعة.

تركزت الزيادة السّكانية في كل المراحل في التّجمعات الثّانوية باستثناء الفترة (1977-1987) التي تقارب فيها المعدلين، تليها المراكز الرّئيسية مع تفاوت واضح في قيم معدلات النّمو، بينما سجلت المناطق المبعثرة معدلات سالبة، ممّا يدل أنّ الهجرة لم تكن مباشرة بل تمت عن طريق التّجمعات الثّانوية.

تميز السّرسو منذ نشأته بالتّجمع، فهو نمط مختار من طرف الاستعمار خدمة للاقتصاد الفرنسي، تأكّد بعد الاستقلال بفضل سياسة الدولة في مجال التّعمير وأيضا التّرقية الإدارية التي أعطت مظهرا خاصا للمنطقة

بتزايد عدد مجتمعاتها، وترقية العديد من القرى الصّغيرة إلى مراكز بلديات، استفادت هذه الأخيرة من شبكة من التّجهيزات والبنى التّحتية ممّا جعلها مراكز جذب سكانيّ فارتفعت وتيرة نموها. ارتفعت نسبة المتجمعون بالبلديات الحضرية ولاسيما تيارت، تيسمسيلت ومهدية، بينما قلّت نسبتهم ببعض البلديات الرّيفية التّابعة إداريا لولاية تيارت مثل النّاطورة (53%)، السّبعين (57.22%) وسجلت بلدية الرّشايقة أقل نسبة تجمع قدرت بـ 42.17% سنة 2019، ويفسر ذلك باحتفاظ هذه البلديات بالسّكان الرّيفيين المبعثرين نظرا لارتباطهم بخدمة الأرض وارتفاع نسبة تملكها. يمكننا أن نعتبر أن نمط التّجمع في السّرسو فرضته سياسة الدّولة من خلال هيكلية القطاع الفلاحي سنة 1981، وإنشاء مزارع فلاحية اشتراكية (DAS) بإلغاء قطاع الثّورة الزراعيّة وتعاونيات قدامى المجاهدين وضمها إلى القطاع المسير ذاتيا، حيث أن إنشاء هذه المزارع رافقه تعميرها ببعض السّكنات من النّمط المجمع، منها ما تطورت سكانيّا ومجاليا وأصبحت مجتمعات عمرانية ثانوية ومنها ما زالت تصنف مبعثرة نظرا لصغر حجمها العمرانيّ وعدد مساكنها، مثل بلدية ملاكو التي تضم 13 قرية أنجزت في إطار المزارع الاشتراكية، إثنين منها فقط صنفنا مجتمعات ثانوية.

لعبت التّرقية الإداريّة دورا مفصليا في السّرسو بالنّسبة للمراكز العمرانية (الاستعمارية والاشتراكية)، حيث استفادت تيسمسيلت من التّرقية الإداريّة لصنف الولايات سنة 1984، واستفادت أيضا خمس قرى تابعة إداريا لولاية تيارت من التّرقية إلى صنف البلديات في نفس السّنة، فانتقل عدد البلديات من 10 سنة 1974 إلى 15 بلدية سنة 1984، كما عمل التّعديل الإداري سنة 1991، على استحداث دوائر جديدة فتغيرت الخريطة الإداريّة، واستفادت المراكز الإداريّة المراقبة من عدد من التّجهيزات الجديدة وأصبحت تتكفل بتسيير مجالات إقليميّة وتساهم في إعادة تشكيل الأداء الوظيفي للشّبكة العمرانية في السّرسو. استجابت حركة السّكان لمشاريع وبرامج التّنمية التي استفادت منها المنطقة، ممّا أحدث تحولات في بنيتها العمرانية والوظيفية، وأدى إلى مزاحمة المراكز العمرانية القديمة وإعادة صياغة مجالات نفوذها.

خلاصة القسم الأول:

ساهم موقع سهل السّرسو المفتوح وخصائصه الطبيعية والاقتصادية الممتازة في سهولة تعميره خاصة في الضّفة الجنوبية لنهر واصل، فقد شهد السّهل على امتداد ما يفوق القرن والتّصف منذ بداية تعميره الفعلي في الفترة الاستعمارية للجزائر، ديناميكية مجالية صاحبها ديناميكية ديمغرافية واضحة. انطلق المستعمر من انشاء مراكز استعمارية تشكل اللبنة الأساسية للشبكة العمرانية في المنطقة، بغية ربط السّرسو بالمدن المهمة ولاسيما وهران والجزائر لنقل المنتوجات الفلاحية إلى فرنسا، متبعا سياسة الاستيطان، بدء بتعبئة العقار الفلاحي لاستغلاله لأغراض البناء من جهة والنشاط الاقتصادي من جهة أخرى، ثم فتح باب الهجرة لمختلف الأجناس من أوروبا مقابل السّكن والعمل، عقبها إنشاء مجموعة من المراكز العمرانية المتتالية على طول الطّرق المهيكلية للمجال وبالقرب من مصادر الماء، كما تم تعمير الرّيف بإنشاء وحدات إنتاجية تمثلت في المزارع وقطاعات التّحسين الرّيفي الموجهة للأهالي. سمحت فيه العملية التّعميرية المصحوبة بشق الطّرق وبناء التجهيزات الضرورية بارتفاع عدد السّكان وخاصة في المراكز الحضرية كتيارت، أين سجلت معدل نمو مرتفع، جذبت النشاطات الفلاحية للأوروبيين العمالة من قبائل البدو الرّحل من الجنوب الذين استقروا في السّرسو.

بعد الاستقلال، تدخلت الدّولة بشكل واسع، في محاولات متعددة ومتواترة للبناء والإصلاح بمختلف السياسات المتبعة خاصة في السّبعينات لإصلاح الرّيف الجزائري وتعميره من خلال بناء القرى الفلاحية الاشتراكية، وهو ما سمح بتعمير السّرسو في هذه الفترة بمجموعة من القرى والمزارع الاشتراكية التي تعتبر في حد ذاتها أنوية صغيرة توسعت مجاليا فيما بعد، رافق هذا التّعمير في نهاية السّبعينات وبداية الثّمانينات إنشاء مناطق صناعية بالمجمعات الحضرية والرّيفية على حد سواء، قلبت الموازين في المنطقة، فقد حادت بعض المجمعات عن وظيفتها الرئيسية المتمثلة في الزّراعة. عملت هذه المناطق من جهة على جذب السّكان للاستقرار بالقرب من مكان العمل وترك الفلاحة، وشجعت السّلطات المحلية على توفير السّكن الوظيفي لعمال الصّناعة من جهة أخرى، ترتب عليه إدخال النمط الحضري في المجمعات الرّيفية، وهو ما رفع معدلات النمو السّكاني التي حققت ذروتها في هذه الفترة مقارنة بالفترات السّابقة، كما أسهمت في انتقال المنطقة من التّبعثر إلى التّجمع وبالتالي الارتفاع المستمر في معدل التّحضر، رغم أنّ نمو المجمعات الصغيرة هو السّمة البارزة في المنطقة.

سمحت التّرقية الإدارية سنة 1984 بتوسع الشبكة الإدارية في السّرسو وهو ما أثر أيضا على التّوسعات المجالية للمجمعات المرقاة، حيث ارتفعت حصتها من السّكن على مرور السّنوات أهمها السّكن الرّيفي المتجمع وخاصة خلال المخططات الخماسية الأخيرة ابتداء من سنة 2010 ومختلف الصّيغ والأنماط

الحضرية، وشهدت توطنا للتجهيزات والأنشطة الحضرية، لعبت دورا بارزا في جذب السكان للاستقرار بها، غير أنّ هذا لم يؤثر في نسب التركز السكاني، فمدينتي تيارت وتيسمسيلت أحدثتا فارقا، بسبب وظائفهما الإدارية والاقتصادية وكونهما عاصمتا ولايتين.

القسم الثّاني

بنية مجالية موروثة وشبكة
عمرانية في توسع مستمر

مقدمة

تسارع وتيرة التّحضر هي واحدة من أكبر المشاكل في المجتمعات المعاصرة. هذه الظاهرة أكثر حدّة في البلدان النامية، فقد نَمى المجتمع، في أقل من قرن من الزمان، وتغير نمط الحياة الرّيفية إلى نمط أكثر تحضراً.

شهد المجال الرّيفي هيكلية متنوعة خاص في الفترة الاستعمارية وهي مرحلة حاسمة ذات ميزات خاصة ومعقدة في تاريخ التّنظيم الاقتصادي، الاستصلاح وتهيئة الإقليم، هذه الهيكلية برزت في مراكز إسكان (قرى استعمارية) ووحدات إنتاجية (مزارع) على أراضي زراعية خصبة لاسيما أراضي السّهول والأحواض. بهذا التدرج تكون السّياسة الاستعمارية قد أسفرت عن خلق شبكة قرى ومزارع تغطي المجال الرّيفي وتذهب إلى عمق هذا الأخير محاولة منه في احتوائه واستغلاله بأحسن صورة.

ارتبط التّعمر في السّرسو بالمراعي التي كانت ملكا للعائلات والقبائل المقيمة هناك ممّا أعطى تنظيماً مجالياً في الأراضي الخصبة وبالقرب من مصادر المياه على ضفاف نهر واصل وكذا شمال السّهل بمنخفض تيسمسيلت وقد يكون النّظام العقاري بالسّرسو والذي تعود ملكيته في معظمها للدولة إحدى أهم المحفزات لذلك، ممّا أدى إلى ظهور تحولات عميقة في هذا الوسط، بل استمرت بوتيرة أسرع بعد الاستقلال، فالمجال تغير جذرياً من حيث النّشاطات الاقتصادية من خلال تحرير وإعادة هيكلية القطاع الزّراعي وبناء القرى الاشتراكية وسياسة التّصنيع. فسياسة التّعمر والسّكن سمحت بإنشاء بلديات جديدة انطلاقاً من مراكز ريفية ولاسيما بعد التّقسيم الإداري 1985 والتّعديل سنة 1991 ممّا أدى إلى تكثيف الشّبكة الإدارية بالمنطقة، إنشاء التجهيزات والبنى التحتية من خلال مختلف البرامج ومخططات البلدية للتّنمية. هذه الملامح الظاهرة من خلال السّياسة الوطنية للتّنمية أدت إلى تحولات عميقة على المستوى الاجتماعي والمجالي (تزايد سكاني، هجرة ريفية مستمرة، توسع مجالي، تحولات وظيفية، وتغيرات في أنماط المساكن)، وهو ما أثر على النّظام الفلاحي بالمنطقة، ونقلها من الطبيعة الفلاحية الرّيفية إلى مظهر مجتمعات حضرية وشبه حضرية ذات أشكال متعددة واقتصاد متجدد، خاصة وأنها تخضع لتأثير قطبين حضريين ولاسيما تيارت وتيسمسيلت مما شكّل أطواقاً وحلقات شبه حضرية وريفية حولهما.

نحاول من خلال هذا القسم دراسة ديناميكية النّمو الحضري في منطقة السّرسو الذي نشطته سياسة التّصنيع والتّنمية الفلاحية بالمنطقة من أجل استخراج أنماط المجتمعات وتحليل الدّور الذي تلعبه في إطار سياسة التّنمية الحضرية والرّيفية على حد سواء، انطلاقاً من دراسة البنية العقارية في المنطقة التي شهدت نقلات عديدة حفزتها سياسات الدّولة في محاولة منها للإصلاح، ثم البنية المجالية الحالية التي تتميز بوجود شبكة عمرانية متكاملة بين شبكة قديمة موروثية من العهد الاستعماري وأخرى ناتجة عن تراكمات سياسية

واقتصادية خلال فترة الاستقلال تنهيكل فيما بينها على أساس علاقات وظيفية، لنتهي في الأخير إلى دراسة محصلة التعمير المصغر في المنطقة الذي أنتج بنى عمرانية متباينة، لعب فيها السكن بمختلف أنماطه وصيغه دورا مفصليا، إلا أنه شهد عديد التحولات سواء من حيث التصاميم وأيضا الاستخدام.

الفصل الثالث

بنى عمرانية تمديدية بملامح
حضرية

مقدمة:

أنجزت بسهل السرسو 15 قرية استعمارية واثنى عشر قرية اشتراكية، ما بين منتصف السبعينات وبداية الثمانينات. توزعت هذه القرى ومنذ الفترة الاستعمارية على كامل المنطقة، إلا أنها تركزت بشكل كبير في الضفة الجنوبية لنهر واصل (منطقة الزراعات الواسعة). ساهم النمو الديمغرافي الكبير، وزيادة احتياجات السكان في التوسع العمراني لمجمعات السرسو وتحضرها، مما عزز التحولات المجالية، الاجتماعية والاقتصادية في العديد من المراكز العمرانية وسمح لها بالانتقال من الصنف الريفي إلى الصنف الحضري (Bousmaha, 2014)، كما دفع المجمعات الكبيرة إلى التمدد الحضري وفقا لعدد الآليات. اكتسبت مجمعات السرسو وظائف وقوى جديدة متأثرة في ذلك بشكل كبير بالترقية الإدارية والمنشآت الصناعية وتوطن المرافق والخدمات العامة في المناطق المحرومة والأقل تعميرا. سمح ذلك بتطور السكن باعتباره نمط استيطان في المناطق الحضرية والريفية المتجمعة منها والمبعثرة بمختلف أنماطه وصيغته، وتطورت الأشكال والتصاميم أيضا وارتبطت بالبيئة المحلية وخصائصها. نحاول من خلال هذا الفصل تسليط الضوء على عوامل وآليات التمدد الحضري للمجمعات الكبيرة بالسرسو وعلى عناصر التحول للمراكز العمرانية الريفية بعد مرور أكثر من نصف قرن على إنشائها وكيف تطورت، بعدما أصبحت تخضع في نموها المجالي إلى توجهات مخططات التعمير والبرامج السكنية المتنوعة خاصة في الآونة الأخيرة.

1. نمو متسارع للمجمعات الكبرى بالسرسو

بدأ ميلاد الظاهرة الحضرية بالسرسو منذ زمن طويل، وترسخ انطلاقا من الفترة الاستعمارية. على الرغم من قدم هذه الظاهرة، إلا أنها عاشت نموا بطيئا خاصة بالمجمعات الصغيرة عكست ضعف تقاليد الحياة الحضرية التي تفرض قواعدها على السكان، غير أن الوضع يختلف كليا في المجمعات الكبيرة ولاسيما تيارت، لأن النمو الحضري في السرسو ارتبط بها بوجه خاص، أيضا بالنسبة لتيسمسيات، لكنها لم تعرف نموا حقيقيا، إلا بعد الترقية الإدارية سنة 1984 واستكملت نموها الحضري بشكل مغاير خلال العشر سنوات الأخيرة.

ارتبط النمو الحضري للمجمعات الكبيرة بالسرسو بعوامل مختلفة تحكمت في ديناميكيتها وتركيبها العمراني، إذ أنها نمت وتوسعت متأثرة بها. واکب توسع المجمعات الكبيرة عدّة تحولات ديمغرافية، مجالية، ووظيفية، أثرت بشكل مباشر على مراكزها الاصلية، وهي الأنوية الأولى لنشأتها، فبعد تشبع المراكز بدأت هذه المجمعات في البحث عن مجالات اخرى لتوسعها، بغرض تلبية حاجيات سكانها المتزايدين بصورة مستمرة من سكنات وتجهيزات وغيرها من الوظائف، مما أدى الى نشوء مناطق سكنية جديدة. تشبعت

المراكز الحضرية الكبيرة بالنسيج الحضري جراء النمو الديمغرافي السريع والهجرة الريفية اتجاهها باعتبارها ملجأ للاستقرار والرّاحة وممارسة الأنشطة المختلفة، ممّا أدى إلى استهلاك العقار الحضري بطريقة غير عقلانية ومن ثمّ التّوسع على حساب الأراضي الزراعية المحيطة بالمدينة.

1.1 تمدد سريع لمجموعة تيارت على أراضي سهلة التّعمير

1.1.1 نشأة تاريخية

اختير موضع تاهرت المحدثّة (تيارت حاليا) عاصمة للرّستميّين (الصورة رقم 12)، بواد مينا على بعد خمس أميال شرق تاهرت القديمة (تأقدمت حاليا) (الحريري، 1987). تقع في منطقة داخلية منطوية على نفسها في السّفح الجنوبي لجبل قزول بين وادي مينا والشّلف، بموضع القلعة الرّومانية القديمة، وهو موقع استراتيجي لحماية دولة ناشئة، إضافة إلى موقعها بمنطقة يكثر بها القبائل الموالية للمذهب الإباضي، فضلا على ذلك فهذا الموقع غني اقتصاديا، فهي تشتهر بمراعيها الواسعة وثرواتها الزراعيّة المتنوعة، ويرجع ذلك لكثرة مصادرها المائية وتنوعها، ووجود أودية مهمة كمينا وتأشت لأنها غيضة¹، ولذلك فإن أرض المنطقة لا تجذب من قحط وجفاف، ويؤكد ذلك اليعقوبي في قوله: «لا يجذب زرع ذلك البلد قط، إلا أن يصبه ريح وبرد»، إضافة إلى أنّ موقع تاهرت يتوسط التّل والصّحراء ممّا سمح لها بتحقيق السّيادة على المنطقة السّهبية الشّاسعة.

يؤكد الشّريف الإدريسي، وهو من علماء القرن السّادس، أنّ مدينة تاهرت كانت فيما سلف من الزّمان مدينتين كبيرتين إحداهما قديمة والأخرى محدثة، ولكنّه لا يصف إلا تاهرت القديمة، فيذكر أنّها ذات سور وعلى قمة جبل قليل الارتفاع، وبها ناس وجماعات من البربر ولهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة، وبأرضها مزارع وضياع جمّة، ممّا يدل على أنّ المحدثّة (تيارت الحالية) لم يعد لها شأن، وهذا ما يؤكده ابن خلدون الذي يذكر أنّ كثرة الغارات التي كانت تشن عليها في عهد الموحّدين دفعت أهلها إلى هجرها «فخلا جوها وعفا رسمها» في سنة 620هـ/1223م، بينما نهضت تاهرت القديمة من بين الأطلال واستمر نهوضها إلى العصر الحديث.

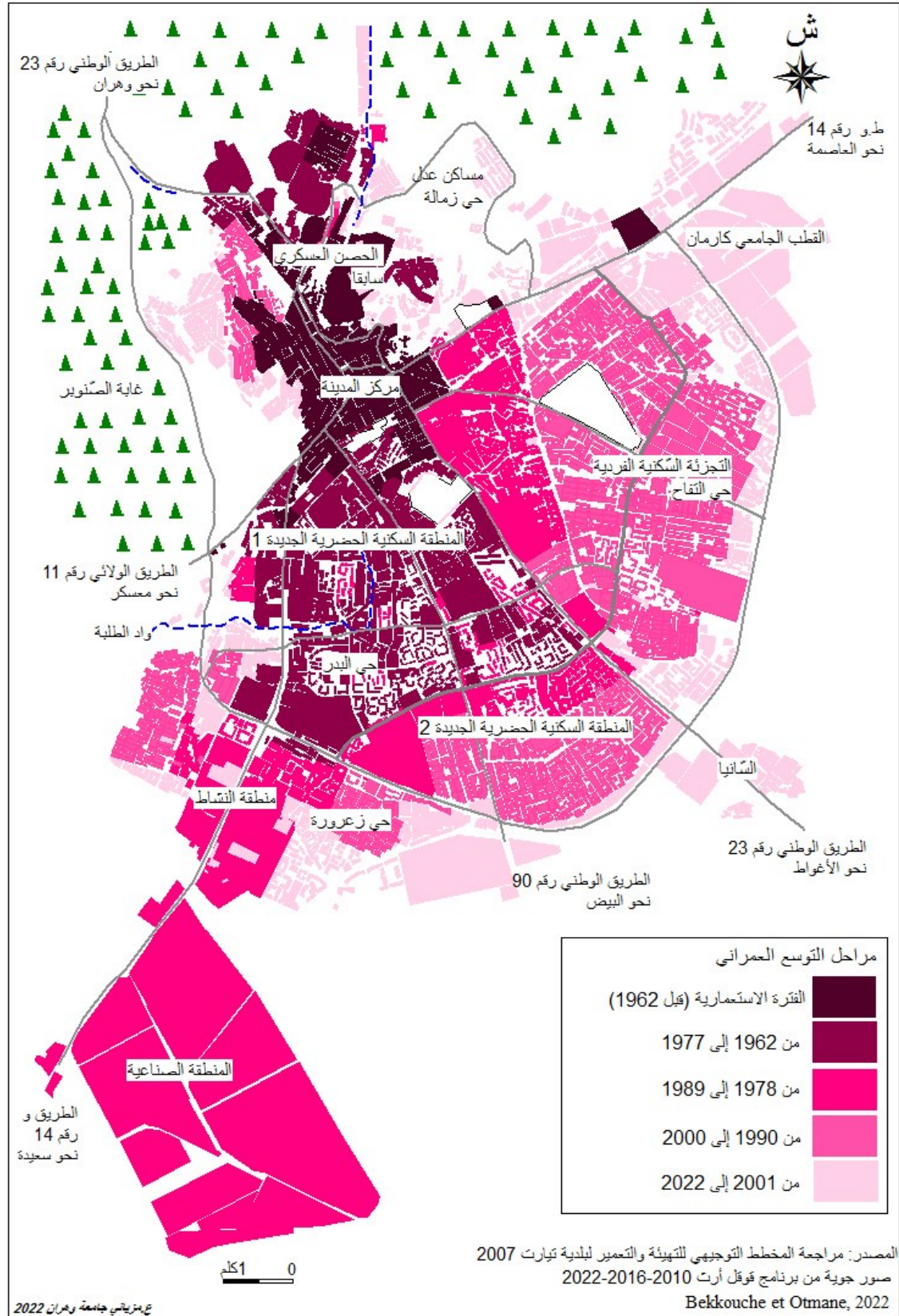
¹ غيضة وجمعها أغياض وغياض وهي سهول كثيرة الشّجر والماء



الصورة رقم 12: توسع الدولة الرستمية في القرن التاسع ميلادي
المصدر: <https://www.sasapost.com/rustumiva-state-in-algeria>

احتل الاستعمار الفرنسي مدينة تيارت سنة 1841، فدمرها وأنشأ على أنقاضها المركز الاستعماري (La Redoute) داخل أسوار القلعة الرومانية القديمة (Bekkouche et Otmane, 2022)، على السّطح الجنوبي لجبل قزول بنفس الموضع السابق لمدينة تاهرت الجديدة أو المحدثّة، ثم أنشأ المدينة الأوروبية جنوبها، حدّد الجانب الطّبيعي خطة المدينة وشكل جُزيرتها فيما بعد (الخريطة رقم 19).

أوصل بيجو في 24 مايو 1841 أمام القرية، التي كانت بمثابة مستودع أسلحة للأمير عبد القادر وكعاصمة منذ عام 1836، تم احتلالها دون قتال في 25 مايو 1841، بعد أن تم إخلاء المدينة في اليوم السابق. دمرت القرية وأعيد بناؤها من جديد، المدينة العليا تضم الحصن والمباني العسكرية بينما تتجمع المدينة السفلية حول السوق.



الخريطة رقم 19: مراحل التوسع العمراني لمدينة تيارت

يتصل المركز العسكري (المعروف باسم الحصن) بالحي الأوروبي (المركز الحالي) بواسطة باب معسكر في الشمال (Picard, 1989)، ويضم ثكنات ومتاجرا ومعبدا ودائرة الضباط، أما الحي المدني (الاستعماري) المصمم بأسلوب مستلهم من التقسيم الوظيفي للعمران الغربي، فهو مهيكّل بواسطة شارع رئيسي كبير متخصص في التجارة¹ (PIESSE, 1882)، يعمل هذان الحيين (العسكري والمدني) على مبادئ مختلفة لكنهما مرتبطين ببعضهما البعض (Picard, 1989)، شهدت هذه الفترة (قبل الثورة التحريرية) أيضا إنشاء مدينة العرب أوما يعرف بـ (Village Neigre) شمال المركز العسكري. (الخريطة رقم 19)

يتشكل الهيكل الحضري لمدينة تيارت في الأصل من محورين رئيسيين، يتقاطعان بشكل عمودي في مركز النواة القديمة، وهي الطرق الحالية (الطريق الوطني رقم 23 المؤدية إلى الأغواط، والطريق الولائي رقم 11 المؤدية إلى معسكر)، بينما تنتظم الطرق التالّثية بالتوازي مع الشارع الرئيسي.

وضع هذا المخطط بغرض التوسع جنوبا، على جانبي الطرقات الشعاعية الموجودة لربط المجمعات السكانية حول تيارت وحتى تلك البعيدة عنها (طريق فرنّدة، طريق السّوق، طريق الدحموني وعين بوشقيف). ترتبط الطرقات الشعاعية بشوارع رئيسية محيطية.

لا تزال انسيابية الطرقات تحدد الهيكل في الأجزاء العلوية للمدينة، بينما في الجزء السفلي منها، تهيمن خطة الشطرنج التقليدية؛ فالسلسل الهرمي لشغل الأرض بالمدينة تم بطريقة تجعل السّكن يشغل المرتفعات، بينما تتوطن التجهيزات والمرافق العامة أسفل المنحدر.

تشكل الجزيرة التقليدية عنصرا محددًا للنسيج الحضري لمركز المدينة (النواة الأولى)، وهو مجموعة من القطع الأرضية تحددها الشوارع وتتميز باستمرارية نسيجها وتعارض واجهاتها. تم تكييف تصميم هذا النسيج العمراني من خلال ثلاث عناصر أساسية: الشارع والجزيرة والمكان العام (SCU Tiaret, 2014).

2.1.1 التعمير عن طريق البرامج السكنية أدى إلى ظهور مركزية حضرية جديدة بتيارت

شهدت مجمعة تيارت حركة تعمير ممتدة، وإنتاج سكني كبير عن طريق المناطق الحضرية السكنية الجديدة في نهاية السبعينات، فقد استفادت من منطقتين حضريتين سكنيتين جديدتين من خلال مخطط العمران الموجه. هذه الفترة هي بداية توسع مجمعة تيارت جنوبا على أراضي السّرسو المنبسطة والخصبة زراعيًا. تشكلت المنطقة الأولى من ثلاث أحياء (البدري، فولاني والمستقبل) (الصورة رقم 13) أما المنطقة الحضرية التالّثية والتّي تعرف بحي الجامعة سمحت بامتداد العمران بين المجمعة الرئيسية تيارت والمجمعة التالّثوية زعرورة وجسدت التّحامهما، وقد استهلك هذا التعمير وعاءً عقاريا كبيرا، لأنّه كان مصحوبا بتجهيزات

¹ وجود 24 محلا تجاريا وخانا لليهود (caravansérail pour les juifs)

كبرى ولا سيما الجامعة سنة 1980، في هذه الفترة التعميرية (1977-1987) ارتفع عدد السكان محققا أعلى معدل نمو له مقارنة بكل الفترات الإحصائية مسجلا بذلك 5.87%.



الصورة رقم 13: المنطقة السكنية الحضرية الجديدة بمدينة تيارت حاليا (حي فولاني)

تبني النموذج المعماري الجديد في مجمعة تيارت تم من خلاله التخلي عن عناصر التركيب الحضري التقليدي، ونتج عنه غياب فكرة الشوارع الحيوية والجزيرات المربعة التي ميزت النسيج القديم، إضافة إلى التوحيد المعماري المفرط (Bekkouche et Otmane, 2022)، علاوة إلى ذلك فإن هذا النموذج تميز بمحدودية الكثافة السكنية إلا أنه أفرط في استهلاك العقار الحضري، مثل ما حدث في المنطقة الحضرية الجديدة الأولى التي تكونت من 3996 وحدة سكنية على مساحة عقارية قدرها 136 هكتارا¹، كما أن إنجازها لم يكن مرفقا بتجهيزات مهمة غير التجهيزات الجوارية، إذا استثنينا الجامعة بالمنطقة الحضرية الجديدة الثانية. توسعت تيارت أيضا في هذه الفترة عن طريق آلية التجزئة الصناعية، حيث أنجزت المنطقة الصناعية ومنطقة النشاط زعرورة، حفزت الاستقطاب السكاني نحو المدينة بحثا عن العمل، وبالتالي دافع غير مباشر للإنتاج السكني.

¹ المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلدية تيارت، 2006 المنجز من طرف مكتب الدراسات URBATIA أعمال المرحلة الأولى ص 38

3.1.1 التّجزئة الحضرية السّكنية والصّناعية، امتداد عمراني واستهلاك مفرط للعقار الحضري

عرفت مجمعة تيارت ابتداء من نهاية السّبعينات تعميرا مختلفا عن طريق صورة عمرانية أخرى أنتجت السّكن الفردي تمثلت في التّجزئة السّكنية بمختلف أنواعها سواء كان ذلك في إطار الاحتياطات العقارية البلدية (حي سيدي خالد، حي العابدية، أرض بومدين)، البناء الذاتي (زعرورة)، التّعاونيات العقارية (EPLF وتعاونية بلهوارى محمد) أو من خلال التّجزئة السّكنية الاجتماعية والتّرقية المنجزة من طرف الوكالة العقارية كتجزئة التّفاح بعد 1990 (الصورة رقم 14). التّعمير وفق هذه الآلية تم في الجهة الغربية والشّرقية للمجمعة، وقد جاء بصورة مجزأة وعشوائية، أعطت للمدينة امتدادا عمرانيا واسعا، بسبب المبالغة في مساحة القطع الأرضية، فقد تم استهلاك حوالي 561 هكتارا لهذا الغرض إلى غاية 1993 لإنشاء 5438 قطة أرض صالحة للبناء بكثافة إجمالية قدرها 9.69 مسكن في الهكتار الواحد وهي كثافة ضعيفة جدا، تعبر عن الاستهلاك غير العقلاني للعقار الفلاحي الذي أدرج في التّعمير في هذه الفترة (الجدول 22).

الجدول رقم 22: التوسع العمراني لتيارت 1977-1985

السنة	التوسع على سهل السرسو جنوبا (هكتار)	التوسع على السفوح (هكتار)	مساحة المجمعة (هكتار)
1977	-	-	509.15
1983	156	58.10	723.25
1985	418	-	1141.25
المجموع	574	58.10	1141.25

المصدر: Hachelef, 1988

في الفترة 1987-1998 تواصل التّعمير بمجمعة تيارت، وعرفت المدينة نموا عمرانيا مكثفا فقد توسعت بمعدل مرتفع مقارنة بالفترات السّابقة، بسبب الهجرة نحوها وترحيل السّكان أيضا من المناطق المجاورة لأسباب أمنية واجتماعية عن طريق بناء السّكنات الاجتماعية، التّساهمية والتّطورية وكذا التّجهيزات ولاسيما المدرسية، فقد نمت المدينة جنوبا نظرا لتوفر عقار فلاحي عمومي سهل التّعمير لإنجاز السّكن والتّجهيزات. لم تمنع الجاذبية التّقليدية للمركز السّكان من التّوجه نحو الجنوب لتلبية احتياجاتهم نظرا لتركز الخدمات والتّجهيزات بالتّوسعات الحديثة، وظهور مركزية جديدة بهذا المحور، وهو ما جعل معدل النّمو السّكاني في هذه الفترة يحقق قيمة مرتفعة قدرت بـ 4% رغم أنه انخفض قليلا عن الفترة السّابقة.



الصورة رقم 14: التجزئة السكنية بمجموعة تيارت (حي التفاح)، تحقيق ميداني 2020

4.1.1 التمدد الحضري لتيارت والتحامه مع زعرورة

تعود النواة الأولى زعرورة في الأصل إلى مجموعة ريفية، كانت تقع بالقرب من مدينة تيارت بمحاذاة الشارع المحيطي الثالث، الذي يتقاطع مع عدة طرق مهيكلة للمدينة، مشكلا مفترقات مهمة ولا سيما الطرق الوطنية 14، 23، 40 بالطريق الولائي رقم 7. أول إنشاء سكني بها، كان عبارة عن حي الإنقاذ الذي نفذ في إطار مشروع قسنطينة لإسكان الجزائريين بعيدا عن المدينة الأوروبية، لكنّ التعمير تمّ على الأراضي الفاصلة ممّا أدى إلى التّحام النّسيج العمراني للمجموعة ومدينة تيارت، وذلك بفضل إنشاء المنطقة السكنية الحضرية الجديدة رقم 2 زعرورة (حي المنار)، والجامعة ثمّ الأحياء الجامعية ومعهد الهندسة المدنية ومنطقة النّشاطات، وهو ما جعل الطّريق المحيطي، يفقد دوره الاجتبابي الذي كان يلعبه في تلك الفترة، وأصبح يؤخذ أبعادا أخرى كمحور رئيسي لتوسع المدينة في الجهة الجنوبية كما صار طريقا مهيكلا لها، يربط الأجزاء الجنوبية الغربية بالجهة الشرقية والشمالية الشرقية.

توسع مدينة تيارت نحو زعرورة باستقبالها المشاريع السكنية الجديدة من جهة، ونموها المجالي من جهة أخرى، جعلها تندمج ضمن المركز الرئيسي للبلدية خلال إحصاء 1987. كما توسع حي زعرورة أيضا على الأصول العقارية المسترجعة من منطقة النّشاطات وتوسع جنوبا من خلال البرنامج الخماسي (2009-2014) بمحاذاة المنطقة الصناعية.

5.1.1 التكتيف الحضري وإعادة توجيه التعمير من السهول إلى السفوح

توسعت مجمعة تيارت بوتيرة سريعة تماشت مع الزيادة السكانية ومعدلات النمو المرتفعة في كل المراحل، على الرغم من أن تعميها انتقل من السفوح الجبلية خلال الفترة الاستعمارية وبعد الاستقلال مباشرة، إلى التوسع على سهل السرسو جنوب المركز القديم عن طريق التكتيف في المناطق السكنية الحضرية الجديدة، وباستغلال الجيوب الفارغة 2005، إلا أنه عاد مجددا إلى منطقة السفوح، استدراكا لأهمية الأراضي الفلاحية التي وجهت للتعمير خلال ثلاثون سنة الماضية، وذلك عن طريق البرامج السكنية بمختلف الصيغ من خلال البرنامج الخماسي الأول (2010-2014) والثاني (2015-2019) والتجهيزات المختلفة وخاصة تلك المدمجة.

لعب السكن دورا مهما في توسع المدينة، وخاصة بصيغة العمومي الايجاري بما فيها البرامج القديمة (الاجتماعي الايجاري) إلى غاية 2004، وبرامج امتصاص السكن الهش ابتداء من سنة 2011، هذه الصيغة السكنية استحوذت على الحصة الأكبر (الجدول رقم 23) مقارنة ببقية الصيغ السكنية (11602 وحدة سكنية)، فهي ممولة من طرف الدولة وموجهة لذوي الدخل المحدود، رغم أنها في أغلب الأحيان تستفيد منها مختلف الشرائح الاجتماعية. استفادت مدينة تيارت من خلال البرنامج الخماسي (2010-2014)، من 7220 وحدة سكنية أنجزت نسبة منها بمجمعة كارمان، تم تسليم أكثر من نصفها (4844 وحدة سكنية) سنة 2018. الجدول رقم 23: انجاز السكن ببلدية تيارت، حسب صيغته خلال البرامج الخماسية (2010-2019).

الصيغة	العمومي الايجاري	الاجتماعي التساهمي	التطوري	الترقوي المدعم	الترقوي العمومي	الترقوي الحر	البيع بالإيجار	السكن الوظيفي	التجزئة السكنية الحضرية ¹	التجزئة الريفية	المجموع
تيارت	11602	2856	1800	1180	218	3390	3319	220			24585
كرمان							1500				1500
عين مصباح									218	163	381
المجموع					218	3390	4819	220	218	163	26466

المصدر: مديرية السكن لولاية تيارت، 2020

كما أن استحداث صيغة البيع بالإيجار، مكّن مجمعة تيارت كونها عاصمة ولاية من الاستفادة من أكبر حصة (4819) بنسبة 79% من مجموع الحصة المخصصة لولاية تيارت)، توزعت هذه المساكن المنجزة من طرف وكالة عدل على عدة أحياء داخل مجمعة تيارت، كحي زمالة في الشمال الشرقي (1500 مسكن)

¹ حصص مهيأة موجهة للبناء الذاتي لفائدة ولايات الجنوب ولايات الهضاب العليا وذلك طبقا للتعليمات الوزارية المشتركة رقم 01 المؤرخة في 07 جويلية 2014، والمقرر الوزاري رقم 875/م.دو. أ/المؤرخة في 26 جويلية 2015.

وحي واد الطلبة في الجنوب الغربي (750 مسكن)، كما استفادت أيضا مجمعة كرمان من توطين 1500 وحدة سكنية، إلا أن المستفيدين من هذا البرنامج ينحدرون من مختلف بلديات الولاية، نظرا لارتفاع الطلب على هذا النوع من السكن من جهة، إضافة إلى أن بعض البلديات لم تستفد وأخرى استفادت من حصة ضئيلة، وهذا سيكون دافعا إلى ارتفاع نسبة الهجرة نحو المدينة.

توفر الجيوب الحضرية الفارغة ذات الملكية العمومية داخل مجمعة تيارت، حفز الترقية العقارية الخاصة بها، فقد استفادت من 3390 وحدة سكنية ترقية حرة، استفاد منها المرقون العقاريون في إطار الاستثمار بموجب قانون الترقية العقارية رقم 04-11، توزعت هذه المساكن على مختلف أحياء المجمع.

6.1.1.1 كرمان، مركزية حضرية جديدة في طريق التشكيل

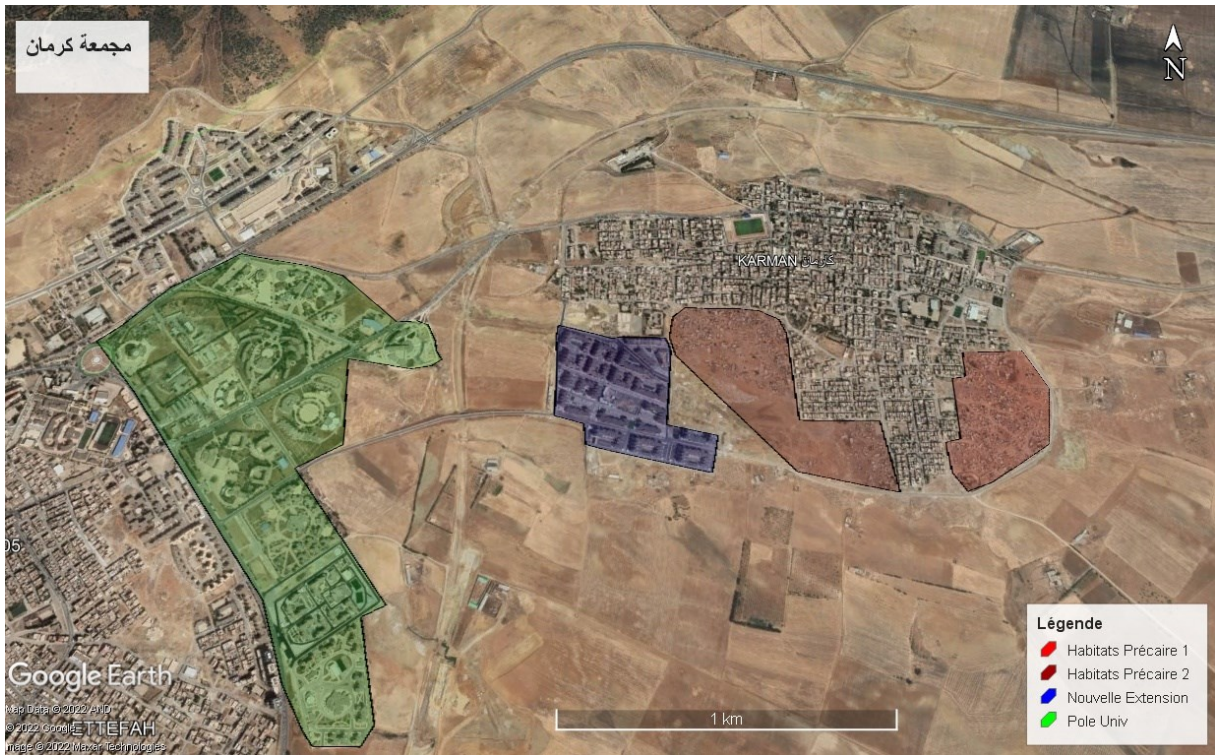
تقع المجمع العمرانية الثانوية كرمان شمال شرق مجمعة تيارت، وهي نواة ذات نشأة استعمارية (فيدارب سابقا)، لم تتجاوز الأربع وحدات سكنية في بداية تعميمها. لم تحظى بالتطور العمراني رغم قربها من المركز العسكري تيارت، إلا بعد اندلاع الثورة التحريرية، فقد توسعت جنوبا عن طريق إنشاء حي سكني في إطار مخطط قسنطينة (Ex Nihilo) موجه لإسكان الجزائريين من أجل امتصاص غضبهم اتجاه الاحتلال. يحمل هذا الحي السكني نفس الخصائص المعمارية المنجزة في معظم المدن والأرياف الجزائرية، مساكن لا تتعدى مساحتها 120 م²، بطابق واحد وسطح قرميدي بارتفاع متوسط، بنايات متراسة وطرق ضيقة (صورة رقم 15). شهدت ولا تزال تشهد هذه السكنات تحولات من طرف القاطنين بها وذلك بالتوسع العمودي بإضافة طوابق، وتوسعات فوضوية أدت إلى غلق ممرات، في حين مازالت بعض المساكن تحتفظ بنفس النمط المعماري الأول.



الصورة رقم 15: البناء الذاتي في مجمعة كرمان، التحولات الحاصلة في مساكن مخطط قسنطينة

توسعت قرية كرمان بعد الاستقلال من خلال برنامج السكن الذاتي في الفترة (1980-1985)، كما استقبلت في 1984 سكان مدينة تيارت (حي بوخالفة إبراهيم) في إطار إعادة إسكان الأحياء الهشة، ثم بناء 145

مسكنا، استقبل 870 نسمة في إطار السكن الاجتماعي التطوري (RHP)، كما عرفت توسعا عشوائيا جنوب المركز القديم على أرض صخرية مرتفعة تفوق مساحتها 33 هكتارا، فقد أوجد السكان النازحين من المناطق الريفية القريبة حيين كبيرين فوضيين، لم يتم التّدخل عليهما لحد الساعة من طرف السلطات المحلية للبلدية. أصبحت كرمان منطقة تمدد بالنسبة لمدينة تيارت فقد احتضنت مشاريع إعادة الإسكان من جهة وأيضا مشاريع توسع المدينة في الشمال الشرقي من جهة أخرى، فإنشاء القطب الجامعي الجديد ضمن التّواصل بين المدينة والمجمعة التّأويّة على مساحة تفوق 141 هكتارا، من خلال توجيه المشاريع السّكنية أيضا في هذا المحور، كما عرفت توسعا عمرانيا عن طريق التّجزئة السّكنية الفردية التي أعطت لها مظهرا معماريا راقيا بوجود سكنات فاخرة حديثة يتجاوز ارتفاعها ثلاث طوابق، وبذلك أصبحت تستقطب سكان تيارت نظرا لقرب المسافة من جهة، وتوفر خطوط ووسائل المواصلات العمومية والخاصة من جهة أخرى. عرفت أيضا تعميرا عفويا نظرا لوجود عقار عمومي يسهل الاستيلاء عليه (الصورة رقم 16).



الصورة رقم 16: توسع مجمعة كرمان

يوجد نواتين للبناء الفوضوي تحيطان بالتّجزئة السّكنية الفردية من الجهتين، النّواة الأولى بالجنوب الغربي للمجمعة نمت وتطورت بعد سنة 2008، وظهرت في هذه الفترة نواة أخرى في الجنوب الشرقي نمت وتطورت بسرعة أيضا، ولعل هذا التّعمير العشوائي الذي ظهر وتطور بسرعة ابتداء من سنة 2008 يفسر بدخول القانون رقم 08-15 الخاص بمطابقة البناءات وإتمام إنجازها حيز التّنفيد، كما أن عملية ترحيل

السكان في إطار القضاء على السكن الهش، وعدم استكمال عملية الهدم جعل سكان آخرون يشغلون هذه المواقع من جديد.

حرك القطب الجامعي الجديد التعمير بالمنطقة، فقد استقبلت مجمعة كرمان المشروع السكني لووكالة عدل (1500 مسكن) الخاص ببلدية تيارت وأيضا مشروع السكن الوظيفي الموجه لأساتذة التعليم العالي.

فقدت المجمعة الطابع الريفي من خلال التجهيزات الموجودة بها أيضا ولاسيما التعليمية منها سبع مدارس، متوسطتين وثانوية، ومكتبة، مركز صحي، أما بالنسبة للتجارة فهي غير متطورة، بل تقتصر فقط على التجارة الغذائية اليومية، إضافة إلى وراقة وخدمات الإعلام الآلي وبعض تجارة الأثاث. استقبل كارمان لمشاريع تيارت جعلها تتحول من مجمعة أفقية إلى عمودية، وخاصة بإنشاء مشروع وكالة عدل (1500 مسكن) في شمالها الشرقي لأنه استهلك المساحة الشاغرة التي تفصلها عن القطب الجامعي، وبالتالي فهي تسير نحو تشكيل مركزية حضرية جديدة، وهو ما يفسر ارتفاع معدل النمو السكاني بمجمعة كرمان في كل التعدادات الإحصائية وخاصة في الفترتين 1962-1977 سجل 6.91% ارتفع في الفترة 1987-1998 إلى 7.92%، بينما انخفض في الفترة الأخيرة 1998-2008 نوعا ما مقارنة ببقية السنوات حيث سجل 3.54%، لكنه يعتبر معدلا مرتفعا يفوق بكثير المعدل الوطني، كما أنه يفسر انخفاض معدل النمو السكاني بمدينة تيارت الذي انتقل من 4% في الفترة 1987-1998 إلى 1.82% في الفترة 1998-2008.

ارتكز التوسع المجالي الذي شهدته مدينة تيارت على مبدأ المركز والأطراف (نحو زعرورة ثم السانيا وكرمان)، من خلال التركيز في الاستثمارات الحضرية: التجارة، الخدمات، الصناعات الصغيرة والمتوسطة...، بحيث وفرت تيارت كل الخدمات والمرافق التي تعبّر عن الدور الذي لعبته المدينة كمركز استقطاب حضري.

2.1 مدينة تيسمسيلت، من مركز استعماري صغير إلى مدينة كبيرة ووظائف إدارية هامة

عرفت منطقة تيسمسيلت تعاقب حضارات مختلفة، وعرفت بعدة أسماء، منها تسمية (فيالار) أطلقت على نواة المركز الاستعماري المنجزة على أرض بني مايدة في فترة الاحتلال الفرنسي، تشكلت في بداية تعميرها من أربعة أحياء تسكنها ثلاث مجتمعات متباينة هي: الجالية الأوروبية في المركز الاستعماري المعروف بـ "Village espagnole"، واليهودية بحي محيطي جنوبا، والأهالي يتوزعون على حيين فقيرين منفصلين (Village Neigre)، لكل مجتمع منهم مكان العبادة الخاص به (الكنيسة، المعبد اليهودي والمسجد). شهدت المدينة إلى غاية الستينات توسعا مجاليا ضعيفا، تم بشكل خطي على طول وجانبي الطريق الرئيسي. بينما شهد النمو المجالي نوعا من الركود بعد الاستقلال وإلى غاية 1972، ما عدا بعض الأحياء الصغيرة البعيدة عن المركز الاستعماري، تقع على محور الطريق الرابط بين الجزائر العاصمة وتيارت (الوطني

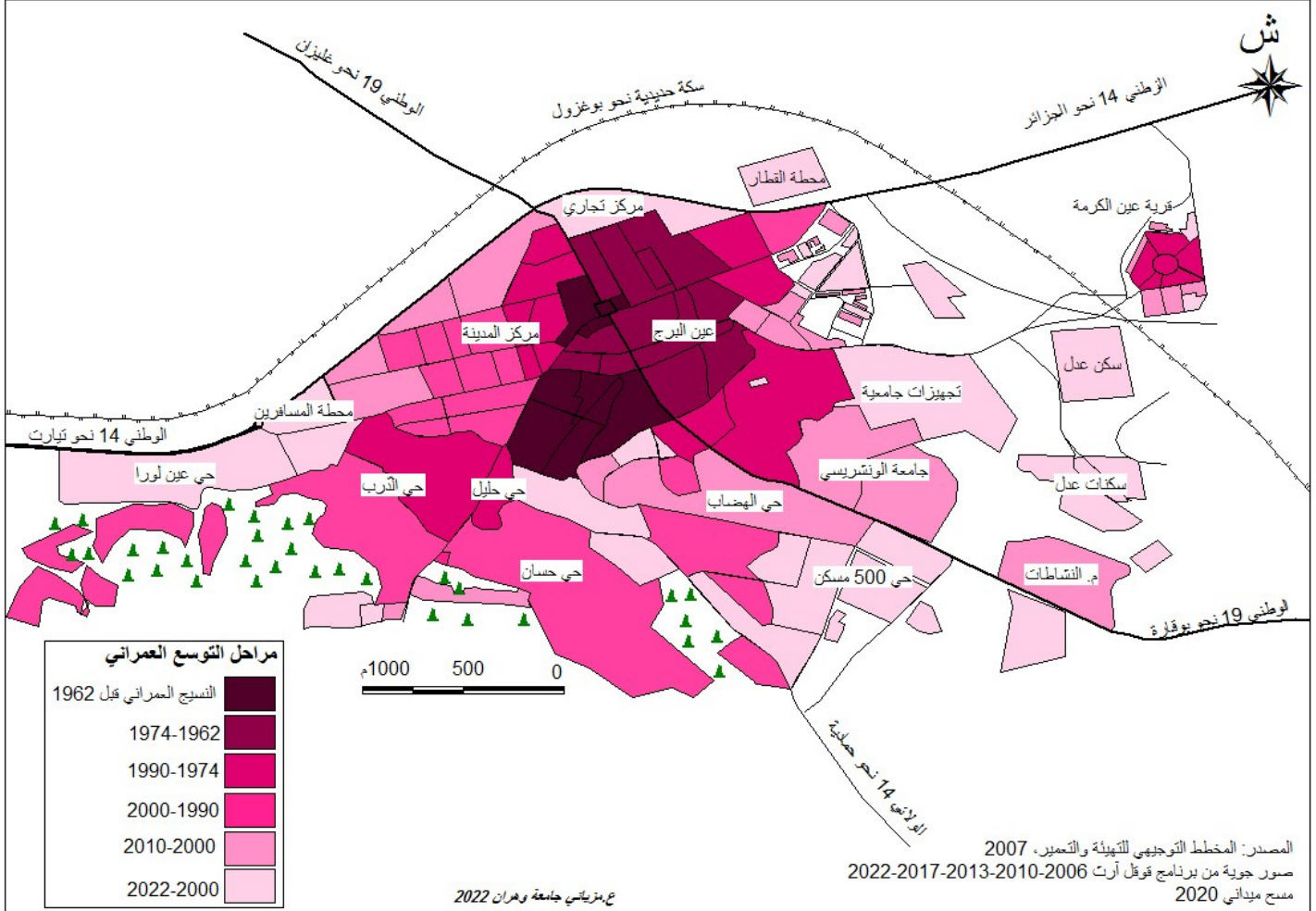
رقم 14)، مثل عين البرج شرقاً، حي 20 أوت في الضاحية الشمالية الشرقية، حي قيمور في الجهة الجنوبية الغربية (Saadoun, 1989). شغلت الأحياء الجديدة الوعاء العفاري الفاصل بين الحيين العريبين. ساهمت الحظيرة السكنية الشاغرة الموروثة عن الاستعمار الفرنسي في إسكان عدد من سكان المنطقة وأيضاً المهاجرين إليها، وبالتالي غطت على إنتاج السكن في هذه الفترة، فسكان المنطقة وأيضاً النازحين الجدد شغلوا السكن وأيضاً المخازن والاسطبلات الشاغرة وحولوها إلى مساكن ومتاجر، حيث أنّ ما يفوق 35% من سكان المركز القديم قدموا من غرداية (بني مزاب) يمارسون التجارة بنفس أماكن إقامتهم بمركز المدينة، ونسبة مهمة أيضاً من منطقة القبائل الصغرى وخاصة تيزي وزو (26%) (بلقرانة ودريش، 2022).

1.2.1 الترقية الإدارية حفزت التعمير بالمنطقة

انتعشت حركة التعمير في الفترة 1972-1988 بشكل سريع تماشياً مع النمو السكاني بالمدينة الذي حقق معدل 4,23% في الفترة 1977-1987. توسعت جنوباً على موضع متموج بانحدار حوالي 6% بفضل البرامج السكنية وخاصة المناطق الحضرية السكنية الجديدة (320 مسكن، حي الآمال جنوباً، حي 10 مساكن بطريق تيارت، حي السعادة المنجز على الطريق المؤدية إلى مجمعة بوقارة، وأيضاً الأنوية الفوضوية على أطراف المدينة في نهاية السبعينات كحي الدرب (الخريطة رقم 20)، الذي أنشأ من طرف النازحين الريفيين، ونمى بوتيرة سريعة على أرض ملك الدولة، وقد تزامنت هذه الفترة مع الترقية الإدارية لتيسمسيلت إلى مصاف الولايات سنة 1984، وعليه استفادت من برامج السكن الفردي المتمثل في التجزئة السكنية (119، 200 قطعة، تجزئة دلاس..). وأيضاً من مختلف التجهيزات الحضرية (الإدارية، الصحية، التعليمية والرياضية...). إلا أن معدل اشغال المسكن بها سجل نسبة مرتفعة سنة 1987 قدرت بـ 7,34 شخص في المسكن (مديرية البرمجة وتسيير الميزانية، 2019).

تأثرت مدينة تيسمسيلت في الفترة 1987-1998، من الوضع الأمني للبلاد، وقد سجلت في هذه الفترة أعلى معدل للنمو السكاني قدر بـ 6,29%، فقد استقطب حي حليل عبد القادر سكان البلديات الجبلية القريبة منها، خاصة بلدية ثنية الحد (60%)، قصر الشلالة وبوقارة بولاية تيارت (20%) وبلديتي سيدي عابد وبني لحسن (20%) (بلقرانة ودريش، 2022)، مما رفع إنتاج السكن الفوضوي بها وخاصة في المنطقة الجنوبية الغربية، فتوسعت الأنوية التي أوجدت سابقاً (حي حسان (1014 مسكن) وحي لارمود، وحي حليل عبد القادر)، وهو ما أدى إلى ارتفاع معدل اشغال المسكن بها قليلاً مقارنة بالفترة السابقة، فقد سجل معدل ارتفاعاً جداً قدر بـ 7,53 شخص في المسكن.

ظهرت نواة عفوية جديدة على أرض مرتفعة شرق مقبرة دوار الشريعة سنة 2004، واستمر نموها تدريجيا إلى يومنا هذا، لكن معدل إشغال المسكن انخفض قليلا، فقد سجل 6,81 شخص بالمسكن سنة 2008. (ملفات السكن الهش)



الخريطة رقم 20: مراحل التوسع العمراني لمجموعة تيسمسيلت

2.2.1 نمو عمراني باتجاه الضواحي الريفية

توسعت تيسمسيلت توسعا حضريا غير مضبوط خلال العقود الثلاثة الأخيرة، بسبب التزايد السكاني ومعدلاته المرتفعة مقارنة بالمعدل الوطني، ويرجع السبب في ذلك بشكل أساسي إلى سياسة السكن وموجة الهجرة من البلديات المحيطة.

استفادت مدينة تيسمسيلت كغيرها من المدن وخاصة مقار الولايات في بداية الألفية الثالثة وإلى يومنا هذا من برامج سكنية مهمة، تعددت أنماطها وصيغها (الجدول رقم 25)، إلا أن النصيب الأكبر خص به السكن العمومي الإيجاري، الموجه لذوي الدخل الضعيف، وهو يجسد استراتيجية الدولة في توفير السكن العمومي، من خلال البرامج الخماسية (2004-2000) و(2010-2005)، فقد أنجز في هذه الفترة 3374 وحدة سكنية،

ارتفع الإنتاج قليلا في الخماسيين الأخيرين (2010-2014) و(2015-2019) فقدر بـ 4898 وحدة سكنية، ويعود السبب في ارتفاع حصة الإنتاج إلى تخصيص مشاريع سكنية خاصة بالتحسين الحضري والقضاء على السكن الهش (الجدول 24).

عرفت تيسمسيلت توسعا عمرانيا مزدوجا باتجاه الضواحي الريفية القريبة، تم بشكل مخطط وآخر عفوي، فقد توسعت الأنوية الفوضوية جنوبا، وشهد المدخل الغربي للمدينة تعميرا مخططا باتجاه قرية الوطواط، بإنشاء عيادة التوليد، وحي عين لورا، والمحطة البرية للمسافرين، ومشروع سكن ترقي مدعم في طور الإنجاز جنوب الطريق الوطني رقم 14، وكذا إنجاز عدة أنشطة في إطار الاستثمار شماله، تمحورت هذه الأخيرة في خدمات لمستعملي الطرق.

الجدول رقم 24: إنجاز السكن بلدية تيسمسيلت، حسب صيغته خلال البرامج الخماسية (2005-2009) (2010-2014).

الصيغة	العمومي الاجباري	الاجتماعي التساهمي	التطوري	الترقوي المدعم	الترقوي العمومي	القضاء على السكن الهش	البيع بالإيجار	التجزئة السكنية الحضرية ¹	التجزئة الريفية	المجموع
تيسمسيلت	8170	416	375	570	611	4272	800	64		

المصدر: مديرية السكن لولاية تيسمسيلت

توسعت المجموعة في المحور الشمالي الشرقي، باتجاه عين الكرمة، فقد أستهلك العقار الفاصل بينهما لفائدة وكالة عدل (800 مسكن)، كما شهدت هذه الفترة أيضا إنجاز مشروع فاميلي شوب وفاميلي لاند شمال المجموعة، وتوسعت الهياكل الجامعية شرقا، إضافة إلى توطين منطقة النشاطات على الطريق الولائي رقم 17 جنوب حي عدل 2. (الصورة رقم 17)

ساهمت سياسة القضاء على السكن الهش بالمدن، في رفع وتيرة إنتاج السكن في مدينة تيسمسيلت، فقد استفادت من حصة سكنية كبيرة قدرت بـ 4272 وحدة سكنية لامتصاص السكن الهش (RHP)، فاقت عدد الحظيرة التي أحصيت سنة 2007 والمقدرة بـ 3324 مسكنا تتوزع على عدة مواقع حسب إحصاء سنة 2007، وهو ما يعادل ربع الرصيد السكني بالمدينة. تم هدم ثلاث مواقع (حي حليل عبد القادر، حي حسان عبد القادر وحي سيدي الهواري)، وهي في الحقيقة سكنات فوضوية أنشأت في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات، نمت وتوسعت في فترة التسعينات. أعيد إسكان قاطني المواقع الثلاث في كل من حي عين لورا وحي الصفاح، ولم تنتهي عملية الإزالة وإعادة الإسكان الى يومنا هذا رغم مرور أكثر من 13 عام منذ انطلاق العملية.

¹ حصص مهيأة موجهة للبناء الذاتي لفائدة ولايات الجنوب ولايات الهضاب العليا وذلك طبقا للتعليمات الوزارية المشتركة رقم 01 المؤرخة في 07 جويلية 2014، والمقرر الوزاري رقم 875/م.دو. أ/المؤرخة في 26 جويلية 2015.



الصورة رقم 17: حي عدل بمدينة تيسمسيلت

عند تنفيذ عمليات الهدم بحي حليل عبد القادر وإعادة الإسكان¹ التي كانت متواترة، (لأن البرامج السكنية RHP لم تكن دفعة واحدة)، اصطدمت السلطات المحلية في مدينة تيسمسيلت بالواقع الذي أنكره السكان، رفضهم الهدم والتّرحيل، ورفض استبدال سكناتهم الفردية بأخرى جماعية، والانتقال من مركز المدينة إلى حي في الضّاحية، رفض استبدال مسكن واسع بأخر ضيق، فضلاً على دفع ايجار شهري لصالح ديوان التّرقية والتّسيير العقاري (حسب ذهنية المواطن أنه انتقل من مالك إلى مستأجر). هدم جزء مهم من حي حليل ورُحل سكانه إلى موقع إعادة الإسكان بحي عين لورا بالمدخل الغربي للمدينة، ورُحل سكان حي حسان عبد القادر وحي سيدي الهواري إلى حي الصّفاح جنوبها.

بعض السكان ممن رفضوا عملية الهدم، قاموا بإدخال تعديلات على سكناتهم (الصّورة رقم 18) سعياً للبقاء بالحي ومن أجل الحصول على ملكيتها في إطار القانون رقم 08-15، لأنها أنجزت على أرض ملك للدولة. استرجع الوعاء العقاري، ووجه لبناء مشروع سكني بصيغة التّرقوي المدعم (في طور الإنجاز)، أما الوعاء

¹ يقصد به التّرحيل الاجباري للسكان مع هدم سكناتهم واسترجاع العقار لاستعماله في أغراض أخرى (السكن والتّجهيزات العمومية).

العقاري المسترجع من هدم حي حسان عبد القادر (مارس 2021) وجه لبناء مشروع 900 مسكن عمومي ايجاري (في طور الإنجاز).

وجه الرصيد السكني المتبقي من مشروع القضاء على السكن الهش لبناء السكن العمومي الايجاري، ويعود ذلك الى حق التصرف الذي منحه الوزارة للوالي في توزيع هذا البرنامج، بحجة تزايد الطلب على السكن الإيجاري من طرف المواطنين بالدرجة الأولى، خاصة وأن تيسمسيلت كغيرها من ولايات الوطن تركت قرار الترحيل بيد السكان المتمسكون بمساكنهم بسبب مواقعها الاستراتيجية حسب رأيهم.



الصورة رقم 18: تجديد سكن هش بحي حليل عبد القادر، بمدينة تيسمسيلت.
المصدر: بلقرانة ودريش، 2022

تضاعفت مساحة المجمع خلال خمسة عشر سنة الأخيرة، فانتقلت من 723 هكتار سنة 2008 إلى ما يقارب 1400 هكتار سنة 2023، القطاعات التي أدرجت لتوسع المجمع باتجاه المجمع العمرانية الثانوية عين الكرمة والمناطق المبعثرة الرحاحلة وعبون في الشمال الشرقي والمجمع الثانوية بني مايدة جنوبا والمنطقة المبعثرة الوطواط غربا لا تزال في طور التعمير. كما اقترح المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير

لمجموعة تيسمسيات توسعها مستقبلا نحو المناطق الريفية المحيطة بها، التي تتوزع بشكل منتظم حول مركزها الرئيسي، منها بومنفوش في أقصى الشرق، الضاية في الغرب وأولاد يوسف جنوبا، وتهيئة هذه القرى وتجهيزها بالتجهيزات الضرورية من تعليم وصحة لتنشيط السكان لإيجاد نوع من التوازن في الشبكة العمرانية، هذا التوجه سيؤدي إلى تشكيل مجموعة حضرية مستقبلية، بتمدد المدينة على مجالاتها الريفية القريبة والبعيدة.



الصورة رقم 19: السكن الهش بمركز المدينة

حافظ المركز الاستعماري على هويته المعمارية، من خلال أشكال البيوت وارتفاعها ومواد بناؤها وخاصة القرميد، لكنه فقد مقومات صلابته فقد أصبح هشاً لعدم صيانتها، مما أفقد المدينة الانسجام والتناسق بين الأنسجة القديمة والحديثة، فالمركز القديم محاط بعدد من الأحياء الفوضوية والهشة، خاصة سكنات مشروع قسنطينة والحظيرة السكنية الشاغرة المتمثلة أساساً في الاسطبلات والحظائر التي تركها المعمرون، وشغلها سكان المنطقة بعد الاستقلال. لم تتمكن السلطات المحلية من هدمها نظراً لتمسك أصحابها بالموقع والمساحات الكبيرة أكثر من البناية نفسها، وأيضاً بسبب ملكيتها المشاعة خاصة ما تعلق بالورث، وتعدد الورثة ولاسيما من غرداية وتيزي وزو (بلقرانة ودريش، 2022).

تسمح لنا هذه النظرة العامة للمدينة، باكتشاف كيفية تشكل مكوناتها والروابط بينها. تم التطور العمراني لمدينة تيسمسيات بالتوسع بالتوازي مع إنشاء الطرق باتجاه المحور الشرقي، مع الابتعاد عن المركز القديم الذي يعكس، من ناحية، تقليل أهميتها في المدينة، ومن ناحية أخرى، وجود قيود طبيعية أو بشرية وجهت هذا الامتداد. دراسة النسيج العمراني للمدينة، تمكننا من حصر عام لعملية التوسع التي تمت على مراحل كثيرة، تمثلت في النواة القديمة ذات الشكل المنتظم، لكن بحالة متدهورة، أما الامتدادات الجديدة حول هذا المركز، فهي تخلص من اللحمة والتناغم بين مختلف العناصر الحضرية، فالنسيج الحضري بشكل عام يعاني من تمزق وانعدام الاستمرارية والأداء الوظيفي بين النسيج الاستعماري الموروث والتعمير الحديث، كما يشهد المنظر العام للمدينة فقراً معمارياً شاملاً.

3.1 مهدية، نمو عمراني على الأراضي الفلاحية

كانت مهدية في بداية التواجد الفرنسي بالسرسو منطقة عسكرية تابعة لبلدية ثنية الحد المختلطة، إلى غاية عام 1850، إلا أنّ وصول الأوروبيون الأوائل عام 1885، واستقرار عدّة عائلات بها، لممارسة الفلاحة (تربية الأغنام ثم زراعة الحبوب)، دفع الحاكم بجيجا إلى اقتراح إنشاء مركز استعماري بالمنطقة، بموجب مرسوم مؤرخ في 1904.

أنشئت مدينة مهدية الحالية فعليا في عام 1905 على موضع منبسط، وفرت الإدارة الاستعمارية آنذاك 50 امتيازاً فلاحياً لعشرين عائلة سكنت المركز في بداية انشائه، وقد حملت اسم بيردو (BURDEAU) نسبة للفيلسوف الفرنسي أوغست بيردو. في عام 1907 شغلت المدينة مساحة ثمانية عشر هكتاراً (18 هكتاراً)، يسكنها حوالي 50 عائلة، معظمها من أصل فرنسي بالإضافة إلى عدد قليل من المزارعين والحرفيين الجزائريين، وآخرين من أصول إيطالية وإسبانية ومغربية. توسعت المدينة غرباً بإنشاء منازل استعمارية وبعض التجهيزات الحضرية الإدارية والخدمية (مركز بريد، مركز صحي...) والأنشطة ولاسيما المطحنة. موضع مهدية المستوي ساعد في تجسيد خطة رقعة الشطرنج النموذجية، التي طبقت في معظم المدن الجزائرية، حيث تتقاطع الطرق الرئيسية، المتمثلة في شارع الأمير عبد القادر (الطريق الوطني رقم 40) والعرضية مشكلة زوايا قائمة.

توسعت مدينة مهدية ابتداء من سنة 1931 وخاصة بعد الثورة التحريرية، حول النواة الأولى، شمال وجنوب النسيج الأوروبي (الخريطة رقم 21)، ببناء مساكن للمعمرين في إطار التجزئة الحضرية، وأخرى من نوع حوش للأهالي كتجزئة مخطط قسنطينة ومراكز المحتشدات الذي كان يهدف إلى مراقبة الجزائريين ولاسيما اليد العاملة لدى المستعمر، (حالياً أحياء: سي يوسف، درامشي، البهتري والزيانين)، وحي كاستور شمال شرق المدينة، موجه لإسكان عمال قطاع الزراعة في مزارع المعمرين. إضافة إلى بناء سكنات من النمط الشبه جماعي ضمن برنامج السكن ذو الكراء المعتدل (HLM)، منها ما اكتمل بعد الاستقلال. تم التعمير في هذه الفترة بالابتعاد عن الطريق الوطني رقم 40 الذي كان يحد المجمع شمالاً وأصبح الآن يقسمها نصفين متساويين.

حافظت الدولة بعد الاستقلال على نفس الهيكل الحضري المعتمد سابقاً، تم التعمير على طول الطرقات الرئيسية المؤدية إلى الجزائر العاصمة، تيسميسيلت والنّاظورة (مرقومة وصديقي، 1991).



الخريطة رقم 21: مراحل التوسع العمراني لمدينة مهدية

نمت مدينة مهدية في السنوات الأولى بعد الاستقلال بشكل بطيء جداً، لأنّ إنتاج السّكن في هذه الفترة لم يكن ضمن أولويات الدّولة، بسبب الحظيرة السّكنية الموروثة وهو ما أدى إلى رفع معدل النمو الإجمالي بالمجمعة الرّئيسية إلى 4,48% في هذه الفترة. إلّا أن السّكن أصبح يشكل إحدى المعالم البارزة للأزمة التي عرفتھا البلاد منذ النصف الثاني لسنوات السّبعينات، على الرغم من الجهود المبذولة لمعالجة أزمة السّكن من خلال: إقرار برامج سكنية ومرافق عمومية، وبرامج خاصة للتنمية، التي مست العديد من الولايات بهدف خلق شروط التّنمية الاقتصادية، والاجتماعية في البلاد. عرفت مهدية في فترة السّبعينات وبداية الثّمانينات إنتاجاً حضرياً متنوعاً، تمثل في برنامج السّكن الذاتي (350 قطعة) القائم على الإعانة بواسطة مواد البناء، ومساحة متوسطة قدرها 150 م²، وذلك شمال شرق المدينة، حيث جاء هذا النمط حلاً للقضاء على السّكن الفوضوي الذي انتشر بفعل الهجرة الرّيفية في بداية السّبعينات، كما أنتج السّكن في إطار الاحتياطات العقارية البلدية، منه الفردي بواسطة التّجزئة التّرابية المنجزة من طرف البلدية ثم من طرف ووكالاتها العقارية في الثّسعينات، وإنجاز السّكن الجماعي عن طريق آلية المناطق السّكنية الحضرية الجديدة، ببناء 200 مسكن غرب المدينة و145 مسكناً شرقها (خفيف، 2005).

ارتفع العرض السكاني في نهاية الثمانينات بفضل المخطط الخماسي الثاني، حيث رفعت الدولة نسبة الاستثمار في القطاع، كما واكب هذه الفترة أيضا صدور قانون الترقية العقارية رقم 86-07، بلغ معدل اشغال المسكن بمدينة مهدية قيمة مرتفعة سنة 1987 قدرت بـ 6,86 شخص بالمسكن (بن يمينية وبوفروج، 2002)، وحافظت على هذا المعدل المرتفع إلى غاية سنة 2000، حيث سجل (5,95 شخص بالمسكن) ثم عاد للارتفاع من جديد.

ساهم تحرير العقار في التسعينات أيضا في ارتفاع العرض السكاني وتنوع صيغته، وطرق دعمه كذلك. توسعت المدينة بفضل البرامج السكنية المنجزة من طرف هيئات انتاج مختلفة وخاصة مؤسسة ترقية السكن العائلي، والصندوق الوطني للتوفير والاحتياط، وبرنامج السكن الجاهز الذي أنجز جنوب شرق مركز المدينة بغرض القضاء على السكن الفوضوي. استحداث الوكالة العقارية ساهم في إنتاج التجزئة السكنية الترقية والاجتماعية، تركزت شرق المدينة شمال الوطني 14، استهلكت لهذا الغرض أكثر من 27 هكتارا إلى غاية 2003، وذلك راجع إلى كبر مساحة القطع الترابية المنشأة، كتجزئة 499 قطعة جنوبا وتجزئة 233 قطعة شمالا، أما السكن الجماعي فقد توطن على محاور الطرقات المهيكلية للمدينة، بالمخرج الغربي اتجاه تيارت.

واصلت مدينة مهدية نموها المجالي، لكن بوتيرة ضعيفة، تماثت مع وتيرة النمو الديمغرافي، فقد انخفض معدل النمو السكاني إلى 0,97% في هذه الفترة بعدما كان 3,23% في الفترة السابقة. شهدت الفترة الممتدة من 2003 إلى يومنا هذا بناء السكن الفردي من طرف مالكيه في إطار التجزئة السكنية المنشأة في سنوات التسعينات من طرف الوكالة العقارية، إضافة إلى إنتاج السكن الجماعي ضمن البرامج الخماسية المتتالية خلال الألفية الثالثة، خاصة بعد تصريح الحكومة بإنجاز ألف وحدة سكنية عبر التراب الوطني. كما توسعت جنوبا بإنشاء منطقة النشاطات.

تضاعفت الحظيرة السكنية بمدينة مهدية في الفترة (1989-2000) بزيادة قدرت بـ 2000 مسكن (بن يمينية وبوفروج، 2002)، كما بلغت 5239 وحدة سنة 2010، وارتفعت إلى 5776 وحدة سنة 2019، بزيادة قدرها 637 مسكنا فقط خلال عشر سنوات، نظرا للتأخر في تسليم المشاريع السكنية في آجالها التعاقدية، ترتب عنه ارتفاع معدل اشغال المسكن في هذه الفترة، فانتقل من 5,61 شخص بالمسكن سنة 2010 إلى 5,94 شخص بالمسكن عام 2019.

سلمت المشاريع السكنية المسجلة في البرامج الخماسية الأخيرة (2010-2014) (2010-2019)، باختلاف صيغها بشكل متواتر، أعلى حصة سلمت عامي 2016 و2017.

الجدول رقم 25: الحصص السكانية المسلمة سنويا بمهدية

السنوات	2007	2008	2009	2010	2016	2017	2018	2019	المجموع
عدد المساكن المسلمة	106	110	47	10	323	32	320	210	1158

المصدر: مديرية البرمجة وتسيير الميزانية لولاية تيارت

توطنت المشاريع السكنية المسجلة في البرنامج الخماسي الأخير بضواحي المدينة (تحقيق ميداني، 2019)، جنوبا بمحاذاة الطريق الاجتبابي (الوطني 40) وشمالا، بالأوعية العقارية الشاغرة، استهلك السكن العمومي الاجباري أكبر حصة (1284 مسكن) وبالتالي أكبر مساحة، تليه صيغة البيع بالإيجار، بحصة 650 مسكن (الجدول رقم 26)، لكن تم الانطلاق في بناء 300 وحدة فقط نظرا لمشكل العقار، الذي يفسر عدم استفادة المدينة من برنامج السكن الترقوي الحر في إطار الاستثمار كباقي المدن الكبرى بالمنطقة. توطين هذا الكم المعتبر من البرامج السكنية وبعض التجهيزات وخاصة المدرسية والمعهد الوطني للتكوين المهني، أدى إلى استهلاك معظم الجيوب داخل حدود تعمير المدينة، ونظرا لموقع مهدية الحساس في وسط فلاحى جد خصب، جعلها موقعا مكبوحا وتوسيعه يمس بخصوصيتها الاقتصادية وهو ما يفسر ارتفاع معدل النمو السكاني بالبلدية إلى 1,55% في الفترة (2008-2019)، ولأن التوسع لا مفر، فقد اقترح المخطط التوجيهي للهيئة والتعمير التوسع المستقبلي بشكل خطي جنوب المدينة، موازيا للتسيج الموجود ومتعامدا مع الطريق الولائي رقم 1 المؤدية إلى الناظورة، على أرض فلاحية ذات مردود متوسط إلى ضعيف مقارنة بأراضي الشمال، وبانحدار ضعيف مقارنة بمركز المدينة، وبالتالي يدمج الطريق (الاجتبابي) الوطني 40 ضمن المدينة.

جدول رقم 26: البرامج السكن بمدينة مهدية حسب الصيغة خلال البرنامج الخماسي (2015-2019)

الصيغة	العمومي الاجباري	الاجتماعي التساهمي	الترقوي المدعم	الترقوي العمومي	القضاء على السكن الهش	البيع بالإيجار	المجموع
مهدية	1284	158	200	00	50	650	2342

المصدر: مديرية السكن لولاية تيارت (حوصلة 2020)

يعكس التسيج العمراني لمدينة مهدية المخطط الشطرنجي المنتظم، بفضل موضعها المستوي المسطح. استجابت المدينة في مختلف مراحل نموها للطرق المهيكله لها، يغلب عليها النمط الأفقي خاصة بمركزها سواء النواة الأولى (الحي الأوروبي) وتبلغ عدد مساكنه 930 مسكنا حسب الوكالة العقارية لمهدية) أو التوسعي، بينما يتوطن السكن الجماعي بأطرافها. ما يزال مركزها القديم يحافظ على شكله المعماري، حيث المساكن الكبيرة ذات الطابق الأرضي وآخر علوي، وأسقفها القرميدية، تعكس الرفاه الاجتماعي لسكانها الأوائل، وهم ممن يمتلكون العقارات الفلاحية الكبيرة.

2. التّنظيم المجالي والعناصر الوظيفية للقرى الفلاّحية

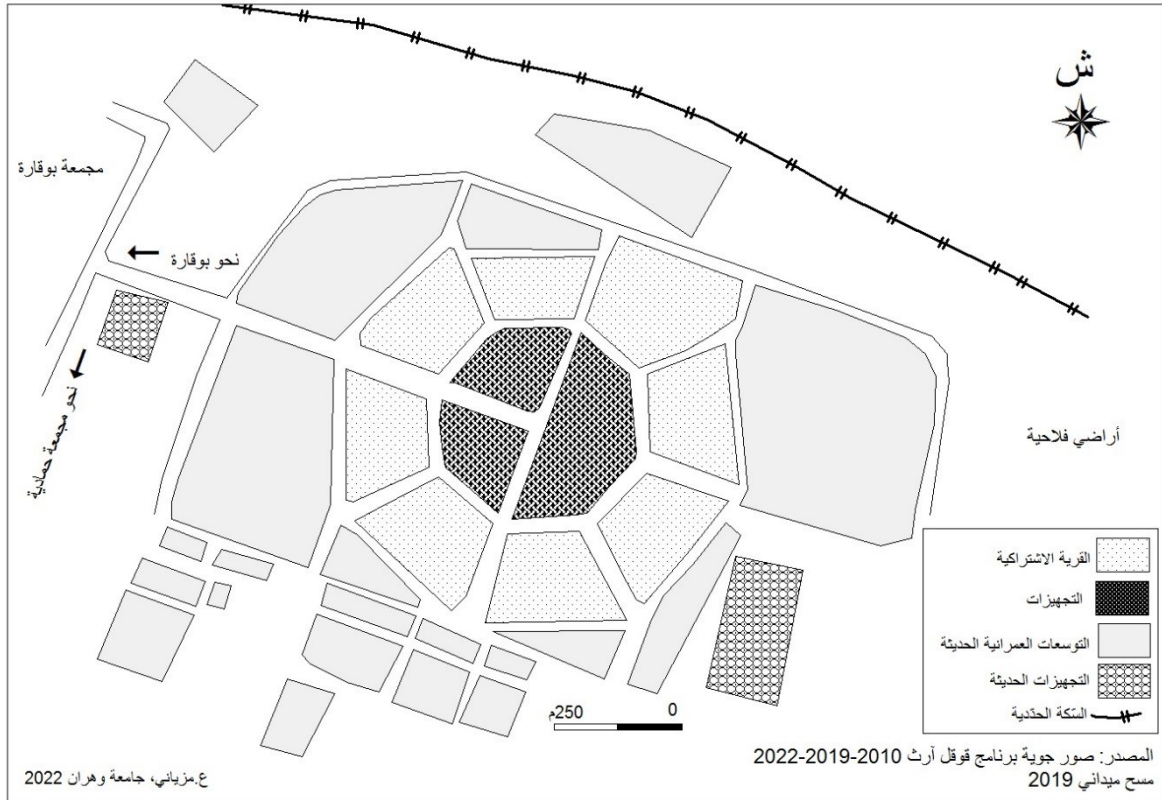
تمّ تصميم القرى الفلاّحية الاشتراكية وفق منطق مغاير تماما لما هو تقليدي ومتعارف عليه في عالم الرّيف الجزائري، وهو تصميم مستمد من نموذج المعسكر الشّرقي¹ يترجم التّنظيم الحضري المعبر عنه بمخطط منتظم وشبكة طرق تراتبية مستوحاة من الحركة الحديثة، وقد تمّ الاعتماد في التّصاميم على بعض المعماريين أمثال ريكاردو بوفيل، وفق عدّة أنماط تحترم مبدأ التنطيق (منطقة سكنية، التجهيزات ومنطقة النشاط الفلاحي) وتراصف البنايات، تسهّل شبكة طرق تراتبية الحركة وبالتالي تعزز العلاقات بين هذه القرى والمجمعات المحيطة بها (Meziani et Otmane, 2022)، ممّا أسهم في تطورها عمرانيا فيما بعد. ارتبط إنشاء القرى الاشتراكية ولاسيما في السّرسو بالعامل الاقتصادي المتمثل في الزّراعة وكانت الوظيفة السّكنية هي أبرز العناصر الوظيفية بها، ولأنّ الهدف الرّئيسي من إنشاء هذه القرى هو الإسكان بالدرجة الأولى، فقد احتلت الوظيفة السّكنية المساحة الأكبر. اتخذت القرى أشكالا عمرانية متنوّعة نذكر منها:

1.2 الشّكل النّجمي (الإفتخاري) بقرية الونشريس البيضاء

إدراج المفهوم الفضائي في تصميم القرى، يسمّى أيضا النّمودج الافتخاري أو مخطط الأبهة. تمّ تطبيقه بسهل السّرسو بقريتين اشتراكيتين بالضّفة الجنوبية لنهر واصل، هما الونشريس البيضاء ببلدية بوقارة وقرية عين مريم ببلدية عين بوشقيف، وتمّ الاعتماد في انشاؤهما على تصميم المعماري ريكاردو بوفيل. يتميز هذا النّمط بالتّجمع السّكني حول ساحة دائرية تتركز فيها التّجهيزات وتتنظم المباني حولها بشكل نجمي وطرق دائرية وإشعاعية (الخريطة رقم 22). هذا الشّكل يعبر عن التّألف الاجتماعي لدى السّكان ويحقق إمكانية السيطرة على كل الاتجاهات بما يؤمّن حماية القرية (العاني، 2010). أنشأت قرية الونشريس البيضاء عام 1974 بجانب القرية الاستعمارية القديمة التي كانت تسمّى هاردي (Hardy)، بوقارة حاليا، بخطة النّمط النّجمي الإشعاعي، حول ساحة دائرية بها مسجد القرية والتّجهيزات. تنتظم الجزيرات في شكل مضلعات سداسية والطّرق دائرية وإشعاعية، أنجزت على محور الطّريق الولائي رقم 6 الذي يربطها بمجمعة حمادية والطّريق الولائي رقم 16 الذي يلتقي مع الطّريق الوطني رقم 14 في مجمعة سيدي منصور باتجاه خميستي، هذه الطّرق خدمت الحركة فقط. إلّا أنّ التّوسعات الحديثة ابتداء من سنة 2003، لم تحافظ على التّصميم الإفتخاري، بل توطنت بطريقة عشوائية بشكل محوري شريطي جنوب القرية وشرقها باتجاه الطريق الولائي رقم 16 لتأمين الالتحام العمراني ببوقارة القديمة التي نمت أيضا في هذا الاتجاه، عن طريق البناء الرّيفي المتجمع والمبعثر. لم يكتمل النّمودج الدائري الإفتخاري

¹ ففي الاتحاد السّوفيتي حرصت الحكومات الشّيعية على تقوية قبضتها السياسية على الفلاحين وتأمين الحصاص الزّراعية للدولة وذلك من خلال النّظام التّعاوني لتحقيق هذه الغايات اعتمادا على الأساليب المتطورة والألات

لقرية الونشريس البيضاء، بسبب ضعف التسيير الحضري من جهة، خاصة أن السكّن الريفي المبعثر لا يخضع لأي خطة مسبقة، عكس النمط المتجمع، فتوطينه تم بطريقة عشوائية لأنه مرتبط بتوفر وعاء عقاري كما أنّ إنجازَه يكون متواتراً، هذا من جهة، كما نجد من جهة أخرى عدم الوعي من طرف الفاعلين المحليين والسكّان للجانب التاريخي لهذه القرية وما تجسده من تحول في سهل السرسو وفي حياتهم. إنشاء خط السكّة الحديدية الرابط بين تيسمسيلت والجلفة شمال القرية، قد يكون سبباً لإعادة بعث التعمير شمال القرية من جديد.



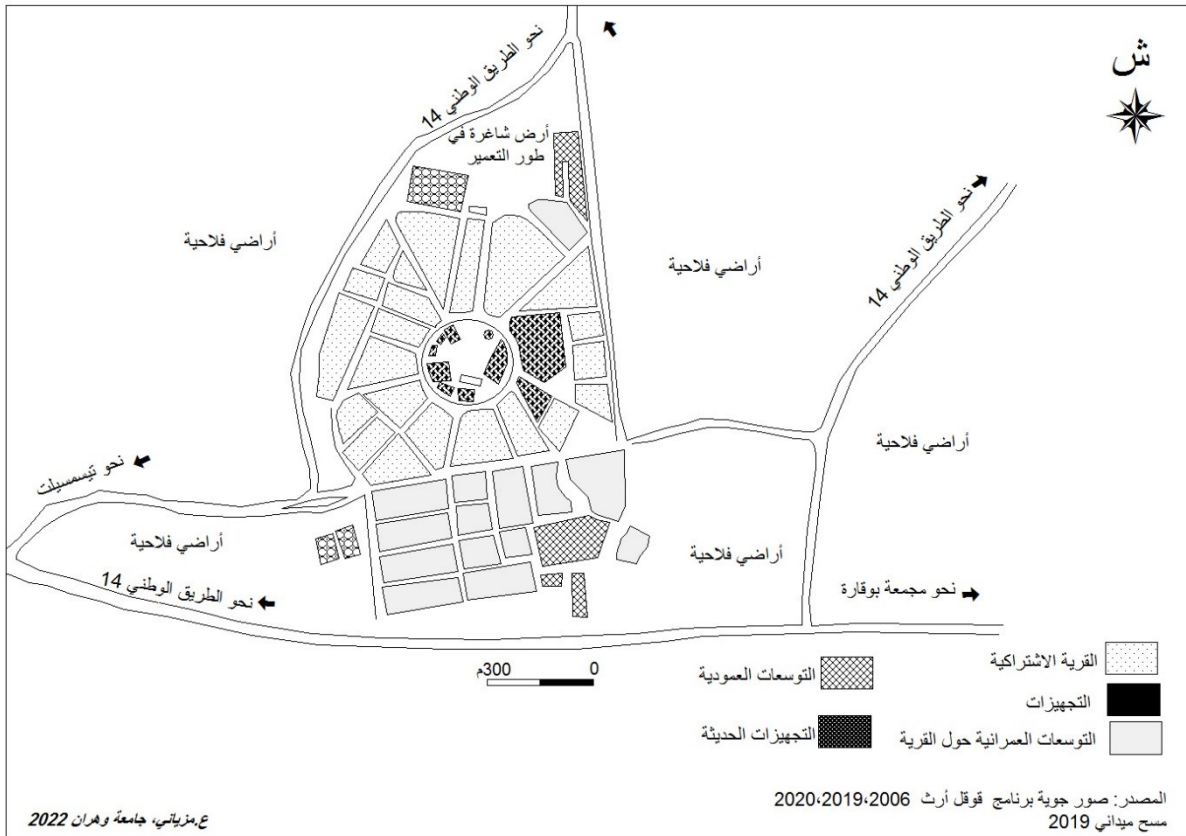
الخريطة رقم 22: تصميم قرية الونشريس البيضاء (بلدية بوقارة)

2.2 قرية عين الكرمة، خطة دائرية إشعاعية، توسعت بالشكل الرباعي

طبّق التصميم الدائري الذي يشبه إلى حد كبير التصميم الافتخاري في أربع قرى (عين الكرمة، ببيان مصباح، ضاية الثرفاس و سلمانة)، حيث تنتظم طرقاته الإشعاعية ومبانيه السكنية حول ساحة مركزية. أنجزت قرية عين الكرمة بالقرب من مجمعة تيسمسيلت على بعد 1.5 كلم فقط بمحاذاة الطريق الوطني رقم 14 على مسافة 500 متر. صمّمت على النمط الدائري الإشعاعي، تلتف الجزيرات حول الساحة الدائرية التي تضم التجهيزات والمسجد. أعطى هذا النمط معنى واضح للفضاءات المعمارية وسهّل الحركة فيها (العاني، 2010)، أنشأت مساكنها بالنمط الشبه تقليدي، مكونة من غرفتين ومطبخ وحمام.

حافظ التوسع الحديث لقرية عين الكرمة جنوباً، بواسطة آلية البناء الذاتي ابتداء من سنة 1988 على نمط السّكن، لكن بخطة شطرنجية (الخريطة رقم 23)، نظراً لطبيعة الملكية العقارية الخاصة شرق القرية، وعليه أصبحت الجزيرات على شكل مستطيل بدلا من شبه منحرف.

ارتفعت الحظيرة السّكنية بالقرية إلى ما يفوق 300 مسكن سنة 1998، بينما حافظت على نفس العدد حسب تعداد 2008، أي أن التّمو المجالي للقرية توقف في هذه الفترة، ثم عاد من جديد عن طريق آلية التّجزئة السّكنية، فقد استقادت القرية من 118 قطعة، وأيضاً عن طريق السّكن الاجتماعي التّساهمي الذي سمح بإدراج نمط معماري لم يكن موجود سابقاً وهو البناء الجماعي بالتّوسعات الجديدة، كما استقبلت عين الكرمة مشاريع السّكن التّرقوي لبلدية تيسمسيلت وهو مشروع 800 مسكن لووكالة عدل مما سمح بالتّحام التّسيجين معا.



الخريطة رقم 23: تصميم قرية عين الكرمة (بلدية تيسمسيلت)

ترتبط مجمعة عين الكرمة بشبكة طرق مهمة تربطها بتيسمسيلت وبوقارة وأيضاً بالطريق الوطني رقم 14 المؤدي الى تيارت جنوباً وإلى خميس مليانة شرقاً، وهي مقومات جعلت منها مركزاً داعماً لتيسمسيلت، فعامل القرب منها شجع الهجرة اليومية، فقد استقادت أيضاً من مجموعة من التّجهيزات مثل مكتبة، ملحق اداري ومركز ترقية المرأة ومركز تجاري (12 محل).

الغرض من هذين التّصميمين (التّجمي والدائري) هو إيجاد هوية وضمان حياة اجتماعية لسكان القرى والوصول إلى نوع من التّألف الاجتماعي بغرض ادماج المقيمين الجدد المجتئين من بيئات مختلفة في هذه القرى وتعويضهم بالتّنشيط الذي تنتجه هاته المركزيات كبديل عن تلك السلوكات التي كانت تتم سابقا في الأسواق (Safar-Zitoun, 1976).



الصورة رقم 20: مسجد القرية بعين الكرمة

3.2 قرية سلمانة: ديناميكية مجالية ووظيفية

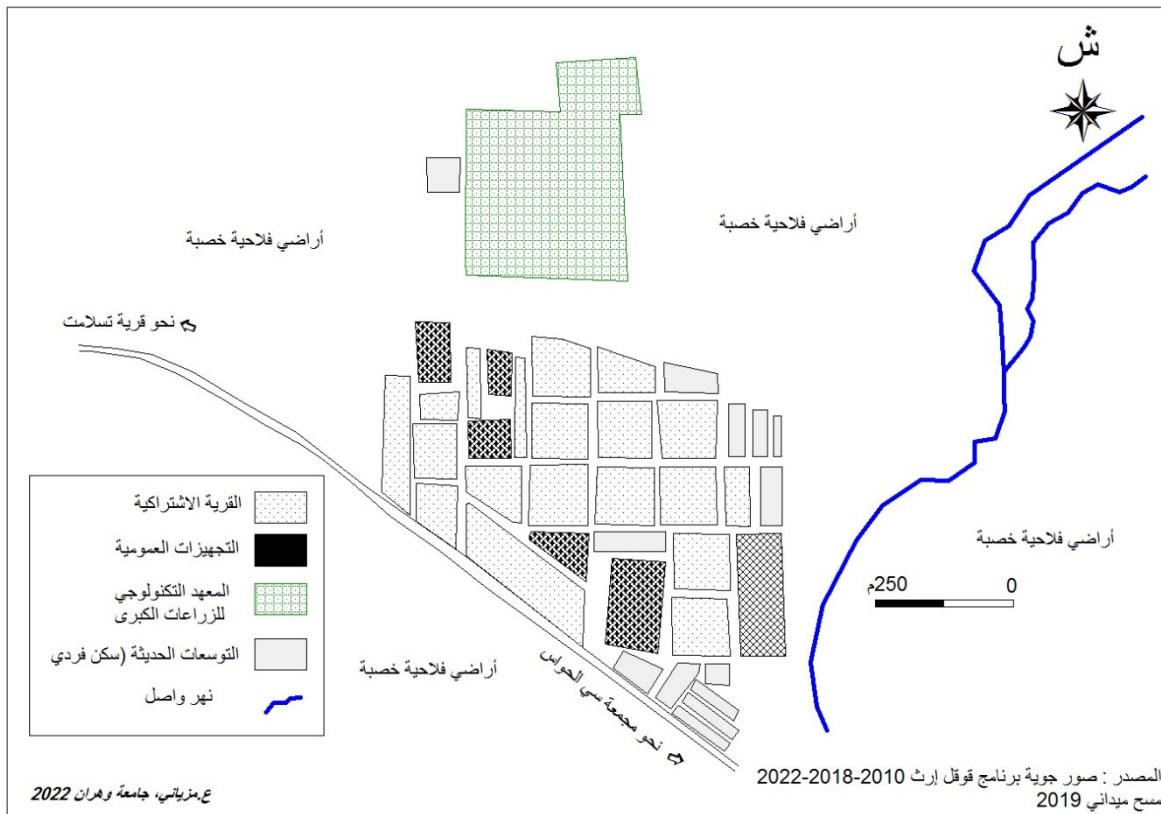
بنيت قرية سلمانة بإقليم بلدية العيون، أنشأت على النمط الإشعاعي حول ساحة بيضاوية الشكل تضم التّجهيزات الأساسية للقرية الاشتراكية.

عرفت القرية توسعا مجاليا سريعا ابتداء من سنة 2010 في جنوب النّسيج القديم يضا هي تقريبا حجم القرية الأصلي عن طريق التّجزئة السّكنية الرّيفية، بنمط السّكن المجمع وأيضا شرقا على محور الطّريق التي تربط الطّريق الولائي رقم 77 بالطّريق الولائي رقم 84، كما استفادت القرية من النّشاط الصّناعي الذي يخدم وظيفتها الأصلية شمالا وفي جنوبها الغربي، وشمل هذا النشاط معصرة زيتون وأيضا مطحنة شمال القرية بمساحة 3.43 هكتار، منحت في إطار الاستثمار، كما توسعت المجمع غربا على محور الطّريق الرابطة بين الولائي 77 والولائي 84، حيث ربح مساحة تعمير مهمة، أنجز فيها السّكن الجماعي بصيغة

العمومي الايجاري المسجل في البرنامج الخماسي 2014-2019 ، إضافة إلى مشاريع ذات طابع صناعي جنوب معصرة الزيتون وأيضا شرق المطحنة.

4.2 قرية السبعين، النموذج الشطرنجي وتجهيزات تخدم الوظيفة الفلاحية

طبق التصميم الشطرنجي في خمس قرى اشتراكية أنشأت بجوار الأنسجة العمرانية الموروثة عن الفترة الاستعمارية مثل سرايدي، عين بوشقيف والرشايقية وكان في غالبه امتدادا للنسق العمراني الموجود أو في قرى جديدة كالسبعين، عين مصباح والمقيصة. الشكل الشطرنجي هو تجمع سكني متعامد، حيث تنتظم الوحدات السكنية على شكل مربع أو مستطيل وتتقاطع الطرقات مشكلة زوايا قائمة وقد تنتظم هذه السكنات حول ساحة أو غالبا مسجد القرية (الخريطة رقم 24).



الخريطة رقم 24: النموذج الشطرنجي بقرية السبعين

أنشأت القرية الاشتراكية السبعين سنة 1976، اشتق اسمها من 70 عين الموجودة على ضفتي نهر واصل، على أرض ملك الدولة (شمال وشرق وجنوب شرق القرية)، أما غرب القرية وجنوبها الغربي فهي عبارة عن أملاك خاصة، جاء اختيار موضعها لعدة اعتبارات أهمها وجود الماء (المياه الجوفية، العيون ونهر واصل) والأراضي الفلاحية الجيدة وتدعيم ذلك بالمعهد التكنولوجي للزراعات الكبرى (ITGC)، إلا أنّ

تعميرها المستقبلي يصطدم بنهر واصل وشعابه جنوباً والأراضي الفلاحية الخصبة جيدة المرود في الشمال والشمال الشرقي والجنوب (الخريطة رقم 24).

أنجزت القرية بخطة رباعية، تنتظم فيها الجزيرات حول المسجد، يتوضع السكن والتجهيزات المدمجة ضمنه على الطريق الرئيسية. صممت الجزيرات السكنية بشكل مختلف، بحيث تضم كل واحدة 24 مسكناً بين كل ثلاث أو أربع مساكن متجاورة يوجد فراغ، ومساحة شاغرة وسط الوحدة السكنية، وهو ما سمح للسكان بالاستلاء على هذه الفراغات وتوسيع سكناتهم عليها.

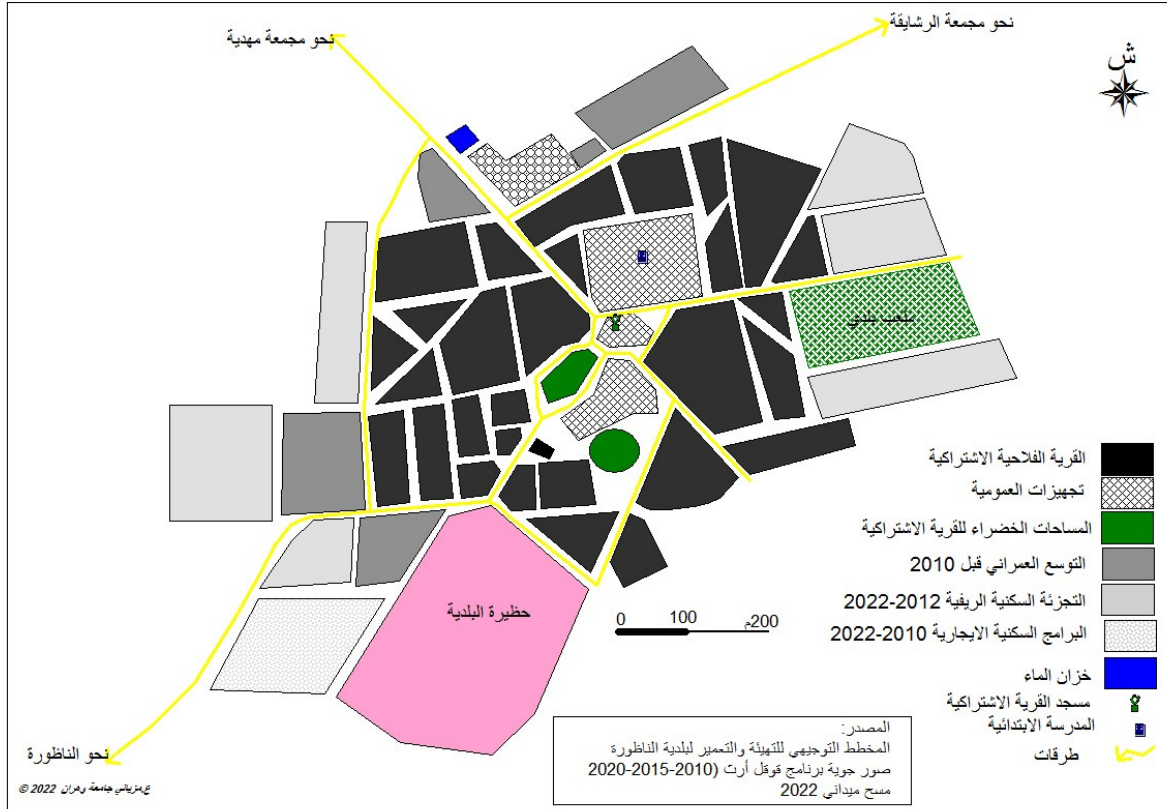
لم تشهد قرية السبعين توسعاً مجالياً مهماً، فقد احتفظت بحظيرتها السنوية الأولية لفترة طويلة، إلا أنها توسعت في بداية الألفية الثالثة لكن بوتيرة ضعيفة، عن طريق البناء الريفي الذي توطن شمال الطريق الولائي رقم 4 المؤدية إلى سي الحواس جنوباً وقرية تسلمت شمالاً. استفادت القرية من برنامج السكن العمومي الإيجاري سنة 2020، أنجز شرق المجموعة، على مسافة أقل من 80 متراً من نهر واصل.

5.2 قرية ضاية الترفاس، وتيرة تعمير ضعيفة وبطيئة

ضاية الترفاس هي قرية اشتراكية، تؤدي حالياً مركز بلدية الناظورة. تقع في وسط فلاحية نو مردودية ضعيفة نوعاً ما نظراً لترتبتها الفقيرة ومناخها الجاف، أنشأت على أراضي ذات ملكية عمومية بالقرب من مركز المحتشد العسكري (دوار السحاري سابقاً) على بعد 21 كلم جنوب غرب مجمعة مهدية، إلا أن موضعها المنبسط ذو الانحدار الضعيف جعلها تعاني من مشكل التصريف، وهي عرضة للفيضانات وتجمع المياه الراكدة خاصة في الجهة الجنوبية.

أنشأت قرية ضاية الترفاس بخطة دائرية تنتظم حول نواة وتجهيزات تضم المسجد، توسعت لكن بشكل محتشم جداً إلا أنه أدخل عليها نمط البناء نصف الجماعي بالجهتين الجنوبية الغربية والشمالية على محور الطريق المؤدية إلى المجمعة العمرانية الثانوية الناظورة (الخريطة رقم 25).

حافظت القرية الفلاحية على الطابع المعماري للمساكن والتي كانت في الأصل ذات ثلاث غرف، مبنية بمواد صلبة وأسقف من قرميد، مساحتها واسعة وبها فناءين واحد أمامي وآخر خلفي. تسيطر بنايات القرية الاشتراكية بنسبة كبيرة في المجمعة التي لم تعرف ديناميكية مجالية مهمة، باستثناء المساكن التي أنجزت من طرف ديوان الترقية والتسيير العقاري بصيغة السكن التطوري وكذا الوظيفي، كما حافظت على النمط الفردي حتى بالتوسعات الحديثة ما عدا نسبة ضئيلة جداً من نمط الجماعي، كما أن مساكن القرية الفلاحية حافظت بنسبة عالية على النمط المعماري الفردي بطابق أرضي وسقف من القرميد.



الخريطة رقم 25: التوسع المجالي لقرية ضاية الثرفاس (مركز التجمع الرئيسي لبلدية الناظورة)

استفادت القرى الاشتراكية من الوظائف الحضرية من خلال إنشاء المؤسسات التعليمية، الإدارية، الصحية والثقافية، فلا تكاد قرية اشتراكية تخلو من التجهيزات الأولية المتمثلة في: مدرسة، ملحق بلدي، مسجد، مركز بريد، قاعة علاج (الصورة رقم 21)، حمام وسوق، فهذه التجهيزات خلقت أيضا وظائف جديدة في الوسط الريفي، وظهرت فكرة تقسيم العمل مع التخصص، وذلك بإدراج معاهد متخصصة في مختلف قرى الوسط الريفي، والسرسو كالمعهد التكنولوجي للبذور بقرية السبعين الذي يعمل على تطوير وإنتاج البذور بإدخال أصناف جديدة، وأيضا تحليل التربة على مستواه. أما المزرعة النموذجية "سي عبد الكريم" فتعمل على إنتاج وتكثيف الحبوب. وأنشأ بقرية عين بوشقيف مركز التدريب الجامعي ووظائف صناعية تشغل موظفين من داخل وخارج القرية. تتركز هذه التجهيزات بفضاء القرى تبعا لشكلها فقد تمركزت وسطها في النماذج النجمي والدائري الإشعاعي، بينما تواجدت على محاور الطرقات الرئيسية في النمط الشريطي والشطرنجي، مما أعطى تنظيما مجاليا حولها.



الصورة رقم 21: تجهيزات القرية الاشتراكية (ضاية الثرفاس)

3. السّكن بالوسط الريفي محرك للتّوسع المجالي

شهد المجال الريفي بالسّرسو تحولات مجالية نتيجة التّوسعات العمرانية التي شهدتها القرى، سواء الاستعمارية أو الاشتراكية من خلال برامج التّنمية والبرامج السكنية التي استفادت منها بمختلف الصّيغ حسب مختلف السياسات السكنية والعقارية بداية من السّكن الريفي المتجمع في السبعينات (القرى الاشتراكية، السّكن الذاتي في الثمانينات والتّسعينات، السّكن الريفي المبعثر خاصة بعد 2002 وصولا والعودة من جديد للسّكن الريفي المتجمع عن طريق التّجزئة السكنية بعد 2010، دون أن نستثني الصّيغ السكنية الحضرية التي أدرجت في عالم الرّيف ولاسيما السّكن العمومي الايجاري والعمومي المدعم. كان للنمو الديمغرافي الذي عرفته هذه القرى الأثر الكبير في تحولاتها المجالية بسبب الحاجة للسّكن والتّجهيزات من جهة وبسبب تأثر بنيتها الحياتية والاجتماعية من جهة أخرى.

1.3 انتاج السّكن الريفي في السّرسو، أنماطه، تطوره وتوزيعه الجغرافي

شهد الرّيف الجزائري بعد الاستقلال سياسات تعمير مختلفة بأنماط مختلفة أيضا، فاعتمدت الدّولة الجزائرية على نمط السّكن الريفي المبعثر خلال مرحلة المخططات التّنموية (1967-1989) واستمر العمل به كألية تعمير في مختلف الأرياف الجزائرية في مرحلة الاصلاح الاقتصادي (1990-2003). جاء دعم الدّولة للسّكن الريفي المبعثر من أجل ضمان وتشجيع عودة الريفيين إلى أراضيهم بعد الخروج من الأزمة

الأمنية، لم يتوقف دعم السّكن أثناء سياسة التّجديد الريفي أيضا (2004 إلى يومنا هذا) لأنه إحدى أهم آلياتها. عرف السّكن الريفي عدّة صيغ ناتجة عن التّحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها البلاد، فمن المساعدات بمواد البناء (البناء الذاتي) إلى المساعدات المالية المباشرة، أو الاستعانة بمقاولين. اعتمدت الدولة خلال تطبيق سياسة الثّورة الزراعيّة إلى جانب التّمط المبعثر سياسة السّكن الريفي المتجمع، عن طريق بناء القرى الفلاحية الاشتراكية (VSA) في المناطق السّهلية والقرى الرّعوية الاشتراكية في المناطق السّهبية، ثم بناء قرى بالمجالات الفلاحية الاشتراكية (DAS)، في بداية الثّمانينات، فتدعيم العمل في الرّيف صاحبه تدعيم السّكن لتحقيق الاستقرار الاجتماعي. عادت الدولة من جديد لتبني سياسة السّكن الريفي المتجمع أو الشّبه متجمع عن طريق إنشاء تجزئة سكنية ريفية مع مطلع عام 2012. استفادت مختلف بلديات السّرسو من السّكن الريفي بشقيه، وخاصة المبعثر منه بنسبة فاقت 89%، فقد تركز بشكل كبير في سرسو تيسمسيلت، حيث استفادت بلدية العيون لوحدها من 1816 وحدة سكنية (الجدول رقم 27).

الجدول رقم 27: انتاج السّكن الريفي في السّرسو (2002-2020)

البلديات	سكن ريفي مبعثر		سكن ريفي مجمع		المجموع		عدد السكان المبعثرون (2019)	معدل اشغال المسكن
	العدد	%	العدد	%	العدد	%		
تيارت	305	2,15	163	10,08	468	2,97	2484	8,14
ع بوشقيف	880	6,21	100	6,18	980	6,21	3784	4,30
ع دزاريت	759	5,36	60	3,71	819	5,19	3409	4,49
الناظورة	746	5,27	230	14,22	976	6,19	4334	5,81
ملاكو	772	5,45	70	4,33	842	5,34	5978	7,74
الدّحموني	1048	7,40	0	0,00	1048	6,64	3784	3,61
مهدية	687	4,85	0	0,00	687	4,35	2000	2,91
السّبعين	977	6,90	60	3,71	1037	6,57	5478	5,61
الرّشايقة	1280	9,04	50	3,09	1330	8,43	13168	10,29
حمادية	663	4,68	100	6,18	763	4,84	5358	7,02
بوقارة	723	5,11	100	6,18	823	5,22	2455	3,40
مجموع تيارت	8840	62,43	933	57,70	9773	61,94	52232	5,91
تيسمسيلت	1435	10,13	64	3,96	1499	9,50	4872	3,40
العيون	1459	10,30	485	29,99	1944	12,32	5737	3,93
خميسني	1553	10,97	135	8,35	1688	10,70	5056	3,26
أولاد بسام	873	6,17	0	0,00	873	5,53	2049	2,35
م. تيسمسيلت	5320	37,57	684	42,30	6004	38,06	17714	3,33
م. السّرسو	14160	100	1617	100	15777	100	69946	4,94

المصدر: مديريات السّكن لولايي تيارت وتيسمسيلت

عرف تمويل السّكن الريفي المبعثر اهتماما من قبل الدولة في مختلف مراحل سياسة التّنمية الرّيفية انطلاقا من سنة 2002، بغرض تثبيت السّكان أو ارجاعهم إلى أماكنهم، إلا أن ميزانية الرّبط بمختلف الشّبكات أرهقت كاهل الخزينة العمومية، مما أدى إلى استحداث أو العودة إلى سياسة السّكن الريفي المتجمع، وذلك

بإنشاء تجزئة سكنية على أرض ملك الدولة، تعمل هذه الأخيرة على تهيئتها بمختلف الشبكات (طرق، صرف صحي، ماء صالح للشرب، كهرباء ...). يمكن القول بأن الدولة بهذه الألية، ساهمت في التوسع العمراني المخطط لهذه القرى، إلا أنها لم تفرق انجاز السكن بالمرافق العمومية كما حدث في السبعينات (الصورة رقم 22)، إلا أنها لم تحل مشكلة الإسكان في بعض البلديات وخاصة تلك الواقعة بتراب ولاية تيارت، على الرغم من الحصص السكنية المهمة التي استفادت منها الولاية، إلا أن معدل اشغال المسكن سجل قيما مرتفعة جدا ببلديات الرشايقية (10,29 شخص بالمسكن)، تيارت (8,14 ش/المسكن)، وملاكو (7,74 ش/م)، وحمادية (7,02 ش/م)، فإننتاج السكن الريفي لم يتماشى مع الزيادة السكانية، خاصة وأن هذه البلديات باستثناء تيارت سجلت معدلات نمو سكاني مرتفعة في الفترة الأخيرة (2008-2019) تجاوزت 3 % في بلدية حمادية، باستثناء بلدية تيارت التي سجلت معدلا منخفضا قدر بـ 0,68 %، مما يدل على أن السكن الريفي المبعثر لا يستفيد منه سكان المناطق المبعثرة، بل سكان مدينة تيارت لأنهم ملاك العقار الفلاحي، وملكية العقار من بين أهم شروط الاستفادة بغض النظر عن الإقامة، إضافة إلى الدور الذي تلعبه الجماعات المحلية التي تسعى للحصول على أكبر حصة سكنية بغض النظر عن الاحتياج الحقيقي، كما أن قوائم المستفيدين تعدها المجالس الشعبية البلدية وغالبا لا تحمل في طياتها المحتاجين الحقيقيين لمثل هذه البرامج السكنية. بينما سجلت باقي البلديات ولاسيما بلديات ولاية تيسمسيلت معدل اشغال مسكن منخفض (3,33 ش/المسكن)، وهو ما يدل على وجود فائض سكني بالمنطقة، قد يرجع إلى أن الحصة السكنية لبلديات تيسمسيلت تفوق بكثير مثيلاتها ببلديات تيارت، كما تتضوي أيضا تحت استراتيجيات السكان الذين يسعون للاستفادة من مساكن ريفية بغرض بناء مساكن ثانية تبقى شاغرة، كما أن بعضهم يقوم بإعادة بناء مسكنه فقط، رغم أن الاعانة التي يتحصل عليها تحتسب كسكن جديد.



الصورة رقم 22: السكن الريفي في السرسو 1: سكن ريفي مبعثر (بلدية تيارت)
2: تجزئة ريفية مجمعة (عين البيضاء، بلدية حمادية)
المصدر: تحقيق ميداني (2021)

فعلى سبيل المثال لا الحصر وجدنا من خلال التّحقيق الميداني أنّ المستفيدين من السّكن الرّيفي في مهدية يسكنون المركز ويوجّهون منازلهم الرّيفية لإسكان عمال المواسم الفلاحية، وهو ما يفسر انخفاض معدل اشغال المسكن بمنطقتها المبعثرة (2,91 شخص/ المسكن فقط). استفادت مختلف القرى والمجمعات الرّيفية بالسّرسو من التّجزئة الرّيفية (حسب الجدول رقم 27)، حيث تركزت هذه التّجزئة بشكل كبير في القرى الفلاحية الاشرائية (سابقا) بنسبة 65%، النّسبة المتبقية تركزت بالمجالات الفلاحية الاشرائية (الدكتور سعدان، عين قاسمة، جبار محمد...) والتّجمعات السّكنية الأخرى، بينما لم تستفد بعض البلديات من هذا النّمط (مهدية والدّحموني) نظرا لعدم وجود مجمعات عمرانية ثانوية بها. أكبر حصة كانت من نصيب بلدية العيون (450 وحدة) تركزت أكبر نسبة منها بقرية سلمانة الاشرائية.

1.1.3 سي بن خروبي من التّبعثر إلى التّجمع والاندماج مع المجموعة الرّئيسية

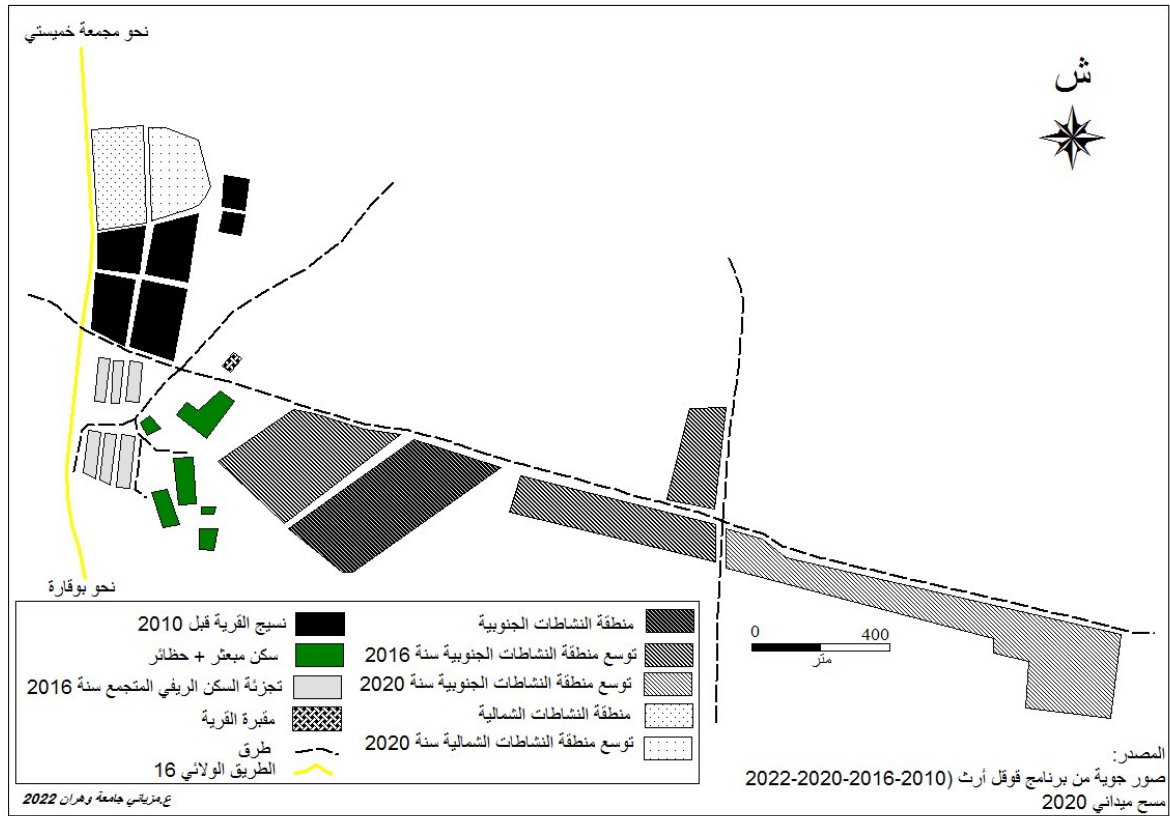
تقع المنطقة المبعثرة المسماة سي بن خروبي بالقرب من مجموعة حمادية، استفادت من السّكن الرّيفي بنوعيه المبعثر والمجمع (50 مسكن سنة 2012)، نمت بوتيرة سريعة في الفترة الأخيرة بفضل المشاريع السّكنية التي توطنت على شكل خطي (الصورة رقم 23) على بعد 1 كلم من الطّريق الولائي رقم 14 باتجاه حمادية، نظرا لطبيعة الملكية العقارية الخاصة لأراضيها. الطّلب المتزايد على السّكن وتواصل التّعمر بهذا الشّكل جعل المنطقة تميل إلى التّجمع بفضل برامج السّكن الرّيفي مما سيؤدي حتما إلى التّحام نسيجها العمراني مع حمادية.



الصورة رقم 23: التعمير الخطي للمنطقة الريفية سي بن خروبي

2.1.3 قرية سيدي منصور، السّكن الرّيفي المتجمع وسيلة للتّوسع الحضري

عرفت الأوساط الرّيفية ولا سيما التّجمعات الثّانوية برامجا سكنية مختلفة الصّيغ لعل أهمها التّجزئة السّكنية (سكن ريفي متجمع) التي عادت لتفرض نفسها بقوة في الجزائر بعد 2010، استفادت بلدية خميستي من حصة سكنية ريفية قدرها 135 مسكنا، تمّ توطين 100 مسكن منها في مجمعة سيدي منصور سنة 2015. إنجاز هذه التّجزئة السّكنية سمح بتوسع المجمع جنوبا على مساحة 4,6 هكتار بعد الرّكود الذي عرفته سنوات طويلة، مما ضاعف المساحة العقارية السّكنية في ظرف سنة واحدة، كما سمح التّوطن الصّناعي بها أيضا في توسعها المجالي شمالا وجنوبا في سنوات وجيزة متتالية (الخريطة رقم 26).



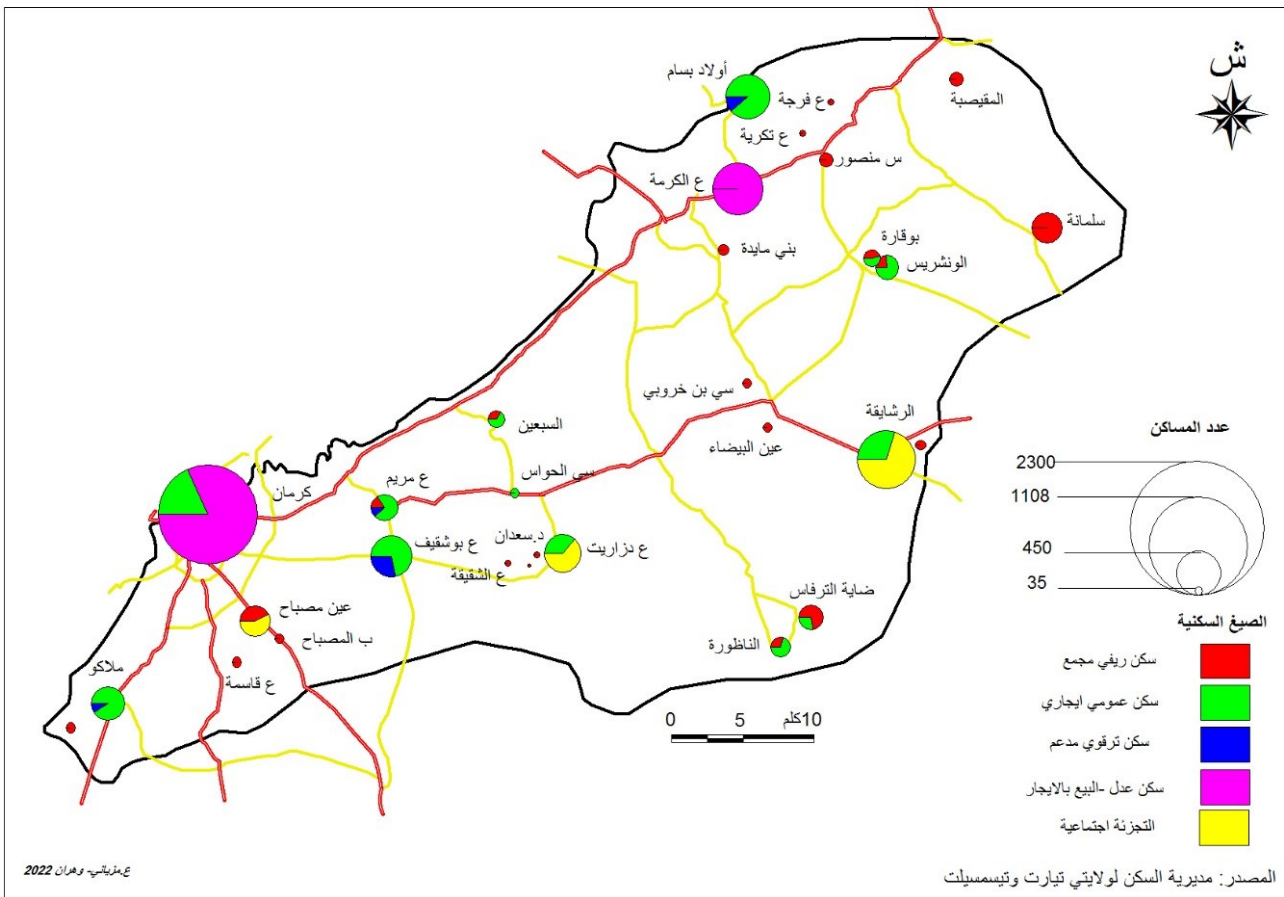
الخريطة رقم 26: التّوسع المجالي لمجمعة سيدي منصور، بلدية خميستي

2.3 إدراج النمط الحضري بريف السّرسو وتنوع مورفولوجيته المعمارية

لم يقتصر إنجاز السّكن في الوسط الرّيفي وشبه الحضري بالسّرسو على صيغة الرّيفي المتجمع فقط، بل استفادت الكثير من المجمعّات الرّيفية من مختلف الصّيغ (الخريطة رقم 27) ولا سيما العمومي الايجاري على الشّكل العمودي، كما لجأت بلدية عين بوشقيف إلى تخصيص قطعة أرض لإنشاء السّكن التّرقوي المدعم بقرية عين مريم (40 مسكنا)، نظرا لتوفر عقار عمومي، وأيضا للقرب بين المجمعّتين. استفاد السّرسو من حصة سكنية مهمة بصيغة البيع بالإيجار المنجز من طرف وكالة عدل قدرت بـ 3100

مسكنا، تم توطينها بالوسط الريفي. غرزت أكبر حصة قدرها 2250 مسكنا بمجموعة كرمان التي أصبحت منطقة تمدد حضري لمجموعة تيارت. أما الحصة المتبقية (850 مسكنا) توطنت بقرية عين الكرمة على العفار العمومي الذي يفصلها عن مجموعة تيسمسيلت.

تم استحداث نمط جديد، يتمثل في تجزئة قطع أرضية تابعة للأملاك الخاصة للدولة والتنازل عنها لفائدة المستفيدين على شكل حصص مهياة موجهة للبناء الذاتي لفائدة ولايات الهضاب العليا والجنوب وذلك طبقا للتعليمية الوزارية المشتركة رقم 01 المؤرخة في 07 جويلية 2014، والمقرر الوزاري رقم 875/م.دو. أ/المؤرخة في 26 جويلية 2015.



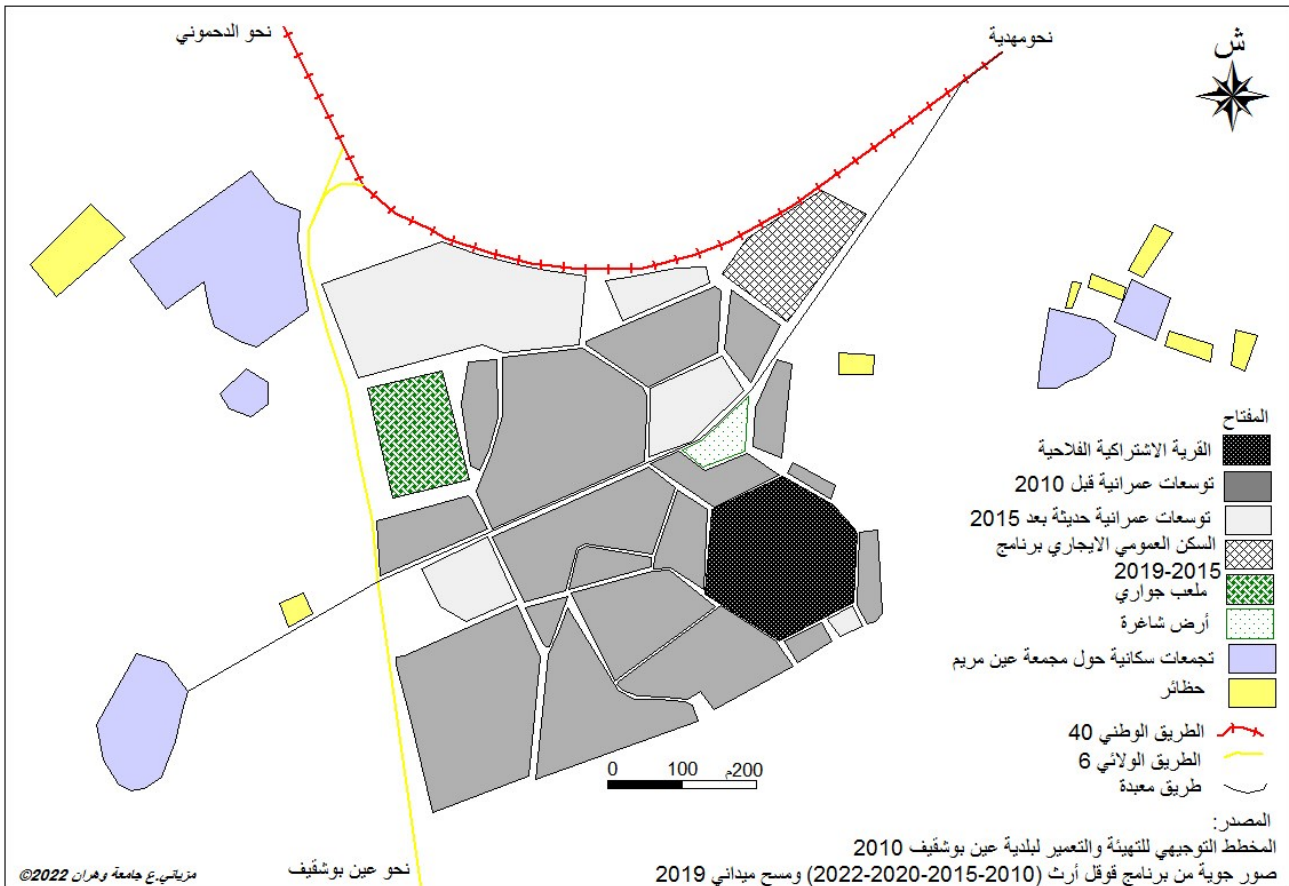
الخريطة رقم 27: إنتاج السكن بالوسط الريفي والشبه الحضري بالسنسو حسب مختلف الصيغ (2010-2019)

استفاد السنسو في إطار المخطط الرباعي (2019-2022) من برنامج ولايات الهضاب العليا والجنوب، خاصة بلدياته الجنوبية (الرشايقية وعين دزاريت)، واستفادت أيضا بلدية تيارت من حصة تم توطينها في الوسط الريفي بقرية عين مصباح، بالرغم من أن بلدية تيارت لا تملك حق الاستفادة من هذا النوع من التجزئة، حسب التعليمية الوزارية المشتركة رقم 01، لأنها ليست من البلديات الخاضعة لصندوق الهضاب

العليا، ومع ذلك زاحمت البلديات المعنية وخصصت السلطات المحلية حصة لسكان تيارت كونها عاصمة الولاية، فيما لم تستفد بلديات تيسمسيلت من هذا النوع من السّكن لأنها غير خاضعة لصندوق الهضاب العليا. أعطى السّكن بمختلف صيغته ديناميكية خاصة لريف السّرسو، وساهم في توسع مجتمعاته مجاليا وسكانيًا، مما أدى إلى تحولات مختلفة بهذا الوسط، فانتقلت من الأفقية التي تعتبر من أبرز معالمه إلى المرتفعة، وتحولت مساكنه من النمط الفردي، وأسطح مائلة مصنوعة من القرميد لأنّ المنطقة مطيرة، إلى النمط العمودي ومواد بناء حديثة.

1.2.3 قرية عين مريم، وعاء ريفي للبرامج السكنية الحضرية

أنشأت قرية عين مريم الاشتراكية في الثمانينات وسط السّرسو، على الشكل النّجمي. توسعت القرية شمالا وظهرت بها نواة جديدة بنفس النّسق الدائري، كما توسعت شرقا نحو الطّريق الولائي رقم 6 إلى أن لامسته عن طريق البرامج السكنية، ولاسيما التّجزئة الرّيفية التي عرفت بالسّكن الدّاتي في نهاية الثّمانينات.



الخريطة رقم 28: التّوسع المجالي لقرية عين مريم من النمط النّجمي إلى العضوي

¹ تحدد المادة 5 من المرسوم التنفيذي رقم 06-486 المؤرخ في 23 ديسمبر 2006 كـيفيات تسيير حساب التخصيص الخاص رقم 116-302 الذي عنوانه "الصندوق الخاص بالتنمية الاقتصادية للهضاب العليا" (الجريدة الرسمية العدد 84)

النَّحْم نسيج القرية الاشتراكية بنسيج المجمع العرمانية الثانوية المسماة شيليا، فارتفع عدد السَّكان في الفترة (1987-1998) بمعدل نمو اجمالي سجل 4.75% وهو معدل مرتفع يفوق بكثير مثيله ببلدية عين بوشقيف والسَّرسو أيضا. حافظت القرية على طابعها الأفقي الفردي إلى غاية تنفيذ المخططات الخماسية الأخيرة وخاصة (2015-2019) فقد استفادت من مشروع سكني حضري قدر بـ 220 سكن بصيغة العمومي الايجاري، توطن شمال شرق المجمع على الطَّريق الوطني رقم 40 المؤدي إلى مهدية، كما استفادت أيضا من مشروع 40 سكن ترقوي مدعم (المشروع قيد الانجاز).

توسع قرية عين مريم لم يحافظ على نفس النَّسق العمراني الأصلي (الخريطة رقم 28) بل تغيرت خطتها من الدائري إلى الشَّطرنجي باتجاه الطَّرقات (الولائي رقم 6، الوطني رقم 40)، حيث أصبحت المجمع محصورة بين هذين الطَّريقين، كما تغير نمطها العمراني أيضا فانقلت من البناء الفردي الأفقي الأكثر انتشارا، إلى الجماعي العمودي الدَّخيل بتصاميمه العصرية الحضرية وحتى السَّكن الفردي تغير من حيث الشَّكل والارتفاع.

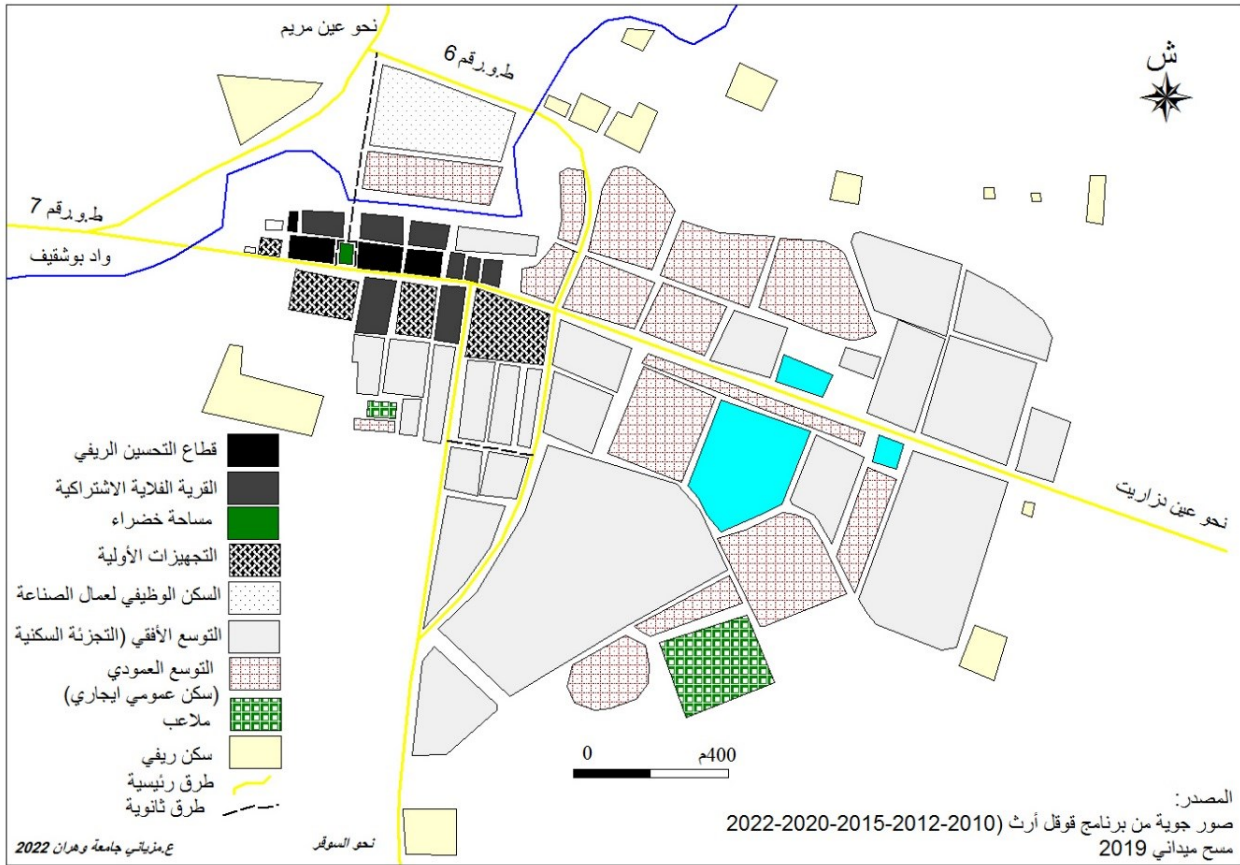
2.2.3 التَّوطن الصَّناعي أداة لتعمير عين بوشقيف

وجود طريق مهمة مهيكلة هي الدَّافع وراء إنشاء القرى على النَّمط الشَّريطي، فبنشأ العمران على جانبيها بشكل طولي. طبق هذا النَّموذج بالقرى الاشتراكية المطعمة، ضمن قرى أو مراكز اسكان استعمارية كعين بوشقيف وعين دزاريت. التَّواة الأولى لعين بوشقيف استعمارية النَّشأة، تمثلت في قطاع التَّحسين الرِّيفي الذي أنجز عام 1939، بنته الإدارة بين تيارت وسي الحواس (Bourlier)، على أراضي مشاع دَّوار العويسات، بغرض توطين السَّكان الأصليين الذين لا أرض لهم. استقر عمال الزَّراعة سواء الفلاحين أو الرِّعاة هناك وحصل كل منهم على سكن وحوالي 20 هكتارا مزروعة تحت إشراف الإدارة، حيث تم إنشاء حوالي ستة وثلاثون مسكنا تقليديا (36 حوش) للأهالي الذين بلغ عددهم آنذاك 130 نسمة.

الطَّبيعة العقارية العمومية لأراضيها كانت حافزا لإنشاء القرية الاشتراكية بهذا الموضع في السَّبعينات، بجوار قطاع التَّحسين الرِّيفي على الضَّفة الجنوبية لواد بوشقيف.

أنجزت القرية بخطة شريطية يهيكلها الطَّريق الولائي رقم 7 الذي يربط تيارت وعين دزاريت، ورقم 6 الذي يربط السَّوقر بعين بوشقيف باتجاه عين مريم، حيث يلتقي هذا الأخير مع الطَّريق الوطني رقم 40. حفزت التَّرقية الإدارية سنة 1984 تعمير المنطقة، فقد أصبحت عين بوشقيف مركز بلدية، واستفادت من التَّجهيزات والبنى التَّحتية. رغم وظيفتها الفلاحية إلا أنَّها استفادت أيضا من التَّوطن الصَّناعي الذي أدرج في وسطها الفلاحي، حيث استهلك لهذا الغرض مساحة قدرت بـ 42.72 هكتارا، هذا التَّوطن الصَّناعي سمح لها أيضا باستقبال مشاريع السَّكن الخاص ببلدية تيارت ولا سيما السَّكن الوظيفي الموجه لعمال القطاع الصَّناعي (CNMTL). استقبلت من جهة أخرى أحياء إعادة الإسكان، حيث تم ترحيل سكان حي زعرورة

بمجمعة تيارت بعد إزالة البنايات الهشة والفوضوية. يمكن اعتبار عين بوشقيف منطقة تحضر بالنسبة لتيارت وهي من المدن الثوابع لأن السكان الحضريون انتقلوا للعيش في الوسط الشبه ريفي، وهو ما يفسر انتشار السكن العمومي العمودي بالمجمعة شمال وجنوب الطريق الولائي رقم 7 (الخريطة رقم 29). حافظت مجمعة بوشقيف في توسعها على النمط الخطي على محاور الطرق (الولائي 6 و7)، مما أنتج خطة شطرنجية، كما توسعت المجمعة في الفترة الأخيرة (2014-2022) شمال النسيج القديم للقرية بالمنطقة المحصورة أيضا بين الطريقين السابقين، عن طريق البرامج السكنية العمومية وبعض التجهيزات.



الخريطة رقم 29: تعمير قرية عين بوشقيف من النمط الخطي إلى الشطرنجي

4. الطريق، محفز للتعمير والتوسع وأداء وظائف جديدة

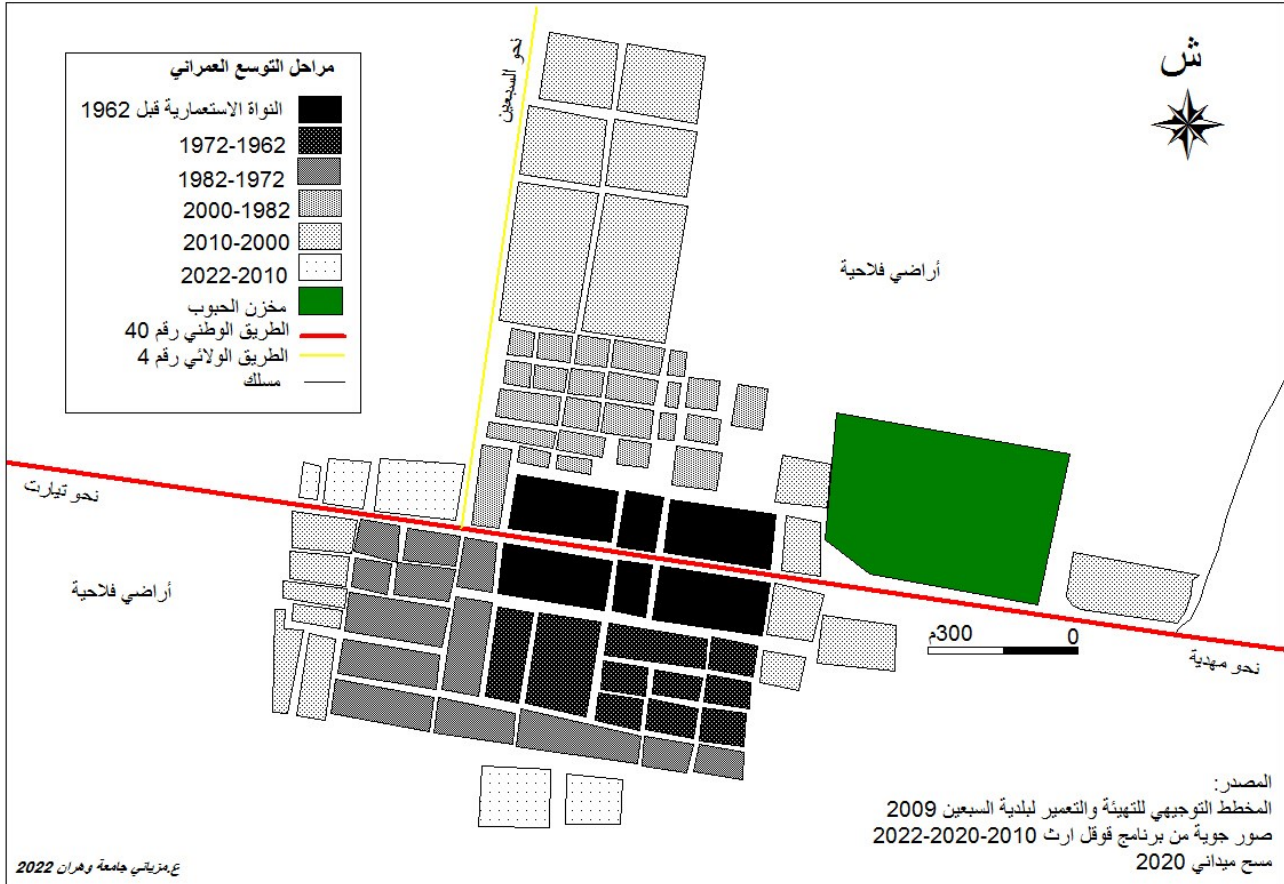
شجعت شبكة الطرق بأنواعها على التعمير في ريف السرسو وعلى الاستيطان البشري لخدمة الفلاحة، فلا نكاد نخرج من مظهر التجمعات السكنية وان كانت صغيرة الأحجام على طول هذه الطرق، فقد شجعت هذه الأخيرة على أن يبقى السرسو أهلا بالسكان، كما جعلت بعض التجمعات القريبة من المراكز الكبرى تلعب دورا داعما في استقبال مشاريعها السكنية والتجهيزات وجاذبة للسكان الحضريين بفضل توفر عقار في الغالب عمومي.

1.4 سي الحواس (Ex Bourlier) قرية استعمارية، منحها الطريق ديناميكية خاصة

سي الحواس هي أول مركز أنشأه الاستعمار الفرنسي في السرسو، كان يعرف وقتها باسم بورلييه (Bourlier). الملكية العمومية للأراضي حفزت تعمير المنطقة، إلا أن هذه المجموعة توسعت بعد اندلاع الثورة التحريرية بواسطة السكن من النمط الاستعماري الذي أنجز في إطار مخطط قسنطينة على جانبي الطريق الوطني رقم 40 والذي أصبح حالياً في حالة متدهورة وهشة باستثناء تلك التي أعيد تهيئة واجهاتها، التصميم المعماري المعتمد فيها يقسم المبنى إلى جزء مخصص للسكن بسطح قرميدي أحمر، والآخر فناء. توجد بالمجموعة بعض التجهيزات، مثل المحطة (La Gare) ومركز البريد.

بعد الاستقلال قامت الدولة الجزائرية ببناء حي المجاهدين جنوباً، إنجاز هذا الحي يعتبر انطلاقة تعمير قوية للمجموعة التي نمت وتوسعت جنوب الطريق الوطني رقم 40 في الفترة 1972-1982 بفعل الهجرة إليها مما حفز انتشار البناءات العشوائية، ثم اتجه التعمير شمال الطريق الوطني، عن طريق برامج التجزئة السكنية الريفية في إطار البناء الذاتي، ثم توسعت المجموعة في المحور الجنوبي الغربي بواسطة السكن الجماعي العمودي (الخريطة رقم 30) الذي لا يتجاوز في الغالب أربع طوابق، إلا أن التعمير عاد من جديد شمال غرب الطريق بعد سنة 2010 بواسطة التجزئة الريفية ثم السكن العمومي الإيجاري العمودي، حيث انتقل عدد سكانها من 541 نسمة عام 1966 إلى 3729 نسمة سنة 2008.

الطريق الوطني رقم 40 يهيكل المجموعة ويقسمها إلى قسمين متماثلين، وكان في كل الفترات التعميرية مرجعاً للتعمير مما جعلها تنتقل من الخطة الشريطية التي نشأت عليها إلى الخطة الشطرنجية، كما جعل منها مركز عبور جد مهم مما أنعش التجارة التي نمت على جانبي الطريق وخاصة تجارة العبور والخدمات مثل مقاهي، مطاعم، محطة خدمات، وأعطاه ديناميكية تفوق مجموعة السبعين رغم أنها مركز بلدية وذلك بسبب أنها بمعزل عن محورين مهمين سواء الطريق الوطني 14 أو الطريق الوطني 40، وهذا ما يجعل اختيار الموقع لكل من المجمعتين محل مقارنة، رغم أن التعمير في كليهما إرادي والهدف منه خدمة النشاط الفلاحي، إلا أن موقع سي الحواس خيار استعماري على جانبي طريق، أما مجموعة السبعين فهي خيار إرادي خلال سياسة الثورة الاشتراكية، أنشأت بموقع منعزل، لكن يبقى مشكل التوسع قائماً في سي الحواس نظراً لموقعها في وسط فلاحي خصب.



الخريطة رقم 30: التوسع المجالي لمجموعة سي الحواس، بلدية السبعين

رغم الترقية الإدارية لمجموعة السبعين لمصاف البلديات سنة 1984، حيث أصبحت سي الحواس ضمن إقليمها البلدي، إلا أنّ ما يقارب نصف سكانها حسب التّحقيق الميداني (47,61%) يحافظون على علاقاتهم القديمة مع مهدية وحمادية وظيفيا وإداريا، هذه العلاقات وطدتها العلاقات العائلية والاجتماعية، نظرا لامتداد عرش بني لنت على أراضي البلديتين وأيضا عامل المسافة ووجود الطريق الوطني رقم 40 سهل التنقل للمجمعتين المذكورتين، أكثر من مجموعة السبعين مركز بلديتها، كما أن بلدية السبعين الريفية لا تغطي احتياجات السكان، لذلك يضطرون للتنقل إلى مهدية وتيارت أو تيسمسيلت خاصة إذا تعلق الأمر بالخدمات الصحيّة.

2.4 ديناميكية الطّريق، جعلت عين مصباح منطقة توسع لتيارت

عين مصباح هي نواة صغيرة لقرية اشتراكية أنشأت عام 1974 على بعد أربع كيلومترات جنوب مجموعة تيارت على الطّريق الوطني رقم 23 الرّابط بين تيارت والسّوق والمفتوح على الجنوب باتجاه أفلو، الأغواط وغرداية، وهو ما جعل منها منطقة عبور، تطورت ونمت عمرانها نظرا لتوفر شبكة مواصلات كثيفة تتوقف فيها، تبلغ مساحتها حاليا حوالي 48.68 هكتار.

توسعت عين مصباح خارج إطار القرية بشكل غير مخطط (شكل سديمي)، على أراضي بور غير صالحة للزراعة، بسبب توفر المواصلات من جهة وقربها من مجمعة تيارت من جهة أخرى، لكنها عرفت أيضا تعميرا مخططا عن طريق التجزئة السكنية المهيأة خدمة لتوسع مدينة تيارت.

يغلب على الطبيعة القانونية لأراضي عين مصباح العقار العمومي، مما ساعد بعض الفئات الاجتماعية ولا سيما تلك التي لا يمكنها امتلاك سكن بتيارت إلى التوجه نحو الاستقرار بقرية عين مصباح، فقد سجلنا حسب التحقيق الميداني أن ما يفوق 54 % من الأسر التي غيرت الإقامة باتجاه عين مصباح قادمة من مدينة تيارت. تغيرت التركيبة الاجتماعية لسكان قرية عين مصباح فأصبحوا يميلون لفئة التجار والحرفين وكذا الموظفين، بينما تراجع نسبة المشتغلين بالقطاع الفلاحي.

الجدول رقم 28: مكان الإقامة السابقة لأرباب أسر مجمعة عين مصباح

الإقامة السابقة	العدد	النسبة المئوية
عين مصباح	35	60,34
مدينة تيارت	12	20,69
السوق	2	3,45
بيبان المصباح	1	1,72
عين الذهب	1	1,72
معسكر	1	1,72
ملاكو	2	3,45
واد ليلي	1	1,72
المعاصم	2	3,45
برج بونعام	1	1,72
المجموع	58	100,00

المصدر: تحقيق ميداني ماي 2019

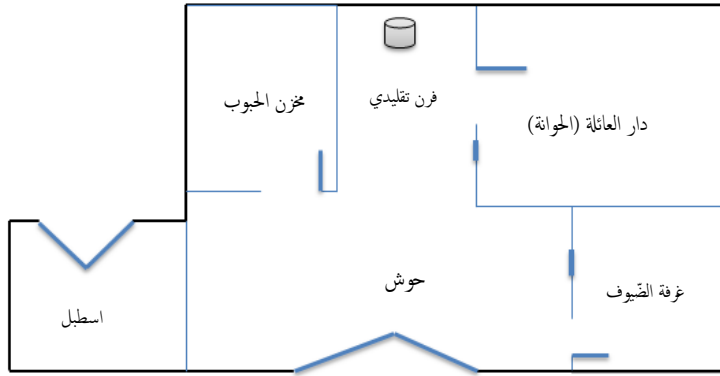
التطور المستقبلي لبلدية تيارت حسب أدوات التهيئة والتعمير المصادق عليها، يستند على خلق توازن بين المجمع الرئيسي للبلدية ومجمعاتها الثانوية (عين مصباح، كرمان والسانيا)، هذا ما حفز تعمير مجمعة عين مصباح باستقبالها تجهيزات عمومية تمثلت في مركز إعادة التربية (الصورة رقم 24) ومدرسة الشرطة بالوعاء العقاري المسترجع من عملية إزالة الحي الفوضوي، كما استقبلت القرية أيضا مشروع تجزئة سكنية (218 قطعة ما يمثل 16.65% من حصة السرسو)، استفادت منها بلدية تيارت في إطار برنامج ولايات الهضاب العليا والجنوب (المخطط الرباعي 2019-2022) تم توطينها بالقرية بالرغم من أن بلدية تيارت لا تملك حق الاستفادة من هذا النوع من التجزئة. حسب التعلية الوزارية المشتركة رقم 01 الصادرة بتاريخ 2020/09/30 لأنها ليست من البلديات الخاضعة لصندوق الهضاب العليا.



الصورة رقم 24: التوسع المجالي لقرية عين مصباح (بلدية تيارت)

5. إعادة صياغة الفضاء السكني: من البنية المغلقة إلى البنية المفتوحة

يعد المسكن الريفي التقليدي في الجزائر مركزا لنشاط العائلة الكبيرة، يتميز بنمط معماري متشابه في الشكل الخارجي. تميزه فتحات صغيرة داخلية وجدران خارجية صماء، تكون غالبا بدون تلييس أو ملبسة بالتراب، ويتهيك حول فضاء داخلي يسمى الحوش أو الفناء المركزي للدار. يعتبر الحوش وظيفيا مجالا داخليا بالنسبة للكتلة البنائية ومجالا خارجيا بالنسبة للغرف وباقي الفضاءات، يضمن بذلك الاتصالية بين مختلف مكونات المسكن (Meziani et Otmane, 2022)، يكون علو جداره الخارجي منخفضا عموما (الصورتين 26 و 27). يحتوي المسكن على غرفة واحدة أو عدة غرف حسب الحالة المادية لكل أسرة ويضم بعض الملاحق (زربية، مخزن، محل، مستودع للألات والأسمدة ومختلف المواد) كما يوجد به أيضا مجال اقتصاد العائلة المسير من طرف المرأة (الفرن التقليدي وحرفة النسيج والحياسة). استمدت مواد بناءه من البيئة الطبيعية، وصمم بطريقة شمالية (الشكل رقم 1) نابعة من حاجات المجتمع وليس من المتطلبات الشخصية لكل فرد موازنا بذلك بين الموارد والاستهلاك (سلمان، 2017).



الشكل رقم 1: مخطط للمسكن التقليدي في السرسو

تنتظم منازل المستوطنين الأوائل غالباً بشكل مستطيل حول فناء داخلي، يمكن الوصول إليه من بوابة المسكن المطلّة نوافذه إلى الخارج، وتتواجد ملحقاته (مخزن، اسطبلات) على جوانبه (الصورة رقم 25). أثبت هذا النوع من المساكن عدم كفايته لإيواء المحاصيل، وخاصة المواد الهامة التي استخدمها مزارعو السرسو بعد 1920، وهو ما شجع المستوطنين على شراء المباني المهجورة من الجيران على أراضي قريبة من القرى بغرض رفع القدرة التخزينية للمحاصيل، بينما استعمل البعض الآخر سكنات بعيدة كملاحق لمستثمراتهم. إلا أن انجاز المخازن والتعاونيات العمومية، حررت المستوطنين من قلق تخزين محاصيلهم من الحبوب.

أما المسكن الذي يقطنه الأهالي خاصة بقرى الفلاحين التي أنجزت بغرض إعادة إسكان العائلات، فكان تصميمها مستمداً من النمط العمراني الأوروبي، مع وجود البصمة العسكرية التي تظهر في استعمال النموذج الشطرنجي، لأنه نموذج مفتوح يسمح بالتّحرك بسهولة في القرية من أجل المراقبة. أما المساكن فقد انتقلت من النمط المبعثر ذو الهندسة التقليدية وهو النموذج المفتوح إلى الدّاخل (الشّكل رقم 1)، إلى النمط المتجمع سواء بالنسبة للأحياء السكنية التي انشأت على شكل مراكز التّجمع أو تلك التي أنجزت على إثر مخطط قسنطينية، فقد جاءت المساكن متماثلة بناءً وهندسة، لكنّها ذات طابق واحد وارتفاع ضعيف.



الصورة رقم 26: أطلال مسكن ريفي تقليدي (خرية أولاد بوزيان، بلدية الدحموني (2022)



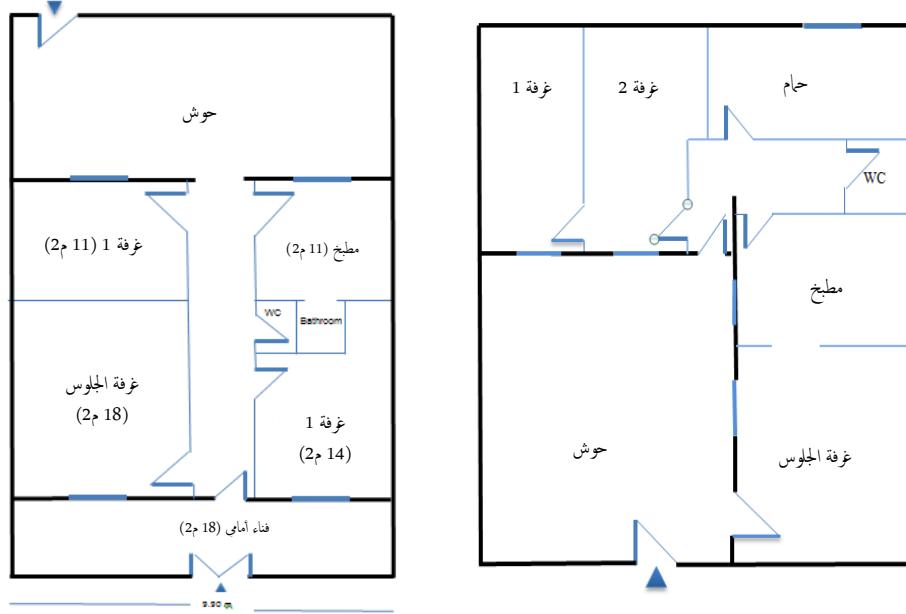
الصورة رقم 25: مزرعة قديمة في فيالار (<https://www.delcampe.net/fr/collections/cartes>)



الصورة رقم 27: مسكن ريفي بدوار الزلجة بلدية الدحموني (2023)

أفرز تنظيم المجال الريفي في السرسو في الفترة الاستعمارية تباينا مجاليا واضحا (ازدواجية المشهد) سواء بالنسبة للبنية العقارية وأيضا المجالية. إلا أن سياسة إنشاء السكن الريفي لطالما أثارت مشكلتين رئيسيتين في تطبيقها: الموقع (اختيار الأرض) وتصميم المسكن. أدخلت سياسة القرى الاشتراكية إلى السرسو نموذجا سكنيا جديدا بشكل مكثف في فترة زمنية وجيزة (Divigneau,1986)، لم يؤخذ فيه آراء الفلاحين ولا

احتياجاتهم بحكم أن السّكن هو مأوى ووسيلة عمل لديهم (Arecchi et Megdich, 1979). أنجزت السّكنات والتّجهيزات بالقرى الفلاحية واستبدلت التّقليدية منها بأخرى جديدة في القرى المطعمة.



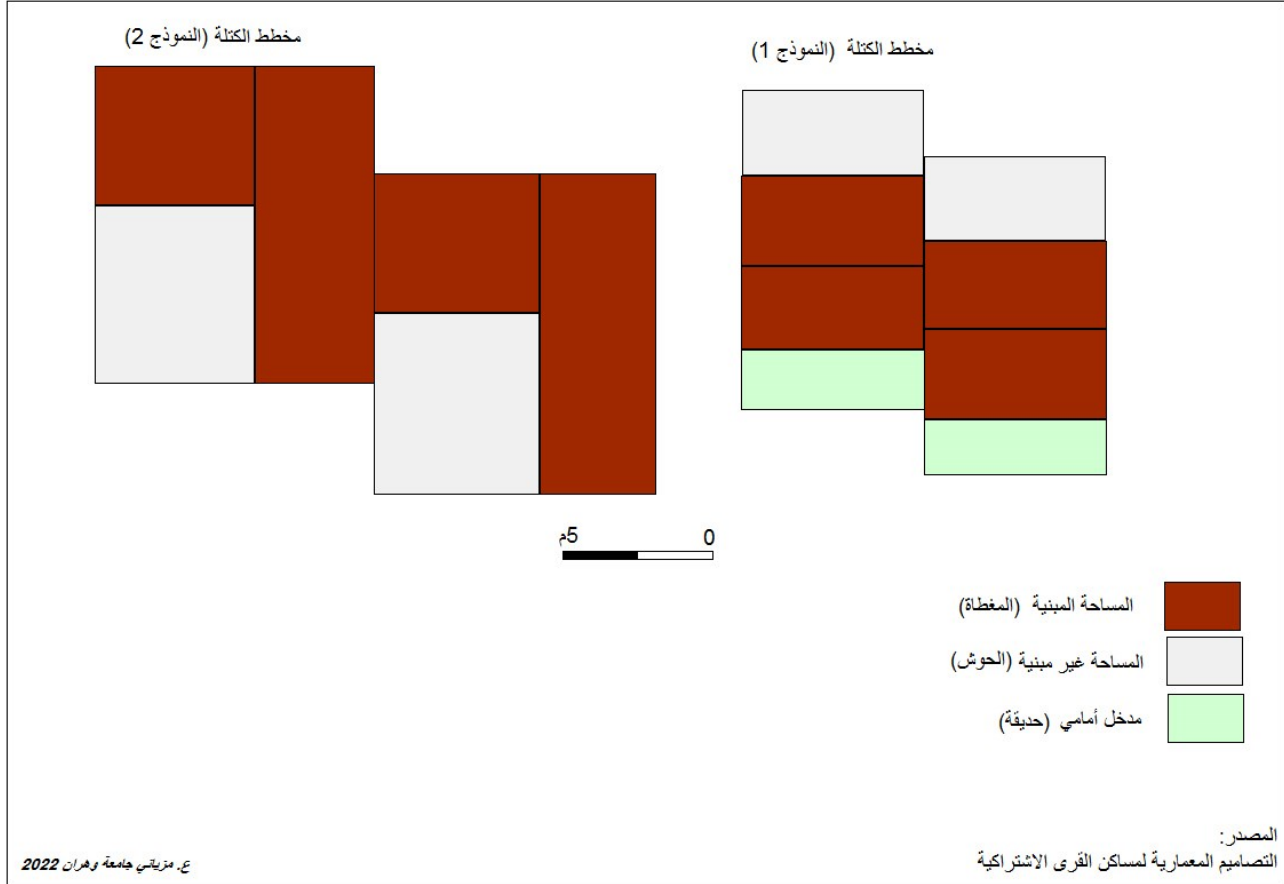
الشّكل رقم 2: تصميم المسكن في القرى الاشتراكية في السّرسو

تميز المسكن الجديد ببنائه المفتوحة المجسدة بناوفاذ كبيرة وبصغر حجمه وبوجود فضاءات أحادية الوظيفة كالمطبخ، الحمام، غرفة الجلوس، غرف النّوم وحوش صغير (الشّكل رقم 2). أصبحت مداخل البنايات صغيرة عما كانت عليه سابقا، حيث كانت تستعمل لإدخال الحيوانات ومواد الفلاحة. أدخلت عناصر الرّفاهية للمنازل كالماء، الكهرباء، الغاز والصّرف الصّحي وتغيرت مواد البناء من الطّوب والحجارة إلى قوالب الاسمنت والأجر والخرسانة المسلحة والقرميد، وهو ما عزز الصّورة الدّهنية للمدينة كنموذج مثالي للجميع من خلال تخفيض قيمة التّمثيل العقلي للفضاء التّقليدي وأيضا من خلال الوظائف الحضرية في القرى .

(Chabi,2008)

لم يعمر التّعايش مع التّصاميم الجديدة طويلا، بل قام سكان القرى الاشتراكية بإعادة صياغة فضاءها الدّاخلي والخارجي وفقا لمتطلبات كل أسرة ومقدرتها المالية، لذلك لا يمكن اعتبار هذه المحاولات ذات تأثير سلبي فقط، بل هي مظهر من مظاهر التّقبل ومحاولة التّكيف معا لظروف المعيشية الجديدة بما تفرضه الحياة الحضرية التي أقحموا فيها وقد ظهرت قوة كبيرة على التّكيف مع التّغيير (Meziani et (1986 ; Côte, 2022). تعرضت هذه القرى وبدرجات متفاوتة لعدّة تغييرات طرأت على ما يفوق 73 % من المساكن المحقق فيها (198 مسكنا من أصل 270)، فتطورت وأدخلت عليها عدّة تعديلات (الجدول رقم)، ولعل أكثر القرى تأثرا بالتّغييرات هي قرية سرايدي (100 %) التي بنيت بالقرب من مركز

ملاكو القديم وأصبحت الآن أحد أحياءه، وتكرر نفس الأمر في كل من قرية الرشايقية، عين مصباح والسبعين فيما تفاوتت التغيرات في القرى الأخرى.



الشكل رقم 3: مخطط الكتلة للمسكن في القرى الاشتراكية في السرسو

الجدول رقم 29: التغيرات التي مسّت الفضاء السكني بقرى السرسو الاشتراكية

التغيرات التي طرأت على المسكن	العدد	النسبة المئوية (%)
التوسيع العمودي بإضافة طابق	45	22,73
توسيع داخلي بإضافة غرف	34	17,17
ترميم وطلاء	34	17,17
توسيع المسكن خارج مساحته الأصلية	28	14,14
هدم وإعادة البناء من جديد	20	10,10
بناء حظيرة لتربية المواشي	10	5,05
بناء مرآب في الحوش	10	5,05
تخصيص مساحة من غرفة الصّيوّف لتخزين الحبوب	9	4,55
تحويل غرفة الصّيوّف لمحل	5	2,53
تعلية جدار الفناء	2	1,01
تحويل المطبخ لغرفة	1	0,51
المجموع	198	100,00

المصدر: تحقيق ميداني 2019

عرفت القرى توسعا أفقيا كما عرفت أيضا توسعا عموديا تمثل في إضافة طوابق علوية (22.73%) وبالتالي تحول الواجهات التي أصبحت تحاكي النّصاميم الحديثة في المجمعات الحضرية شكلا وهندسة (الصورة رقم 8) وأيضا بالنسبة لمواد البناء المستعملة (شرفات، سيراميك...)، كما عرفت بعض المساكن توسعة على مستوى الطابق الأرضي بإضافة غرف (17.17%) أو التوسع خارج المساحة الأصلية للمسكن (14.14%) استجابة لزيادة حجم الأسرة (الصورة رقم 28). فيما اختلفت بعض ممارسات السّكان وخاصة أولئك غير الرّاضين عن النّصميم الدّخلي للمسكن إذ قاموا بهدمه وإعادة بناءه من جديد وفق تصميم يتناسب مع أذواقهم واحتياجاتهم بالرّغم من مخالفة القواعد العامة للبناء في معظم الحالات كتغطية المساحة الكلية ويظهر ذلك جليا بكل من قرية عين مصباح وسرايدي (10%).

عاودت الأنشطة التّقليدية المرتبطة بالمجال الرّيفي بالظهور خصوصا في قريتي ببيان المصباح وضاية الثّرفاس من خلال تخصيص مساحة من غرفة الاستقبال لتخزين الحبوب (4.55%) أو ببناء حظيرة لتربية المواشي بجوار المسكن عن طريق التّوسع الفوضوي (5%).

أثرت الأنماط الجديدة في المسكن تأثيرا جذريا على نمط شغل الأرض القديم بل وأحدثت شرخا واضحا، ويلاحظ ذلك جليا في القرى الفلاحية الاشتراكية وفي معظم الأنماط الجديدة للسّكن سواء العمومي أو الخاص، نمط الحوش "المحوّل"¹ صمد في وجه هذا الشّرخ لكنه بدون مستقبل، فحجم القطع الأرضية الممنوحة للأفراد في إطار الاحتياطات العقارية البلدية لم يعد يسمح بتضاعفه، ومع ذلك القيم الثقافية التي أعطت معنى للحياة الاجتماعية للسّكان في السّرسو لم تختف كليّا، فالقطيعة أو الشّرخ تناسبت مع التّجديد الأصلي وهي واضحة في النمط الجديد للسّكن الرّيفي ولاسيما المبعثر منه.

¹ سكن عائلي كبير به غرف كبيرة مشتركة موزعة حول فناء مغلق جدرانه عالية تعيش به العائلة الكبيرة، به مستودع خاص لركن الشّاحنة ومخزن للتخزين وغرف صغيرة حول الحوش تستعمل لتربية الحيوانات وتخزين العلف وقد نجد أيضا غرفة مخصصة كورشة عمل صغيرة متعددة الاستخدامات.



الصورة رقم 28: التغيرات في المسكن (قرية عين مريم، 2019)

6. ريف السرسو، تحولات حديثة بسمات حضرية

ارتكز التعمير في السرسو على التعمير المصغر من قرى استعمارية، مراكز عسكرية، مزارع ثم قرى اشتراكية، فمزارع اشتراكية، إلا أن هذه القرى والمراكز نمت وتوسعت كل منها ديمغرافيا وعمرانيا وفق آليات مختلفة أنتجت ما هو عليه السرسو اليوم مزيج من التجمعات مختلفة الأصناف، عرفت خلال رحلة نموها عديد التحولات طغت عليها سمات التّحضر.

1.6 التوطن الصناعي والسكن، محرّكان للتحولات المجالية بالسرسو

شهد المجال الريفي بالسرسو على مر السنوات تحولات مجالية نتيجة التوسعات العمرانية التي شهدتها القرى سواء الاستعمارية أو الاشتراكية من خلال برامج التنمية والبرامج السكنية التي استفادت منها. كان للترقية الإدارية والنمو الديمغرافي الذي عرفته هذه المجمعات الأثر الكبير في تحولاتها المجالية بسبب الحاجة للسكن والتجهيزات من جهة وبسبب تأثر بنيتها الحياتية والاجتماعية من جهة أخرى.

ظهر دور الطريق جليا في نمو مجمعات السرسو بمختلف أصنافها ولاسيما تلك التي تواجدت على المحاور الكبرى (الطريقين الوطنيين 14 و40)، حيث نمت بشكل أسرع من مثيلتها البعيدة وامتدت التوسعات المجالية الحديثة باتجاه الطرقات، منها ما حافظت على شكلها العمراني الأولي مثل الدحموني ذات الخطة الشطرنجية، توسعت باتجاه الطريقين الوطنيين 14 و40، حمادية التي تخترقها مجموعة طرقات توسعت على محاورها (الوطني 40، الولاينيين 16 و14) ومنها ما تغير شكلها العمراني الأولي خاصة تلك التي

صمّمت بشكل افتخاري مثل الونشريس البيضاء التي توسعت باتجاه المركز القديم مما أدى إلى التّحام النّسيجين وفقدان المعالم الحضرية الجميلة. أخذت بعض المجمعات مثل ملاكو، عين دزاريت، الرّشايقة، عين بوشقيف، سلمانة والمقيصبة في التّممد الطّولي منتجة تعميرا خطيا على طول المحاور الطّرقية نظرا لقيمتها العقارية الكبيرة ولتوطين التّجارة والخدمات المرتبطة بحركة المرور.



الصّورة رقم 29: التّوسعات الحديثة بنمط الجماعي غرب قرية ضاية التّرفاس (2022)

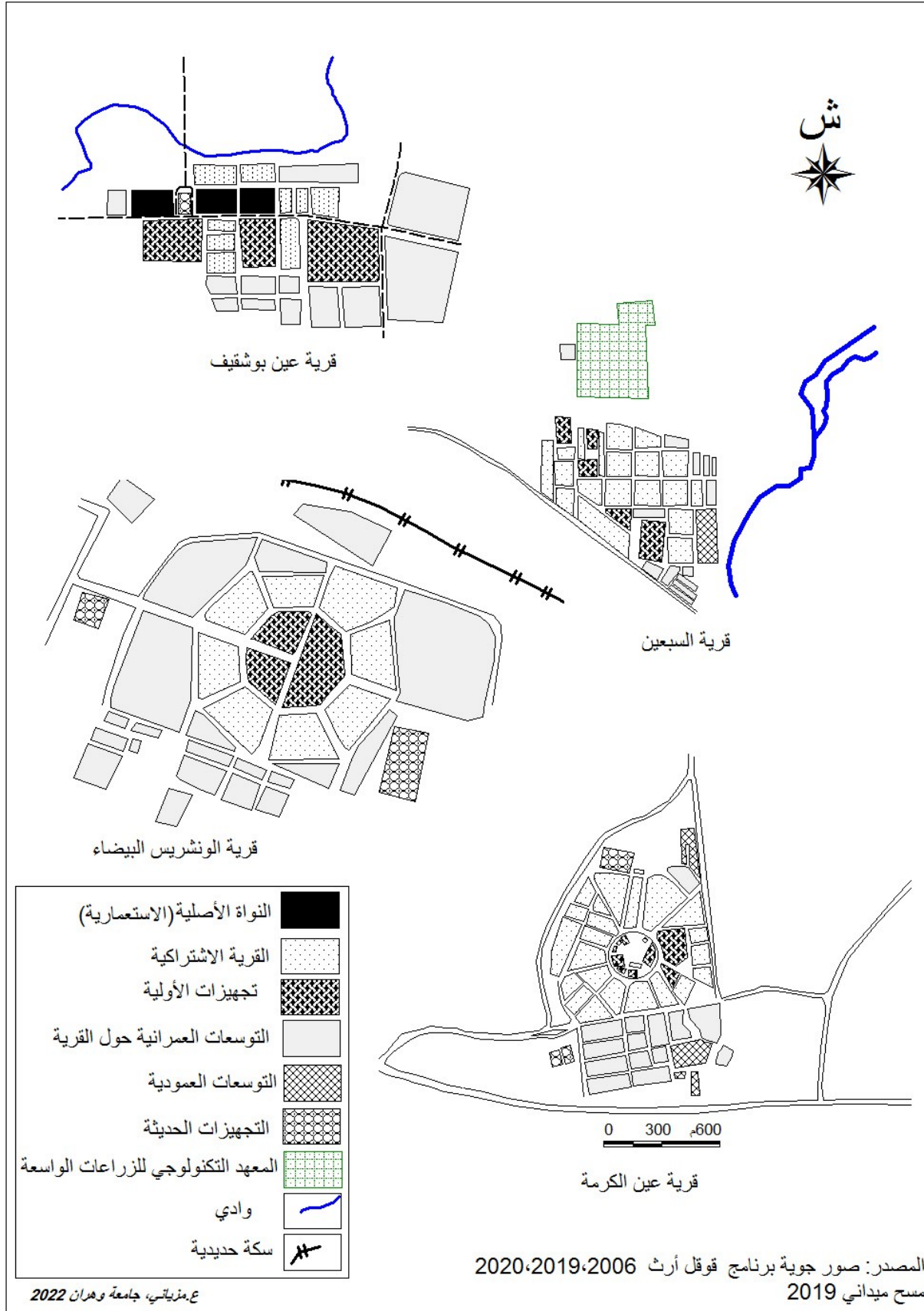
تمت هذه التّوسعات على فترات وبآليات مختلفة كان السّكن هو محركها الرّئيسي، تنوعت الصّيغ السّكنية وتطور مفهومها المجالي خاصة السّكن الجماعي، فلم تعد تقتصر على المجمعات الحضرية الكبيرة والمتوسطة بل استفادت المدن الصّغيرة وحتى المجمعات الرّيفية منها، ولا سيما السّكن العمومي الإيجاري، ثم برنامج التّجزئة الحضرية والرّيفية على حد سواء. فقد دخلت المجمعات الصّغيرة مرحلة جديدة من التّعمر حيث انتقلت من النّسق التّقليدي المعتمد في نشأتها إلى نسق حضري جديد متعدد الأنماط ما بين الأفقي والعمودي الشّبيه بما هو موجود في المراكز العمرانية الكبرى (الصورة رقم 29).

استفادت المجمعات الصّغيرة في سهل السّرسو من السّكن الحضري الجماعي بنسبة تقارب 30% (5416 وحدة سكنية في الخماسي 2015-2020) من مجموع البرنامج في كل المنطقة وان كانت النّسبة ضعيفة نوعا ما وهذا راجع لارتفاع حصة مدينة تيارت من المشاريع السّكنية بمختلف الصّيغ، أما السّكن الفردي في إطار التّجزئة الحضرية فقد برمجت 83% من حصة السّرسو في مجتمعاتها الصّغيرة خاصة (الرّشايقة وعين دزاريت) بينما الحصة المتبقية استفادت منها المجمعّة الرّيفية عين مصباح.

شكّلت بعض المجمعات القريبة من مدينة تيارت مدنا توابع باستقبالها مشاريع السّكن والتّجهيزات الخاصة بها، تمثّلت في برامج التّجديد الحضري وتوفير السّكن الوظيفي لعمال القطاع الصّناعي. استقبلت عين بوشقيف مشروع إعادة إسكان حي زعرورة الفوضوي الذي أزيل نهائيا وتم ترحيل سكانه على أراضيها

(حي 150، 204 مسكن)، ومشروع آخر استقبل سكان من مواقع مختلفة من السرسو، إلا أن تيارت لوحدها ساهمت بحوالي 11.30% من الأسر المرحلة لهذا الموقع، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد استقبلت عين بوشقيف سابقا حي سكني لعمال شركة السباكة. سمح تحويل التعمير بالتحركات السكنية وبالتالي أدى إلى تغيير التركيبة الاجتماعية في عين بوشقيف وسمح بجذب ممارسات اجتماعية وسلوكيات جديدة للوسط شبه الحصري.

استقبلت الدّحموني أيضا مشاريع إعادة الإسكان من مختلف مواقع من السرسو، إلا أن سكان بلدية تيارت لوحدهم يمثلون 15% (بوفروج، 2018) من السكان المرحلين. توزيع الفائض الحضري لمجموعة تيارت على كل من مجمعتي عين بوشقيف والدّحموني جعلهما تستفيدان من نمط تعمير جديد وسكان حضريون في الوسط شبه حضري، فتحولتا من النمط الفردي الأفقي إلى النمط الجماعي العمودي وتغيرت التركيبة المهنية والاجتماعية للسكان التي أصبحت تميل نحو القطاع الثالث (أظهر التحقيق الميداني هيمنة أنشطة القطاع الثالث على المشتغلين (65%)، أما القطاع الزراعي بالرغم أنه ارتفع عما كان عنه في فترة التسعينات إلا أن نسبته لم تتجاوز الربع (22.75%) والقطاع الصناعي سجل 15%.



الخريطة رقم 31: التحويلات المجالية في القرى الاشتراكية

2.6 تحول البنية الاقتصادية لصالح القطاع الثالث

بلغ عدد المشتغلين في القطاع الفلاحي بالسّرسو سنة 1966 أقل من 50% من المجموع الكلي للمشتغلين، وارتفع إلى 63.83% سنة 1977، إلا أنه انخفض بشكل كبير سنة 1987 (18%)، وواصل هذا المنحى التنازلي إلى 15.87% سنة 1998. عرفت القرى الاشتراكية نفس الوضع، فقد حاكى تحول الأنشطة الاقتصادية لسكانها نفس وتيرة التّحول في السّرسو وهو انخفاض العمل في الفلاحة. تضافرت عدّة عوامل وأدت إلى تقهقر النّشاط الزراعي في المنطقة ويعود ذلك إلى أنّ طبيعة هذا النّشاط يعتمد على الحبوب وتوظيف عمالة بعدد ضئيل وموسمي، إضافة إلى الجفاف الذي ميز فترة السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، كما عرفت المنطقة في هذه الفترة توطنا صناعيا كبيرا أدى إلى استقطاب العمالة الرّيفية التي كانت تعيش ظروفًا صعبة، الأمر الذي جعل بعض هذه القرى تكتسب وظيفة صناعية غير تلك التي أوجدت من أجلها (عين بوشقيف، عين مريم وسلمانة). ساهم أيضا القطاع الثالث في تناقص العمالة الزراعية بعدما عرفت المنطقة عدة تقسيمات إدارية (عين بوشقيف، الرشايق، السبعين، بوقارة والناظورة) وتدعمت قراها بعدة تجهيزات ووظائف مصاحبة لها.

تراجعت مداخل النّشاط الزراعي المرتبطة بالموسم بشكل كبير، في المقابل حسّنت القطاعات الأخرى من مداخلها وأصبحت أكثر جاذبية وبدأ نظام الأجور والمهن يلج إلى الرّيف بصفة عامة في مختلف مناطق الجزائر، ممّا أفقد الأرض الزراعيّة قيمتها الاجتماعية والرّمزية إذ أصبح لعمال الثّورة الزراعية راتب شهري ثابت ولو أنّه ضعيف لا علاقة له بزيادة أو نقصان الإنتاج ممّا دفع أرباب الأسر إلى البحث عن عمل أكثر مردودية.

أظهر التّحقيق الميداني هيمنة أنشطة القطاع الثالث على المشتغلين (65%)، أمّا القطاع الزراعي بالرّغم أنّه ارتفع عمّا كان عنه في فترة التسعينات إلا أنّ نسبته لم تتجاوز الرّبع (22.75%) والقطاع الصّناعي سجل 15% (الجدول رقم 30). يبدو أنّ التّحول في الأنشطة الاقتصادية لصالح التّجارة والخدمات واضح جدا في كل من عين مصباح (83.72%) وعين بوشقيف (66.10%) ويفسر ذلك بقربهما من مجمعة تيارت. على العكس من ذلك حافظت قرية ضاية التّرفاس على طبيعتها الزراعيّة حيث أنّ ثلاثة أرباع سكانها يشتغلون في القطاع الزراعي (75%) بسبب بعدها عن تأثير المراكز العمرانية الكبرى، بينما تسجل قرية سلمانة أعلى نسبة للمشتغلين في قطاع الصّناعة والأشغال العمومية (52%) (المخطط التّوجيهي للتّهيئة والتّعمير لبلدية العيون، 2016) نظرا لوجود نشاط صناعي جديد مرتبط بالصّناعات الغذائيّة (المطحنة ومعصرة الزيتون) وتعدد ورش البناء في المنطقة.

لم ترتبط الإقامة في المناطق الرّيفية بملكية الأرض، إذ أنّ نسبة كبيرة من الأسر المحقق معها لا تملك أرض صالحة للزّراعة (77.53%) ويعود بعض ذلك إلى أنّ المحتوى البشري زاد بسبب النّمو الديمغرافي الكبير

الذي عرفته القرى و جعل عدد ملاك الأراضي يتقلص (22.47%)، يمارس جزء منهم الفلاحة كنشاط تكميلي في أوقات الفراغ ونهاية الأسبوع أو خلال المواسم إذا ما تعلق الأمر بالزراعات الجافة (8.95%)، يتمثل بشكل أكبر في فئة المتقاعدين والموظفين (63.46%) كما يؤجّر بعض الملاك أراضيهم الفلاحية المنتجة لفلاحين محليين أو من خارج السّرسو (26%)، وهي إحدى الاستراتيجيات التي تعتمد عليها بعض الأسر للبحث عن مصدر آخر لتحسين الدّخل وبعضها الآخر من أجل اكتساب مهارات جديدة في الفلاحة ولا سيما في زراعة الخضر والأشجار المثمرة مثلما يحدث في الرّشايقة والسّبعين، وهذا ما يثبت أيضا التّحول الذي حصل، حيث نجد فئة مهنية جديدة في الوسط القروي وهي فئة موظف فلاح. لا تعكس نسبة المشتغلين في النّشاط الفلاحي واقع الحال لأن السّكان يعتمدون استراتيجيات متعددة يجمعون من خلالها ما بين عدة أنشطة لتنويع مداخيلهم ولأنّ النّشاط الزراعي لا يخضع للضريبة منذ السّبعينات وبالتالي تبقى الإحصائيات المتعلقة به تشوبها الكثير من الضّبابية.

الجدول رقم 30: المشتغلين بالقرى الاشتراكية حسب القطاعات الاقتصادية

المجموع	التجارة والخدمات		الصناعة والبناء والأشغال العمومية		الفلاحة		القرى الاشتراكية
	النسبة%	العدد	النسبة%	العدد	النسبة%	العدد	
100	20	25,00	5	0	75,00	15	ضاية الثّرفاس
100	24	66,67	16	0	33,33	8	بيبان المصباح
100	30	63,33	19	6,67	30,00	9	السّبعين
100	60	60,00	36	13,33	26,67	16	الرّشايقة
100	36	55,56	20	19,44	25,00	9	الونشريس البيضاء
100	49	73,47	36	6,12	20,41	10	ملاكو
100	27	62,96	17	18,52	18,52	5	عين مريم
100	59	66,10	39	25,42	8,47	5	عين بوشقيف
100	43	83,72	36	11,63	4,65	2	عين مصباح
100	348	64,37	224	12,93	22,7	79	المجموع

المصدر: تحقيق ميداني 2019

تكثفت العلاقات التبادلية بين القرى والمراكز العمرانية الكبرى مدعمة بتطور وسائل النقل الجماعية وامتلاك السيارة الخاصة (34.81%) مما سمح باندماج سكان القرى الاشتراكية اجتماعيا واقتصاديا إذ تم بعث بعض الأنشطة التقليدية من خلال عمل المرأة في البيت كالخياطة وصناعة المأكولات التقليدية، التي تجد لها سوقا بالمراكز الحضرية الكبرى لاسيما تيارت، مهدية والسّوقر وبالتالي دعم الدخل العائلي الذي لا يبقى مقتصرًا على النّشاط الزراعي أو الوظائف فقط، حيث بلغت نسبة النساء اللواتي يمارسن هذه الأنشطة 11%. مست التحويلات أيضا تخصص الإطار المبني نفسه بسبب الحاجيات الوظيفية، فلم تعد المساكن مأوى فقط بل تغيرت استخداماتها إلى تجارية وحرفية (12.31%) خاصة على طول الطّرق

الرئيسية وهو مؤشر واضح لتأثير المدينة على المجتمع الريفي واندماج القرى في الشبكات العمرانية وفي منظومة اقتصادها.

3.6 السرسو، استقطاب اجتماعي متنوع منذ نشأته

استقطب السرسو منذ نشأته السكان الأصليين، المستقرين وشبه المستقرين والفلاحون الصغار وأولئك الذين لا يملكون الأراضي، كما استقطب أيضا الفلاحين والرعاة من المنطقة السهبية جنوبا من قبيلتي العربية وأولاد نايل القادمين من الأغواط والجلفة "حيث تخلوا عن مساكنهم القديمة المتمثلة في الأكواخ المبنية بالطوب وأسطح الديس واستقروا بالسهل لعرض خبرتهم في مجال تربية الحيوانات بالمزارع المسيرة ذاتيا" (Divigneau, 1986). كما أدى إنشاء القرى الفلاحية الاشتراكية بالسرسو إلى تكوين محتوى بشري متنوع لسكانها بين المحلي والوافد منذ بداية إنشائها إلى يومنا هذا، جمعت بين أفراد من الأعراس المحلية للمنطقة (بني مايدة، بني لنت، أولاد أحمد الرشايق، دوي حسني، العويسات، السحاري وأولاد لكردي وآخرون بنسبة 44.78% وأفراد من أعراس أخرى لم تكن مستقرة في السرسو من قبل، مثل أعراس الجنوب (العربية، سعيد عتبة وأولاد نايل بنسبة 17.91%)، وأيضا أعراس الشمال (جبال الونشريس بنسبة 16.79%). استقطبت القرى في البداية الفلاحين التابعين لتعاونيات الثورة الزراعية والمزارع النموذجية، الفلاحين الموسمين والبدو الرحل، كما استقطبت عددا آخر من السكان أصحاب وظائف الإسناد يشغلون في القطاع الثالث. بعدما اندمجت القرى الاشتراكية في الشبكة العمرانية أصبحت تشكل مراكز استقطاب لسكان آخرين انجذبوا للعمل في مختلف الأنشطة ولاسيما الفلاحية والصناعية (أفراد ينتمون لأعراس واد لهو: خلافة والرّوايح بنسبة 13.43% وآخرون 7.09%)، أو للاستقرار بها نظرا لتوفرها على العقار بأسعار مقبولة (قرية عين مصباح، عين مريم، عين بوشقيف). كما شكلت هذه القرى ملاذا لفئات سكانية من المراكز العمرانية الكبرى من خلال تأجير شقق السكنات الجماعية بأسعار منخفضة من طرف أسر شابة من داخل وخارج السرسو (7.46%)، ترغب في الانفصال عن الأسرة الكبيرة من جهة والاستفادة من أنشطة المنطقة من جهة أخرى وهو ما يعبر عن تحول جزئي للمجتمع القروي من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية.

الخلاصة:

يرجع ميلاد الظاهرة الحضرية في السرسو إلى زمن بعيد، إلا أنها انطلقت فعليا في الفترة الاستعمارية، واستكملت نموها بعد الاستقلال، ترتب عنها نمو سريع خاصة في المجمعات الكبيرة ولاسيما تيارت، لأنّ النمو الحضري في السرسو ارتبط بها بوجه خاص. توسعت تيارت خارج أسوارها، وامتد عمرانها جنوبا على أراضي سهل السرسو الخصبة، بفضل البرامج السكنية وفق آليتي التجزئة الترابية والناطق الحضرية السكنية الجديدة، والتجهيزات الكبرى (الجامعية والصناعية)، وهو ما أدى إلى استهلاك

مفرط لعقارها الحضري وبالتالي امتدت نحو مجتمعاتها الثانوية، خاصة زعزعة في الثمانينات ثم السّانيا وكرمان في السنوات الأخيرة، فشكّلت مجمعة حضرية في طريق النمو، وأدت في ذات الوقت إلى ظهور مركزية حضرية جديدة. أما مجمعة تيسمسيلت فرغم نشأتها الاستعمارية، لكنها لم تعرف نموا حقيقيا، إلا بعد الترقية الإدارية سنة 1984 واستكملت نموها الحضري بشكل مغاير خلال العشر سنوات الأخيرة. فامتد عمرانها نحو الضواحي الريفية القريبة منها. لكنّ مجمعة مهدية رغم أنها تحتل المرتبة الثالثة في السّرسو من حيث الحجم السّكاني، إلا أنّ موضعها المنبسط ذو الوظيفة الفلاحية جعل وتيرة تعميرها ضعيفة وبطيئة، تتماشى مع وتيرة النمو الديمغرافي من جهة ومسايرة لطبيعة أراضيها الخصبة وانبساطها من جهة أخرى. أنتجت سياسة تحديث الرّيف الجزائري التي اعتمدها الدولة في السبعينات عن طريق انجاز القرى الفلاحية بالسّرسو مجمعات ريفية كثفت الشّبكة العمرانية واندجت فيها بشكل تدريجي وعرفت حركة ديمغرافية متسارعة، ممّا أدى إلى توسعها مجاليا بتصاميم وأنماط مختلفة عن تلك التي وجدت عليها في بداية نشأتها. شهدت القرى الاشتراكية بالسّرسو في بداية الثمانينات مسارا تحضريا حفزه التّوطن الصّناعي بالقرب منها أو بالمنطقة، كما لعب السّكن بمختلف صيغه دورا رئيسيا في التحوّلات المجالية التي شهدتها القرى وفي الاستقطاب الذي أنتج تنوعا اجتماعيا بالمنطقة كلها، إضافة إلى أنّ الترقية الإدارية لبعض القرى منها إلى مزار بلديات أدّت إلى مزاحمة المراكز العمرانية القديمة وإعادة صياغة مجالات نفوذها. إنّ تواجد هذه القرى في منطقة بمقومات اقتصادية كبيرة جعلها تندمج في ديناميتها العامّة وتسعى لتأكيد وجودها من خلال الدور الذي تؤديه كمراكز دعم إدارية واقتصادية ضمن علاقة تفاعلية وتكاملية مع المجمعات بمختلف تراتبياتها.

ساعدت القرى الاشتراكية في السّرسو على تثبيت السّكان الذين ارتبطوا بها وتقبلوها لكن أعادوا صياغة فضائها بما يتناسب مع احتياجاتهم وميولاتهم التي طغى عليها التّأثر بالمقومات الحضرية التي فرضت عليهم ممارسات جديدة لخلق نوع من الاندماج في الشّبكة الحضرية للمنطقة.

تحوّلت القرى الاشتراكية مجاليا، اقتصاديا واجتماعيا فأصبح البعض منها مجمعات شبه حضرية، أو مناطق تمدد حضري للفائض السّكاني لمجمعتي تيارت وتيسمسيلت، تدعم نموها المجالي بوظائف مختلفة خاصة مع توفر العقار العمومي وبالتالي لن يبقى من أثار القرية الاشتراكية إلا اسمها وتاريخ نشأتها. لم تعد الفلاحة هي الوظيفة الأساسية في العديد من القرى الفلاحية بحكم توسعاتها المجالية الكبيرة الناتجة عن التّدخل الكبير للدولة في الإنجازات السّكنية فتعددت الوظائف خصوصا في القطاع الثالث لا سيما التّجارة والخدمات.

الفصل الرَّابِع

الشَّبْكَة العَمْرَانِيَّة فِي السَّرْسُو،
التَّوْزِيْع وَالتَّنْظِيْم المَجَالِي

مقدمة:

ارتكز العمران في سهل السرسو منذ القديم على مجموعة من المدن القيادية التي مثلت عواصما للحضارات التي مرت بالمنطقة، منها ما اختفت ثم ظهرت مجددا، إلى غاية التواجد الفرنسي بالمنطقة، أين بدأت تظهر عملية التعمير بشكل جلي وواضح، استمرت لسنوات طويلة بهدف اقتصادي بحت، كانت الثروات الطبيعية بالمنطقة كالأراضي الخصبة وتواجد الماء دافعا رئيسيا لإنشاء هذا النمط من التعمير فأبرزت مجموعة من المراكز العمرانية مختلفة المستويات، وبالتالي تشكلت الشبكة العمرانية الحالية للسرسو التي هي في الحقيقة نتاج تراكمات سياسية، اجتماعية واقتصادية. تحتل هذه الشبكة مكانة هامة في التنظيم المجالي وفي توجيه الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة، هذا ما يجعل الوقوف على خصائصها يمثل الركائز الأساسية في التهيئة المجالية (بن غضبان، 2009).

سنحاول في هذا الفصل تحليل نظام الشبكة العمرانية بالسرسو من حيث النشأة، الحجم، التطور، الشكل، التوزيع، التصنيف، التراتب والعوامل التي أوجدت هذه الشبكة. وبالتالي دراسة التنظيم والأداء المجالي بسهل السرسو. سيقودنا تاريخ تعميم سهل السرسو لا محالة إلى تصنيف المجمعات عبر مختلف المحطات التاريخية التي مرت بها المنطقة، فلكل مرحلة خصوصية تتعلق بالسياسة العمرانية المنتهجة من طرف الدولة من جهة وحسب المهام الموكلة لكل مركز من جهة أخرى تماشيا مع الدور الذي تلعبه في المجال.

1. حضارات متتالية ونسق عمراني متباين قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر (قبل 1830):

السرّسو منطقة قديمة النشأة تعود إلى التواجد الروماني بالجزائر في بداية القرن الثالث ثم التواجد العربي بها خلال حكم الدولة الرستمية، ويرجح أن تكون مدينة تيارت الحالية هي المدينة القرطاجية القديمة "Tingartia" مقر أسقفية القرن الخامس.

1.1 التواجد الروماني:

لم نجد من تاريخ المنطقة في الفترة الرومانية إلا ما كتب عن مدينة تيارت القديمة (القرن الثالث ميلادي) والتي كانت تسمى تنقرتيا (Tingartia) وهي القلعة الرومانية في القرن الرابع، كانت تسيطر على الحوض العلوي لوادي ارهيو ومينا أحد روافد الشلف، وتهيمن على أهم وأخصب سهل (سرّسو)، الذي يمتد حتى جبل الناظور. كانت تينغيريا، مقر أسقفية في القرن الخامس (Ministère de l'instruction publique et des beaux-arts, 1990). تشهد الآثار الرومانية التي ما تزال موجودة بالمنطقة شاهدة على ذلك العصر كالحاميات التي أوجدت للسيطرة على طرق التجارة في بلاد المغرب الاوسط، منها خربة بن عويسات" في بلدية الدحموني (قاسمي، 2011). ومدينة عين تكرية شمال مجمعة خميستي حاليا (ولاية تيسمسيلت)، التي تم إنشاؤها بهدف دفاعي ضد القبائل المورية المعادية للتواجد الروماني، ولذلك اختير موقعها بعناية فائقة،

¹ الاسم الروماني لمدينة تيارت

فهي الحدّ الفاصل بين سهل السّرسو ومرتفعات الونشريس، ممّا سهّل للرّومان استغلال الأراضي الخصبة للسهل، وبالتالي جذب سكان المناطق المجاورة للاستقرار بها، لما لها من مقومات طبيعية واقتصادية.

2.1 التواجد العربي بالمنطقة

تشير المراجع إلى وجود مدينتين متقابلتين في أقصى المغرب تحملان اسم تاهرت (في الفترة الرّستمية)، احدهما حديثة وأخرى قديمة وهي نفسها، المدينة الرّومانية التي يصفها ابن حوقل بأنها مدينة قديمة أزلية، أما الحديثة أو المحدثّة، هي تاقدمت حاليا (عاصمة الدّولة الرّستمية، ثم عاصمة دولة الأمير عبد القادر في الفترة الاستعمارية) وتسمّى أيضا تاهرت السّفلى، اختار موقعها بني رستم على بعد 8 كلم من تاهرت القديمة. (الحموي، 1997).

وقد جاء وصفه تاهرت في كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار للمراكشي أنها "مدينة مشهورة قديمة كبيرة، عليها سور صخري، في سفح جبل يسمى قرقل، وهو على نهر كبير يأتيها من ناحية المغرب يسمى مينا، ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تاتش، تشرب منه أرضها وبساتينها، وكان لها بساتين كثيرة، فيها جميع الثّمار، وفيها سفرجل يفوق سفرجل جميع البلاد حسنا ومطعما ورائحة..". (المراكشي، 1980)، كما وصفها ياقوت الحموي قائلا: "... وهي مدينة مسورة لها أربعة أبواب، باب الصّفا، وباب المنازل، وباب الأندلس، وباب المطاحن، وهي على سفح جبل يقال له قزول، ولها قصبّة مشرفة على السّوق، تسمى المعصومة" (الحموي، 1997)

موقع تاهرت القديمة بمنطقة عبور من الشّرق إلى الغرب، جعل منها سوقا كبيرة ومهمة، مما ساهم في اجتذاب الناس إليها من القبائل المختلفة. تأثرت تاهرت القديمة بهذه الديناميكية والديمغرافية والاقتصادية فاسترجعت حيويتها وجاذبيتها، وقد ذكرها ابن حوقل على أنها مدينة كبيرة تقع على قمة جبل قليل الارتفاع، بها أسواق عامرة وتجارة واسعة لذلك استمر وجودها إلى القرن الحديث.

3.1 الوجود التركي 1515-1830

ظلت المنطقة الغربية للجزائر تحت الهيمنة التركية منذ عام 1515 إلى غاية الاحتلال الفرنسي، إلّا أنّ نقص المعطيات بخصوص هذه لفترة ولا سيما ما يتعلق بسهل السّرسو، جعلتنا نعتمد على المقاربة التاريخية حول ما كتب عن بابلك الغرب في الفترة العثمانية. تركزت اهتمامات حكام الجزائر في أواخر العهد العثماني تدريجيا على الدّاخل بدل الاعتماد على مداخل الأسطول البحري، بعدما اعترافا من تراجع بسبب اختلال التّوازن بينه وبين الأساطيل الأوربية، وهو ما جعل قضية الاعتماد على الرّيف ومداخله ومواده الأولية تصبح من أولويات السّلطة العثمانية في الجزائر، ولذلك اعتبرته القاعدة التي ارتكز عليها



الخريطة رقم 32: التقسيم الإداري لشمال الجزائر في الفترة العثمانية

حكمها بشكل واضح (بن صحراوي، 2014). ارتبطت تاهرت بإيالة¹ الجزائر وأصبحت مقرا لقيادة تابعة لوهران، إلا أن مدينة تاهرت انهارت خلال هذه الفترة ولم تصبح أكثر من قرية فقيرة، هجرها سكانها، والتحق الباقي منهم بالبدو هربا من مضايقات الإنكشاريين. منطقة السرسو هي جزء من بايالك الغرب (الخريطة رقم 32) وبالتالي جزء من الجزائر العثمانية.

كانت لبايالك الغرب أهمية كبيرة نظرا لمساحته الهامة، والتي تمتد من دار السلطان وبايالك التيطري شرقا حتى حدود المغرب الأقصى غربا، ومن البحر المتوسط شمالا حتى الصحراء جنوبا مكتسحا الأطلسين التلي والصحراوي والسهول العليا الغربية. لم يستقر الأتراك بالمنطقة لكنها كانت مراقبة من قبلهم، فقد حاول الداي حسين كسب ود القبائل واشراكهم في بسط نفوذها بعد الاضطرابات التي عرفتها الجزائر شرقا وغربا، فقام بمنح أحد قادة الونشريس والسرسو البرنس الأحمر ونصبت "جلول بن فرحات" أغا على الونشريس والسرسو (حيسانى وريوح، 2020)، أما قبائل جنوب تيارت (قبائل الأحرار) فكانت تخضع للدولة العثمانية أحيانا فتدفع الضريبة وتثور أحيانا أخرى ضدها². كما راقب البايالك أسواق تيارت باعتبارها حلقة وصل بين الصحراء والشمال. وكانت سوق اللوحة بتيارت من أهم الأسواق في هذه الفترة (بن هطال، 1788).

يملك البايالك بعضا من أجود الأراضي الزراعية في الجزائر متمثلة في السهول أهمها سهول وهران وسيدي بلعباس وتلمسان وغريس والسرسو وسعيدة، كما تجري فيه مجموعة من الأودية أهمها الشلف في جهته الشرقية، ومينا وواصل والهبرة وسيق ووادي الحمام وغيرها غربا.

لقد كانت هذه المقومات الطبيعية في الرّيف كافية لمزاولة مجموعة من النّشاطات الاقتصادية وعلى رأسها الزراعة وتربية الحيوانات، غير أن الظروف العامة كثيرا ما أجبرت الفلاح على التّحول إلى الرّعي وترك الزراعة، وبذلك تخلى عن الاستقرار الذي هو دعامة الفعل الحضاري، وصارت حياته أقرب إلى البدائية

¹ الإيالة في التقسيم الإداري العثماني كانت تشكل المستوى الإداري الأعلى بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر. كان يرأس الإيالة بيكلربكي. ظل نظام الإيالات ساريا إلى أن تم استبداله بنظام الولايات.

² ومثال ذلك ما وقع منهم أيام الثورة الدرقاوية، وقبل ذلك كان الباي محمد بن عثمان الكبير قد عاقبهم حين مر بأرضهم باتجاه عين ماضي "ليودب" التيجانية. (بن هطال، 1788).

منها إلى التّحضر (بن صحراوي، 2014)، أمّا من حيث السّكان فقد عرف البايك حركية سكانية واسعة ميزتها الانقسامات التي صنعتها السياسة. حيث صارت القبائل في الرّيف منقسمة إلى مخزن ورعية ومتحالفين مع النظام هم أقرب إلى المخزن، وقبائل أخرى امتنعت عن دفع الضريبة، لكن سلبت أراضيها وهجرت إلى الجبال وهوامش الصّحراء، وقد ترتب عن ذلك تأثير واضح على البنية الاجتماعية الرّيفية.

2. الفترة الاستعمارية 1830-1962: تأسيس شبكة عمرانية جديدة بالسّرسو

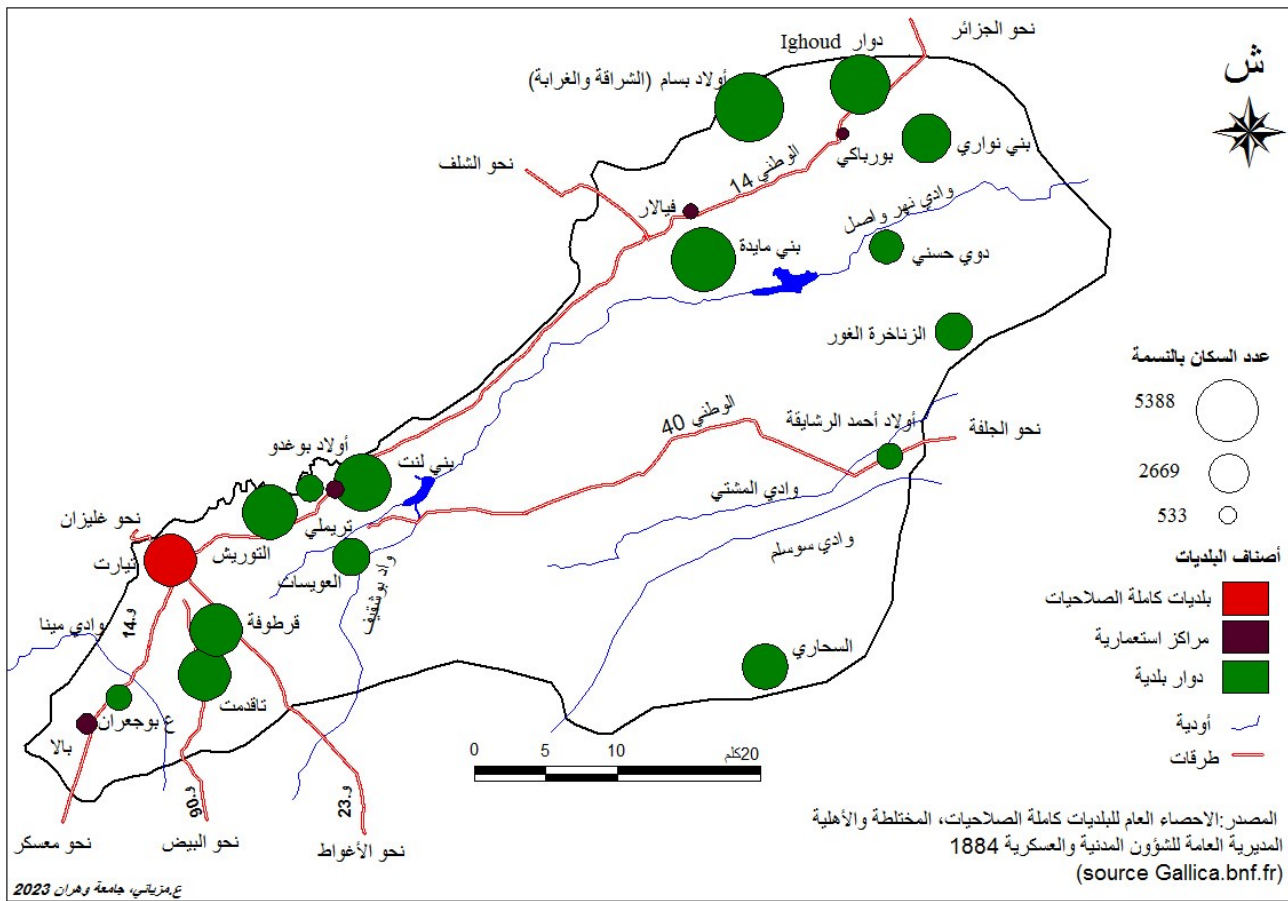
كان السّرسو قبل وصول الاستعمار الفرنسي إليه قليل السّكان وضعيف التّعمير خاصة المنطقة الوسطى منه، يغلب عليها الطّابع الرّيفي الرّعوي، حيث كانت السّلطة الفعلية في الأرياف في أيدي القوى المحليّة التي حافظت على النّظم التّقليدية للقبائل من حيث التّسيير والتنظيم وجمع الضرائب، وكان هذا في نظر شيوخ القبائل نوعا من الامتياز تمنحهم إياه السّلطة العثمانية، لكن ذلك مثّل في نظر هذه السّلطة استراتيجية فعّالة انتهجتها للإبقاء على وجودها (بن صحراوي، 2014).

1.2 العوامل الطّبيعية والاقتصادية، مهيكّل رئيسي للشبكة العمرانية.

فتح وصول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة سنة 1842 واهتمامه بزراعة الحبوب الطّريق أمام تعميرها بطريقة سريعة، إذ قام بتوطين قرى جنينية خاصة بالمعمرين الأوائل، فبدأت تظهر في الأفق ثنائية مجالية، مجال عمراني تقليدي مبعثر متواضع، ومجال استعماري جديد مغاير لثقافة وسوسولوجية العالم الرّيفي المحلي (فكّار، 2013)، تعمقت هذه الثنائية المجالية وتجدّرت في مختلف مناطق السّرسو (Meziani et Otmane, 2022)، بدعامة العمليات والإجراءات الاستحواذية على المجال الرّيفي بنمطين من التّعمير، نمط استعماري تمثّل في المراكز العسكرية والقرى الاستعمارية ونمط تقليدي تمثّل في الدّواوير (الخريطة رقم 33). انتهج المستعمر بعد 1940 أليات أخرى لتعمير السّرسو كقطاع التّحسين الرّيفي (S.A.R) الذي جسد من خلال إنجاز سكنات متجمعة وتوزيع قطع أراضي على الأهالي في منطقتين (عين بوشقيف على ضفة واد بوشقيف وتيسمسيلت). تم تجميع الأهالي بعد اشتداد حدة الثّورة بعد 1954 في العديد من مراكز المحتشدات (حي بوهني شرق تيارت، حي كاستور شمال شرق مهدية، حي جنوب قرية كرمان، مركز بني مايدة، مركز عين الصّفا، عين دزاريت والسّحاري (الناظورة حاليا). امتد تعمير السّرسو بشكل محوري خصوصا على طول الطّريق الوطني رقم 14، ممّا أسفر عن إنجاز سلسلة من المراكز المتتابعة، تتباعد فيما بينها بمسافة منتظمة تقدر بـ 15 كلم، فكانت محصلة التّعمير في الفترة الاستعمارية إنجاز 15 مركزا عمرانيا إضافة إلى الدّواوير التي أنشأت في القبائل المحلية وعددها 15 أيضا، كما أنشئت مجموعة من الوحدات الإنتاجية تتمثّل في المزارع على طول نهر واصل بلغت حوالي 25 مزرعة في الشّمال بين تسلّمت والشّلالة، وست مزارع (Perrin, 1960) على الهضبة الجنوبية عام 1907.

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السّرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

تغطي هذه الأخيرة المجال الرّيفي وتذهب إلى عمق هذا الأخير محاولة منه في احتوائه واستغلاله بأحسن صورة¹. إن تواجد هذا الكم الكبير من المراكز العمرانية في وسط مثل السّرسو لم يكن بمحض الصدفة، فالتّعمير هنا كان إرادياً، الغرض منه اقتصادي لاستغلال الأراضي الزراعية الخصبة. لعبت العوامل الطّبيعية، الجغرافية والاقتصادية (الأراضي الخصبة، الماء والعقار) دوراً مفصلياً في اختيار المواقع لبناء المراكز العمرانية بالسّرسو فقد ساهمت في تشكيل وهيكل الشبكة العمرانية، فهذه المراكز الجديدة تتوسط المجال الزراعي والرّعي، كما أنها كانت نتيجة لحركة السّكان في الشّتاء والصّيف، وما نتج من تبادل اقتصادي وتجاري مهم بالمنطقة.



الخريطة رقم 33: الشبكة العمرانية في السّرسو في الفترة الاستعمارية (1884)

توجد أهم المجمّعات العمرانية بالسّرسو بالهضبة، التي تنفصل عن حوض تيسمسيات بواسطة نهر واصل كما ذكرنا سابقاً، ولاسيما تيارت عند أقدام جبل قزول، وعلى طول الأودية (نهر واصل، بوشقيف، المينا، سوسلم والمشتي) نجد (بوقارة (هاردي سابقاً)، العويسات، أولاد بوغود، ملاكو (بالا سابقاً) وعين بوجهران)

¹ Congrès de la colonisation rurale. 3, Monographies algériennes : Alger 26- 29 mai 1930

هذه المجمّعات تتوزع بانتظام على شكل خطي يوافق مجاري الأودية، وعلى محاور الطّرق المهمة وخاصة الوطنيين 14-40 نجد (الدّحموني، بني لنت، مهديّة (بيردو)، حماديّة (فيكتور هيجو)، الرّشايقة (دوار أولاد أحمد الرّشايقة) ومركز دو فوكو.

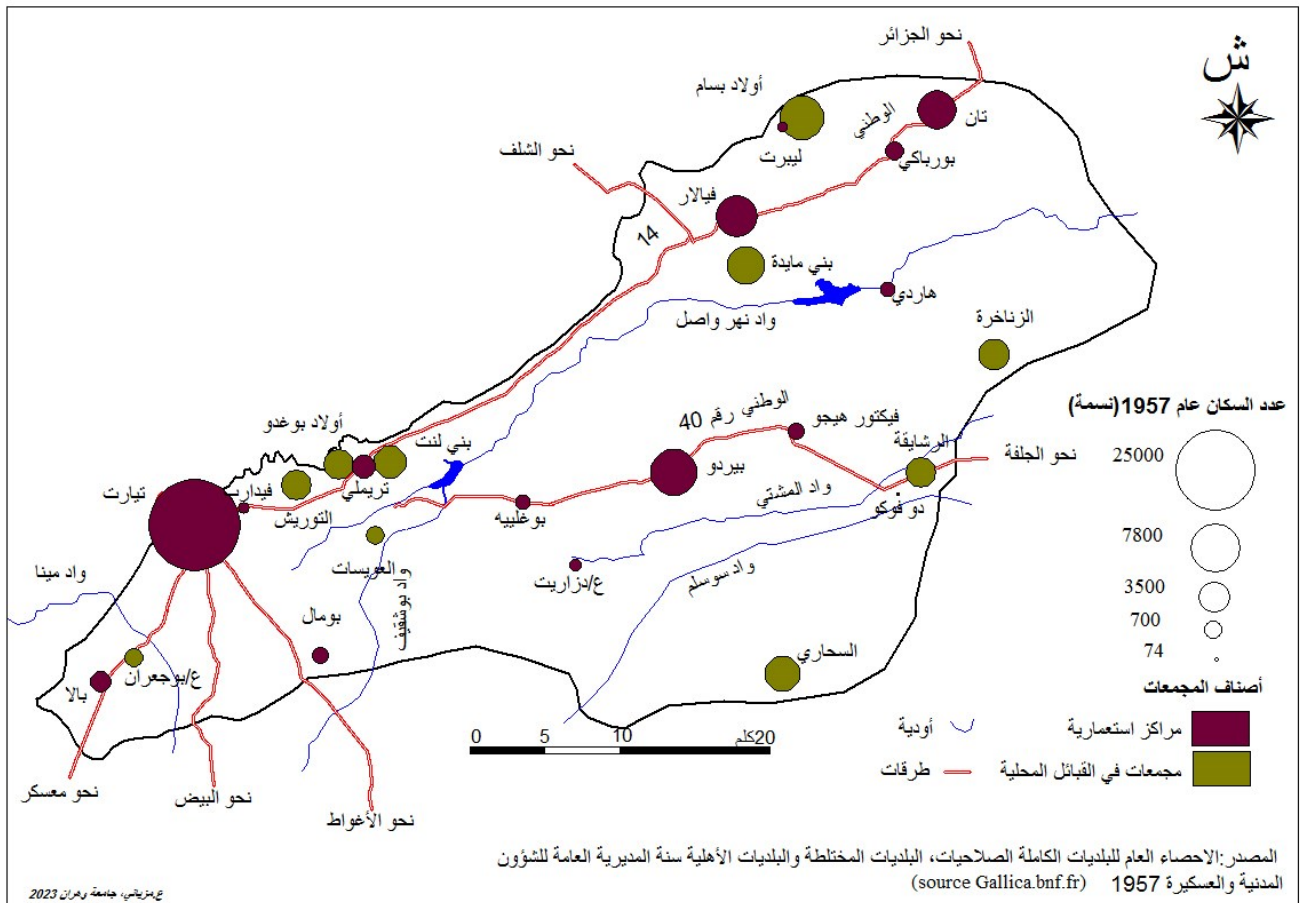
كما نجد المجمّعات العمرانية داخل الأحواض، ولاسيما حوض تيسمسيلت (مجمّعة تيسمسيلت (فيالار)، خميستي (بورباكي)، العيون (تان)، أولاد بسام (ليبرت)، إضافة إلى المراكز بالقبائل المحلية (بني مايدة، أولاد بسام الشّراقة والغرابية) تتوضع معظمها بشكل خطي على طول الطّريق الوطني رقم 14. اذن يمكن القول إن الشّبكة العمرانية التي تشكلت في الفترة الاستعمارية خضعت للعوامل الطّبيعية والجغرافية، فهذه المراكز تتركز بالمجال الزراعي والرّعوي، مما يعطي فكرة عن أهمية العامل الاقتصادي في هيكلية شبكة المراكز العمرانية في السّرسو (الخريطة رقم 33) إلا أنّها هيكلت بمجموعة من الطّرق المهمة والسّكك الحديدية التي ربطت المنطقة ببقية أجزاء الوطن.

2.2 شبكة عمرانية ريفية متعدّدة

فرض الاستعمار في السّرسو السّكن المتجمع، باستثناء المزارع، التي غالبا ما يحصل أصحاب هذه الأخيرة على قطع أراضي حضرية للمشاركة في حياة القرية وليتمكنوا من إرسال أطفالهم إلى المدرسة. بعد ذلك يتم التّخلي عن المباني المعزولة على قطع الأراضي لصالح المنزل المبني في القرية، وهي بمثابة مستودع للمواد، يقوم بحراستها شخص من الأهالي. غير أنّ الخواص أنشأوا مزارعا متناثرة؛ تقع وسط عقارات شاسعة أكثر ربحية من تلك التي أنشأتها الدّولة، فهي تظل محل إقامة أصحابها أو المستأجرين. وهكذا نجد نوعين من السّكن، المتجمع والمشتت حيث يتعايش كلاهما في السّرسو. تميزت منازل المستوطنين الأوائل في السّرسو بالسّاحات المغلقة، يمكن الوصول إليها عبر بوابة كبيرة. يحتل المنزل الجانب الأمامي، أما بقية البنايات المستقرة، مخزن الحبوب، السّقيفة، تنتشر على الجوانب الأخرى للفتاء المستطيل. قام المستعمرون بشراء المباني التي هجرها أصحابها بعدما غادروا إلى أماكن أخرى فيما تبين لهم أن هذا النوع من المزارع غير كاف لإيواء المحاصيل وأيضا العتاد المهم الذي استخدمه مزارعو سرسو بعد عام 1920، بينما فضل آخرون إعادة بناء مزرعة حديثة على أرض قريبة من القرية. يستخدم البعض ممن يشغل المزارع، المباني البعيدة كملحقات لمستثمراتهم، كما أن إيجاد مخازن وتعاونيات للحبوب ساعدت المستوطنين في تخزين محاصيلهم من الحبوب.

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السّرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

لم يكن بمنطقة السّرسو إلا مجموعة من الدّواوير، يغلب عليها الطّابع الرّيفي المبعثر في أغلبه، فقد أوضحت المعطيات أن السّرسو كان يضم 25 مجمعة عمرانية، يغلب عليه المراكز الرّيفية التي تضم أقل من 2000 نسمة (12 مركز) ويتركز بها 13.25% من مجموع السّكان (، تليها الفئة الحجمية (2000-5000 نسمة) بسبعة مراكز يسكنها 26.71%، ثم الفئة الحجمية (5000-10000 نسمة) وعددها خمسة، يسكنها ما يفوق ثلث السّكان (33.65%) وتضم المراكز الاستعمارية (مهديّة (بيردو)، تيسمسيلت (فيالار) والعيون (تان)) والمراكز في القبائل المحلية (بني مايدة وأولاد بسام الشّراقة والغرابة)، إلا أن كل من دواير دوي حسني وبني النّواري تم دمجها ضمن بلدية تان بموجب مرسوم تنفيذي، بينما لا تمثل الفئة الحجمية أكثر من 10000 نسمة إلا مركزا عمرانيا وحيدا يتمثل في مدينة تيارت التي تأتي على رأس الشبكة العمرانية وتضم لوحدها (26.60%) من مجموع السّكان في المنطقة (الخريطة رقم 34).



الخريطة رقم 34: الشبكة العمرانية في السّرسو في الفترة الاستعمارية (1957)

يغلب على الشبكة العمرانية في السّرسو في هذه الفترة، المجمعات ذات النّشأة الاستعمارية (56%) تضم ما يفوق نصف السّكان السّرسو (58.67%)، إلا أنّ أغلبية سكانها من الأهالي (83.23%).

هذا التوزيع المجالي فرضته خصوصية المنطقة الفلاحية والتكتل القبلي (الجانب الاجتماعي) من جهة وتاريخ المنطقة من جهة أخرى، حيث كان السرسو مخزن الحبوب في الفترة الرومانية ثم عاصمة الدولة الرستمية، وفي الفترة الاستعمارية أيضا اهتمت السلطات به وخاصة بتيارات الجديدة كمركز عسكري في بداية النشأة وما عرفه من ترقيات إدارية متتالية. معظم المجمعات توطنت على محاور الطرق وخاصة الطريق الوطني 14 و40 بضفتي نهر واصل، حيث تتوفر المزارع وبالتالي العمل، دعمت هذه الطرقات العلاقات الوظيفية بين المجمعات العمرانية الريفية والحضرية، وشجعت التبادل والاتصال التجاري من خلال الأسواق بشكل خاص.

ارتكز التنظيم المجالي للسرسو في هذه الفترة على الجانب الاجتماعي، حيث اعتمد الاستعمار على التعمير بالقبائل المحلية، لتجميع الأهالي ومراقبتهم، أما مجاليا فقد جاء اختيار مواقع القرى والمراكز الاستعمارية محاكاة للخصوصيات الطبيعية بمحاذاة مصادر الماء وتوفير الأراضي الخصبة.

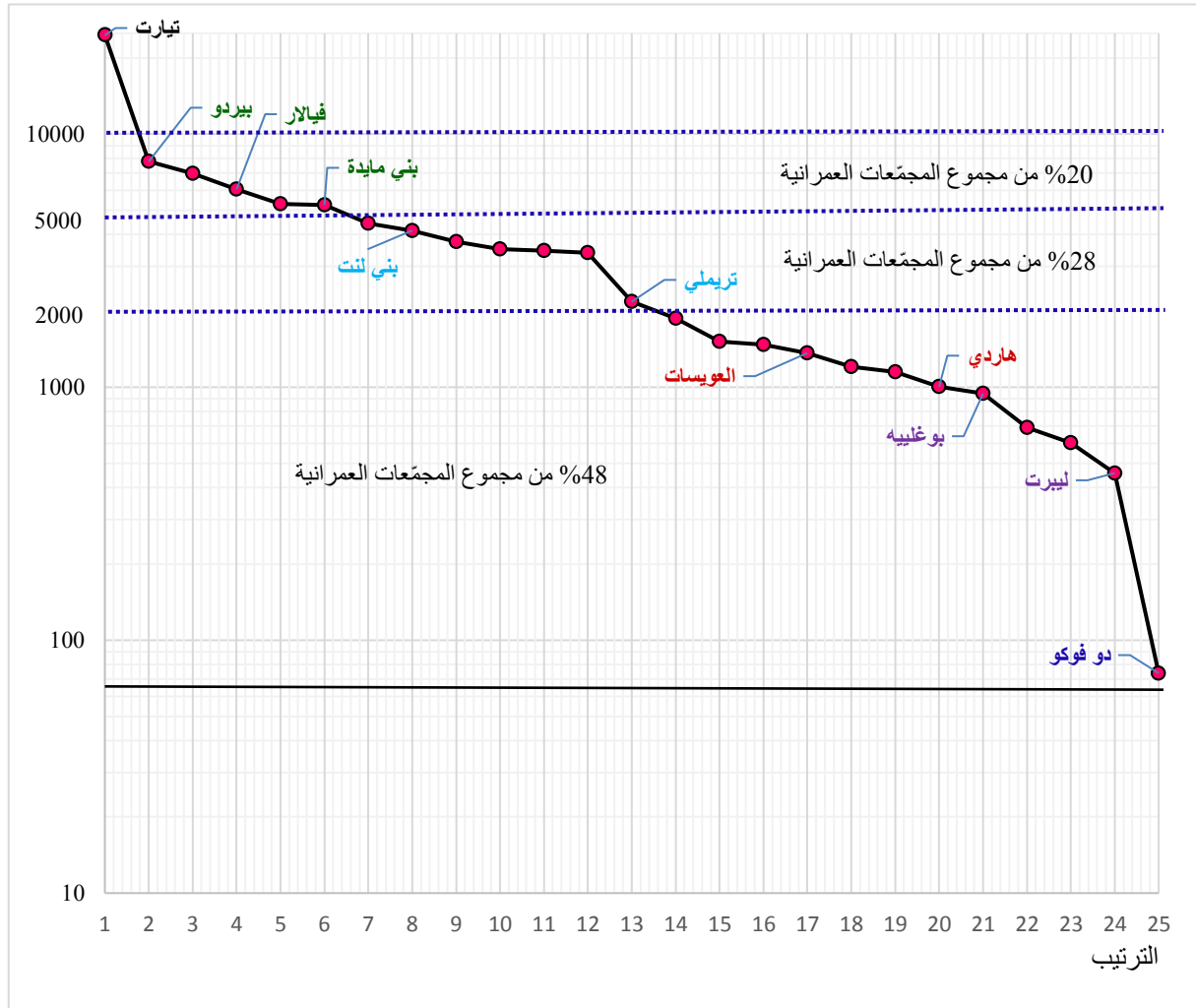
تميز السرسو في الفترة الاستعمارية بثلاث أنواع من المجمعات حسب الوظائف التي تؤديها فنجد: مجموعات ذات وظائف مختلفة، وهي المجمعات الحضرية وعددها ثلاث (تيارت، بيردو وفيالار). أهم المجمعات الحضرية هي تيارت فقد اعتبرت عاصمة السرسو آنذاك (الشكل رقم 4)، حظيت بوظائف إدارية وحضرية متنوعة واستفادت من تطور المنطقة فتم توطين التجهيزات المختلفة بها، كالبنوك والائتمان الزراعي والتعاونيات، وهو ما جعلها جاذبة لسكان المناطق المجاورة (الرحوية ومشرع الصفا في الشمال، فرندة وعين الحديد في الجنوب) والتي أصبحت تابعة لها إداريا فيما بعد، خاصة أن تجميع الحبوب كان يتم على مستواها. لكنها كانت في ذات الوقت منطقة لتجارة الجملة والتجزئة أيضا. وهو ما دفع العلامات التجارية الكبرى للعتاد الزراعي والأسمدة لإنشاء مستودعات وإقامة مندوبين بها. تخدم هذه التجارة السكان المحليين وأيضا السكان المترددين عليها من فيالار ومهدية، نظرا لقرب المسافة وتوفير وسائل النقل (سيارات خاصة أو حافلات) (Perrin, 1960). أما بيردو فكانت تعتبر (مهدية) مركز السرسو، تحيط بها المزارع والفيالات الفاخرة التي لا توجد في كل المنطقة إلا بها.

تتوطن المستودعات والمكاتب الجديدة غرب المجموعة، بينما توجد أحياء الأهالي والأكواخ شرقا، أما المظهر الحضري فيتجسد فيها من خلال تجهيزاتها (السوق، قاعة القرية والمستشفى)، خطتها الشطرنجية ذات الشوارع الواسعة والجيدة والساحة العامة في المركز، أما النمط المعماري السائد بها فيتمثل في المنازل المكونة من طابق وطابقين. بينما فيالار لم يميزها غير الوظيفة الإدارية، كونها عاصمة البلدية المختلطة السرسو ثم أصبحت محافظة فرعية خلال الإصلاح الإداري سنة 1957. صنفت بعض المجمعات العمرانية ذات النشأة الاستعمارية في السرسو في الصنف الريفي، تميزت هذه المجمعات بضعف النشاط التجاري بل ندرته في بعض منها، حيث كان في غالب الأحيان محلي، منها تان، بورباكي، تريملي، بالا، فيكتور هيجو

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السّرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

وهاردي، لكنّها حافظت على كثافتها السّكانية الزراعيّة مرتفعة (Perrin , 1960)، وهو ما جعلها تصنف كمجمعات زراعية. أما باقي المراكز الاستعمارية الصّغيرة مثل بومال، دو فوكو (الرشايفة)، فيدارب (كرمان) وليبرت (أولاد بسام)، عين دزاريت وبورلييه (سي الحواس) فهي مناطق سكنية فقط لا يوجد بها أي تجارة ما عاد المقهى في بعض منها، بالكاد يمكن العثور على مقهى أوروبي بها، لم تتطور هذه المجمعات عمرانيا ولم تتوسع مجاليا بل احتفظت بعلامح نشأتها الأولى.

حجم المجمعّات (نسمة)



الشّكل رقم 5: البنية التّراتبية لمجمعات السّرسو حسب حجمها سنة 1957

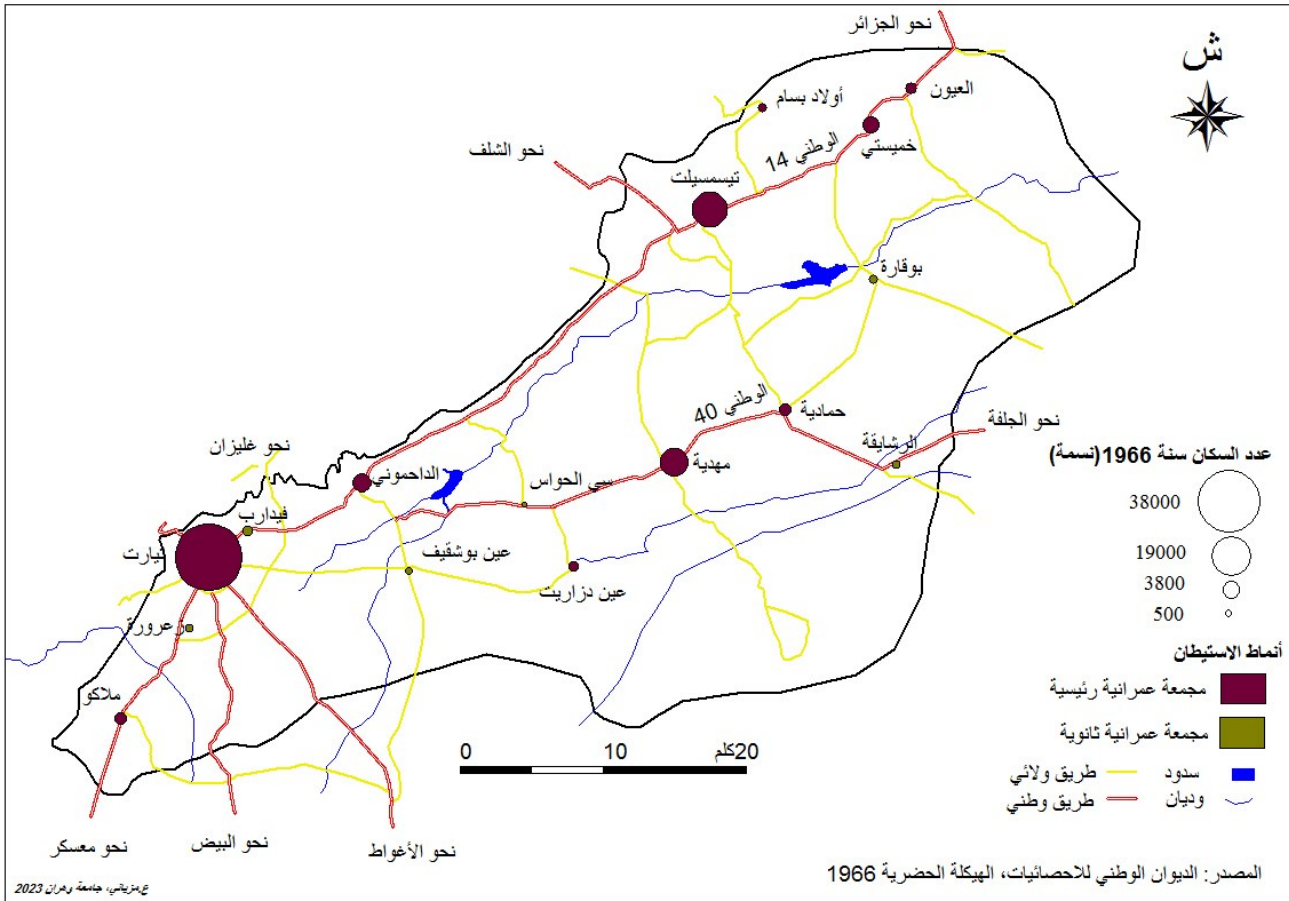
3. تكثيف الشبكة العمرانية بالسّرسو بعد الاستقلال

انخفض عدد المجمعّات العمرانية بالسّرسو سنة 1966 من 25 إلى 16 مجمعّة، ويعود ذلك إلى تقليص عدد البلديات الموروثة عن عهد الاستعمار سنة 1963 من جهة (من 1578 إلى 632 بلدية فقط،

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السّرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

مع الغاء أكثر من نصفها)، وإدماج المجمعات الصغيرة سواء الاستعمارية أو تلك المنشأة في القبائل المحلية ضمن المنطقة المبعثرة للبلديات من جهة أخرى.

ارتكزت الشبكة العمرانية في السّرسو على نفس المجمعات ذات النشأة الاستعمارية، سواء المراكز الاستيطانية التي تغيرت تسميتها بعد الاستقلال (تيارت، فيدارب، الدّموني (تريملي)، ملاكو بالا)، سي الحواس (بوغلييه)، مهدية (بيردو) حمادية (فيكتور هيجو)، بوقارة (هاردي)، تيسمسيلت (فيالار)، خميستي (بورباكي)، العيون (تان)، أولاد بسام (ليبرت) أو قطاعات التحسين الريفي (عين بوشقيف)، والمراكز الاستعمارية في القبائل المحلية مثل عين دزاريت والنّاظورة (إقليم قبيلتي السّحاري الشراقة والقنادزة سابقا)، إضافة إلى مجمعة زعرورة بالقرب من تيارت (الخريطة رقم 35). بداية تعمير مجمعة زعرورة في الفترة الاستعمارية كانت بإنشاء حي إعادة إسكان في إطار مشروع قسنطينة، موجه لإسكان الجزائريين بعيدا عن الحي الأوروبي، نمت زعرورة بعد الاستقلال وزاد عدد سكانه بسبب الهجرة ممّا أدى إلى ظهور الحي الفوضوي بها.



الخريطة رقم 35: توزيع المجمعات العمرانية في السّرسو حسب الحجم ونمط الاستيطان سنة 1966

حافظ السّرسو على نفس الشبكة العمرانية بعد الاستقلال بدون ظهور أي مراكز جديدة إلى غاية السبعينات انتهجت الدولة سياسة تعميم مشابهة لتلك التي كانت في الفترة الاستعمارية، لكن بأهداف مغايرة بغية تكثيف الشبكة العمرانية من جهة وتقريب الفلاحين من أراضيهم من جهة أخرى، تمثلت هذه السياسة الجديدة في الثورة الزراعية التي كانت تسعى إلى إنجاز 1000 قرية فلاحية اشتراكية.

1.3 من القرى الاشتراكية إلى مراكز ريفية، فحضرية

استمرت الدولة في نفس الرؤية السياسية للمستعمر الفرنسي سابقا، في القطاع الزراعي لدمج العالم الريفي في عملية التنمية الوطنية، عن طريق الثورة الزراعية. تهدف سياسة الثورة الزراعية إلى إعادة الأرض إلى الفلاحين وتحديث الزراعة على أساس دعائمين: وحدات إنتاجية تمثلت في "الأرض لمن يخدمها" ومراكز إسكان تمثلت في بناء قرى اشتراكية في بداية السبعينات. تم الحصول على الأرض ووسائل الإنتاج وفق منهجين: قضائي وسياسي عن طريق التأميم، ومنهج اقتصادي من خلال إنشاء تعاونيات خدمية ووضع سياسة الائتمان الزراعي، تعتبر هذه القرى الاشتراكية إحدى أهم آليات التعمير في السّرسو فقد أنجزت 12 قرية في السبعينات وبداية الثمانينات من القرن الماضي، تركزت خصوصا في الضفة الجنوبية لنهر واصل الذي يهيكل جزء كبير من السّرسو حيث المنطقة منبسطة وغنية بالأراضي الفلاحية المنتجة. أعادت القرى الاشتراكية مبدأ الانتشار السكاني على كامل مجال السّرسو وأحدثت نوعا من التوازن ولو أن التوطن المحوري بمحاذاة الطرقات غلب على توزيعها (Meziani et Otmane, 2022).

استفاد من هذه القرى السكان المستقرين أو شبه مستقرين بالمنطقة، وأيضا الفلاحين الذين لا يملكون الأراضي والمزارعين الصغار من المنطقة السهبية جنوب السّرسو الذين تخلوا عن مساكنهم القديمة المتمثلة في الأكواخ المبنية بالطوب والديس.

ارتفع عدد المجمعات العمرانية في السّرسو إلى 21 مجمعة سنة 1977، وتوسعت بذلك الشبكة العمرانية بإيجاد خمس مجمعات، منها أربع قرى اشتراكية (سلمانة، عين مريم، ببيان المصباح، ضاية الترفاس) رغم أن هذه الفترة شهدت ميلاد عشرة قرى بسرسو تيارت (الجدول رقم 31)، إلا أن أربعة منها فقط صنفتم مجمعات ثانوية بينما بقي عدد المجمعات العمرانية الرئيسية على حاله (10 مجمعات).

الجدول رقم 31: توزيع المجمعات العمرانية حسب نمط الاستيطان

عدد القرى الاشتراكية	عدد القرى الاستعمارية	العدد الكلي	عدد السكان المتجمعين (نسمة)	المجمعات الثانوية			المجمعات الرئيسية			التعدادات السكانية
				النسبة %	عدد السكان	العدد	النسبة %	عدد السكان	العدد	
0	15	16	75057	6,70	5030	6	93,30	70027	10	1966
4	15	21	120067	13,39	16076	11	86,61	103991	10	1977
7	15	27	210016	8,93	18759	12	91,07	191257	15	1987

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السّرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

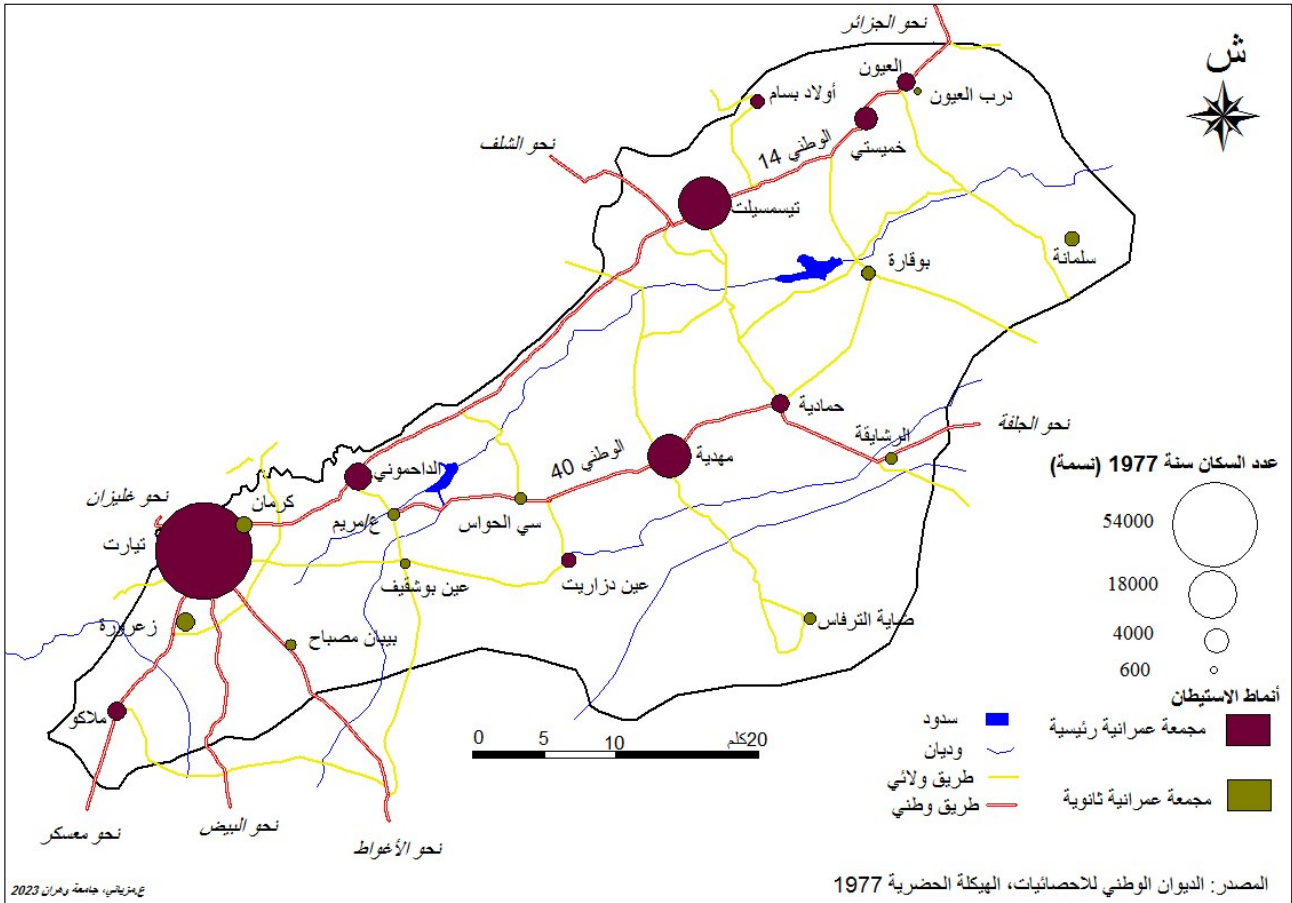
10	15	28	350143	10,13	35460	13	89,87	314683	15	1998
10	15	34	425230	10,52	44717	19	89,48	380513	15	2008

المصدر: الدّيون الوطني للإحصائيات 1998-1997-1977-1966-2008

ارتفعت نسبة التّجمع في السّرسو من 55.77% سنة 1966 إلى 66.34% سنة 1977، بمعدل نمو مرتفع (4.24%) فاق معدل نمو المنطقة بكثير.

غلب على الشبكة العمرانية في السّرسو في هذه الفترة تواجد المجمعّات الثّانوية، لكن لا يقطن بها إلا 13.39% فقط من السّكان، فالتركز السّكاني يتواجد بالمراكز الرّئيسية (الخريطة رقم 36).

اعتمدت سياسة التّعمير عن طريق القرى الفلاحية الاشتراكية على نمط السّكن المتجمع، الذي دُعّم بإنجاز مجموعة من التّجهيزات الأولية (مدرسة، مركز صحي، مركز بريد، مسجد، ساحة عامة، سوق وحمام) التي كانت سببا في جذب سكان المناطق المبعثرة فيما بعد لأنها أصبحت مراكز حضرية بحكم تجهيزاتها.



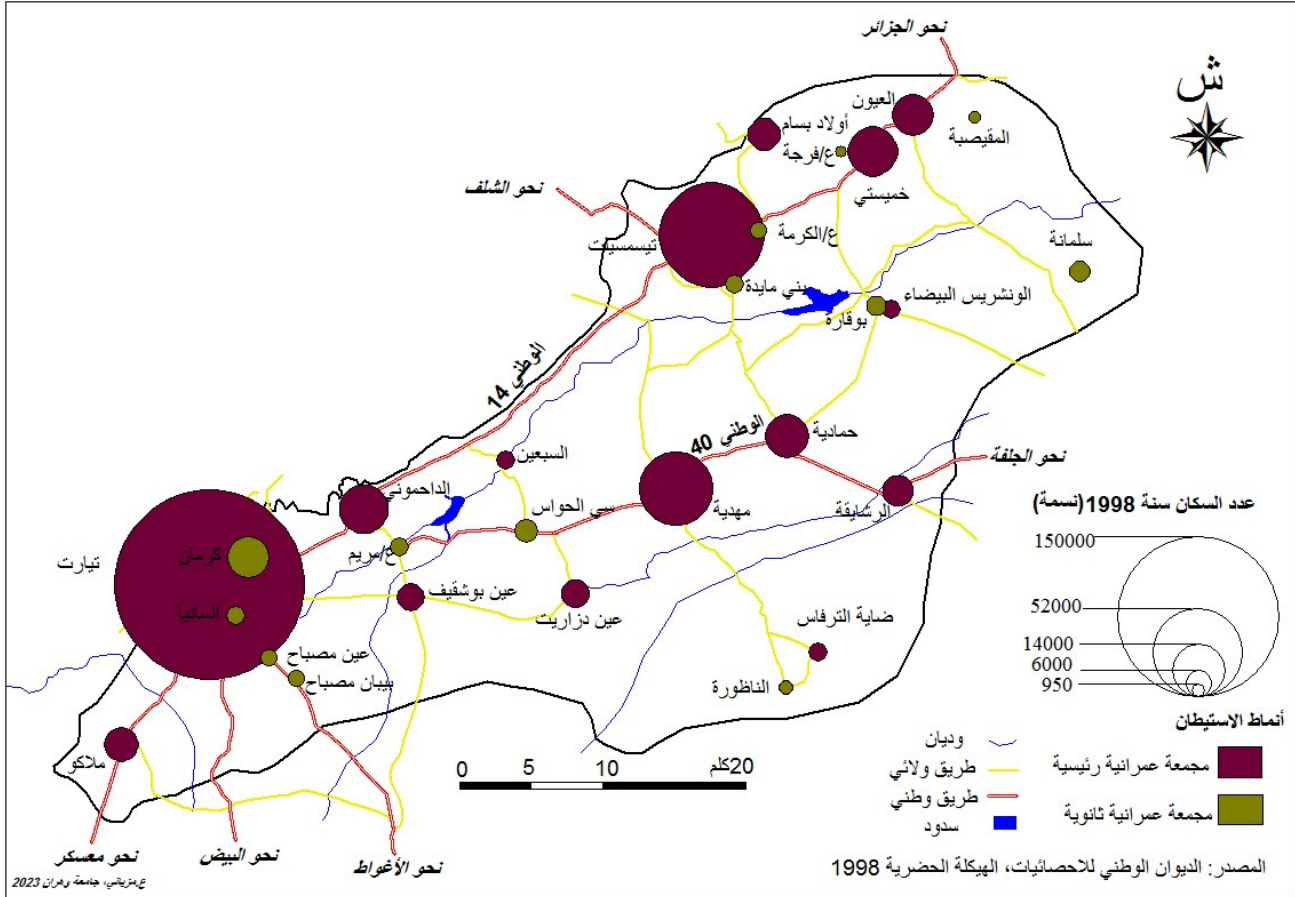
الخريطة رقم 36: توزيع المجمعّات العمرانية في السّرسو حسب الحجم ونمط الاستيطان سنة 1977

2.3 الترقية الإدارية والتخطيط الاقتصادي أسهما في توسع الشبكة العمرانية بالسّرسو

تواصل إنجاز القرى الاشتراكية في الثّمانيات بسرسو تيسمبيلت، فقد أنجزت قريتي المقيصبة وعين الكرمة سنة 1983. وعليه ارتفع عدد المجمعّات العمرانية بالسّرسو إلى 27 مجمّعة بإضافة سبعة

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السّرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

ساهم توطن الصّناعة بالمنطقة في تحفيز التّعمير عن طريق برامج إسكان حضرية واسعة تمثلت في المناطق السّكنية الحضرية الجديدة بتيارت وتيسمسيلت والسّكن الوظيفي في عين بوشقيف، كما شجع التّحركات اليومية نحو هذه الأقطاب الصّناعية، وسهل الاستقرار بها أو بالقرب منها لاحقا.



الخريطة رقم 38: توزيع المجمعّات العمرانية في السّرسو حسب الحجم ونمط الاستيطان سنة 1998

شهدت الشبكة العمرانية بالسّرسو سنة 1998 ارتفاعا طفيفا في عدد المجمعّات، فقد سجلت المنطقة 28 مجمّعة، بفارق مجمّعة واحدة فقط خلال عشر سنوات (ظهور ثلاث مجمعات جديدة والتحام آخرين مع مجمعات أكبر) (الخريطة رقم 38). انخفض معدل النمو السّكاني في هذه الفترة عن سابقه، فقد تم افراغ المناطق المبعثرة لصالح المجمعّات الرّئيسية والثّانوية. إلا أنّ المنطقة شهدت ظهور ثلاث مجمعات جديدة: بني مايدة بالقرب من تيسمسيلت وهي مركز المحتشد الذي أنجزته السّلطات الاستعمارية، توسع هذا المركز وصنف مجمّعة ثانوية سنة 1998، ومجمّعة السّانيا بالقرب من تيارت، وهي ضيعة ريفية استعمارية، أصبحت مزرعة اشتراكية (DAS) في الثّمانينات القرن الماضي، توسعت وارتفع عدد سكانها فنصفت مجمّعة ثانوية بنفس السّنة، ومجمّعة عين مصباح وهي قرية اشتراكية، ارتفع عدد سكانها وصنفت مجمّعة

3.3 التوزيع المكاني للمجمّعات: تركز واضح إلى حد ما في المناطق الأكثر كثافة سكانية.

أصبح انتشار المراكز الحضرية في السّرسو وتوسعها واقعا. حتى المجالات البعيدة التي كانت في يوم من الأيام أكثر عزلة عن حركة التّحضر، شهدت على مر السنين توسعا في نسيجها العمراني، مثل الرّشايقة، الناظورة وضاية التّرفاس (الواجهة الجنوبية للسّرسو). تعتبر الشّبكة الحضرية البعيدة عن المدن الكبرى (تيارت، تيسمسيلت) أقل كثافة. تتوزع المجمّعات العمرانية وخاصة التّأنوية منها حول تيارت وتيسمسيلت وبالقرب منهما على الطّرق الوطنية ولاسيما 14، 23، هذه الطّرق أعطت ديناميكية خاصة للأوساط الرّيفية والحضرية وسمحت بالوصول لهذا العدد الكبير من المجمّعات في السّرسو. أدى الحضور القوي، لمجمّعات تيارت وتيسمسيلت، إلى تطور بعض المراكز العمرانية القريبة منها ولا سيما كزمان، التي أصبحت منطقة تمدد حضري لتيارت، كما أعاققت في نفس الوقت تطور مراكز حضرية أخرى كملاكو وعين بوشقيف.

نجد التّركيز الأكثر لفتا للنظر في الضفة الجنوبية لنهر واصل من حيث عدد المجمّعات، بينما من حيث حجم المدن ووزنها الديمغرافي فنجد أكثر تركزا بمنطقة الأقدام (جبل قزول والونشريس)، مناطق الاتصال بين المناطق المرتفعة والمنخفضة حيث توجد تيارت بحجم سكاني يفوق 248000 نسمة وتيسمسيلت ما يفوق 111000 نسمة سنة 2019، ومجموعة من المدن الصّغيرة (خميستي، العيون وأولاد بسام) التي يزيد عدد سكانها عن 70000 نسمة والعديد من المجمّعات الرّيفية الصّغيرة المنتشرة على طول الطّرق.

4. البنية الهرمية للمجمّعات العمرانية بالسّرسو، نمو غير متكافئ حسب صنف المجمّعات

البنية الهرمية هو ترتيب المراكز العمرانية إلى فئات حسب أهميتها الوظيفية والخدمية، مما يسمح بالتّفكير في تراتب المراكز العمرانية من خلال عدد سكانها، هذا الأخير الذي يعتبر انعكاسا لعدد الأنشطة والوظائف المتركزة بها، وفي نفس الوقت فهي تمثل بعدا رأسيا يكمل البعد المجالي لهذه البنية، فالمراكز العمرانية لا تحتل مواضع في الحيز المجالي فقط وإنما تحتل موقعا معيناً عند مستوى محدد للبنية الهرمية والتي يمكن تمثيلها في شكل هرم (بن غضبان، 2009). سوف نعتمد في دراسة البنية الهرمية في سهل السّرسو على الإحصاءات السكانية المختلفة والفئات الحجمية المحددة من طرف الديوان الوطني للإحصائيات.

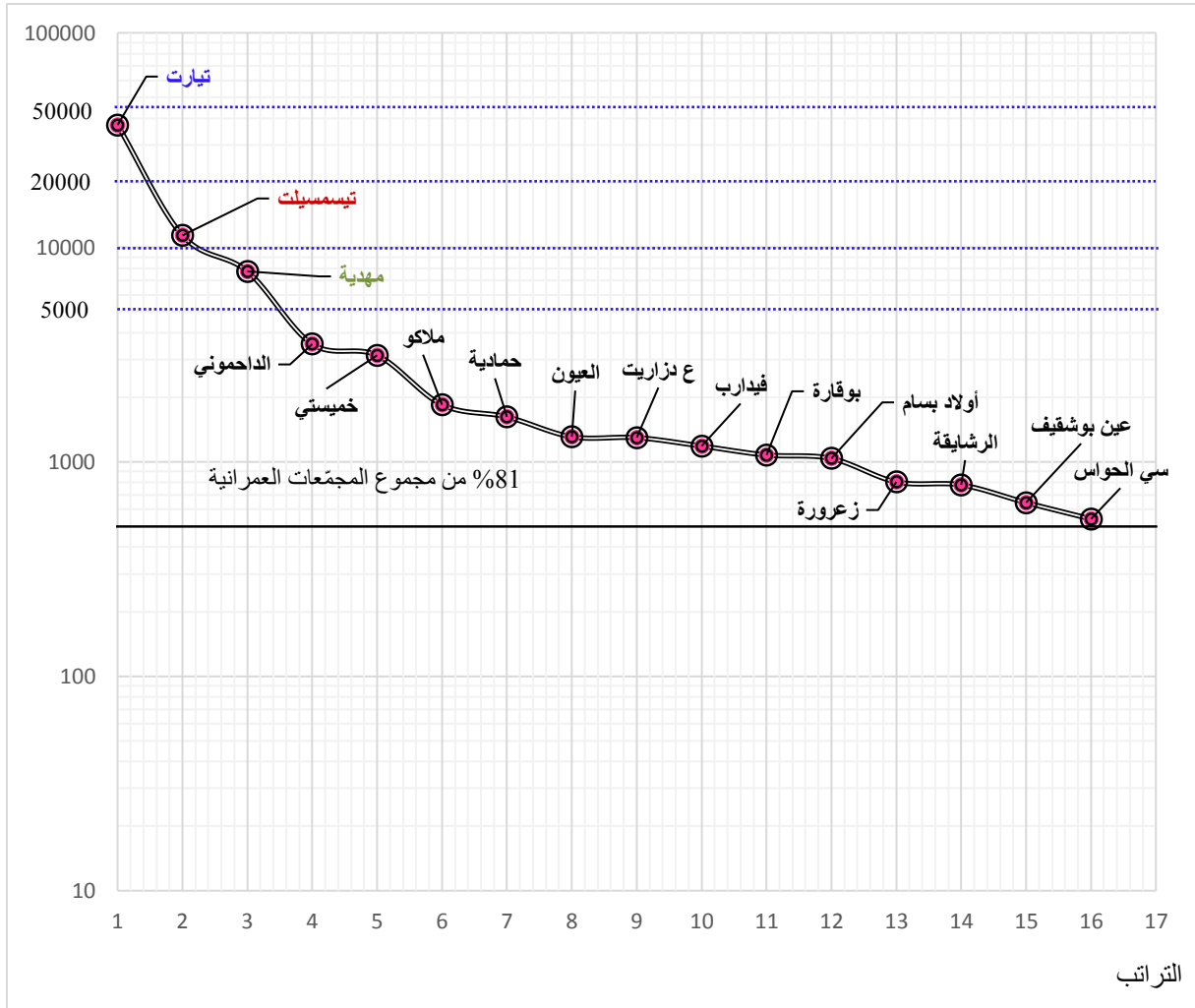
1.4 البنية الهرمية في 1966، قاعدة واسعة تحتلها المجمّعات السكانية الصّغيرة جدا

بلغ عدد المراكز العمرانية في تعداد 1966 حوالي 16 مجمّعة (الشّكل رقم 6)، أغلبها ريفية (81.25%)، لا يتجاوز عدد السّكان في كل منها 5000 نسمة (13 مجمّعة)، يقطن بها حوالي 25%، بينما تكاد تتعدم بقية الفئات الحجمية (5000-10000 نسمة) فنجد مجمّعة واحدة تضم 10.40% من السّكان تتمثل في مهدية، أما الفئة الحجمية (10000-20000) فيوجد أيضا مجمّعة واحدة يقطنها 15.29% من سكان

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

السرّسو تتمثل في تيسمسيلت، أمّا الفئة الحجمية (20000-50000) رغم أنها لا تمثل إلا مجمّعة واحدة فقط متمثلة في مدينة تيارت إلا أنها تضم نصف سكان السرسو (50%). يوجد بهذه الشبكة 10 مجمّعات عمرانية رئيسية هي مراكز بلديات (ACL) منها مركز ولاية قديم (تيارت) ومركز دائرة (تيسمسيلت) وست مجمّعات عمرانية ثانوية.

حجم المجمّعات (نسمة)



الشكل رقم 6: البنية التراتبية لمجمّعات السرسو حسب حجمها سنة 1966

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

الجدول رقم 32: توزيع مجتمعات السرسو حسب الصنف وعدد السكان ومعدل النمو السنوي

2008			1998			1987			1977			1966			1957			حجم المجمعّة
النسبة %	عدد السكان	عدد المجمعّات	النسبة %	عدد السكان	عدد المجمعّات	النسبة %	عدد السكان	عدد المجمعّات	النسبة %	عدد السكان	عدد المجمعّات	النسبة %	عدد السكان	عدد المجمعّات	النسبة %	عدد السكان	عدد المجمعّات	
8,2	34866	20	10,47	36667	16	22,56	47372	21	27,66	31556	17	25,06	18806	13	39,95	37203	19	أقل من 5000
10,05	42749	6	12,93	45266	6	9,793	20566	3	4,45	5443	1	10,29	7726	1	33,65	31334	5	10000-5000
16,75	71220	5	10,97	38416	3				24,35	29791	2	15,13	11357	1				20000-10000
7,38	31396	1	8,14	28493	1	22,03	46257	2				49,52	37168	1	26,4	24578	1	50000-20000
15,54	66084	1	14,98	52451	1	45,63	95821	1	43,54	53277	1							0000-50000
42,07	178915	1	42,51	148850	1													أكثر من 100000
100	425230	34	100	350143	28	100	210016	27	100	120067	21	100	75057	16	100	93115	25	المجموع

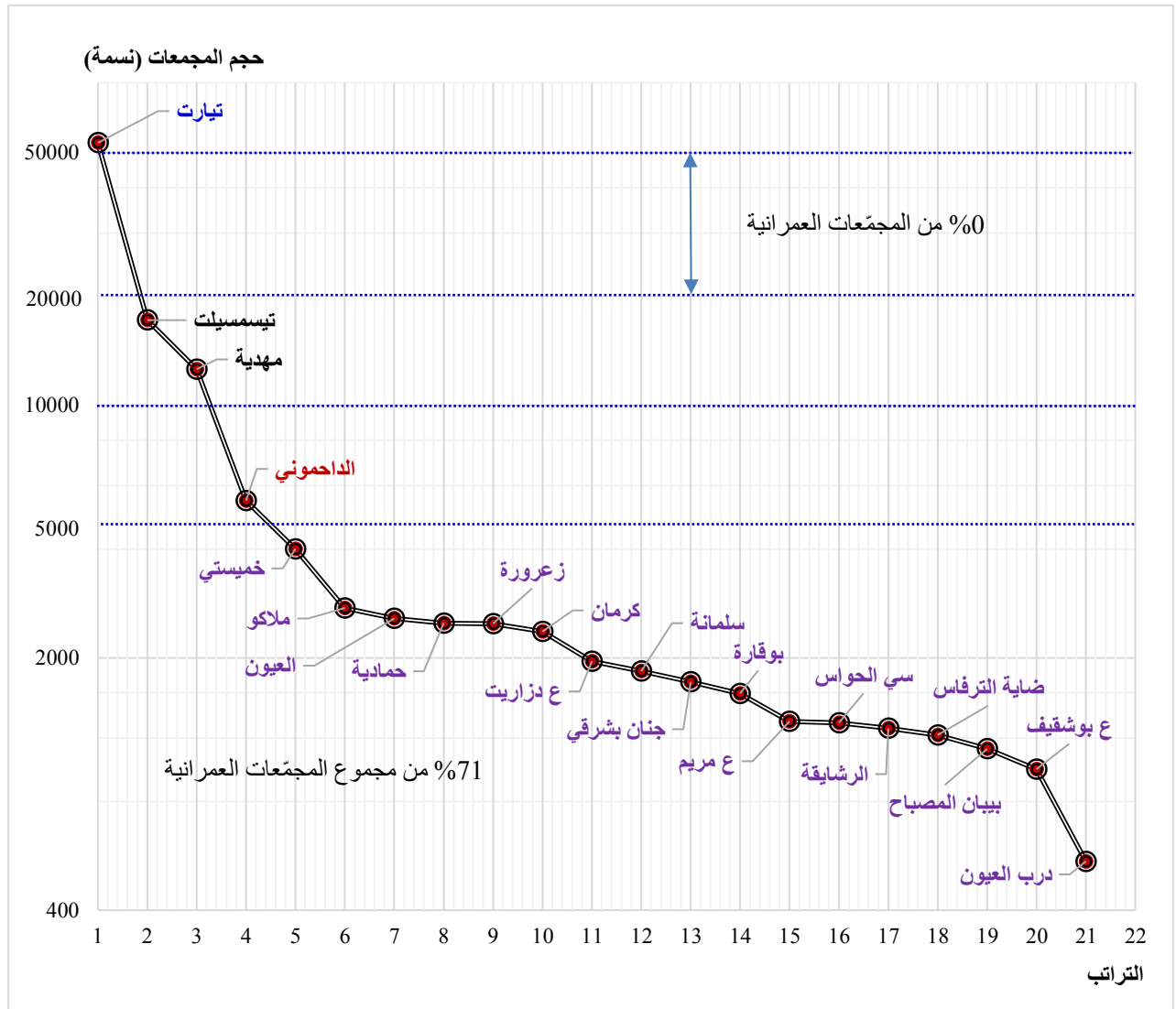
تابع الجدول رقم 32: توزيع مجتمعات السرسو حسب الصنف وعدد السكان ومعدل النمو السنوي

معدل النمو السنوي (%)				حجم المجمعّة
2008-1998	1987-1998	1987-1977	1977-1966	
-0,5	-2,33	4,06	4,71	أقل من 5000
-0,57	7,17	13,29	-3,18	10000-5000
6,17			8,77	20000-10000
0,97	-4,41			50000-20000
2,31	-5,48	5,87		0000-50000
1,84				أكثر من 100000
1,94	4,65	5,59	4,27	المجموع

المصدر: الإحصاء العام للبلديات كاملة الصّلاحيات، البلديات المختلطة وبلديات الأهالي المديرية العامة للشؤون المدنية والعسكرية 1957 (source Gallica.bnf.fr) الدّيون الوطني للإحصائيات التّعدادات السّكانية 1966-1977-1987-1998-2008 + معالجة شخصية

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السّرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

2.4 البنية الهرمية سنة 1977، استمرارية اتساع القاعدة وسيطرة المجمعّات الأقل من 5000 نسمة ارتفع عدد المراكز العمرانية في السّرسو عام 1977 من 16 مركز إلى 21 مركزاً، يغلب عليها الفئة الحجمية أقل من 5000 نسمة (17 مجمّعة)، حيث أضيفت خمسة مراكز من هذا الحجم للشبكة العمرانية مع ارتفاع طفيف لنسبة السّكان التي قدرت بحوالي 27.66% تمثلت في أربعة قرى فلاحية (عين مريم وسلمانة تقعان بالضفة الجنوبية لنهر واصل، وضاية التّرفاس بالضفة الجنوبية لواد سوسلم وبيبان المصباح على الوطني رقم 23) ودرب العيون جنوب الوطني رقم 14 بالقرب من العيون وهي مجمّعات ثانوية جديدة، مما رفع عددها من ستة إلى إحدى عشر مجمّعة مقارنة بالتّعداد السّابق.



الشّكل رقم 7: البنية التراتبية لمجمعّات السّرسو حسب حجمها سنة 1977

بينما حافظت مراكز البلديات على نفس العدد (10) حيث سجلت هذه الفئة الحجمية معدل نمو سكاني في الفترة 1966-1977 قدرت بـ 4.71%، تليها الفئة الحجمية (10.000 – 20.000 نسمة) بمركزين يتمثلان

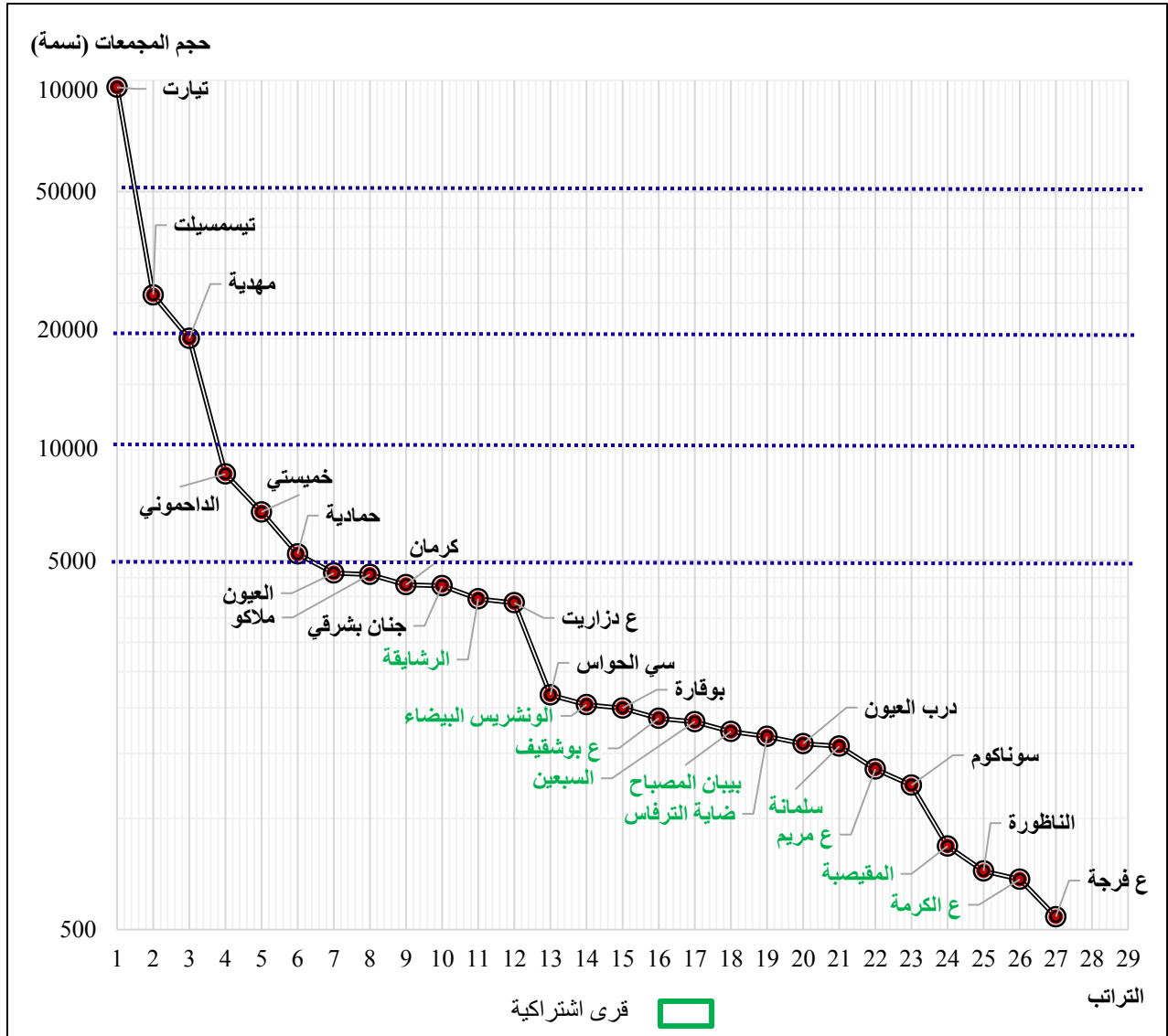
في كل من مهدية التي كانت في التعداد السابق في فئة (5000-10000 نسمة) وصنفت كبلدية حضرية عام 1977 وكذا تيسمسيلت بارتفاع سكاني هام سجل نسبة 24.35% وأعلى معدل نمو سكاني قدر بـ 8.77%. أما الفئة الحجمية (5000-10000 نسمة) فقد بقي عدد مراكزها على حاله وهو مركز واحد متمثل في مجمعة الدّحموني، لأنّ عدد سكانها ارتفع، فأعيد ترتيبها في هذا الصّنف، كما غيرت مهدية أيضا صنفها إلى الفئة الحجمية الأعلى منها. في حين لم تسجل الفئة الحجمية (20.000-50.000 نسمة) أي مجمعة وذلك لأن تيارات احتفظت برتبتها مع ارتفاع وزنها الديمغرافي وتوق مركزها سكانيا ووظيفا على كل المنطقة، لكن غيرت صنفها وانتقلت إلى الفئة الحجمية (50.000-100.000 نسمة) وهي الفئة الأكثر سيطرة في السّرسو تضم لوحدها 43.54% من مجموع السّكان.

3.4 تأثير نسبي للتّرقية الإدارية على البنية الهرمية في السّرسو سنة 1987

تزايد عدد المجمععات العمرانية سنة 1987 بستة مجمعات، خمسة منها مراكز عمرانية رئيسية (مراكز بلديات) بفضل التّقسيم الإداري لسنة 1984، حيث ارتقت خمس مجمعات إلى مصاف البلديات كما ارتقت تيسمسيلت إلى مقر ولاية.

رغم الإصلاح الإداري بالمنطقة، إلا أنّنا نسجل استمرار سيطرة المراكز ذات الفئة الحجمية أقل من 5000 نسمة على البنية الهرمية للسّرسو، حيث بلغت 21 مجمعة، نصفها تمثله القرى الاشتراكية (الشكل رقم 8)، لكن لا يسكن هذه المجمععات إلا 47372 نسمة (انخفاض طفيف لنسبة السّكان مقارنة بسنة 1977، سجلت 22.56% من مجموع السّكان) وانخفض معدل نموها عن السّابق فسجل قيمة 4.06% بالرغم من أنّها قيمة مرتفعة، كما ارتفع عدد المجمععات للفئة الحجمية (10.000-5000 نسمة) إلى ثلاث مجمعات بدلا من واحدة في التّعداد السّابق، يسكنها حوالي 9.79% تتمثل في (الدّحموني، حمادية، خميستي)، سجلت معدل نمو جد مرتفع سجل 13.29%. بينما لا يوجد بالشبكة العمرانية للسّرسو في هذه الفترة مجمعات من الفئة الحجمية (10.000-20.000 نسمة)، إلا أنّنا نسجل ظهور الفئة الحجمية (20.000-50.000 نسمة) التي لم تكن موجودة في التّعداد السّابق وتمثل مجمعتين يقطنهما حوالي 22.03% من سكان السّرسو تتمثلان في كل من مهدية وتيسمسيلت. يبقى مركز تيارت الأكثر سيطرة من حيث عدد سكانه الذي يمثل 45.63% من مجموع سكان السّرسو (الجدول رقم 32)، ومعدل النمو الإجمالي به الذي فاق 5%، يمثل الفئة الحجمية (50.000-1000.000 نسمة).

لم تغير مجمعات السّرسو التي تضم أكثر من 5000 نسمة رتبتها، رغم ارتفاع عدد السّكان بها، بينما حدث تغير في تراتب المجمععات في الفئة الحجمية الأقل من 5000 نسمة، فتراجعت ملاكو لصالح العيون، بينما تقدمت حمادية متجاوزة عدة مجمعات وغيرت صنفها أيضا، كما تقدمت كل من جنان بشرفي، الرّشايقة وسي الحواس.

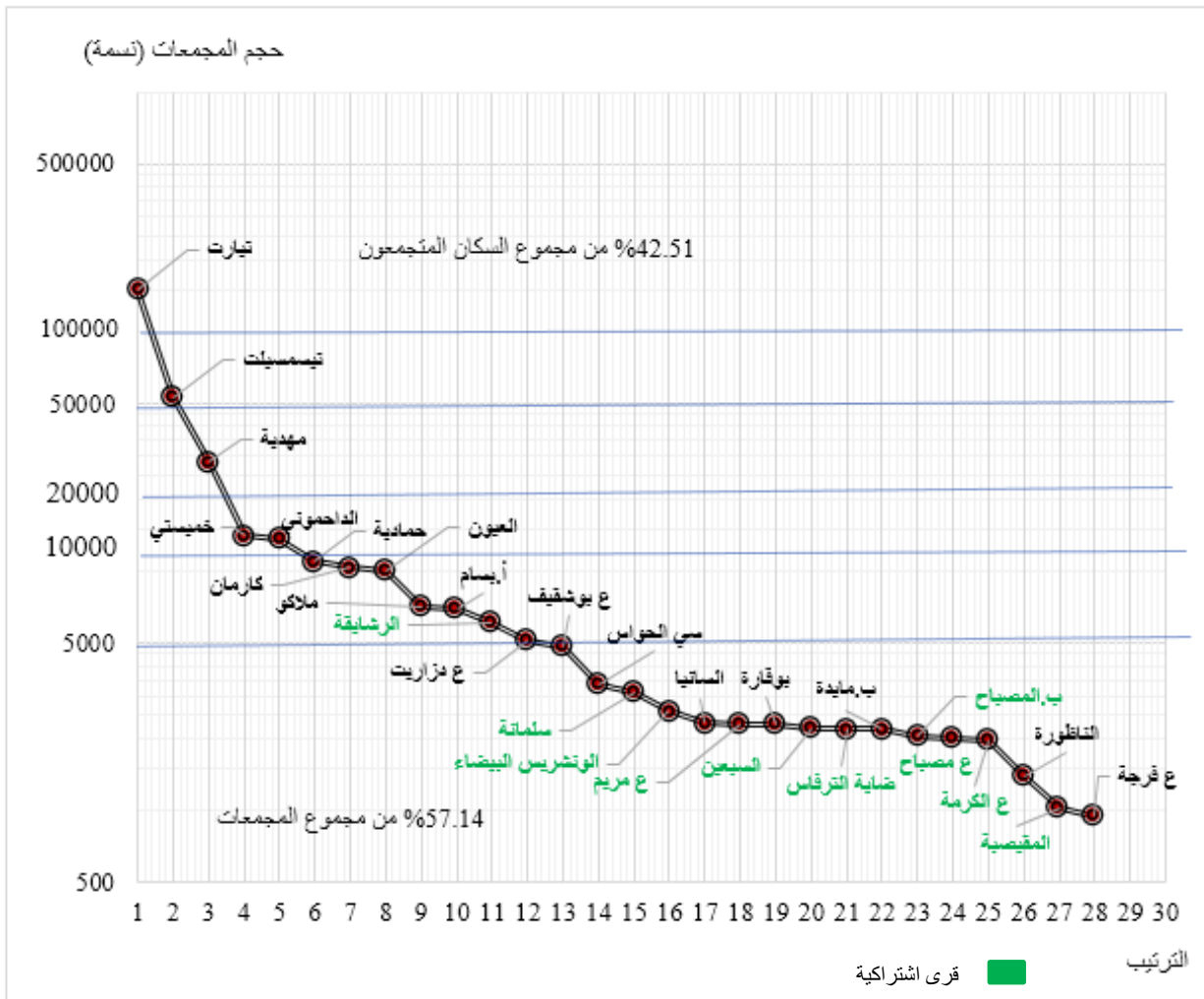


الشكل رقم 8: البنية التراتبية لمجمععات السّرسو حسب حجمها سنة 1987

4.4 تراجع عدد المجمععات الصّغيرة مع استمرار اتساع قاعدة الهرم وضخامة الرّأس في سنة 1998 لم تشهد الشبكة العمرانية بالسّرسو تطورا هاما فقد بقي عدد المجمععات تقريبا على حاله بإضافة مركز واحد وعليه انتقل عدد المراكز من 27 إلى 28 خلال 10 سنوات كاملة لكن اختلفت أحجام المراكز بمختلف الأحجام. انخفاض عدد المجمععات العمرانية الأقل من 5000 نسمة من 21 إلى 16 فقط وبالتالي انخفضت نسبة السّكان في هذه الفئة إلى 10.47% وسجلت نمو سالب (-2.33%)، نظرا لانتقال عدد منها إلى الفئة الحجمية الأعلى بسبب النّمو الديمغرافي، كما ظهرت مجمّعات ثانوية جديدة مثل السّانيا وعين مصباح ببلدية تيارت وبني مايدة ببلدية تيسمسيلت (الشكل رقم 9).

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السّرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

بالمقابل ارتفع عدد المراكز من الفئة الحجمية (5000-10000 نسمة) إلى ست مراكز وارتفع عدد السّكان مسجلين معدل نمو كبير قدر بـ 7.17 %، نفس الارتفاع سجلته الفئة الحجمية (10.000-20.000 نسمة) في حين لم تكن موجودة هذه الفئة في التّعداد السّابق وتتمثل في كل من (كارمان، الدّحموني، حمادية)، وتمثل مركز بلديتين ومركز ثانوي، باقي الفئات الحجمية كلها تتمثل في مركز واحد لكل فئة (20.000-50.000 نسمة) تتمثل في مركز مهدية، الفئة الحجمية (50.000-100.000 نسمة) يتمثل في مركز تيسمسيلت وهي مركز ولائي جديد، أما الصّنف (أكثر من 100.000 نسمة) تمثله مجمّعة تيارت وهي مدينة كبيرة، ويبقى المركز الأكثر سيطرة في الشبكة العمرانية ويضم أعلى نسبة من سكان السّرسو والتي تعدت 42%.



الشكل رقم 9: البنية التراتبية لمجمعات السّرسو حسب حجمها سنة 1998

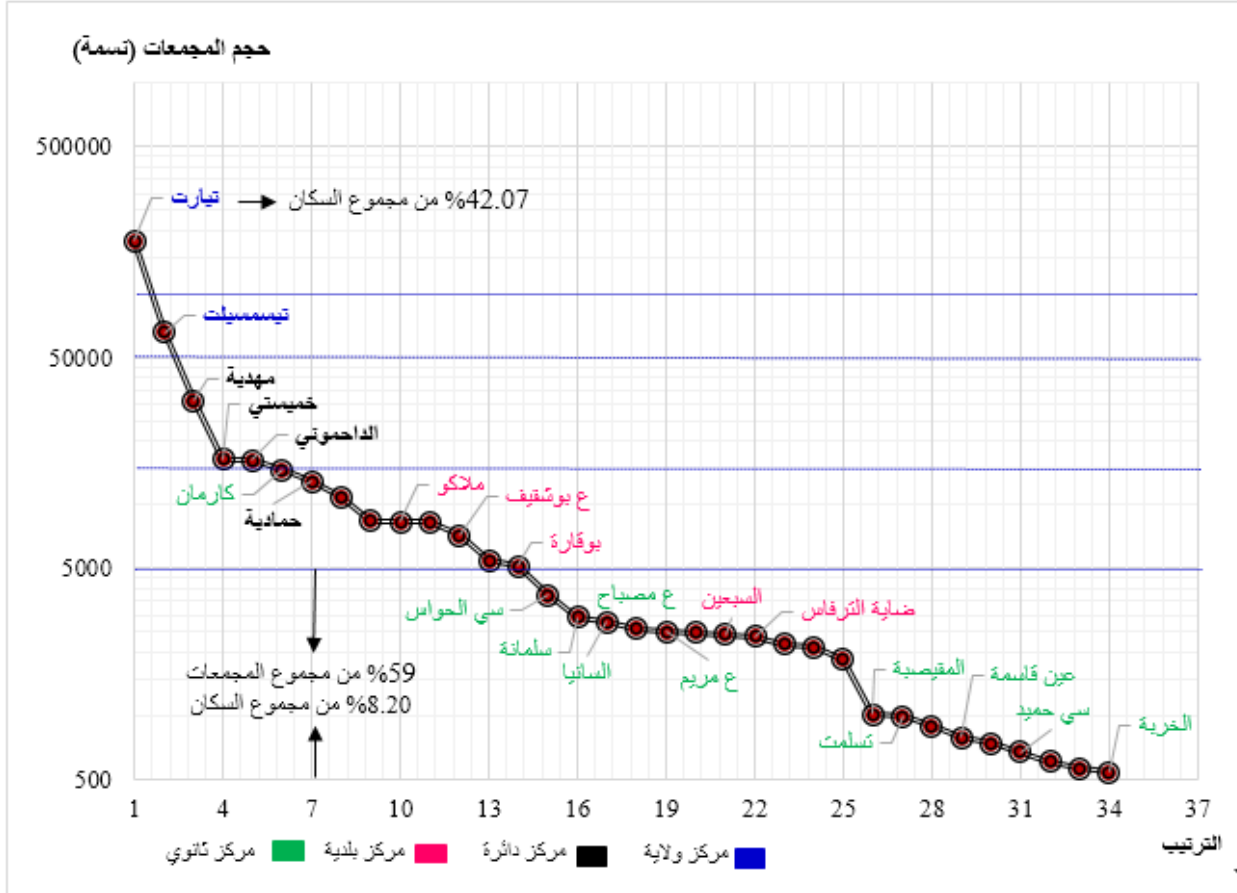
5.4 استمرار سيطرة القطب التّيارتي على البنية الهرمية سنة 2008

ارتفع عدد المراكز العمرانية عام 2008 ارتفاعاً معتبراً من 28 إلى 34 مركزاً، بفارق ستة مراكز وهما مجمّعتي أم العلو وسيدي منصور بسرسو تيسمسيلت، وأربع مجمعات بسرسو تيارت (سي عبد المومن (بومال سابقاً)، سي حميد، الخربة وتسلمت) وكل هذه المجمعات الجديدة صغيرة جداً مما أدى إلى ارتفاع عدد المجمعات ذات الفئة الحجمية أقل من 5000 نسمة إلى 20 مجمّعة، لكنها لا تضم سوى 8.20% من السّكان (الشّكل رقم)، حيث شهدت هذه الفئة تراجعاً مستمراً في عدد السّكان. سجل معدل نموها قيماً سالبة بلغت -0.50% في الفترة 1998-2008، كما حافظت الفئة الحجمية (5000-10000 نسمة) على نفس عدد المراكز لكن مع انخفاض طفيف في نسبة السّكان وبالتالي معدل النمو سجل قيمة سالبة قدرت بـ -0.57% (عين بوشقيف، عين دزاريت، ملاكو، الرّشايقة، بوقارة وأولاد بسام) حيث ارتقت وصنفت كل من أولاد بسام وعين بوشقيف في الصّنف الحضري خلال تعداد 2008. أما الفئة الحجمية (10.000-20.000 نسمة) فقد ارتفع عدد مراكزها إلى خمسة وبالتالي ارتفع عدد سكانها (كارمان، الدّحموني، حمادية، العيون، خميستي) وكلها مراكز بلديات باستثناء كرمان القريبة جداً من مركز تيارت مما جعلها تتأثر كون مشاريع توسع تيارت تقام على أراضيها ولاسيما في الفترة الأخيرة، بينما تسجل بقية الفئات الحجمية نفس العدد بمركز واحد في كل فئة، (20.000-50.000 نسمة) تمثل في مركز مهدية، (50.000-100.000 نسمة) تمثل في مركز تيسمسيلت، الفئة أكثر من 100.000 نسمة تمثلت في مركز تيارت بأعلى تركيز سكاني فاق 42% (الشّكل رقم 9).

شهد السّرسو في هذه الفترة ركوداً ديمغرافياً، فلم يسجل معدل النمو السّكاني به إلا 1.61%، لذلك لم تتأثر المجمعات كثيراً، فأغلبها حافظت على رتبها ولاسيما مراكز الولايات متنوعة بمراكز الدوائر، بينما تفوقت كرمان باعتبارها مجمّعة ثانوية على حمادية رغم أنها مقر دائرة، ويرجع السّبب في ذلك إلى أن كرمان هي منطقة تمدد لمدينة تيارت، كما تقدمت الرّشايقة عن ملاكو وأولاد بسام رغم أنها كلها مجمعات رئيسية وانتقلت من المرتبة الحادية عشر إلى التّاسعة، لأنها تطورت سكانياً بفضل دورها في اقتصاد المنطقة، فهي منطقة جاذبة للعمالة الزراعيّة. مجمعة بوقارة أيضاً غيرت رتبها بفضل التحامها مع مجمعة الونشريس البيضاء، وانتقلت عين مصباح من الرّتبة 24 إلى 18، حيث أصبحت جاذبة للسّكان تيارت نظراً لتوفر عقار حضري بأسعار مناسبة وقرب المسافة وتوفر المواصلات. هناك توافق واضح بين الحجم السّكاني والدور الإداري للمجمعات، فالمرتبتين الأولى والثانية هي مراكز ولايات وتأتي بعدها أربع مجمعات هي مراكز دوائر، باستثناء كرمان متقدمة رغم أنها مجمعة ثانوية، الاستثناء الوحيد لكل من السّبعين وضاية الترفاس، فرغم أنّهما مراكز بلديات إلا أن رتبتهما متأخرة مقارنة مع عدة مجمعات ثانوية، بسبب أن تلك المجمعات الثانوية تقع بالقرب من المجمعات الكبيرة وتحت تأثيرها أو تمثل منطقة تمدد حضري لها مثل

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السّرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

كرمان والسّانيا وعين مصباح بالنسبة لتيارات وبني مايدة بالنسبة لتيسمسيلت، أما مجمع سي الحواس فهي مركز استعماري قديم، موقعه على الطريق الوطني رقم 40 ساهم في توسعه مجاليا وسكانيا وأكسبه ديناميكية خاصة.



الشكل رقم 10: البنية التراتبية لمجمعات السّرسو حسب حجمها سنة 2008

تتميز البنية الهرمية لنظام شبكة المراكز العمرانية بالسّرسو بوجود قطبية أحادية على مستوى الرّأس (تيارت) واتساع القاعدة لمراكز الفئة القاعدية، فمدينة تيارت تلعب دور المركزية ليس على مستوى السّرسو فقط بل على مستوى المجالات المحيطة فهي بحكم وظيفتها الإدارية كعاصمة ولاية تلعب دوراً في تنظيم وتسيير المجال لأنها تمتلك قاعدة قوية من التّجهيزات بمختلف مستوياتها، وهي قطب جذب ولائي وجهوي كما أنّ مدينة تيسمسيلت كعاصمة ولاية أيضاً بدأت تلعب دوراً منظماً لمجالها وتقلّص من الدور التقليدي لتيارت في المنطقة، بل وتنافسها حتّى في بعض الوظائف. فالترقية الإدارية لتيسمسيلت وانفصالها عن تيارت، أثرت بشكل غير مباشر على تراتب المجمعات، على الرّغم من أن تيسمسيلت حافظت في كل التعدادات السّكانية على مرتبتها الثّانية، إلا أنّ المجمعات التابعة لإقليمها تأثرت وخاصة خميسّتي التي

أصبحت مقر دائرة وبالتالي استفادت من عدّة تجهيزات وبرامج تنموية مختلفة وأيضاً العيون، فقد غيرتا رتبتها وارتفع عدد سكانها ابتداء من سنة 1987، وأصبحت خميستي بالمرتبة الرابعة بعد مهدية، والعيون بالمرتبة الثامنة، كما ساهمت الترقية الإدارية في إيجاد مجمعات جديدة سواء القرى الاشتراكية (المقصبية، عين الكرمة وسلمانة) أو مجمعات نمت وتوسعت بالقرب من المجمعات الرئيسية (بني مايدة، أم العلو وسيدي منصور).

تتميز الشبكة العمرانية بالسّرسو بكثافة متوسطة (34 مجمعة) مقارنة بمنطقة السّهول العليا السّطايفية في الشرق الجزائري (44 مجمعة)، بفارق عشر مجمعات، لكنهما تتشابهان في سيطرة المراكز ذات الفئة الحجمية الأقل من 5000 نسمة (الجدول رقم 33)، وهيمنة مركز كبير في أعلى الهرم يتمثل في مدينة سطيف بحجم سكاني أكثر من 150000 نسمة، لكن الشبكة العمرانية بسهل سطيف ثنائية الرأس حيث توجد مدينتين كبيرتين (أكثر من 100000 نسمة) هما سطيف والعلمة ذاتا الاستقطاب القوي ليس في منطقة السهلية فقط بل في كل الولاية (معبد، 2013)، بينما تقل الفئات الحجمية الوسطى التي تمثل المدن المتوسطة وأيضاً الصغيرة، أما قاعدة الشبكة فهي عريضة جداً لأنّ خصوصية المنطقة الاقتصادية تتماشى مع هذا النوع من المجمعات، وهي نقطة مشتركة مع السّرسو، إلا أنّ شبكة السّرسو متنوعة وتجمع مختلف الفئات الحجمية (الشكل 10).

الجدول رقم 33: مقارنة الشبكة العمرانية بين سهل السّرسو وسهل سطيف سنة 2008

عدد السكان بالألف	أقل من 1	5-1	10-5	20-10	50-20	100-50	150-100	أكثر من 150	المجموع
السرّسو	8	12	6	5	1	1	0	1	34
سهل سطيف	9	24	6	2	1	0	1	1	44

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء 2008، معبد، 2013

يغلب على الشبكة العمرانية للسّرسو للمجمعات ذات النّشأة الاستعمارية، تتركز من حيث العدد في الوسط السّهلي، الذي يتميز بإمكانيات زراعية هامة، فانتساع أراضيه، وخصوبتها، وقابليتها للرّي كلها تشكل رهانا رابحا للتنمية الزراعيّة في الولايتين (تيارت وتيسمسيلت)، أما منطقة الأقدام فتجمع بين الديناميكية الاجتماعية والسّكانية باعتبارها منطقة تفاعل بين جبال الونشريس وسهل السّرسو، تتركز بها أهم مجمعات المنطقة: تيارت وتيسمسيلت، والنّطاق الجنوبي (منطقة الاتصال بجبل الناظور) ذات مناظر طبيعية ارتبطت بآثار طبخته زراعة الحبوب وتربية الماشية، وهو نطاق ضعيف من حيث تركيز السّكان والمجمعات.

تتميز هذه الشبكة أيضاً بالخلل على المستوى المحلي بين الوسطين الحضري والرّيفي. يرجع الاختلاف بين حجم المجمعات، لاختلاف رتبها الإدارية، حيث هناك ارتباط وطيد بين الرّتبة الإدارية ونوعية التّجهيز، وهذا ما جعل المجمعات ذات الحجم المنخفض تسيطر على الشبكة العمرانية، وهي تمثل في غالبيتها مدناً

صغرى، كما أنّها تعتبر نقطة اتصال بين الوسطين الحضري والريفي، بينما يمثل أكبر الأحجام السكانية مركز عمراني واحد يحتل قمة النظام الهرمي متمثلاً في مدينة تيارت باعتبارها قطب استقطاب تنموي، له تأثير كبير ومباشر على كل المجال الولائي الذي تمثل مركزه، وكذا البلديات القريبة مثل تيسمسيلت، لكنّ تأثيرها يقل بالنسبة لخميسي والعيون رغم أنّها كانتا تابعتين لها سابقاً، لأنّهما تشتغلان أكثر مع تيسمسيلت والشّلف وأيضاً خميس مليانة. بالنسبة لتيسمسيلت رغم أنها مقر ولاية، إلاّ أنّه لا يمكنها أن تلعب دوراً قيادياً في شبكتها الحضرية المتعلقة بمجالها الولائي، نظراً لاندماجها الاقتصادي بجزئه الأكبر داخل مجال تيارت في المنطقة الفلاحية الأكثر خصوبة وإنتاجاً.

أدى الاستقطاب الحضري الذي تمارسه تيسمسيلت في إقليمها الولائي إلى ظهور نظام حضري في جنوبها الشرقي، حول مركزها وتشمل (تيسمسيلت، خميسي، العيون وأولاد بسام)، تمثل هذه المنطقة أكثر من 61% من سكان الولاية، بينما يبقى الشّمال تسيطر عليه ثنية الحد¹.

5. شبكة عمرانية في السّرسو بأنماط متعددة مع سيطرة الصّنف الريفي (1966-2008)

تضاعف عدد المجمّعات العمرانية في السّرسو في الفترة 1966-2008، فارتفع من 16 مجمّعة إلى 34 مجمّعة خلال 42 عاماً، وذلك في مختلف الأصناف الحضرية. سيطرت المجمّعات الريفية بحجم سكاني أقل من 10000 نسمة على الشبكة العمرانية. سجلت أعلى قيمة في 1987 بـ 24 مجمّعة لينخفض عددها سنة 1998، ثم يعاود الارتفاع من جديد إلى 26 مجمّعة سنة 2008، لكنّها تبقى مناطق قليلة السّكان لا تضم إلا 8.20% من السّكان المتجمّعين، بينما يتركز السّكان بأعلى نسبة في المجمّعات الحضرية وشبه حضرية. حافظت مدينة تيارت حسب مختلف التّعدادات على مركزها كأكبر تجمع سكاني، صنّف حسب الديوان الوطني للإحصاء ابتداءً من 1998 في الصّنف الحضري الرّفيع، تضم أكثر من 10000 نسمة بنسبة تفوق 40% من سكان السّرسو. بينما لا تمثل المدن الصّغيرة والصّغيرة جداً ذات الحجم السّكاني (10000-50000 نسمة) والمتوسطة (50000-100000 نسمة)، إلاّ سبعة مراكز، على الرغم أنّ سياسة إعادة التوازن الاقليمي عززت من تطوير المدن الصّغيرة والمتوسطة الحجم بهدف إبطاء نمو المدن الساحلية الكبيرة، مع إعادة الانتشار السّكاني في المناطق الداخلية للبلاد، إلاّ أنّ السّرسو لم يعكس هذه السياسة ونفس الأمر بالنسبة لسهل سطيف.

¹ مخطط تهيئة ولاية تيسمسيلت ص 145

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكات العمرانية في السرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

جدول رقم 34: تطور الشبكة العمرانية في السرسو

2008			1998			1987			1977			1966			البلديات
السكان	النمط	المجمعات	السكان	النمط	المجمعات	السكان	النمط	المجمعات	السكان	النمط	المجمعات	السكان	النمط	المجمعات	
178915	ACL	تيارت	148850	ACL	تيارت	95821	ACL	تيارت	53277	ACL	تيارت	37168	ACL	تيارت	تيارت
14658	AS	كارمان	10279	AS	كارمان				2487	AS	زعرورة	805	AS	زعرورة	
2798	AS	السانيا	2303	AS	السانيا	4297	AS	كرمان	2363	AS	كرمان	1184	AS	Faidherb	
2586	AS	ع مصباح	2003	AS	ع مصباح										
7153	ACL	ع بوشقيف	4837	ACL	ع بوشقيف	1870	ACL	ع بوشقيف	983	AS	ع بوشقيف	645	AS	ع بوشقيف	ع بوشقيف
2515	AS	ع مريم	2298	AS	ع مريم	1362	AS	ع مريم	1333	AS	شيليا - ع. مريم				
2195	AS	بيبان المصباح	2038	AS	بيبان المصباح	1721	AS	بيبان م	1118	AS	بيبان م				
566	AS	سي ع. المؤمن				1230	AS	سوناكوم							
5473	ACL	ع دزاريت	5073	ACL	ع دزاريت	3838	ACL	ع دزاريت	1954	ACL	ع دزاريت	1296	ACL	ع دزاريت	ع دزاريت
2375	ACL	ضاية الثرفاس	2176	ACL	ضاية الثرفاس	1669	ACL	ضاية الثرفاس	1222	AS	ضاية الثرفاس				الناظورة
1859	AS	الناظورة	1386	AS	الناظورة	721	AS	الناظورة							
8337	ACL	ملاكو	7046	ACL	ملاكو	4585	ACL	ملاكو	2747	ACL	ملاكو	1844	ACL	ملاكو	ملاكو
788	AS	عين قاسمة													
677	AS	سي حميد													
16206	ACL	الدحموني	13581	ACL	الدحموني	8583	ACL	الدحموني	5443	ACL	الدحموني	3538	ACL	الدحموني	الدحموني
539	AS	الخربة													
31396	ACL	مهديّة	28493	ACL	مهديّة	20007	ACL	مهديّة	12588	ACL	مهديّة	7726	ACL	مهديّة	مهديّة
2432	ACL	السبعين	2195	ACL	السبعين	1831	ACL	السبعين							السبعين
3729	AS	سي الحواس	3366	AS	سي الحواس	2160	AS	سي الحواس	1321	AS	سي الحواس	541	AS	سي الحواس	
995	AS	تسلمت													
8361	ACL	الرّشايقة	6023	ACL	الرّشايقة	3941	ACL	الرّشايقة	1275	AS	الرّشايقة	780	AS	الرّشايقة	الرّشايقة
12942	ACL	حمادية	10873	ACL	حمادية	5208	ACL	حمادية	2495	ACL	حمادية	1619	ACL	حمادية	حمادية

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

5114	ACL	بوقارة	2278	ACL	بوقارة	1992	ACL	بوقارة	1593	AS	بوقارة	1075	AS	بوقارة	بوقارة
			2580	AS	بوقارة	2035	AS	بوقارة							
66084	ACL	تيسمسيلت	52451	ACL	تيسمسيلت	26250	ACL	تيسمسيلت	17203	ACL	تيسمسيلت	11357	ACL	تيسمسيلت	تيسمسيلت
2122	AS	ع الكرمة	1952	AS	ع الكرمة	684	AS	عين الكرمة							
2474	AS	بني مايدة	2172	AS	بني مايدة										
609	AS	أم العلو													
10906	ACL	العيون	9984	ACL	العيون	4620	ACL	العيون	2568	ACL	العيون	1307	ACL	العيون	العيون
2950	AS	سلمانة	3122	AS	سلمانة	1569	AS	سلمانة	1835	AS	سلمانة				
						1596	AS	درب العيون	546	AS	درب العيون				
1022	AS	المقيصة	1024	AS	المقيصة	842	AS	المقيصة							خميستي
16508	ACL	خميستي	13962	ACL	خميستي	6775	ACL	خميستي	4003	ACL	خميستي	3136	ACL	خميستي	
896	AS	عين فرجة	937	AS	عين فرجة	542	AS	ع فرجة							
739	AS	سيدي منصور													
8311	ACL	أولاد بسام	6861	ACL	أولاد بسام	4267	ACL	جنان بشرقي	1713	ACL	جنان بشرقي	1036	ACL	أولاد بسام	أولاد بسام
425230	34		350143	28		210016	27		120067	21		75057	16		المجموع

المصدر: الديوان الوطني للإحصائيات، تطور المجمعات
 (1966-1977-1987) السلسلة الإحصائية رقم 38
 الهيكل الحضري 1998-2008

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السّرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

تتشكل الشبكة الحضرية من مجموعة من الأصناف، معظمها ذات نشأة استعمارية، يغلب عليها الطابع الريفي، تطورت هذه الأخيرة عبر الزمن ومنها ما غيرت صنفها ورتبتها. في سنة 1966 تشكلت من مركزين حضريين (تيارت وتيسمسيلت)، ثلاث مراكز شبه حضرية (مهدية، الدّحموني وحمادية) أمّا الصنف الشّبه ريفي فيتمثل في مركزين (عين دزاريت وملاكو)، بينما تصنف بقية المراكز في الصّنف الريفي بمجموع تسع مجمّعات بنسبة 56,25% من السّكان. توصلت سيطرة الطّابع الريفي سنة 1977، وقد صادفت هذه الفترة التّقسيم الإداري لسنة 1974، لم يتأثر السّرسو بهذا التّقسيم، إلا أنّ عدد المجمّعات الحضرية، ارتفع إلى ثلاثة بمرور مهديّة لهذا الصّنف، وارتقت ملاكو إلى الصّنف الشّبه الحضري إلى جانب الدّحموني وحمادية، بينما لم تسجل البلديات الشّبه الريفيّة إلا مركزا واحدا تمثل في عين دزاريت التي حافظت على نفس الصّنف، أمّا بقية المراكز فتنتهي للصّنف الريفي، وقد ارتفع عددها إلى 13 مركزا وبالتالي ارتفعت نسبة سكان هذا الصّنف إلى 65%.

جدول رقم 35: تصنيف المجمّعات (1966-1977-2008-1998)

2008	1998	1977	1966	الصّنف	
تيارت	تيارت			حضري ريفي	
مهدية-تيسمسيلت	مهدية-تيسمسيلت	تيارت-تيسمسيلت - مهدية	تيارت - تيسمسيلت	المجمّعات الحضرية	
كرمان-ملاكو-عين بوشقيف الدّحموني- حمادية-العيون-خميسي - جنان بشري (أولاد بسام)	ملاكو-الدّحموني- حمادية-العيون- خميسي	الدّحموني - حمادية-ملاكو	الدّحموني-حمادية -مهدية	المجمّعات شبه الحضرية	
عين دزاريت-الرّشايقة- بوقارة - سي الحواس	جنان بشري-عين بوشقيف-عين دزاريت	عين دزاريت	ملاكو-عين دزاريت	المجمّعات شبه الريفية	
السبعين	الرّشايقة-بوقارة-سي الحواس	-	-	المجمّعات الريفية	
الخربة-تسلّمت-سي حميد-عين قاسم-سي عبد المؤمن-أم العلو- سيدي منصور	السّانيا-عين مصباح- بني مايدة-عين الكرمة-المقيصبة	عين مريم-ببيان المصباح-ضاية الثّرّاس-درب العيون-سلمانة	زعرورة	مجمّعات ثانوية جديدة	
34	28	21	16	العدد الكلي للمجمّعات	

المصدر: * مخطط تهيئة ولاية تيارت 1986 ص 188

*الهيكلة الحضرية السلسلة الإحصائية رقم 163/2011 ص 103-116-136

أدت التّرقية الإدارية سنة 1984، إلى بداية هيمنة التّحضر في السّرسو، فقد توسعت الشبكة الإدارية بميلاد مركز ولاية وخمس مراكز بلدية من جهة ونشأة مراكز عمرانية جديدة بفضل سياسة القرى الاشتراكية من جهة أخرى. تطورت الشبكة العمرانية سنة 1998 وارتفع عدد مجمعاتها. ساهمت الرّتب الإدارية الجديدة للمراكز في تجهيزها فأصبحت مستقطبة للسّكان فزاد حجمها وتغيرت رتبتها، حسب الهيكلة الحضرية صنفت مجمعة تيارت في الصّنف الحضري الرّيفي، وصنفت كل من تيسمسيلت ومهدية

في الصّنف الحضري. ارتقت كارمان من الصّنف الريفي للصنف شبه الحضري إلى جانب كل ملاكو، الدّحموني، حمادية والعيون وخميسي، نظرا لنمو عدد سكانها واستفادتها من التّجهيزات بسبب قربها من مركز تيارت، أما المجمعات الشّبه ريفية فتضم مراكز البلديات الجديدة الناتجة عن التّقسيم الإداري سنة 1984 مثل بوقارة، السّبعين وعين بوشقيف والرّشايقة، بقية المجمعات صنفت ريفية.

حافظ السّرسو تقريبا على نفس البنية سنة 2008، فيما عدا بعض التّغيرات الطّيفة التي شهدتها مراكز البلديات الشّبه الريفية ما جعلها تصنف ضمن الشّبه حضري مثل عين بوشقيف وجنان بشرقي (أولاد بسام)، وبقية المراكز الريفية تمثل نفس النّسبة تقريبا بارتفاع طفيف في نسبة سكانها (42.85%)، كما ظهرت مجمعات ثانوية جديدة منها أم العلو وسيدي منصور بسرسو تيسمسيلت، وتسلمت، الخربة، عين قاسمة وسي حميد بسرسو تيارت. تشهد المنطقة الجنوبية الشرقية للسّرسو ضعف في الشبكة العمرانية فيما عدا المجمعات الريفية الثلاث ضاية التّرفاس، الناظورة وعين دزاريت، فلا يوجد مجمعات أخرى يمكن أن تلعب دورا مساندا، ممّا يخلق اختلالاً مجالياً، قد يؤدي تنمية قرية بسباسة، حسني وعين الشّقيقة ورأس العين، إلى إحداث نوع من التوازن مستقبلا.

شهدت سنة 2008 تصنيف المجمعّة الثّانوية كارمان بالقرب من تيارت في الصّنف الحضري، بينما صنفت المجمعّات (عين دزاريت، سي الحواس، الرّشايقة وبوقارة) في الصّنف نصف ريفي، وأعيد تصنيف كل من (عين بوشقيف وجنان بشرقي) للصّنف الحضري، كما غيرت مجمعة تيارت رتبته وطنيا بالنسبة لصنف أكثر من 100 ألف نسمة، من الرتبة 15 سنة 1998 إلى 14 الرتبة 14 سنة 2008.

6. تصنيف المجمعّات، إعادة تشكيل الشبكة العمرانية في السّرسو لصالح التّحضر

تتميز البنية الهرمية لشبكة المراكز العمرانية بالسّرسو كما ذكرنا سابقا بوجود قطبية أحادية على مستوى الرّأس (تيارت) واتساع القاعدة لمراكز الفئة القاعدية.

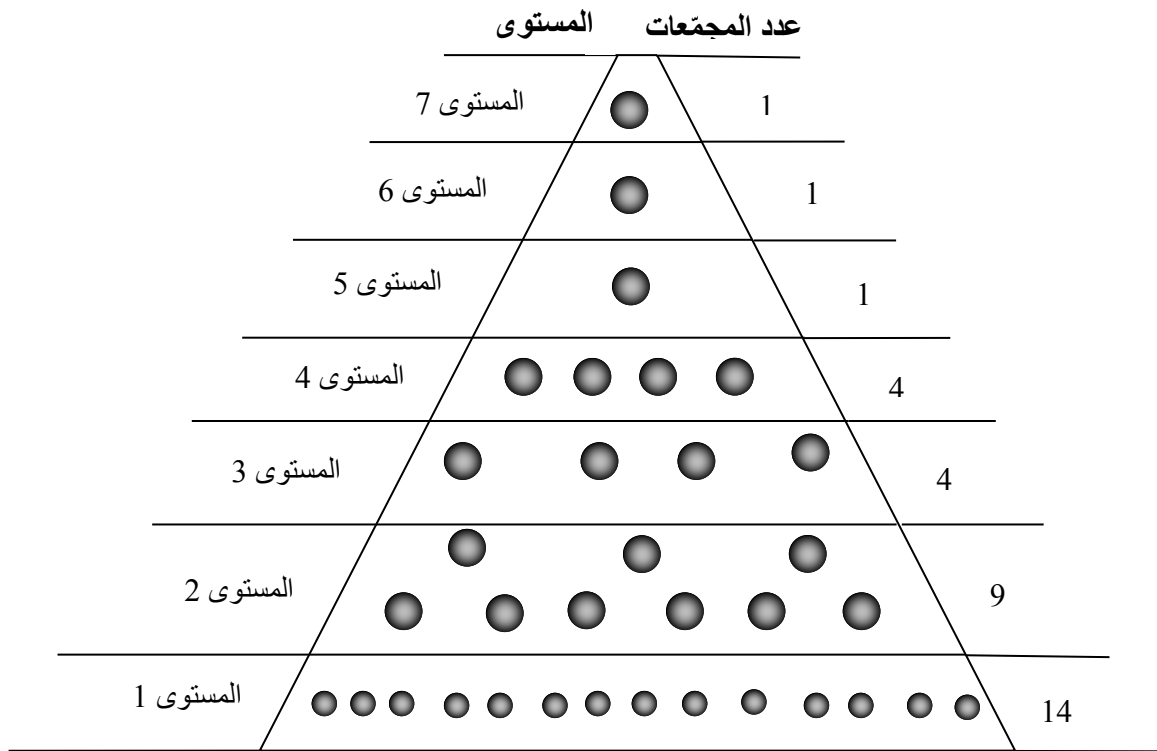
أحد مؤشرات النمو في السّرسو هو زيادة المجمعّات الصّغيرة، وبالرغم من أننا سجلنا أعلى زيادة سكانية بمراكز الولايات (تيارت وتيسمسيلت) وبقيم عالية أيضا في البلديات النصف حضرية والشّبه ريفية، فقد انتقلت الديناميكية الديمغرافية من مراكز البلديات الحضرية الكبيرة إلى المجمعّات الصّغيرة وهي إحدى خصوصيات السّرسو فهو منطقة محتفظة بسكانها بل وجاذبة أيضا نظرا لنشاطاته الفلاحية والصّناعية من جهة وتركيز التّنمية به من جهة أخرى. في محاولة لتصنيف المراكز العمرانية في السّرسو، اعتمدنا على عدّة المعايير منها عدد السّكان والمتاجر والمرافق العمومية وكذلك الرّتبة الإدارية لكل مجمعة.

الطّريقة المتبعة في هذا التصنيف استعملها عدة باحثين منهم (Cote, 1977) لتصنيف المراكز الريفية في الجزائر، ثم (Fontaine, 1983) لتصنيف القرى في منطقة القبائل، و(Hadeid, 2006) في دراسته

للمراكز الريفية في السهول العليا الوهرانية، بهدف تصنيفها في شكل هرمي من خلال تحديد الوظائف التي تقدمها هذه المجمعات.

ركز تصنيف الباحثين المذكورين أعلاه، على تحديد عتبة لعدد التجهيزات والمحلات التجارية، لتصنيف هذه المراكز إلى ثلاث أنماط، فالقرى والمراكز الصغيرة تحدد بـ 10 تجهيزات و 10 محلات تجارية، في حين أعتبر كل مركز يضم 20 تجهيزاً و 100 محل تجاري ضمن المدن الصغيرة (Hadeid, 2006).

تتوزع مجمعات سهل السّرسو على شكل هرم بسبع مستويات¹ (الشكل رقم 11)، تأتي مدينة تيارت في القمة كمدينة كبيرة، وقاعدة كبيرة من المجمعات الريفية (15 قرية) مدينتين متوسطتين (تيسمسيلت ومهدية)، ومجموعة من المدن الصغيرة (الخريطة رقم 40)، باستثناء مجمعة كرمان رغم رتبته في المستوى الثالث إلا أنها تفنقر للوظيفة الإدارية كونها مجمعة ثانوية في بلدية تيارت وتعتبر منطقة تمدد حضري بالنسبة للمدينة الكبيرة (تيارت). (تفاصيل استخراج الفئات أنظر الملحق).

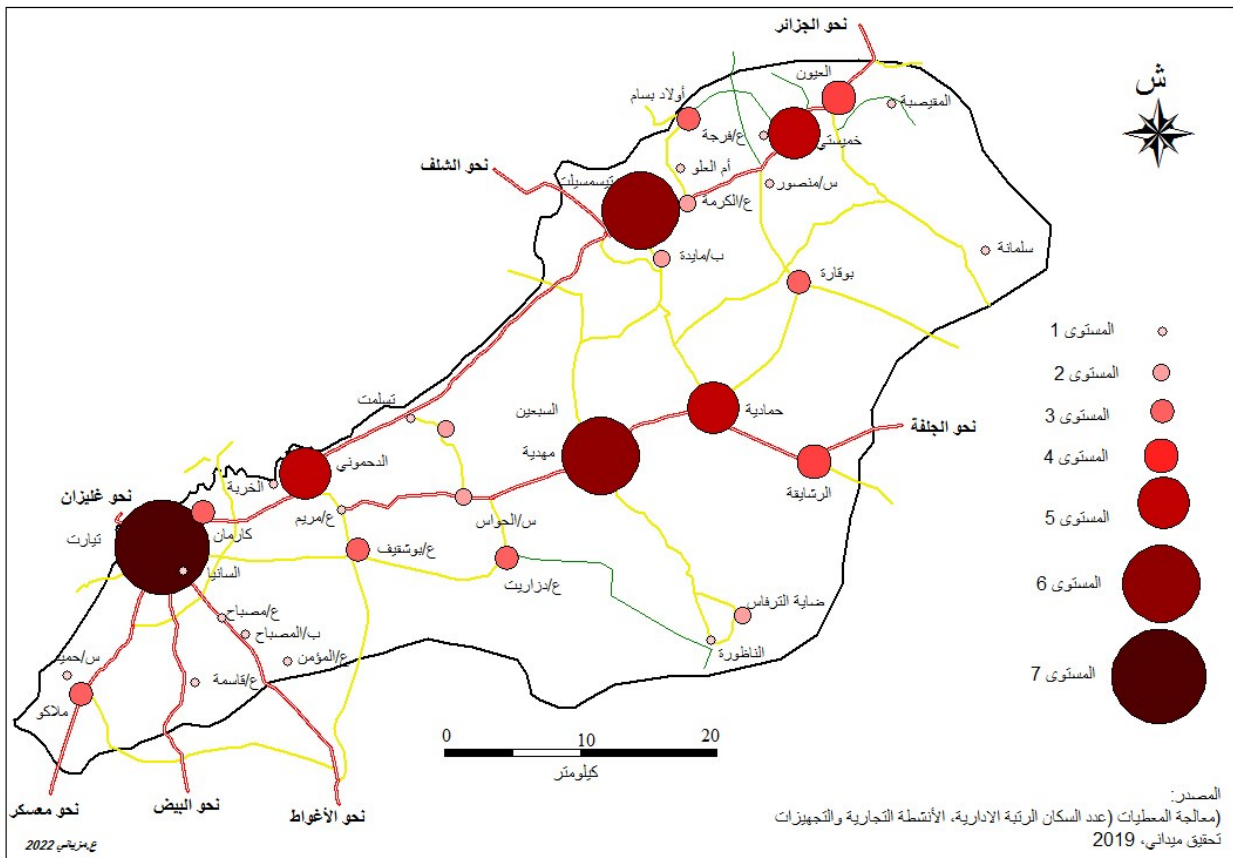


الشكل رقم 11: التسلسل الهرمي للمجمعات العمرانية في السّرسو

¹ تم الوصول لهذه النتيجة انطلاقاً من إحصاء جميع التجهيزات والمحلات التجارية، عدد السكان والرتبة الإدارية في كل مجموعة، ثم قمنا بإعطاء نقطة أو وزن لكل متغير، وأخيراً نجمع النقاط ونستخرج الفئات. حيث: أكثر من 30 نقطة تمثل المستوى الأعلى (الأول)

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السّرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

تشكل المراكز الريفية الصّغيرة في المستوى الأول بقاعدة الهرم وعدّها 14 مجمعة ثانوية، تضم أقل من عشر محلات تجارية وشبه انعدام للتجهيزات ما عدا التّعليمية التي تقتصر على التّعليم الابتدائي في معظمها إضافة إلى قاعة علاج ومسجد وفي بعض الأحيان حمام، لأنّ معظم هذه المراكز هي قرى اشتراكية (VSA)، بنيت وفق شبكة تجهيزات محددة مسبقا (عين مصباح، ببيان المصباح، عين مريم، المقيصبة وسلمانة) ومنها مزارع فلاحية (DAS) (سي حميد، عين قاسمة، السّانيا وتسلّمت) التي تطورت ديمغرافيا ومجاليا بفضل موقعها على محاور الطّرق واستفادت من برامج السّكن الريفية التي سمحت لها بالمرور لهذا الصّنف.



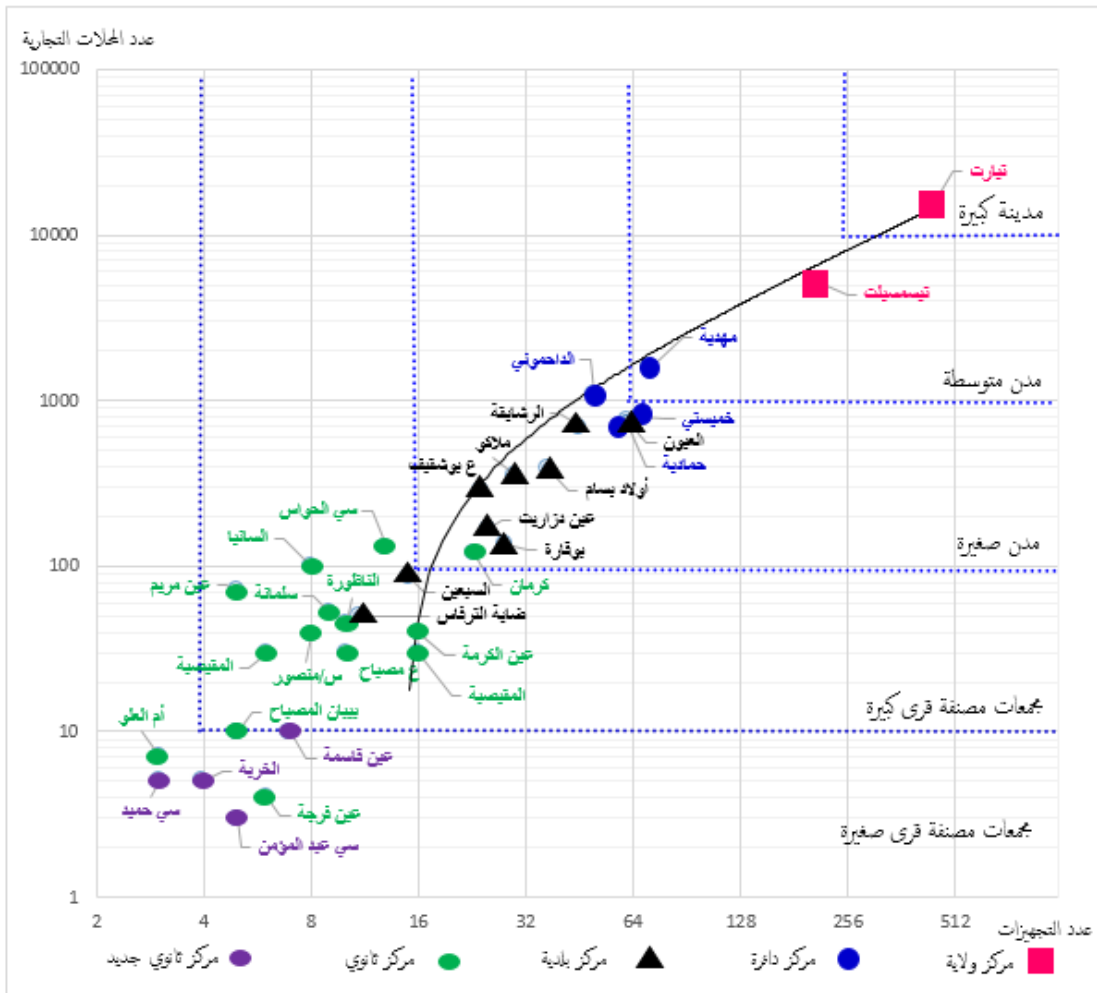
الخريطة رقم 40: توزيع المجمعّات حسب التّسلسل الهرمي الوظيفي في السّرسو

المستوى الثاني تمثله أيضا مجموعة من القرى الاشتراكية (السّبعين، عين الكرمة وضاية التّرفاس) إضافة إلى مركزين ذا نشأة استعمارية (سي الحواس وبني مايدة). باستثناء السّبعين وضاية التّرفاس اللتان تمثلان مركزي بلدية، تصنف بقية المجمعّات في صنف المجمعّات الثّانوية، تأتي سي الحواس في الأعلى نظرا لحجمها السّكاني (4599 نسمة) وعدد المتاجر بها تفوق 100 (130 محلا تجاريا). وهي أول مركز أنشأ بالسّرسو في الفترة الاستعمارية على الطّريق الوطني رقم 40 أعطاه ديناميكية خاصة سرّعت من توسعها واستقبالها مشاريع سكنية حضرية، شهدت معدلات نمو مرتفعة تفوق 4% في الفترات 1977-1987،

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السّرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

1998-1987 إلا أن المعدل انخفض خلال الفترة 1998-2008. عرفت هذه المجمّعات ديناميكية ريفية بفضل سياسة التّثنية الزراعية.

يمكن اعتبار المجمّعات العمرانية بالمستوى 3-4 و عددها 8 مدنا صغيرة، بالنظر لعدد السّكان المحصور بين 5000-20000 نسمة، عدد المتاجر بها مهم (130-1000 محل) ويتمركز بها أكثر من 20 تجهيز كحد أدنى. منها 10 مجمّعات هي مقار بلديات، و3 منها مقار دائرة، سمحت لها الرتبة الإدارية بالحصول تلقائيا على سلسلة من التّجهيزات من خلال شبكة التّجهيزات أو البرامج القطاعية، باستثناء كارمان التي تقع في المستوى الثالث إلا أنها مجمّعة ثانوية لبلدية تيارت، صنفت ضمن المجمّعات الحضرية خلال تعداد 2008.



الشكل رقم 12: التصنيف الوظيفي للمجمّعات حسب عدد التجهيزات وعدد المحلات التجارية في

تلعب الدّحموني وخميسي وأيضاً حمادية دور مدنا وسيطة رغم أن عدد سكان كل منها يقل عن 20000 نسمة، إلا أنها مدن ربط بين المدن الكبيرة والمتوسطة وعالم الريف، تتميز تجهيزاتها بمستوى قريب من الأعلى (ثانوية)، عيادة طبية متعددة الخدمات، مكتب بريد، مركب رياضي، مكتبة، بنك ومركز تكوين مهني في بعض الحالات مثل الدّحموني، خميسي وأولاد بسام، مركز التّكوين تابع للمؤسسة الوطنية للسيارات

الصنّاعية بعين بوشقيف). تطور الهيكل التجاري في هذه المدن الصّغيرة وبالتالي تطورت التبادلات داخل وخارج السّرسو وخاصة مع الجلفة والمدينة عن طريق مجموعة من الأسواق المهمة بها ولاسيما سوق حمادية والرّشايقة، ومشروع سوق الجملة للخضر والفواكه بالرّشايقة (في طور التّهيئة). مكانيا تتركز هذه المجمعّات داخل حوض نهر واصل. يمكن القول، أن توزيع شبكة المدن الصّغيرة خضعت للعوامل الطّبيعية والجغرافية (الأراضي الخصبة، توفر المياه، العقار)، فهذه المراكز تتوسط المجال الزراعي والرّعوي، مما يعطي فكرة عن أهمية العامل الاقتصادي في هيكلية شبكة المراكز العمرانية الصّغيرة في السّرسو.

وأخيرا نجد في أعلى الهرم ثلاث مجمعات (الشكل رقم 12)، لكن كل واحد تمثل مستوى مستقلا، تأتي تيارات على رأس الشّبكة كمدينة كبيرة قيادية كونها مركز ولائي قديم، أما في المستوى السّادس نجد مركز ولائي جديد متمثل في تيسمسيلت وهي تمثل مدينة متوسطة عدد سكانها يفوق 66084 نسمة في طور الانتقال إلى مصاف المدن الكبرى. أما مجمعة مهدية في المستوى الخامس فتمثل مدينة وسيطة (يفوق عدد سكانها 31396 نسمة) وهي مركز استعماري قديم النشأة ومقر دائرة منذ 1984. تعتبر مركز خدمة مهم في قلب السّرسو ما جعلها تستفيد من صناعة غذائية لها وزن كبير في ولاية تيارت من خلال مطاحنها الكبرى ومركب العجائن، إضافة إلى تطور هيكلها التجاري وتنوعه وتدعيمه بسوق أسبوعية وسوق السيّارات، إضافة إلى التّجهيزات ذات المستوى العالي ولاسيما المستشفى وبعض المراكز المتخصصة في الإعاقة الذهنية والحركية لدى الأطفال وهو المركز الوحيد على مستوى الولاية.

7. بنية مجالية لا مركزية تهكيلها الطّرق

شهدت عملية انفتاح السّرسو على عالمه الخارجي في الفترة الاستعمارية عن طريق شق الطّرق نشاطا كثيفا في الفترة 1860-1871 وهي الفترة التي تزايد فيها قديم عدد كبير من المهاجرين الأجانب إلى تيارت، فتم ربط الطّرق الوطنية بالطّرق الدّاخلية (ولائية وبلدية) لتسهيل نقل المنتجات الفلاحية إلى الأسواق، تأمين نقل البضائع والسّلع من المدن الكبرى إلى المناطق الدّاخلية من جهة وتسهيل استقرار المستعمر بالسّرسو من جهة أخرى. ربط السّرسو بالشّلف، أفريفيل (Affreville) (خميس مليانة حاليا)، وبوغار (قصر البخاري حاليا) بإنشاء الهياكل القاعدية وطرق المواصلات. كما قامت شركة السّكة الحديدية بربط المنطقة بخطوط منها الخط الرّابط بين غليزان والجلفة متوقف عند مهدية فقط، وتقرر مد خط يربط الشّلف بالسّرسو، إلا أنّه لم ينجز نظرا لطبيعة السّطح الوعرة وصعوبة المناخ¹. أهم مشاريع الطّرق تمثلت في ستة خطوط، تمثلت في الطريق الوطني رقم 23 يربط تيارت شمالا بغليزان ومنها وهران ومستغانم،

¹ أهمية المنطقة يدعو إلى ربطها بالمواصلات لذلك جاء في تقرير نشر سنة 1880 " لكي ينتقل معمر من الجزائر إلى السّرسو يستغرق يوم في القطار، سبع ساعات في العربية وخمسة عشر ساعة على البغل" مما اوجب صدور قرار مد خط يربط المنطقة بالأصنام، لكن بعد مرور تسع سنوات نشر تقرير آخر أكد فيه استحالة مد هذا الخط الحديدي نظرا لطبيعة السّطح الوعرة وصعوبة المناخ

وجنوبا الأغواط مرورا بالسوقر وأفلو، والطريق الوطني رقم 14 يربط تيارت بمعسكر، مرورا بفرندة غربا، وشمالا يربطها بخميس مليانة مرورا بتيسمسيلت وثنية الحد شرقا، والطريق الوطني رقم 90 يربط تيارت بمستغانم مرورا بعمي موسى.

كل الطرق التي أنشئت لربط السرسو كانت انطلاقا من مدينة تيارت كونها عاصمة المنطقة وأهم مركز استعماري بها. تطور الطريق الجنوبي الذي يربط الدحموني وحمادية باتجاه الشرق والجنوب الشرقي جعل السرسو في اتصال مباشر مع منطقة القبائل، أكبر مستهلك للشعير (Perrin,1960) وبالتالي فتح سوقا نشطة في ذلك الاتجاه وعزز اقتصاد المنطقة. استمرت عملية الانفتاح تلك بعد الاستقلال ومازالت مستمرة الى يومنا هذا من خلال عدة خطط تنموية، عملت على إنشاء وتوسيع وتجهيز الطرق التي شكلت العمود الفقري للتنمية الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة، مع إعادة تأهيل وتنشيط مطار عين بوشقيف لدعم نقل البضائع جويا، كما تبنت عدة مشاريع جديدة خاصة في السكك الحديدية، أين استفادت منطقة السرسو من عدة خطوط في طور الانجاز.

1.7 شبكات الطرق بالسرسو، محاور تعميم مهيكلة للمجال

موقع السرسو جعله نقطة التقاء بين الأوساط السهبية جنوبا والتلية شمالا ومحورا تتجمع فيه العديد من الطرق ذات البعد الوطني (234 كلم) والولائي (296 كلم)، تهيكّل هذه الطرقات مختلف أجزائه، ومجموعة من الطرق البلدية التي تربط مختلف مجتمعاته طولها 1095 كلم، كما تنتشر بها المسالك أيضا وهي تسهل الحركة في الأوساط الريفية خاصة بطول 1387 كلم (الجدول رقم 36).

جدول رقم 36: توزيع الطرق في بلديات السرسو حسب نوعها

البلدية	طرق وطنية (كلم)	طرق ولائية (كلم)	طرق بلدية (كلم)	طرق حضرية (كلم)	مسالك (كلم)
تيارت	61	8	-	69	-
الدحموني	22	8	38,2	68,2	15,2
عين بوشقيف	16,1	15,9	17	49	27,8
ملاكو	0	24	23	47	24
مهدية	12,5	12	-	24,5	10
السبعين	32,5	17,6	19	69,1	25
عين دزاريت	0	18,45	15	33,45	10
الناظورة	0	11,25	30,5	41,75	30
حمادية	31	20	24	75	34,5
بوقارة	0	8,5	25,5	34	21
الرشايفة	0	31	47,2	78,2	21
تيسمسيلت	31,1	37,1	54	57	59
أولاد بسام	0	17,1	20,7	18	59
خميسيتي	9,1	31,5	59,5	18,8	28,4
العيون	19,1	36	58,7	9,4	48,4
السرّسو	234	296	432	692	413

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السّرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

م. ولاية تيارت	646,1	743	1095,8	2484,9	1387,85
م. ولاية تيسمسيلت	215	503	812	310	1 070

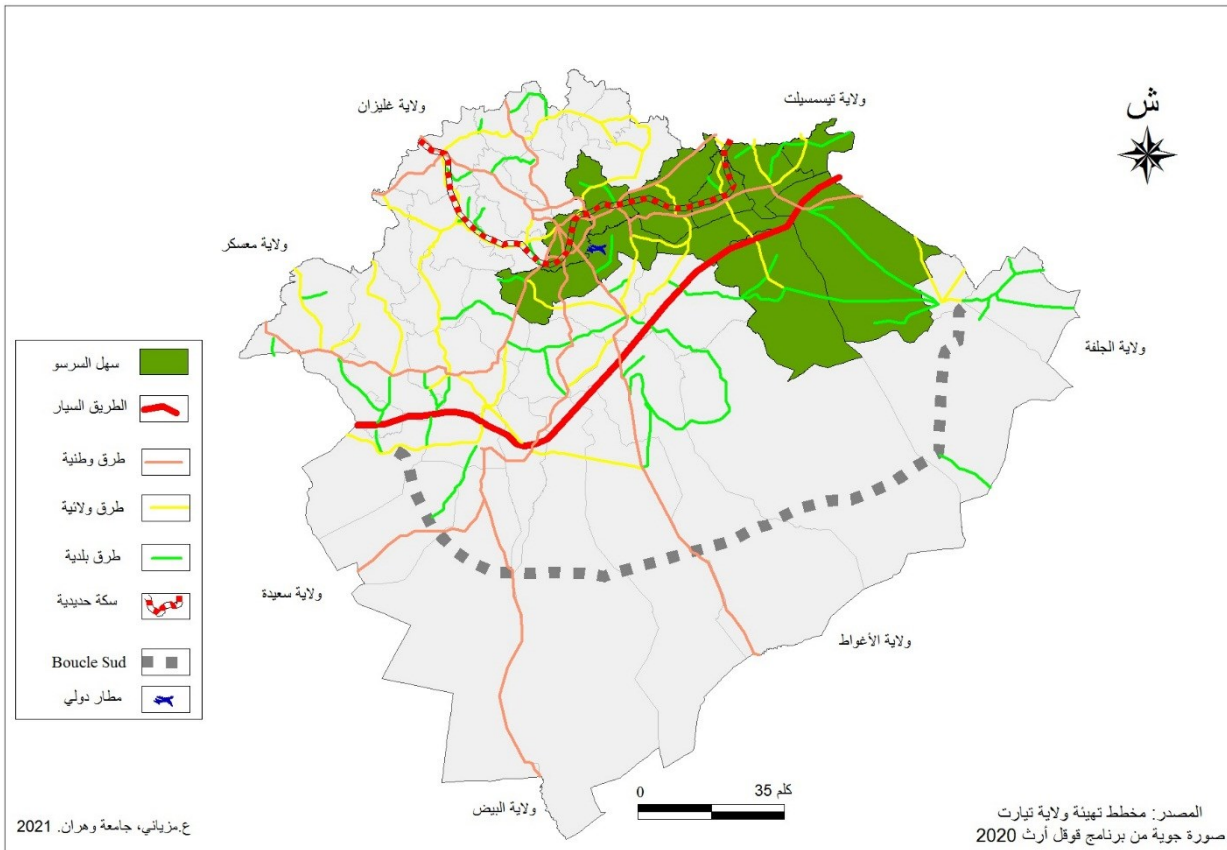
المصدر: مديرية الأشغال العمومية لولاية تيارت وتيسمسيلت (2020)

السّرسو مخدوم بشبكة طرق متنوعة، منها الشبكة القديمة الموروثة من الفترة الاستعمارية كما ذكرنا سابقا، وأيضا شبكة حديثة، أنجزت بعد الاستقلال، وأهمها الطرق الوطنية التي تعتبر من المحاور الرئيسية للولاية، تلعب دورا أساسيا في تنظيم المجال وهي تربط تيارت بباقي الولايات ويبرز دورها خصوصا في المجال الاقتصادي من خلال تسهيل عملية التبادل بين مختلف مناطق الوطن خصوصا في المجال التجاري على مستوى المجال الإقليمي ويبلغ طولها 234 كلم ومع العلم أن أغلب المراكز العمرانية تقع بمحاذاة الطرق الوطنية بحيث تحوي المنطقة عددا مهما من الطرقات الوطنية تهيكّل المجال (الخريطة رقم 41)، فالمحور شمال جنوب، دعامة الأساسية للطريق الوطني رقم 23 الذي يهيكّل عددا من المجمعات العمرانية (تيارت، السّانيا، عين مصباح وبيبان المصباح) أما المحور شرق غرب، فيدعمه طريقين وطنيين، أهمها الطريق الوطني رقم 14 الذي يهيكّل جزئه الجنوبي الغربي والشمال (تيارت، كارمان، الدّحموني، تسلمت، تيسمسيلت، خميستي والعيون)، يربط تيارت بالجزائر العاصمة، والطريق الوطني رقم 40 الذي يهيكّل وسطه (الدّحموني، عين مريم، سي الحواس، مهدية، حمادية والرّشايقة). أما المحور شمال شرق جنوب غرب، دعامة الرئيسية للطريق الوطني رقم 90، لم تنمو مجموعات مهمة على هذا المحور باستثناء عين قاسمة. السّرسو مدعوم أيضا بطرق ولائية، وهي محاور ثانوية لها دور في وصل البلديات بعضها ببعض، دورها مكمل لدور الطرق الوطنية لأنها تتفرع منها وتربط عموما بين المراكز العمرانية والرئيسية (أي مزارع البلديات) ويبلغ طولها 296 كلم أي ما يعادل 21,52% من شبكة الطرق التي تحتويها المنطقة وعددها 13 خط ولائي.

يؤدي الطريق الولائي رقم 6 إلى مجمعة السّوقر يلتقي مع الطريق الوطني 40 في مجمعة عين مريم، تنتشر القرى والمجمعات الريفية على أراضي فلاحية خصبة. وجود الطريق حفز التعمير وسهل توسع هذه المجمعات العمرانية عن طريق آلية التّجزئة الريفية المجمعة التي انتهجتها الدولة بداية من سنة 2012. أما الطريق الولائي رقم 7، فيربط تيارت بمجمعة عين دزاريت مرورا بمجمعة عين بوشقيف، حيث توجد التّجمعات السكنية في الجزء الرّابط بين تيارت وعين بوشقيف، بينما يختفي هذا المظهر السّكاني في الجزء الرّابط بين عين بوشقيف وعين دزاريت، لأنّ وجود الملكيات الزراعية الكبيرة الخاصة في عين دزاريت والناظورة أدى إلى انتشار السّكن المبعثر لكن بتركز أقل. يتفرع الطريق الولائي رقم 16 من الطريق الوطني رقم 40، انطلاقا من مهدية نحو مجمعة بوقارة ثم إلى سيدي منصور نحو خميستي، نلاحظ على جوانب هذا الطريق ولاسيما في الجزء الرّابط بين حمادية وبوقارة وامتدادا إلى الرّشايقة انتشار كبير جدا للسّكن المبعثر وكذا الحظائر الخاصة بتربية الدّواجن وهو نوع من الاستثمار في المؤسسات الصّغيرة التي

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

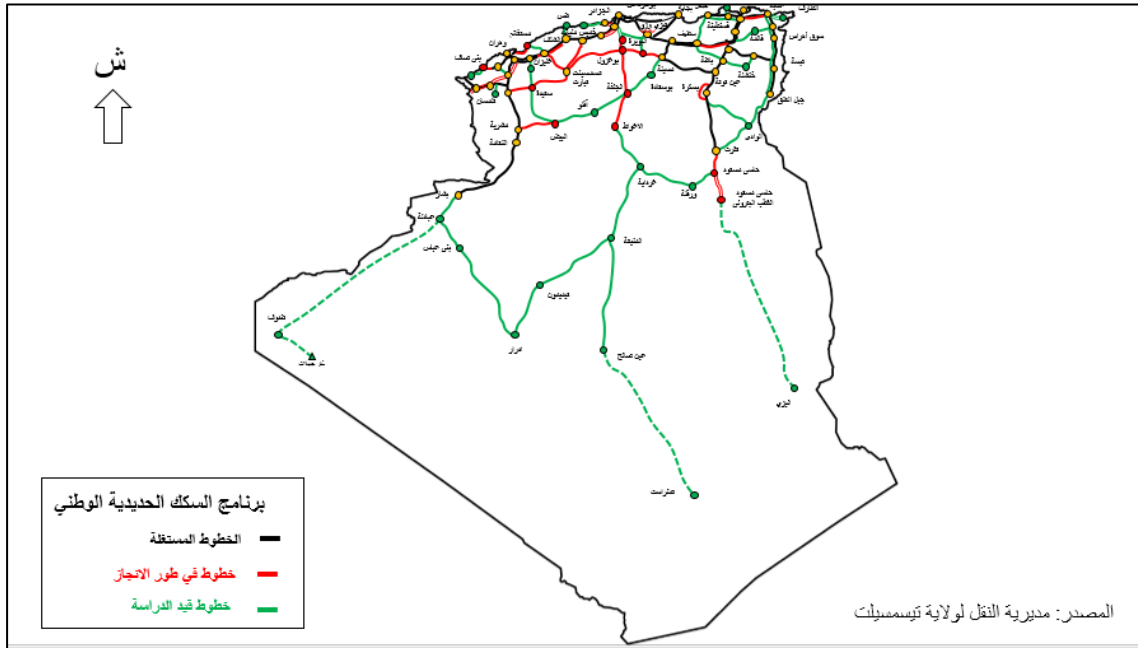
تمنح للشباب، حيث تتميز كل من بوقارة وحمادية بانتشار المستثمرات الفلاحية الفردية وكذا الخاصة مما يسمح للأفراد بإنجاز سكناتهم عليها سواء عن طريق إعانة الدولة أو تمويل خاص. أما بسرسو تيسمسيلت فنجد الطريق الولائي رقم 17 يربط تيسمسيلت بالمجمعة الريفية القطار حيث يلتقي هناك بالطريق الولائي رقم 77 يربط الولائي رقم 17 شمال غرب بوقارة بتيسمسيلت مروراً بسد بوقارة عند التقائه بالطريق الولائي رقم المؤدي إلى خميسي 16، فنلاحظ وجود تجمعات سكانية على جانبي الطريق وخاصة بالقرب من تيسمسيلت. وأخيراً نجد الطريق الولائي رقم 77، يربط مجمعة قصر الشلالة بالعيون مروراً بحاسي فبول (ولاية الجلفة) وتوجد مجمعة سلمانة شرقه غير أننا نلاحظ ندرة التجمعات السكنية الريفية على طول هذا الطريق. أما الطرق البلدية فلها أهمية كبيرة لأنها تربط بين المجمعات الثانوية، وهي تغطي كامل منطقة السرسو وبنسبة كبيرة حيث يبلغ طولها 432 كلم، أي ما يعادل 31% من مجموع طرق السرسو.



الخريطة رقم 41: شبكة الطرقات بسهل السرسو

2.7 السكك الحديدية، إحياء الشبكة القديمة واستحداث أخرى.

استفادت المنطقة حديثاً من عدة مشاريع سكك حديد تربطها بالولايات المجاورة (سعيدة، غليزان، المدية وعين الدفلى)، حيث تدعم هذه الخطوط اتصالية السّرسو في كل محاوره، فضلا عن الخطوط القديمة والتي كانت موجودة بها منذ الفترة الاستعمارية (تيارت-غليزان، مستغانم (197 كلم، انتهت أشغاله عام 1889) تيارت، الدّحموني، بوقارة، خط سكة حديد بمسار ضيق يربط تيارت، الدّحموني وبوقارة، لكن حذف المشروع وعوضت بتمديد خط سكة الحديد نحو مهدية، انتهت أشغاله سنة 1941 (Perrin,1960). دخل خط سكة الحديد مزدوج الاستعمال (نقل المسافرين ونقل البضائع)، يربط سيدي بلعباس، سعيدة وتيارت حيز الخدمة في جزءه الرابط بين سعيدة وتيارت في مطلع هذه السنّة، يمتد هذا الخط على مسافة 153 كلم، إذ أنّ ما يقارب 66% من المشروع يقع بإقليم ولاية تيارت، أنجزت محطتين لنقل المسافرين (فرنّدة وعين كرمس) ومحطتين لنقل البضائع (تيارت وسعيدة).



الخريطة رقم 42: البرنامج الوطني للسكك الحديدية

استفاد السّرسو أيضا من انجاز خط سكة حديدية يدعم المحورين الشمالي الغربي والشرقي وهو اتجاه سير واحد يشمل غليزان، تيارت، تيسمسيلت على مسافة 185 كلم منها 119 كلم تعبر ولاية تيارت، ويضم المشروع إنجاز خمس محطات لنقل المسافرين (الرّحوية، مشرع الصّفا، تيارت، الدّحموني، ومهدية).



الصّورة رقم 30: محطة قطار بوقارة (الخط الرّابط بين تيسمسيلت وبوغزول)

كما تم إحياء مشروع كان مبرمجا في الفترة الاستعمارية ويتعلق بخط سكة الحديد يربط تيسمسيلت بخميس مليانة مرورا بخميسي والعيون، وبالتالي فهو يؤمن اتصالية السّرسو في المحور الشّمالي الشّرقي. أمّا المحور الشرقي فدعامته الرئيسية هي خط سكة حديد تربط تيسمسيلت وبوغزول نحو المسيلة (الشكل رقم)، هذا المشروع جزء من الطّريق الدائري للشّبكة الحديدية للهضاب العليا من خط (وهران، الجزائر، عنابة) يضم خمس محطات (تيسمسيلت، بوقارة، حاسي فبول، سيدي لعجال والشهبونية)، أشغاله متقدمة وتم فتح بعض المقاطع منه (الصورة رقم 30).

8. البنية العمرانية في السّرسو: ميلاد ثنائية قطبية

أنتج تدخل الدّولة من خلال سياسة التّعمير والتّنمية الرّيفية بشتى أشكالها تباينا مجاليا لكنّه في أغلبه متوازن باستثناء المنطقة الجنوبية الشّرقيّة للسّرسو (منطقة الاتصال بجبل الناظور). تأثرت البنية المجالية في السّرسو بفعل التّقسيم الإداري الأخير، الذي عمل على توسيع الشّبكة الإدارية بالمنطقة من جهة وإعادة هيكلتها بنيتها الحضرية والرّيفية برسم معالمها الحالية من جهة أخرى. وجود ولايتين بالسّرسو (مركز قديم وآخر حديث)، جعله يتجزأ من حيث التّسيير بعدما كان في السّابق مرتبطا بولاية تيارت فقط. إعادة الهيكلة الإدارية أثّرت أيضا على الأداء الوظيفي للسّرسو وبالتالي نشأت قطبية ثنائية بالمنطقة، رغم سيطرة القطب التّياري الواضحة.

1.8 تيارت، مدينة ذات سيادة سكانية واقتصادية تهيكّل معظم إقليم السّرسو

استفادت مدينة تيارت على مر المراحل التّاريخية من تطور ونمو السّرسو لأنّها القاعدة الإدارية له، فقد بسطت نفوذها على مساحة كبيرة وتطورت خدماتها الإدارية وخاصة المصرفية والمالية التي لا تزال موجودة لحد السّاعة. خروج الاستعمار في 1962 أحدث تغييرا في البنية الاجتماعية والاقتصادية لتيارت بسبب الهجرة الرّيفية إليها، بالمقابل انهار نظام الإنتاج المرتبط بالاقتصاد الاستعماري وحلّ محله

اقتصاد اشتراكي بعد الاستقلال، وأدرجت معه صناعة جديدة غير متوافقة مع الوجهة الفلاحية للمنطقة مما أدى إلى حدوث بعض الاختلالات المجالية والوظيفية، وبالتالي شهدت مجمعة تيارت، بصفاتها مركز جذب توسعا سريعا وغير مخطط نظرا لتدفق أعداد كبيرة من السكان من المناطق الريفية ضعيفة أو منعدمة التجهيز. كما أنّ النمو الاقتصادي والضغط الديمغرافي تركّز بشكل رئيسي في مدينة تيارت، إلا أنّ نمو وتحسن نوعية حياة سكان المناطق الحضرية في المدن الثانوية في السرسو (مهدية، دحموني، عين بوشقيف وحمادية) هو عامل محفز على الاستقرار الاجتماعي، كما أنّ محاولة الوصول إلى الكفاءة الاقتصادية في هذه المناطق وخاصة عين بوشقيف من خلال منطقتها الصناعية والرّشايقة من خلال وظيفتها الزراعيّة، يمكن أن تخفف من الضّغط على مدينة تيارت.

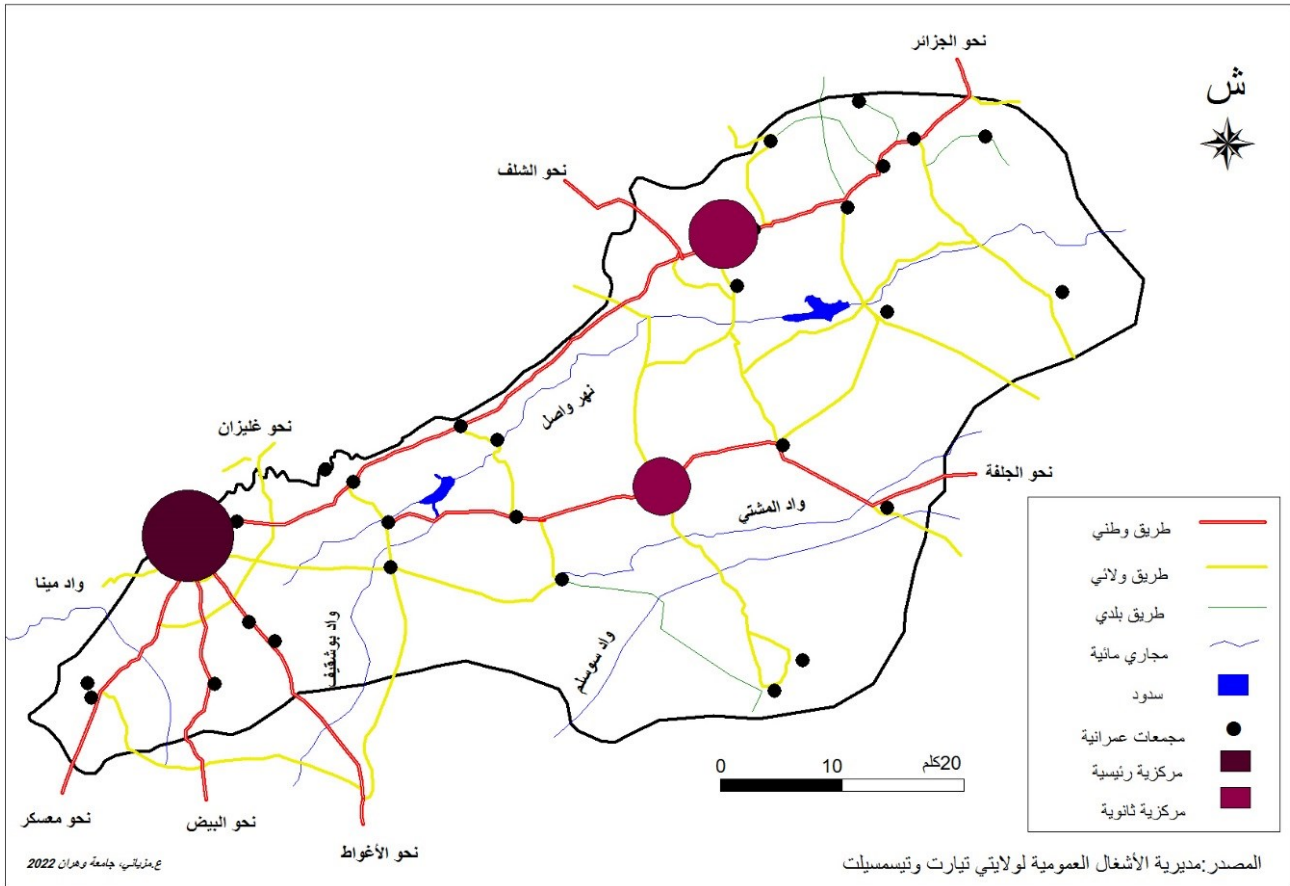
على مدى العقدين الماضيين من القرن الحالي، وبفضل التّدخل الضخم للدولة، حققت تيارت العديد من النتائج الإيجابية على الرّغم من الظروف الصّعبة، والتّزايد السكاني للمدينة نظرا لما تستقبله من هجرات من المناطق المجاورة، وهو ما جعل الطّلب يتجاوز العرض في أغلب الأحيان في مختلف المجالات، فعدم المساواة بين المجمعّات يجعل النّقل كله مركز على المدينة الرّئيسية، فالمسألة ليست مسألة نقص الموارد المالية والبشرية، بل هي أوجه قصور في الإدارة المحليّة للمجمعّات الحضرية المحيطة وعدم وجود مشروع حضري يجعل منها متوازنة وظيفيا واقتصاديا، ولا تزال المدن في المناطق الحضرية، باستثناء تيارت، في مرحلة الاحتياجات وبالتالي فهي لا تؤدي إلا دورا اقتصاديا ضعيفا.

2.8 تيسمسيلت، مدينة داعمة، ونقطة تهيكّل شمال السرسو

أصبحت مدينة تيسمسيلت ذات رتبة حضري رفيع بفضل نمو سكانها الذي تجاوز 100 ألف نسمة سنة 2019 وهي مقر ولاية ومركز قيادي لإقليمه، إلا أنّ وجود مركز تيارت بالقرب منها قلص من دورها الإقليمي في منطقة السرسو. لكن لا يمكن إنكار دورها في التّنظيم المجالي للشبكة العمرانية شمال السرسو. المنطقة السّهلية الأكثر تعميرا بالنسبة لولاية تيسمسيلت، لأنها منطقة سهلة التّعمير، حيث الانحدار البسيط والإمكانيات المتاحة، سمحت بشغل الأرض ونمو المجمعّات العمرانية، وشجعت الاستثمارات الاقتصادية بها مما خلق نوع من التّنافسية بين القطاعين الأول والثاني. تبعية تيسمسيلت إداريا لولاية تيارت لفترة زمنية طويلة تقارب القرن، أي منذ نشأتها في الفترة الاستعمارية سنة 1887 وإلى غاية ترقيتها إداريا سنة 1984، جعلها مرتبطة بها اجتماعيا واقتصاديا بشكل مبالغ فيه، لم تستطع رغم انفصالها عنها من الخروج عن قوقعتها، خاصة وأنها أصبحت مقر ولاية تسير منطقة جبلية ذات تضاريس صعبة وفقيرة اقتصاديا، وبالتالي فهي غير مدعومة والارتكاز كله عليها، رغم أن شمالها الشّرقي يشغل أكثر مع خميس مليانة، وغربها مع ولاية شلف وغليزان بحكم القرب من جهة وكون تلك المنطقة كانت تابعة للشلف سابقا، كما ان المنطقة السّهلية من ولاية تيسمسيلت مازالت مرتبطة بولاية تيارت وخاصة في المجال الفلاحي وتعبئة الموارد

القسم الثاني الفصل الرابع: الشبكة العمرانية في السّرسو، التوزيع والتنظيم المجالي

المائية (سد بوقارة). استفادت مدينة تيسمسيلت من التّجهيزات الكبرى في السّنوات الأخيرة ولاسيما الجامعة والمعهد الوطني للتكوين المهني وملحقة مدرسة الشبه الطّبي، والمؤسسة العمومية الاستشفائية، وعليه بدأت تتخلص جزئيا من التبعية لولاية تيارت. وقد سجلنا حسب التحقيق الميداني، أن التسوق في مدينة تيارت مازال يستهوي الكثيرين من سكان تيسمسيلت. تستوجب تنمية مدينة تيسمسيلت بطريقة حكيمة ومتوازنة لما تحتويه من أراضي فلاحية جد خصبة، لكنّها ليست عالية الجاذبية نظرا لنقص التّشغيل بها وكذا التّشبع النسبي بالقطاع الفلاحي وضعف الوظيفية الصّناعية بها. أمّا على المستوى الحضري، بعض المجمعات بتيسمسيلت لم تعرف أي ارتقاء في الصّنف بين 1998-2008 بحيث لم تسجل أي تحول يذكر، فقد عرفت تطورا لكنّه ديمغرافي فقط، لم يدعم بقاعدة اقتصادية صلبة، يمكن إيعاز ذلك إلى مشكل العقار الذي تعاني منه المنطقة وبسبب صعوبة موضعها الجبلي.



الخريطة رقم 43: تنميط المجمعات العمرانية في السّرسو

خلاصة الفصل

تتميز البنية العمرانية الحالية للسّرسو بوجود شبكة متكاملة بين المراكز القديمة الموروثة عن الفترة الاستعمارية وأخرى جديدة أنجزت بعد الاستقلال. تتهيكل فيما بينها على أساس علاقات وظيفية، فالمراكز العمرانية الأكثر تجهيزا والأرقى رتبة إدارية أصبحت أقطاب جذب لمختلف التّدفقات السّكانية من المراكز العمرانية الأقل تجهيزا طلبا لمختلف الخدمات.

تتميز الشبكة العمرانية في السّرسو التي تنقسمها ولايتي تيارت وتيسمسيلت بكثافة المراكز، وتكون أكثر تركزا بالوسط السّهلي أغلبها ذات نشأة استعمارية، تسيطر عليها المراكز العمرانية الصّغيرة والتي تمثل في غالبيتها مدنا صغرى كما أنّها تعتبر نقطة وصل بين الوسطين الحضري والريفي، بينما يمثل أكبر الأحجام السّكانية مركز عمراني واحد يحتل قمة النّظام الهرمي متمثلا في مدينة تيارت.

البنية المجالية في السّرسو هي بنية لا مركزية شكلا، لأنّ المجمّعات منتشرة على كامل المجال، تربطها شبكة طرقات متنوعة ببعضها البعض وأيضا بمحيطها الخارجي على المستوى الجهوي والاقليمي، لكنّها تنسم وظيفيا بأنّها بنية مركزية، تمثل مدينة تيارت مركزها فهي تتميز بتجميع الأنشطة ذات القيمة المضافة مثل البيع بالجملة والتّجزئة والإدارة والتّصنيع والتّوزيع. فالمركزية هنا تشير إلى غلبة الجزء المركزي على تنظيم الأنشطة بمختلف أنواعها، بفضل الأنشطة التي تقدمها مدينة تيارت وبسبب إمكانية الوصول إليه، التي وفرتها الطّرقات والتّجهيزات بشكل عام، لكنّها في نفس الوقت مشتتة، نظرا لعدم انتظام المسافة بين المجمّعات، وهو ما سمح بوجود مركزية ثانوية جديدة تتمثل في تيسمسيلت، عزّزتها التّرقية الإدارية لمصاف الولايات، فاستفادت من التّجهيزات والخدمات وتطورت علاقتها خاصة بالبلديات التابعة أو التي كانت تابعة لها إداريا، كما أنّ وجود مهدية ذات الدور المحلي جعل البنية المجالية للسّرسو متعددة الأنماط، مركزية متجمعة تارة وغير مركزية مشتتة تارة أخرى، لكن تبقى مدينة تيارت مسيطرة بشكل رئيسي نظرا لطبيعة العلاقات التي صنعت استمرارية مجالية بين مختلف أنماط المجمّعات، فالتّنقلات صنعت بعدا مكانيا مهما في السّرسو، ودعمت الديناميكية الاقتصادية في المنطقة، لاسيما الواجهة الجنوبية البعيدة نسبيا، خاصة الرّشايقة التي أصبحت قطبا زراعيا بامتياز، وهو ما سوف نركز عليه في فصل العلاقات الوظيفية.

الفصل الخامس

تحويلات البنية العقارية محرّك
أساسي في هيكلّة المجال الرّيفي
بالسّرسو

مقدمة

ينتظم المجتمع حول الملكية، التي تأخذ عدة أشكال، لعل أهمها الملكية الخاصة، إلا أنها تبقى مبهمة تولد علاقات اجتماعية معقدة. هذا الغموض له بعد تاريخي نتيجة، الانتقال من الملكية العامة، إلى الملكية الخاصة، والتي تعكس الطريقة العنيفة المستخدمة من طرف المستعمر، الذي أعاد صياغة تنظيم المجال الريفي في الجزائر وفق سياسة عقارية مختلفة وذلك بالانتقال من النظام القبلي التقليدي إلى نظام الملكية الفردية المقيدة والتي تخضع للتسيير الإداري، مما أدى إلى ظهور تحولات عميقة فيه. بعد الاستقلال وجدت الجزائر نفسها أمام وضعية عقارية معقدة تستدعي إعادة النظر فيها، فانتهجت سياسات مغايرة وأعدت هيكلية القطاع الزراعي: من التسيير الذاتي، مروراً بالثورة الزراعية إلى التنمية الفلاحية والتجديد الريفي. نحاول من خلال هذا الفصل استعراض أهم السياسات التي مست البنية العقارية في الجزائر بصفة عامة، وكيف أثرت في هيكلية وإعادة هيكلية المجتمع الريفي على وجه خاص وكيف تأثرت بنياته الزراعية وعلى خصائصه المحلية الاجتماعية، وهل أحدثت هذه السياسات تغييراً في التنظيم المجالي للسرّسو وساهمت في ديناميته.

1. البنية العقارية قبل الاستقلال، المجال الريفي من الاستقلالية إلى التبعية

1.1 الريف والعقار في الفترة العثمانية

كان المجال الريفي قبل وأثناء الفترة العثمانية مغلقاً على نفسه، لكنّه يعيش حالة من الاستقلالية في تنظيمه الاقتصادي والاجتماعي وفي ظروف إعادة إنتاجه بعيداً عن كل تدخل مؤسّساتي خارجي يعمل على مراقبة نشاطاته ويفرض عليه أنماطاً سلوكية أو ثقافية بطريقة قسرية أو إكراهية (مرضي، 1999). انتظم المجتمع الريفي حول القبيلة التي تتميز بالوحدة والتضامن من المجموعة الاجتماعية. يضم العرش الواحد مجموعة من القبائل ذات أصل أبوي حقيقي، أو اعتباري، تجمعها علاقات متنوعة، اجتماعية واقتصادية، قد تشترك في ملكية الأرض الفلاحية غير القابلة للتقسيم يسيرها العرش أو القبيلة (زرايب، 2011)، وبالتالي تعيش مختلف أشكال التعاون الاجتماعي كالتّوزيع وتبادل مجالات الرّعي والعزابة مع مختلف القبائل. تمارس القبائل الأنشطة الفلاحية على أساس تعاوني جماعي دون أن يكون في هذا النظام تحديد ظاهر لحقوق الأفراد في ملكيتها. فكان نظام الملكية في الريف بسيطاً يعتمد على العرف والعادة والشّرع الإسلامي. انتظم المجال الريفي في السرّسو اقتصادياً على الزراعة الواسعة خاصة الحبوب ولاسيماً القمح، إضافة إلى تربية المواشي نظراً لتوفره على المراعي، وهو ما ساهم في بناء علاقات بين قبائله المحلية إضافة إلى علاقات خارجية مع قبائل الشّمال والجنوب، انتظمت في رحلتين أساسيتين كل السّنة، جعلت السرّسو مزدوج

الوظيفة: التّخميم شتاء لصالح قبائل الشّمال، ومراعي لقبائل الجنوب صيفا (الفصل السّابق)، مازالت مستمرة إلى يومنا هذا.

تطورت ملكية الأراضي وتنوعت طرق استغلالها في العهد العثماني (بن حموش، 2000)، فسميت بعهد الشّيوخ أي اللاتقسيم للأرض. حيث كانت الدّولة الجزائرية فيها ضعيفة في مجال التّعمير، فقد بلغت نسبة التّحضر حوالي 5% فقط قبل سنة 1830، هذه الميزة الرّيفية للمجتمع الجزائري، نجدها مقروءة في نماذج وأشكال الملكية العقارية، إذ يوجد تناقض بينها، حيث كانت الملكية الجماعية للأرض هي الشّكل السّائد. ومن هذا المنطق توجد عدة أشكال للأراضي حسب تملكها وإخضاعها للسلطة التّركية ومنها:

1.1.1 أراضي البايك:

وهي الأراضي التي ترجع ملكيتها للباي -لا تباع ولا تشتري- تقع بالقرب من المدن الكبرى، والمدن العسكرية، من أجل الحماية وكذلك لتموين الباي فهي أراضي خصبة، واسعة وكثيفة، حيث يؤجرها أو يمنحها لمن يريد، وغالبا يكون مصدر هذه الأراضي، عن طريق المصادرة من العشائر الثّائرة.

2.1.1 أراضي العزل:

أو ما تعرف بالأراضي المخزن، وهي الأراضي التي يشتريها الباي من القبائل ويتنازل عليها لصالح كبار الموظفين الذين يولكون أمر زراعتها للفلاحين من أجل الانتفاع بها، أو لصالح قبائل تدعى العزل، وهي قبائل محلية توصف بتقديم الولاء للباي، فهذه القبائل موالية للدّولة، مقابل جزء من المحصول أقل بكثير مما تقدمه القبائل على شكل ضرائب عينية.

3.1.1 أراضي الملك¹:

وهي الأراضي التّابعة لملكية الأشخاص والعائلات، أي يتمتع الأفراد فيها بإمكانية البيع شريطة موافقة الأشخاص الآخرين المالكين للقطعة، كما يستطيع أي فرد من نفس العائلة استرجاع القطع المبيعة إلى أشخاص خارج العائلة بدون موافقته. ويسود هذا النّظام في المناطق الجبلية كالقبائل الصّغرى وقبائل الصّومام، جبال الحضنة، الأوراس، كما يسود في بعض الواحات ويتميز هذا النوع من الملكية، بالاستغلال المكثف للقطع الأرضية الصّغيرة المساحة، والسّكن بهذه الأراضي يكون مجمع ودائم، وملكيات واقعة بالمناطق الجبلية وبعض السّهول الدّاخلية تعتمد على التّنظيم القبلي وتستند إلى العادات المتوارثة في تلك الجهات. تتميز تلك الملكيات الخاصة في العهد العثماني بصغر المساحة وتركزها بالمناطق الكثيفة السّكان بفعل أحكام الميراث، البيع والشّراء.

¹ الأملاك العائلية

4.1.1 أراضي العرش¹:

تعرف هذه الأراضي على أنها أراضي تابعة للملكية الجماعية، أي الأراضي التابعة للقبيلة؛ ولا يحق لأي فرد عضو في ملكيتها، التمتع بحق البيع وذلك بتقسيم الأرض على الملاكين، من باب الانتفاع بها، واستغلالها دون التصرف فيها لكونها ملكا لعامة العرش.

يسود هذا النوع من الملكية، في بعض الجبال التلية خاصة الغربية منها، والسهول العليا، والأطلس الصحراوي، والسهول العليا القسنطينية، سهول الحضنة، جنوب تبسة من الجزء الشرقي لجبال التمامشة. يتميز هذا النوع من الأراضي، بكبر المساحة وهي أقل قيمة فلاحية من أراضي الملك؛ كما يتميز السكن فيها بالتشتت تبعا لنظام الترحال الذي يعرفه السكان.

تعرف هذه الأراضي بالشرق الجزائري، بأراضي العرش، بينما يطلق عليها أراضي السابقة بالتاحية الغربية للوطن.

5.1.1 أراضي الحبوس:

وهي الأراضي التي ترجع إلى المجتمع الديني أي تابعة للمؤسسات الدينية، المساجد، الزوايا والمدارس القرآنية. وتقع في معظمها خارج إطار القبيلة وحول المدن، فهذه الأراضي لا يمكن التصرف فيها -أي لا تباع ولا تشتري- وتسير هذه الأراضي، من طرف بيت المال التابعة للمؤسسة الدينية، ونجد نوعين: أولهما، أراضي حبوس خاصة أي، تابعة للخواص، وأخرى أراضي حبوس عمومية أي تابعة للسلطة. من مميزاتا أنها تقصى من السوق العقارية بمعنى عامل الشبوع (اللاتقسيم) أو ما يعرف بالتجميد العقاري (Le Gel Foncier).

6.1.1 أراضي الموات:

هي أراضي تقوم على مبدأ " من أحيا أرضا ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق " (بن حموش، 2000)، فهي كل أرض لا يملكها أحد ولا ينتفع بها أحد.

2.1 البنية العقارية الفلاحية في الفترة الاستعمارية:

قام الاستعمار الفرنسي بوضوله إلى السرسو بتشتيت السكان وتفريقهم ثم ترحيلهم (كما فعل بباقي أنحاء الوطن)، وذلك بفتح المجال للمهاجرين المعمرين للاستقرار، واحتلال المناطق الأكثر خصوبة وتهميش المناطق التي تقتدر إلى أبسط الظروف المعيشية، أين تم طرد السكان الأصليين إليها.

¹ أملاك القبيلة، وان كان البعض يقول إن أرض العرش هو في الأصل مصطلح مستحدث وغريب عن التنظيم العقاري المحلي وأنه لم يكن معروفا قبل الاختلال الفرنسي، لأن أساس هذا التنظيم هو التملك الفردي والإقامة المؤقتة لبعض المناطق لا يعني تملكهم لها، حيث أن معيشتهم أصلا تعتمد على الحل والترحال مثلما يذكر بن خلدون في مقدمته.

وعليه عرف النظام العقاري تقلبات حقيقية، تتعلق بإعطاء الأوروبيين الصّلاحية الكاملة، للدّخول بكل أمان إلى الأراضي، كما تسمح لهم بالتوسع فيها؛ وبذلك امتلكوا معظم الأراضي الفلاحية بالسرّسو. ولتحقيق هدفه الدائم المتمثل في سلب الأراضي الفلاحية، نادى النظام العقاري الاستعماري؛ بتطبيق كل الطّرق الممكنة، كالمصادرة بحجة غياب السّند، ونزع الملكية بحجة عدم الاستغلال، وتمركز الأراضي ووضعها تحت الحراسة، والقضاء بصورة منهجية على القواعد العقارية المستمدة من الشريعة الإسلامية والأعراف المحلية، مع إحلال أشكال استغلال فردية محل التنظيم الجماعي لتملك الأراضي (مدور، 2012)، وقد اتجهت فكرة الاستعمار الفرنسي نحو تحويل الزراعة في الجزائر من زراعة وطنية إلى زراعة موجهة تخدم بالدرجة الأولى فرنسا وذلك عن طريق سن سياسة متمثلة في عدة قرارات خاصة بمصادرة واسعة للأراضي وتوزيعها على الأوروبيين المستقدمين من فرنسا و من أهم هذه القرارات:

✓ قرار مصادرة أراضي العرش أو القبيلة في سنة 1832،

✓ قرار مصادرة أراضي الحبوس أي الأوقاف سنة 1844،

✓ مجموعة المراسيم الصّادرة بين 1844-1846 الخاصة بمصادرة الأراضي التي تعتبرها السّلطات الفرنسية أراضي غير زراعية،

✓ قرارات 1871 الخاصة بمصادرة أراضي الأشخاص الذين ساهموا في ثورة المقراني والشيخ الحداد وغيرها من الثورات.

1.2.1 قانون سيناتيس كونسلت، تقسيم أراضي القبائل والأعراش وإرساء الملكية الفردية

جاء قانون سيناتيس كونسلت عام 1863 وهو ما يعرف بالقانون المشيخي لإرساء الملكية الفردية وذلك بتكسير النظام الاجتماعي القبلي المبني على الملكية الجماعية، فقام بتقسيم أراضي القبيلة وإنشاء الدّوار. لا تزيد مساحة الدّوار الواحد عن 12000 هكتار وعدد سكان 1000 نسمة. أنشأ بموجب هذا القانون عدة دواوير في السرّسو، وانتظمت القبائل المحلية في الفترة الاستعمارية على هذا الشكل (دواوير).

يعتبر هذا القانون من أهم القوانين في تاريخ الريف والزراعة الجزائرية. كما أنه أداة استعمارية جديدة، الهدف منها هو تشتيت القبائل وجعلها دواوير ذات حدود، للتمكن من مراقبتها وبالتالي وضع نهاية للنظام العقاري القديم (ملك، عرش)، ليحل محله نظام الملكية التامة حسب القانون الفرنسي. تأثرت حركة السّكان بتطبيق سيناتيس كونسلت، لأنه عمل على إنشاء الملكية الفردية وقام بتفكيك القبائل وإنشاء الدّوار، كما أُجبر المواطنين في أغلب الأحيان على بيع أراضيهم نظرا لقلّة محاصيلهم وموت قطعانهم، وهو ما أدى بهم إلى التحرك في المجال بحثا عن العمل والمأوى.

طبق القانون المشيخي في السرّسو على أرض قبيلة العويسات (إقليم بلديتي الدّحموني وعين بوشقيف حاليا) وقد خصّص لها الجنرال ليبيرت برنامجا كاملا، لأن أراضيها من أجود أراضي السرّسو وتقع بالقرب من

المصادر المائية وخاصة وادي نهر واصل، فقام أولاً بتحديد القبائل ورسم خرائط لها، ورصد كل مصادرها المائية من عيون وأودية ومجاري، ثم حرّر تقريراً عنها (وابل، 2022)، كانت العويصات تمتلك أراضي ملك ذات مساحة تبلغ 21355 هكتاراً و60 أراً و25 سنتيآر، إلى جانب أراضي فلاحية تقدر بـ 144 هكتاراً و6 أراً وأراضي للحدائق تتسع لـ 1360 ساكن. قسّم المستعمر الفرنسي القبيلة إلى جزئين عن طريق المرسوم الصادر في 21 أكتوبر 1868 هما دوار بلدية العويصات، بمساحة 2336 هكتار و عدد سكانه 1315 نسمة، ودوار بلدية أولاد بوغوغو، بمساحة 7.866 هكتار، و676 نسمة. (Faucou, 1889)

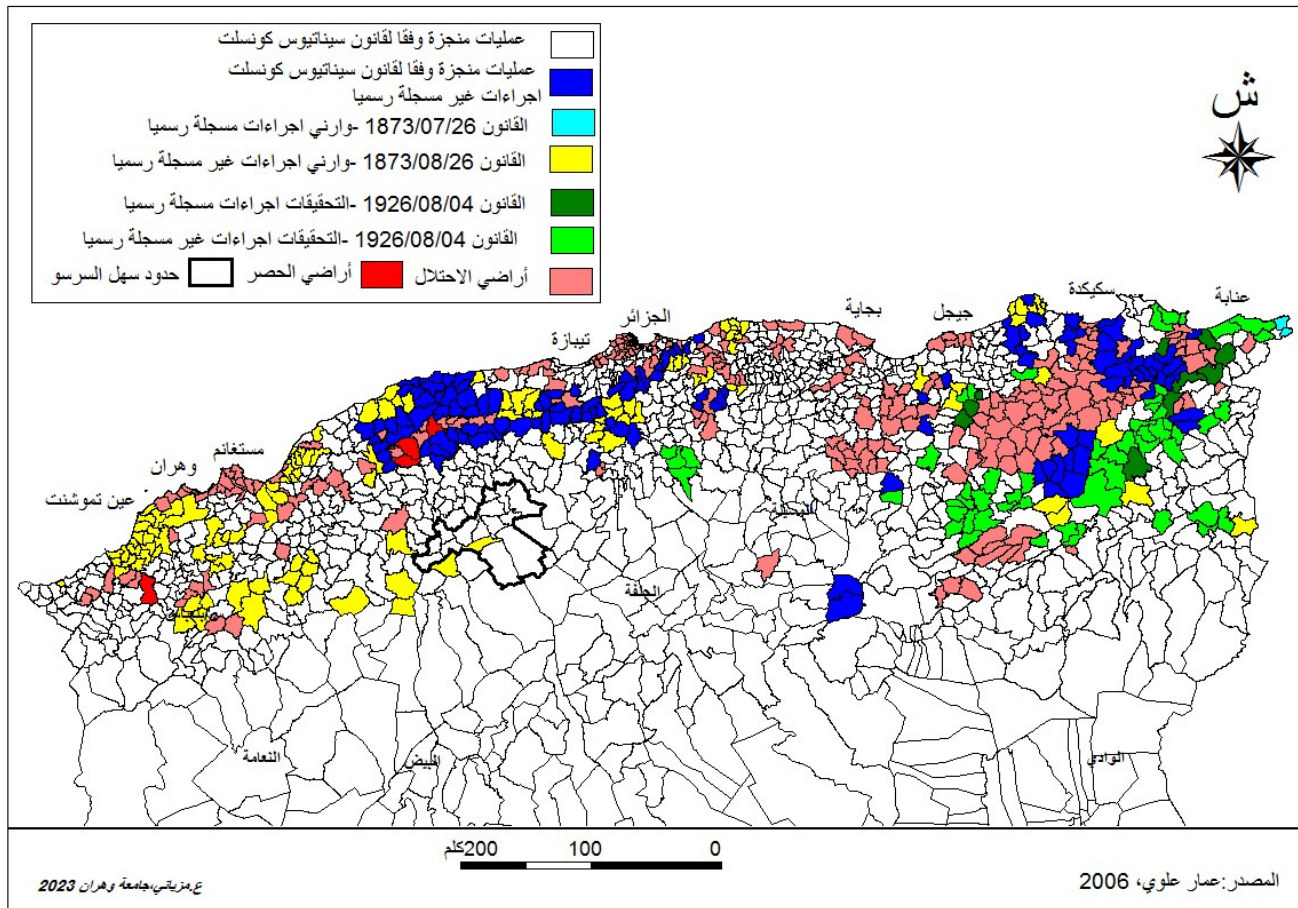
كما انقسمت أيضاً قبيلة أولاد شريف الشراقة إلى دوار بلدية شريف الشراقة بمساحة 24.819 هكتار، بموجب المرسوم المؤرخ في 02 مارس 1867 (دوار توريش) تابعة للبلدية الأهلية تيارت-أفلو عدد السكان حوالي 2140 نسمة، ودوار بلدية التوريش بمساحة 24.810 كلم، بموجب المرسوم الصادر في 02 مارس 1867 وهو تابع للبلدية الأهلية تيارت-أفلو على بعد 4 كلم شمال تيارت، عدد سكانه 2140 نسمة (الدولة تمتلك في هذا الدوار خان (نزل) مقهى، محطة (12 هكتار 92 أراً 20 سنتيآر). أما قبيلة أولاد فارس، فقد أصبحت دوار بلدية عن طريق المرسوم المؤرخ في 17/10/1867 مساحتها 5476 هكتار و عدد سكانها 525 نسمة، استحدثت منها دوار بلدية بوشتو بموجب المرسوم الصادر في 17/10/1867. بينما لم تخضع باقي القبائل (بني لنت، دوي حسني، أولاد أحمد الرشايقة، والسحاري الشراقة) لإجراءات قانون سيناتيس كونسلت، لكنها خضعت لنفس التنظيم الإداري المعمول به آنذاك. جرّد قانون سيناتيس كونسلت القبائل النصف مستقرة (رحل) من ممتلكاتها وأوقف ترحالها وجعلها قبائلًا مستقرة، واخضعها لنظام الدوار أيضاً ويتعلق الأمر بقبائل بني مايدة في الجنوب وأولاد بسام الشراقة والغرابية في الشمال (Yacono , 1953).

2.2.1 قانون وارني، تعميم تطبيق القانون الفرنسي لتسهيل المبادلات العقارية

دعمت المصادرات الجماعية للأرض، بصور قانون وارني في 26/07/1873 الذي نص في مادته الأولى، على أن إثبات الملكية وتأسيسها والمحافظة عليها، وانتقالها بالتعاقد، يخضع لأحكام القانون الفرنسي؛ عن طريق تعيين الحدود لمحيط العشائر والدواوير (ملكية خاصة، ملكية جماعية، أراضي أملاك الدولة، أراضي الرعي).

هذا القانون هو وسيلة لإخضاع جميع الممتلكات العقارية للقانون الفرنسي، دون النظر إلى الأحكام القانونية والأعراف المحلية السائدة؛ لتصبح مادة تجارية تباع وتشتري، فهي وسيلة من وسائل الاستيطان. كما فرض إقامة الملكية الفردية على أراضي العروش، التي لم تتمكن فرنسا من ضمها إلى أملاك الحكومة، (لتسهيل انتقالها للمعمرين بالبيع أو التهديد) عن طريق إجراء التحقيقات العامة التي تطبق على كل قبيلة أو دوار. كما أن هذا القانون مكن الدولة من تملك الأراضي الشاغرة، لأن بعض جماعات الدواوير اشتكت من

المصادرة الجماعية لأراضيها. خضعت بلدية عين دزاريت بحدودها الحالية، (الخريطة رقم 44) لهذا القانون، لكن الإجراءات لم تسجل رسمياً.



الخريطة رقم 44: الوضعية العقارية شمال الجزائر سنة 1952

عرف النظام العقاري، تقلبات حقيقية تتعلق بإعطاء الأوروبيين الصّلاحية الكاملة للدّخول بكلّ أمان إلى الأراضي. كما تسمح لهم بالتّوسع فيها؛ فقد امتلكوا معظم الأراضي الفلّاحية المنتجة بالسّرسو، وتمّ تكوين مجال للمعمرين بعدّة طرق، كاستغلال النزاع القائم بين بين الدّواوير مثلما حدث لأراضي قبيلة أوّلا عياد شمال السّرسو، استولت الدّولة على عشرون هكتارا ببلاد بوجمعة بسبب النزاع الدّخلي حولها. وبالتّدخل الفرنسي لدى الأهالي، للتّفاوض معهم من أجل التّنازل على جزء من الأرض المشتركة بينهم، المسماة السّابقة أو العرش لصالح المستعمر. أصبحت بعض الفرق المؤيدة للاستعمار في عام 1878 تتنافس على امتلاك الأراضي أي الخروج من الشّيع، مقابل التّخلي عن جزء منها للدّولة (1300 هكتار). التّحليل الذي حدث في بني لنت، في إعطاء الطّابع الجماعي للممتلكات وتصنيفها أنها أراضي غير مزروعة، كي تتمكن الدّولة من الاستيلاء عليها بموجب اعتراف اللّجنة بالملكية للسّكان الأصليين، مقابل تخلي الجماعة عن جميع

المطالب الأخرى المتعلقة بـ 8127 هكتار التي تم التنازل عنها للدولة. تمكنت الإدارة الاستعمارية من تشكيل مجموعة قطاع عام تبلغ مساحتها 9704 هكتار في عام 1901 بين دوي حسني، وبعد نزاعات ومحاكمات في عام 1908، تم التخلي عن 9500 هكتار من العقارات من قبل بني مائدة.

تعرض السرسو لفترة جفاف قاسية (1880-1883)، وهو ما جعل بعض المضاربين العقاريين يقيمون في مدينة الجزائر والبلدية يستغلون الوضع للضغط على الأهالي قصد بيع أراضيهم. هذا الابتزاز سمح للأوروبيين بالاستحواذ على 9345 هكتار من بني لنت و3300 هكتار من بني مايدة، إلا أنهم لم يستغلوا هذه الأراضي الفلاحية لأنهم كانوا على أمل لبيعها للدولة من أجل إنشاء سلسلة من المراكز بين تيارت وخميس مليانة (Affreville) كانت قيد الدراسة آنذاك. تأخر انجاز هذه المراكز جعل ملاكها يقومون بتجزئتها، مثل ما فعل الاخوة بولو الفرنسيان، اللذان استقروا بعين الصفا بالقرب من مركز فيالار، فقد استثمرا في أراضي السرسو بموجب قانون المستثمرات الفلاحية¹، وخدمات فكرة الاستيطان بالمنطقة بشكل كبير بتملكهم لأراضي بنواحي تيارت، جزئت إلى قطع فردية مساحتها بين 200-500 هكتار.

الجدول رقم 37: تطور ملكية أراضي الاستيطان في دوار بني لنت وبني مايدة

السنوات	مساحة ملكيات الأوروبيين (الهكتار)	عدد المزارع	عدد الأوروبيين الذين يعيشون في المزارع
1886	13160	-	-
1908	26681	126	615
1921	31000	168	850

المصدر: Perrin, 1960

تطورت أراضي الاستيطان في السرسو بطرق مختلفة، لأنها كانت تهدف لحل بعض المشاكل الحساسة والمتعلقة بخدمة الأرض والفلاحة، بدءاً بحل مشكلة الماء على الهضبة، وسهولة الوصول للطبقة الجوفية عن طريق حفر الآبار، لأن هدف الاستعمار الخاص² كان اقتصادي بحت، عكس الاستعمار الرسمي³ الذي انتشر في السرسو كنقطة زيت امتدت شيئاً فشيئاً نحو الجنوب بسبب وجود جبال الونشريس شمالاً، التي شكلت عائقاً عند ثنية الحد في بداية الاستعمار (Perrin, 1960).

تم اصدار قانون جديد معدلاً لقانون وارني في سنة 1887، حيث أصبح بيع الأراضي المشاعة في المزارع العلني، بمبالغ زهيدة جداً للأوروبيين دون شرط الإقامة فيها. ففي الفترة 1887-1899 استولت الإدارة

¹ سمح هذا القانون للشركات الأوروبية، بالاستثمار في القطاع الزراعي والتفدي وأهمها: الشركة العامة السويسرية، التي استثمرت عام 1852 مساحة 20 ألف هكتار في سطيف، والشركة العامة الجزائرية تحوز على مساحة 100 ألف هكتار (في العمالات الثلاث) الشركة الفلاحية والصناعية للصحراء (1870) تسيطر على 24 ألف هكتار في الجنوب.

² ويقصد بها أراضي الفلاحين الجزائريين التي سيطر عليها المعمرون الأوروبيون بطرق مختلفة كما ذكرنا سابقاً

³ ويقصد بها تلك الأراضي التي استولت عليها الإدارة الاستعمارية على أراضي العرش، المخزن والحبوس

الاستعمارية على 957 ألف هكتار كانت ملكا لأعراش السّرسو وخلال 1891-1900 سلّم للمهاجرين الأوروبيين أكثر من 120 ألف هكتار.

لم تعترف لجان التّنفيذ عندما تم تطبيق قوانين 1873-1887 في منطقة فيالار وهضبة السّرسو بحقوق الرّحل في استعمال أراضي بني لنت ودوي حسني، بحجة أنّها ملكية خاصة، وعليه لا يمكن رهنها رغم المطالب المتكررة لأولاد سيدي عطا الله لاستعمالها، لكن في نفس الوقت اعترفت اللّجنة بحق الملكية الخاصة لبني مايدة مع السّماح باستخدام المراعي من قبل أولاد سيدي سليمان، بالمقابل أيضا وما يؤكد التّنقض في حقوق استخدام الأراضي من طرف الرّحل، هو الاعتراف بحق المرور والطّريق في الدّواوير الجنوبية للسّرسو، الرّشايقة والزّناخرة الغور لصالح العربية، شريطة التّخيم في مخيم واحد.

صنفت الأراضي في دوار بني لنت من الممتلكات الجماعية غير المزروعة، نسبت اللّجنة الطّابع الجماعي للممتلكات وصنّفها على أنها أرض غير مزروعة، احتجاجات الجماعة تتخذ إجراءات قانونية ومن ثمّ تسوى؛ تعترف اللّجنة بالطّابع ملك لأراضي السّكان الأصليين وتتخلى الجماعة عن جميع المطالب الأخرى المتعلقة بـ 8127 هكتار التي تم التنازل عنها للدولة وبالمثل، تم تشكيل مجموعة من القطاع العام تبلغ مساحتها 9704 هكتار في عام 1901 بين دويّ حسني، وبعد نزاعات ومحاكمات في عام 1908، تمّت مصادرة 9500 هكتار من أراضي بني مايدة بموجب القرار الصّادر في 25 جانفي 1908، ثم مصادرة أراضي في تكرية (بالقرب من بورباكي).

أصدرت الإدارة الاستعمارية سنة 1926 قانونين متكاملين (قانون 16 فيفري وقانون 4 أوت 1926)، القانون الأول يمثل نوعا من التّطهير لأراضي العرش والملك، وذلك بإجراء تحقيقات جزئية، ثم تسليم العقود للملاك، أما الثاني فجاء مكملا للأول وعمّمه على كامل التّراب الوطني بما فيه الصّحراء وأتى بما يسمى "التّحقيقات الكلية أو الجماعية"، جعل بموجبه البيّنة على عاتق المعارض، أي أنه قلب عبئ الإثبات على المعارض، بدلا من الحائز. أخذا بمبدأ الملكية الظاهرة لا تسلم العقود لأصحابها إلا بعد تصفية العملية قضائيا. فشلت كل هذه التّدابير والمحاولات للاستيلاء على الملكية العقارية، فأعيد النّظر في القوانين السّابقة انطلاقا من سنة 1956 والنّظر إلى الملكية العقارية في الجزائر من زاوية استعمارية عن طريق إصدار نصين قانونيين هما: المرسوم المؤرخ في 26 مارس 1956 والأمر المؤرخ في 3 جانفي 1959، فالأول كان يرمي إلى تشجيع المبادلات بالتّراضي لإنهاء تشتيت وتجزئة الأراضي، وتجميع المستثمرات الرّيفية بطريقة جيدة، وهو ما قامت به الإدارة الاستعمارية في أراضي السّرسو وخاصة في بالا، هاردي وفيكنتور هيجو. على الرّغم من التّركيز المتوالي على إضفاء الملكية الفردية في السّرسو، إلا أن التّقسيم بين الورثة غالبا ما يدمر جهود جمع هذه الملكيات من طرف المستعمر. استمرت ملكية السّكان الأصليين للأراضي

على الرغم من توسع الملكية الأوروبية على أراضي السرّسو، غير أنها كانت قطعاً أرضية صغيرة المساحة منتشرة وسط حقول الأوروبيين تغلب عليها الحيازة المباشرة (Perrin , 1960). تقسيم ملكية الأعراش جعلها تدخل سوق العقار من بابه الواسع وبالتالي أصبحت معظمها ملك خاص للأوروبيين، كما أن سياسة المحتشدات أدت إلى ترحيل سكان الريف وتجميعهم قصد مراقبتهم وبالتالي تم قطع صلتهم بأراضيهم وفقدتهم صفة فلاحين وهو ما ساهم أيضاً في ارتفاع تملك الدولة للأراضي، من جهة أخرى شهد السرّسو تحولا في بنيته الزراعية من الزراعات الواسعة وخاصة الحبوب والبقول الجافة إلى الكروم وبعض الزراعات الصناعية (القرطم، عباد الشمس والتبغ) وأدرجت تقنيات وآلات حديثة في الزراعة مما أثر سلباً على إنتاج أراضي الأهالي الذين يعتمدون على وسائل وتقنيات تقليدية.

الجدول رقم 38: توزيع المستثمرات الفلاحية في السرّسو حسب الحجم والملكية (الإحصاء الزراعي 1951)

حجم المستثمرة		الأوروبيون			الجزائريون	
(هكتار)	العدد	المساحة	النسبة %	العدد	المساحة	النسبة %
أقل من 25	13	92	0,08	543	4573	22,25
25-50	17	628	0,57	101	3337	16,23
50-100	29	2147	1,94	53	3390	16,49
100-200	51	7165	6,46	21	2566	12,48
200-500	93	29819	26,88	12	3571	17,37
500-1000	40	27672	24,94	5	3120	15,18
أكثر من 1000	19	43412	39,13	0	0	0,00
المجموع	262	110935	100,00	735	20557	100,00

المصدر: Perrin, 1960

من خلال الجدول رقم 38 يمكن تكوين فكرة واضحة عن حالة ملكية السكان الأصليين. أظهرت نتائج المسح الزراعي الذي أنشأ سنة 1951، تفوق المساحات الصغيرة (بعضها أقل من 1 هكتار)، بالمقابل يوجد بعض من ممتلكات الأوروبيين تتراوح مساحتها من 100-1000 هكتار، مع الإشارة إلى أنّ الأهالي كانوا يؤجرون أراضيهم للمعمرين. تعددت أنماط ملكية العقار الفلاحي في السرّسو، ويوجد ثلاثة أنواع من الممتلكات الأوروبية حسب الإحصاء الزراعي لسنة 1951، رغم أن هذا الإحصاء ركز على مستغلي العقار الفلاحي وليس مالكيه (Perrin, 1960):

(1) ملكية الاستعمار الخاص، ويقصد بها أراضي الفلاحين الجزائريين التي سيطر عليها المعمرون الأوروبيون بطرق مختلفة كما ذكرنا سابقاً، وقد قدرت بمئات الهكتارات لكل منها (200 هكتار في المتوسط).

(2) مزارع الاستعمار الرّسمي ويقصد بها تلك الأراضي التي استولت عليها الإدارة الاستعمارية على أراضي العرش، المخزن والحبوس، حيث قدرت مساحة القطع بـ 100 هكتار في بداية الاستعمار إلا أنها ارتفعت إلى 200 هكتار في فيكتور هيجو.

(3) أراضي الامتياز المنشأ بالقرب من المراكز العمرانية، مثل فيالار وبورباكي حيث كانت المساحات ضعيفة (25-30 هكتار) أما بهاردي فقد كانت أكبر بقليل قدرت 75 هكتار أو أكثر.

قام المستعمر بتوسيع مساحة ممتلكاته بشراء حوالي 30000 هكتار في الفترة 1919-1920 من دوار بني لنت وبني مايدة (إقليم تيسمسيلت حاليا)، إلا أنّ الأهالي احتفظوا بالملكيات في بعض المناطق في السرسو، فقد أظهر التحقيق العقاري سنة 1944 على أنّ المجتمع المدني في تسلمت يملك أكبر الأملاك على الرغم من توسع ملكية الأوروبيين في مختلف مناطق السرسو.

أدت السياسة الاستعمارية الاستيطانية إلى ظهور طبقتين اجتماعيتين متباينتين، إحداهما تمثل عمال الأرض وهم أبناء الرّيف، والأخرى تمثل أرباب الأرض وهم المعمرون، وعليه أصبح الرّيفيون إما عمالا أجراء في مزارع المعمرين، أو خماسة في أراضي جديدة قليلة العائدات. كما ظهر نظاميين زراعيين، نظام تقليدي يعتمد على المجهود العضلي والوسائل التقليدية، انتاجه موجه للاستهلاك الذاتي، ونظام حديث يعتمد على المكننة ووسائل حديثة ومردوده أوفر.

3.1. تملك العقار الفلاحي بغرض تجميع الأرياف خدمة للاقتصاد الفرنسي

قامت الإدارة الاستعمارية بتقوية أملاك الدولة، بهدف تجميع المنطقة من جهة واستغلال امكانياتها الطبيعية من جهة أخرى، فالعملية التجميعية بالسرسو كما تحدثنا في الفصل السابق انطلقت من إنشاء المحيطات الاستعمارية الثلاثة (تيارت، مهدية وفيالار) ويقصد بالمحيط الاستعماري، حوض التجميع الذي يتكون من مركز وأراضي فلاحية خصبة تحيط به. فتنظيم العقار الزراعي صاحبه تنظيم المجال الريفي الذي كان قائما على وحدات انتاجية (مزارع) ومراكز إسكان (قرى استعمارية).

تنوعت أنماط تملك العقار الذي أقيمت عليها المراكز الاستعمارية (الجدول رقم 39) بين المصادر والحصص¹ وأيضا الشراء والمبادلة. تفوقت نسبة الأراضي ملك الدولة بـ 55%، تليها الأراضي المكتسبة (43.10%)، بينما لم تشارك أراضي الحصر وهي تلك الأراضي التي اقتطعت من القبائل بحجة أنها غير مستغلة إلا بـ 1.5% وكان ذلك في كل من بورباكي وعين دزاريت فقط.

¹ هي تلك الأراضي التي تهدف أساسا إلى خلق الملكية الفردية عن طريق "منح" القبائل "ما يكفيها" من الأراضي الزراعية أي ربطها بالأراضي التي تستغلها عمليا وتغيير نمط حياة الأهالي عن طريق خلق حالة ارتباطات اقتصادية واجتماعية وثقافية بين المسلمين والمستوطنين، بعد إسكان هؤلاء المعمرين في القطع التي سلّخت من أراضي القبائل "باعتبارها فائضا عقاريا".

جدول رقم 39: الطّبيعة العقارية للأراضي التي أنشئت عليها المراكز العمرانية بالسررسو

المساحة الإجمالية (هكتار)	ملكية محصورة	الأراضي المكتسبة				أرض الدولة	تاريخ الإنشاء	المركز	
		عن طريق الشراء		مجانا	عن طريق المبادلة				
		من المسلمين	من الأوروبيين						
3500	-	-	-	2594	906	-	1888	بالا	
2526	-	1337	1189	-	-	-	1890	فيالار	
2980	-	-	-	2980	-	-	1892	تريملي	
4188	336	1678	-	-	-	1352	1894	بورباكي	
4308	-	942	-	-	-	-	1912	بورباكي أ	
8127	-	-	-	-	-	8127	1904	بو غليه بيردو	
1976	-	-	-	-	-	1976	1905	بومال	
2482	-	2482	-	-	-	-	1906	ليبر	
3175	-	196	2979	-	-	-	1906	تان	
9660	-	879	-	-	1277	7504	1906	فيكتور هيجو	
6334	-	1053	2140	-	203	2938	1906	هاردي	
-	461	-	-	-	-	3561	1912	ع. دزاريت	
6205	-	-	-	-	-	2183	1928	ع. دزاريت أ	
-	-	-	-	-	-	1286	1912	فيدارب	
1812	-	-	-	-	-	526	1926	فيدارب أ	
53085	797	8567	6308	5574	2386	29453		المجموع	
100	1.5	22835 هكتار = 43.10 %					55.40 %		النسبة المئوية

المصدر: Perrin, 1960

تميزت الوحدات الانتاجية الخاصة بالمعمرين او المستوطنين بصفة عامة بكبر المساحة وجودة الأرض، بينما تميزت أراضي الأهالي بصغر المساحة وقلة الإنتاج، أما مراكز الإسكان، فقد كانت مخططة مستوحاة من الهندسة المعمارية الغربية التي تعتمد على النمط الشطرنجي، وهو سكن متجمع ومجال يميل إلى الحضرية ومجهز بمختلف التجهيزات والشبكات. بينما نجد أن السكن الموجه للأهالي، معظمه مبعثر، تقليدي، هندسة معمارية محلية، أو الإقامة في الخيام (هي عبارة عن فضاء واحد يتم تقسيمه حسب العادات المحلية إلى: فضاء العائلة (المعرف محليا بالحوانة)، الخالفة (فضاء المرأة المخصص للطبخ والنسيج).

فرض الاستعمار الفرنسي نمط السكن المتجمع في القرى والتجمعات السكنية الحضرية، بينما أوجد بالمزارع بنايات منعزلة أو مبعثرة في المزارع، وهي غالبا مهجورة أو تستغل كمخزن للمواد الفلاحية، لأن أصحابها يمتلكون في الأصل سكنا آخر في المجمعات العمرانية للمشاركة في الحياة الحضرية من جهة وتعليم أبناءهم من جهة أخرى. أما الاستيطان الخاص فقد قام ببناء مزارع مشتتة تقع في وسط ملكية واسعة ذات مردود جيد أكثر من منشآت الدولة إلا أنها تظل محل إقامة أصحابها أو المستأجرين. لذلك كلا النوعين من المساكن سواء مجمعة أو مشتتة تتعايش في السررسو.

أنشأ المستعمر تجزئة الحقائق كألية للتعمير في مختلف الأوساط للجمع بين الفلاحة والسكن، إلا أن اختيار موضع تجزئة الحقائق لم يخضع للعامل الطبوغرافي والزراعي فقط بل تم عن طريق تحديد تركيبة القطع وحجمها من قبل الحكومة العامة بعد استشارة المسؤول الإداري ولجنة المراكز، وفقا للمبادئ التي يحددها الخبير الطبوغرافي في المجال، ونجد عدة أنواع من هذه الحقائق منها المسقية، وأيضا القطع الموجهة لزراعة الكروم، و يكون هذان النوعان بجوار القرية مباشرة أما النوع الثالث فهو التجزئة الموجهة لزراعة الحبوب وتنقسم إلى فئتين لتعويض الاختلافات في قيمة الأرض وبعدها عن القرية لذلك يشمل الامتياز نفسه قطعة أرض صغيرة مزروعة بالقرب من المركز على تربة جيدة النوعية، ومساحة أكبر ذات نوعية رديئة، وإن كان هذا التقسيم يمنح الجميع فرصا متكافئة إلا أنه ينتج عنه تفتيت الأرض وتشتيت أجزاء الامتياز.

نلاحظ من خلال الصورة رقم 31 والتي تمثل تجزئة حقائق بإقليم بوقارة (هاردي) أن هناك تنوعا وتباينا في مساحات القطع وشكلها في الجزء الشمالي حيث يوجد الوديان، فالتقسيم هنا أخذ التضاريس بعين الاعتبار، فظهرت الحدود الطبيعية للقطاعات (أسرة الوديان والتلال)، بينما في جنوب بوقارة تأخذ الحقول أشكالا هندسية كما تتوسط القرية الاستعمارية التجزئة.



الصورة رقم 31: مخطط تجزئة الحقائق بإقليم هاردي (بوقارة)

2. إصلاح البنية العقارية الزراعية بعد الاستقلال (1962-1990)، بغرض إثراء الملكية العامة وتنمية الريف

لم تنتج السياسة العقارية الاستعمارية، إلا نظاما عقاريا غامضا ومضطربا، تحكمه قوانين متضاربة وغير دقيقة. بعد الاستقلال وجدت الدولة الجزائرية نفسها أمام وضع معقد، يستدعي إعادة النظر جذريا في

تنظيم أو هيكله البنية العقارية من جديد. فالاستراتيجية المتبعة منذ الاستقلال، وإلى غاية صدور قانون التوجيه العقاري لسنة 1990، كانت تهدف إلى الحفاظ على القطاع العام، وتقويته بالتملك العمومي، وبعد ذلك توسيعه خاصة في إطار تنفيذ عمليات الثورة الزراعية، وبالموازاة مع ذلك فإن إشكالية الملكية الخاصة كانت منحصرة في حدود دقيقة، بل حتى مهمشة، فالملكية الخاصة في السرسو كانت محدودة بسبب السلب والاستلاء الذي قامت به الإدارة الاستعمارية، وصغيرة الحجم بسبب التقسيم الذي طالها في الفترة الاستعمارية. شهدت السياسة العقارية في الجزائر المستقلة محطات عديدة نحصرها فيما يلي:

1.2 قانون الأملاك الشاغرة، أكسب الدولة رصيذا عقاريا كبيرا

قام الأفراد على إثر خروج الاستعمار، بالاستيلاء على الممتلكات التي خلفها المعمرين من مزارع ومساكن ومختلف وسائل الإنتاج، مما استوجب تدخل الدولة بإصدار نصوص قانونية أضفت الطابع الشرعي والتنظيمي على هذه التجربة، عن طريق تأميم أراضي المعمرين وأراضي الجزائريين الذين كانت لهم مواقف معادية لحرب التحرير الوطني أو للنظام الاشتراكي، وإدراج هذه الأراضي ضمن أملاك الدولة في إطار حماية الأملاك الشاغرة وتسييرها وذلك بصدور القانون رقم 62-20، بعد سنوات صدر القانون رقم 66-102 الذي ينص صراحة على إدماج هذه الأملاك ضمن أملاك الدولة.

سجلت الدولة رصيذا عقاريا كبيرا في السرسو، لأن ملكية الدولة وأيضا المعمرين كانت غالبية في المنطقة.

2.2 التسيير الذاتي، مركزية في التسيير وضعف في الإنتاج

التسيير الذاتي هو العملية التي قامت بها الدولة الجزائرية المستقلة قصد جمع الأراضي الخصبة على شكل مستثمرات فلاحية (كبيرة المساحة، قليلة العدد) بعد هجرة المعمرين للأراضي الزراعية التي طوروها لمصلحتهم الخاصة. فقد نصت الموائيق الثورة التحريرية على ضرورة التعديل الأساسي للبيئة الريفية وتنمية الزراعة بعد وضع العمال الجزائريون أيديهم على المزارع الشاغرة جماعيا، وعليه أصدرت الحكومة مرسوما تنفيذيا في مارس 1963، ينص على تأسيس لجان لتسيير هذه المزارع المهجورة. بلغ عدد المزارع المسيرة ذاتيا في الجزائر حوالي 2000 مزرعة أي ما يعادل 2100000 هكتارا، بعدما كانت موزعة على 22000 مزرعة استيطانية (عبي، 2016).

غلبت الملكية العمومية على مزارع السرسو خلال فترة التسيير الذاتي، وبمساحات كبيرة أيضا تفوق 2500 هكتار في كل مزرعة بلدية الدحموني القديمة¹ (بوقطوفة وبورمل، 1991)

لم يتم التقسيم الذي أجرته الدولة آنذاك على أسس علمية، وهو ما أدى إلى تشكيل مزارع كبيرة يصعب التحكم فيها، خاصة وأن العمال تجمعوا للحصول على أكبر قدر من المساحة الممكنة، وهو ما تسبب في

¹ انقسمت بلدية الدحموني القديمة وانبتقت منها بلدية عين بوشقيف بموجب التقسيم الإداري سنة 1984.

عدم ارتفاع الانتاج والمردود الفلاحي، كما أنّ نقص الامكانيات المادية أدى إلى صعوبة استغلال المساحة الزراعيّة المتاحة، وبالتالي إهمال مساحات كبيرة خاصة البعيدة عن المركز الرئيسي للمزرعة، وهو ما شجع الخواص على الاستلاء على المساحات المهملة التابعة للقطاع العام. لم يكن القطاع مسير من طرف عماله، بل كان يخضع لنظام إداري سلمي (مدير، رئيس).

ركز القائمون على تطبيق نظام التسيير الذاتي على الإنتاج، ولم يولوا أهمية بالغة لتسويق المنتجات، كما أنّ السّلطة شبه المطلقة التي كان يتمتع بها ممثلي الدولة، وحرمان العمّال من المشاركة الايجابية والفعالة بحجة ضعف تكوينهم وقلة تأهيلهم، أدى إلى فشل الإصلاح في تحقيق أهدافه. ومن جهة أخرى فإن غياب طبقة فلاحين منتمية إلى تاريخ عريق، و متمسكة بجذور الأرض، كان عائقا كبيرا من أجل الإصلاح الزراعي عام 1971. كما أن الظروف الاجتماعية التي صاحبت إعادة التوزيع الفردي للأراضي لم تكن منطقية و/أو ذاتية مجففة (بسعود، 2003).

3.2 التّورة الزراعيّة، تحويل جذري للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية

استمرت الدولة في نفس الرّؤية السياسيّة السّابقة التي تهدف لدمج العالم الريفي في عملية التّنمية الوطنيّة، عن طريق التّورة الزراعيّة بهدف إعادة الأرض إلى الفلاحين وتحديث الزراعة على أساس دعامتين: وحدات إنتاجية تمثلت في "الأرض لمن يخدمها" ومراكز إسكان تمثّلت في بناء قرى اشتراكية في بداية السّبعينات.

كانت التّورة الزراعيّة تسعى إلى إحداث تغيير جذري في الأرياف، كونه المجال الأكثر تضررا أثناء الفترة الاستعمارية، وذلك بالقيام بإعادة توزيع الأراضي ووسائل الإنتاج، وتنظيم المزارعين بشكل يسمح بتطوير القطاع، كما سعت أيضا إلى تغيير نظام الملكية العقارية الواسعة، والعمل على إدماج الفلاحين في نشاطات تساهم في تحقيق التّنمية الوطنيّة، والعمل على القضاء على آثار الاستعمار وكل أشكال الاستغلال، وتستغل الأراضي جماعيا أو في شكل تعاونيات يشكلها المستفيدون للحد من تجزئتها لأنّها تضر بالعمل. وينبغي على كل مستفيد أن يعمل شخصا وبشكل مباشر.

كان الهدف الواضح والبيّن للإصلاح الزراعي هو توزيع الأراضي لفائدة الفلاحين بدون أرض، أو لصغار الفلاحين من جهة، ومن جهة أخرى لتغيير شروط الإنتاج، وذلك بإدخال تعديلات على تنظيم العمل وعلى المحيط الفلاحي.

تمّ اعتماد وتشجيع تعاونيات الإنتاج التابعة للتّورة الزراعيّة (CAPRA)، وصاحب هذه السّياسة إنشاء القرى النّموذجية وهي قرى فلاحية مخطّطة ومجهزة بمختلف شروط الحياة، موجهة للفلاحين الذين استفادوا من أراضي الدولة قصد تسهيل إدارتهم، وقد استفاد السّرسو من بناء 12 قرية لهذا الغرض.

منح قانون الثورة الزراعية حق الانتفاع المؤبد للفلاح، بعد انتزاع الأراضي من ملاكها الذين لم يستغلوها أو الفائزة عن الحاجة العائلية. ويمنح حق الانتفاع بموجب عقد إداري على الأراضي الفلاحية المدمجة ضمن صندوق الثورة الزراعية، وهو عقد غير قابل للتنازل للحجز عليه، لكنه يورث للذكور دون الإناث (بن شرطية، 2020).

عرفت مرحلة الثورة الزراعية ازدواجية في نظام الاستغلال عن طريق الاستغلال الذاتي والثورة الزراعية، كون هذا الأخير لم يلغى الأول، وعليه ارتفعت المساحة الزراعية النافعة ببلدية الدحموني القديمة خلال هذا النظام إلى 25500 هكتار تضم القطاعين العام (75,92%) والخاص (24,08%)، بعدما كانت 18531 هكتارا سنة 1966، أي ارتفعت المساحة بـ 6969 هكتارا، بينما احتفظ القطاع الخاص بنفس المساحة (6143 هكتارا) موزعة على 256 مستثمرة صغيرة الحجم (أقل من خمس هكتارات)، يقع معظمها في التلال وعلى سفوح الجبال.

توزعت الأراضي العمومية في بلدية الدحموني القديمة على سبيل المثال لا الحصر على ثلاث قطاعات (التسيير الذاتي، الثورة الزراعية وقطاع قداماء المجاهدين)، فقد ارتفع عدد المزارع بها من 7 سنة 1966 إلى 12 مزرعة في السبعينات، حيث تم تقليص مساحتها بعدما كانت تفوق 2000 هكتارا لكل منها. كما شهدت هذه المرحلة أيضا تأميم أراضي الحبوب وأراضي المتغيبين مما سمح بارتفاع المساحة الزراعية. شغل قطاع الثورة الزراعية بالدحموني أكبر مساحة قدرت بـ 46.28%، يليها قطاع قداماء المجاهدين (28.82%) وأخيرا قطاع التسيير الذاتي (24.85%) (بوقطوفة وبورمل، 1991).

سيطرت زراعة الحبوب على استخدام الأرض الفلاحية بالدحموني القديمة بنسبة تفوق 60% (القطاعين العام والخاص معا)، فقد شهدت في هذه الفترة توسعا على حساب الكروم التي حققت مردودا فلاحيا عاليا سنة 1963 قدر بـ 120 قنطارا في الهكتار الواحد، تليها زراعة الأشجار المثمرة والمتمثلة خاصة في الكروم (22.03%)، رغم تقليص المساحة المزروعة من 8800 هكتار سنة 1963، إلى 6000 هكتار سنة 1973، بينما لا تمثل الخضروات إلا 7.27% والزراعة المروية 3.09% وهي نسبة ضعيفة مقارنة ببقية الأنواع في تلك الفترة (قبل إنجاز سد الدحموني).

اهتمت الدولة في فترة الإصلاح الزراعي بمساهمة الصناعة في تحديث الفلاحة، من خلال المخططات الرباعية والخماسية للتنمية، وقد طرأت تحسينات وتطورات في مجالات التنظيم والإنتاج الفلاحي (بسعود، 2013)، أنجزت بالسرسو قاعدة صناعية مهمة خاصة ببلدتي تيارت وعين بوشقيف من خلال منطقتين صناعيتين أخرى للنشاط الصناعي بتيارت ومهدية. كما اهتمت أيضا بالرّي عن طريق الانجازات الكبرى كالسدود، وعليه استفاد السرسو من إنجاز سد الدحموني سنة 1987 وسد بوقارة سنة 1991.

نتج عن سياسة الثورة الزراعية استمرار المركزية في التسيير وبالتالي استمرار فقر الريف الجزائري فلم يستفد من قانون الثورة الزراعية إلا 8.7% فقط في حين كان متوقعا مليون مستفيد عبر الوطن (هاشمي، 2014).

4.2 إعادة هيكلة القطاع الزراعي بدمج مختلف المزارع الاشتراكية (DAS) في نظام موحد

شهد القطاع الفلاحي في بداية الثمانينات إعادة الهيكلة من أجل انعاشه وإعطاء الأهمية للقطاع الخاص، ولحل المنازعات العقارية التي طرحها النظام السابق والتملك غير الشرعي لمزارع التسيير الذاتي. مست عملية إعادة الهيكلة المزارع الفلاحية التابعة للدولة (مزارع التسيير الذاتي) أصبحت مزارع فلاحية اشتراكية (DAS) وارتفع عددها بسبب إعادة النظر في مساحات المزارع. دعمت هذه الأخيرة بالمختصين في الفلاحة من مهندسين فلاحيين ومسيرين، وانطلقت بها برامج استثمارية. أثمرت هذه العملية بالجزائر، حيث سجل رصيد المزارع الفلاحية زيادة لأول مرة في الموسم الفلاحي 1986-1987 (يسعود، 2013). استفاد السرسو من مجموعة من المزارع الاشتراكية في مختلف بلدياته، بنيت على هيئة قرى صغيرة بالشكل المربع، وطرق متعامدة، بواسطة آلية السكن الريفي المتجمع، وبعض التجهيزات الأساسية وخاصة المسجد، كما استفادت من الربط بالماء الصالح للشرب وتوصيلها بالكهرباء الريفية. استفادت بلدية ملاكو على سبيل المثال من 12 مزرعة اشتراكية، شكلت تعميرا مصغرا حول المجوعة الرئيسية خاصة تلك القريبة منها، منها من نمت وتوسعت وأصبحت مجوعة عمرانية ثانوية.

خلقت سياسة تكثيف الزراعة عن طريق زيادة عدد المزارع وعدد المزارعين فيها أزمة عمل بالمنطقة، فالتنمية الزراعية حتى عام 1984 كانت لفائدة المزارع الكبرى المسيرة ذاتيا حيث تم الاعتماد على الآلات الحديثة في الزراعة. هذا النموذج من التنمية في منطقة ذات إمكانيات زراعية قوية كالسرسو، خلق ندرة بالنسبة لفرص العمل في الأراضي الفلاحية الخاصة ذات المساحات الصغيرة، فالأجيال الجديدة لم يحافظوا على الملكيات الزراعية بل توارثوها، وبالتالي قسمت إلى أجزاء أصغر، كما أن عدم السعي لتحسين أساليب الزراعة وتخصيب التربة، جعل العديد منهم عاطلين عن العمل. فقد قلّت فرص الحصول على عمل بسبب المنافسة على الزراعة في السرسو من طرف بدو الجنوب من قبائل العربة وأولاد نايل من الجلفة والأغواط بعد الاستقلال، فقد قاموا بعرض خبرتهم في العمل الفلاحي وخاصة الرعي، لدى أصحاب الأراضي المسيرة ذاتيا، مما أدى إلى تغيير نمط حياتهم جذريا، فقد انتقلوا من الخيام إلى العيش في غرف صغيرة مستأجرة على مشارف مهدية وتيسمسيلت (DUVIGNEAU, 1986). ومن طرف الوافدين من الشمال من منطقة أقدام الونشريس، فقد انجذبوا لشمال السهل حيث وفرة الأراضي الزراعية الواسعة التي توفر وظيفة دائمة وأجر ثابت. صاحبت أزمة العمل أزمة سكن أيضا، مما أدى إلى تراكم أفراد الأسرة الواحدة خاصة الوافدون الجدد في مستودع أو بطابق علوي، بدون فناء ولا فرن ولا ملحق للماشية، بعيدا عن الأقارب في

مجال غير معروف وبدون عمل قار أيضا. أدت كل هذه الظروف إلى الهجرة نحو مدينة تيارت الغنية بورش البناء والمصانع فانتشرت الأحياء الفوضوية على أطراف المدينة (زعرورة وكرمان).

سياسة تهيئة وتنمية المجال الزراعي لم تكن كافية لتلبية متطلبات السكان لثلاث أسباب:

سياسة القرى الاشتراكية لم تقم ببناء سكنات إضافية، بل استبدلت السكن القديم (الأكواخ) إلى سكن له شكل آخر، حيث أنجزت مساكن جديدة للسكان وطُلب من المستفيدين هدم مساكنهم القديمة، هذا الفعل غير نمط الحياة في الوسط الفلاحي. لم يكن بإمكان هذه القرى آنذاك الاستجابة للطلب المتزايد على السكن تلبية للتزايد الديمغرافي به، لأنها لم تكن قادرة على التوسع لأن الأراضي الموجودة حولها غير قابلة للمصادرة فهي تعاونيات إنتاج الثورة الزراعية (CAPRA).

لم تستفد مجتمعات السرسو إلى غاية 1982 من بناء سكنات حضرية أو شبه حضرية فعلى سبيل المثال لا الحصر في مهدية وخلال عشرون سنة (1962-1982). تضاعف عدد السكان ثلاث مرات، فقد ازداد عدد السكان في كل عشرية حوالي 7000 نسمة، إلا أن انتاج السكن كان ضئيلا، لم تنتج البلدية طول هذه الفترة أكثر من 200 سكن (Divigneau, 1986) منها 30 فيلا موجهة لإسكان الإطارات الإدارية. لم يكن هناك تفكير جدي في توفير الإسكان للوافدين الجدد من المجالات الكبيرة جنوب جبال الونشريس.

ركزت سياسة التنمية الزراعية والتي رصدت لها ميزانية أقل بكثير من تلك الموجهة للتنمية الصناعية، على تحقيق أهداف الإنتاج مع إغفال تحسين ظروف الحياة الاجتماعية لكامل السكان، فقد وجدت مساكن جيدة وتهوية كافية وبالمقابل وجود أكواخ مبنية بالتربة الجافة يقطنها عمال الرعي الموسمي.

5.2 خوصصة ورفع رصيد العقار الزراعي بالسرسو عن طريق الاستصلاح الزراعي

تبنت الجزائر سنة 1983 قانونا خاصا بتملك صغار الفلاحين للعقار الذي يسمح لهم بالاستفادة من ملكية الأرض (APFA). جاء القانون رقم 83-18 الصادر في أوت 1983 لزيادة حجم الأراضي الصالحة للزراعة وبعث التنمية في الأراضي السهبية والصحراوية، عن طريق آلية جديدة تتمثل في استصلاح الأراضي¹، هذا القانون يؤكد على التراجع عن فكرة تأميم الأراضي وتسوية الملكية العقارية العمومية.

يعتبر هذا القانون من أهم النصوص التي دلت على بوادر التوجه الجديد نحو إعطاء الملكية الخاصة مكانا أكبر، وذلك بتوسيعها والتشجيع على اكتسابها على حساب الملكية العامة التي كانت مهيمنة آنذاك، ويكون التنازل عن الأراضي الفلاحية المستصلحة بالدينار الرمزي وهذا ما شجع وحفز أكثر المواطنين على الاستصلاح. يقتصر الحصول على الأرض بموجب هذا القانون على الأراضي التي يتم استصلاحها من طرف الأفراد بأموالهم الخاصة.

¹ الحيازة على الملكية الفلاحية عن طريق الاستصلاح في مدة لا تتجاوز خمس سنوات.

الجدول رقم 40: الاستصلاح الزراعي في السرّسو

البلدية	المحيط	تاريخ الإنشاء	الوضعية		حجم متوسط للمستثمرات (هكتار)
			المساحة (هكتار)	عدد المستثمرات	
الرّشايقة	خارج محيط رجل 1،2	1991	638	104	5
	واد الوحش	1990	600	300	2
	كدية الجراد	1984	332	71	5
	مكمن	1987	261.5	56	5
	خارج محيط كدية الجراد	1984	182	26	10-5
	رجل	1987	150	29	2.5
	رجل	1987	150	29	2.5
	المجموع			2313.5	615

المصدر: OTMANE, 2003

الماء والأرض عاملان مهمان في دراسة الجدوى الاقتصادية عموما وعملية التنمية المحلية بشكل خاص كما يعتبران عنصرا أساسيا في تثبيت السكان، لذلك ارتبط اختيار محيطات الاستصلاح بوجودها. فسهل السرّسو يتميز بوجود ثلاثة أحواض مائية جوفية منها الحوض الجوفي السرّسو (75.3 هم/3 السنة) الذي ساهم في استفادة جنوب السرّسو (الرّشايقة والناظورة) من قانون الاستصلاح.

لا يختلف تكوين الأراضي في بلدية الرّشايقة عن غيره من باقي البلديات السّهبية في الجزائر، معظم أراضيها ذات وجهة رعوية وهي ملك خاص للدولة، يطلق عليها محليا أراضي العرش (الأراضي الجماعية السابقة للقبيلة). (Daoudi et al, 2015).

تم استصلاح ما يفوق 2300 هكتارا بمجموع 615 مستثمرة بين صغيرة ومتوسطة الحجم ببلدية الرّشايقة (الصورة رقم 32)، وهو ما ساهم في ميلاد نمط زراعي جديد مبني على السّقي فقد تغيرت المنطقة جذريا عما كانت عليه قبل التسعينات من القرن الماضي. أصبحت هذه المنطقة قبلة للكثير من المستثمرين الزراعيين ورائدة وطنيا في عدد من المنتجات الزراعية، فقد احتلت المرتبة الأولى في إنتاج البصل بـ 828000 قنطار سنة 2015 (ما يمثل 6,1% من الإنتاج الوطني) (Derderi et al, 2022)

تم تبني سياسة جديدة سنة 1997 تتمثل في الامتياز كأداة للاستصلاح الزراعي بصور المرسوم التنفيذي رقم 97-483 المؤرخ في 17 سبتمبر 1997 المحدد لكيفية منح قطع أراضي من الأملاك الوطنية الخاصة للاستصلاح في المناطق الصحراوية، السّهبية والجبلية، بهدف رفع الرّصيد العقاري بالنسبة للأراضي الصّالحة للزراعة باستقطاب عدد أكبر من المستصلحين من جهة ولضمان استقرار سكان الرّيف بتحسين مستوى معيشتهم وخلق مناصب شغل لهم من جهة أخرى، كما يمكن للدولة ان تساهم في عمليات الاستصلاح

بالتكفل الجزئي أو الكلي بالنفقات المرتبطة بعمليات جلب الماء، التزود بالطاقة الكهربائية وشق الطرقات إلى المساحات المستصلحة!



الصورة رقم 32: محيطات الاستصلاح ببلدية الرشايقه

تمنح الدولة للمستصلح الحيازة على الملكية الفلاحيّة بموجب القانون رقم 83-18، بينما يحصل المستفيد في إطار الامتياز على عقد الامتياز لمدة محددة فقط بالنسبة للأراضي المهيبّة (5-2 هكتارات) والمجهزة بالكامل (تجزئة، بئر عميقة، زراعة فواكه مع نظام سقي محلي في بعض الأحيان)، هذا العقد قابل للتّمديد وقابل للتنازل النهائي في حالة نجاح المستثمرة (Daoudi et al , 2021). صدر في عام 2008 قرار الامتياز باعتباره الشكل الوحيد لتخصيص الأراضي العمومية لأغراض زراعية، التي تمت تهيئتها وتجهيزها من طرف الدولة (مسالك زراعية، كهرباء ريفية، وبعض المرافق العمومية كالآبار العميقة)، لم يعد الامتياز مرحلة انتقالية قبل الحصول على الملكية الكاملة، فقد أصبح منذ 2008 الوسيلة الوحيدة للوصول للملكية العمومية في إطار الاستصلاح. تم إطلاق برنامجين رئيسيين يستهدفان السّهوب والصحراء، مصحوبان بقروض مدعومة سنة 2011 بموجب التعليمات الوزارية المشتركة رقم 108، وفي 2017 بموجب التعليمات الوزارية المشتركة رقم 18-29.

¹ المادة 2 من المرسوم التنفيذي رقم 97-483

جدول رقم 41: الاستصلاح الفلاحي الجديد في إطار الامتياز بسهل السرّسو

المساحة غير الممنوحة (هك)	عدد المستفيدين	المساحة الممنوحة	المساحة الكلية (هك)	المحيط	البلدية
4360	60	4140 هكتار	8000	الرشّة	الرشّاية
			1500	أم الزبوج	

المصدر: مديرية المصالح الفلاحية لولاية تيارت (2021)

استفاد السرّسو من الاستصلاح عن طريق الامتياز ببلدية الرشّاية (الجدول رقم 41)، فتم إنشاء محيطات استصلاح جديدة في إطار المنشور الوزاري المشترك رقم 108 المؤرخ في 23 فبراير 2011 الذي ينص على إنشاء مستثمرات فلاحية ورعوية جديدة، تم منح مساحة تفوق 4100 هكتار بمحيطي الرشّة وأم الزبوج، وهي مساحة قيد التوسع، إلا أن هذه المساحة لم يستفد منها إلا المستثمرون، أغلبيتهم من خارج المنطقة، بينما قوبلت ملفات شباب من البلدية بالرفض، بسبب نقص الملف المقدم أو عدم وضوح مخطط الاستثمار ووزنامة الإنجاز حسب ما صرحت به مصالح الفلاحة لدائرة حمّادية. وهو ما دفع بالسكان المحليين إلى التّعدي على الأراضي العمومية الممنوحة للمستثمرين واشغالها بطريقة فوضوية بحجة أنّهم أولى بالأرض وبمواردها المائية التي أصبحت تتناقص سنويا بسبب فرط الاستخدام من طرف المستثمرين غير المحليين، هذا الرفض لوجود مستثمرين من خارج المنطقة والتعدي المستمر على الأراضي العمومية من طرف السكان المحليين أوقف عملية الاستصلاح الجديدة بالرشّاية، وأحيل الملف للعدالة للفصل فيه.

5.2 المستثمرات الفلاحية (الجماعية والفردية)، مؤشر لانسحاب الدولة من الاشراف المباشر على أملاكها.

أثبتت سياسة التسيير الذاتي والثورة الزراعية محدوديتها في تحقيق الأهداف المرجوة منها، رغم الاعتمادات المالية المخصصة لقطاع الفلاحة، وعليه جاءت سياسة خوصصة القطاع الفلاحي ضمن الإصلاحات التي قامت بها الدولة الجزائرية إثر الانتقال من الاقتصاد الموجه إلى الاقتصاد الحر.

شهدت نهاية الثمانينات صدور القانون رقم 87-19 المتضمن ضبط كيفية استغلال الأراضي الفلاحية التابعة للأموال الوطنية وتحديد حقوق المنتجين وواجباتهم، ويرمي إلى إحداث تغيير جذري على المستوى البنوي للقطاع الفلاحي، بواسطة إنشاء نظام المستثمرات الفلاحية الفردية والجماعية كنمط جديد لتسيير واستغلال الأراضي الفلاحية التابعة للأموال الوطنية الخاصة، عن طريق تجزئة المجالات الفلاحية الاشتراكية (DAS) وتقسيم أراضيها بين مجموعات صغيرة من إجراء القطاع القدامى، وهو ما أعطى ميلاد مستثمرات فلاحية جماعية وفردية. وبذلك أسهم هذا القانون في توسيع دائرة الملكية الخاصة وفق صيغة جديدة عن طريق الانتفاع الدائم الذي يشكل نمطا مستحدثا للملكية. (بربارة، 2019).

يمنح المستغل بموجب القانون رقم 87-19 حق الانتفاع الدائم بمقابل للأرض الفلاحيّة التابعة للأمالك الخاصة للدولة بمقتضى عقد اداري مستقل ومسجل ومشهر بالمحافظة العقارية، يورث وينتقل للذكور والإناث، وقابل للتنازل والحجز حيث يمنح هذا نظام للفلاح حق الانتفاع الدائم القابل للتنازل لمدة 99 سنة. واستمر العمل بعقد الانتفاع الدائم إلى غاية 2010، أين تمّ التخلي عن تأييد العقد واستبدله بالانتفاع المؤقت. فتحت هذه الهيكله أفق حوصصة الأراضي الفلاحية، فارتفع عدد المستثمرات الفلاحية بنوعيتها الفردية والجماعية سنة 1987 مقارنة بعدد المزارع الاشتراكية، نظرا لتقليص المساحة وتوزيعها على مستغلين غيروا من الوضعية العقارية بتقسيمها بينهم بدون عقود، ومشاركة أصحاب رؤوس المال، ومنهم من باع استغلاله للأرض أو أحال استغلالها للأبناء، وتخلت نسبة منهم عن الأرض كلية تاركة إياها بدون استغلال، هذه الوضعيات خلقت مشاكلًا ومنازعات ولم تستطع الدولة أن تتحكم فيها، وهو ما انعكس سلبيا على الإنتاج. بعد مرور أقل من سنتين على إعادة تنظيم المستثمرات الفلاحية في إطار الانتفاع الدائم، تغير التوجه السياسي والاقتصادي للدولة، من نظام اشتراكي يعتمد ترجيح الملكية العامّة، إلى نظام ليبرالي يدعم الملكية الخاصة ويحميها لأجل خلق الثروة، وصدر قانون التوجيه العقاري رقم 90-25 المؤرخ في 18 ماي 1990 الذي ألغى قانون الثورة الزراعيّة وأعاد الأراضي المؤمّمة لملاكها الأصليين، وقد جاء أيضا من أجل حل الاشكاليات والمنازعات التي حدثت بسبب القانون رقم 87-19.

3. الإصلاح الفلاحي بعد سنة 2000

عرف القطاع الفلاحي في الجزائر منذ بداية الألفية الثالثة جملة من الإصلاحات الجذرية واسعة النطاق لم يشهدها منذ الاستقلال، سواء ما تعلق بالموارد البشرية أو الوسائل المادية والمالية، كان ذلك تحت عناوين مختلفة: المخطط الوطني للتنمية الفلاحية والريفية (2000-2004) الذي يهدف إلى خلق الشروط التقنية، الاقتصادية والتنظيمية لجعل قطاع الفلاحة يلعب دورا ديناميكيًا أكثر في تحقيق التنمية الاقتصادية، سياسة التجديد الفلاحي والريفي (2008-2014) الذي من بين أهدافه تعزيز الأمن الغذائي على المستوى الوطني والذي يمر حتما من خلال البحث ضمن المدى المتوسط على إحداث تغييرات كبيرة وهيكله من شأنها تعزيز الأمن الغذائي، كما تبنت الجزائر برامج أخرى للتشجير وإعادة الاعتبار للأراضي الفلاحية عن طريق نظام الامتياز، وخطط مستقبلية أخرى مخطط عمل الفلاحة 2019 والذي جاء استجابة للتحدي المرفوع وهو تحقيق الأمن الغذائي في ظل نموذج النمو الجديد (جعفري، 2018).

1.3 المخطط الوطني للتنمية الفلاحية (PNDA) 2010-2000

أنشئ الصندوق الوطني للضبط والتنمية الفلاحية بموجب قانون المالية لسنة 2000 وهو يدعم الاستثمارات في إطار تطوير الفروع وحماية مداخل الفلاحين وتمويل الأنشطة ذات الأولوية للدولة.

نفذت الدولة المخطط (PNDA) انطلاقاً من عام 2000، بغرض تحسين الأمن الغذائي في البلاد، وتطوير فرص العمل وزيادة الدخل في المناطق الريفية، إلا أنه تم توسيع هذا البرنامج بعد عامين من اعتماده. ففي سنة 2002 أصبح يسمّى المخطط الوطني للتنمية الزراعيّة والريفية (PNDAR). تمّ وفي هذا الإطار وضع المخطط الجوّاري للتنمية الريفية المدمجة (PPDRI)، يعنى إضافة إلى كل ما تعلق بالزراعة بمجالات الصحة والتعليم وتطوير البنية التحتية في الأوساط الريفية. كما عرفت هذه المرحلة تنفيذ البرنامج الوطني للتشجير، الذي شمل إعادة تشكيل الغابات والمحافظة على الأحواض المنحدرة للسدود، ثمّ أعيد توجيه البرنامج بإعطاء الأولوية للتشجير المفيد والاقتصادي بمختلف أصناف الأشجار المثمرة الملائمة (الزيتون، التين، اللوز، الفستق) من أجل حماية متجانسة للتربة من التقلبات المناخية والصقيع، وضمان مداخل دائمة للفلاحين من خلال استغلال المناطق الغابية (عيّاش، 2011).

جدول رقم 42: المشاريع الفلاحيّة في إطار المخطط الوطني للتنمية الفلاحيّة دائرة الدّحموني

الشّعبة	بلدية الدّحموني		بلدية عين بوشقيف		مجموع الدائرة	
	عدد الملفات	مشاريع منتهية	ملغاة	عدد الملفات	مشاريع منتهية	ملغاة
الزيتون	4	4	0	3	1	2
تهيئة	3	3	0	8	6	2
السقي	7	4	3	1	1	0
عتاد	14	14	0	8	7	1
تربية النحل	0	0	0	2	0	2
المجموع	28	25	3	22	15	7

المصدر: مصالحة الفلاحة لدائرة الدّحموني، 2021

جدول رقم 43: الاستفادة من المخطط الوطني للتنمية الفلاحيّة

طبيعة الاستفادة	مستثمرات فلاحية		
	جماعية	فردية	خاصة
استصلاح	1	1	2
حوض ماء	1		2
ري			3
سكن ريفي		2	2
عتاد فلاح			4
التشجير	1	3	7
غرس أشجار الزيتون			2
مصدات رياح	5	3	11
المجموع	8	9	33

المصدر: تحقيق ميداني، 2021

2.3 قانون التّوجيه الفلاحي، سياسة للتّجديد الفلاحي والريفي:

أصدر المشرع الجزائري سنة 2008 قانون التّوجيه الفلاحي رقم 08-16 المؤرخ في 03 أوت 2008، يهدف إلى تحقيق التنمية المستدامة للفلاحة على الخصوص والعالم الريفي عموماً.

تضمن القانون أدوات التوجيه الفلاحي المتمثلة في مخططات التوجيه الفلاحي، مخططات وبرامج التنمية الفلاحية والريفية¹ وأدوات تأطير العقار الفلاحي. كما تضمن وأحكاما تخص العقار الفلاحي عموماً، حيث تهدف هذه الأحكام إلى تحديد نمط استغلال الأراضي التي تم استصلاحها من قبل الدولة، حتى تترك الدولة لنفسها قدرات التدخل للحفاظ على هذا المورد، كما تهدف هذه الأحكام إلى تحسين بنية المستثمرات الفلاحية عن طريق إنشاء ملكيات فلاحية منسجمة وقابلة للاستثمار، على شكل تجميعي بحيث تسمح بإلغاء تجزئة الأراضي الفلاحية التي يصعب استغلالها استغلالاً رشيداً بسبب تشتت القطع².

تبع إصدار هذا القانون تبني الدولة لسياسة التّجديد الفلاحي والريفي، هذه السياسة التي تؤكد مسار الدولة منذ الاستقلال في تحقيق هدف أساسي المتمثل في الدعم الدائم للأمن الغذائي الوطني، مع التشديد على ضرورة تحويل الفلاحة إلى محرك حقيقي للنمو الاقتصادي الشامل.

تزامنت سياسة التّجديد الفلاحي والريفي مع نهاية البرنامج التكميلي لدعم النمو (2005-2009) الذي يعتبر إمداد لبرنامج الانعاش الاقتصادي (2001-2004) وبداية البرنامج الخماسي (2010-2014)، حيث بلغ نصيب القطاع الفلاحي من هذين البرنامجين 300-1000 مليار دينار جزائري (جعفري والعجال، 2018). تركز سياسة التّجديد الفلاحي والريفي على ثلاث توجهات أساسية:

1. يسعى التّجديد الريفي إلى تحسين مستوى معيشة السكان الريفيين، مع تنويع النشاطات الاقتصادية في الوسط الريفي، لتحسين المداخل من جهة والحفاظ على الموارد الطبيعية وتنميتها التراث الريفي من جهة أخرى، وفي هذا الصدد تبنت الدولة كحل مسبق سياسة القضاء على السكن الهش التي جاءت بها الحكومة في مطلع سنة 2007، لكن ما حصل فعلاً هو التركيز على المناطق الحضرية أكثر من الأوساط الريفية خلال الإحصاء وأثناء تجسيد برامج إعادة الإسكان، كما اهتمت الدولة أيضاً بقطاع السكن في الأوساط الريفية من خلال البرامج السكنية بصيغتي المبعثر والمتجمع، كما شهدت الأوساط الريفية أيضاً برامج التحسين الحضري المسندة لمديرية البناء والتعمير، حيث تشمل التهيئة الخارجية (طرق وأرصفة)، الإنارة العمومية، شبكاتي الصرف الصحي والماء الصالح للشرب وأيضاً المساحات الخضراء)، ومشاريع التهيئة الحضرية في إطار التنمية المحلية المسندة للبلديات، دون أن ننسى المشاريع الجوارية للتنمية الريفية المدمجة المسندة لمحافظة الغابات والمتمثلة في مشاريع فتح المسالك الريفية، إيصال الكهرباء، حماية المناطق الريفية والفلاحية من الفيضانات بتصحيح مسالك السيول.

¹ المادة 7 من القانون رقم 16-08 (الجريدة الرسمية العدد 46).

² المادة 24 من القانون 16-08

2. يُعنى التّجديد الفلّاحي بالقطاع الفلّاحي وضمان مردوبيته لتحقيق الأمن الغذائي مع التّركيز على المنتجات ذات الاستهلاك الواسع (القمح اللين والصلب، البقول الجافة والبطاطس). اهتمت مشاريع التّنمية في إطار التّجديد الفلّاحي بتعبئة الموارد المائية وكل ما يخص السّقي (إنجاز السّدود والحوازر المائية، المشاريع التّنموية والإعانة من أجل حفر الآبار والآبار العميقة وبناء الأحواض وإنجاز شبكات التّقطير من خلال الصّندوق الوطني للتّنمية الرّيفية. كما ساهمت المشاريع الجوارية في دعم شعبة تربية الحيوانات، غرس الأشجار المثمرة ونباتات الصّبار وإنجاز مصدات الرّياح.
3. تقوية القدرات البشرية والمساعدة التّقنية، بالقيام على عصرنه مناهج إدارة الفلاحة وتعزيز البحث والتّكوين والإرشاد الفلّاحي.

جدول رقم 44: المشاريع الجوارية للتّنمية الرّيفية المدمجة بالسررسو

البلدية	الموقع	طبيعة النّشاط	الكمية	الوحدة
الرّشايقة	طرف الرّيح	توريد الطّاقة الكهربائيّة باستخدام الطّاقة الشّمسية	30	وحدة
بوقارة	الحوال	تهيئة مسالك ريفية	3,5	كلم
	العوالم (السررسو)	تهيئة مسالك ريفية	6	كلم
	السررسو	تهيئة مسالك ريفية	5,5	كلم
خميسي	عين قرقور، عين تحضريت، كاف محمد	توريد الطّاقة الكهربائيّة أو شراء مجموعات أو معدات توليد باستخدام الطّاقة الشّمسية	3	وحدة
العيون	عين الشّوقف	توريد الطّاقة الكهربائيّة أو شراء مجموعات أو معدات توليد باستخدام الطّاقة الشّمسية	3	وحدة
	أولاد بوسعدي	تجهيز نقاط المياه الرّعوية بالطّاقة الشّمسية	1	وحدة

المصدر: محافظة الغابات لولاية تيارت (الفترة 2009-2014)

استفاد السّررسو من المشاريع الجوارية التّنمية الرّيفية المدمجة، تركزت بالمناطق الرّيفية وخاصة المعزولة لفك عزلتها من جهة وادماج سكانها في التّنمية بفتح المسالك لتسهيل عملية التّنقل بغرض تسويق المنتجات الفلّاحية كما استفادت منطقة طرف الرّيح ببلدية الرّشايقة بالتّزود بالطّاقة الكهربائيّة عن طريق استخدام الطّاقة الشّمسية. لكنّ نتائج هذه المشاريع لم تكن بالحجم المتوقع، نظرا لبساطتها فهي لم ترقى لإخراج المناطق المهمّشة من عزلتها. واستفاد دوار العوامر من حفر بئر وتجهيزه بالطّاقة الشّمسية في نفس الإطار لكن إنجازها جاء متأخرا إلى غاية 2022 (الصورة رقم 33)



الصورة رقم 33: حفر بئر وتجهيزه بالطاقة الشمسية بدوار العوامر بلدية الدّحموني (2022)

جدول رقم 45: البرامج الجوارية للتنمية الريّفية المدمجة (حصّة تربية المواشي)

البلدية	الموقع	طبيعة النشاط	الكمية
الدّحموني	أولاد بوغودو والمعابيزية	وحدة صغيرة لتربية أبقار	7
السّبعين	رأس السّبعين	وحدة صغيرة لتربية أبقار	4
النّاطورة	رق الجلال والفرعة (قوجيلة)	وحدة صغيرة لتربية الماعز	5
السّبعين	رأس السّبعين	وحدة صغيرة لتربية الماعز	3
خميستي	كاف محمود، عين قرقور، عين تحدرت، عسافرية، عين السدرة، لمهل، أولاد يوجمعة	وحدات تربية المواشي	70
		غرس الحدود الظليلة للمواشي	3 هكتار
العيون	عبادية + عين عباد + مغيلة + عين شقوق + بدرنة	وحدة تربية النحل	9
		وحدة تربية الأبقار	30
		وحدات تربية المواشي	70
أولاد بسّام	سيدي عبد الرحمن، الطرابجة، يزرو، أولاد بن دحمان	غرس الحدود الظليلة للمواشي	8 هكتار
		وحدة تربية الأبقار	10
		وحدة لتربية النحل	23
	الطرابجة، سيدي عبد الرحمن، يزرو	وحدات تربية المواشي	48
تيسمليت	خضورات + أولاد خروف + ولد بن خليفة والعطاف + أولاد سيدي محمد بن علي + أولاد يوسف + بني مائدة + تحضريت	وحدة تربية الأبقار	51
		وحدة تربية النحل	76

		عين فرجة + اولاد مسعود + عين قرقور + خانق نهار + كاف محمود، الشلاغمه، عين تكريه، عين الكحلة والضايه
70	وحدات تربية المواشي	الكبايه، عين الصفا، اولاد يوسف، العطاف، وزينه، وطواط، عين العنب وحواط الويزه، بومنفوش وعين الصفا
3 هكتار	غرس الحدود الظليلة للمواشي	عين العنب

المصدر: محافظة الغابات لولايتي تيارت وتيسمسيلت (الفترة 2009-2014)

لتحسين مردود القطاع استفادت منطقة السرّسو من انشاء وحدات لتربية الحيوانات وخاصة الأبقار (102 وحدة أغلبها ببلدية تيسمسيلت والعيون) والماعز اختصت به جنوب السرّسو لكن بعدد ضئيل، أما تربية النحل فقد تركزت شمال السرّسو وخاصة بالمناطق الريفية الواقعة عند أقدم الونشريس بمجموع 108 منحلة. على الرغم من هذه الوحدات صغيرة، إلا أنها ساهمت في تشغيل نسبة من سكان المنطقة المبعثرة ودعمت النشاطات الفلاحة بها، ولاسيما بسرّسو تيسمسيلت، حيث استفادت البلديات الأربعة من مشاريع كثيرة من حيث العدد تفوق بكثير تلك التي استفادت منها بلديات تيارت (الجدول 45)، هذا التفاوت يرجع إلى أنّ التنمية في الجزائر تعتمد على الوحدات الإدارية التي غالبا ما تفتقد للانسجام المجالي. لا يمكن لهذه المشاريع الصغيرة أن تحدث التنمية في المنطقة، لأنها نقطية من جهة ومحدودة التأثير من جهة أخرى، كما أنّ إنجازها كان متواترا وتتقاسمه عدة مجالات.

جدول رقم 46: المشاريع الجوارية للتنمية الريفية المدمجة (تحسين مردود القطاع الفلاحي)

البلدية	الموقع	طبيعة النشاط	الوحدة	الكمية
الرّشايقة	أم الرّيوح (المكمن)	زراعة رعوية	هكتار	150
	سدارة	انشاء مصدات رياح	كلم	20
	سي دحلب ورشا الطّرف	غرس أشجار مثمرة	هكتار	37
	المشتي والخابشة	غرس أشجار مثمرة	هكتار	30
	واد الوحش	غرس أشجار مثمرة	هكتار	20
	أم الرّيوح (المكمن)	غرس أشجار مثمرة	هكتار	85
	رشة طرف الشّيح-سدارة-مشتي-الخابشة-سي دحلب-نواربي-سي الحواس-سي نايلي	غرس أشجار مثمرة	هكتار	35
	رشة-المكمن-نايلي وسي دحلب	انشاء مصدات رياح	كلم	20
	المركونة	انشاء مصدات رياح	كلم	20
	الخابشة والبسباسة	انشاء مصدات رياح	كلم	20
الناظورة	رق الجلال والفرعة (قوجيلة)	التّقاط وتهيئة المنابع	وحدة	1
	المركونة	أشغال المحافظة على الماء والتّربة	3م	2000
	لبسم-الحمام-بسباسة-جلال-الفرعة-الرق-	غرس أشجار مثمرة	هكتار	50
	لبسم الحمام	غرس أشجار مثمرة	هكتار	25
	المركونة	غرس أشجار مثمرة	هكتار	25
	عين الشّقيقة	أشغال المحافظة على الماء والتّربة	3م	980
عين دزاريت	لكحل بن عيسى (أولاد بوغدو)	الزّراعة عالية السّاق	كلم	10

30	هكتار	غرس أشجار مثمرة	لكحل بن عيسى (أولاد بوغدو)	الدّموني	
30	هكتار	تحسين الأراضي	لكحل بن عيسى (أولاد بوغدو)		
2 000	3م	تصحيح المجاري (بناء عتبة)	لكحل بن عيسى (أولاد بوغدو)		
15	هكتار	غرس أشجار مثمرة	أولاد بوغدو		
25	هكتار	تحسين الأراضي	أولاد بوغدو		
10	هكتار	غرس أشجار مثمرة	الزّاوية		
25	هكتار	تحسين الأراضي	الزّاوية		
15	هكتار	غرس أشجار مثمرة	دوار الخربة		
15	هكتار	غرس أشجار مثمرة	الشّريطة-الخربة		
100	هكتار	غرس أشجار مثمرة	أولاد بوغدو-كاف مزاب-زاوية-الشّطية-سايح		
50	هكتار	غرس أشجار مثمرة	الشّريطة-الخربة		
10	هكتار	غرس الصّبار	لكحل بن عيسى (أولاد بوغدو)		
20	هكتار	غرس أشجار مثمرة	أولاد بن عدة		السّبعين
25	هكتار	تحسين الأراضي	أولاد بن عدة		
15	هكتار	غرس أشجار مثمرة	تسلمت		
25	هكتار	تحسين الأراضي	تسلمت		
1 500	3م	تصحيح مسار السيول (بناء عتبة)	تسلمت		
100	هكتار	غرس أشجار مثمرة	أولاد بن عدة-تسلمت-نواورة		
30	هكتار	تحسين الأراضي	السّبعين		
20	هكتار	غرس أشجار مثمرة	السّبعين		
1	وحدة	التّقاط وتهئية المنابع	راس السّبعين		
10	هكتار	غرس أشجار مثمرة	الحوال		
25	هكتار	غرس أشجار مثمرة	الحوال-السرّسو-الغوالم-المهرزة		
10	كلم	انشاء مصدات رياح	الحوال-السرّسو والغوالم		
25	هكتار	تحسين الأراضي	الغوالم (السرّسو)		
1000	3م	تصحيح المجاري (بناء عتبة)	الحوال	بوقارة	
25	هكتار	تحسين الأراضي	الحوال		
1	وحدة	إنجاز أحواض	الحوال		
10	هكتار	غرس أشجار مثمرة	الغوالم (السرّسو)		
170	هكتار	تحسين الأراضي	لكحل، الزرققة، بني نواري		
3	وحدة	التّقاط وتهئية المنابع	لمهل، سيدي بلعون، دوي حسني، الزرققة		
100	هكتار	غراسه غابية	الزرققة، دوي حسني، بنواري، بدارنة، عين شقوف، لكحل لزرقة		
5	هكتار	غرس الصبار	دوي حسني		
35	هكتار	غرس الكلا	بدارنة		
250	هكتار	غرس أشجار مثمرة	دوي حسني، عين الشقوف، لكحل، الزرققة، بنواري، الزرققة، بنواري		العيون
750	هكتار	زراعة رعوية	لكحل ودوي حسني، العبادلة، عين عباد، مغيلة، عين الشقوف، البدارنة1، البدارنة 2، ديالم، مغيلة، زياد، العيون		
108	متر طولي	انجاز آبار	، لكحل، الزرققة، عين الشقوف		
1	وحدة	بناء حجرة لبئر عميقة	أولاد بوسعدي		
1 000	3م	انجاز جدار حجري	الزرققة		

191	وحدة	انشاء نقاط مياه للرعي، التقاط وتهيئة المنايع	، أولاد بوسعدي، بدارنة، عين الشقوف، الزرقة، دوي حسني	خميسي
1	وحدة	إنجاز أحواض (الرعي)	أولاد بوسعدي	
200	هكتار	التشجير	الزرقة	
6 200	3م	أشغال المحافظة على الماء والتربة	عين الشقوف، عبادية، عين عباد، المغيلة، عين الشقوف، مغيلة، الديالم، العيون، عين عباد، أولاد بوسعدي	
240	هكتار	تحسين الأراضي	عين قرقور، عسافرية، لمهل، أولاد بوجمعة،	
3	وحدة	التقاط وتهيئة المنايع	عين قرقور، عين الكحلة، أولاد بوجمعة، كاف محمد	
3 000	3م	تصحيح المجاري (بناء عتبة)	عين قرقور، عين الكحلة، الوطاط، لمهل، أولاد بوجمعة، عين تحضريت، عين قرقور،	
52	متر طولي	حفر آبار	عين قرقور، عسافرية، أولاد بوجمعة	
4	هكتار	غراسة الصبار	أولاد بوجمعة	
10	هكتار	غراسة الكلا	عين تحضريت	
240	هكتار	غرس أشجار مثمرة	أولاد يوسف خضورات، بومنقوش، الضابية، عين قرقور، عين الكحلة، عين تحضريت، كاف محمد، الشلاغمة، العسافرية	
125	هكتار	زراعة رعوية	عين قرقور، عين تحضريت	
72	متر طولي	انجاز نقاط مياه للرعي آبار	عين تحضريت، عين السدرة	
1 000	3م	انجاز جدار حجري	أولاد بوجمعة	
100	هكتار	إعادة تشجير	لمهل، كاف محمد، العسافرية	
2 250	3م	أشغال المحافظة على الماء والتربة	عين تحضريت، عين السدرة	
150	هكتار	تحسين الأراضي	طرابجة، طرابجة يزرو	
2	وحدة	التقاط وتهيئة المنايع	سيدي عبد الرحمن، طرابجة	
1 820	3م	تصحيح المجاري (بناء عتبة)	طرابجة، طرابجة يزرو، سيدي عبد الرحمن	
10	هكتار	غراسة كلاً	سيدي عبد الرحمن	
304	هكتار	غرس أشجار مثمرة	سيدي عبد الرحمن، طرابجة، أولاد دحمان، يزرو	
200	هكتار	زراعة رعوية	سيدي عبد الرحمن	
36	متر طولي	انجاز نقاط ماء للرعي آبار	سيدي عبد الرحمن، طرابجة، يزرو	
500	3م	انجاز جداري حجري	سيدي عبد الرحمن	
2	وحدة	انجاز آبار	سيدي عبد الرحمن	
100	هكتار	تشجير	طرابجة	
2 300	3م	أشغال حماية التربة والماء	طرابجة، سيدي عبد الرحمن	
240	هكتار	تحسين الأراضي	كبابة، عين الصفا، الوطاط، الحوايط الويزة، بومنقوش، عين الصفا	
2	وحدة	التقاط وتهيئة المنايع	كبابة، عين الصفا، الوطاط، الحوايط الويزة، بومنقوش، عين الصفا	
2373	3م	تصحيح المجاري (بناء عتبة)	بومنقوش، عين الصفا، الوطاط والويزة، أولاد يوسف، الكبابة	
95	متر طولي	حفر آبار	الكبابة، عين الصفا، الوزينة، الوطاط، بومنقوش	
10	هكتار	غرس الصبار	الكبابة، الوطاط والوزينة	
				تيسمسيلت

عين العنب	غراسه كلاً	هكتار	15
خضورات + ولد خروف + ولد بن خليفة ولطاف + ولد سيدي محمد بن علي + ولد يوسف + بني مائدة + تحضريت + عين فرادة + ولد مسعود + عين قرقور + خانق نهار + كافي الكحلة والضاية، الوطواط، بومنقوش، عين الصفا، الكبابية، أولاد يوسف، العطاف	غرس أشجار مثمرة	هكتار	270
عين الصفا	زراعة رعوية	هكتار	25
أولاد يوسف	انجاز نقاط ماء للرعي، أبار	متر طولي	72
العطاف، عين تحضريت	انجاز نقاط ماء للرعي: التقاط وتهيئة عيون	وحدة	2
العطاف، الوزينة، بومنقوش وعين الصفا	تشجير	هكتار	200
أولاد يوسف، العطاف، الوطواط، عين العنب	أشغال المحافظة على الماء والتربة	3م	3 700

المصدر: محافظة الغابات لولايتي تيارت وتيسمسيلت (2009-2014)

استفادت أغلبية بلديات سرسو تيارت من المشاريع الجوارية التي تخدم التجديد الريفي، بينما استفادت كل بلديات سرسو تيسمسيلت من تلك المشاريع، وقد تنوعت طبيعة الأنشطة المنجزة وخاصة غرس الأشجار المثمرة (2216 هكتارا) وحفر الآبار، وإنشاء مصدات الرياح لحماية الأراضي الفلاحيّة خاصة جنوب السرسو (الرشايقة والنّاطورة لأنها مناطق رعوية جافة). كما استفادت بلديات السبعين، بوقارة والدحموني وبلديات تيسمسيلت من مشاريع تحسين الأراضي (985 هكتار). استفادت المنطقة أيضا من غرس الصّبار في مختلف مناطقها لأنه محصول يتحمل الجفاف ويستخدم كمصدر غذائي تكميلي بالنسبة للماشية، فهو علف تكميلي، يساعد على التقليل من تكاليف العلف بالنسبة لصغار المزارعين. ويتطلب كميات أقل من المياه مقارنة بأنواع النباتات الأخرى. ونظرا لخصوصية المنطقة الفلاحية، فقد روعي في المشاريع الجوارية تربية المواشي والاستفادة من أصوافها، فأُنجزت وحدتين لصناعة السّجاد واحدة بمنطقة سلمانة ببلدية العيون، دعمت بوحدة لجز وجمع الصوف، وأخرى بالمنطقة الريفيّة سيدي عبد الرحمن والطرابجة ببلدية أولاد بسام. لكن الملاحظ أنّه لا يوجد انسجام أو تكامل بين المشاريع التنموية المنجزة في السرسو على مستوى مناطقه كونها تنتمي إلى ولايتين مختلفتين، وعملية التنمية تتم على مستوى الوحدات الإدارية ولا يؤخذ العامل الوظيفي بعين الاعتبار، كما أنّ المشاريع المنجزة لا تعكس خطة واضحة تهدف إلى حل إشكالية ما على مستوى سهل السرسو، لذلك جاءت المشاريع بشكل مبعثر وغير متكامل بين سرسو تيارت وتيسمسيلت.

تمثلت الأهداف الاستراتيجية لسياسة التجديد الفلاحي والريفي في: تأمين المستفيدين فيما يخص العقار (قانون الامتياز)، مواصلة التدعيم المالي في سبيل التجديد عن طريق القروض (كقروض الرقيق، التّحدي وLeasing)، دعم الاستثمار العمومي في مجال الموارد المائية لتطوير الفلاحة (حفر الآبار، بناء السّدود والحوجز المائية) وتعبئة قطاع الصناعة لمراقبة التجديد الفلاحي.

يستفيد من برامج الدّعم الفلّاحي، كل فلاح تتوفر فيه الشّروط (أرض فلاحية مهما كانت طبيعتها القانونية وبطاقة فلاح)، يختص الدّعم الفلّاحي التّحدي¹ في تقديم قروض من طرف بنك الفلاحة والتّنمية الريّفية بدون فوائد، من أجل التّجهيز مقابل رهن الأرض ويتم استرجاعها بعد مرور خمس سنوات. دعم العتاد الفلّاحي (Leasing) يتعلّق بمساحة الأرض الزراعيّة، فيمنح العتاد تبعاً للمساحة، على سبيل المثال لا يمكن الاستفادة من جرار ولوآحقه ان لم تكن مساحة الأرض الفلّاحية 20 هكتارا كحد أدنى، بينما عتاد الحصاد فيشترط أن تساوي أو تفوق مساحة الأرض 100 هكتار.

جدول رقم 47: برامج الدّعم الفلّاحي بالسرّسو (دائرة مهديّة)

المجموع	عدد المستفيدين						البرنامج
	2020	2019	2018	2017	2016	2015	
85	5	16	4	5	23	32	دعم العتاد الفلّاحي (Leasing)
196	66	74	18	13	9	16	التّحدي
610	183	194	-	-	-	233	الرّفيق
49	4	-	-	14	5	26	السّقي الفلّاحي
16	16	-	-	-	-	-	انتاج الحليب
31	-	-	-	-	-	31	المسالك الريّفية (كلم)
31	274	284	22	32	37	338	المجموع

المصدر: القسم الإقليمي للفلاحة بدائرة مهديّة

استفادت كل بلديات السّرسو من برامج الدّعم الفلّاحي وخاصة سنة 2015، لتتخفّف بعد ذلك إلى غاية 2019 أين شهدت الانتعاش من جديد، شكل دعم الرّفيق (RFIG)² (نظام ائتمان بدون فوائد) أعلى نسبة من حيث المستفيدين.

بالنسبة للبرامج التّنموية في إطار الرّي الفلّاحي فقد استفادت المنطقة من العديد منها كإنجاز الآبار العميقة (150 م) بمنطقة قردن ببلدية السّبعين وأخرى بمنطقة بسباسة ببلدية النّاطورة، إضافة إلى مشاريع تجهيز الآبار وإنجاز مخابئها. استفادت المناطق الريّفية في السّرسو من التّوطن الصّناعي منها ما يتلاءم مع طبيعة المنطقة ومنها ما هو منافي لطبيعتها الزراعيّة مثل تركيب السيّارات والمؤسسة الوطنيّة للسّباكة، إلا أنّ ديناميكيته الزراعيّة شجعت الاستثمار به خاصة في الصّناعة الغذائيّة، وخاصة شعبة الحليب بقرية سيدي منصور جنوب مجمعة خميستي، حيث استفادت هذه القرية من منطقة نشاطات توطنت بها وحدتين لإنتاج

¹ يعد برنامج التّحدي قرض استثماري مدعم بمنح لإنشاء المستثمرات الفلاحية الجديدة وتربية المواشي، سواء تلك المستثمرات الفلاحية المملوكة للخواص أو تلك التّابعة لأملاك الدولة، يوجه قرض التّحدي إلى جميع المشاريع الموافقة عليها في إطار برنامج الاستصلاح من طرف الهيئات المختصة لوزارة الفلاحة لاسيما الذبوان الوطني للأراضي الفلاحية. تتراوح مدة القرض من سبع سنوات إلى غاية 15 سنة حسب نوع القرض. وهو برنامج استثمار مدعم لتطوير القطاع الفلّاحي الوطني

² قرض استغلال مدعم من قبل الدولة، قصير المدى تتراوح مدته ما بين سنة وستين، خال من جميع الفوائد التي يتحملها الفلاح، يهدف إلى تمويل المستثمرات الفلاحية سواء كانت فردية، تعاونيات، أو مجتمعات اقتصاديّة. يمنح لكل النّشاطات المتعلّقة باقتناء المواد والمكونات المتعلّقة بالفلاحة (البذور، الاسمدة، المبيدات...).

الحليب، كما استقبلت قرية سلمانة الاشتراكية جنوب شرق بلدية العيون وحدثين صناعيتين (معصرة الزيتون ومطحنة) والأمر كذلك بالرّشايقة حيث استفادت من معصرة للزيتون أيضا.

3.3 قانون الامتياز الفلّاحي، استبدال حق الانتفاع الدائم بصيغة الامتياز¹

عرفت هذه الفترة المتزامنة مع سياسة التّجديد الفلّاحي والريفي صدور القانون رقم 10-03 المؤرخ في 15 أوت 2010 الذي يحدد شروط وكيفيات استغلال الأراضي الفلّاحية التابعة للأمولاك الخاصة للدولة التي كانت خاضعة للقانون 87-19. يهدف هذا القانون إلى إعادة تنظيم قطاع الفلاحة خاصة بعد ظهور حالات لتحويل الأراضي الفلّاحية عن وجهتها، ولاسيما تلك الواقعة بالقرب من المجمعات العمرانية الكبيرة وحتى الصّغيرة منها، مثل ما حدث بمجمعة تيارت، حيث التّهم التّعمير أجزاء كبيرة من العقار الفلّاحي لغرض السّكن والتّجهيزات الكبرى (سكنات عدل والقطب الجامعي بكرمان، توسيع المنطقة الصّناعية بتيارت، نفس الشّيء حدث بالمجمعات الصّغيرة كعين بوشقيف التي شهدت ميلاد منطقة صناعية جديدة بأرض فلاحية، واختيار أراضيات لبناء السّكن العمومي المدعم بقرية عين مريم)، كما جاء هذا القانون أيضا ليتم قانون التّوجيه الفلّاحي، فقد شمل مجال تطبيقه الأراضي التي كانت خاضعة للقانون رقم 87-19 واستبدلت الدولة بموجبه حق الانتفاع الدائم بصيغة الامتياز لمدة أقصاها 40 سنة قابلة للتّجديد، مقابل اتاوة سنوية، مع احتفاظ الدولة بملكية الأرض، بدلا من حق الانتفاع الدائم لمدة 99 سنة المعمول بها سابقا، كما أن عقد الامتياز قابل للتّنازل والتّجديد والتّوريث والحجز أيضا، يسمح هذا القانون أيضا بالحصول على قروض بنكية، ويمكن من عقد شراكات مع خواص أو شركات، ويعطي إمكانية رهن العقار لدى البنك كضمان.

الجدول رقم 48: تطور عدد المستثمرات الفلّاحية في السّرسو

البلدية	2008		2019	
	مستثمرات جماعية	مستثمرات فردية	مجموع المستثمرات العمومية	الخاصة
تيارت	31	138	169	28
الدّحموني	42	194	236	275
ع بوشقيف	60	120	180	235
ملاكو	99	114	213	40
مهدية	69	21	90	113
السّبعين	63	77	140	617
النّاظورة	50	324	374	97
عين دزاريت	49	20	69	139

¹ مفهوم الامتياز حسب المادة 3 من قانون التّوجيه الفلّاحي رقم 08-16: هو عقد تمنح بموجبه السلطة المانحة لشخص حق استغلال العقارات الفلّاحية لمدة محددة مقابل دفع اتاوة سنوية.

388	217	250	205	165	40	حمادية
1191	978	2000	779	650	129	الرّشايقة
215	289	144	175	174	1	بوقارة
627	47	685	53	11	42	تيسمسيلت
404	26	470	28	6	16	أولاد بسام
804	34	861	35	3	30	خميسي
908	264	1198	243	211	32	العيون
6734	5358	7152	2989	2228	753	مجموع السّرسو
7982	9974	19600	5260	3994	1266	و. تيارت
9272	581	9632	661	261	190	و. تيسمسيلت

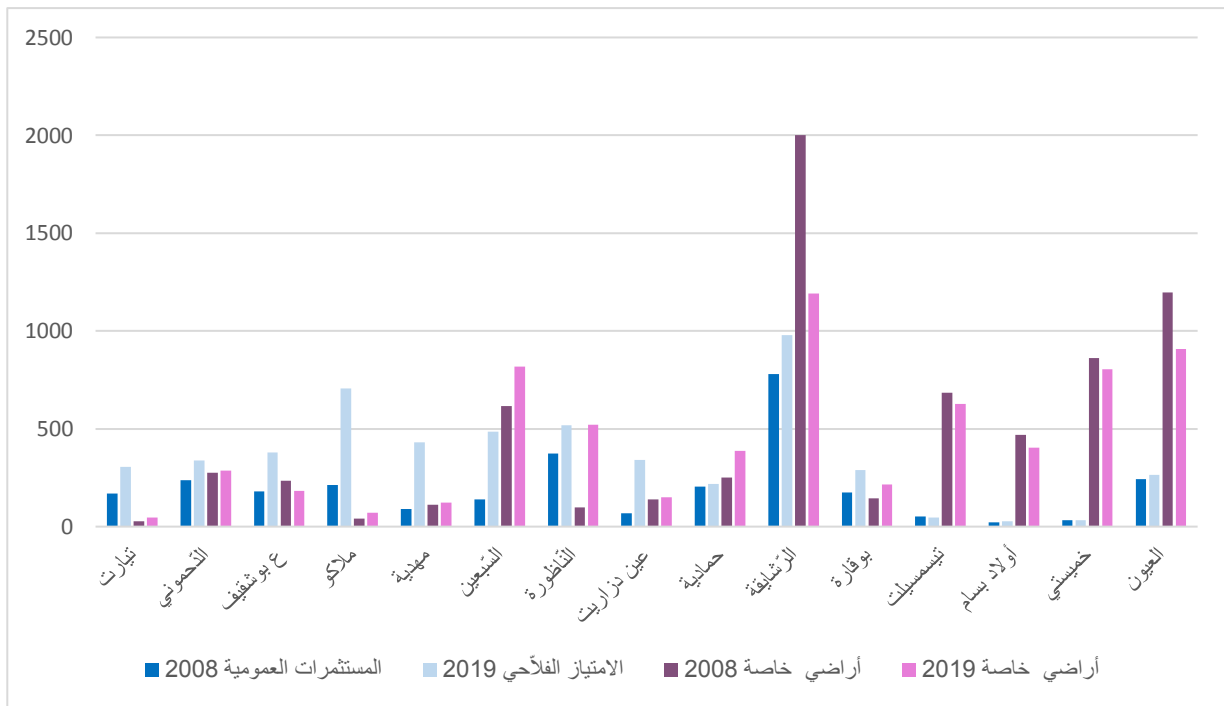
المصدر: مديرية البرمجة وتسيير الميزانية لولايي تيارت وتيسمسيلت (2008-2019)

تغلب الملكية الخاصة على العقار الفلاحي بالسّرسو، وخاصة بلديات سرسو تيسمسيلت (تيسمسيلت، أولاد بسام، خمستي والعيون)، والرّشايقة، حمادية والسّبعين، حيث أعلى نسبة تستحوذ عليها المستثمرات الخاصة (72,30%) تليها المستثمرات العمومية (27,70%)، وتكتسحها الفردية (72,10%) بينما لا تمثل الجماعية إلا (27,90%)، أما الملكية العمومية فنجدها أكثر تركيزا في سرسو تيارت حيث تسجل مستثمرات المتحصل أصحابها على الامتياز الفلاحي أعلى نسبة مقارنة بالمستثمرات الخاصة وذلك في معظم البلديات وخاصة في تيارت، الدّحموني، مهدية، ملاكو، الناظورة، عين دزاريت وبوقارة، وهي البلديات التي أنشأت مراكزها في الفترة الاستعمارية، وطبق على جزء من أراضيها قانون سيناتيس كونسلت (أراضي قبيلة العويسات) وتمت فيها عمليات الاستحواذ على العقار من طرف الإدارة الفرنسية.

ارتفع عدد المستثمرات الفلاحية العمومية بنوعها الفردية والجماعية في الفترة 2008-2019 في كلّ بلديات السّرسو باستثناء تيسمسيلت، أولاد بسام وخميسي، فقد انتقلت منها من 2989 سنة 2008 إلى 5358 مستثمرة سنة 2019، بزيادة أكثر من 2300 مستثمرة، تماشت الزيادة في المستثمرات العمومية مع زيادتها بولاية تيارت، لكن ولاية تيسمسيلت شهدت تراجعا (الجدول رقم 47). ويفسر هذا الارتفاع في عدد المستثمرات العمومية أو بالأحرى عدد المتحصلين على الامتياز الفلاحي إلى التّجزئة التي تشهدها أراضي المستثمرات من جهة، والاستصلاح ببلدية الرّشايقة من جهة أخرى، إضافة إلى أنّ المنشور الوزاري المشترك رقم 108 المؤرخ في 23 فبراير 2011، جاء بضرورة إنشاء مستثمرات جديدة للفلاحة وتربية الحيوانات من أجل توسيع القاعدة الإنتاجية في إطار سياسة التّجديد الفلاحي والرّيفي. استفادت بلدية الناظورة جنوب السّرسو في هذا الإطار من إنشاء مستثمرة فلاحية جديدة مساحتها 300 هكتار بمنطقة عين القسني، لفائدة ثلاثين مستفيدا من عقود الامتياز، هم من شباب المنطقة البطالين. وحسب مديرية الفلاحة لولاية تيارت، فإنّ عملية البحث عن أراضي للاستصلاح تتواصل، بموجب صدور القرار الوزاري

المشارك المؤرخ في 24 نوفمبر 2022 يحدد كفاءات وإجراءات منح المحيطات للاستصلاح في إطار الامتياز في مادته الخامسة، بإنشاء لجنة تقنية في كل ولاية تحت إشراف مديرية المصالح الفلاحية¹. كما يفسر ارتفاع عدد المتحصلين على الامتياز الفلاحي أيضا (الشكل رقم 13) بأن امتلاك شخص واحد لأكثر من حق امتياز، بهدف تكوين مستثمرة فلاحية في قطعة واحدة، مسموح به بعد الحصول على ترخيص من الديوان الوطني للأراضي الفلاحية، أي أن الامتياز الفلاحي يمكن صاحبه من الحصول على عقد منفرد لكن في الشئاع وهو ما رفع العدد أيضا، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نلاحظ أن بلدية تيارت ارتفع عدد مستثمراتها العمومية من 49 مستثمرة إلى 190 مستثمرة رغم أن عدة مستثمرات قريبة من النسيج الحضري لمدينة تيارت استهلكها التعمير خلال العشر سنوات الأخيرة (تم اقتطاع مزرعة غوثي جيلالي جنوب غرب تيارت على محور الطريق الوطني رقم 90، لغرض إنشاء المنطقة الصناعية الجديدة (zone du parc)، بمساحة 430 هكتارا، استقبلت هذه المزرعة أيضا الميناء الجاف، المفتشية الجهوية للجمارك ومشروع سكني).

بينما انخفض عدد المستثمرات الخاصة في السرسو بـ 318 مستثمرة، خاصة في بلديات الرشايفة وعين بوشقيف، وبلديات سرسو تيسمسيلت (تيسمسيلت أولاد بسام، خميستي والعيون)، ويفسر هذا التراجع بارتفاع عدد المتحصلين على الامتياز الفلاحي.



الشكل رقم 13: تطور المستثمرات الفلاحية في بلديات السرسو حسب نوعها

¹ حسب المادتين 6 و7 من المنشور الوزاري رقم 108

تغيرت البنية العقارية في السرّسو، بسبب السياسات التي عرفها القطاع الفلاحي من جهة والتجزئة والتقسيم غير القانوني للمستثمرات الجماعية من جهة أخرى، مما أسهم في ارتفاع عدد الفردية منها وتغيير المساحات والحدود، كما شهد مبادلات عقارية بسندات عرفية وبالتالي تغيير المنتفعين به. ولكي يستطيع المستغل الجديد للمستثمرة الاستفادة من الامتيازات والدعم الفلاحي يلجأ إلى تسوية وضعيته القانونية لدى الديوان الوطني للأراضي الفلاحية الذي يعمل بموجب المنشور الوزاري رقم 402 المؤرخ في 2 جوان 2011، كما يتكفل الديوان بتسوية تلك الأراضي الممنوحة في إطار الاستصلاح أيضا. قام الديوان الوطني للأراضي الفلاحية، بتسوية 500 هكتارا من مجموع الأراضي الممنوحة في إطار الاستصلاح بولاية تيارت (32229 هكتار) أي نحو 15.48% فقط، وهي نسبة ضعيفة نوعا ما لكن العملية ماتزال متواصلة.

تمكّن عملية التطهير العقاري من احصاء المستثمرات الفلاحية بمختلف أنواعها، خاصة وأن الامتياز الفلاحي في إطار القانون رقم 10-03 غير سياسة الاستغلال الفلاحي من الانتفاع إلى الامتياز، مما يحتم على المستثمرين تغيير العقود. تأثر المجال الريفي بالسرّسو بهذه الهيكلة ليس على مستوى النشاط الفلاحي فحسب، بل تأثرت بنيته العمرانية أيضا، مجاليا واجتماعيا واقتصاديا.

الخلاصة:

تأثرت البنية العقارية في السرّسو بمختلف المراحل التاريخية والسياسات التي عرفتها الجزائر منذ التواجد العثماني بها إلى يومنا هذا، خاصة في الفترة الاستعمارية بإيجاد ثلاث عناصر متكاملة في المجال تمثلت في المحيطات الاستعمارية (تيارت، تيسمسيلت ومهدية)، المراكز العسكرية والمزارع، تمت هيكلة المجال الريفي بدء من قلب الملكية العقارية وتفكيكها من خلال قانون سيناتيس كونسلت الذي عمل على إرساء الملكية الفردية للأراضي من خلال تفكيك القبائل وانشاء الدوار أولا ثم إجبار الأهالي في أغلب الأحيان على بيع أراضيهم نظرا لقلّة محاصيلهم وموت قطعانهم، وقد استهدفت قبيلة العويسات بشكل خاص لامتلاكها أجود الأراضي بالقرب من نهر واصل وقسمت إلى جزئين العويسات وأولاد بوغدو، ثم قبيلة أولاد الشريف، التي قسمت هي الأخرى إلى قسمين، أولاد شريف والتوريش، بينما لم تتعرض باقي القبائل للقانون المشيخي، لكن قبائل بني مايدة وبني لنت من بين أهم القبائل التي قامت ببيع العقار أو التنازل عنه للمستعمر بمقابل مادي أو خدمة لمصالحها. ركز المستعمر على الملكية الفردية فأصدر قانون وارني، والذي يطلق عليه أيضا سيناتيس كونسلت الثاني، فقد أرسى التطهير العقاري من خلال ما يسمى التحقيقات العامة، قصد إحصاء الأراضي من جهة وبغية الاستلاء عليها من جهة أخرى، شمل هذا التحقيق أراضي بلدية عين دزاريت، لكنها لم تسجل رسميا. تعبئة العقار سمحت بتعمير الريفي في السرّسو، وهو ما أدى إلى خلق تنظيم مجالي متمايز بين المراكز الحضرية التي يسكنها المعمرين والمجمعات السكنية التي يقطنها الأهالي،

حتى المجالات الفلاحية تمايزت ببنية ومساحة. توسّع المجال الاستعماري وعرف عدّة تحولات مجالية واجتماعية بعد الاستقلال، عرفت هذه الفترة سياسات عقارية مختلفة تهدف إلى إصلاح البنية العقارية بإرساء الملكية العمومية وتنمية الريف الجزائري عن طريق عديد الأليات، أهمها سياسة الثورة الزراعية في سبعينيات القرن الماضي، بهدف إعادة الأرض إلى الفلاحين وتحديث الزراعة، إذ قامت على إنشاء وحدات إنتاجية ومراكز إسكان تمثلت في بناء 12 قرية فلاحية. سمحت هذه السياسة بدخول التخطيط لعالم الريف ممّا جعله يستفيد من التجهيزات ومباني الخدمة العامّة، كما خدمت الترقية الإدارية هذا التوطن للتجهيزات بشكل مباشر وغير مباشر، وهو ما أسهم في تحضره باستقطابه اليد العاملة، والفئات الاجتماعية المتميزة فيما بعد.

عرف المجال الزراعي والرّعوي التقليدي، الذي لا يزال موجودا، في معظمه تحولات كثيرة وفق السياسات الفلاحية المختلفة أهمها الاستصلاح الزراعي الذي سمح بالحصول على الملكية العقارية جنوب السرسو على أراضي ملك خاص للدولة تعرف محليا أراضي العرش خاصة ببلدية الرشايق، فعرفت نوعا جديدا من الديناميكية الريفية الخاصة بالفلاحين الجدد الذين وصلوا المنطقة من خلال القطاع المروي، والوصول إلى ملكية الأراضي الزراعية، والزراعة شبه الحضرية. أحدثت الجزائر تغييرا جذريا على المستوى البنوي للقطاع الفلاحي، إنشاء نظام المستثمرات الفلاحية الفردية والجماعية سنة 1987 كنمط جديد لتسيير واستغلال الأراضي الفلاحية التابعة للأموال الوطنية الخاصة. إلا أنّ فترة التسعينات شهدت صدور قانون التوجيه العقاري الذي ألغى قانون الثورة الزراعية، وأعاد الأراضي لملاكها الأصليين، غير أنّ أنظمة الإنتاج الفلاحي والأحداث الأمنية التي مرّت بها البلاد، منعت تطور الإنتاج، فقد عرفت البنية العقارية في السرسو في هذه الفترة عدّة تغييرات بسبب تقسيم أراضي المستثمرات الفلاحية، وإجراء مبادلات عقارية عليها بدون سندات رسمية، ومنها ما تركت بدون خدمة، ممّا ساهم في تشجيع وتغذية الهجرة الريفية، فجاءت الإصلاحات مجددا لكن بالتركيز على تنمية وتجديد الأوساط الريفية من خلال المخططات الوطنية للتنمية الفلاحية وخطط التنمية الريفية المتكاملة بواسطة البرامج الجوارية للتنمية الفلاحية المدمجة التي استفادت منها معظم المناطق الريفية المبعثرة بالسرسو وخاصة شمالا بالبلديات التابعة إداريا لولاية تيسمسيلت، بغرض بعث التنمية فيها عن طريق فتح المسالك وإنشاء الطرقات، تصحيح مسارات المجاري المائية، التزويد بالعتاد الفلاحي والسقي وتحسين مردود القطاع الفلاحي بالتركيز خاصة على تربية المواشي ولاسيما الأبقار وتشجيع تربية النحل بالمناطق المرتفعة (بلدية العيون وأولاد بسام)، لكن التنمية بسهل السرسو جاءت مفككة كونه ينتمي إلى ولايتين مختلفتين، فلم تراعي المشاريع المنجزة البعد المجالي للمنطقة بما يحمله هذا المفهوم من مميزات جغرافية واجتماعية واقتصادية وثقافية للمنطقة المراد تنميتها، ولا

لخصوصيته الوظيفية، ولم تخدم فكرة تنميته إشكالية واضحة، بل جاءت مشاريع نقطية مبعثرة، وبرامج غير منسجمة نظراً لتعدد المتدخلين في عمليات التنمية.

شهدت الفترة الأخيرة إعادة إصلاح البنية العقارية الفلاحية تزامناً مع سياسة التجديد الريفي والفلاحي، وذلك باستبدال عقد الانتفاع الدائم بصيغة الامتياز بهدف إعادة تنظيم قطاع الفلاحة خاصة بعد ظهور حالات لتحويل الأراضي الفلاحية عن وجهتها، ولاسيماً تلك الواقعة بالقرب من المجمعات العمرانية الكبيرة والصغيرة منها، وجهت للتعمير مثل ما حدث بمجمعة تيارت، وهي إحدى الدوافع أيضاً للتطهير العقاري جرّاء ما تعرض له من مبادلات عقارية غير رسمية، وتقسيم غير قانوني.

خلاصة القسم الثاني:

البنية العقارية الحالية في السّرسو هي نتاج سياسات طويلة مختلفة اختلاف المتدخلين والأهداف من وراءها، فالبنية العقارية في الفترة الاستعمارية تأسست عن طريق تفكيك الملكية الجماعية والاستلاء عليها وعن طريق الشراء من الخواص لتقوية الأملاك وبالتالي التّحكم في الهيكلة المجالية، عن طريق التّعمير وتوظيف المجال بهدف استعماري محض، لكن تدخل الدولة الجزائرية بعد الاستقلال، بهدف إصلاح البنية العقارية وتحقيق العدالة الاجتماعية، أدى إلى تضارب السياسات المنتهجة من التّسيير الذاتي، إلى التّورة الزراعيّة وتأميم الأملاك، ثم العودة إلى نظام المستثمرات الفلاحية الفردية والجماعية، ثم سياسة التّنمية والتّجديد الرّيفي والفلاحي، سمحت عدّيد السياسات المتعاقبة بوجود تنظيم مجالي متمايز، تتجاوز فيه المجموعات الرئيسية الثلاثة التي تنظم الفضاء الرّيفي في السّرسو، المتمثلة في: المجال الاستعماري الذي توسع وعرف عدّة تحولات مجالية واجتماعية لعب فيها إنتاج السكن دورا مفصليا، أسهم في تغيير الأنماط والصيغ من الفردي المبعثر إلى الفردي المتجمع ومن الذاتي إلى العمومي والترقوي، فدخول التّخطيط لعالم الريف جعله يستفيد من التّجهيزات ومباني الخدمة العامة، كما خدمت الترقية الإدارية هذا التوطن للتّجهيزات بشكل مباشر وغير مباشر، مما أسهم في تحضره باستقطابه اليد العاملة، والفئات الاجتماعية المتميزة، ثم نجد المجال الزراعي والرعي التقليدي رغم أنه لا يزال موجودا، إلاّ أنّه عرف في معظمه تحولات كثيرة وفق السياسات الفلاحية المختلفة، هذه المجموعات الثلاثة يمكن أن يضاف إليها نوع رابع من الديناميكية الريفية تلك الخاصة بـ "الفلاحين الجدد الذين وصلوا المجال من خلال القطاع المروي، والحصول إلى ملكية الأراضي الزراعيّة عن طريق الاستصلاح، والزراعة شبه الحضريّة). تأثرت الشّبكة العمرانية بمختلف التّدخلات على المجال بالإصلاح وإعادة الهيكلة، فتوسعت وتنوعت أنماطها، فالمراكز العمرانية الأكثر تّجهيزا والأرقى رتبة إدارية أصبحت أقطاب جذب لمختلف التّدفقات السّكانية من المراكز العمرانية الأقلّ تّجهيزا طلبا لمختلف الخدمات. تتركز الشّبكة العمرانية بالوسط السّهلي أغلبها ذات نشأة استعمارية، تسيطر عليها المراكز العمرانية ذات الحجم المنخفض والتي تمثل في غالبيتها مدّنا صغرى كما أنّها تعتبر نقطة احتكاك بين الوسطين الحضري والرّيفي، بينما يمثل أكبر الأحجام السّكانية مركز عمراني واحد يحتل قمة النظام الهرمي متمثلا في مدينة تيارت.

شهد المجال الرّيفي بالسّرسو بمكوناته الثلاث (الأرض الفلاحيّة، السّكن والتّجهيزات العمومية)، تحولات مجالية نتيجة التّوسعات العمرانية التي شهدتها القرى سواء الاستعمارية أو الاشتراكية من خلال برامج التّنمية والبرامج السّكنية التي استفادت منها. كان للنمو الديمغرافي الذي عرفته هذه القرى الأثر الكبير في تحولاتها المجالية بسبب الحاجة للسّكن والتّجهيزات من جهة وبسبب تأثر بنيتها الحياتية

والاجتماعية من جهة أخرى. دخلت القرى مرحلة جديدة من التعمير حيث انتقلت من النسق القروي المعتمد في نشأتها إلى نسق حضري جديد متعدد الأنماط ما بين الأفقي والعمودي الشبيه بما هو موجود في المراكز العمرانية الكبرى مما أحدث انفصاما في التصاميم وفقدان بعض القرى لخصوصيتها التعميرية الإفتخارية. تجسدت هاته التحولات بشكل سريع عن طريق البرامج السكنية الاجتماعية المخصصة للمجمعات الحضرية كصيغة العمومي الإجاري والاجتماعي التّساهمي. استفادت القرى الاشتراكية من هذه البرامج السكنية (18.36% من حصة السرسو) التي توطنت بالتوسعات الحديثة على محاور الطرقات، استجابة للطلب المتزايد على السكن ولا سيما بمراكز المجمعات الرئيسية مثل الرشايقة، عين بوشقيف، الونشريس البيضاء، ضاية الترفاس، والسبعين وأيضا المجمعات الثانوية مثل عين مريم، عين الكرامة وسلمانة كما استفادت القرى أيضا من برنامج التّجزئة السكنية الاجتماعية الحضرية والريفية، ساعدت القرى الاشتراكية في السرسو على تثبيت السكان الذين ارتبطوا بها وتقبلوها لكن أعادوا صياغة فضاءاتها بما يتناسب مع احتياجاتهم وميولاتهم التي طغى عليها التّأثر بالمقومات الحضرية التي فرضت عليهم ممارسات جديدة لخلق نوع من الاندماج في الشّبكة الحضرية للمنطقة.

القسم الثالث

التدافع الوظيفي محرك للهيكلة
المجالية في السّرسو

مقدمة

يتميز السرسو بإمكانياته الطبيعية المتعددة وخصوصيته الاقتصادية، كونه منطقة منتجة للحبوب بامتياز والأكثر ديناميكية بولاية تيارت، فهو يعكس ويخلص بصورة ملحوظة السمات الرئيسية للسياسة الوطنية للتنمية، وسياسة الاستعمار الفرنسي قبلها، فقد لُقّب أثناءها بمخزن الحبوب، إذ أوجد المستعمر الفرنسي سياسة خاصة للاستغلال الفلاحي، أحدثت تغييرات جذرية في استخدام الأرض وغيّرت البنية العقارية ودعمته بصناعة غذائية قائمة على المطاحن والمخازن التي تشق بارتفاع صوامعها انبساط سهل السرسو.

أدرجت الدولة في فترة السبعينات البحث في التنمية الفلاحية لتكون نموذجا من أجل تكثيف زراعة الحبوب في المناطق السهلية، فأنشأت بذلك عدّة معاهد في السرسو، كالمعهد التقني للزراعات الكبرى ومخبر لتحسين بذور البطاطس بالسبعين وآخر بمهدية متخصص في زراعة الأشجار المثمرة، وأرّفقته ببناء قرى فلاحية، كما قامت بإنشاء قطب صناعي بتيارت وآخر بعين بوشقيف.

طبقت مشاريع التنمية الريفيه في مختلف مناطق الجزائر، وقد انعكست آثارها الايجابية بشكل خاص على الأقاليم ذات المؤهلات المتميزة. استفاد سهل السرسو من عمليات الاستصلاح في بلدياته الجنوبية في نهاية الثمانينات، واستفاد أيضا من انجاز مشاريع تنموية كبيرة تمثلت في بناء سدين ومجموعة من الحواجز المائية تفوق قدرتهم التخزينية (59 مليون م³). سمحت هذه الأخيرة بميلاد نمط زراعي جديد يعتمد على السقي، حيث تضاعفت المساحة المسقية 36 مرة في الفترة 1985-2020، تمّ الانتقال بعد الثورة الزراعية من زراعة الحبوب والكروم في بعض المناطق إلى الزراعات الواسعة أي الحبوب والبقوليات، إلا أنّ المخطط الوطني للتنمية الفلاحية أحدث تنوعا بإضافة الأشجار المثمرة والخضروات رغم أنها كانت موجودة لكن بشكل محصور. بعد 2000 اتخذت الدولة استراتيجيات تنموية جديدة حفزت الديناميكية الفلاحية بالمنطقة وكان لها الأثر الواضح في هيكله المجال الريفي.

تخصص السرسو في النشاط الفلاحي وصاحبه توطن صناعي في الفترة الاستعمارية وفي السبعينات، إلا أنّه شهد تفاوتاً في إقامة المناطق الصناعية ومناطق النشاط بين مختلف المجمعات العمرانية، نظرا لعدّة اعتبارات، تتعلق بممارسة الفاعلين من جهة، واختيار أفضل المواقع من جهة أخرى، رغم أنّ اختيار المواقع لم يؤخذ بعين الاعتبار المؤهلات الطبيعية والاقتصادية لتوطين النشاط المناسب لها، نتج عنه توطين صناعة تعدينية وأخرى ميكانيكية على أراضي فلاحية منتجة.

أثر الاختلاف في حجم الاستثمارات الصناعية من مجمعة إلى أخرى على حركة السّكان، لأنها خلقت مناصب عمل خارج قطاع الفلاحة، فقد شهدت المجمعات ذات الاستثمار الصناعي الواسع أكبر زيادة سكانية خاصة بلدية تيارت التي تعد من أقدم المدن الصناعية في السرسو مقارنة بتيسمسيلت ومهدية وعين بوشقيف.

هذه اللّحة عن مبادرة الدولة لتنمية السّرسو كانت حافزا لوضع السّكان الرّيفيين في ظروف ملائمة بتوفير السّكن والعمل بغرض تثبيتهم في أماكنهم وممارسة النشاط الفلاحي، إلا أن الواقع كان مغاير تماما فديناميكية مختلف الفئات الاجتماعية اتجهت نحو القطاع الثالث خاصة مع تراجع النشاط الفلاحي وفترات الجفاف التي ضربت المنطقة. شهد القطاع الثالث في السّرسو تنامي مستمر في مختلف المجمعات ولاسيما الحضرية منها، نظرا لحجمها السّكاني الكبير.

نسعى من خلال هذا القسم دراسة مختلف وظائف سهل السّرسو وأهم التّحولات التي حصلت بالمنطقة، محاولين ابراز أوجه التّكامل بين الزّراعة كوظيفة رئيسية في المنطقة وباقي الوظائف الحضرية الدّاعمة بها.

الفصل السادس

الفلاحة في السّرسو، تكيف تدريجي
مع التّنوع

مقدمة

تعتبر الزراعة في السرسو، أحد أهم أسباب وجوده وتعميره عبر مختلف الفترات التاريخية التي مر بها، فقد ارتبط حضوره بزراعة الحبوب منذ التواجد الروماني بالمنطقة فأصبحت تنافس الكروم وتتوسع على حسابها، نظرا لأهميتها في التموين الغذائي للإمبراطورية الرومانية التي قامت أيضا بتشجيع زراعة الكروم في إيطاليا وبالمقابل تدمير نصف الحقول في افريقيا، لأن جودة الكروم في شمال افريقيا تهدد مكانة الكروم الإيطالية (خاتمي ولورثان، 2022)، على الرغم من أن زراعة الحبوب ليست المورد الوحيد فيه اليوم، لكنها كانت ولا زالت سببا في استمراره. دفع اهتمام الاستعمار بالفلاحة في السهل إلى تعميره فارتبط بالأراضي والمراعي التي كانت ملكا للعائلات والقبائل المقيمة به، وذلك بإنجاز وحدات إنتاج ومراكز إسكان، وعمل جاهدا على تطوير وتقوية الملكية العمومية عن طريق السلب والاستلاء من جهة والشراء من جهة أخرى. تعايشت الزراعة في السرسو مع تربية المواشي، وتعايشت الزراعة التقليدية (المطرية) مع الحديثة (المسقية) منذ الفترة الاستعمارية لكن بشكل محدود مقارنة بما هي عليه الآن.

شهدت الفلاحة في السرسو على مدى العقود الماضية ديناميكية مهمة وتحولات عديدة سواء تعلق الأمر بالعقار الفلاحي واستخداماته، أو الممارسات الفلاحية التي تكيفت لحد كبير مع ظروفه المناخية وامكانياته المائية والبشرية، لكنها عرفت ميلاد وتطور نمط جديد مبني على السقي خلال السنوات الأخيرة وخاصة مع السياسات التنموية التي بادرت بها الدولة خلال رحلة إصلاح القطاع كما ذكرنا في الفصول السابقة. نحاول من خلال هذا الفصل دراسة الديناميكية الزراعية في السرسو، وأهم المحطات والممارسات والتحويلات التي حصلت منذ الفترة الاستعمارية إلى يومنا هذا، ومحاولة تتبع دورة التحول الوظيفي به خلال الأربع عقود الأخيرة وانعكاساتها على المنطقة، من خلال المقاربة التاريخية اعتمادا على دراسة بيرين (Perrin) وعلى مذكرات بعض المستوطنين الذين عاشوا بالمنطقة، ثم المعطيات الإحصائية لقطاع الفلاحة حاليا ونظرة الفاعلين به وأيضا من خلال التحقيق الميداني مع الفلاحين على أرض الواقع بخمس بلديات تغطي المنطقة الوسطى والواجهة السهبية الرعوية للسرسو.

1. الفلاحة في السرسو في المرحلة الاستعمارية

1.1 السرسو منطقة زراعية انتقالية

يشكل سهل السرسو مجالا اقتصاديا واجتماعيا متميز نسبيا، فهو فضاء انتقال بين منطقة الأقدام والمنطقة الجبلية (منطقة متدهورة نسبيا ومكتظة بالسكان) ومنطقة السهوب قليلة السكان ومهجورة نتيجة تراجع المراعي، أي أنه منطقة عبور لكنه أيضا مكان للاستقرار الجزئي والكلي للسكان الذين يمتنون الرعي في الجنوب (Sahli, 1991). ننتقل في سهل السرسو من الشمال إلى الجنوب، من سفوح التلال ضعيفة الانحدار

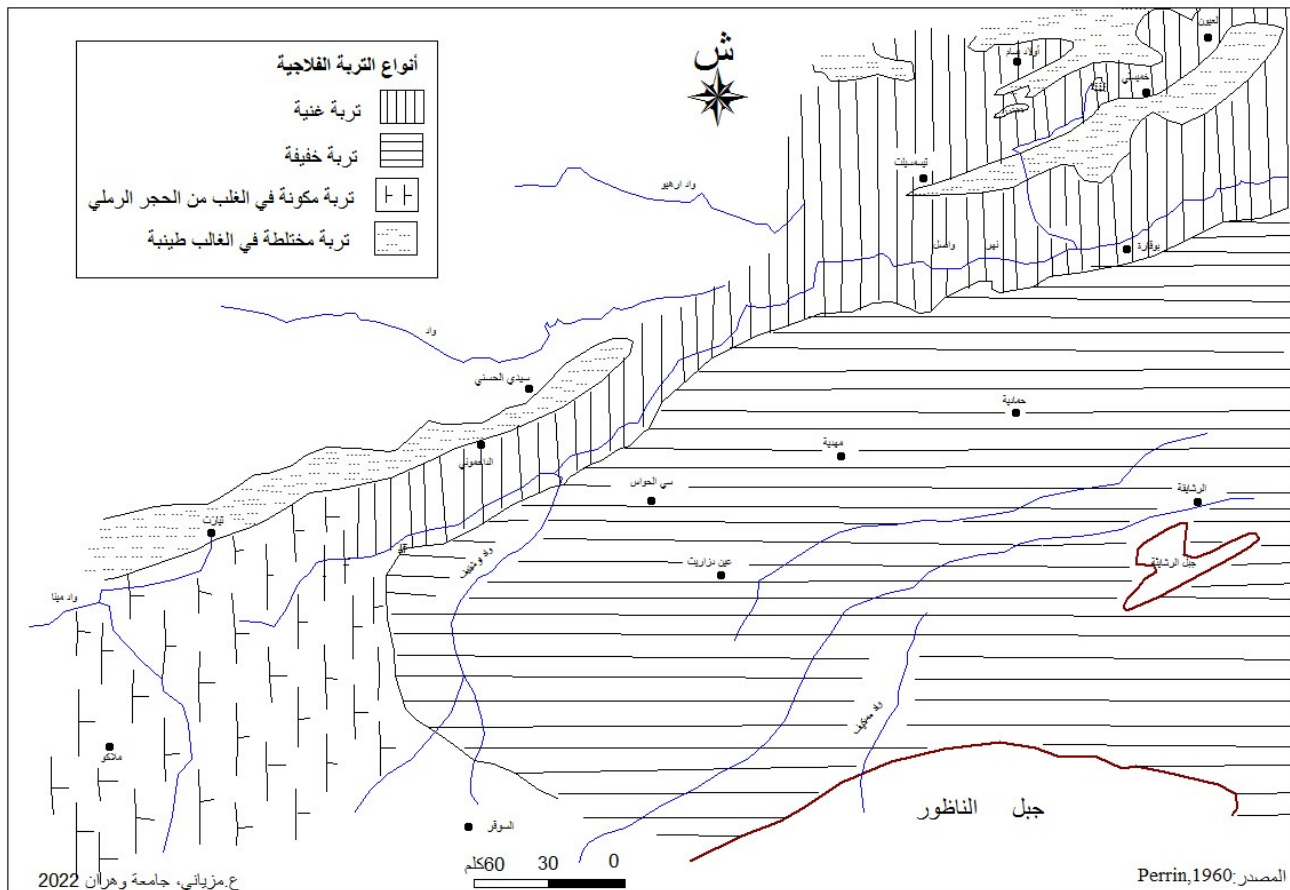
وتربة ضعيفة العمق صالحة لزراعة الأشجار والحبوب، إلى منطقة مخصصة بشكل أساسي لنظام مختلط من "الحبوب وتربية الأغنام"، ثم منطقة تهيمن عليها تربية المواشي حيث الإنتاج النباتي ضعيف ومحدود. كان السرسو في السابق منطقة رعوية وقبلة لقبائل الغرب صيفا، وقبائل الشرق شتاءً، على الرغم من أن منطقة الاتصال الشمالية مع كتلة الونشريس كانت لها أنشطة زراعية متنوعة للغاية، وذلك بسبب خصوبة بعض أنواع التربة العميقة، إضافة إلى إمكانيات السقي القوية من الآبار والوديان، لكن مركزه (الدحموني، حوض تيسمسيلت وهضبة مهدية) كان متخصصا منذ الفتح الروماني في إنتاج الحبوب وفقا لتقنية الحرث الجاف "dry-farming" مع الحفاظ على مساحات البور كاملة، إلا أن زراعة الحبوب كانت تنافسها الزراعة الرعوية خاصة في جنوبه (منطقة الاتصال بجبل الناظور)، وبعد ذلك من طرف الاستعمار الفرنسي واستقراره النهائي بالمنطقة. كان سرسو تيارات والهضبة أيضا مراعي لقبائل أولاد عياد في الشرق والقبلة في الغرب، أما سرسو تيسمسيلت (بني مايدة وبني لنت) فكان مراعي للزناخرة والسحاري، وقبائل العربية (الأغواط) من الجنوب.

2.1 الممارسات الزراعية خلال الفترة الاستعمارية، من الزراعة المعاشية إلى الزراعة الصناعية

جلب الاستعمار زراعة حديثة للسرسو أصبحت تشكل خطرا على الزراعة التقليدية، مما جعلهم في حاجة دائمة إلى المزيد من الأراضي والزراعة الجافة، كما أن استعمال الآلات جعل من الضروري استغلال مساحات واسعة، فلم يعد هناك أراضي للاستيلاء عليها في الشرق أما في الجنوب فالسهب قاحلة جدا، كما فشلت جميع المحاولات لتوسيع السرسو وتجاوز حدوده، فالأراضي التي يحتاجها المعمر كانت موجودة في نفس المكان حيث يتم الحصول عليها إما عن طريق الشراء أو الكراء من الأهالي لذلك استمرت المساحات المزروعة في الانخفاض.

تتنوع التربة في السرسو (الخريطة رقم 45)، ويمكن التعرف عليها من خلال التسميات المستعملة محليا من طرف سكان المنطقة تعبيراً عن نوعيتها كمصطلح تيرس (Tires) وبدبابة ويشير الأول إلى وجود تربة طينية بدون حجارة، والثاني يخص الأراضي التي تقع بالمناطق المرتفعة وأيضا بحوض نهر واصل ومنخفض تيسمسيلت، ويستعمل أيضا مصطلح حرمارة دلالة على وجود التربة الحمراء ومصطلح البيضا دلالة على الأرض البيضاء والفقيرة التي تغطي بعض التلال، مصطلح تفزة (Tefza) يشير إلى الحجر الجيري الهش الذي يعطي رملاً عند تكسيره ويستخدم في البناء، ويسمى مسحوق الحجر الجيري عند علماء التربة، أما مصطلح تيفكرت (Tifkert) فينطبق على قشرة الأرض (Calcaire).

الأراضي الجيدة هي التربة الطينية الموجودة في فيالار وحوض نهر واصل، وهي تربة سميكة داكنة اللون، شديدة التشقق في الصيف وصعبة العمل، لكنها خصبة ومناسبة لزراعة القمح الصلب، لأنها منتجة حتى في السنوات الجافة.



الخريطة رقم 45: نوعية التربة الفلاحية في السّرسو

اختص السّرسو في إنتاج الحبوب الذي فاق نسبة 56 % سنة 1951 (الجدول رقم 48)، فهو يعتبر بلد الحبوب باستثناء العدس بينما تؤدي المحاصيل الأخرى دوراً ضئيلاً في الاقتصاد الزراعي في المنطقة. تقيد الظروف المناخية الإمكانيات الزراعية، فقد تأثر السّرسو بموجة الجفاف التي مرت على الجزائر في سنوات الأربعينات، إلاّ إنتاج القمح اللين في عام 1951 سجل حوالي 44%، القمح الصلب 33 %، من المساحة المزروعة بالحبوب، بينما النسبة المتبقية فكانت من نصيب الشعير والشوفان (23 %).



الصورة رقم 34: السرسو سنة 1961 (موسمي الحرث والحصاد)
المصدر: Roger Frison-Roche «le colon du Sersou»

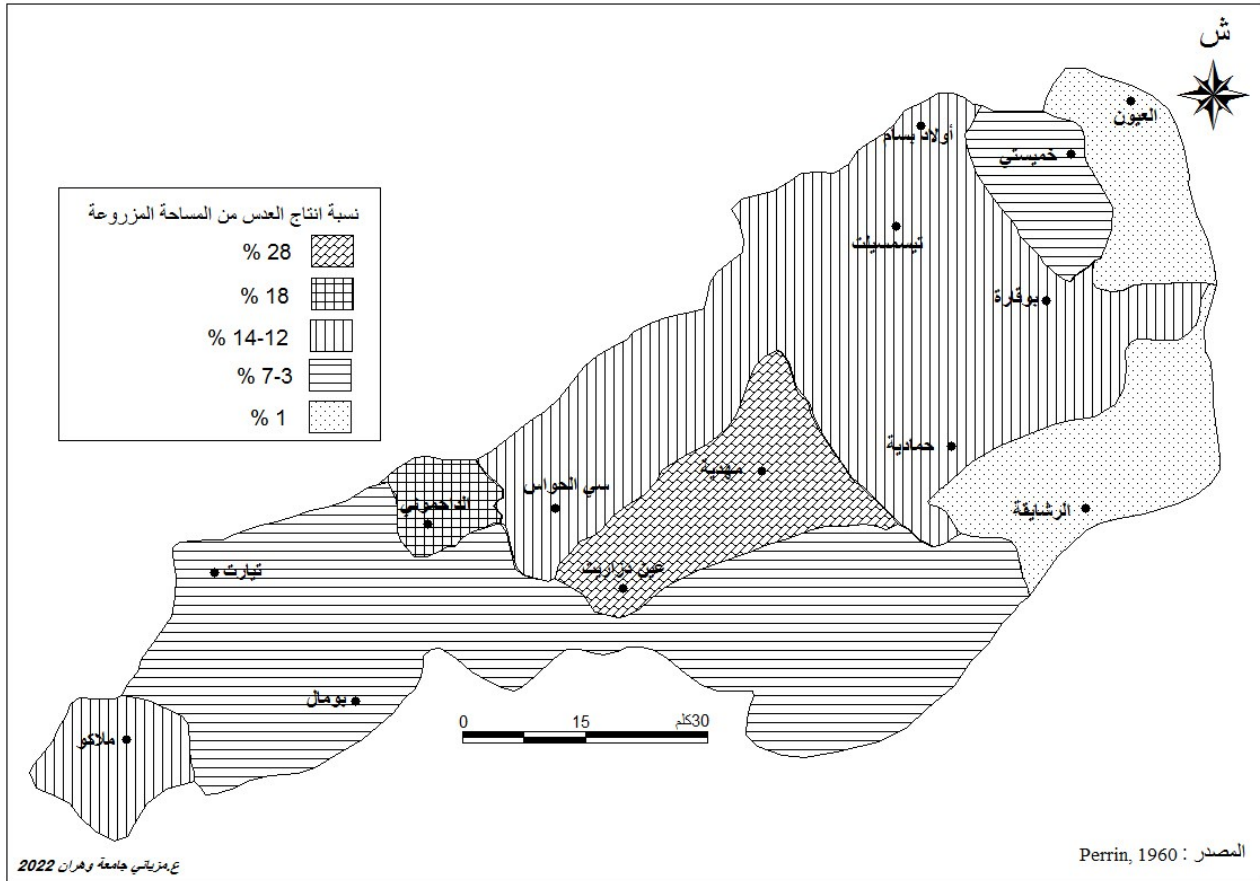
تعود زراعة العدس إلى حرب العالمية الأولى (1914-1918) وقد مورست بناء على طلب من الإدارة وأعطت نتائج جيدة ولكن تم التخلي عنها عام 1919 بسبب المنافسة من المنتجين الفرنسيين، ففي عام 1927 سعى مستعمر من بوردو (مهدية) في البحث في الزراعة لاستغلال الأراضي البور فحاول أولاً زراعة الشمندر السكري، لكنه تراجع لأن هذا الأخير يتم إنتاجه شمال فرنسا، ثم درس محاصيل العدس التي تزرع في فرنسا وإمكانيات بيع المحاصيل؛ في عام 1929 تم تجريب زرع العدس المستورد من التشيلي.
جدول رقم 49: توزيع المساحات المزروعة في السرسو عام 1951

المنتج	نسبة المساحة المزروعة (%)
الحبوب	56,7
العدس	14,2
زراعات مختلفة	1,3
Jachère البور	27,6

المصدر: Perrin, 1960

التربة الخفيفة في السرسو وفصوله الجافة موالية لزراعة العدس لذلك تطورت هذه الزراعة حول مهدية ابتداء من عام 1936، إلا أن النقص في البقول الجافة خلال الحرب العالمية الثانية سمح بهذا التنافس، فامتدت زراعة العدس إلى سرسو تيارت (مهدية 28 % الدحموني 18 %، تيارت، بومال والناظورة 3-6% من مساحة الأرض الصالحة للزراعة) وحوض فيالار (فيالار، خميستي وأولاد بسام 3-6 % من الأرض الصالحة للزراعة) لتصل أيضا إلى جميع المناطق المجاورة لكن بنسب ضئيلة لا تتعدى 1 % في الرشايق والعيون. (الخريطة رقم 46). أنتج السرسو في هذه الفترة أيضا زراعات أخرى كالكروم والبساتين، وقد كان يشترط على المستثمرين غرس أشجار اللوز لأنها مقاومة للصقيع ومنتجة في التربة

الكلسية¹، انتشرت الكروم في حوض فيالار² وأيضا في الهضبة إلا أن الشروط لم تكن ملائمة لتطورها، فلم يتبقى في سنة 1951 إلا ست هكتارات في بورباكي (خميسي)، و50 هكتارا في مهدية، غير أن مساحة الكروم مرتفعة خاصة في الدحموني بمساحة 308 هكتارا، تليها تيارت (133 هكتارا) وملاكو (111 هكتارا).



الخريطة رقم 46: المساحات المزروعة في سهل السرسو بالعدس في الفترة 1951-1950

تركزت الزراعة المروية على ضفاف وادي نهر واصل، حيث كانت هناك ستّ سدود عام 1852 في طور الإنجاز (بني لنت وبني مايدة ودوي حسني) (Perrin, 1960) وهو ما أعطى نفسا جديدا للزراعة في هذه المنطقة³. أما عن تسويق المحاصيل، فقد كان أولاد نايل (الجلفة) والعربة (الأغواط) ولفترات طويلة هم المشترون الرئيسيون لمحاصيل القمح عند مجيئهم للاصطياف بالمنطقة، يليهم الأوروبيون الذين استأجروا الجمال من بني مايدة وبني لنت في عام 1853 لنقل المحاصيل إلى الجزائر العاصمة.

¹ تصريحات سكان المنطقة المسنين.

² زراعة الكروم بحوض فيالار تعود للقرون الماضية (الفترة الرومانية والبيزنطية) ما يثبت وجود معصرة قديمة بالقرب من تيسمسيلت (دوار أولاد جلال ببلدية المعاصم بالقرب من تيسمسيلت)، الأراضي المحيطة بالمعصرة تزرع بالقمح حاليا

³ لا يوجد معطيات كافية عن الزراعة المروية لا من حيث المساحة ولا الإنتاج

قام الاستعمار بعدة اختبارات لبعض الزراعات الصنّاعية بالمنطقة، فنجح اختبار تأقلم فول الصّويا، والفول السوداني، والقرطم أو العصفور (Carthame)، وبطلب من الحكومة تم زراعة بعض المساحات بدوّار الشّمس وبذور الكتان، حيث كان المردود جيدا وحقق مداخيل جيدة أيضا. نجاح التّجربة جعلها تتوسع عام 1948 بزراعة مساحة قدرها 4835 هكتار، لكن الصّقيع الذي ضرب المنطقة، فقد سجلت درجة الحرارة أدنى قيمة لها في فيالار ب 11 درجة تحت الصفر، ممّا أدى إلى فساد الغلة فانخفض الإنتاج إلى أقل من النّصف، وعليه تقلّصت المساحة المزروعة سنة 1951 إلى حوالي 50 هكتار فقط بينما اختفى إنتاج بذور الكتان فيما بعد حسب الإحصاء الزراعي للمنطقة، بسبب عدم توفر البيئة المناسبة لمثل هذه المحاصيل. أما العلف، فقد كان السرسو يفتقر لهذا النوع من المحاصيل باستثناء بعض الأراضي الواقعة في منخفضات الأودية، حيث تسمح الرطوبة بنمو العشب بصفاف واد المشتي، لكنها أكثر اتساعا في سرسو تيارت. ينتج العلف الاصطناعي أيضا بالسرسو، لكن في مناطق محدودة، فقد تم تخصيص 257 هكتار في عام 1957 لزراعة الشوفان في بوردو (مهديّة) أي ما يعادل 1,42% من المساحة الصالحة للزراعة (18000 هكتار)، أما زراعة نبتة البرسيم (الفصّة) فهي نادرة في المنطقة لأنها تتطلب الكثير من الماء.

الجدول رقم 50: أنماط الاستغلال الفلاحي في أراضي السرسو

نسبة مساحة الأراضي (%)	أراضي الأوروبيين	أراضي الجزائريين
نمط الاستغلال المباشر	19,5	77,1
نمط الإيجار	8,6	2,3
نمط المزارعة	3,3	0,5
نمط مختلط	68,6	20,1

المصدر: Perrin, 1960

غير أنّ طرق الاستغلال الفلاحي التي عرفتها الحياة الزراعيّة بالسرسو، لم تخرج عن طبيعة بنية الأرض والى صورة العلاقات التي انتظمت حولها، حيث شكّلت صورة استغلال الأرض انعكاسا للصورة التي تظهر عليها بنية التملك التي هي بدورها انعكاسا للبنية الاجتماعية، وما تفرزه من أشكال تنظيمية على المجال، لذلك فقد خضعت الأراضي الفلاحيّة لنوعين من الاستغلال، الاستغلال المباشر وتكون فيه خدمة الأرض واستغلالها من طرف مالكيها مباشرة بغض النظر عن عمالة الأرض أن كانت عائلية أم لا، النوع الثّاني وهو الاستغلال غير المباشر، ويأخذ عدّة أشكال لعل أهمها: المزارعة، الإيجار ونظام الخماسة (الجدول 50)، الذي يعتمد على الأجر العيني وليس التّقدي ويقوم على توزيع المردودية بين صاحب الأرض والعامل الزراعي.

سيطر الأوروبيون على الاستغلال الفلاحي نظرا لحيازتهم لمساحة أكبر بكثير من تلك المستغلة من طرف الجزائريين (كما ذكرنا في فصل البنية العقارية)، على الرغم من أن عدد مستثمراتهم الفلاحية أقل، وذلك راجع لكبر المساحات المستغلة، والتي يغلب عليها النوع الكبير (أكثر من 1000 هكتار) بنسبة مسيطرة فاقت 39%. ارتفاع عدد المستثمرات الفلاحية المستغلة من طرف الجزائريين التي يغلب عليها النوع الصّغير (أقل من 25 هكتار) بنسبة تفوق 22%، يدل على ضعف الاقتصاد الفلاحي للأهالي ممّا يؤثر على الإنتاج وأيضا على الأنواع.

3.1 تربية المواشي، نشاط فلاحي مكمل في السرسو

السرّسو منطقة زراعية غنية بوفرة القش والحبوب، رغم أنّها لم تكن منطقة تربية إلا أن الثروة الحيوانية لم تكن غائبة ولكنها لعبت دورا ثانويا في الاقتصاد من حيث الكمية والنوعية. لطالما آمن المستوطنون، بفكرة التعارض المطلق بين النشاطين (الزراعة وتربية المواشي) إلا أنّ بعضهم كان مهتما بالتربية خاصة بالنسبة لحيوانات الجر التي يحتاجها الجميع في العمل الزراعي (يفضل الفلاحون ذوو الحيازات المتوسطة البغال، لكن أصحاب الحيازات الصغيرة (أقل من 20 هكتارا) يفضلون الخيول)، أما بالنسبة لبقية الأنواع، فقد قلد المستوطنون الأهالي في الجمع بين النشاطين.

تطورت تربية الماشية والأغنام على هامش النشاط الزراعي تماشيا مع الظروف المناخية، خاصة في فترة الجفاف التي ضربت المنطقة، فقد أصبحت تربية المواشي هي المصدر الرئيسي للدّخل خلال فترة الجفاف التي ضربت المنطقة سنة. وجدت تربية الأغنام في دوي حسني (فقد كانت هناك بقرة واحدة مقابل 264 غنمة سنة 1845)، ووجدت تربية الخيول خاصة البربرية في المنتجات الجبلية فيالار (تيسمسيلت) وبورباكي (خميسي) وأيضا في تيارت، حيث ضاعف المستعمر مراكز التكاثر، فأنشأ مركزا سنة 1877 (حظيرة شاوشاوة) لتحسين السلالة بالقرب من تيارت مازالت تنشط ليومنا هذا، وتعتبر أكبر مركز لتربية الخيول في إفريقيا وأول مخبر علمي عربي يزوج بين تربية الخيول الأصيلة العربية والبربرية. أما تربية الأبقار فهي ضعيفة مقارنة بحيوانات الجر، نظرا للظروف الطبيعية غير المواتية (مناخ جاف، وغياب المراعي الخضراء في الصّيف). شجع الاستعمار على تربية البقر الحلوب بغرض توفير الحليب للمركز الحضري تيارت بالقرب منها وإلى غاية بوغلييه (سي الحواس حاليا).

تربية المواشي في السرسو تعني أيضا حركة القطعان، فهو بلد الأغنام قبل أن يكون بلد الحصاد، لأنّه يوفر أراضي رعي واسعة، ومناخا جافا، ومياها في الصّيف بفضل نهر واصل. كان الترحال هو الصّيغة السائدة في السرسو، وهو ما يسمح له بالمشاركة في الاقتصاد الرّعوي في السّهول العليا. لم تشر خريطة وارني لأراضي المراعي في دواوير بني مايدة وبني لنت، لكنها أشارت إلى أن السرسو كان منطقة عبور في فصل الصّيف للقبائل التي تقيم في الجنوب (خليف، الصّحاري والزناخرة)، كما كان هناك تحالف بين قبليتي بني

لنت وبني مايدة وقبائل القبلة فيما يخص تربية المواشي، فينتقل بني مايدة إلى الجنوب لتجنب موت القطعان بسبب البرد القارس. يرحل الكثير من الملاك في الونشريس قطعانهم بداية من شهر نوفمبر إلى زرائب ينجزونها بالسّرسو حيث لا يكون هناك بدو رحل في هذا الفصل (انتقال داخلي) فتنتقل كل مجموعة عشرة خيام تضعها داخل إقليم قبيلة معينة بمكان محدد مسبقاً، سواء عن طريق التّقاليد أو بنص مكتوب (Perrin, 1960).

كان الاقتصاد الزّراعي في السّرسو في الفترة الاستعمارية، يواجه الكثير من المشاكل أهمّها: أنّه يعتمد بشكل كبير على الزّراعة الأحادية، مع ضعف دور السّكان المحليون، نظراً لضعف وسائل الإنتاج وقلة المساحات، تمّ أنّهاك التّربة لأنّها لا تتلقى إلا القليل من السّماد الطّبيعي، إضافة إلى الضّغط السّكاني، حيث فاق عدد السّكان المسلمون ستون ألف نسمة.

على عكس السّهول العليا القسنطينية، لم يستفد السّرسو ولم يكن يوماً ما مجالاً لتأسيس شركات كبيرة تعرض أراضي السّرسو الجنوبية للاستصلاح، لكن ممتهنوا الزّراعة خاصة المستوطنون منهم، أدركوا الحاجة إلى تنوع وإثراء الزّراعة المحلية ضمن الإمكانيات المتاحة؛ فجربوا محاصيل جديدة (الهليون أو السّكوم) وأشكال جديدة لتربية الحيوانات (الدّواجن)، لأنّهم كانوا يأملون في الاستغلال المربح لمنسوب المياه الجوفية في السّهل، مما سيمكنهم من تغيير ممارساتهم الزراعيّة، خاصة وأن المنطقة لها مستقبل في أن تكون رائدة في تربية الماشية. فهل تحقق ذلك بعد الاستقلال؟ وكيف أصبح السّرسو بعد تدخل الدّولة وفق سياسة طويلة ومتنوعة؟ وهذا ما سنجيب عليه لاحقاً.

2. الفلاحة في السّرسو بعد الاستقلال، عمليات هيكلية متعددة

عرف القطاع الفلاحي في الجزائر المستقلة عدّة سياسات تهدف للإصلاح والتّنمية الرّيفية، بدء من سياسة التّسيير الدّاتي التي فرضت نفسها بعد الاستقلال، ثم الثّورة الزّراعية في بداية السّبعينات، شهدت هذه الأخيرة تغييرات في الممارسات الفلاحيّة في السّرسو أدت إلى تغييرات في استخدام الأرض، فقد قضت بضرورة توحيد نظام المحاصيل وتعميم الزّراعة الأحادية للحبوب عن طريق نشر وتوسيع مساحة الزّراعات الواسعة على حساب زراعة الكروم ولاسيما كروم التّبيذ التي كانت تنتشر بشكل كبير في بلدية الدّحموني القديمة (حالياً بلديتي الدّحموني وعين بوشقيف) والتي كان المستعمر يحرص على زراعتها وتوجيه المنتج إلى فرنسا لتصنيع الخمر، وعليه تمّ نزع أشجار الكروم وتحويل المساحات لزراعة الحبوب ولا سيما القمح الصّلب. وهذا ما سمح باستمرار سيطرة زراعة الحبوب على استخدام الأرض الفلاحيّة بنسبة تفوق 60% (القطاعين العام والخاص معاً)، رغم أنّ الكروم حققت مردوداً فلاحياً عالياً سنة 1963 قدر بـ 120 قنطاراً في الهكتار الواحد، إلا أنه تم تقليص المساحة المزروعة من 8800 هكتار سنة 1963 إلى 6000 هكتار سنة 1973، بينما لا تمثّل الخضروات إلا 7.27% والزّراعة المسقية 3.09% وهي نسبة

ضعيفة مقارنة ببقية الأنواع في تلك الفترة (قبل انجاز سد الدّموني). شهد حوض تيسمسيلت أيضا تقلصا في مساحة الكروم وتحويلها إلى الزراعة الواسعة (زراعة الحبوب). شهد السرسو بعد الاستقلال إعادة الاستلاء على أراضيها من طرف الرّعاة، مما أعاد توحيد أنظمة المحاصيل والثروة الحيوانية حول الأملاك الكبيرة "المسيرة ذاتيا"، فالاحتلال غير المنظم للفضاء الزراعي والتّحضر السّريع الذي شهدته المنطقة مع نهاية السّبعينات وبداية الثمانينات تمت دون اندماج المجتمع الزراعي الرّعوي (Boumaza, 1997).

تغيّرت أنظمة الإنتاج في السرسو في فترة السّبعينات نظرا لمشاكل العقار والظروف المناخية والتّقنية، مما منع تطور الإنتاج الفلاحي وأسهم في تشجيع وتغذية الهجرة الرّيفية، خاصة مع ظهور قطاعات منافسة (الصناعة والقطاع الثالث) أنتجت نظام الأجور، وهو ما أدى إلى إعادة تشكيل هيكل العمل وأنتج فيما بعد ندرة اليد العاملة في القطاع الفلاحي. دفع نظام الأجور الأسر وخاصة الفلاحين إلى إيجاد مداخيل أخرى تدعّم النّشاط الفلاحي أو تركه على جنب، إلّا أنّ الصناعة لم تنافس الفلاحة بالنّسبة للعمالة فقط، بل كان ذلك بداية من العقار الفلاحي الذي وجه للنّشاط الصّناعي بمختلف أنحاء السرسو ولاسيما بتيارت وعين بوشقيف كما سنتطرق إليه في الفصل الموالي.

استفادت زراعة الحبوب من الدّعم المالي والتّقني، وخاصة على مستوى الأملاك الكبيرة المسيرة ذاتيا، بينما النّظم المختلطة التي طوّرتها عائلات المزارعين الرّعويين، الذين استقروا في المنطقة حول هذه المناطق لم تحصل على أي دعم يذكر، ورغم ذلك، طوّرت هذه العائلات استراتيجيات لتكثيف الإنتاج الزراعي، بالاعتماد في المقام الأول على تربية الماشية اعتمادا على تقنية التّسمين في الموقع، أو بالشراكة مع رعاة السّهوب (Sahli, 1991). تطلبت تقنية التّسمين كميات مرتفعة من العلف والشعير، ممّا حتم على مربّي الماشية زرع مناطق جديدة على حساب المحاصيل الأساسية (القمح بنوعيه الصلب واللين) وهو ما أدى إلى ظهور منافسة بين زراعة الحبوب الغذائية وتربية الأغنام، انعكست هذه الممارسة سلبيا على المجال، فقد أدى توسع زراعة الحبوب الموجهة للاستهلاك الذاتي للمربين وأسر الرّعاة الزراعيين جنوب السرسو إلى تدهور التّربة في المنطقة، والضغط الشّديد على مراعي الحلفاء والميرمية بسبب أعداد الماشية المتزايدة (Sahli, 1991). أما اجتماعيا فقد وجدت بيئتين زراعتين تشيران إلى بيئتين بشريتين مختلفتين، الأولى تبحث عن الكفاف والوسائل لتدعيم الأسس المادية للزراعة، والثانية تبحث عن الربحية والمكاسب السّهلة، بالاستغلال المكثف للمراعي والممارسات الزراعية المدمرة.

1.2 إعادة الهيكلة الثّانية: نظام المستثمرات الفلاحية في السرسو

شهدت هذه الفترة فجوة بين إنتاج الغذاء واستهلاكه، خاصة في المناطق ذات النّمو السّكاني المرتفع والموارد الطبيعية المحدودة. سجل معدل النّمو في السرسو ففي الفترة 1977-1987 أعلى قيمة له قدرت

بـ 4,26%، نهيك عن مختلف التّحوّلات التي عاشتها ومازلت تعيشها المناطق الرّيفية مما قلص من استغلال الموارد الطبيعية بالمنطقة، شهدت هذه الفترة أيضا اختلالا بين زراعة الأشجار وزراعة الحبوب وتربية الماشية العائلية، كما أنّ السّكان أعادوا توجيه أنشطتهم خاصة نحو القطاع الثالث، وغيّروا نمطهم الغذائي الذي أصبح يتجه نحو استهلاك المنتجات المستوردة من الخارج (Sahli, 1991).

أفرزت فترة الإصلاحات الأولى انعكاسات خطيرة على الزّراعة كتهميش السّكان واضطراب النّظام البيئي والرّيفي، من هنا جاءت سياسة الإصلاح الثانية سنة 1987 باستحداث نظام جديد فيما يخص العقار الفلاحي وتسييره. تأثرت منطقة السّرسو بالهيكلة الجديدة، فالغاء تعاونيات قدماء المجاهدين، وإعادة تقسيم أراضي مزارع الثورة الزّراعية والتّسيير الذاتي جعلت المزارع أكثر تجانسا، كما عرفت المرحلة أيضا تغييرات في استخدام الأرض الزّراعية بالتّحول من زراعة الكروم إلى الزّراعات الواسعة.

بلغت المساحة الزّراعية النّافعة ببلدية الدّحموني إحدى أكثر المناطق خصوبة بالسّرسو قبل التّقسيم الإداري لسنة 1984، 26821 هكتارا ما يعادل 83,22% (بوقطوفة وبورمل، 1998) من مساحتها الاجمالية، وقد سجلت ارتفاعا بنسبة 3% مقارنة بفترة الثورة الزّراعية بفارق 1321 هكتارا، كما تطورت المساحات المزروعة ومردودها الزّراعي مقارنة بالفترة السّابقة.

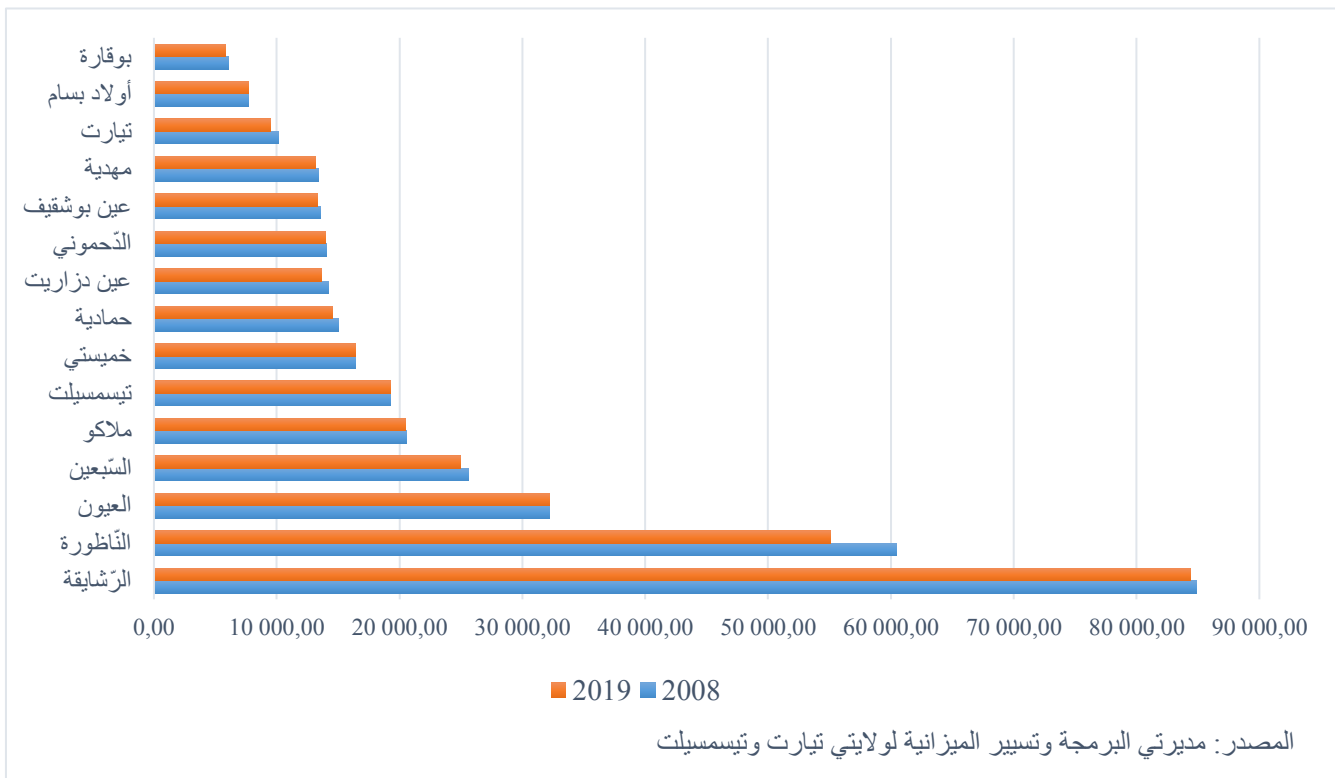
ترتكز الأنظمة الفلاحية في السّرسو على نظام التّناب (الحبوب والبور)، والنّظام الأحادي (الحبوب باستمرار)، النّظام المختلط (حبوب، بور سنويا)، كما يعتمد على تربية الماشية كنشاط مكمل خاصة في النّظام المختلط.

2.2 التنمية الفلاحة: التّكيف مع التّوجهات الاقتصادية الجديدة

1.2.2 عقار فلاحي في توسع مستمر

يرتكز السّرسو على قاعدة عقارية زراعية واسعة تفوق 344 ألف هكتار، 66% منها مساحة زراعية نافعة (261712,22 هكتار) نافعة، أكبر مساحة تتواجد بسرسو تيارت (73,49%) ولا سيما ببلدية الرشايفة. يضم سهل السّرسو ما يفوق 16% من المساحة الزّراعية الكلية لولاية تيارت، بينما ما يفوق 28% من مساحتها الفلاحة النّافعة تتواجد به، كما أنّه يضم ما يقارب نصف أراضيها المسقية، نظرا لاحتوائه على سدّين وعدد من الحواجز المائية وثلاث طبقات مياه جوفية، يغلب على أراضيها الفلاحة طابع الامتياز الفلاحي (المستثمرات الجماعية والفردية والمزارع النّموذجية) الذي يفوق الملكية الخاصة وهو ما يفسر الملكية العمومية نظرا للسياسة الاستعمارية التي عملت على تفكيك النّظام العقاري والاستحواذ عليه وخاصة في المناطق الفلاحة الجيدة.

تطورت المساحة الزراعيّة الكلية في السرسو ابتداء من سنة 2003¹، إلى غاية يومنا هذا (الجدول رقم 51)، فقد حافظت على نفس القيمة إلى غاية 2006 (257261 هكتار)، إلا أنّها ارتفعت سنة 2008 بقيمة (20741 هكتار) فسجلت (268725,62 هكتار) ثم عاودت الانخفاض من جديد سنة 2019 لكن بقيمة ضئيلة (9 276,38 هكتار) بزيادة قدرها (11464,62 هكتار) وهو ما يتعلق بسرسو تيارت فقط، أما بإضافة سرسو تيسمسيلت فقد سجلت المساحة الزراعيّة الكلية (353553 هكتار) سنة 2008، انخفضت انخفاضا طفيفا إلى (344276,62 هكتار) سنة 2019، يفسر الارتفاع في المساحة الفلاحيّة الكلية ببرامج التّثمينيّة الفلاحيّة وخاصة الاستصلاح، وقد توافق ارتفاع المساحة الفلاحيّة مع البلديات الجنوبيّة للسرسو (الواجهة الرّعيّة) خاصة بلدية الرّشايقة حيث ارتفعت مساحتها الزراعيّة من 77614 هكتار سنة 2003 إلى 84354 هكتار سنة 2019.



الشكل رقم 13: تطور المساحة الفلاحيّة الكلية بالهكتار حسب بلديات السرسو

¹ حسب المعطيات التي استطعنا الحصول عليها من مديرية المصالح الفلاحيّة لولاية تيارت، مع غياب معطيات الجزء الخاص بتيسمسيلت.

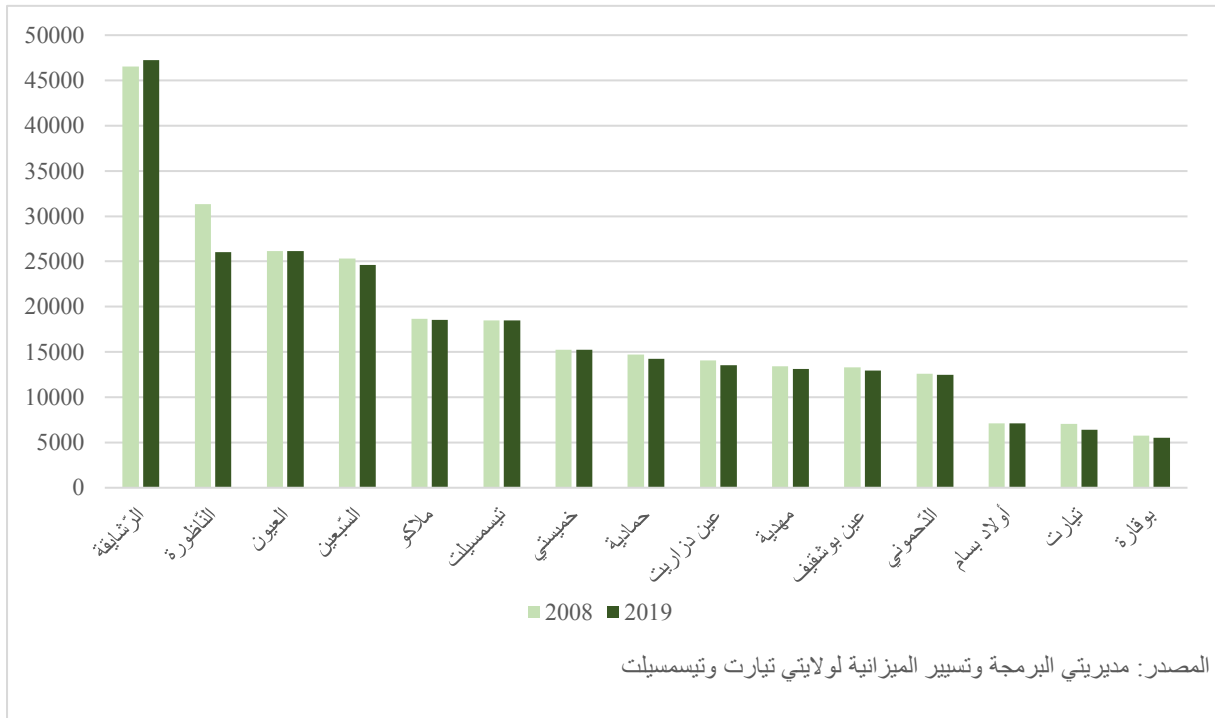
القسم الثالث الفصل السادس: الفلاحة في السرسو، تكيف تدريجي مع التّووع واكتساب وظائف جديدة

الجدول رقم 51: تطور المساحات الفلاحية في السرسو

2019			2008				2003			البلدية
المساحة الفلاحية النّافعة/100 نسمة	المساحة الفلاحية النّافعة SAU		المساحة الفلاحية الكلية (SAT)	المساحة الفلاحية النّافعة/100 نسمة	المساحة الفلاحية النّافعة SAU		المساحة الفلاحية الكلية (SAT)	المساحة الفلاحية النّافعة (SAU)	المساحة الفلاحية الكلية (SAT)	
	المساحة المسقية (هك)	المساحة (هك)			المساحة المسقية (هك)	المساحة (هك)				
2,60	206	6403,22	9486,87	3,52	256	7076	10160	7112	7594	تيارت
58,90	209,5	12496	13955,8	61,68	304	12570	14030	12570	13470	الدّحموني
72,07	611,25	12969	13284	88,41	202	13281	13596	13281	13596	عين بوشقيف
113,34	461	18571	20451,95	142,49	409	18676	20557	18676	19941	ملاكو
33,40	1113	13100	13121	40,54	334	13410	13431	13410	13431	مهديّة
192,11	3583,25	24600	24932	235,11	498	25305	25637	25305	25637	السّبعين
264,39	876	26045	55114	414,87	489	31360	60429	31360	50680	النّاطورة
129,94	577	13520	13671	172,53	387	14042	14193	14042	14193	عين دزاريت
93,06	490	14236	14511	89,51	750	14736	15011	14736	15011	حماديّة
539,58	4993	47251	84354	234,80	3600	46561	84864	45766	77614	الرّشايقة
129,73	380	5524	5844	81,94	450	5774	6094	5774	6094	بوقارة
64,96	32871	688725,22	1589531,22	83	24 332	705650	1609900	704596	1134799	ولاية تيارت
18,43	929	18507	19272	24,61	250	18507	19272	/	/	تيسمسيلت
52,90	489,5	7104	7660	65,55	450	7104	7660	/	/	أولاد بسام
50,79	1088	15232	16414	66,52	230	15232	16414	/	/	خميسّتي
101,75	2363	26154	32205	127,10	240	26154	32205	/	/	العيون
40,16	8983	145456	189750,27	49,39	3312	145456	189749,77	/	/	ولاية تيسمسيلت
42,55	18369,5	261712,22	344276,62	55,95	8849	269788	353553	202032	257261	مجموع السّرسو

المصدر: مديرية البرمجة وتسيير الميزانية لولاية تيارت وتيسمسيلت (2003-2019)

نفس المنحى عرفته المساحة الفلاحية النّافعة، بقدر ما حافظت على نفس القيمة طيلة عدّة سنوات لكنّها ترتفع تارة وتنخفض تارة أخرى (الشّكل رقم 14)، سجلت عام 2019 (261712,22 هكتار) بكامل السّرسو. تضم البلديات الجنوبية (الرّشايقة والنّاظورة) أكبر نسبة من الأراضي الزراعيّة النّافعة بسرسو تيارت وخاصة بلدية الرّشايقة بأكثر مساحة تقدر بـ 24,27%، تليها النّاظورة (13,38%) ثم السّبعين (12,73%)، بينما تنخفض في كل من تيارت، بوقارة والدّحموني بأصغر مساحة بنسبة (1,81%). أما البلديات التّابعة لسرسو تيسمسيلت (منطقة الأقدام)، فنجد أن أكبر مساحة تأخذها بلدية العيون ما يفوق 46% من المساحة النّافعة بسرسو تيسمسيلت و39% من المساحة الزراعيّة النّافعة بالولاية.



الشكل رقم 14: تطور المساحة الفلاحية النّافعة بالهكتار حسب بلديات السّرسو

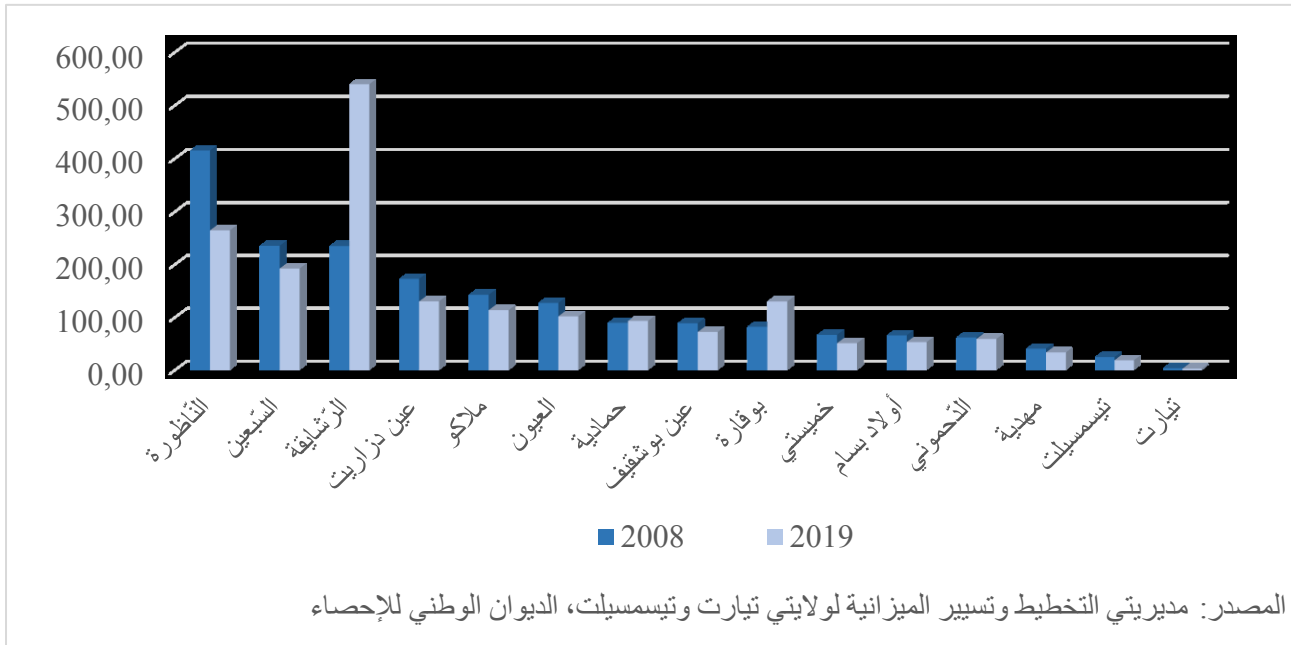
شهدت البلديات الجنوبية للسّرسو، إضافة إلى البلديات السّهبية بولاية تيارت تطبيق آلية حيازة الملكية العقارية عن طريق الاستصلاح في إطار القانون رقم 83-18، واستفادت بلدية الرّشايقة من استصلاح ما يفوق 2300 هكتارا بمجموع 615 مستثمرة بين صغيرة ومتوسطة الحجم، كما ذكرنا سابقا (وهو ما ساهم في رفع المساحة الزراعيّة الكلية وأيضا النّافعة، وبالتالي حفز ميلاد نمط زراعي جديد مبني على السّقي، خاصة وأن البلدية معروفة بإمكانياتها المائية الجوفية، ومصادر مياه دائمة كافية لإنشاء محيط سقي. واستفادت أيضا نفس البلدية من برنامج الاستصلاح عن طريق الامتياز، خصّصت حصّة للمستثمرين وأخرى للشباب (94 مستفيدا)، بمساحة إجمالية قدرت بـ 9500 هكتار بمحيطين هما الرّشة وأم الزّبوج،

إلاّ أنّه لم يتم توزيع إلاّ 4140 هكتارا على 60 مستثمرا، بسبب المنازعات على العقار ورفض السّكان المحليين للمستثمرين من خارج المنطقة.

حسب المصالح الفلاحية لولاية تيارت فإن مشروع الاستصلاح بالمنطقة كلف خزينة الدّولة 34 مليارا، شمل الكهرباء الرّيفية وانجاز آبار عميقة وأحواض مجهزة بالمضخات ومعدات السّقي، إلاّ أنّ المشروع لم يدخل الخدمة بعد بسبب المنازعات كما ذكرنا سابقا.

ساهمت المشاريع الجوارية للتّنمية الرّيفية المدمجة في تهيئة المناطق الرّيفية والزّراعية على عدّة مستويات ممّا سمح بتحسين الأداء الفلاحي بالمنطقة من خلال تحسين العقار، غرس الأشجار المثمرة، إنجاز مصدات الرّياح، غرس الأشجار المقاومة للصّقيع وخاصة اللّوز، تهيئة المسالك الرّيفية وتصحيح مسار المجاري المائية ودعم الكهرباء الرّيفية.

بالمقابل شهد نصيب الفرد (100 شخص) من المساحة الصّالحة للزّراعة انخفاضا (الشكل رقم 15) في كل من ولاية تيارت، تيسمسيلت والسّرسو على حد سواء (الشكل رقم)، بسبب التّزايد السّكاني الذي مسّ مختلف البلديات وخاصة الكبيرة منها، فقد انخفض في السّرسو من 55,95 هكتار لكل 100 فرد سنة 2008 إلى ما يعادل 42,55 هكتارا فقط.



الشكل رقم 15: تطور نصيب الفرد من المساحة الزراعية النافعة

هذا الانخفاض عرفته معظم بلديات السّرسو خاصة بلديتي السّبعين وعين دزاريت، حيث شهدت هاتين البلديتين ارتفاعا في معدل النّمو السّكاني سنة 2019 مقارنة بالفترة السّابقة، بينما شهدت ثلاث بلديات (الرشايقية، بوقارة وحمادية) زيادة موجبة، أعلى قيمة سجلت ببلدية الرّشايقية فقد ارتفع نصيب الفرد من

234 هكتار إلى ما يفوق 539 هكتار لكل 100 شخص، يرتبط بذلك بانخفاض معدل النّمو من جهة وارتفاع المساحة الفلاحية النّافعة من جهة أخرى، أمّا بالنسبة لبلدية تيارت فيفسر انخفاض نصيب الفرد من المساحة النّافعة إلى التوسع العمراني للمجمعة الحضرية على الأراضي الفلاحية جنوبا، فقد اقتطعت مساحة 340 هكتار من المستثمرة الفردية "غوئي جيلالي" لإنشاء المنطقة الصناعية الجديدة، وتوجه جزء من العقار الفلاحي أيضا لإنشاء التجزئة السكنية الفردية بمجمعة عين مصباح.

تغيّرت البنية العقارية في الجزائر مرة أخرى على إثر إعادة الهيكلة الثانية سنة 1987، حيث تم إنشاء نظام المستثمرات الفلاحية العمومية (الفردية والجماعية) على أراضي الفلاحية النّافعة للأموال الوطنية للدولة إضافة إلى القطاع الخاص، وعليه ارتفع عدد المستثمرات الفلاحية المنشأة مقارنة بالمستثمرات السابقة النّافعة لمجالات الثّورة الزراعيّة أو القطاع المسير ذاتيا.

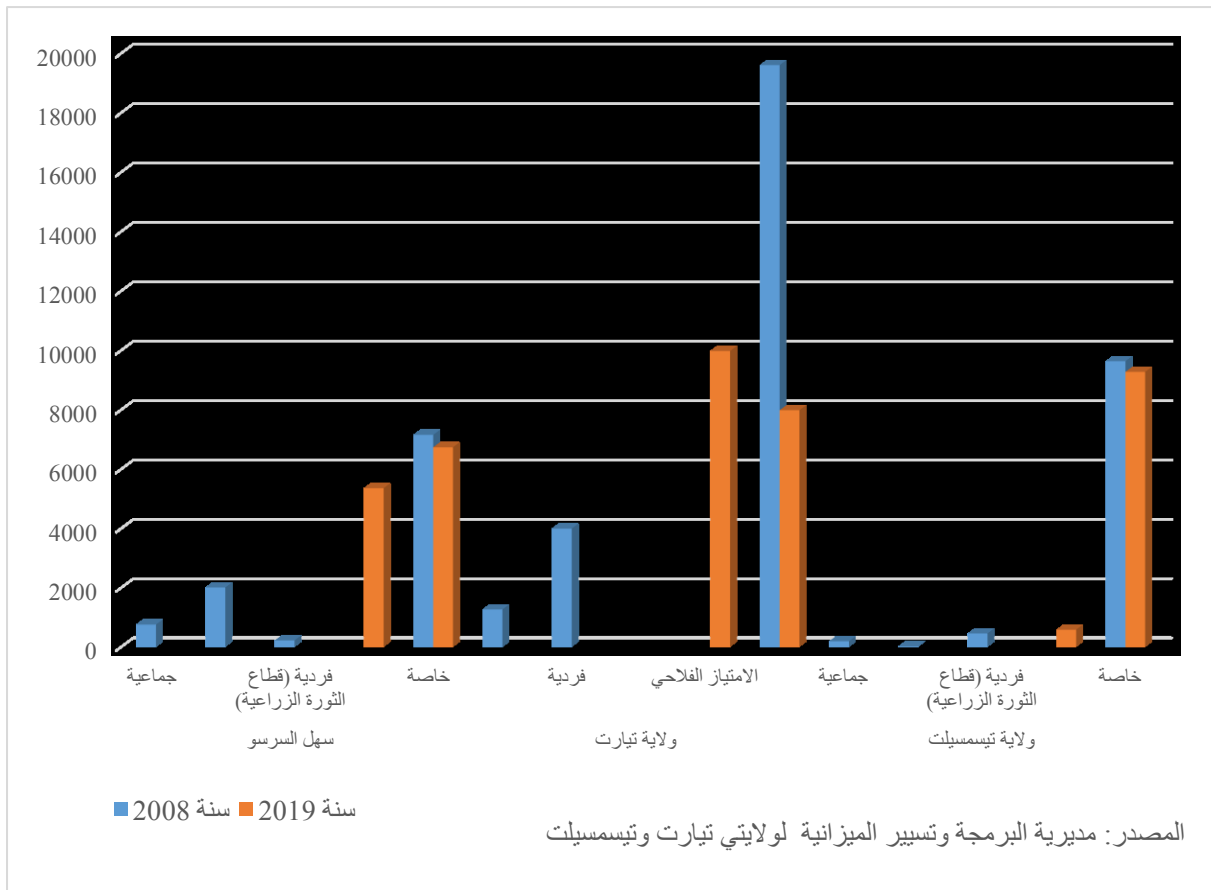
شهد السّرسو على مر السّنوات ارتفاعا متواصلا في عدد المستثمرات العمومية بنوعها الفردية والجماعية وأيضا الخاصة، وبالتالي شهد أيضا تذبذبا في المساحات بين الارتفاع والانخفاض، نظرا لتشكيل مستثمرات فلاحية جديدة بسبب عمليات الاستصلاح بموجب القانون رقم 83-18 جنوب السّرسو، كما أن للتقسيم دور بارز في انخفاض المساحات الفلاحية، خاصة في القطاع الخاص الذي يشمل غالبا أراضي عائلية يحوز عليها أصحابها عن طريق الميراث، سمحت آليات التّطهير العقاري المتنوعة ولاسيما المسح العقاري الرّيفي بتطهير العقار الفلاحي وحصول الملاك على الدّفاتر العقارية التي حدّدت الملكية ومساحتها.

الجدول رقم 52: تطور المستثمرات حسب النوع والمنطقة

عدد المستثمرات		نوع المستثمرة	المنطقة
سنة 2019	سنة 2008		
	753	جماعية	سهل السّرسو
	2008	فردية	
	220	فردية (قطاع الثّورة الزراعيّة)	
5358		الامتياز الفلاحي	
6734	7152	خاصة	ولاية تيارت
	1266	جماعية	
	3994	فردية	
		فردية (قطاع الثّورة الزراعيّة)	
9974		الامتياز الفلاحي	ولاية تيسمسيلت
7982	19600	خاصة	
	190	جماعية	
	16	فردية	
	455	فردية (قطاع الثّورة الزراعيّة)	
581		الامتياز الفلاحي	
9272	9632	خاصة	

المصدر: مديرية البرمجة وتسيير الميزانية لولايي تيارت وتيسمسيلت

تتفوق المستثمرات العمومية الفردية في السرسو على نظيرتها الجماعية في سنتي 2003 و2008، من حيث العدد، فقد سجلت 2376 مستثمرة مقابل 708 فقط جماعية بمجموع 6168 مستثمرة عمومية بالنسبة لسرسو تيارت (عدم توفر المعطيات الخاصة بسنة 2003 بالنسبة لسرسو تيسمسيلت)، أما سنة 2008 فقد تطور عدد المستثمرات بشكل إجمالي، فقد سجلت المستثمرات الفردية 2008 مستثمرة، مقابل 753 جماعية، كما سجلت المصالح الفلاحية لولاية تيسمسيلت وجود مستثمرات فردية تابعة لقطاع الثورة الزراعية، وقد بلغت 220 مستثمرة بمساحة (4286,54 هكتار) وبذلك بلغت المستثمرات العمومية بأنواعها (2981 مستثمرة)، أما في سنة 2019، فقد افضى الإحصاء الذي قامت به مديرية المصالح الفلاحية للولاية إلى وجود 5358 مستثمرة عمومية، حيث تغيرت صيغ الحيازة من المستثمرات الفردية والجماعية إلى الامتياز الفلاحي¹، إلا أن عددها ارتفع عن السنوات السابقة بزيادة قدرها 2377 مستثمرة.



الشكل رقم 16: تطور المستثمرات الفلاحية حسب النوع في السرسو مقارنة بولايتي تيارت وتيسمسيلت

¹ ما تزال عملية التطهير متواصلة، لتحويل العقود من الانتفاع الدائم إلى الامتياز الفلاحي

تتفاوت الملكية الخاصة عن العمومية في السّرسو لكن بقيمة ضئيلة (55,69%)، بينما تتفوق الملكية الخاصة مقارنة بالعمومية بسرسو تيسمسيلت بنسبة تفوق 91% من حيث العدد، أما من حيث المساحة فتقدر الملكية الخاصة بـ 39 379,38 هكتار ما يعادل 60,23% من المساحة الكلية، عكس ولاية تيارت حيث تتفوق الملكية العمومية عن الخاصة (الشكل 16)، وهذا الوضع له خلفية تاريخية حيث عادت الأملاك الشاغرة كلها للدّولة بعد الاستقلال، حيث أن المستوطنين كانوا أكثر حيازة للعقار الفلاحي بسرسو تيارت.

الجدول رقم 53: الوضعية القانونية والعقارية للأراضي الفلاحية بالسّرسو حسب نوع المستثمرة

نوع المستثمرة	الوضعية العقارية	عقد امتياز	عقد ملكية (دفتر عقاري)	عقد إيجار	عقد ملكية	عرفي	المجموع العام
خاصة	مالك		69				69
	مستأجر			23			23
	مستغل	3					3
	ميراث				2	1	3
	المجموع	3	69	23	2	1	98
جماعية	مستأجر			11			11
	مستغل	80					80
	المجموع	80		11			91
فردية	مستأجر			2			2
	مستغل	56					56
	المجموع	56		2			58
مزرعة نموذجية	مستغل	3					3
	المجموع	3					3
المجموع الكلي							250

المصدر: تحقيق ميداني، 2021

يغلب على السّنديات التي تبرر ملكية الأراضي الفلاحية في السّرسو عقود الامتياز، التي أصبحت تحل محل عقد الانتفاع الدائم ويتعلق الأمر بالأملاك العمومية للدّولة متمثلة في المستثمرات الفلاحية الفردية والجماعية، حيث وجدنا حسب التّحقيق الميداني أن ما يفوق نصف المحقق معهم (56,8%) لديهم عقود الامتياز، على الرّغم من أنّ صاحب عقد الامتياز له الحق في التّصرف في الأرض والبناء فيها بالنّسبة والنّشاط الذي يسمح به القانون، إلا أنّه لا يمكّنه من الملكية التّامة وعليه نعتبره في كل الحالات مستغلا فقط وليس مالكا، أما الأراضي الخاصة فيحوز ملاكها على الدّفاتر العقارية، ممّا يعطي انطبعا عن استكمال المسح الرّيفي بولاية تيارت أو على الأقلّ بالبلديات المحقق فيها، بينما يستقطب السّرسو فلاحيين من داخل وخارج المجال يستأجرون الأراضي لممارسة نشاطهم عن طريق عقود الإيجار (18%)، وذلك في مختلف أنواع المستثمرات ولا سيما الخاصة منها.

يغلب على الأراضي الفلاحية بالسّرسو حسب التّحقيق الميداني الحجم متوسط المساحة (25-50 هكتارا)، ما يقارب نصف الأراضي، تليها ذات حجم (10-25 هكتار)، أما الأراضي الكبيرة جدا والتي تفوق مساحتها 100 هكتار فلم نجد غير مستثمرة واحدة خاصة مساحتها 150 هكتارا، بينما يتقارب عدد المستثمرات الصغيرة (أقل من 10 هكتار) والكبيرة (50 – 100 هكتار) ولاسيما في الأراضي ذات الملكية الخاصة، لأنها الأكثر عرضة للتقسيم بسبب توارثها بين الأجيال.

الجدول رقم 54: توزيع المستثمرات الفلاحية حسب نوعها ومساحتها

المساحة	جماعية		خاصة		فردية		مزرعة نموذجية		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
أقل من 10 هكتار	2	2,20	18	18,37	10	17,24			30	12,00
من 10-25 هكتار	35	38,46	26	26,53	12	20,69			73	29,20
من 25-50 هكتار	38	41,76	37	37,76	31	53,45	3	100,00	109	43,60
من 50-100 هكتار	16	17,58	16	16,33	5	8,62			37	14,80
أكثر من 100 هكتار			1	1,02					1	0,40
المجموع	91	100,00	98	100,00	58	100,00	3	100,00	250	100,00

المصدر: تحقيق ميداني، 2021

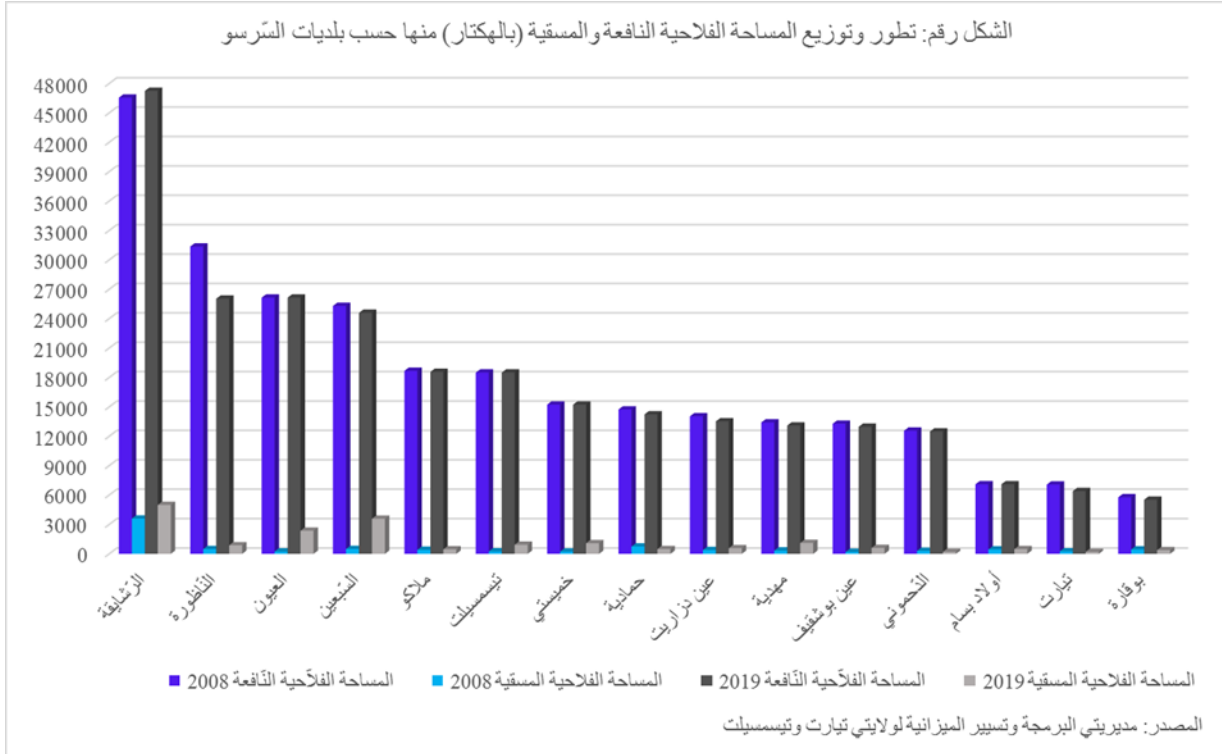
2.2.2 الزراعة المسقية: إعادة إحياء نمط قديم وتوسيعه

الزّراعة المسقية في السّرسو ليست نمطا جديدا، فقد كان سكانه يمارسون هذا النوع من الزّراعة لكن بمساحات ضئيلة جدا وفي أماكن محدودة، فالأراضي المسقية كانت موجودة فقط في الأحواض، في الوديان (خاصة بالقرب من جبل النّاطور)، بالقرب من واد سوسلم، نهر واصل وواد الطّويل. كما أن الإنتاج كان ضئيلا في غالب الأحيان موجه للاستهلاك الذاتي (تحقيق ميداني، 2021).

تمثل المساحات الزراعيّة المسقية في سهل السّرسو (الجزء التّابع لولاية تيارت) ما يفوق 31% من المساحة المسقية في كل الولاية سنة 2008، وهي نسبة مرتفعة مقارنة بنسبة المساحة الزراعيّة النّافعة منها (28,73 % سنة 2008، ارتفعت إلى 41 % سنة 2019 (الشّكل رقم 17).

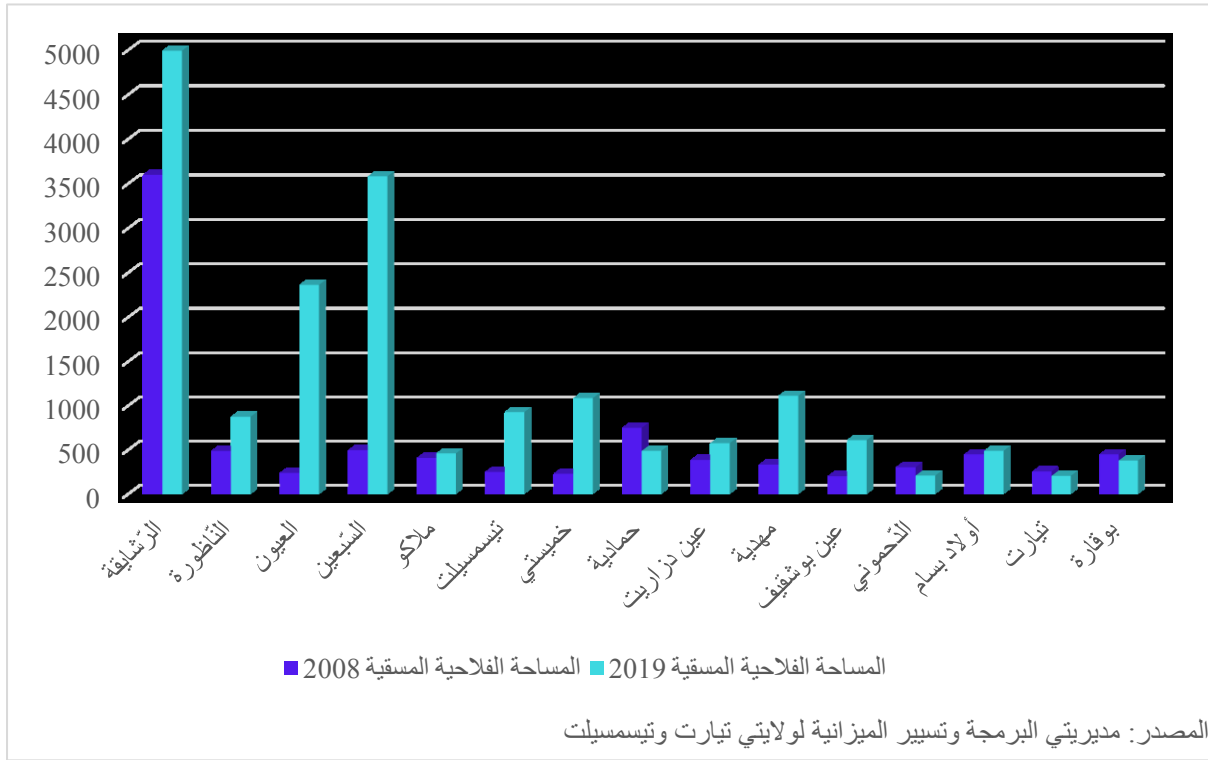
تطورت الزّراعة المسقية في سهل السّرسو، فقد تضاعفت المساحة في الفترة 2008-2019، سمحت تعبئة مياه السّقي من المصادر السّطحية وخاصة سدّي بوقارة والدّحموني، الحواجز المائيّة (المركونة وبوجهران) وأيضا المياه الجوفية (ثلاث جيوب مائيّة: السّرسو، واصل ومينة بقدرة بحجم 45,81 هك³ في السّنة) (حسب مديرية الموارد المائيّة لولاية تيارت، 2020) استغلالها عن طريق حفر الآبار (3130 بئرا) والآبار العميقة (3052 بئر بولاية تيارت) وخاصة بالمنطقة الجنوبيّة للسّرسو (الجيب المائي السّرسو). ارتفعت المساحة المسقية في كل البلديات باستثناء تيارت والدّحموني، وحمادية وبوقارة.

تحوز بلدية الرشايق على النصيب الأكبر من المساحات المسقية (الشكل رقم 18)، حيث سجلت ارتفاعا في الفترة 2008-2019 بقيمة موجبة (1393 هكتارا)، إلا أن بلدية السبعين سجلت ارتفاعا بقيمة أكبر من باقي بلديات السرسو قدرت بـ 3583,25 هكتار ثم مهدية (1113 هكتار)، وشهدت أيضا بلدية عين بوشقيف ارتفاعا في مساحتها الفلاحية المسقية بـ (409,25 هكتار).



الشكل رقم 17: تطور وتوزيع المساحة الفلاحية النافعة والمسقية بالهكتار في بلديات السرسو

يتأثر تطور أو تراجع المساحات المسقية في السرسو إلى تعبئة المياه الجوفية والسطحية من جهة وأيضا لممارسات الفلاحين خاصة أولئك الذين تقع أراضيهم في محيطات السقي (بوقارة والسبعين)، ويظهر تأثير البرامج الوطنية للتنمية الفلاحية (PNDA) التي سمحت للفلاحين بحفر الآبار.



الشكل رقم 18: تطور المساحة المسقية بالهكتار في بلديات السّرسو

الجدول رقم 55: المساحات المسقية (محيط السّقي بوقارة)

2020	2017	2016	2015	2014	2013	2012	2010	2006	2005	حجم المياه المستعمل (3م)
/	452000	457000	65000	53000	108000	194000	319750	400000	300000	المساحة المسقية (هكتار)
307	264	153	21	30	13	53	53	340	240	

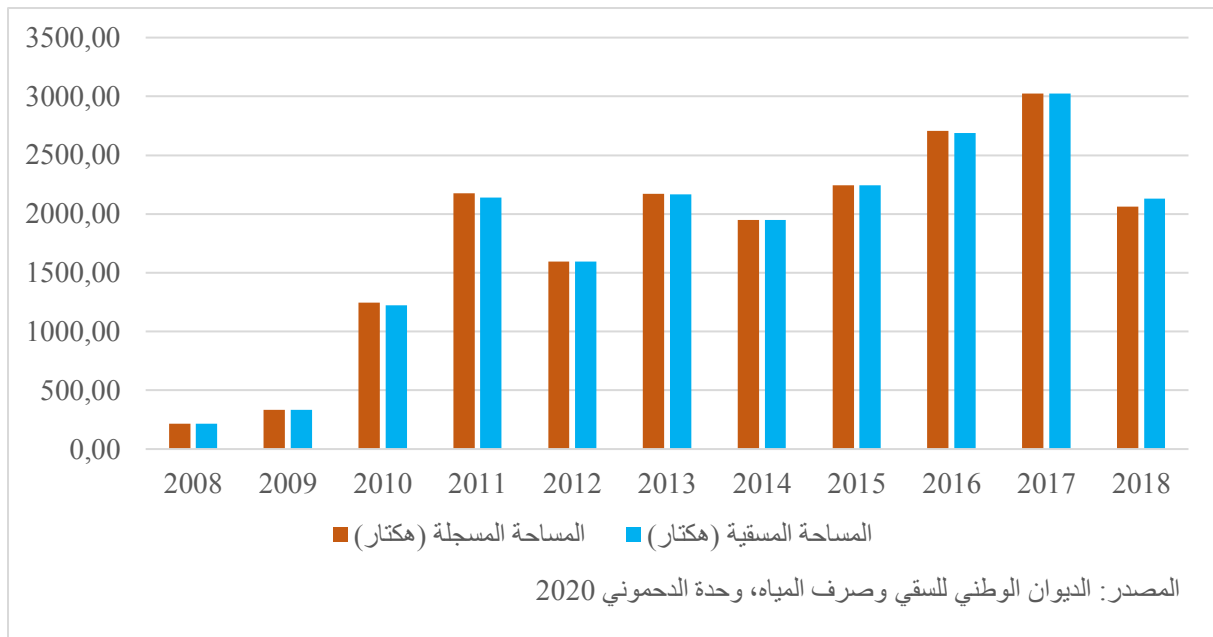
المصدر: مديرية الموارد المائية لولاية تيسمسيلت 2020

تطورت المساحات المسقية وارتفع حجم المياه المستعملة للسقي خاصة في سنتي 2005، 2006، ويرجع ذلك إلى استغلال مياه سد بوقارة الذي دخل الخدمة سنة 2002، إلا أنّ ثلاث سنوات التي تلتها لم تستعمل مياه السّد للسقي، بسبب المشاكل التّقنية حسب ما صرحت به مديرية الموارد المائية لولاية تيسمسيلت، رغم أن مساحة السّقي تقدر بـ 900 هكتار (مديرية البرمجة وتسيير الميزانية). ومع مطلع سنة 2010 عاد السّد للخدمة لكن لمساحات ضئيلة جدا لم تتعدى 53 هكتار لعدة سنوات متتالية، ثم بدأت المساحة المسقية في التّراجع سنويا إلى غاية 2016، حيث عادت لارتفاع من جديد لكنّها بقيت ضئيلة مقارنة بالإمكانات المائية المتاحة ومقارنة بالسّنوات الأولى لاستغلال مياه السّد، مع التّوقف لمدة سنتين ثم العودة من جديد سنة 2020 بمساحة محدودة قدرت بـ 307 هكتار. أرجع القائمون على القطاع أن أسباب الانقطاع تارة والتّراجع تارة أخرى ترجع إلى عدم التّزام الفلّاحين بالبرامج المسطرة، نهيك عن الاختراقات والسّقي العشوائي وعدم الالتزام بدفع تكاليف استهلاك المياه والكهرباء.

يوفر سد الدحموني السقي لمئات الهكتارات بمحيط السقي السبعين، بلغت القدرة التخزينية للسد سنة 2015 ما يقارب 39,52 هم3، لكنها انخفضت إلى 35,51 هم3 سنة 2019 (الديوان الوطني للسقي وصرف المياه)، غير أن معدل تعبئة السد لم تتجاوز 15,36 % فالكمية المجمعة المصرح بها من طرف الوكالة الوطنية للسود قدّرت بـ 5,456 هم3 فقط سنة 2022. الجدول رقم 56: تطور المساحة المسقية (محيط السقي السبعين)

السنة	2008	2009	2011	2012	2013	2014	2015	2017	2018
المساحة المسجلة (هكتار)	216,50	332,16	2174,00	1595,95	2169,50	1948,50	2245,25	3025,00	2063,00
المساحة المروية (هكتار)	216,50	332,16	2141,00	1595,95	2165,60	1948,50	2245,25	3025,00	2130,00

المصدر: الديوان الوطني للسقي وصرف المياه (وحدة الدحموني 2020)



الشكل رقم 19: تطور المساحات المسجلة والمسقية بالهكتار بمحيط السقي السبعين

تتماشى المساحة المسجلة للسقي مع المساحة المسقية فعلا في معظم السنوات (الشكل 19)، غير أنها تتفوق عليها أحيانا وخاصة في سنة 2018، بسبب السقي العشوائي من طرف فلاحي المنطقة. تتشابه ممارسات الفلاحين في المحيطين (السبعين وبوقارة)، وهو ما يؤثر سلبا على تسيير الموارد المائية في السدين، خاصة مع انخفاض القدرة التجمعية للسد عام 2022 بسبب موجة الجفاف التي اجتاحت المنطقة.

3.2.2 مصادر الرّيّ متعددة، تعتمد خاصة على استغلال الطبقات الجوفية

لم تعد التّساقطات المصدر الوحيد للسّقي في السّرسو، بل تتعدد مصادره، خاصة وأنه يحوي سدين وثلاث طبقات مائية جوفية، مما سمح للفلاحين بحفر الآبار سواء العادية أو العميقة، خاصة في الرّشايقّة والنّاظورة، غير أنه يوجد مناطق حمراء يمنع فيها حفر الآبار العميقة مثل عين بوشقيف، السّبعين وعين دزاريت، ومختلف المناطق الواقعة في محيطات السّقي (محيط السّبعين ومحيط بوقارة) أي بالقرب من السّود.

الجدول رقم 57: مصادر الرّيّ (منشآت تعبئة مورد الماء) في السّرسو حسب البلدية ونوع المستثمرة

سد	عدد المستثمرات حسب مصادر الرّيّ			نوع المستثمرة	البلدية
	التّساقطات	بئر جوفية (عادية)	بئر عميقة (ارتوازية)		
		2	12	جماعية	الرّشايقّة
	2	1	20	خاصة	
	1	4	10	فردية	
	3	7	42	المجموع	
4				جماعية	السّبعين
23		1	10	خاصة	
8			1	فردية	
			1	مزرعة نموذجية	
35		1	12	المجموع	
	5	9	5	جماعية	النّاظورة
	5	5	5	خاصة	
		16		فردية	
	10	30	10	المجموع	
	25	5		جماعية	عين دزاريت
	3	13		خاصة	
		4		فردية	
	28	22		المجموع	
	5	4	15	جماعية	مهديّة
	4	1	4	خاصة	
		1	14	فردية	
		2		مزرعة نموذجية	
	9	8	33	المجموع	
35	50	68	97	المجموع الكلي للمستثمرات	
1		76	121	المجموع الكلي للمصادر	

المصدر: تحقيق ميداني، 2021

تعتمد المستثمرات الفلاحية المحقق على الآبار بنسبة تفوق 66 %، ولا سيما العميقة منها (58,78 %)، أعلى نسبة تتركز في الرّشايقّة (43,29 %)، فحسب التّحقيق الميداني وجدنا 121 بئراً عميقة، يتراوح عمقها بين 30-120 متراً، و76 بئراً جوفية (عادية)، إضافة إلى 34 حوضاً، ندرة الآبار في بعض مناطق السّرسو راجع إلى عمق الماء، وهو ما يفسر ارتفاع عدد الآبار العميقة مقارنة بالعادية، أما بلدية السّبعين

تتميز بتعدد و تنوع مصادر المياه، نظرا لقربها من سد الدحموني الذي يعد شريان الحياة هناك، و بالتالي تعتمد على السقي الكبير في تعبئة المياه في المنطقة. تتركز ثلاث أرباع الآبار العادية (76,47 %) في كل من بلديتي عين دزاريت والنّاطورة، حيث تتميز هاتين البلديتين بشبكة هيدروغرافية قديمة موجهة من الغرب نحو الشرق، وهي ثلاث أودية: واد مشتي بعين دزاريت، واد سوسلم ومسكف بالنّاطورة، وهي أودية مؤقتة الجريان إلا أنها تتسرب، وهو ما يسمح بوجود الماء على عمق قصير إلى متوسط وبالتالي فإن حفر الآبار بهتين المنطقتين لا يتطلب عمقا مهما. تعتمد عدة مستثمرات على مصادر مختلفة للسقي إضافة إلى التساقطات الموسمية، كما وجدنا خمسون مستثمرة لا تعتمد على أي مصادر للري باستثناء التساقطات.

الجدول رقم 58: ملكية مصادر الري في السرسو

بلدية	نوع المستثمرة	ملكية المصادر		
		خاص	تساقطات	الدولة
الرّشايقة	جماعية	9		1
	خاصة	16	2	
	فردية	11	1	
	المجموع	36	3	1
السّبعين	جماعية			4
	خاصة	8		28
	فردية	1		8
	مزرعة نموذجية	1		
	المجموع	10		40
النّاطورة	جماعية	14	5	
	خاصة	10	5	
	فردية	16		
	المجموع	40	10	
عين دزاريت	جماعية	5	25	
	خاصة	13	3	
	فردية	4		
	المجموع	22	28	
مهديّة	جماعية	19	5	
	خاصة	5	4	
	فردية	15		
	مزرعة نموذجية	2		
	المجموع	41	9	
	المجموع الكلي	149	50	41

المصدر: تحقيق ميداني، 2021

وجدنا حسب التّحقيق الميداني أنّ ما يفوق نصف المستثمرات (56,6 %) يمتلك أصحابها مصادر ري خاصة، يعود الارتفاع في عدد الآبار إلى تمويلها وتجهيزها ضمن المخطط الوطني للتنمية الفلاحية (PNDA) ثم من خلال برامج الصندوق الوطني للتنمية الفلاحية (FNDA)، فقد استفاد الفلاحون من

رخص حفر الآبار، كما استفادوا أيضا من الدعم فيما يخص السقي التكميلي، بتزويد الفلاحين بعتاد السقي والمضخات، حيث استفادت بلديات دائرة مهدية الخمسة من 77 عتاد سقي و3 مضخات سنة 2020 (القسم الإقليمي للفلاحة لدائرة مهدية). لاقت هذه البرامج اقبالا واسعا من طرف الفلاحين، رغم ارتفاع تكاليف حفر الآبار وتجهيزها ثم فاتورة الكهرباء بعد الاستعمال، إلا أنّ البعض يستخدم محركات المازوت لكن بنسبة ضئيلة، منهم من تتواجد أراضيهم في مناطق غير مجهزة بالكهرباء وهي نسبة منخفضة جدا، تدل على تغطية المنطقة بنسبة جيدة بالكهرباء الريفية. انعكست البرامج التنموية إيجابيا على الفلاحة في السرسو، فقد ساهمت في توسيع المساحة المسقية وساعدت على تسيير فترات الجفاف باعتماد السقي التكميلي والتكيف مع العناصر المناخية عامة، وساهم أيضا في تنويع ورفع الإنتاج الفلاحي بالمنطقة.

4.2.2 تحديث وتطوير أنظمة السقي والتكيف معها

يعد الرّش المحوري من أهم أنظمة الرّي الحديثة، حيث يمكن من خلاله سقي مساحات شاسعة من الأراضي وبكميات محدودة من المياه، لذا يعتمد أكثر من نصف الفلاحين المحقق معهم في السرسو على هذا النظام (55,6 %)، خاصة لسقي الخضروات بدورة واحدة أسبوعيا وأيضا لسقي الحبوب (السقي التكميلي)، دورة كل شهر (أي أن ممارساتهم الزراعيّة متنوعة خضر وحبوب)، إلا أن 20 % منهم يعتمدون على نظام التساقطات فقط ويتعلق الأمر بالزراعة الواسعة الجافة (الحبوب)، وخاصة ببلدية عين دزاريت، بينما تنخفض النسب في بقية الأنظمة وخاصة الغمر والتّقطيط الموجه لسقي الأشجار المثمرة، غير أن بعضهم يجمع بين عدّة أنظمة في المستثمرة الواحدة.

الجدول رقم 59: نظام السقي في السرسو

المجموع		مهدية	عين دزاريت	النّاطورة	السّبعين	الرّشايقّة	نظام السّقي
النسبة %	العدد						
55,6	139	17	4	35	45	38	الرّش المحوري
20	50	9	28	10		3	التّساقطات
10,4	26	21	5				التّقطيط
5,2	13		13				يدوي
4	10				4	6	التّقطيط والرّش المحوري
3,2	8	3		5			التّقطيط والرّش المحوري
0,8	2					2	التّقطيط
0,4	1					1	الغمر
0,4	1				1		الغمر والرّش المحوري
100	250	50	50	50	50	50	المجموع

المصدر: تحقيق ميداني، 2021

عرف السّرسو تطورا في أنظمة السّقي في السّنوات الأخيرة وتوسعا منذ التسعينات، ممّا سمح له بالتحوّل من النّمط التقليدي المعتمد على التساقطات إلى النمط الحديث، تعود جذور هذا التّحول إلى تبني سياسة الاستصلاح التي استفاد منها جنوب السّرسو، ثم بفضل السياسات التنموية التي اعتمدت استراتيجية السّقي بالمياه الجوفية (Derderi et al, 2022) من خلال حفر الآبار العميقة. اختلف عمق هذه الآبار على مر السّنوات منذ بداية استغلال المياه الجوفية في المنطقة، فقد أصبح أكثر عمقا ببعض محيطات الاستصلاح ببلدية الرشايق، انتقل من بضعة أمتار إلى 60 مترا في بداية الاستغلال ليرتفع إلى 130 مترا في السّنوات الأخيرة، بسبب نقص منسوب المياه، مما أدى بالفلاحين إلى تعميق الآبار أو حفر آخر جديدة (Derderi et al, 2022). لكن تطبيق أحكام القانون رقم 05-12 المؤرخ في 04 أوت 2005¹ المعدل والمتمم سنة 2009 الذي ينص على تنظيم استخدام المياه الجوفية للسّقي، أعطى حق استخدام المياه الجوفية لأصحاب الحقوق في الأراضي الزراعية فقط، واشترط الحصول على الرّخصة لحفر آبار المياه الجوفية المتجددة، أو الحصول على الامتياز بالنسبة لطبقات المياه الجوفية غير متجددة، مع المعاقبة بالسجن والغرامة لمن يخالف أحكام القانون (Daoudi et al, 2017)، وأيضا بفضل المياه السّطحية التي يوفرها سدي الدّحموني وبوقارة والحواجز المائية في ملاكو والعيون، كما أن إمكانيات السّرسو المتعددة جعلته قبلة لمستثمرين في الفلاحة يملكون رأس المال ولهم ماضي فلاحي تشاركون مع السّكان المحليين أو استأجروا أراضيهم (18 %، 13,6 % منهم من خارج ولايتي تيارت وتيسمسيلت)، مما أكسبهم خبرة في نمط زراعي لم يكن معهودا لديهم من قبل و جعل المنطقة معروفة في الأسواق الجهوية وأيضا الوطنية (عثمان، 2007). هذا التّطور مكّن السّرسو من استرجاع النمط القديم الذي كان موجودا بشكل محصور في الفترة الاستعمارية، لكنّه تطور وانتشر على نطاق واسع نموذج جديد للإنتاج الزراعي، يجمع بين نسخة محسّنة من نظام زراعة الحبوب يعتمد إضافة إلى التساقطات على السّقي التكميلي (الصورة رقم 35)، تربية الأغنام والزراعة المسقية (الخضروات)، وهذا نوع من التّكيف مع المعطيات المائية الجديدة والخبرات المكتسبة بالمنطقة.

سمح تطور نظام السّقي في السّرسو بتطور المساحات المسقية في مختلف الأنواع الزراعيّة (أنظر الجدول في الملحق)، وفي مختلف بلديات السّرسو خاصة الدّحموني وعين بوشقيف وبوقارة بينما تراجعت المساحة المسقية في بلديتي الرشايق والنّاطورة في مختلف الشعب (الحبوب والخضر وأيضا الأشجار المثمرة).

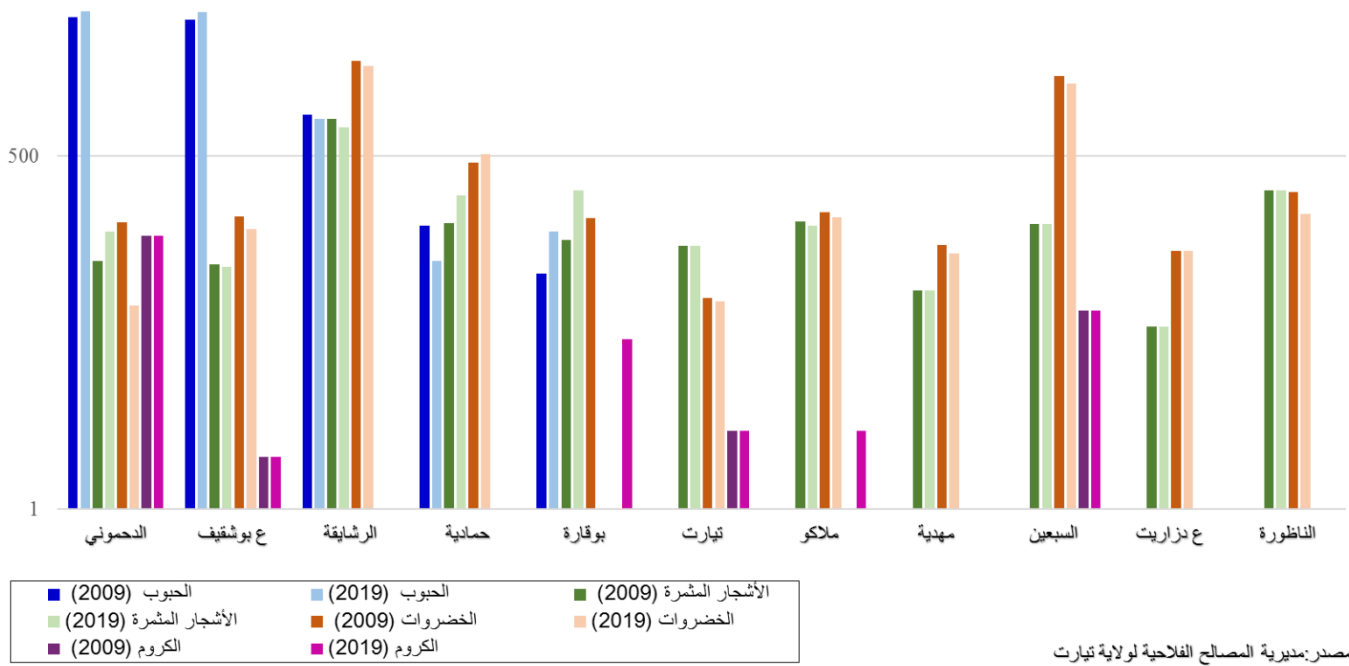
¹ الجريدة الرّسمية العدد 60 سنة 2005



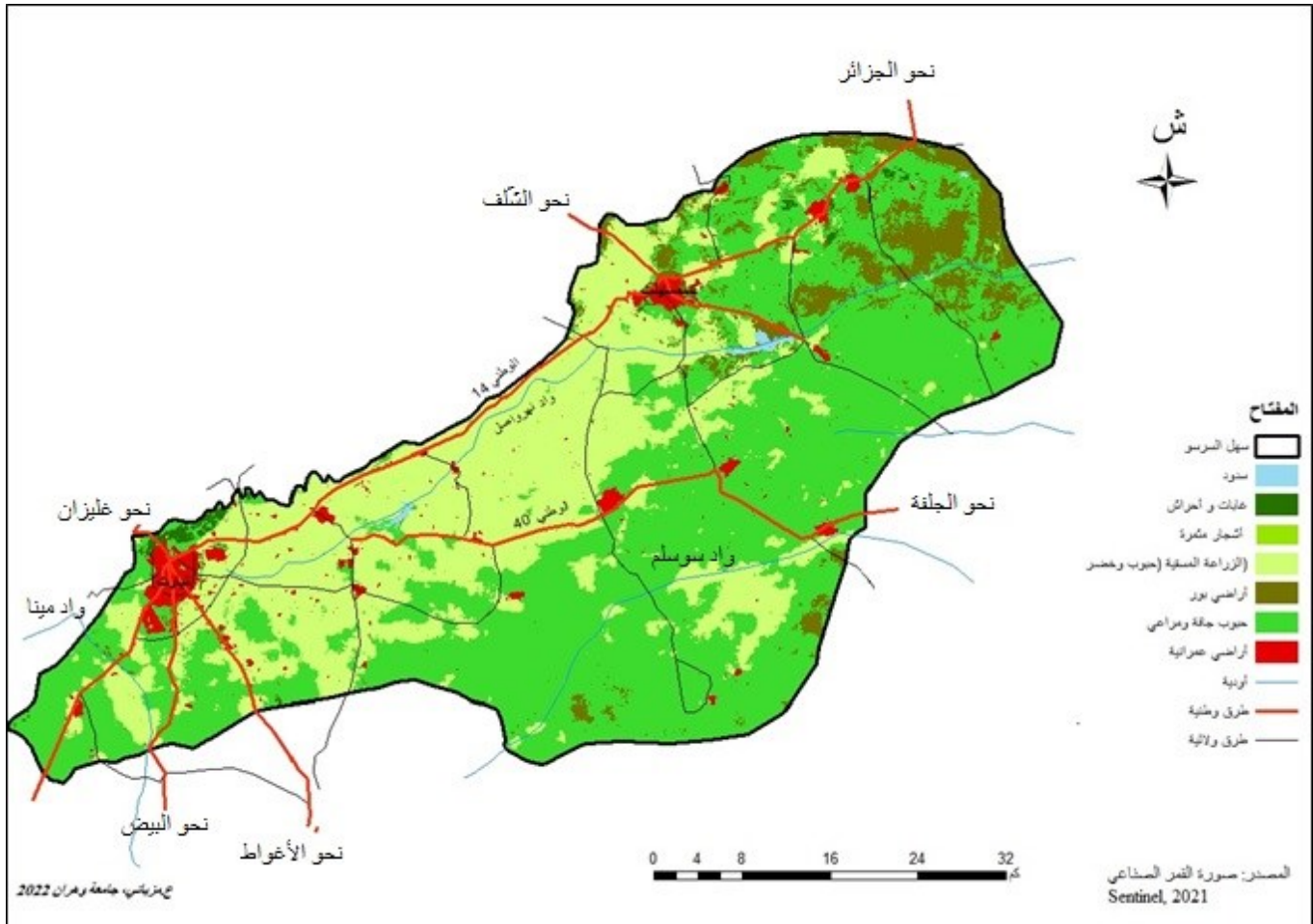
الصورة رقم 35: أنماط السّقي (1: الرّش المحوري بلدية تيسمسيلت، 2: حوض السّقي، 3: قنوات إيصال ماء السّقي من الحوض إلى الأرض بلدية الرّشايقة)

ويعود سبب ذلك إلى أزمته المائية التي أدت إلى زيادة كبيرة في انخفاض منسوب المياه الجوفية وجفاف الآبار بشكل عام، إذا انتقل عمق الآبار من بضعة أمتار إلى أكثر من 60 مترا من بداية التسعينات إلى غاية 2017 (Derderi et al, 2022)، بينما حافظت بلديتي عين دزاريت وتيارت على نفس المساحة المسقية في الفترة (2009-2019)، هناك جملة من الاختلافات بين بلديات السّهل، إلا أن التّطور واضح جدا بالنّسبة لشعبة الخضّر والأشجار المثمرة، (الشكل رقم 20). ساير هذا التّطور، تطورا في شغل الأرض بشكل عام (الخريطة رقم 47)، أين تظهر المساحات المسقية عن طريق الآبار جنوب السّرسو (الرشايقة) من جهة وبمحيطات السّقي، السّبعين وبوقارة من جهة أخرى، وهو ما سمح باستعمال السّقي التكميلي بالنسبة لشعبة الحبوب، بينما تسيطر زراعة الحبوب الجافة والمراعي على المساحة الكلية.

الشكل رقم: تطور مساحات السقي والسقي التكميلي ببليديات السّرسو (2009-2019)



الشكل رقم 20: تطور مساحات السقي والسقي التكميلي (2019-2009)



الخريطة رقم 47: استخدام الأرض بالسّرسو

3. المشتغلون في السّرسو، من الفلاحة إلى تعدد الوظائف

بلغ عدد المشتغلين في القطاع الفلاحي بالسّرسو سنة 1966 أقل من 50% من المجموع الكلي للمشتغلين، انخفض انخفاضاً طفيفاً سنة 1977 (42,92%)، لكن هذه النسبة ترتفع إلى 63,83% إذا ما استثنينا بلدية تيارت، إلا أنّها انخفضت بشكل كبير سنة 1987 (18%) وواصل هذا المنحى التنازلي إلى 15.87% سنة 1998 (الشكل رقم)، لكن نسبة العمالة الزراعية في السّرسو ضعف مثلتها في الجزائر عام 2017.

عرفت القرى والمجمعات الريّفية نفس الوضع، فقد حاكى تحول الأنشطة الاقتصادية لسكانها نفس وتيرة التّحول في السّرسو وهو انخفاض العمل في الفلاحة. تضافرت عدّة عوامل وأدت إلى تفهقر النشاط الزراعي في المنطقة ويعود ذلك إلى أن طبيعة هذا النشاط يعتمد على الحبوب وتوظيف عمالة بعدد ضئيل وموسمي، إضافة إلى الجفاف الذي ميّز فترة السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، كما عرفت المنطقة في هذه الفترة توطناً صناعياً كبيراً أدى إلى استقطاب العمالة الريّفية التي كانت تعيش ظروفًا صعبة، الأمر الذي جعل بعض هذه القرى تكتسب وظيفة صناعية غير تلك التي أوجدت من أجلها (عين بوشقيف، سيدي منصور، عين مريم وسلمانة). ساهم أيضاً القطاع الثالث في تناقص العمالة الزراعيّة بعدما تحضرت المنطقة وعرفت عدّة تقسيمات إدارية (عين بوشقيف، الرّشايقة، السّبعين، بوقارة والناظورة) وتدعم قراها بعدّة تجهيزات ووظائف مصاحبة لها.

تراجعت مداخل النشاط الزراعي المرتبطة بالمواسم بشكل كبير، في المقابل حسّنت القطاعات الأخرى من مداخلها وأصبحت أكثر جاذبية وبدأ نظام الأجور والمهن يلج إلى الرّيف بصفة عامة في مختلف مناطق الجزائر ممّا أفقد الأرض الزراعيّة قيمتها الاجتماعيّة والرّمزية إذ أصبح لعمال الثّورة الزراعيّة راتب شهري ثابت ولو أنّه ضعيف لا علاقة له بزيادة أو نقصان الإنتاج ممّا دفع أرباب الأسر إلى البحث عن عمل أكثر مردودية.

القسم الثالث الفصل السادس: الفلاحة في السرسو، تكيف تدريجي مع التنوع واكتساب وظائف جديدة

الجدول رقم 60: توزيع المشتغلين في السرسو حسب القطاعات الاقتصادية والبلديات

1998					1987					1977					1966					البلديات
أخرى		الفلاحة		عدد المشتغلين	أخرى		الفلاحة		عدد المشتغلين	أخرى		الفلاحة		عدد المشتغلين	أخرى		الفلاحة		عدد المشتغلين	
النسبة %	العدد	النسبة %	العدد		النسبة %	العدد	النسبة %	العدد		النسبة %	العدد	النسبة %	العدد		النسبة %	العدد	النسبة %	العدد		
94,66	21368	5,34	1206	22574	96,25	22 188	3,75	864	23052	91,83	8304	8,17	739	9043	81,43	4328	18,57	987	5315	تيارت
77,49	1518	22,51	441	1959	72,33	1226	27,67	469	1695											ع بوشقيف
87,21	818	12,79	120	938	65,23	786	34,77	419	1205	10,46	172	89,54	1473	1645	29,08	717	70,92	1749	2466	ع دزاريت
62,42	912	37,58	549	1461	54,53	800	45,47	667	1467	23,36	289	76,64	948	1237	35,22	565	64,78	1039	1604	ملاكو
81,54	1992	18,46	451	2443	78,33	1782	21,67	493	2275	43,30	947	56,70	1240	2187	77,70	4729	22,30	1357	6086	الذحموني
81,48	3110	18,52	707	3817	79,18	2970	20,82	781	3751	47,23	1370	52,77	1531	2901	38,36	1061	61,64	1705	2766	مهديّة
57,36	768	42,64	571	1339	53,41	776	46,59	677	1453											السّبعين
31,16	644	68,84	1423	2067	28,42	601	71,58	1514	2115											الرّشايقة
64,92	1240	35,08	670	1910	52,91	509	47,09	453	962	26,00	357	74,00	1016	1373	28,93	416	71,07	1022	1438	حماديّة
59,65	544	40,35	368	912	55,15	450	44,85	366	816											بوقارة
91,31	8569	8,41	789	9385	89,98	5 849	10,02	651	6500	69,67	2166	30,33	943	3109	64,37	936	35,63	518	1454	تيسمسيلت
70,72	2010	29,28	832	2842	54,98	1065	45,02	872	1937	21,60	372	78,40	1350	1722	29,61	650	70,39	1545	2195	العيون
82,39	2283	17,61	488	2771	68,82	1536	31,18	696	2232	26,61	421	73,39	1161	1582	35,70	874	64,30	1574	2448	خمبستي
82,15	773	17,85	168	941	69,39	689	30,61	304	993	30,70	284	69,30	641	925	38,49	1328	61,51	2122	3450	أولاد بسام
84,09	46549	15,87	8783	55359	81,71	41 227	18,29	9226	50453	57,08	14682	42,92	11042	25724	53,40	15604	46,60	13618	29222	السرّسو

المصدر: الدّيون الوطني للإحصائيات (1998-1987-1977-1966)

أظهر التّحقيق الميداني (الجدول رقم 61) هيمنة أنشطة القطاع الثالث على المشتغلين (65%)، أما القطاع الزراعي بالرّغم أنّه ارتفع عما كان عنه في فترة التسعينات إلا أنّ نسبته لم تتجاوز الرّبع (22.75%)، لكنّ نسبة العمالة به تفوق مثيلتها بالقطاع الثاني (12,93 %)، رغم توفر مناصب العمل بقطاع الأشغال العمومية.

الجدول رقم 61: المشتغلين بالقرى الاثراكية حسب القطاعات الاقتصادية

المجموع	التجارة والخدمات		الصناعة والبناء والأشغال العمومية		الفلاحة		القرى الفلاحية
	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	
100	20	25,00	5		75,00	15	ضاية الترفاس
100	24	66,67	16		33,33	8	بيبان المصباح
100	30	63,33	19	6,67	2	30,00	السبعين
100	60	60,00	36	13,33	8	26,67	الرّشايقة
100	36	55,56	20	19,44	7	25,00	الونشريس البيضاء
100	49	73,47	36	6,12	3	20,41	ملاكو
100	27	62,96	17	18,52	5	18,52	عين مريم
100	59	66,10	39	25,42	15	8,47	عين بوشقيف
100	43	83,72	36	11,63	5	4,65	عين مصباح
100	348	64,37	224	12,93	45	22,7	المجموع

المصدر: تحقيق ميداني 2019

يبدو التّحول في الأنشطة الاقتصادية لصالح التجارة والخدمات واضحا جدا في كل من عين مصباح (83.72%) وعين بوشقيف (66.10%) ويفسر ذلك بقربهما من مجمعة تيارت. على العكس من ذلك حافظت قرية ضاية الترفاس على طبيعتها الزراعية حيث أنّ ثلاثة أرباع سكانها يشتغلون في القطاع الزراعي (75%) بسبب بعدها عن تأثير المراكز العمرانية الكبرى، بينما تسجل قرية سلمانة أعلى نسبة للمشتغلين في قطاع الصناعة والأشغال العمومية (52%) (المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلدية العيون، 2016) نظرا لوجود نشاط صناعي جديد مرتبط بالصناعات الغذائية (المطحنة ومعصرة الزيتون) وتعدد ورش البناء في المنطقة.

الجدول رقم 62: المهن الممارسة من طرف فلاحي السّرسو إلى جانب نشاطهم الفلاحي

المجموع	مهديّة	عين دزاريت	الناظورة	السبعين	الرّشايقة	البلدية
19	4		5	8	2	المهنة
7	2	3	2			موال
5	2	1	1		1	تاجر
6	1	1	2		2	جزار
6	5	1				خضار
2	1		1			موظف
1				1		سائق
1						دهان
1		1				حارس
1				1		عامل في محل

1					1	عامل يومي
1		1				كاتب عمومي
1		1				ميكانيكي
51	15	9	11	10	6	المجموع

المصدر: تحقيق ميداني، 2021

يشغل الفلاحون في السرسو أكثر من عمل إلى جانب نشاطهم الفلاحي، فحسب التحقيق الميداني (بخمس بلديات بسرسو تيارت) وجدنا أن ما يفوق 20% من الفلاحين يشتغلون مهنا أخرى، خاصة في بلدية مهدية، يغلب عليها النشاط التجاري (72,54%) تتقاسم النسبة تجارة المواشي وبقية الأنواع (مواد غذائية، الجزارة وبيع الخضر)، فتجارة المواشي وبيع الخضر تعتبر نشاطا مكملا في نظر الفلاح، لأنه يقوم بتسويق منتجه بنفسه خاصة بالنسبة للمستثمرات الفلاحية الصغيرة، كما سنوضح لاحقا.

تتنوع العمالة الزراعية في السرسو، لكن يغلب عليها الطابع الموسمي، خاصة ببلديتي الناظورة وعين دزاريت، بسبب انتشار الزراعات الواسعة التي توفر العمل في موسمي الحرث والحصاد فقط، بالمقابل يشهد السرسو انخفاضا في نسبة العمالة العائلية أو الأسرية مقارنة مع باقي الأنواع وهو ما يعكس تراجع إنتاج الأسرة كدعم أساسي وليس كاستغلال زراعي، تتركز العمالة العائلية بنسبة أكبر في بلدية الرشايق بالمستثمرات الفلاحية الخاصة.

الجدول رقم 63: العمالة الزراعية في السرسو حسب البلدية ونوع المستثمرة

البلدية	نوع المستثمرة	العمالة			
		موسمية	مختلطة	دائمة	المجموع
الرشايق	المجموع	12	14	24	50
	جماعية	3	4	7	14
	خاصة	6	7	9	22
	فردية	3	3	8	14
السبعين	المجموع	12	9	29	50
	جماعية		2	2	4
	خاصة	8	5	23	36
	فردية	3	2	4	9
الناظورة	مزرعة نموذجية		1		1
	المجموع	40	10		50
	جماعية	14	5		19
	خاصة	15			15
عين دزاريت	فردية	11	5		16
	المجموع	42	8		50
	جماعية	26	4		30
	خاصة	12	4		16
مهدية	فردية	4			4
	المجموع	16	34		50
	جماعية	8	16		24
	خاصة	8	1		9
	فردية		15		15

	2		2		مزرعة نموذجية
39	250	53	75	122	مجموع المستثمرات
156	1618	583	-	1035	مجموع العمال

المصدر: تحقيق ميداني، 2021

تنخفض نسبة العمالة الزراعيّة الدائمة في السّرسو، لصالح العمالة الموسمية، وتشكل في أغلبها أصحاب الأراضي الفلاحية، وتتركز أكثر في الرشايق والسّبعين في المستثمرات الفلاحية الخاصة، المنتجة للخضروات على وجه الخصوص.

4. تطور الأنماط الزراعيّة وتداخلها بين التّقليدي والحديث

لم يتوقع سهل السّرسو على نفسه ولم يقتصر على الزراعة الواسعة فقط (الحبوب والبقول الجافة)، بل تغيرت أنظمتها الزراعيّة وتحولت من النّظام الأحادي (نظام المحصول الواحد) إلى المتعدد أي تنوع المحاصيل في نفس الأرض الفلاحية (المستثمرة الواحدة)، وينتشر هذا النّظام في الحيازات الفلاحية المتوسطة والكبيرة بنسبة 40%، خاصة ببلديتي مهدية (36%) والنّاظورة (34%)، بينما تنخفض النّسبة في السّبعين (5%) وعين دزاريت (7%) حيث تعتمد السّبعين على زراعة الخضر كنمط أحادي بينما تعتمد عين دزاريت على زراعة الحبوب كنمط أحادي أيضا. يعتمد فلاحو السّرسو أيضا على الزراعة البيئية لكن بنسبة محتشمة.

ويلجأ فلاحوا السّرسو لهذا النّظام تقاديا للصّدّامات المتعلّقة بتغيرات المناخ (حيث ترتفع درجات الحرارة بمعدّلات غير مسبوقّة، وتنقلص إمدادات المياه العذبة من الأمطار والأنهار ومستودعات المياه الجوفية)، بالإضافة إلى تنوع المداخيل والتّكامل بينها، هذا يعني أنّ هناك درجة كبيرة للتأقلم والتطور لدى الفلاحين، إلّا أنّ اعتماد النّظام المتنوع يتم بطرق تقليدية وهي تجزئة القطعة إلى أقسام، كل قسم يختص في زراعة نوع معين، فالمستثمرات الصّغيرة انتاجها غالبا موجه للاستهلاك الذاتي أو التّسويق المحلي، كما سنرى لاحقا، بينما نظام الزراعة المتداخلة يقوم على دمج محصول ثانوي، غالبا البقول أو العلف، أو محصول نقدي¹، مثل الفاكهة أو الخضروات، في نظام يعتمد غالبا على الحبوب.

¹ المحاصيل النقدية هي المحاصيل التي تباع نقدا في السوق وعادة تكون أكثر ربحا من غيرها من المحاصيل، وتدخل في العديد من الصناعات وللمحاصيل النقدية أهمية كبرى في توفير العملة الصعبة الضرورية لبناء الاقتصاد الوطني

الجدول رقم 64: الأنظمة الزراعية في السرسو

المجموع	علف وحبوب وخضر	خضروات، فاكهة وحبوب	علف وحبوب	فاكهة وحبوب	خضروات وحبوب	نوع النظام المتداخل
36			3	25	8	مهديّة
35	1	3	11	1	19	النّاطورة
17				6	11	الرّشايقة
7			3	2	2	عين دزاريت
5				2	3	السّبعين
100	1	3	17	36	43	المجموع

المصدر: تحقيق ميداني، 2021

تغلب زراعة الخضروات والحبوب على نمط التداخل في السرسو والمنتشر خاصة ببلدية الناطورة والرّشايقة، يليه نوع الفاكهة والحبوب، خاصة في مهديّة، ثم العلف والحبوب وتختص به بلدية الناطورة، بينما تقل بقية الأنواع لكنها لا تتواجد إلا ببلدية الناطورة، يمكن تفسير هذا التنوع بهذه المنطقة الجنوبية كونها بلدية شبه سهبية من جهة أي أن مناخها جاف وغالبا النظام المتداخل ينتشر بكثرة في مثل هذه البيئة، وهي منطقة تجمع بين زراعة الحبوب وتربية المواشي، كما أنها تتوفر على مياه جوفية ليست عميقة وهوما يسمح بهذا التعدد في الأنماط الزراعيّة.

1.4 هيمنة شعبة الحبوب على الإنتاج مع تذبذب المردود

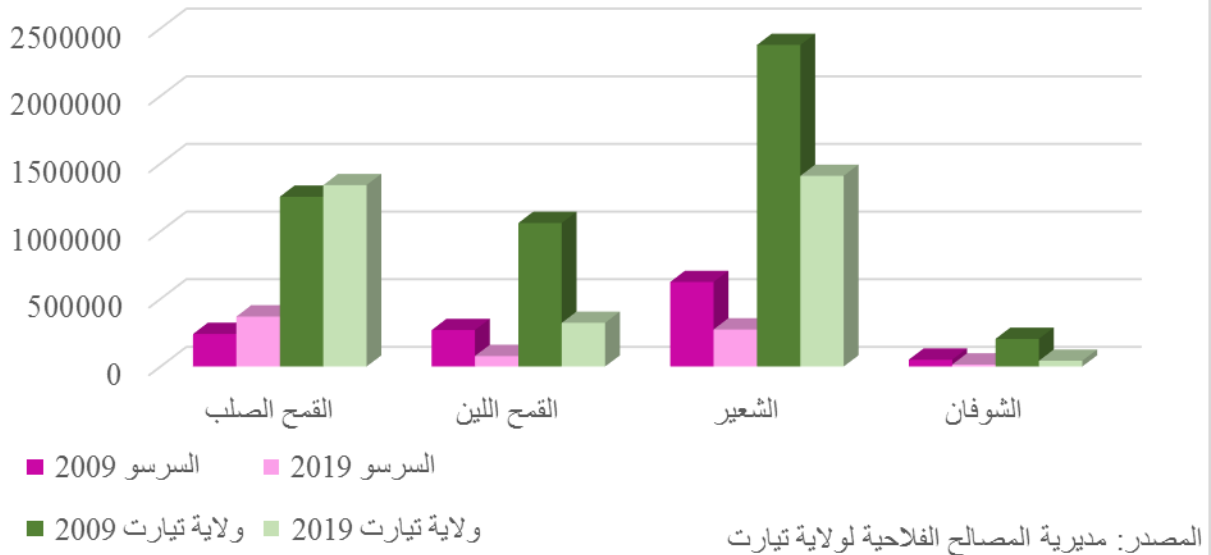
تهيمن شعبة الحبوب بمختلف أنواعه على الإنتاج في السرسو (الشكل رقم 21) ولا سيما الشعير (647100 قنطار أعلى نسبة انتاج سجلت في البلديات الجنوبية للسهل (بلدية الرّشايقة والناطورة) حيث يوجد النظام المختلط (الحبوب وتربية الماشية)، القمح الصّلب (1731600 قنطار أعلى نسبة انتاج سجلت ببلدية الدّحموني ثم ملاكو وتيارت. قد حققت ولاية تيارت أعلى نسبة انتاج عام 2018 وتصدرت بذلك الانتاج الوطني نظرا لحجم التّساقطات التي تجاوزت 500 ملم في الفترة الممتدة من سبتمبر إلى جوان (مديرية المصالح الفلاحية لولاية تيارت)، التّجميع بلغ ذروته وتجاوز بذلك قدرات هياكل التّخزين في الولاية (350000 هكتار مزرعة أنتجت خمس ملايين وثمانية آلاف قنطار) وتجاوزت نقاط التّجميع 60 نقطة. يوجه المنتج (القمح بنوعيه الصّلب واللّين) إلى المطاحن لتحويله إلى سميد ودقيق أبيض (فريضة) بغرض الاستهلاك عن طريق المخابز وتجارة التّجزئة.



الصورة رقم 36: عمليتي الحرث والحصاد بمزرعة شاوشاوة ببلدية تيارت (الموسم الفلاحي 2021_2022)
المصدر: حظيرة شاوشاوة 2022

انخفض الإنتاج سنة 2019 في السّرسو وأيضاً بولاية تيارت وذلك في كل الأنواع باستثناء القمح الصلب الذي شهد ارتفاعاً في الإنتاج مقارنة بسنة 2009 لكن أقل بكثير مقارنة بسنة 2018، وذلك بسبب الظروف الصعبة التي تمر بها زراعة الحبوب، خاصة الاجهاد الحراري من الصقيع (الصورة رقم 36).

تطور إنتاج الحبوب في السرسو مقارنة بولاية تيارت (2019-2009)



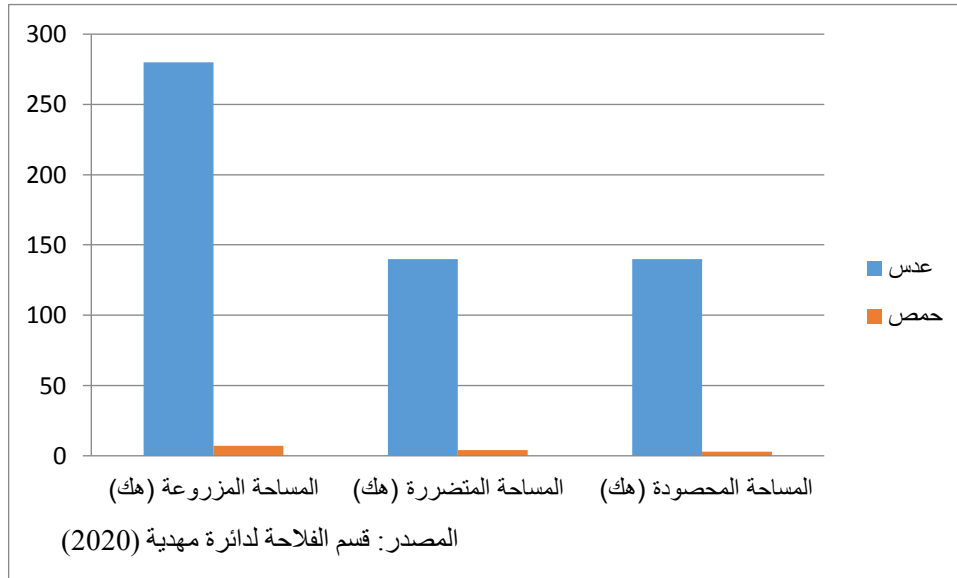
الشكل رقم 21: تطور إنتاج القمح في السرسو مقارنة بولاية تيارت (2019-2009)

ينتج السرسو أيضا البقول الجافة ولاسيما العدس، إضافة الى زراعة الخضر ومختلف الأشجار المثمرة التي انتعشت مؤخرا من خلال تطوير أساليب ومصادر السقي وتعبئة الموارد المائية، بعد اعتماد البرامج الوطنية للتنمية الفلاحية.

يتصدر العدس إنتاج البقول الجافة بأكبر حجم وخاصة ببلديات السبعين، مهدية، عين دزاريت والدحموني نظرا لملائمة المناخ ونوعية التربة العميقة، وهو من الزراعات التقليدية بالسرّسو ونتاجه ضروري بالنسبة لفلاحي المنطقة لأنه مرتبط بنظامهم الغذائي التقليدي. أدت الظروف الطبيعية التي اجتاحت المنطقة خلال هذا الموسم في فترة الازهار إلى تضرر ما يفوق 140 هكتار ببلدية مهدية. تراجع حجم الانتاج في هذا الموسم لأنّ بعض المساحات أعطت منتوجا فاسدا (الشكل رقم 22) لكن ديوان الحبوب والبقول الجافة رفض استلامه من الفلاحين الذين لم يستطيعوا استغلاله فتم التخلص منه.

جاء انتاج العدس ضمن استراتيجية الدولة، بهدف ترشيد نفقات الاستيراد وذلك عن طريق إعادة الاعتبار لهذه المادة واسعة الاستهلاك بالولايات الرائدة في انتاجه مثل ولاية تيارت التي تحتل المرتبة الرابعة وطنيا بعد كل من ميله، قسنطينة والشلف (حسب مديرية الاحصائيات الفلاحية السلسلة "ب" وزارة الفلاحة، 2014). سطرت الوزارة في الموسم (2020-2021) زراعة 8000 هكتار بالعدس في ولاية تيارت فيما كانت المساحة المزروعة خلال الموسم السابق 2300 هكتار فقط (مديرية المصالح الفلاحية لولاية تيارت، 2020). إلا أنّ عدم تحمل الدولة للخسائر التي ألحقت بالمحصول أدى بالفلاحين إلى رفض زراعة هذا النوع من البقول الجافة، لأنهم لم يتمكنوا من تسديد فاتورة البذور ذات السعر المرتفع مقارنة ببقية الحبوب. وعليه يتوقع

تراجع انتاج البقوليات بولاية تيارت هذه السنة فيما عدا بعض المساحات الضئيلة التي توجه للاستهلاك الذاتي (مديرية المصالح الفلاحية لولاية تيارت)، لم تسجل المساحة المزروعة بالعدس في المنطقة حسب نتائج التحقيق الميداني إلا 45 هكتارا فقط ما يقابل 0,3 % من المساحة المزروعة، تم انتاجه من طرف ثلاث مستثمرات خاصة ببلدية مهدية.



الشكل 22: زراعة البقول الجافة ببلدية مهدية (2019-2020)

الجدول رقم 65: المساحة المزروعة حسب النوع

المساحة (هكتار)	الخضر	المساحة (هكتار)	الحبوب، البقول والعلف
1350	البصل	2001	الشعير
432,5	البطاطا	1010,7	القمح الصلب
131	الطماطم	702	القمح اللين
88	الفلفل	359	الشوفان
30	البطيخ	45	العدس
10	اللوبياء	10	الفصة
9	الجزر	4127,7	المساحة الاجمالية للحبوب
2050,5	المساحة الاجمالية الخضروات	250,6	الاشجار المثمرة (66970 شجرة)

المصدر: تحقيق ميداني، 2021

تسيطر زراعة الحبوب بأنواعها وخاصة الشعير، ما يقارب نصف المساحة المزروعة بالحبوب (48 %) وثالث المساحة الإجمالية (31,12 %)، لأن معظم فلاحو المنطقة مربوا ماشية، وتليها الخضر، إلا أن المساحة المزروعة بالبصل تفوق مساحة القمح الصلب، خاصة ببلديتي الرشايق والسبعين الرائدتين في انتاج هذا النوع من الخضر على المستوى الوطني.

2.4 الممارسات الزراعيّة الجديدة: تطور زراعة الخضر والفواكه، وظهور الزراعات التجاريّة

بفضل المخطط الوطني للتّمنية الفلاحيّة (PNDA)، شهد إنتاج الفاكهة في الجزائر في السّنوات الأخيرة ديناميكية وتوسع في المساحة (زيادة حوالي 53 ٪ بين موسم 1996 وموسم 2006)، بحيث بلغت مساحة زراعة الأشجار في عام 2006 حوالي 480.000 هكتار، ما يقابل 8.95 ٪ من المساحة الزراعيّة النّافعة (SAU) (Cau, Cuenot et Farah, 2011).

اكتسب السّرسو وظيفة جديدة بالقطاع الأول، من خلال مسيرته لنفس السّياسة الوطنيّة، فقد تم الاهتمام بالزراعات المسقية من خلال تعبئة المياه وتحسين البذور بالمعاهد الوطنيّة وانشاء شركات دولية ولا سيما في منتج البطاطس، فتنوعت المنتجات من الخضر والفواكه خاصة بعد انجذاب مستثمرين من مختلف مناطق الوطن (13,6 ٪ من الفلاحين المحقق معهم) وخاصة من الغرب (معسكر) والوسط (البليدة وعين الدفلى) للعمل الزراعي في المنطقة، يعملون بشكل كبير في بلدية الرّشايقة في مجال الأشجار المثمرة (أنظر جدول في الملحق). تخصصت بلدية السّبعين في إنتاج البطاطس والبصل، وتنوع الإنتاج بالرّشايقة كالخضر بأنواعها (الصورة رقم 37، 38) وخاصة البصل، فهي من أكبر البلديات المنتجة له على المستوى الوطني، كما تخصصت أيضا في إنتاج الفواكه وخاصة النّفّاح، حيث بلغت مساحته المزروعة حوالي 536 هكتارا وهي أكبر مساحة بولاية تيارت. بلغ الإنتاج حوالي 17260 قنطار في الموسم الفلاحي 2018-2019.



الصورة رقم 37: زراعة الفاصوليا الخضراء (بلدية الرّشايقة) 2022

عادت للظهور بعض الأنواع النباتية مثل السانوج، الفستق والزعران والقرطم الذي كان ينتج في الفترة الاستعمارية وذلك في محاولة للتحويل إلى الزراعات التجارية، الزعران ببلدية الرشايق وتجربة زراعة السلجم الزيتي ابتداء من الموسم الفلاحي (2020-2021). أكتسب السرسو تنوعا في الأنماط الزراعية وبالتالي بدأ يتخلص تدريجيا من أحادية النمط.

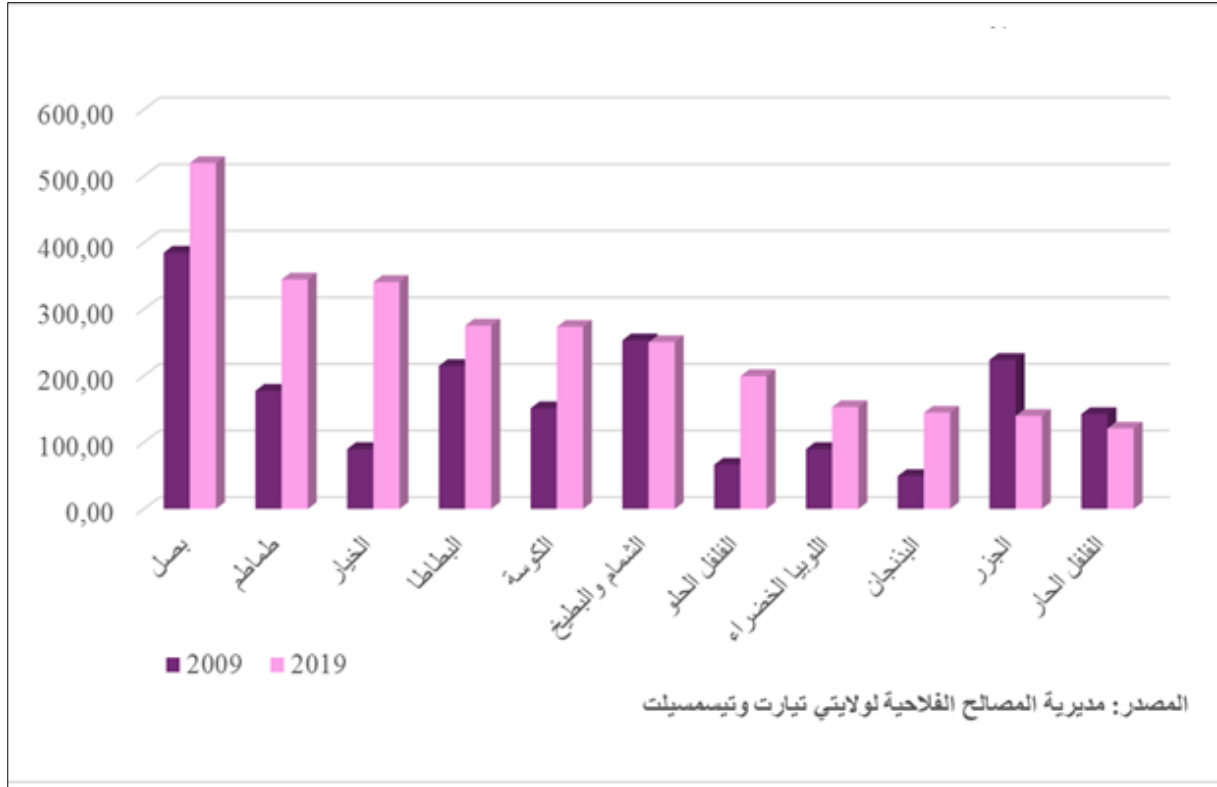
الجدول رقم 66: تطور انتاج الخضار في السرسو (2009-2019)

النوع	2009			2019		
	المساحة (هك)	الانتاج (ق)	المردودية (ق/هك)	المساحة (هك)	الانتاج (ق)	المردودية (ق/هك)
بصل	1163	447590	384,86	1929	1002360	519,62
البطاطا	919	197395	214,79	2700	743700	275,44
الشمام والبطيخ	241	61050	253,32	421	105540	250,69
طماطم	156	27700	177,56	145,5	50150	344,67
الفلفل الحلو	114	7585	66,54	68	13561	199,43
الفلفل الحار	93	13255	142,53	34	4108	120,82
الكوسا	84,5	12775	151,18	108	29545	273,56
الجزر	68	15220	223,82	88	12294	139,70
اللوبياء الخضراء	37	3330	90,00	44	6731	152,98
الخيار	32,5	2925	90,00	80	27269	340,86
الباذنجان	31	1530	49,35	29	4192	144,55

المصدر: مديريتي المصالح الفلاحية (تيارت وتيسمسيلت)

احتلت البطاطس والبصل الصدارة من حيث المساحة المزروعة بالخضروات سنة 2019 (81.99 %)، بينما تتقاسم بقية الأصناف النسبة المتبقية، إلا أنّ البصل والطماطم يتصدران بقية الخضار من حيث المردودية (الشكل رقم 23).

هذا التطور في الانتاج الذي يشهده السرسو يفسر الديناميكية الجديدة التي تعيشها الفلاحة في الجزائر من خلال تطبيق سياسة الدولة في انتهاج الزراعات الاستراتيجية وذلك بزيادة عدد المزارع، على أن تعزز الزراعة البيولوجية الصادرات وذلك بتنظيم منصات لوجستية للفواكه (Cau, Cuenot et Farah, 2011)، إلا أن ولاية تيارت لا تحتوي إلا على 29 غرفة تبريد (عمومية وخاصة) ذات طاقة استيعاب محدودة (3م³ 565) إضافة إلى 17 غرفة في طور الانجاز (ثلاثي هذه الغرف موجود بسهل السرسو) وقاعدة لوجيستية للتبريد "المتوسطة" ذات قدرة استيعابية مقدرة بـ 15000 م³، انتهت أشغالها لكن لم تدخل حيز الخدمة بعد.



الشكل رقم:23: تطور مردودية انتاج الخضر والفواكه القنطار/هكتار (2009-2019)



الصورة رقم 38: منتجات مزرعة السيد فايدى ببلدية الرشايق
المصدر: الطبعة التاسعة والعشرون لليوم الوطني للإرشاد الفلاحي بولاية تيارت أكتوبر 2022.

3.4 الزراعة المكثفة في الأشجار المثمرة، نظام حديث وممارسة حتمية لرفع الإنتاج

الزراعة المكثفة هي نظام إنتاج زراعي يتميز بالاستخدام الكبير للمدخلات (الصورة رقم 39)، ويسعى إلى تعظيم الإنتاج فيما يتعلق بعوامله سواء كانت عمالة أو تربة أو مواد. يطلق على وسائل الإنتاج الأخرى (معدات، مدخلات مختلفة) أحياناً الزراعة الإنتاجية. يعتمد النظام المكثف على الاستخدام الأمثل للأسمدة الكيماوية وعلاجات مبيدات الأعشاب ومبيدات الفطريات ومبيدات الحشرات ومنظمات النمو ومبيدات الآفات... شهد السرسو منذ بداية 2000 (Otmane, 2005) النظام المكثف بالنسبة لشعبة الأشجار المثمرة، خاصة بعد انتشار الاستثمار الخاص في المنطقة، غير أن هذا النظام ازداد رواجاً في الأربع سنوات الأخيرة (تحقيق ميداني 2021). يشجع هذا النظام على زراعة أنواع من الخضروات بين أشجار الفاكهة، إلا أن المطبق في السرسو بالنسبة لنظام الزراعة المكثفة هو تقليص المسافة بين الأشجار، مع التركيز على استعمال الأسمدة والمبيدات، حيث سجلنا من خلال التحقيق الميداني انجذاب المستثمرين الشباب أصحاب المستثمرات الفلاحية الناشئة نحو هذا النظام.



الصورة رقم 39: زراعة الأشجار المثمرة في السرسو (1: المشمش في الناطورة، 2: الكروم ببلدية الدحموني)

4.4 أكثر من نصف فلاحي السّرسو يمارسون تربية المواشي.

شهد سهل السّرسو تحولات هيكلية في القطاع الأول فقد كان الرّعي وظيفته الأساسية قبل الاستعمار الفرنسي، ثم أصبح منتجا ومخزنا للحبوب في الفترة الاستعمارية وأشتهر به، إلا أنه اكتسب وظيفة ثالثة تمثلت في إنتاج الخضر والفواكه، لكنّه رغم هذه النقّلات الهامة لم يفقد وظيفة تربية الماشية، فهي ليست نشاطا جديدا في السّرسو، بل ارتبطت برحلة العشابة والعزابة، كما امتهن عددا من المستوطنين التّربية كنشاط أساسي بالمنطقة كما ذكرنا سابقا، لكن النّشاط تراجع بعد الاستقلال وانحصر. ركزت السّياسة التّنموية الأخيرة على نشاط تربية الماشية بمختلف شعبه، وحظي بالدعم المالي والتّقني. تطورت تربية الماشية في السّرسو كنشاط مكمل وداعم للزّراعة، فقد وجدنا حسب التّحقيق الميداني أن ما يقارب ثلثي فلاحي المنطقة (64,4%) يمارسون تربية المواشي على اختلاف أنواعها وخاصة تربية الأغنام التي تأخذ حصة الأسد مقارنة ببقية الأنواع (89,25%).

الجدول رقم 67: تربية الماشية بسهل السّرسو حسب النوع وعدد الرّؤوس

البلدية	نوع الماشية			
	غنم	ماعز	بقر	خيول
الرّشايقة	3233	200	193	المجموع
السّبعين	1938	198	90	3626
عين دزاريت	3852	248	56	4196
الناظورة	2520	178	375	2905
مهدية	2115	824	56	2349
السّرسو	13658	824	770	15302

المصدر: تحقيق ميداني، 2021

يجمع مربوا الماشية في السّرسو بين نشاط التّربية والزّراعة المسقية (72,04%)، بينما النّسبة المتبقية والتي تمثّل 45 مربو فقط يعتمدون على الزّراعة الواسعة الجافة (تعتمد فقط على النّساقطات)، تكامل النّشاط بين الزّراعة المسقية والتّربية في السّرسو هي ممارسة جديدة (عثمان، 2007)، تعكس تحول الذهنيات والتأقلم مع المحيط الاقتصادي وهي في تطور مستمر، رغم تراجع إنتاج العلف الأخضر في معظم بلديات السّرسو سنة 2019 مقارنة بسنة 2009 (أنظر الجدول بالملحق)، فقد انتقل من 4560 إلى 640 قنطار فقط، بينما ارتفع إنتاج العلف الجاف من 43950 قنطار سنة 2009 إلى 216293 قنطارا عام 2019. يتباين حجم القطيع في السّرسو، فقد وجدنا حسب التّحقيق الميداني أنّ ما يقارب ثلثي مربو الماشية لا يزيد حجم قطيعهم عن 100 رأس، بينما مربو ماشية واحد فقط حجم قطيعه أكثر من 500 رأس (أنظر الجدول بالملحق)، كما يوجد بالسّرسو أيضا مستثمرات فلاحية خاصة، متخصصة في تربية البقر الحلوب لإنتاج الحليب (الصورة رقم 40).



الصورة رقم 40: مستثمرة خاصة (بلحسين لخضر) لتربية الأبقار وإنتاج الحليب بلدية ملاكو

وجدنا من خلال التّحقيق الميداني أنّ ما يفوق 65 % من الفلاحين يجمعون بين تربية الماشية وإنتاج العلف، معظمهم محليون وهو ما يدل أنّ لهم ماضي رعوي، أعلى نسبة سجلت ببلدية مهدية، كما أنّ ما يفوق 60 % من الموالين ينتجون الشعير وخاصة ببلدية النّاطورة وعين دزاريت، و60.73 % منهم ينتجون الشوفان، أما بالنسبة لإنتاج الفصة، فوجدناها في مستثمرة فلاحية واحدة ببلدية السّبعين (بمساحة 3 هكتار) حيث يمارس الفلاح نشاط التّربية أيضا (بمجموع 117 رأس)، كما أنّ ما يفوق 16 % منهم يجمعون بين إنتاج الشعير والشوفان.

يعتمد مربو الماشية هذا التّكامل، لتحقيق نوع من الاكتفاء الذاتي في توفير العلف وخاصة الجاف، بسبب تراجع إنتاجه في بلديات السّرسو الجنوبية سنة 2009، وتراجع إنتاج العلف الأخضر سنة 2019. (أنظر الجدول بالملحق)

الجدول رقم 68: توزيع مربو الماشية حسب إنتاج العلف في السّرسو

البلدية	عدد المربين	عدد المربين المنتجين للعلف	منتجو الشعير	منتجو الشوفان	منتجو الشعير والشوفان معا	منتجو الفصة
الرّشايقة	36	15	14	1	0	0
السّبعين	31	4	3	0	0	1
النّاطورة	30	29	30	5	5	0
عين دزاريت	32	28	28	20	20	0
مهدية	32	30	23	10	2	0
المجموع	161	106	98	36	27	1
النسبة المئوية	100	65,83	60,87	22,36	16,77	0,62

المصدر: تحقيق ميداني 2021



الصورة رقم 41: الرّعي في السّرسو (1) منطقة واد الوحش، بلدية الرّشايقة، جويلية 2022
(2) منطقة خربة بوزيان، بلدية الدّحموني، نوفمبر 2022

كان السّرسو قبل وأثناء الاستعمار الفرنسي منطقة عبور واستقرا، لأنّه يوفر صيفا المراعي لقبائل الجنوب، وما يزال لحد الآن على هذا النحو رغم عدم توفر معطيات دقيقة، إلا أن تواجد الرّحل بالمنطقة صيفا دليل على أن الممارسة ما زالت موجودة وإن كانت محدودة في المجال¹. كان مربوا الماشية في السّرسو يعتمدون على الرّعي المتنقل خاصة شتاء، إلا أنّ أغلبهم اليوم يعتمدون الرّعي المستقر (الصورة رقم 41) باستثناء نسبة ضعيفة (4,97%) ببلدية عين دزاريت ما زالت تعتمد الرّعي المتنقل نحو السّهوب في الفصل الممطر، لأنّ معظم مربو الماشية ينتجون الأعلاف.



- الصورة رقم 42: مؤسسات القطاع الخاص في النشاط الفلاحي بالسّرسو
 1-2: مشنتلة شركة شمال جنوب للتنمية الزراعيّة بمنطقة الرّجل ببلدية الرّشايقة، المصدر: شركة أنسديا، 2022
 3: الارشاد الفلاحي بمزرعة أنسديا من طرف فريق BYER ALGERIE، المصدر: شركة أنسديا 2022
 4: مؤسسة الجزائرية للّحوم الحمراء ببلدية الرّشايقة، المصدر: مديرية المصالح الفلاحية لولاية تيارت 2022

¹ من خلال معطيات المرضى المترددين على المؤسسة الاستشفائية العمومية لمهديّة في صيف 2021

يلعب القطاع الخاص دورا بارزا في إسناد النشاط الزراعي في سهل السرسو من خلال التوسع في الاستثمار في تكنولوجيا الزراعة الحديثة (الصورة رقم 42)، والعمل على استخدام التقنيات الجديدة في الاستصلاح، ومرافقة المستثمرات الفلاحية الناشئة لاختيار أفضل المزروعات الملائمة لطبيعة التربة، وتزويد الفلاحين بالشتلات المحسنة وعملية التسميد طوال الموسم الفلاحي. نشأت في السرسو عدة مؤسسات متخصصة في النشاط الزراعي منها شركة شمال جنوب للتنمية الفلاحية (أنسديا) المتخصصة في مجال المشاتل، واستراد النباتات والأشجار المثمرة، وأيضا بذور البطاطس. تمتلك مزرعة نموذجية، تقع بمنطقة الرّجل ببلدية الرّشايقة، تقوم باستيراد الشتلات ومتابعة المستثمرات الفلاحية الناشئة وتلك في طريق الإنجاز وذلك بتقديم الدعم التقني ومرافقة صاحب المستثمرة في تحقيق مشروع الأشجار المثمرة، وتقييم الإزهار للأشجار المثمرة في الزراعة المكثفة وكذا تحضير الانبات الأولي لمختلف الأشجار وخاصة الكروم وتسييرها، ومتابعة المساحات المسقية لإنتاج الأعلاف، زراعة ومتابعة ازهار الأشجار المثمرة. تشرف هذه الشركة أيضا على مرافقة الموسوم الفلاحي منذ بدايته.

أما شركة سماد الأطلس (ATLAS_FERTILIZER) متخصصة في توفير الأسمدة وأيضا التحضير للموسم الزراعي وذلك بالإشراف على عملية التسميد والمتابعة التقنية للمستثمرات الفلاحية الناشئة في طريق الإنجاز من أجل الدعم التقني ومرافقة التعاونيات الفلاحية في تحقيق مشروع الأشجار المثمرة والمساحات المسقية لإنتاج الأعلاف. وتنشط شركة (BYER ALGERIE) في مجال الاستثمار في المعلومة العلمية والفلاح وذلك بتنظيم ملتقيات وتنشيط محاضرات تحت الطلب (أهمية الإرشاد الفلاحي والاستثمار البشري في مرافقة الفلاح وترقية الفلاحة بصفة عامة، التركيز على تكوين الفلاح في المجال العلمي وتبسيط المعلومة الزراعية). تنشط المؤسسة الجزائرية للحوم الحمراء ببلدية الرّشايقة على مستوى مزرعة سي نايلي، متخصصة في تسمين العجول وتربية المواشي والمحافظة على سلالاتها، تعمل بتقنية رقمية جديدة، حيث تعتمد على شرائح تثبت بأذن الماشية. تسمح هذه الطريقة بتتبع وتسيير المواشي من خلال: تحديد هويتها إلكترونيا وفق قاعدة معلومات، واحصاء يومي لعدد رؤوس المواشي، وتتبع موقعها جغرافيا.

5. مخاطر الزراعة في السرسو

تواجه الفلاحة بالسرسو كغيرها من مناطق العالم مخاطرا مختلفة الأبعاد لعل أهمها المخاطر المناخية، خاصة أنّها منطقة مشهورة بالزراعات المطرية، ففي ظل التغيرات المناخية أصبح حجم التساقطات غير مستقر من سنة إلى أخرى، إضافة إلى الصقيع الذي يضر بأجنة المزروعات في فترة الإنبات (الصورة رقم 43)، مما دفع الفلاحين ببلدية الناظورة إلى استخدام وسائل محلية للحد من الصقيع كحرق العجلات المطاطية (تحقيق ميداني)، وأيضا ارتفاع درجات الحرارة التي تؤدي إلى حرق المحاصيل قبل جنيها.

تسببت سوء الأحوال الجوية سنة 2018 حسب مديرية المصالح الفلاحية لولاية تيارت، في تضرر 10270 هكتارا من المساحة المزروعة بالحبوب بكامل تراب الولاية، منها 6100 هكتار تضررت بفعل سقوط البرد في أواخر شهر ماي، وبقية المساحة غمرتها مياه الأمطار، كما تسبب سقوط البرد أيضا في تضرر 50 هكتارا من البصل و40 هكتارا من البطاطس و9 هكتارات من الأشجار المثمرة، إضافة إلى مخاطر أخرى كالأمراض التي تصيب النباتات في مختلف مراحل النمو (مثل ما حدث لمحصول العدس في الموسم 2020)، ونقص العتاد الفلاحي وتأخر عملية تزويد الفلاح بالبذور من طرف تعاونيات الحبوب والبقول الجافة في كل سنة. تؤدي هذه المخاطر إلى عراقيل ومشاكل بعد عملية الجني، وهو ما يجعل بعض الفلاحين يعتمدون استراتيجية تأمين المحاصيل الزراعية ضد الأخطار المحتملة، لكن تبقى نسبتهم ضعيفة، كما تؤثر على مردودية الإنتاج، نوعيته وتكلفة إنتاجه (Blanchard. J.2017)، مما يؤدي إلى عجز في توفير المواد الغذائية الأساسية ولاسيما السميد والفرينة ومختلف العجائن .

ارتكزت إدارة المخاطر الزراعية على المستوى المركزي على السقي التكميلي كاستراتيجية وقائية وتدعيمية في نفس الوقت ولاسيما في شعبة الحبوب حيث تأخذ النصب الأكبر مقارنة ببقية الأصناف الزراعية (ما يفوق نسبة 59% من مساحات السقي التكميلي بالسرسو)، إلا أن نظام السقي يعاني من مشاكل عديدة كعدم الترخيص بحفر الآبار العميقة ببعض المواقع مما يدفع الفلاح إلى اللجوء للسقي عن طريق الصهاريج بالنسبة لشعبة الزيتون (بلدية ملاكو) أو الحفر العشوائية.

يعاني الفلاحون في السرسو من مشاكل التهيئة كسوء التغطية بالكهرباء الريفية، حيث تكون ضعيفة ببعض المستثمرات ومنعدمة بالبعيدة منها وتكلفتها المرتفعة جدا، وأيضا ضعف شبكة الطرق وخاصة ببلدية الناظورة جنوب السرسو التي تعاني من العزلة بسبب نقص ونوعية طرقاتها وبعد المسافة عن مهدية مقر دائرتها حيث يوجد مختلف هياكل الدولة الخاصة بالفلاحة (تعاونية الحبوب، القسم الفرعي للفلاحة)، كما ركز كل فلاحو السرسو الذين تم التحقيق معهم على نقص اليد العاملة سواء الدائمة أو الموسمية، خاصة في زراعة الخضر والفواكه.



الصورة رقم 43: بعض مشاكل العمل الفلاحية في السّرسو: الصقيع وملوحة التّربة

الخلاصة

لم يكن السّرسو فيما مضى إلاّ مراعيّ واسعة، على الرّغم من أنّ منطقة الاتّصال الشّمالية مع كتلة الونشريس كانت لها أنشطة زراعية متنوّعة، بسبب خصوبة بعض أنواع التّربة العميقة، إضافة إلى إمكانيات السّقي القوية من الآبار والوديان، لكن مركزه (الدّحموني، حوض تيسمسيلت وهضبة مهدية) كان متخصصا منذ الفتح الرّوماني في إنتاج الحبوب المطريّة. وصول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة جعله يسارع إلى تعبئة العقار الفلاحي وتوسيع ملكيته للأراضي محافظا على زراعة الحبوب وخاصة القمح الصّلب واللّين، حتّى أصبح السّرسو يوصف بمخزن الحبوب للغرب الجزائري، لكنه أدخل أنماطا جديدة، مثل العدس نظرا لتوفر التّربة العميقة المناسبة ولاسيما في مهدية، الدّحموني وتيارت، كما نشر ووسّع زراعة الكروم، واهتم بالزّراعات المسقية على ضفاف نهر واصل، بإنشاء السّدود لتعبئة الماء، لم تتوقف طموحات المستعمر إلى هذا الحد، بل ذهب إلى اختبار بعض الزّراعات الصّناعية، كالقرطم، دوّار الشّمس وبذور الكتّان. عكس الاستغلال الفلاحي صور تملك العقار، فقد سيطر الأوروبيون عليه، نظرا لتكوين مستثمرات خاصة كبيرة، عرفوا بكبار ملاك العقار الفلاحي (أكثر من 1000 هكتار)، بينما لم يستغل الأهالي إلاّ المساحات الصّغيرة. لم يقتصر النّشاط الفلاحي في السّرسو على الزّراعة فقط، بل رافقته تربية الماشية رغم أنّها لم تلعب إلاّ

دورا ثانويا في اقتصاد المنطقة، لكنّها لم تكن غائبة، لأنّ السّرسو كان مرتعا لقبائل الجنوب صيفا وقبائل الشّمال شتاء، تطورت تربية الماشية نسبيا فيما بعد لدى الأهالي وخاصة الأغنام لأنّها أصبحت المصدر الرئيسي للدّخل خاصة في فترة الجفاف، في حين اهتم المستعمر بتربية الخيول في المناطق الجبلية وعليه أنشأ حظيرة شواشواة بالقرب من مجمعة تيارت.

عرفت فترة ما بعد الاستقلال تعاقب سياسات فلاحية متنوّعة، شهدت سياسة الثّورة الزراعيّة المعتمدة في السّبعينات، الانتقال من زراعة الحبوب والكروم في بعض المناطق إلى الزراعات الواسعة، لكنّ التّنوع حدث بعد المخطط الوطني للتّنمية الفلاحية بإضافة الأشجار المثمرة والخضروات رغم أنّها كانت موجودة لكن بشكل محصور، كما عرف العقار الفلاحي توسّعا في مساحته بفضل سياسة حيازة الملكية العقارية عن طريق الاستصلاح بموجب القانون رقم 83-18، خاصّة جنوب السّرسو، إلّا أنّ مساحة المستثمرات الفلاحية تقلّصت مقارنة بما كانت عليه أثناء الاستعمار، فقد تمّ تجزئتها من أجل رفع عددها وبالتالي رفع عدد المستفيدين منها وهو ما أثر على الإنتاج الفلاحي وأنواعه.

ميّز السّرسو ميلاد نمط زراعي جديد مبني على السّقي، وعرف تطورا تقنيا في أنظمة السّقي في السّنوات الأخيرة وتوسعا منذ التسعينات، ممّا سمح له بالتحوّل من النمط التقليدي المعتمد على التساقطات إلى النمط الحديث، بفضل تطبيق سياسة التّنمية الفلاحية والرّيفية في الجزائر منذ أكثر من ثلاثين عاما، أهلت هذه السّياسات المتتابعة المنطقة لأن تكون قطبا زراعيّا له بعدا وطنيا في إنتاج بعض الخضروات (البصل، البطاطس والثوم) والأشجار المثمرة (التفاح) فضلا عن تخصصه في الزراعات الواسعة ولاسيما القمح الذي ارتبط اسمها بإنتاجه في مختلف الفترات. توسّعت المساحة الزراعيّة المسقية، باستغلال مياه سدّي بوقارة والدّحموني والحوض المائي الجوفي بعد تمويل إنجاز الآبار العميقة في إطار المخطط الوطني للتّنمية الفلاحية بداية من سنة 2000، تطور الإنتاج الزراعي في المنطقة وتنوّع في السّنوات الأخيرة، فانتقل السّرسو من النمط الأحادي إلى المتعدّد، إضافة إلى تنوع المداخل والتّكامل بينها، بفضل إمكانياته الطّبيعية من جهة وبفضل مستثمرين لهم خبرة وماضي فلاحي أقبلوا على العمل بالمنطقة خاصة في زراعة الخضر والأشجار المثمرة. تطورت تربية الماشية بالسّرسو، واتبع المربون استراتيجية التّكامل بين الأنشطة الفلاحية لتحقيق الاكتفاء الذاتي في توفير الأعلاف وبالتالي اعتماد الرعي المستقر، فقد جمعوا بين الزراعة المسقية والتربية وإنتاج العلف في نفس الوقت، خاصة وأنّ أغلبهم محليون ولهم ماضي رعوي.

شهد سهل السّرسو تحولات هيكلية في القطاع الفلاحي، فانتقل من وظيفته الأحادية المرتكزة على الرّعي قبل الاحتلال الفرنسي، إلى قطب زراعي بامتياز، عُرف بمخزن الحبوب للغرب الجزائري في الفترة الاستعمارية، ثم تطور تدريجيا بعد الاستقلال، إلى أن اكتسب وظيفة جديدة تمثلت في إنتاج الخضر والفواكه، دون التخلي عن تربية الماشية.

الفصل السّابع

الوظائف وإعادة تشكيلها وأثرها
على المجال

مقدمة

اشتهرت تاهرت أيام الدولة الرّستمية بصناعة المنسوجات على اختلاف أنواعها الكتّانية، الصّوفية والحريّرية لتوفر خامات الصّوف والكتّان من المراعي والمزارع (الحريري، 1987)، غير أن البعد الزراعي للسّرسو تأكد أثناء الفترة الاستعمارية ودعم بإيجاد صناعة غذائية تمثلت في ثلاث مطاحن في كل من تيارت ومهدية، وأربع مخازن للحبوب بتيارت، مهدية، حمادية وسي الحواس، تشق بارتفاع صوامعها انبساط سهل السّرسو، إضافة إلى صناعات أخرى تركزت بمدينة تيارت خدمة للمستوطنين منها وحدة لتسويق المنتجات الغذائية (1956) ووحدة لصناعة الاجور (1958). بعد الاستقلال مباشرة استفادت المنطقة من وحدة تفصيل النسيج والملابس الجاهزة سنة 1966، إلا أنّ سياسة التّصنيع في الجزائر في مرحلتها الثّانية اعتمدت تشييت الصّناعات في مراكز ثانوية خاصة في المدن الداخليّة كمحاولة لتخفيف الضّغط على المدن الكبرى السّاحلية، بتوزيع الاستثمارات بالتساوي على مختلف جهات الوطن (تيجاني، 1987)، حُصّت ولاية تيارت وعاصمتها بصفة خاصة بخطة تنموية كجزء من البرنامج الخاص لتنمية الهضاب العليا، من خلال إنشاء مجمعات صناعية كبيرة تعدينية وميكانيكية على مستوى المنطقة الصّناعية في زعرورة بالإضافة إلى المؤسسة الوطنية للسيارات الصّناعية (مجمع SNVI) في عين بوشقيف. صاحب هذا التّوطن الصّناعي تطور أنشطة القطاع الثّالث في مختلف مجمعات السّرسو فلم تبقى حكرا على الحضريّة منها فقط.

نريد من خلال هذا الفصل دراسة ديناميكية الأنشطة الصّناعية والتّجارية في السّرسو، انطلاقا من فكرة الصّناعة كآلية للتّعمير، ثم التّحولات التي شهدتها المنطقة من الوظيفة الأحادية المبنية على الزراعة إلى المتعددة، محاولين إبراز دور النشاط الفلاحي في دعم القطاعين الثّاني والثّالث، من خلال المقاربة التّاريخية بناء على ما كتب عن المنطقة وأيضا اعتمادا على المعطيات المكتبية والاحصائية للقطاعين ومختلف الفاعلين فيه، ثم من خلال التّحقيق الميداني الذي شمل قطاع التّجارة بالمجمعتين تيسمسيلت وتيارت وأيضا الأسواق الأسبوعية، منها أسواق السيّارات وأسواق الماشية المحلية (تيارت، مهدية وحمادية) والدّاعمة (السّوق، حاسي فدل وقصر الشّلالة).

التّوطن الصّناعي في السّرسو، تحولات هيكلية وحضريّة

التّنمية الصّناعية هي إحدى أنماط التّعمير بالسّرسو، تعود جذورها إلى الفترة العربيّة فقد اشتهرت تاهرت أيام الدولة الرستمية بصناعة المنسوجات على اختلاف أنواعها الكتّانية، الصّوفية والحريّرية لتوفر خامات الصّوف والكتّان من المراعي والمزارع (الحريري، 1987) وتأكّدت في فترة الاستعمار الفرنسي، التي شهدت توطن الصّناعة الغذائيّة على شكل سلسلة من المطاحن في كل من مهدية وتيارت ومجموعة

من مخازن ومطامر الحبوب في كل أنحاء السّرسو، وبقي الوضع على حاله بعد الاستقلال لكن تطور عدد المطاحن به (SN SEMPAC) مسجلا سبع وحدات عام 1976 (مخطط تهيئة ولاية تيارت، 1995). ومع تبني سياسة التصنيع والتنمية في سنوات السبعينات (المخطط الرباعي 1974-1977)، ظهر النشاط الصناعي الحديث عام 1976 بتيارت عن طريق مركب النسيج (SONITEX) وبعدها ظهرت ثلاث مركبات كبيرة. توسع النسيج الصناعي بإنشاء وتهيئة عدّة مناطق صناعية وأخرى للنشاط عبر كامل السّرسو.

1.1 الصناعة محرك للتعمير في مدينة تيارت وعامل استقطاب

حظيت بلدية تيارت بتوطن صناعي جديد إضافة إلى ذلك الموروث من الفترة الاستعمارية المتخصص في الصناعة الغذائية، وعليه استفادت من منطقتين صناعيتين ومنطقة نشاط، مدعمة بهياكل تدريب أو تكوين متخصص للعمال كالمدرسة الوطنية للسباكة (Ecole de la ENF)، أنجزت كدعامة تقنية بغرض تكوين وتنمية المهارات المهنية والفنية للعمال، لذلك تعتبر نموذج للتنمية الصناعية بامتياز. هذه المناطق هي عناصر تهيكّل المجال من خلال مختلف منشآتها الصناعية والتوسعات المجالية التي نتجت عنها، أنجزت على عقار فلاحي جنوب غرب المجمع على محور الطريق الوطني رقم 14 باتجاه فرندة. تزامن ظهور الأحياء الفوضوية خاصة شمال شرق مدينة تيارت على أراضي عمومية، عن طريق التعمير العفوي، مع الانطلاق في التوطن الصناعي، فأول ورشة بناء بالمنطقة الصناعية سنة 1971 كانت لشركة (ETARAX)، تطور وانتشار البناء الفوضوي حفز على رفع معدل النمو السكاني، إذ يرتفع بالمجمعة الرئيسية تيارت مسجلا بذلك قيمة 3.60%.

عرفت المدينة نموا سكانيا كبيرا في الفترة 1962-1977، سجل معدل النمو الإجمالي بها قيمة مرتفعة كما ذكرنا سابقا، فبدأت المدينة بالتوسع المجالي المخطط جنوبا باتجاه سهل السّرسو ابتداء من سنة 1977. ارتبط التعمير في هذه الفترة بالتوطن الصناعي جنوب غرب المدينة فاستهلك وعاء عقاريا هاما، وبذلك استفاد قطاع الصناعة من 615.53 هكتار بدائرة تيارت¹ لوحدها منها 550.25 هكتار أراضي فلاحية خصبة بنسبة 89.40% من المساحة الاجمالية (Hachelef, 1988).

حفرت الصناعة تعمير مدينة تيارت وعين بوشقيف أيضا بشكل موازي، عن طريق برامج إسكان حضرية واسعة تمثلت في المناطق السكنية الحضرية الجديدة التي انطلقت بها الأشغال سابقا لاستقبال العمالة، فقد كانت ولاية تيارت في هذه الفترة من أكبر أحواض التوظيف في الغرب الجزائري، ولاسيما في قطاع البناء والأشغال العمومية، وهذا ما أدى إلى ارتفاع عدد السكان حيث سجل معدل النمو أكبر قيمة له في هذه الفترة

¹ دائرة تيارت في الفترة 1966-1977 كانت تضم البلديات: تيارت، الدّموني وملاكو وعين بوشقيف قبل الترقية الإدارية لسنة 1984 كانت ضمن إقليم بلدية الدّموني

حوالي 5.87 %، وسمح أيضا بتوسع مدينة تيارت على حساب الاراضي الفلاحية جنوبا (الجدول رقم 69)، كما توسعت المدينة عن طريق آليات أخرى تمثلت في التّجزئة السّكنية والتّعاونيات العقارية (حي الرّحمة)، أنجزت في إطار قانون الاحتياطات العقارية البلدية شرق المنطقة السّكنية الحضرية الجديدة.

الجدول رقم 69: التّوسع العمراني لمدينة تيارت في الفترة 1977-1985

السنة	التّوسع على سهل السّرسو جنوبا (هكتار)	التّوسع على السّفوح (هكتار)	مساحة المجمع (هكتار)
1977	-	-	509.15
1983	156	58.10	723.25
1985	418	-	1141.25
المجموع	574	58.10	1141.25

المصدر: HACHELEF Mohamed ; 1988 «L'industrialisation de l'Algérie intérieure Tiaret et sa région» p83

أدى التّوسع جنوبا إلى التّحام التّسيج العمراني لتيارت مع المجمع العمرانية الثّانوية زعرورة بفضل المشاريع السّكنية وأيضا الجامعة وعليه أدمجت ضمن المجمع الرّئيسية في التّعداد السّكاني 1987. أدت أزمة الثّمانينات إلى إفلاس معظم المؤسسات بالسّرسو وتم إغلاقها كما حدث في باقي أرجاء الوطن. عرف العقار الصّناعي في فترة التّراجع تحولا وظيفيا، حيث استرجع جزء من الوعاء العقاري بمنطقة التّشاطات بتيارت، وجه للوظيفة السّكنية بإنجاز مشروع سكني بصيغة العمومي الايجاري، لكنّ التّصنيع عاود الانبعاث من جديد بعد الانتعاش الاقتصادي والاهتمام بالاستثمار، نظرا لوجود قاعدة صناعية مهمة، تقارب 700 هكتار، تحتلها المناطق الصّناعية بكل من تيارت وعين بوشقيف (الجدول رقم 70).

جدول رقم 70: التّوطن الصّناعي بالسّرسو في الثّمانينات

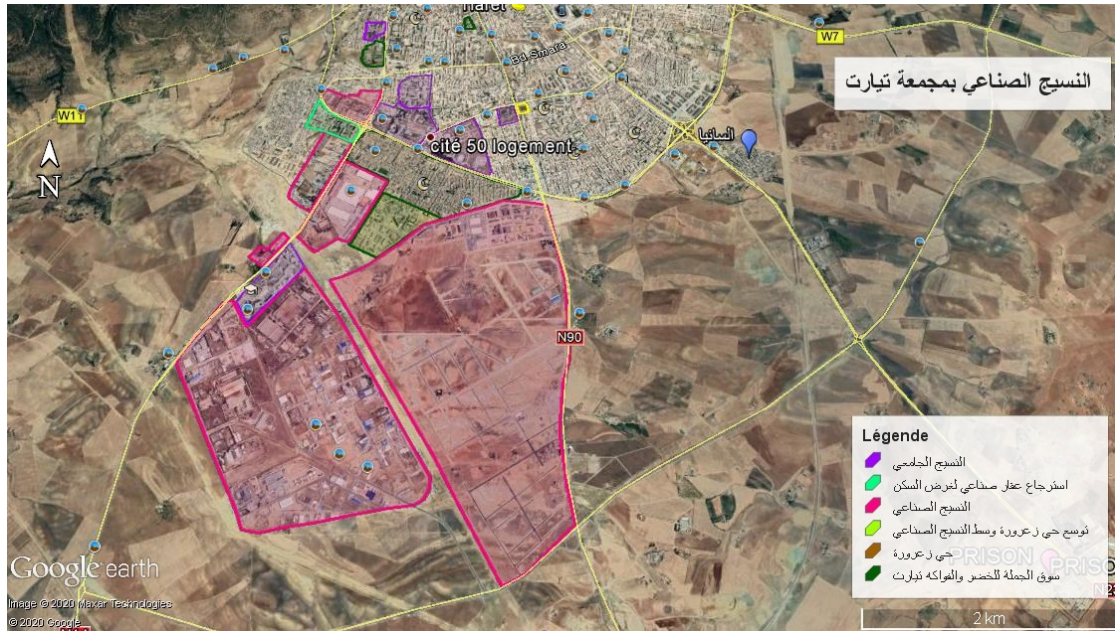
المنطقة	المساحة بالهكتار	النسبة %
المنطقة الصّناعية القديمة زعرورة (تيارت)	318	45,95
المنطقة الصّناعية عين بوشقيف	299	43,21
منطقة التّشاطات زعرورة (تيارت)	24	3,47
منطقة التّشاطات تيسمسيلت	21	3,03
منطقة التّشاطات كرمان (تيارت)	20	2,89
منطقة التّشاطات مهدية	10	1,45
المجموع	692	100,00

المصدر: شركة تسيير المناطق الصّناعية ومناطق التّشاطات بولاية تيارت مديرية التّعمير والهندسة المعمارية والبناء لولاية تيسمسيلت

أعطت عودة التصنيع في الفترة الأخيرة نفسا جديدا في تعمير المنطقة بمختلف مجتمعاتها، بواسطة توسيع النسيج الصناعي واستحداث آخر جديد على حساب الأراضي الفلاحية. تم هذا التوسع بمجموعة تيارت جنوبا امتدادا لحي زعرورة، أما بعين بوشقيف فقد توسع جنوب المنطقة الصناعية القديمة، وتوسعت منطقة النشاط بسيدي منصور جنوب النسيج العمراني للقريبة.

في هذه الفترة لم يراعي التخطيط الحضري مبدأ دفع الخطر ولم يحترم الارتفاقات، فقد أدى التوسع الجديد إلى التحام النسيج العمراني بالمناطق الصناعية. شهدت هذه الظاهرة كل المجمعات سواء الحضرية منها أو الريفية. التحم النسيج الحضري لحي زعرورة بالنسبة لمجموعة تيارت، وأيضا بالنسبة لتيسمسيلت حيث يوجد حي سكني في طور الانجاز بمحاذاة منطقة النشاطات لا تفصل بينها إلا الطريق، وكذلك بالنسبة لمهدية وسيدي منصور، حيث حاصرت منطقة النشاط وتوسعها القريّة شمالا وجنوبا.

يعكس هذا التوسع غياب الفكر التخطيطي والحوكمة عند اختيار المواقع، كما حدث تماما عندما توسعت الجامعة على الأصول العقارية لمعهد التكوين التابع لشركة السبّاقة.



الصورة رقم 44: النسيج الصناعي بمجموعة تيارت

2.1 التصنيع محفز للتعمير بقرى السرسو

أعطت إرادة الدولة في مرحلة السبعينات للرسو توجهها آخر أو وظيفة أخرى، تمثلت في الصناعة من خلال الشركة الوطنية للسيارات الصناعية SNVI (الصورة رقم 45)، التي أنشئت بموجب المرسوم التنفيذي رقم 81-342 المؤرخ في 12 ديسمبر 1981 وتوطنت بمجموعة عين بوشقيف، في إطار إعادة هيكلة الشركة

الوطنية للهندسة الميكانيكية (شركة سوناكوم) (SONACOME) على مساحة أرضية قدرها 299 هكتار¹ (الجدول رقم 70).

أرفق التّوطن الصّناعي بتوطن سكني أيضا، تمثل في إنشاء أحياء سكنية بنيت خصيصا لعمال الوحدات الصّناعية، سواء المشتغلين بعين بوشقيف أو لأولئك المشتغلين بتيارت، وعليه استفادت المجمع الريفيّة من برامج السّكن الوظيفي لعمال القطاع الصّناعي (سوناكوم) وعمال الشّركة الوطنية للسّباكة بتيارت (SN Métal) ونشأت مجمعة سوناكوم التي سميت بهذا الاسم نسبة للشّركة المذكورة، في منطقة فلاحية ذات مردودية جيدة. وعليه شكلت عين بوشقيف مجمعة تابعة لمدينة تيارت باستقبالها مشاريع الاسكان، كما أنّها أصبحت الظّهير الصّناعي لتيارت عن طريق منطقتها الصّناعية أي أن الوظيفة الصّناعية المدرجة بالوسط الفلاحي شجعت عملية التّعمير بهذه المجمع ذات النشأة الاستعمارية، ثم أدرجت فيه القرية الاشتراكية لعرض التّنمية الفلاحية، واستقبلت سكان قادمين من وسط حضري بممارسات وعادات مختلفة نسبيا عمّا هو معروف بالوسط القروي، الذي تأثر بشكل مباشر.



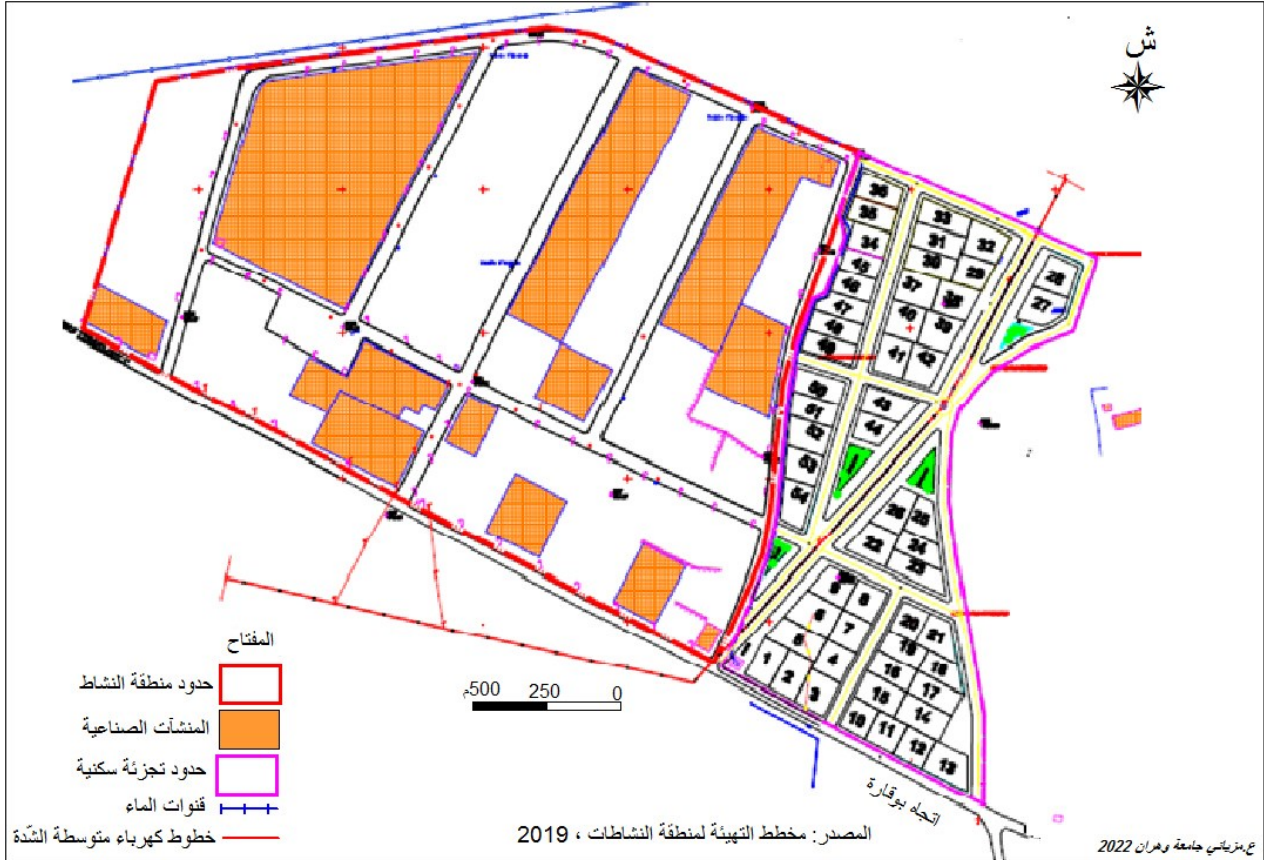
الصّورة رقم 45: مجمع الشّركة الوطنية للسيارات الصّناعية SNVI عين بوشقيف

المصدر: الموقع الرسمي للشّركة

عرفت كل من مجمعتي مهدية وتيسمسيلت توطنا صناعيا عن طريق مناطق نشاط، إلا أنّ هذا التّوطن لم يحدث فارقا مهما في التّعمير، لأنّ مساحة هذه المناطق صغيرة خاصة بمجمعة مهدية لا تتجاوز 10 هكتار، لكنّ وحداتها (مركب العجائن والمطحنة) تمتلك سمعة كبيرة من حيث نوعية منتجاتها، بينما أنشأت منطقة تيسمسيلت (الخريطة رقم 48) بمحاذاة ورشة (couvertex) القديمة، ثمّ توسعت مؤخرًا جنوب المنطقة الأولى (الصورة رقم 46).

¹ المنطقة كانت مبرمجة لاستقبال مصنع فاتيا (FATIA) للسيارات.

مساحة هذه المنطقة وتوسعها صغيرة ونشاطاتها ذات إشعاع محلي فقط كوحدة تعبئة قارورات الغاز، لكن لها دور في التوظيف وديناميكية تعمير المنطقة. لم يربح التعمير وفق هذه الآلية مساحة عقارية مهمة، لكنه استهلك أراضي فلاحية خصبة والتحم مع النسيج الحضري لمجمعتي تيسمسيلت ومهدية أيضا.

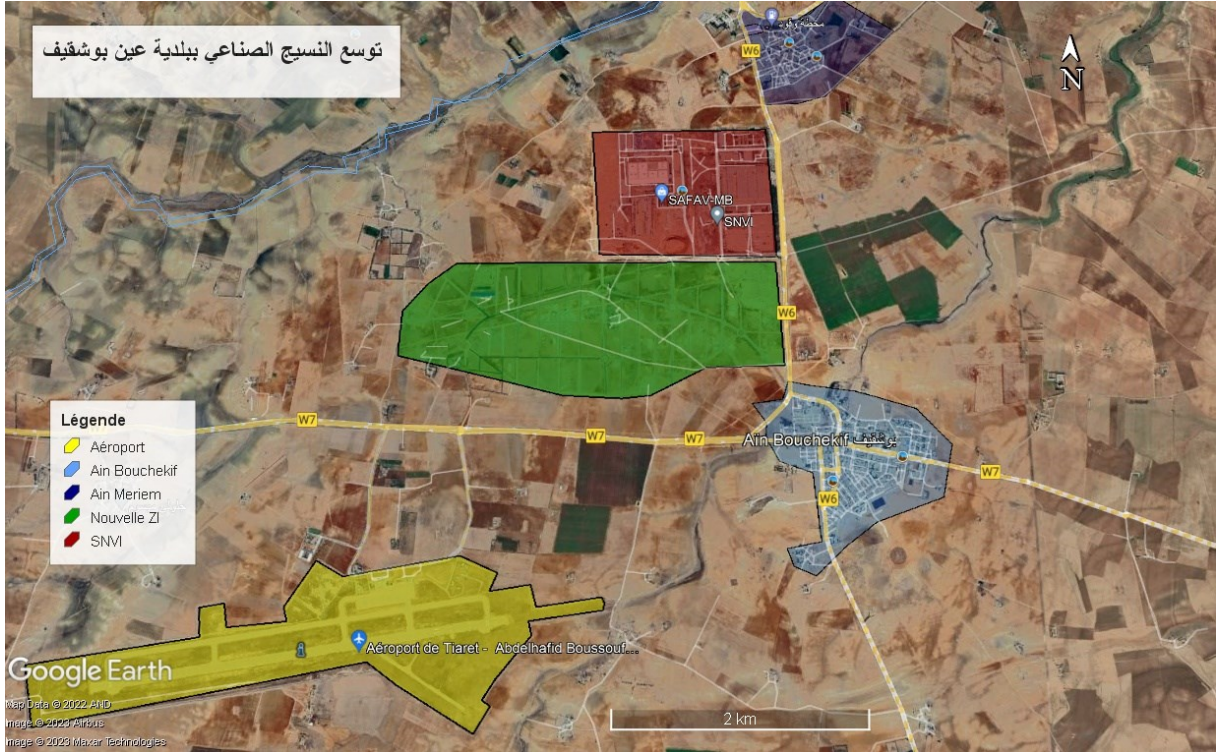


الخريطة رقم 48: منطقة النشاطات بمدينة تيسمسيلت



الصورة رقم 46: توسع العقار الصناعي بالوسط الحضري (تيسمسيلت ومهدية)

سمح التوطن الصناعي بالترقية الادارية لمجمعة عين بوشقيف لمصاف البلديات سنة 1984، كما سمح التطور العمراني لمجمعة سوناكوم وقربها من مجمعة عين بوشقيف لتصنيفها مجمعة عمرانية ثانوية خلال التعداد العام للسكن والسكان لسنة 1987 حيث بلغ عدد سكانها حوالي 1230 نسمة، ثم أدمجت ضمن المركز الرئيسي خلال إحصاء 1998، وبالتالي ارتفع عدد السكان في هذه الفترة من 9161 إلى 12386 نسمة بمعدل نمو قدر بحوالي 2.74% في الفترة 1987-1998.

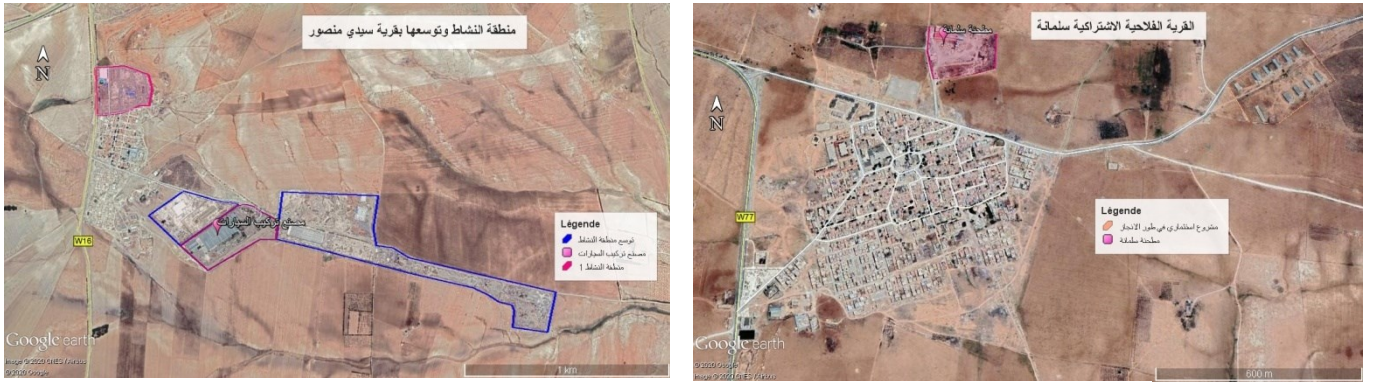


الصورة رقم 47: توسع النسيج الصناعي ببلدية عين بوشقيف

من مميزات التوطن الصناعي في السرسو (تيارت، عين بوشقيف) أنه نموذج تنمية متكامل فقد تدعم بهياكل تدريب أو تكوين متخصص للعمال، أحدهما في السبابة (المدرسة الوطنية للسبابة، والمركز الثاني هو مركز التكوين للمؤسسة الوطنية للسيارات الصناعية (SNVI) الذي يشمل المرفق البيداغوجي ومخبر الاعلام الالي ومخبر اللغات الالمانية والانجليزية وست قاعات للتدريس وقاعة محاضرات متعددة الوسائط وورشات تكوين مختصة في الصناعة الميكانيكية وصيانة وكهرباء وإلكترونيك السيارات وبناء ميكانيكي، بالإضافة إلى المرفق الاداري، هذه المراكز أنجزت بغرض تكوين وتنمية مهارات العمال. استفادت عين بوشقيف من منطقة صناعية جديدة جنوب المنطقة الأولى وامتداد لها، وأمنت في نفس الوقت تواصل التعمير بين مجمعة عين بوشقيف ومجمعة عين مريم (الصورة رقم 47).

استفادت بلدية خميستي من منطقة نشاطات تم إنشاؤها بالوسط الريفي شمال قرية سيدي منصور على عقار فلاحي منتج، ثم توسعت هذه المنطقة جنوب القرية، نظرا لعدم توفر عقار عمومي لهذا الغرض،

فنشأ نسيج صناعي غير متواصل، يطوّق القرية شمالا وجنوبا. تضاعفت المساحة العمرانية للقرية بسبب التّوطن الصناعي من جهة وتوسعها من جهة أخرى بفضل التّجزئة السّكنية. توطن الأنشطة الصناعيّة بالوسط الريفي دعمته شبكتي الطّرق والكهرباء، وخاصة الوطني 14 والولائي 17. حافظت منطقة النّشاط الشماليّة على التّوجه الفلاحي للمنطقة باعتمادها أنشطة تخدم الوظيفة الاصلية فنجد وحدتين لإنتاج الحليب، وحدات لمعالجة وتخزين الحبوب، وأخرى لإنتاج علف الحيوانات والدّواجن، إلا أنّ المنطقة الثّانية في الجنوب الشّرقى للقرية أدرجت بها نشاطات منافية للوظيفة الفلاحية وذلك بإدخال الصّناعة الميكانيكية من خلال وحدة تركيب السيّارات من نوع هيونداي.



الصّورة رقم 48: التّوطن الصناعي في المناطق الريفية بالسّرسو

كما استفادت قرية سلمانة الاشتراكية أيضا من توطن صناعي وان لم يكن منطقة نشاطات مسجلة رسميا، لكنه عقار موجه للاستثمار الصناعي في مجال الفلاحة، تمثل في نشاط مطحنة ومعصرة الزّيتون شمال القرية، هذا التّوطن الجديد تماشى مع الوظيفة الاصلية للمجموعة وخدم النّشاط الفلاحي بها.

الصّناعة: نشاط حرك التّحضر في السّرسو

تخصص السّرسو في النّشاط الزراعي أثناء الفترة الاستعمارية وتأسست عليه صناعة غذائية من خلال المطاحن المنتشرة به واستمر الوضع بنفس المنحى إلى منتصف السّبعينات إذ لم تكن تشغل هذه الوحدات مجتمعة سوى 835 عامل (مخطط تهيئة ولاية تيارت، 1986)، أين عرف سياسة جديدة في التّصنيع لا تتماشى مع طبيعته الفلاحية، حيث أدرجت فيه صناعات تعدينية ثقيلة وميكانيكية وبذلك أصبحت تيارت تحتل المرتبة الثّانية كقطب صناعي في الغرب الجزائري بعد وهران بالتّساوي مع تلمسان وسيدي بلعباس. كما ذكرنا سابقا.

إنّ توطین مثل هذه الصّناعات الثّقيلة في منطقة زراعية بامتياز أثر بشكل سلبي على النّشاط الزراعي حيث أحدث تنافسا على العقار، شجع الهجرة الريفية واستقطب العمالة الزراعيّة فارتفع معدل الشّغل في الصّناعة من 6.9 % عام 1985 إلى 9.8 % عام 1988 (Hachelef, 1988).

دعم القطاع الخاص نظيره العمومي، فشهد النسيج الصناعي توسعا لكن بوحدات محدودة وعدد عمال ضئيل، منها ما يوجد في النسيج الحضري لمدينة تيارت ومنها ما توطن في المنطقة الصناعية زعرورة، هذا التوطن أدى إلى تضاعف عدد العمال في سنوات الثمانينات مقارنة بالسبعينات، مما جعل من مدينة تيارت حوض عمل بامتياز تستقطب بنسبة كبيرة عمالها من داخل الولاية وخاصة تيارت (70,40%) (عثمان وسعاد، 1992) وعين بوشقيف (7,68%) تليهما الدحموني ومشروع الصفا وهي البلديات القريبة، بينما نقل نسبة العمال القادمين من البلديات البعيدة كقصر الشلالة التي تبعد عن مدينة تيارت بـ 100 كلم وتتعدم نسبتهم بالنسبة للبلديات الجنوبية التي تعتبر بلديات ريفية ذات طابع سهبي تعتمد على نشاط الفلاحة وتربية المواشي (عين الذهب، الشحيمة والتعيمة)، أما الاستقطاب للعمال من خارج الولاية فيقتصر على الولايات القريبة وخاصة تيسمسيلت (50 عامل)، ثم ولاية الاغواط بخمس عمال، أما ولايات الغرب والوسط فنسبتهم ضعيفة جدا.

الجدول رقم 71: الوحدات المنتجة في السرسو في الثمانينات

الوحدة	الموقع	المساحة (هك)	الوظائف	الانتاج	القدرة
المؤسسة الوطنية للسباكة ENF « fonte » ENF « Acier »	تيارت	55	2000	انتاج داخلي للصناعة قطع غيار	11000 طن\سنة 7000 طن\سنة
المؤسسة الوطنية للسيارات الصناعية SNVI	عين بوشقيف	300	1500 2000	العربات المحمولة والمجرورة سيارات	16000 وحدة\سنة
SNS Tréfilerie	تيارت	33	700	أسلاك نحاسية وسلاسل زراعية	44000 طن\سنة
SNS	تيارت	40		استرجاع مواد غير حديدية	14000 طن\السنة
ETALEX Textile مركب النسيج والمنتجات الصوفية	تيارت	26	1700	النسيج الخيوط	خيط: 2100 طن\السنة
SONAC Textile	تيارت		180	صنع السراويل	310160 وحدة\السنة
وحدة تفصيل النسيج والملابس الجاهزة ECOTEX	تيارت	0,34	161	الملابس الجاهزة	
EPRO du Sersou	تيارت	1,3	72	صناعة الاجور (البناء)	12000 طن\السنة
مركب الرياض 1: وحدتين	تيارت			مطحنة لإنتاج السميد والفريضة	
مركب الرياض 2: 3 وحدات	تيارت		426	مطحنة لإنتاج السميد والفريضة	277,5 طن\اليوم
مركب الرياض: وحدة 1	مهدية		48	مطحنة لإنتاج السميد والفريضة	28,5 طن\اليوم
مركب (المطاحن الكبرى)	مهدية		400	مطحنة حبوب	4000 قنطار\اليوم
العجائن الغذائية	مهدية		200	كسكس وعجائن	650 طن\السنة

المصدر: مخطط تهيئة ولاية تيارت (1986)

عثمان وسعاد (1992)

لم تكتفي سياسة التصنيع في السرسو بإيجاد عمار للنشاط الاقتصادي فقط، بل صاحبه ذلك إنجاز أحياء سكنية لعمال الصناعة، فقد استفادت جمعة عين بوشقيف حينها من حي سكني (300 مسكن) كما ذكرنا أعلاه، أغلب سكانه من مدينة تيارت بحكم عملهم بمركب عين بوشقيف، الزيادة السكانية المهمة التي عرفتها

مجمعة بوشقيف أهلتها للترقية الادارية لمصاف البلديات سنة 1984، وهو ما سمح أيضا بإعادة تشكيل الشبكة العمرانية في السرسو لصالح التّحضر، وتهجير العمال إلى القطاع الثاني. تركز البنى التحتية الصناعيّة بمجمعة تيارت وبالقرب منها (عين بوشقيف)، سمح ببروز تقطب حولها وعلى محور 45 كلم (تيارت، مهدية) تتركز سبع وحدات كبيرة على شكل مركبات، وبذلك استطاعت تيارت المدينة توفير أكثر من 15800 منصب عمل على امتداد 19 كلم حولها (مخطط تهيئة ولاية تيارت، 1986). نافست الصناعة في الثمانينات بشدة القطاع الفلاحي، لأنّ التّوطن الصناعى تم على ثلاث أوساط فلاحية ممتازة في الولاية، كما أنّ المنشآت الجديدة أيضا أظهرت هذه المفارقة. لم يخلق التأثير الصناعى الذي تم فرضه بهذا الشكل، إلا هيمنة لصالح الصناعة على حساب النشاط الزراعى، الذي كان من أولويات المنطقة في تلك الفترة (سنوات الثمانينات).

من ناحية أخرى، شهدت تيارت خلال الفترة الممتدة من 1987 إلى 1998 والتي تزامنت مع الازمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للبلاد والتي تفاقمت بسبب الوضع الامنى تدهوراً اقتصادياً غير مسبوق، كان له تأثير مباشر على انخفاض العمالة المنتجة، ولا سيما في القطاع الصناعى. إلا أنّ بلديات السرسو استفادت خلال الخطتين الخماسيتين الماضيتين، من برامج خاصة لخلق فرص العمل وخاصة لفئة الخرجين الشباب، وفق عدّة آليات مثل (ANSEJ, ANGEM, CNAC)، لم تساهم المشاريع المنجزة من خلال هذه الآليات ما يرقى لصنف الصناعة لكنها خلقت عددا من مناصب الشغل، ساهمت بنسبة ما في انخفاض معدل البطالة، إذ سجل 10,4% سنة 2009.

الجدول رقم 72: توسع العقار الصناعى على حساب الفلاحي بولاية تيارت الفترة (1966-1977)

الدائرة	المساحة الاجمالية للعقارات المقنتعة (هك)	الفلاحية منها (هك)	نصيب الاراضي الفلاحية من المساحة الاجمالية الموجهة للصناعة (%)
تيارت	615,53	550,25	89,40
فرندة	9,06	-	-
تيسمسيلت	19	19	100
ثنية الحد	27	-	-
أنابيب النّفط والغاز	122,56	122,56	100
مجموع الولاية	793,15	691,81	87,30

المصدر: HACHELEF; 1988

استهلكت ولاية تيارت لغرض الصناعة في الفترة 1966-1977 ما يفوق 790 هكتارا ما يفوق 87 % منها أراضي فلاحية وهو معادل مشابه لذلك المسجل في كل من ولايتي جيجل وسيدي بلعباس، لكن يفوق المعدل الوطنى المقدر بـ 70 % (Hachelef, 1988). تضررت دائرة تيارت من استهلاك العقار الفلاحي لصالح الصناعة بنسبة أكبر من مثيلاتها، بسبب المنطقتين الصناعيتين (زرعورة وعين بوشقيف) ومنطقة النشاطات. استهدف استهلاك العقار الفلاحي بشكل كبير زراعة الحبوب والاعلاف، وقد قدرت الخسائر المالية جراء هذا الاستهلاك بـ 3870000 دج في الفترة 1966-1980 (Hachelef, 1988).

تسببت الصناعة في السرسو إضافة إلى تراجع المساحة الزراعية، تراجع العمالة الزراعية لصالح القطاع الثاني والثالث (كما ذكرنا في الفصل السابق المتعلق بالنشاط الفلاحي).

تضاعفت نسبة المشتغلين في قطاع الصناعة في الفترة 1966-1987 فانقلت من 6,72% إلى 12,54%، أعلى نسبة سجلت ببلدية عين بوشقيف (27,08%) تليها الدحموني (15,12%) وحمادية (10,91%)، بينما تنخفض نسبتهم كثيرا في كل من الناظورة وبوقارة، منطقتين ريفيتين لم تتأثرا بجاذبية الصناعة لأن مشتغليها متمسكين بالفلاحة وتربية الماشية وخاصة الناظورة التي شهدت عملية الاستصلاح الزراعي مع بداية تطبيق قانون ملكية العقار الفلاحي عن طريق الاستصلاح، مع تسجيل انخفاض نسبة المشتغلين في الصناعة في هذه الفترة في المجمعات الكبرى وخاصة تيارت وتيسمسيلت، نظرا لجاذبية القطاع الثالث.

الجدول رقم 73: المشتغلون في الصناعة حسب بلديات السرسو (1966-1987)

البلديات	1966		1987	
	مجموع المشتغلين	المشتغلون في الصناعة %	مجموع المشتغلين	المشتغلون في الصناعة %
تيارت	5315	22,05	23052	17,90
ع بوشقيف			1695	27,08
ع دزاريت	2466	2,60	1205	2,32
الناظورة			500	1,60
ملاكو	1604	3,99	1467	9,61
الدحموني	6086	1,92	2275	15,12
مهدية	2766	7,59	3751	9,36
السبعين			1453	7,85
الرشايقية			2115	1,65
حمادية	1438	4,17	962	10,91
بوقارة			816	0,86
تيسمسيلت	1454	13,41	6500	7,40
العيون	2195	0,73	1937	1,86
خميسي	2448	1,55	2232	6,05
أولاد بسام	3450	0,84	993	1,61
السرسو	29222	6,72	50953	12,53

المصدر: الديوان الوطني للإحصاء (1966-1987)

إعادة بعث النشاط الصناعي مجددا

شهدت فترة التسعينات تراجعا كبيرا للنشاط الصناعي وغلق العديد من المؤسسات وتسريح عمالها أو تقليص عددهم، فقد انتقل عدد عمال الصناعة بمدينة تيارت من 5115 عامل سنة 1985 إلى 5079 عاملا سنة 1988، ثم انخفض مجددا إلى 4848 عامل فقط سنة 1992 (عثمان وسعاد، 1992)، وهو ما سمح بارتفاع معدل البطالة بولاية تيارت حسب الديوان الوطني للإحصائيات من 23% سنة 1987 إلى 28,37% سنة 1998، الأمر الذي كانت له ارتدادات سلبية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي للمنطقة.

الجدول رقم 74: التوطن الصناعي الحالي بالسرسو

المنطقة	المساحة بالهكتار	عدد القطع
المنطقة الصناعية زعرورة (القديمة)	318	443
المنطقة الصناعية عين بوشقيف (القديمة)	299	-
الحظيرة الصناعية زعرورة (الجديدة)	328	292
الحظيرة الصناعية عين بوشقيف (الجديدة)	319	334
منطقة النشاطات القديمة لتيارت	حظائر وشركات	استرجاع جزء من العقار واستغلاله في إنشاء مشروع سكني
منطقة النشاطات مهدية	10	68
منطقة النشاطات تيسمسيلت	21.1	153
منطقة النشاطات سيدي منصور (خميسي)	12	66
منطقة النشاطات سلمانة (العيون)	3.93	-

المصدر: شركة تسيير المناطق الصناعية ومناطق النشاط بولاية تيارت، مديرية الصناعة لولاية تيسمسيلت (2019)

بعد تحسن مداخيل النفط في بداية 2000 عرف السرسو إعادة بعث النشاط الصناعي، نظرا لوجود قاعدة صناعية مهمة (الجدول رقم 74)، توسعت هذه الأخيرة بميلاد مناطق جديدة (صناعية بكل من تيارت وعين بوشقيف وأخرى للنشاط بكل من سلمانة وسيدي منصور) وذلك بالتوجه نحو تركيب السيارات منها الموجهة للسوق الوطنية بكل من تيارت وخميسي بالشراكة مع شركات دولية كبرى (مرسيدس الألمانية وهيونداي الكورية) منها ما هو موجه للقطاع العسكري بعين بوشقيف (الصورة رقم 49)، إضافة إلى تخصيص أوعية عقارية بهذه المناطق الصناعية للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة (الشكل رقم 25) التي تشغل أقل أو أكثر من 50 عاملا (يتوطن بالسرسو 7.70% من مجموع المؤسسات بولاية تيارت). توسع النسيج الصناعي بالسرسو وأصبح اليوم يشغل (6000 عامل¹).

لم يقتصر التوطن الصناعي في السرسو على المناطق المخصصة له فقط، بل يوجد مؤسسات ذات طابع صناعي تنشط خارج مناطقه، وتنتشر داخل النسيج الحضري لمجمعة تيارت، منها عشرون مؤسسة خاصة (مديرية الصناعة والمناجم لولاية تيارت، 2021)، تشغل أكثر من 380 عامل، منها أربع متخصصة في الصناعة الغذائية وسبع مؤسسات صغيرة تتمثل في غرف التبريد.

¹ ANDI (Tialet).

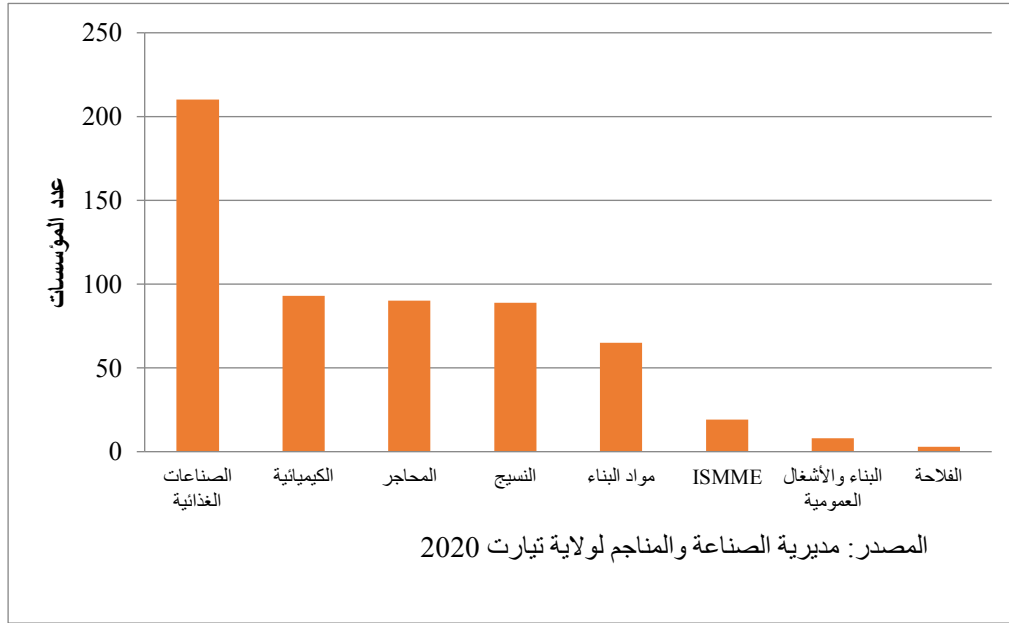


الصورة رقم 49: تركيب السيارات للقطاع العسكري بعين بوشقيف

1.3 التّوطن الصّناعي الجديد بالمجمعات الصّغيرة يحاكي خصوصية السّرسو الفلاحية

كجزء من سياسة خلق، دعم وتطوير المشاريع الصّناعية الصّغيرة والمتوسطة على المستوى الوطني، تم البدء في إنشاء الخدمات الخارجية لوزارة المؤسسات الصّغيرة والمتوسطة والصّناعات الحرفية في الولايات المختلفة، بموجب المرسوم التّنفيذي رقم 442/03 بتاريخ 29 نوفمبر 2003 .

تأثر التّوطن الصّناعي الجديد بالسّرسو بديناميكيته الزّراعية التي شجعت الاستثمار في الصّناعة الغذائية (36.40% من مجموع المؤسسات الصّغيرة والمتوسطة خارج قطاع التّجارة والخدمات) ولا سيما شعبة الحليب في كل من تيارت وخميستي، كما تأثرت المجمعات الرّيفية أيضا بهذا التّوطن، فقد أنشأت معصرة للزّيتون في الرّشايق وأخرى في سلمانة، كما استفادت هذه الأخيرة من مطحنة أيضا، استفاد شباب المنطقة من حظائر تربية الحيوانات والدّواجن في إطار برامج التّنمية الرّيفية، تلك الحظائر المنتشرة في معظم مناطق السّرسو ساهمت في إنتاج اللّحوم البيضاء والحمراء. بلغت العمالة الصّناعية بولاية تيارت 9399 عاملا (مديرية الصّناعة والمناجم لولاية تيارت، 2021) في نهاية عام 2020 (الشكل رقم 24)، ما يقارب ثلثيها تشتغل بالسّرسو، وهو ما قد يفسر انخفاض معدل البطالة بالولاية إلى 9.80% سنة 2020 (مديرية البرمجة وتسيير الميزانية لولاية تيارت، 2020).



الشكل رقم 24: المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في السرسو

يغلب الطابع التحويلي للمنتجات على أنشطة منطقة سيدي منصور ببلدية خميستي، حيث توجد وحدة لإنتاج الحليب ومشتقاته، ووحدات لمعالجة البذور وتخزينها، وأخرى لإنتاج علف الحيوانات والدواجن، بينما لا يوجد بالمنطقة إلا وحدة واحدة لإنتاج مواد البناء.

الجدول رقم 75: التوطن الصناعي بالمجمعات الصغيرة والمتوسطة

المؤسسة	الطبيعة القانونية	طبيعة الإنتاج	عدد العمال	موقع النشاط
SAFAV MB SPA Tiarret	عمومية	تركيب سيارات مرسيدس بنز - SPRINTER و G.	500	المنطقة الصناعية عين بوشقيف
EPE CIT SPA (العربات الصناعية)		العربات الصناعية	467	
Sarl tréfilerie Sersou	خاصة	تحويل الصلب الخفيف، أسلاك مجلفة، أسلاك ربط، مسامير	37	منطقة النشاطات مهدية
الشركة ذات الشخص الوحيد والمسؤولية المحدودة المطاحن الكبرى مهدية		منتجات الدقيق: الفرينة والسّميد	74	
SPA مطاحن مهدية		مطحنة: فرينة وسميد	173	
سارل بذور السرسو		تعبئة البذور: قمح صلب وبقول جافة	61	
Sarl Ginex		إنتاج الورق الصناعي	5	
سارل نسيج السرسو		الحبال المظفرة	24	
SARL MAXIMUM SERVICES		تصنيع مواد التنظيف	35	
Sarl Pharmaghreb		إنتاج المواد الصيدلانية	95	
شركة مطحنة القايد حماية	إنتاج الدقيق الابيض والنخالة	85	مجمعة حمادية	
SARL BOILAIT شركة الحليب	إنتاج الحليب	23	مجمعة ملاكو	

		TAKLIT	
منطقة النشاطات سيدي منصور، بلدية خميستي	88	إنتاج أغذية الانعام	شامي عمر
	50	انتاج مواد البناء	سارل مهري محمد
		وحدة لتخزين البذور	بوسنة غنية
		وحدة معالجة وتخزين البذور	تكلت لحسن
منطقة النشاطات سلمانة، بلدية العيون	77	إنتاج الدقيق الابيض (الفرينة)	مطحنة القايد "سلمانة"
	8	معصرة (استخلاص زيت الزيتون)	قارة الساسي
			المجموع

المصدر: مديرية الصناعة والمناجم لولايي تيارت وتيسمليات (2021)

توطن الصناعة بالمجمعات الصغيرة بالسرسو أعطى لها نفسا جديدا من خلال الوظائف الحضرية الجديدة، فقد اكتسبت بعض المجمعات الصغيرة وظائف غير تلك التي أوجدت لأجلها، ولاسيما عين بوشقيف، وخميستي. تعمل هذه الوظائف على هيكلة مناطق الجذب وتحدد أولوياتها.

يتمحور الدور الجديد للمجمعات الصغيرة في السرسو حول الانتقال الوظيفي الناتج عن توطن الصناعة في الاوساط الزراعية، فالمنطقة الصناعية الجديدة بعين بوشقيف أصبحت تستقطب مستثمرين من داخل الولاية وخاصة من بلدية تيارت وأيضا من خارجها، خاصة من ولاية الجزائر (الجدول رقم 76)، لإنجاز مشاريع مختلفة، باستثناء الصناعات الغذائية، وهو ما يجعل هذه المنطقة متعددة الابعاد (محلي، إقليمي ووطني).

الجدول رقم 76: طلبات الاستثمار الصناعي المقبولة في الحظيرة الصناعية عين بوشقيف

الرقم	المشروع	المساحة (م ²)	الاصلي الجغرافي للمستثمر
1	معالجة وإنتاج الصلب	59495,00	الروبية
2	معمل تصنيع المحولات الكهربائية	35050,00	تيارت
3	مصنع تجميع السيارات (CKD)	51708,00	تيارت
4	معمل تصنيع النوافذ والاسقف البلاستيكية	37821,00	تيارت
5	مصنع الجبس	78304,00	تيارت
6	معمل للصناعات المعدنية وتصنيع طفايات حريق وزجاجات عيار 13 كغ و35P	39655,00	تيارت
7	مخابز -معجنات -بسكويت صناعي	28222,00	الجزائر العاصمة

المصدر: مديرية الصناعة والمناجم لولاية تيارت، 2021

2.3 مساهمة الزراعة في تطوير الصناعة الغذائية:

تعتبر الفلاحة المصدر الاساسي لمدخلات فرع الصناعات الغذائية باعتبار أن القطاع الزراعي والصناعة الغذائية قطاعات تتكامل فيما بينها، ولأن السرسو قطب فلاحي بامتياز فقد تأسست عليه صناعة غذائية من خلال المطاحن التي أنشأت في الفترة الاستعمارية، وعليه ورثت المنطقة سلسلة من المخازن والمطاحن المنتشرة بكامل المجال، وتعتبر مؤسسة الرياض لولاية تيارت من أهم خمس مؤسسات في الوطن في مرحلة إعادة الهيكلة، دعمت هذه الهياكل بعد الاستقلال ولاسيما في المرحلة 1990-1995 التي

شهدت فتح المجال للقطاع الخاص لإنشاء مطاحن تساهم في إنتاج مواد واسعة الاستهلاك ولاسيما السميد والفرينة. إلا أن فترة الإصلاحات (2000-2009) شهدت إعادة الهيكلة الصناعية وتشجيع الاستثمار الخاص. تركز الصناعة الغذائية في السرسو على:

1.2.3 المطاحن (إنتاج السميد والفرينة):

تعد الصناعة الغذائية إحدى مقومات التسويق الزراعي، لأنها تعتمد في إنتاجها على المواد الفلاحية القادمة من المزارع وخاصة القريبة، لتقليل تكاليف الإنتاج على المؤسسات، إلا أنها في السرسو تقتصر على نمط وحيد وهو الصناعة التحويلية التي تتمثل في المطاحن التي تنتج مادتي السميد والدقيق الأبيض (الفرينة) وتوجه للمستهلك مباشرة أو عن طريق المخازن وبعض المؤسسات المنتجة للبسكويت. يوجد بالسرسو سبع مطاحن ذات بعد وطني، إضافة إلى مطاحن خاصة نشأت في إطار الاستثمار بالوسطين الريفي والحضري بمناطق النشاط وأيضاً داخل النسيج العمراني للمجمعات (حمادية وسلمانة)، أهم هذه المطاحن توجد بتيارت ومهدية (الصورة رقم 50)، توفر هذه الأخيرة مادة الفرينة لبعض ولايات الوطن. تبلغ طاقة الإنتاج بها 3140 قنطار يوميا لكنها لا تنتج إلا 1350 قنطار (بطاقة الإنتاج اليومي 40 % فقط).



الصورة رقم 50: المطاحن الكبرى بمهدية

الإنتاج اليومي لمادة الفرينة يخضع لتنظيم السوق الذي يتحكم فيه الديوان الوطني للحبوب من خلال تحديد كمية الإنتاج اليومي من طرف المديرية العامة للديوان (المدير التنفيذي لمطاحن مهدية). ينتج في السرسو أيضا العجائن الغذائية (157500 قنطار سنويا) والكسكس (30000 قنطار) (مديرية الصناعة والمناجم، دليل الاستثمار لولاية تيارت، 2019).

الجدول رقم 77: توزيع المطاحن الخاصة بالسرسو حسب المنطقة وطاقة الانتاج

الرقم	المؤسسة	عدد العمال	المساحة (2م)	المنتجات الاساسية	طاقة الانتاج (طن اليوم)	الموقع
1	أرل القايد	50		الفرينة والسّميد	قمح صلب: 939	مجاعة حمادية
2	مطاحن مهديّة SPA	159	141	سميد وفرينة	قمح صلب: 1740 قمح لين: 2320	منطقة النّشاط مهديّة
3	سارل الاخلاص	108	6462	تحويل الحبوب (القمح الصّلب واللين) سميد وفرينة	قمح صلب: 182 قمح لين: 1900	شارع حمداني عدة (تيارت)
4	أرل المطاحن الكبرى	72	7000	انتاج الفرينة	قمح صلب: 907	منطقة النّشاط مهديّة
5	سارل الاخلاص (الاخوة ختال)	180		مطحنة لإنتاج السّميد	قمح صلب: 182 قمح لين: 1900	شارع معروف أحمد (تيارت)
6	مطحنة القايد	70	/	الفرينة والسّميد	/	سلامانة، بلدية العيون
7	شركة مطاحن باب الصّحراء	/	5400	مطحنة صناعية (متعددة)	/	المنطقة الصّناعية زعرورة

المصدر: مديرية الصّناعة والمناجم لولايتي تيارت وتيسمسيلت (2020)

سمح تشجيع الاستثمار وتوفير العقار الصّناعي بالسرسو بتنوع الأنشطة الصّناعية، رغم سيطرة الغذائية منها، إلا أنّ تاريخ المنطقة الصّناعي خاصة في مجال الميكانيك والصّناعة الخفيفة مازال موجودا.

2.2.3 انتاج زيت الزّيتون (الرّشايقة وسلمانة).

يتميز السرسو بإنتاج الزّيتون، هذه الشّعبة التي تطورت في المنطقة خاصة بعد الاصلاحات التي مست



الصّورة رقم 51: منتج معصرة قارة (سلمانة)

القطاع، فتم إيجاد معاصر متخصصة في انتاج الزّيتون وخاصة زيت الزّيتون، الا أنّ التّغطية جد ضئيلة بولاية تيارت التي لا تضم الا معصرتين (واحدة بسهل السرسو ببلدية الرّشايقة وأخرى بالمنطقة الجبلية غرب الولاية ببلدية تخمارت)، إضافة إلى معصرة جديدة تم انجازها بقرية سلمانة شمال شرق السرسو (ولاية تيسمسيلت) لكنها صغيرة الحجم وضئيلة الإنتاج (الصورتين 51، 52)، لا يتعدى انتاجها 1760 لترا سنة 2019 (مديرية الصّناعة والمناجم لولاية تيسمسيلت ، 2020).

تتميز معصرة الرّشايقة بجودة منتجاتها حسب تصريحات المستهلكين بالمنطقة، لكنّها لا تغطي حجم إنتاج الزّيتون مما يجعل تسويقه خارجي، باتجاه معاصر شرق الوطن وخاصة ولاية تيزي وزو وكذا غربا ولا سيما ولاية معسكر نظرا لقرب المسافة.



الصورة رقم 52: معصرة الزيتون (قارة) بالمجموعة الثانوية سلمانة، بلدية العيون

3.2.3 إنتاج اللحوم البيضاء والحمراء:

يشهد إنتاج اللحوم البيضاء من خلال حظائر التربية نموا مستمرا، لأن الإقبال على إنجاز المداجن، المحاضن والمذابح لم يتوقف في مختلف برامج التنمية الفلاحية، خاصة بعد استفادة المقبلين على هذا النوع من النشاط من مساعدات مادية من الدولة (الصورة رقم 53).

الجدول رقم 78: المؤسسات الخاصة في إنتاج اللحوم في السرسو

البلدية	الوحدة والموقع	نوع المنتج	كمية الانتاج	عدد العمال
تيسمسيلت	SARL BON POULET دوار الشريطة	البيض	24 000 000 بيضة	28
	مذبج الونشريس (منطقة النشاطات)	مذبج	لحم بقرى: 300 لحم ماعز: 500 لحم غنم: 80 جلود: 100	40
مهدية	شركة كلال (منطقة النشاطات)	مذبج دواجن	100 دجاجة/الساعة	8
تيارت	شركة توكة (منطقة النشاط زعرورة)	مذبج دواجن	100 دجاجة/الساعة	4
	شرقي قويدر	الدجاج اللامح		
	شرادي محمد (الحظيرة الصناعية)	مذبج دواجن وغرفة تبريد		

المصدر: مديرية الصناعة والمناجم لولايتي تيارت وتيسمسيلت (2020)



صورة رقم 53: حظيرة لتربية الدواجن ببلدية الرشايق (المستثمر حميسي أحمد)

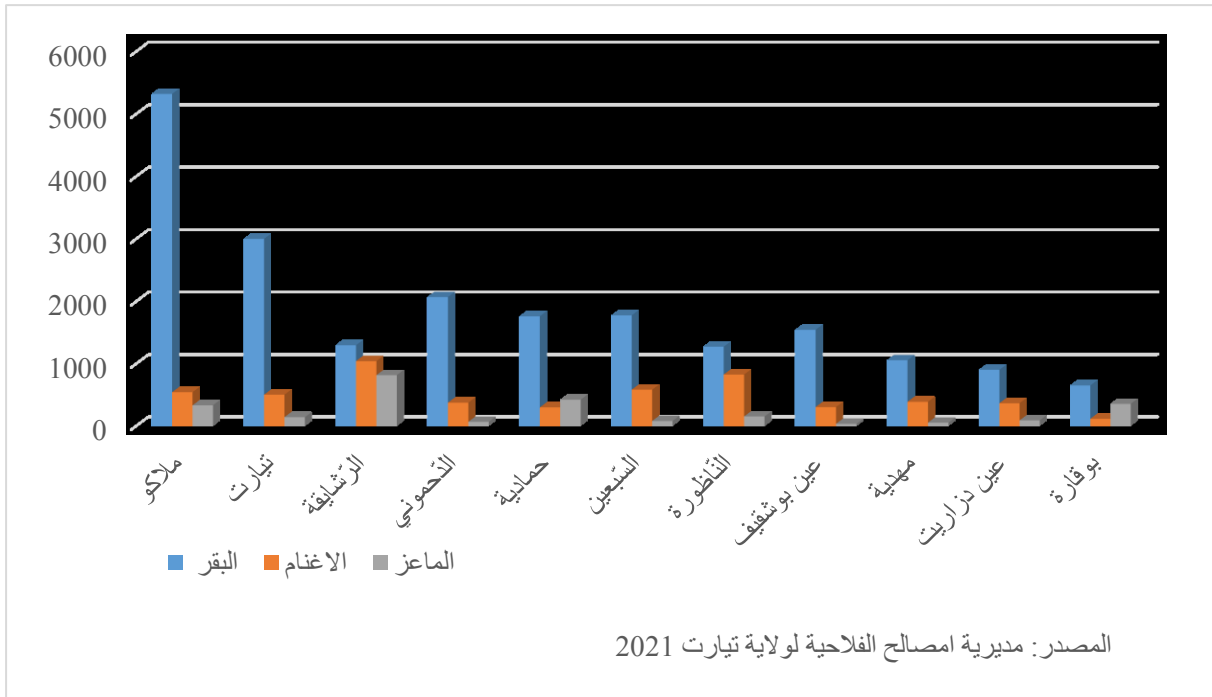
4.2.3 إنتاج الحليب ومشتقاته:

تحتل بلدية ملاكو المرتبة الأولى في السّرسو (الشكل رقم 25) من حيث إنتاج وتجميع الحليب بنسبة 21,73 %، حيث يوجد بملاكو عدّة مستثمرات فلاحية خاصة متخصصة في تربية البقر الحلوب، كما رأينا في فصل السابق، تليها كل من تيارت والرّشايق بنسب متقاربة (12,78 % و 11,05 % على التّوالي)، وهو بذلك يساهم في إنتاج الحليب بولاية تيارت بنسبة تفوق 26%، إلا أنه يعتمد على حليب الإبقار بنسبة أكبر (ما يفوق 78 % من الإنتاج) مقارنة بحليب الغنم (18,70 %) والماعز (8,89 %). توجه ثلاث أرباع الكمية المنتجة للاستهلاك الذاتي (75,2 %) أو البيع للأفراد (10,61 %).

الجدول رقم 79: إنتاج الحليب وتجميعه بسرسو تيارت

البلدية	إنتاج الحليب (ألف لتر)			وجهة الحليب غير المجمع	
	البقر	الماعز	الإغنام	المجموع	تجميع الحليب البقر (ألف لتر)
بوقارة	648,80	353,46	113,99	1116,25	152,19
حمادية	1759,30	420,94	297,44	2477,68	485,66
الناظورة	1270,79	152,06	825,09	2247,94	2247,94
الرّشايق	1293,83	815,10	1039,83	3148,75	73,73
السّبعين	1775,08	79,66	582,26	2437,00	69,06
مهدية	1054,35	51,84	387,14	1493,33	106,22
الدّحموني	2068,79	66,33	373,62	2508,75	575,16
ملاكو	5319,09	330,67	541,89	6191,65	1856,25
عين دزاريت	900,45	88,82	364,02	1353,28	53,06
عين بوشقيف	1542,16	32,79	302,27	1877,22	235,11
تيارت	2998,80	141,41	500,92	3641,13	484,99
السّرسو	20631,44	2533,09	5328,47	28492,99	4091,43
ولاية تيارت	75122,84	12501,19	20165,20	107789,22	9180,91

المصدر: مديرية المصالح الفلاحية لولاية تيارت (2021)



الشكل رقم 25: انتاج الحليب في بلديات السرسو (ألف لتر) حسب نوعه

إضافة إلى إنتاج الحليب الطازج، ينتج السرسو أيضا الحليب المبستر ومشتقاته، بكل من خميستي وتيارت، نظرا لوجود وحدتين صناعيتين واحدة بمنطقة النشاط سيدي منصور (خميستي) وأخرى بمنطقة النشاط زعرورة (تيارت) (الصورة رقم 54)، تعتمد الوحدتين على تجميع الحليب، لكن التغطية جد ضئيلة نظرا لعدد السكان الكبير والمتزايد في المنطقة، لذلك يعتمد على منتجات الوحدات المجاورة وخاصة ملبنة السوكر وقصر الشلالة بالنسبة للحليب، أما مشتقاته وخاصة الزبادي والأجبان، فنوعيتها ضعيفة نوعا، والاستهلاك مفتوح أمام المنتجات الوطنية أو الأجنبية بالنسبة لهذه المواد. توفر هذه الوحدات مناصب عمل لكنها ضئيلة جدا مقارنة بحجم الطلب على العمل.

الجدول رقم 80: إنتاج الحليب ومشتقاته بالسرسو

الرقم	المؤسسة	الطبيعة القانونية	الانتاج	الكمية	عدد العمال	الموقع
1	SPA ملبنة سيدي خالد (GIPLAIT)	عمومية	حليب مبستر، حليب بقر، لبن، رائب، زبادي منكه، كريمة الحلوى، زبدة	الحليب: 36.447.249 لتر منتجات الالبان 4,432,524 كغ	144	المنطقة الصناعية زعرورة
2	SARL BOILAIT	خاصة	حليب المبستر المعبأ حليب كامل الدسم، اللب	حليب مبستر: 816000 لتر حليب كامل الدسم: 18252000 لتر لبن: 2520000 لتر	23	منطقة النشاط سيدي منصور

منطقة النشاط السّوقر	50	حليب معقم: 9.984.000 لتر رائب مبستر: 2.496.000 لتر	الحليب ومشتقاته	خاصة	SARL BAHDJA LAIT	3
بلدية قصر الشّلالة	10	1500 ل/اليوم	الحليب	خاصة	ملبنة الشّلالة	4

المصدر: مديرية الصناعة والمناجم (ولايتي تيارت وتيسمسيلت)



صورة رقم 54: ملبنة سيدي خالد (منطقة النشاطات زعرورة، تيارت)

3.3 العودة إلى سياسة التصنيع الثقيل

تطور التشريع الجزائري فيما يخص تسهيل الاستثمار منذ سنة 2011 التي تعتبر نقطة التحوّل الجوهري، حيث أقرت الدولة منح الامتياز بالثراضي كمحاولة لإزالة مختلف المعوقات أمام المستثمر، تبعته قوانين أخرى صدرت في سنوات اللاحقة لمرافقة المستثمر مع تنفيذ السياسة الاقتصادية للدولة والمخططات التّنومية (بلكعيات، 2017). أمّا اليوم فمعالم السياسة الصناعيّة الجديدة في الجزائر تقوم على أحداث القطيعة مع السياسات الصناعيّة السّابقة، التي أدت إلى تراجع مردودية المجمعات العمومية بعد وضع حد لسياسة التصنيع الثقيل، حسب قانون الاستثمار الجديد¹ الذي يتيح جميع أشكال الاستثمار (وطني أو أجنبي عام أو خاص، طبيعي أو معنوي، مقيم أو غير مقيم)²، وإعادة بعث النشاط الصناعي سيكون من خلال تطوير وتشجيع وتسهيل الاستثمار³ بهدف خلق مناصب شغل والحفاظ عليها، وجلب التكنولوجيا.

¹ يمكن أن تستفيد الاستثمارات، بناء على طلب من المستثمر، من أحد الأنظمة التحفيزية:

النظام التحفيزي للقطاعات ذات الأولوية، ويدعى في صلب النص "نظام القطاعات"؛

النظام التحفيزي للمناطق التي توليها الدولة أهمية خاصة، ويدعى في صلب النص "نظام المناطق"؛

النظام التحفيزي الموجه للاستثمارات ذات الطابع المهيكل، ويدعى في صلب النص "نظام الاستثمارات المهيكله"

² المادة 3 من القانون رقم 18-22 المؤرخ في 24 يوليو 2022 المتعلق بالاستثمار (الجريدة الرسمية العدد 50)

³ تخضع لأحكام القانون رقم 18-22، الاستثمارات المنجزة من خلال:

- اقتناء الأصول المادية أو غير المادية التي تندرج مباشرة ضمن نشاطات إنتاج السلع والخدمات في إطار إنشاء وتوسيع قدرات الإنتاج و/أو إعادة تأهيل أدوات الإنتاج،
- المساهمة في رأسمال مؤسسة في شكل حصص نقدية أو عينية،
- نقل أنشطة من الخارج.

إعادة إحياء النشاط الصناعي في السّرسو، ارتكز بشكل واسع على المؤسسات المتوسطة والصغيرة، فيما تنحصر المؤسسات الكبيرة في تلك التابعة للقطاع العام وخاصة بمنطقة عين بوشقيف المتخصصة في تركيب السيارات والعربات الموجهة للقطاع العسكري منذ الثمانينات. كما تم إحياء نشاط الصناعة الميكانيكية المتمثلة في تركيب السيارات في القطاعين العام والخاص بكل من تيارت وعين بوشقيف إحياء لمشروع فاتيا السابق (الجدول رقم 81).

الجدول رقم 81: المؤسسات الصناعية المتخصصة في إنتاج وتركيب السيارات

الرقم	المقر الاجتماعي	القطاع	المنتج الاساسي	عدد العمال	موقع المشروع	تصنيف المؤسسة	تاريخ بداية النشاط
1	SNVI - CIT الشركة الوطنية للمركبات الصناعية - هياكل صناعية تيارت	عمومية	العربات نصف المقطورة شاحنة قلابية نصف مقطورة مسطحة نصف مقطورة بخزان ناقل آلة نصف مقطورة المقطورات	467	المنطقة الصناعية عين بوشقيف	AW	1981
2	SAFAV MB SPA Tialet	عمومية	تركيب السيارات علامة مرسيدس بنز Mercedes Benz - SPRINTER et classe G	350	المنطقة الصناعية عين بوشقيف	MDF	2014
3	SARL TAHKOUT manufacturing Company	خاصة	تركيب السيارات	225	المنطقة الصناعية زعرورة	E N C	02/11/2016

المصدر: مديرية الصناعة والمناجم لولاية تيارت (2021)

ساهم فتح الاستثمار الخاص في ارتفاع الطلب على العقار الصناعي في السّرسو، هذا الاستثمار يركز كما ذكرنا سابقا على المؤسسات المتوسطة، إلا أنه غير متخصص، بل نجد تنوعا في الأنشطة المطلوبة (الجدول رقم 84)، حيث يستحوذ قطاع البناء على نسبة مهمة (11 مؤسسة)، بينما لا يوجد أي نشاط في الصناعة الميكانيكية، لأنها تتطلب رأس مال كبير وعمالة فنية متخصصة، قد لا تتوفر شروط إنشائها لدى صغار المستثمرين بالمنطقة. يتجه الطلب أيضا على إنشاء مؤسسات صناعية شبه صيدلانية، كمواد التجميل بالمنطقة الصناعية لتيارت، ودعما للوظيفة الزراعية للمنطقة، تزايد الطلب على إنجاز غرف التبريد.

الجدول رقم 82: الاستثمار الصناعي الخاص بالمناطق الصناعية بالسرسو (المشاريع في طور الإنجاز)

الرقم	المشروع	عنوان المستثمر	المساحة م ²
1	تصنيع بلاط الارضيات ومواد البناء الخرسانية مسبقة الصب	الرّشايقة تيارت	10002
2	الوحدة الصناعيّة للخرسانة الجاهزة	تيارت	41188
3	تصنيع نجارة الالمنيوم	تيارت	6300
4	نجارة صناعية	تيارت	1496
5	إنتاج حواف الارصفة الخرسانية	تيارت	2591
6	خط إنتاج التّكّتل الخرساني قوالب تحضير السّقف، حواف، رصف)	تيارت	4725
7	ماكينة صناعة الخرسانة	تيارت	3398
8	انتاج مواد بناء	تيارت	4014
9	وحدة انتاج البلاط والسّيراميك	تيارت	2825
10	إنتاج أرضيات ب-PET	البيض	4500
11	بناء قطع غيار للصناعة	سطاوالي الجزائر ع	4950
12	غرف تبريد	القبة الجزائر العاصمة	27660
13	انتاج التّلاجات وغرف التّبريد	عين بوشقيف	1500
14	وحدة تصنيع معدات التّبريد (عدادات وخزائن مبردة، غرف تبريد)	تيارت	1575
15	إنتاج المواد الغذائية المستعملة في تحضير الكعك	تيارت	1590
16	وحدة لإنتاج البسكويت	تيارت	1961
17	انتاج أغذية الانعام	السّوقر تيارت	1575
18	وحدة لإنتاج أغذية الانعام	الرحوية تيارت	2400
19	انجاز وحدة لإنتاج المواد الشّبه صيدلانية	تيارت	3000
20	انتاج حقن بلاستيك	تيارت	1538

المصدر: مديرية الصناعة والمناجم لولاية تيارت (2021)

ينخفض بشكل ملحوظ الطلب على الصناعة الغذائية التحويلية، رغم تنوع الإنتاج الفلاحي بالمنطقة، لكن يتجه البعض نحو انتاج أغذية الأنعام، تدعما لنشاط تربية الماشية بالمنطقة.

4.3 استرجاع العقار الصناعي (التطهير)

أثرت السياسات الصناعية على نسبة التركز الصناعي من خلال زيادة منح التراخيص الصناعية والامتيازات الاستثمارية، إلا أنّ منح العقارات لم يتبعه تنفيذ بعض المشاريع على أرض الواقع لسنوات طويلة، أو وجهت تلك العقارات لأغراض أخرى. قامت مديرية الصناعة والمناجم لولاية تيارت باسترجاع العقارات الممنوحة للمستثمرين قصد تطهير العقار الصناعي وتوجيهه لمستثمرين حقيقيين خاصة أولئك الذين يبحثون عن مساحات إضافية لتوسيع وحدات الانتاج الخاصة بهم، فالتطهير العقاري يهدف إلى تحديد المناطق غير المستخدمة والقواعد المخصصة والمستعملة لأغراض أخرى غير الاستثمار، ولهذا الغرض

أيضا تم استحداث الوكالة الوطنية للعقار الصناعي التي تتميز بالاستقلالية التامة، تشرف على منح توزيع العقار الصناعي لصالح المستثمرين.

الجدول رقم 83: تظهير العقار الصناعي بالسرسو

المساحة المسترجعة م2		عدد القطع المسترجعة		المنطقة
إلغاء اداري	قضائيا	إلغاء اداري	قضائيا	
12718	29049	7	17	المنطقة الصناعية زعرورة القديمة
16021	6876	2	1	المنطقة الصناعية زعرورة الجديدة
9000	0	1	0	قطاع التجارة
10095	0	3	0	قطاعات أخرى
143498	77587,50	32	50	مجموع ولاية تيارت

المصدر: مديرية الصناعة والمناجم لولاية تيارت

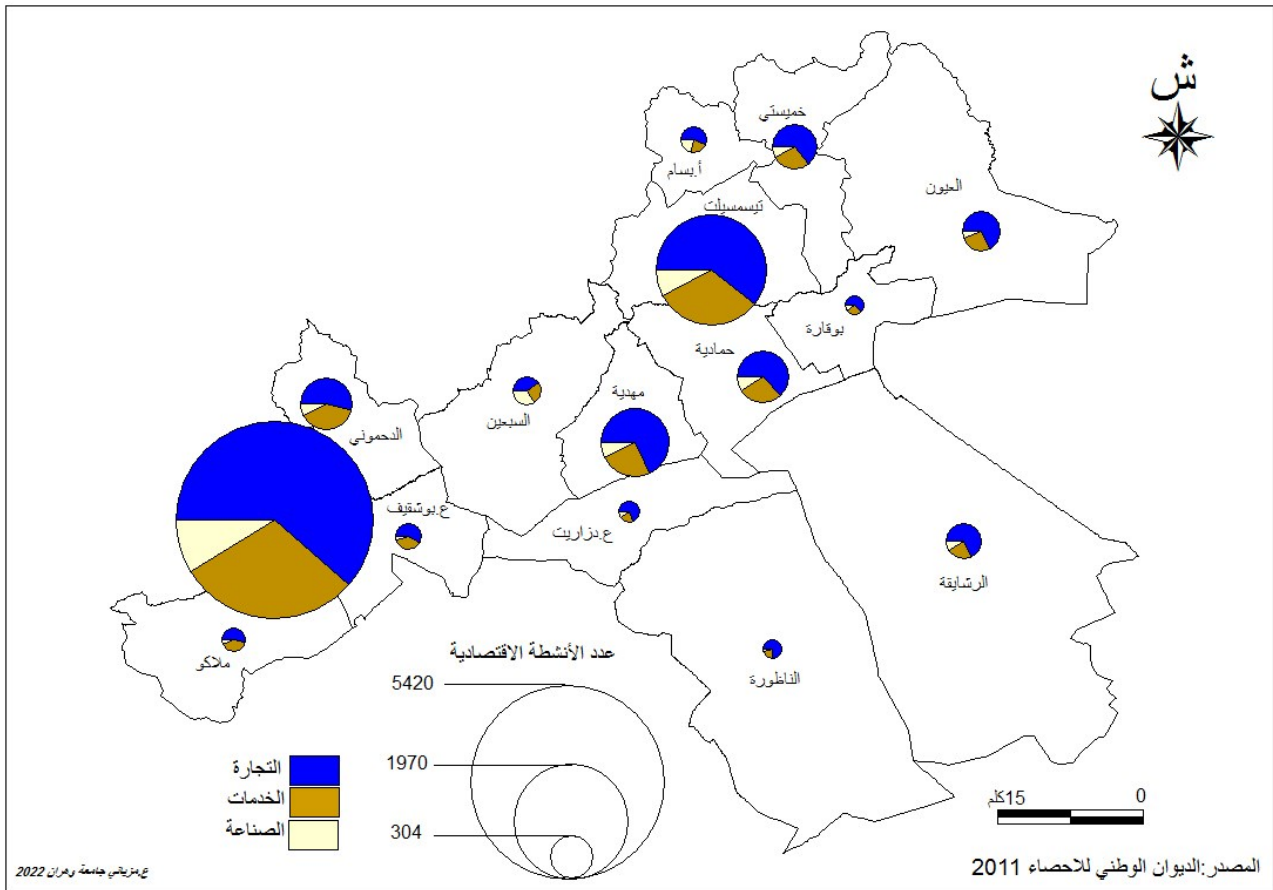
تم استرجاع ما يفوق 22 هكتارا من العقارات الصناعية بولاية تيارت، أعلى نسبة منها تقع بالسرسو لأنه يحتوي على أهم وأكبر نسبة من العقار الصناعي للولاية. العقارات المسترجعة هي عبارة عن عرض جديد سوف يجذب متعاملين اقتصاديين جدد وبالتالي يرفع حجم ونوع الاستثمار في المنطقة.

التنظيم والتحولات الهيكلية للبنية التجارية في السرسو

تقاس الديناميكية الحضرية بواسطة الوظيفة التجارية، من خلال التردد والتسوق والامتداد المجالي للأسواق والمراكز التجارية. أصبحت تجارة المساحات الكبرى والتجارة المتخصصة أكثر حكرا على المدن الكبيرة ولاسيما مراكزها حيث تتجه نحو التخصص والجودة، بل أصبحت عامل جذب قوي أيضا من خلال أسواقها ومراكزها التجارية الكبيرة والمتعددة (خاصة تيارت) فالمراكز الحضرية أصبحت رهانا لمختلف الاستراتيجيات الاقتصادية والسياسية المحلية.

ظهرت في السنوات الأخيرة عدة أسواق تجارية كبيرة في مدينة تيارت تستقطب كل سكان الولاية وحتى سكان من الولايات المجاورة على غرار تيسمسيلت وغليزان، هذه الأسواق الكبيرة مدعومة بتنامي المحلات التجارية الفردية الخاصة بالتجزئة. لا تقتصر التجارة في السرسو على المجمعات الكبرى فقط، بل تنتشر في مختلف المجمعات الحضرية منها والريفية وخاصة التجارة اليومية (المواد الغذائية)، حيث تستقبل المجمعات الثانوية الريفية في حدود 3-7 متاجر صغيرة، خاصة تلك المجمعات البعيدة مثل سي عبد المؤمن، عين فرجة والخربة، تمارس التجارة اليومية بقرى السرسو بمحل الإقامة بتخصيص غرفة لهذا الغرض (11,65%)، بينما تتوسع البنية التجارية ببقية المجمعات وتتنوع في الكبيرة منها حيث تنتشر تجارة المساحات الواسعة خاصة في مجمعة تيارت، تليها تيسمسيلت ثم مهدية.

تشير نتائج الإحصاء الاقتصادي¹ لسنة 2011 (الخريطة رقم 49) إلى اكتساح نشاط التجارة في السّرسو، (61,61%)، ما يقارب ثلثي المؤسسات الاقتصادية هي ذات طابع تجاري مقارنة بالخدمات (29,36%)، التي تشغل ثلث المؤسسات تقريبا، وهي تشمل قطاع الإدارة وأيضا الجمعيات، لذلك نجدها أكثر تركزا في مرتكز الولايات وخاصة تيارت، تليها مراكز الدوائر وعلى رأسهم مهديّة، وأخيرا البلديات وخاصة الريفية منها فيما تأتي المؤسسات الصناعيّة في المرتبة الأخيرة (8,36%)، وهذا الانتشار يمس كل البلديات بمختلف أنماطها.



الخريطة رقم 49: توزيع الأنشطة الاقتصادية في السّرسو حسب البلديات

تتركز المؤسسات الصناعيّة بنسبة أكبر في بلدية تيارت، بفضل مناطقها الصناعيّة، ثم تيسمسيلت بفضل منطقة نشاطاتها، بينما تقل في عين بوشقيف، رغم احتوائها على أكبر منطقة صناعية بالسّرسو، ويرجع السبب في ذلك أن العقار الصناعيّ بعين بوشقيف مشغول بأكبر المؤسسات، بينما تنتج منطقة تيارت وأيضا

¹ الإحصاء الاقتصادي هو عملية شملت كل التراب الوطني، تهدف إلى إحصاء كل المؤسسات الاقتصادية ما عدا قطاع الفلاحة، والإدارية والجموعية، بغرض الوصول إلى فهرسة شاملة للمؤسسات الاقتصادية.

تيسمسيات لاستيعاب المؤسسات الصغيرة والمتوسطة وتلك الموجهة للنشاط الحرفي، وهو ما رفع عدد المؤسسات بهما، وينطبق ذلك أيضا على مهدية وحمادية.

1.4 تجارة المساحات الكبيرة، نمط جديد بدأ بالانتشار بالمجمعات الكبرى

عرفت البنية التجارية في السرسو تطورا مستمرا، وخاصة بعد الانتعاش الاقتصادي الذي عاشته البلاد في بداية الالفية الثالثة، فتطور التجارة تزامنا مع التوسع العمراني للمجمعات وإنتاج السكن ولاسيما الجماعي منه، الذي صاحبه إنتاج عقار تجاري، فتعددت الفضاءات التجارية¹ كإنجاز الأسواق الجوارية والأسواق المغطاة الذي جاء ضمن سياسة الدولة في سنة 2017، بلغ عدد المتاجر سنة 2021 حسب مديرية التجارة 28817، ما يفوق النصف (54,72%) يتمركز بمدينة تيارت، بمعدل 46,81 محل /ألف ساكن.

الجدول رقم 84: المراكز التجارية بسرسو تيارت

البلدية	اسم المركز	مسير المركز	الأنشطة الممارسة
تيارت	مركز تجاري الفيصل	ملكية خاصة	أحذية وألبسة، أفرشة وأغطية، ملابس أطفال، أواني منزلية، أدوات التجهيز المنزلي، مجوهرات، عطور ومواد التجميل، مواد التنظيف، ألعاب الحلويات، بيع الهواتف ولوازمها.
	مركز تجاري أوديال		
	مركز تجاري السيدة خديجة		
	مركز تجاري الربيع		
	مركز تجاري السلام		
	مركز تجاري بديار		
	مركز تجاري الهناء		
	مركز تجاري بلعباس		
	مركز تجاري تاج السلطان		
	مركز تجاري محل للأثاث القديم		
الذحموني	مركز تجاري	ملك البلدية مؤجر لمتعامل خاص	مركز تجاري للخضر والفواكه حمرة
	مركز تجاري دار الزوار	ملك المؤسسة الوطنية للترقية العقارية	مركز تجاري دار الزوار
	مركز تجاري	ملك البلدية	مركز تجاري
		ملك البلدية مؤجر لمتعامل خاص	مركز تجاري للخضر والفواكه ولحوم
		ملك الوكالة العقارية	مغلق ومتوقف عن النشاط
		ملك البلدية	محلات مؤجرة لخواص

المصدر: مديرية التجارة لولاية تيارت، 2021

¹ الفضاءات التجارية عديدة ومتنوعة وأهمها ما ورد في المادة 3 من المرسوم التنفيذي رقم 12-111 حيث صنفها المشرع الجزائري على النحو التالي:

1. الأسواق:
 - أسواق الجملة للخضر والفواكه،
 - أسواق الجملة لمنتجات الصيد البحري،
 - أسواق الجملة للمنتجات الصناعية الغذائية،
 - أسواق الجملة للمنتجات الصناعية،
 - أسواق التجزئة المغطاة والجوارية للخضر والفواكه واللحوم والأسماك والقشريات الطازجة والمجمدة،
 - أسواق التجزئة المغطاة والجوارية للمنتجات الصناعية الغذائية،
 - أسواق التجزئة المغطاة والجوارية للمنتجات المصنعة،
 - الأسواق الأسبوعية أو النصف الأسبوعية للخضر والفواكه وللمنتجات الغذائية الواسعة الاستهلاك والمنتجات المصنعة،
 - الأسواق الأسبوعية لبيع الحيوانات،
 - الأسواق الأسبوعية لبيع السيارات المستعملة.
1. المساحات الصغرى من نوع سوبرمارت،
2. المساحات الكبرى من نوع متجر كبير ومتجر ضخم،
3. المراكز التجارية.

شهدت المدن عامة والكبرى منها خاصة في السّرسو ولاسيما تيارت (54,72% من التّجارات بالسّرسو تتركز بالمدينة) خلال الخمسة عشر سنة الأخيرة ثورة في الحركة التّجارية، بسبب انفتاح السّوق وتحول الجزائر بشكل عام لبلد استيراد بامتياز لمختلف المنتجات، وتحسن المستوى المعيشي للسّكان وزيادة الاستهلاك في الأرياف والحضر، بسبب ارتفاع معدلات التّحضر والتّركز السّكاني الذي رفع الطّلب على المنتجات الاستهلاكية، يشهد الإقبال على فتح المتاجر تنامي سريع بسبب التّوسع العمراني من جهة وبسبب ضعف باقي القطاعات في توفير مناصب الشغل من جهة أخرى.

تطورت تجارة المساحات الكبرى في المدن خاصة تيارت، حيث وجهت العديد من ممتلكات البلدية والدولة لاستيعاب النّشاط التّجاري عن طريق الكراء للأفراد بغرض رفع وتحسين إيرادات بلدية تيارت من جهة وتوظيف المجال الحضري من جهة أخرى (الجدول رقم 84)، تختص هذه المراكز في تجارة التّجزئة وخاصة تجارة الملابس والأحذية والأواني المنزلية التي لا يكاد أي مركز تجاري بالمدينة يخلو منها، تنتشر هذه المراكز التّجارية خاصة في مركز المدينة القديم وبالقرب منه.

أسهم توطن التّجارة في هذه الفضاءات في وروج والانتشار الكثيف للأنشطة التّجارية التي تحتل الشّوارع وتتمثل في الأشرطة التّجارية¹ وأيضا تلك التي تحتل الأرصفة، وهي تجارة موازية لا يحتاج ممارستها لوجود محل قار، بل يكفي بنصب طاولة أو وضع سلعه على قارعة الطريق أو التّجول بها (تحقيق ميداني)، ممّا أسهم في خلق مجموعة من الاختلالات التي تؤثر في بنية ووظيفة المجال الحضري وإعاقة استغلال المجال العام والاستفادة من مؤهلاته (قيشاني، 2016)، بينما تنتشر وتنمو المتاجر الحديثة والجديدة التي سايرت توسع مدينة تيارت بشكل أكبر على طول الطرقات الدّاخلية، وقد ساهمت سلوكيات الشّراء الجديدة القائمة على امتلاك السيّارة في خلق تنافس بين المحلات ومراكز التّسوق (Bekkouche et Otmame, 2022). لا يقتصر انتشار هذا النّوع من المتاجر فقط على مدينة تيارت، لأنّ الطرقات المهيكلة للمجمعات هي أكثر استقطابا للتّجارة، خاصة الطرق الوطنية ولاسيما رقم 14 (ملاكو، سيدي واضح، تيارت، كارمان، الدّحموني، تسلمت، تيسميسيلت،)، ورقم 23 (السّانيا، عين مصباح وبيبان المصباح) ورقم 90 أيضا حيث تنوّع المجمعات الريفية على طول هذه الطرقات التي تربط تيارت كونها عاصمة ولاية بمختلف ولايات الوطن.

تتركز الأسواق التّجارية بشكل خاص في مدينة تيارت وتنوّع بين أسواق الجملة، الجوارية والمغطاة (الجدول رقم 85)، ويختلف تخصصها التّجاري، فمنها ما يقتصر على تجارة الخضر والفواكه واللّحوم فقط

¹ تتمثل في الشّوارع التّجارية التّقليدية وطرق الرئيسية بالإضافة إلى الأشرطة الضواحي الجديدة والأشرطة الممتدة على الطريق العام

ومنها ما يجمع إضافة إلى الخضر مختلف الأنشطة كالملابس والأحذية والأفرشة وغيرها من المستلزمات العناية الشخصية.

الجدول رقم 85: توزيع الأسواق التجارية في مجتمعات السرسو

البلدية	نوع الفضاء التجاري	المساحة 2م	تاريخ الانشاء	الأنشطة الممارسة	الوضعية	الملكية
مهديّة	سوق مغطاة (31 محل)	1000	1984	تجارة التجزئة للخضر والفواكه، اللحوم، تغذية عامة.	ناشط	البلدية
	سوق جوارى (24محل).	800	2016	إعداد قائمة المستفيدين من طرف البلدية قيد الانجاز	غير ناشط	
الرّشايقة	سوق الجملة للخضر والفواكه (69 محل)	23000	2007	تم منحه في إطار تفويض المرفق العام لشركة خاصة لاستغلاله في نشاط تجاري	غير ناشط	البلدية والوكالة العقارية
	سوق مغطاة (24 محل)	300	2015	/	غير ناشط	
تيارت	مركز تجاري (39 محل)	450	2002	قصابات، عقاقير، خضر وفواكه	ناشط جزئيا	البلدية
	سوق الجملة للخضر والفواكه (88 محل)	20775	1990	خضر وفواكه	ناشط	
تيارت	سوق مغطاة (234 رواق)	4000	1990	تجارة التجزئة للخضر والفواكه، الالبسة، الألبسة المستعملة، تغذية عامة	غير ناشط	البلدية
	سوق مغطاة (27 محل)	600	1983	تجارة التجزئة للخضر والفواكه، اللحوم والاسماك، أكل خفيف	غير ناشط	
	سوق مغطاة (24 محل)	980	2011	تم كراء المحلات عن طريق المزاد العلني لكن أصحابها لم يلتحقوا بها	غير ناشط	
	سوق مغطاة	825.5	1898	تم اختياره لإعادة التأهيل من طرف مديرية التجارة (المشروع مجمد) أشغال إعادة تأهيل قيد الانجاز من ميزانية البلدية	غير ناشط	
	سوق جوارى (86 محل)	1000	1998	تجارة بالتجزئة للخضر والفواكه، اللحوم	ناشط	
	سوق جوارى (40 محل)	600	2013	تم تأجيره لمتعامل اقتصادي في إطار الاستثمار لاستغلاله كوحدة للمراقبة التقنية للسيارات	غير ناشط	
	سوق جوارى (40 محل)	600	2014	تم تأجيره لمتعامل اقتصادي في إطار الاستثمار لاستغلاله كمخزن	غير ناشط	
	مركز تجاري (25 محل)	200	1991	أحذية وألبسة، أفرشة وأغطية، ملابس أطفال، أواني منزلية، أدوات التجهيز المنزلي، عطور ومواد التجميل، مواد التنظيف، ألعاب الحلويات، بيع الهواتف ولوازمها. أثاث قديم.	ناشط	
	مركز تجاري (84 محل)	800	2007		ناشط	

المصدر: مديرية التجارة لولاية تيارت، 2021

عرفت مجمعة تيسمسيلت كونها ثاني أكبر مدينة في السرسو توسعا مهما في بنيتها التجارية، فقد انتقل عدد المحلات التجارية من 961 محلا سنة 2014 إلى 5217 محلا سنة 2021، بزيادة 4256 محلا خلال سبع سنوات. تدعمت البنية التجارية لتيسمسيلت بغرض تعزيز وتدعيم اقتصاد المدينة، بإنشاء مركز تجاري بموجب المقرر رقم 2015/13، يتضمن منح الموافقة المسبقة للشركة ذات المسؤولية المحدودة فاميلي

شوب بإنشاء فضاء لتجارة التجزئة الذي يعتبر فرع من الشركة الكائن مقرها بولاية البليدة. يعتبر هذا المركز التجاري أكبر مشروع استثماري تجاري في المدينة، صاحبه إنشاء مشروع ترفيهي بنفس الموقع "فاميلي لاند" وحديقة تسلية للأطفال، تبلغ المساحة الاجمالية للمشروع 7,86 هكتار، ويضم المرافق التالية:

الجدول رقم 86: مرافق المركز التجاري فاميلي شوب

المشتلات	المساحة (م ²)	المشتلات	المساحة (م ²)
سوبر ماركت Supermarché	1504	مخبزة	200
سوق Hypermarché	2500	حلويات تقليدية وعصرية	200
مطعم	800	مساحة تخزين	2500
اطعام سريع	400	حديقة التسلية	4 هكتار
مقهى	400	موقف سيارات	+ 1000 مكان

المصدر: إدارة المركز التجاري (2020)

تتنوع العروض التجارية بالمركز حيث تتعدى 21 نوعا، وهو ما ساهم في رفع التردد عليه يوميا من داخل وخارج المدينة حيث وجدنا حسب التحقيق الميداني أن ما يفوق 82% من المترددين هم من ولاية تيسمسيلت وخاصة من المدينة نفسها بنسبة 11,42%، بينما تتقاسم بقية البلديات النسبة المتبقية وخاصة القرية مثل أولاد بسام، خمستي، العيون وثنية الحد، وأيضا سكان البلديات الجبلية الريفية البعيدة مثل الأربعاء، الأزهرية وبوقايد. يستقطب هذا المركز أيضا سكان الولايات المجاورة وخاصة تيارت، عين الدفلى (برج



الصورة رقم 55: تجارة المساحات الكبرى (فاميلي شوب) بمجموعة تيسمسيلت

الامير خالد، خميس مليانة) والشّلف، كما يمتدّ الجذب إلى غاية البليدة والجزائر العاصمة، رغم أن التّردد ضعيف، إلا أنّ العرض التجاري المتميز كما وصفته إحدى الرّبونات القادمة من البليدة هو السّبب للتّنقل لهذا المركز (الصورة رقم 55).

2.4 ديناميكية تجارية محتشمة للميناء الجاف بتيارت

تعتبر الموانئ الجافة¹ من الهياكل الدّاعمة للحركة الاقتصادية عموما وللبنية التجاريّة خاصة، بدأت الجزائر في انشاءها منذ سنة 2009، وعليه استفادت ولاية تيارت من إحداها. تم إنشاء الميناء الجاف بمركز ولاية تيارت في مجتمعها الرئيسية، يتربع على مساحة 30 هكتار. يجسّد هذا الميناء نقطة وصل بين وسائل النّقل البحري ووسائل النّقل الداخلي لنقل وعبور البضائع، ويسهّل حركة النّقل المتكامل للبضائع عبر مختلف وسائل النّقل والتّخليص الجمركي، فهو الشريان الحيوي لتدفّق الصّادرات والواردات لأجل إنعاش وتنشيط حركة التجارة (بورطل، 2020).

يوجد على مستوى الميناء مفتشية الجمارك، ويحتوي على عدة مستودعات جمركية خاصة، عمومية وأخرى صناعية، مؤجرة لمتعاملين اقتصاديين عموميين (مستوردين) من بينهم شركة SAFV مرسيدس بنز، وشركة Gold Prod استيراد معدات التّدفئة ولوازم الصّيانة الصّحية، وكذلك شركة تركيب عربات الشّاحنات، والمقطورات (SNVI)، كما خصص مستودع لتخزين السيّارات المستوردة بواسطة الرخص الممنوحة للمجاهدين. رغم المساحة العقارية المهمة لميناء تيارت وتجهيزه بمختلف الهياكل إلا أنّ ديناميكيته التجاريّة محتشمة للغاية، فقد تم توظيفه بواسطة متعاملين اقتصاديين من خارج تيارت، خاصة من الشرق والوسط، قاموا بتصدير الخضر نحو مالي وموريتانيا، وهو نقطة عبور أيضا، فقد تمت من خلاله سبع عمليات في سنة 2017، لكن عددها بدأ بالانخفاض تدريجيا فلم تسجل سنة 2019 إلا ثلاثة ثم عاودت الانخفاض سنة 2020 إلى عمليتين فقط.

الأسواق الأسبوعية، دعامة مستمرة للعلاقات التجاريّة

تعدّ السّوق مؤسسة اجتماعية متعددة المهام، لا تقتصر على التّبادلات الاقتصادية المادية فحسب بل تتوسع إلى أكثر من ذلك من تبادلات رمزية: ثقافية، دينية، أدبية، سياسية وغيرها، كما تعدّ مؤسسة اجتماعية تعقد فيها مراسيم متعددة (آيت مولود، 2011) فقد كان في السّابق مجالا لحل بعض المشاكل الاجتماعية بين الأشخاص خاصة المتعلقة بالإرث والنّزاع حولها، كما أنّها فرصة للالتقاء العائلي خاصة في الأوساط الريفية، كما تلعب دورا هامًا في تفعيل ديناميكية القرى والمدن وتنظيم المجال الجغرافي، فالسّوق من

¹ الميناء الجاف (أو المتقدم) هو محطة برية في اتصال تجاري ولوجستي مباشر مع ميناء بحري. بمعنى آخر، إنه مكان معين، يقع في الدّاخل لتوحيد وتوزيع البضائع ومتصل بميناء بحري عن طريق البر أو السّكك الحديدية أو النّهر. تقدم هذه المنصة اللوجيستية خدمات الميناء: مناولة الشّحنات البحرية وتخزينها ونقلها إلى وجهات داخلية

العناصر المهيكلية للوسط ولها بعد تنموي محلي، وهو ما يفسر استمرارها رغم وجود مثيلاتها العصرية، فهي تقرب المسافة وتوفر ما يحتاجه السكان، وتوفر في نفس الوقت ديناميكية وحركية على مستوى النقل الطرقي (الشاوش، 2021)، وتختلف أهميتها باختلاف عدد التجار والسلع المعروضة فيها والطلب عليها وكذا مساحتها وإشعاعها داخل الاقليم.

يوجد بمنطقة السرسو ثمانية أسواق أسبوعية، تتركز خمسة¹ منها بسرسو تيارت (من أصل 18 سوق بالولاية) إضافة إلى ثلاثة بسرسو تيسمسيلت، إلا أنها توجد بمراكزه الحضرية بنسبة أكبر، بينما لا يوجد إلا سوقا وحيدة بالوسط الريفي وهي سوق سي الحواس المعروفة بسوق الثلاثاء. تضم الأسواق الأسبوعية نشاط بيع المواشي باستثناء سوقي تيارت ومهدية، غير أنهما تستعملان كسوق أسبوعية للسيارات (الصورة رقم 56).



الصورة رقم 56: سوق السيارات بمجمعة مهدية

¹ سيتم افتتاح سوق الناظورة ابتداء من شهر ماي 2023، فيصبح السرسو بذلك يضم تسعة أسواق محلية.

الجدول رقم 87: توزيع التجارة حسب التخصص وحسب السوق على المستوى المحلي والاقليمي

السوق	عدد الاكشاك المتنقلة	المساحة م ²	عدد التجار	عدد التّجارات الموجودة								
				الخضر والفاواكه	الملابس والاحذية	اللحوم	الاثاث	الاواني المنزلية	الافرشة والقماش	مواد غذائية	المجموع	المواشي
حمادية	180	13000	1400	60	60	10	10	20	12	12	184	180
مهدية	145	25000	165	45	40	15	6	8	4	5	123	-
تيارت	175	40678	غير ثابت	60	40	15	18	20	10	20	183	-
سي الحواس	80	26031	900	30	15	7	3	5	3	3	66	800
السوقر	210	89700	2200	60	65	10	15	23	20	12	205	2000
قصر الشلالة	150	22600 40000	1100	40	50	10	20	15	15	10	160	1000
المجموع	940		5765	295	270	67	72	91	64	62	921	3980

المصدر: تحقيق ميداني، 2021

تخلق الأسواق الأسبوعية رواجاً تجارياً مهماً على مستوى تواجدها وعلى منطقة السّرسو كلها بشكل عام، لما لها من علاقة بالإنتاج والاستهلاك. ينعكس ذلك إيجاباً على الاقتصاد المحلي وعلى دعم مداخل البلديات، إلى جانب ما يصاحبها من تقوية للطرق المؤدية لها، وتوفير الهياكل بالقرب منها، كما تلعب الأسواق المجاورة للسّرسو دوراً داعماً في ديناميكية المنطقة وتنشيط الحركة الاقتصادية بها، وخاصة سوق السوقر جنوباً والتي تعتبر أكبر سوق إقليمي له بعد وطني كونه منظم لأسعار الماشية من جهة وكون مجمعة السوقر مركز قيادة لمنطقة واسعة من السّهوب من جهة أخرى، إضافة إلى سوقي قصر الشلالة وحاسي فدل شرقاً، هذان السوقين لهما بعد جهوي وأيضاً وطني، فسوق فدل متخصص في تجارة الجملة والتجزئة للألبسة والأفرشة وأيضاً سوق للسيارات، كما لسوق الشلالة أيضاً إضافة إلى تجارة تتعلق بالنشاط الفلاحي. إضافة إلى موقع السّرسو الاستراتيجي فهو منطقة عبور لا مفر منها لكل من يرتاد هاتين السوقين قادمين من الجهة الغربية للسّرسو.

تحتل سوق حاسي فدل التابعة إدارياً لولاية الجلفة الصّدارة من حيث المساحة (13,9 هكتار) تليها سوق السوقر (تفوق 8 هكتار) وقدرة الاستيعاب (210 كشك متنقل، و2200 تاجر، وأيضاً بالنسبة لرؤوس الماشية (2000 رأس). ثم سوق قصر الشلالة وسوق تيارت من حيث المساحة (4 هكتار لكل منهما)، حيث تلعب سوق تيارت دوراً مزدوجاً فهي فضاء لبيع السيارات أيضاً، أما سوق حمادية فرغم أنها صغيرة (130000 م² محاطة بسور، إلا أنّ استخدام الفضاء المجاور يتعدى 13 هكتار (الصورة رقم 57)، مما يدل أنّها سوق جاذبة، فقد بلغ عدد التجار حسب التحقيق الميداني 1400 تاجر و180 كشك متنقل. موقع حمادية في وسط السّرسو جعلها تتوسط كل من تيارت وتيسمسيلت، وحاسي فدل وقربها من بوقارة، ومهدية والرّشايقة،

إضافة إلى وجود اتصالية تضمنها الطريق الوطني رقم 40، والطريقين الولائيين 14 و16 جعلها سوقا نشطة وجاذبة، ومستمرة رغم التطور التجاري داخل الأسنجة العمرانية. أصغر الأسواق مساحة، هما سوق سي الحواس ومهدية، لكن سوق مهدية أكثر استقطابا للتجار، كما أنها تستعمل كفضاء لبيع السيارات أيضا، بينما تضم سوق سي الحواس بالوسط الريفي نشاط بيع المواشي، هذه السوق رغم بساطتها لكنها جاذبة لسكان المناطق الريفية وأيضاً الحضرية القريبة منها مثل مهدية، السبعين، عين مريم وعين بوشقيف، نظرا للعلاقات الاجتماعية بين هذه المناطق من جهة وأيضاً لما تعرضه من سلع متنوعة وتقرّب منتجات المدينة من سكان المناطق المبعثرة، فقد وجدنا حسب التحقيق الميداني أنّ ما يفوق 27% من سكان السرسو المحقق معهم يترددون على سوق سي الحواس.



الصورة رقم 57: موقع السوق الأسبوعية شمال شرق مجمعة حمادية

يسيطر نشاط تجارة الخضر والفواكه على مختلف الأسواق التي مسها التحقيق الميداني (295 تاجرا متنقلا) خاصة بالأسواق الكبرى (حمادية، السوقر وتيارت)، في سياق يجمع بين النمو الديمغرافي في المراكز الحضرية والريفية على حد سواء وتحسين دخل الاسر وزيادة الطلب على الاستهلاك، وقد أدى ذلك في خلق العديد من الوظائف غير المباشرة في تسويق ونقل المنتجات الزراعية من وإلى السرسو، حيث تلعب الأسواق الأسبوعية فضاء تجاري للفلاحين الصغار لبيع منتجاتهم بشكل مباشر. يلي تجارة الخضر والفواكه نشاط تجارة الملابس والأحذية (270 تاجرا)، بينما تنخفض تجارة المواد الغذائية واللحوم في الأسواق الأسبوعية مقارنة ببقية الأنشطة التجارية. أما تجارة المواشي، فتستقطب سوق

السوق أكبر عدد من رؤوس الماشية (2000 رأس) نظرا لموقعا من جهة ولأنها منظمة للأسعار من جهة أخرى، تليها سوق قصر الشلالة (1000 رأس) بينما لا تستقطب سوق حمادية (الصورة رقم 58) إلا 180 رأس، حيث تتفوق عليها سوق سي الحواس (800 رأس) فنسبة التجارة فيها منخفضة مقارنة ببقية الأسواق المحقق فيها، فهي سوق في منطقة ريفية توفر مختلف المواد الغذائية وخاصة الخضار والفواكه للمناطق الريفية المحيطة بها.



الصورة رقم 58: سوق الماشية (السوق الأسبوعي حمادية)

تشهد الأسواق الأسبوعية استمرارية، رغم التطور التجاري داخل الأنسجة العمرانية، يلعب الجانب الاجتماعي دافعا قويا للمتريدين عليها فهي ليست مكان للبيع والشراء فقط، بل توفر فضاءات يتجمع فيها الناس للترفيه أيضا. تحظى هذه الأسواق بالتهيئة والتوسيع وإعادة الاعتبار لها من طرف البلديات التابعة

لها، لأنها توظف عددا كبيرا من الأشخاص، كما أنها أداة لتموين خزينتها، وتوفر أسعارا تنافسية بالنسبة للسلع المعروضة إذا ما قورنت بتلك الموجودة في المحلات التجارية القارة. تتأقلم الأسواق الأسبوعية وتتطور مجارة لكل ما هو موجود في المناطق الحضرية فتنوع سلعها بين التقليدي (ملابس ومأكولات) والحديث (أجهزة الكترونية وأثاث) وبين الجديد والمستعمل (الصورة رقم 59) الذي له زبائنه أيضا، مما أعطاها القدرة على الاستقطاب والديمومة، والمساعدة في تثبيت السكان ولو بشكل جزئي في الأرياف والقرى بتقريب منتجات المدينة منهم.



الصورة رقم 59: تجارة الأشياء المستعملة، سوق مهدية 2022

مساهمة الزراعة في تطوير قطاع التجارة في السرسو

1.6 مقومات وتحديات التسويق الفلاحي في السرسو

الموقع الممتاز لسهل السرسو بمنطقة عبور بين الشمال والجنوب، جعله نقطة التقاء بين الاوساط السهبية جنوبا والتلية شمالا، ومحورا تتجمع فيه العديد من الطرق ذات البعد الوطني (14-23-40-90) أهمها الطريق الوطني رقم 14 الذي يهيكل جزئه الجنوبي الغربي والشمالي، يربط تيارات بالجزائر العاصمة

¹ سوق خميستي (تيسمسيلت) شمال السرسو، توقفت عن العمل مدة من الزمن ثم أعيد نشاطها مؤخرا

والطريق الوطني رقم 40 الذي يهيكل وسطه ويتجه نحو الشرق مروراً بولاية الجلفة والمدينة، الطريق الوطني رقم 23 نحو الاغواط والجنوب الجزائري ومجموعة من الطرق الولائية (1-3-6-7-11-14-16-17-19-77). هذه المنافذ سمحت للسرسو أن يكون حلقة وصل وفي اتصال دائم مع عالمه الخارجي، إضافة إلى خطوط السكة الحديدية في طور الانجاز، تربط السرسو بسعيدة وأخرى بتيسمسيلت نحو الجزائر العاصمة. تبلغ مساحة الطرقات داخل السرسو حوالي 466,7 كلم، إلا أن كثافتها ضعيفة تقدر بحوالي 0.15 كلم/كلم²، خاصة جنوب السرسو ولاسيما بلدية الناظورة ذات الموقع المنعزل. إضافة إلى النقل الجوي حيث يؤمن مطار عين بوشقيف رحلات داخلية نحو (الجزائر العاصمة، وهران، باتنة، تيممون). شبكة المواصلات المتنوعة فتحت أفاقاً جديدة في مجال الفلاحة لنقل المنتوج داخل وخارج الوطن من خلال هذه الهياكل التي ساعدت على رسم خطة لتطوير مختلف الشعب الفلاحية.

يضم السرسو هياكل تخزين معتبرة بالنسبة لشعبة الحبوب والبقول الجافة تابعة للديوان الوطني للحبوب. حسب الجدول رقم 88، يوجد تعاونيتين بالسرسو (تيارت ومهدية) حيث تسير هذه الأخيرة 28 نقطة تجميع وتخزين منها 13 عبارة عن صومعة غلال (Silos) وست مخازن سطحية تغطي 17 بلدية منها البلديات القريبة من السرسو.

الجدول رقم 88: هياكل وقدرة تخزين الحبوب والبقول الجافة بسرسو تيارت 2020

تعاونيات الحبوب والبقول الجافة	عدد البلديات	عدد نقاط الجمع والتخزين	قدرة التخزين (الطن)	
			قدرة التخزين الفعلية	قدرة التخزين المتحركة عند الحاجة
تيارت	9	16	1005 000	200 000
مهدية	8	12	742 000	250 000
المجموع	17	28	1747 000	450 000

المصدر: الديوان الوطني للحبوب والبقول الجافة (فرع ولاية تيارت) 2020

تلجأ تعاونيات الحبوب والبقول الجافة (CCLS) إلى توفير مخازن إضافية عند وفرة المحصول في نهاية كل موسم عن طريق الكراء من الخواص، وخاصة خلال المواسم الفلاحية (2016-2017-2018) التي تميزت بوفرة الانتاج، لذلك تم برمجة مشروع مخزن جديد وهو في طور الانجاز بطاقة استيعاب تقدر بحوالي 200.000 طن.

يعاني السرسو من نقص هياكل التخزين والتبريد بالنسبة للخضر والفواكه، كما هو الحال تماماً بولاية تيارت كاملة لا يوجد بها إلا 29 غرفة (عمومية وخاصة) ذات طاقة استيعاب محدودة (39 565 م³) إضافة إلى 17 غرفة في طور الانجاز (ثلثي هذه الغرف موجود بسهل السرسو) وقاعدة لوجيستكية "المتوسطة" للتبريد، ذات قدرة استيعابية مقدرة بـ 15000 م³، انتهت أشغالها لكن لم تدخل حيز الخدمة بعد.

افتقار المنطقة لهذه الهياكل، أدى إلى فساد المحاصيل في السنوات السابقة، لأنّ الفلاحين لجأوا إلى تخزينها بطرق بدائية مما أدى إلى تلفها وخاصة البصل، وعليه تم دعوة المهنيين (خاصة في شعبة البصل والثوم) إلى تطوير طرق تجميع المنتج في نقاط مشتركة لتسهيل عملية التسويق والتصدير، برفع سعة التخزين من خلال زيادة غرف التبريد بغية ضمان تغطية الأسواق بالمواد الضرورية لضمان استقرار الأسعار ولو بشكل جزئي لتكون في صالح الفلاح والمستهلك معا (الصورة رقم 60).

الجدول رقم 89: هياكل التبريد برسو تيارت

هياكل التبريد	العدد	الموقع	طاقة التخزين (م ³)
عمومية	01	تيارت	2 900
خاصة	01	تيارت	840
	05	الناظورة	7 500
	06	الرشايقية	6 000
	02	حمادية	2 000
	01	بوقارة	1 000
	03	قصر الشلالة	4 125
	02	فرندة	2 300
	04	تخمارت	7 900
	01	سيدي عبد الرحمن	1 000
	02	السوقر	1 500
	01	توسينية	1 000
	29	عبر تراب ولاية تيارت	39 565
	01	تيارت	15000
	14	المنطقة الصناعية تيارت	في انتظار رخص البناء
	2	سي الحواس	48
	2	مهدية	98
	المجموع الكلي	48	

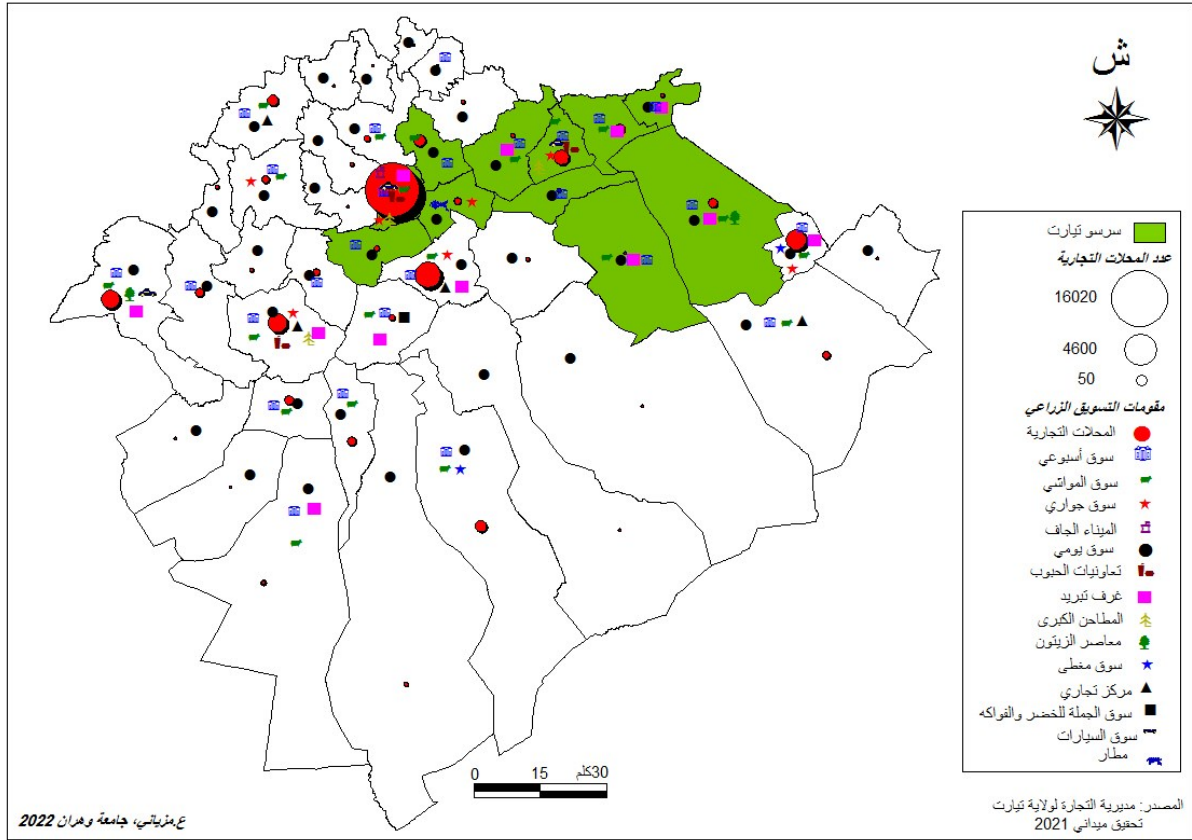
المصدر: مديرية المصالح الفلاحية لولاية تيارت 2020
1 مديرية الصناعة والمناجم لولاية تيارت (ملفات الطلب على الاستثمار) 2020



الصورة رقم 60: غرف تبريد (بلدية الرشايقية) المصدر: مديرية الفلاحة لولاية تيارت 2022

تشجع الدولة الفلاحين لإنجاز غرف تبريد¹ بأراضيهم الزراعية، لكن تجسيد العملية على أرض الواقع يأخذ أبعاداً أخرى وهذه من بين المخاطر الفلاحية التي يعيشها الفلاحون نظراً لطول وثقل الإجراءات الإدارية من الطلب على المشروع إلى غاية تجسيده، كون غرف التبريد مؤسسة مصنفة من الصنف الثالث تخضع لنظام الترخيص. تمت الموافقة على إنجاز 14 غرفة تبريد في المنطقة الصناعية ببلدية تيارت بمنح الوعاء العقاري للمستثمرين منذ سنوات، لكن لم تنطلق الأشغال بها لحد الساعة ببعضها، كما أنّ موقعها بعيد عن مناطق الانتاج الفلاحي وخاصة عن البلديات الجنوبية للسرسو.

¹ استفاد السرسو من 17 غرفة تبريد في طار الاستثمار الفلاحي وهي في طور الإنجاز.



الخريطة رقم 50: مقومات التسويق الزراعي بسهل السرسو مقارنة بولاية تيارت

تعد الأسواق باختلاف أنواعها إحدى أهم مقومات التسويق الناجح ولاسيما أسواق الجملة للخضار والفواكه، كونها منظمة لعملية البيع والشراء ومحددة للسعر وهي حلقة الوصل بين الفلاح والمستهلك عن طريق تجارة التجزئة التي تعرف على أنها كافة المؤسسات التجارية العاملة في قطاع بيع السلع والخدمات للمستهلك النهائي لغايات الاستخدام الشخصي والأسري والمنزلي وتعرفها جمعية التسويق الأمريكية¹ (AMA, 2006) على أنها مجموعة الأنشطة التي ينفذها المشروع لإتمام تبادل السلع والخدمات لأغراض الاستخدام الشخصي والأسري والمنزلي سواء تمت تلك الأنشطة في متجر أو خارجه (الحياري وآخرون، 2019).

يوجد بالسرسو سوق جملة واحدة بمدينة تيارت إلا أنها سوق صغيرة الحجم (2.7 هكتار، بها 88 محلا، أغلبها مغلقة) مقارنة بحجم ومؤهلات الولاية الفلاحية مما جعلها أشبه بسوق تجزئة يومي، لذلك دعمت بسوق أخرى ببلدية الرشايفة (2.3 هكتار)، انتهت أشغال تهيئتها لكنها لم تدخل حيز الخدمة بعد (الصورة رقم 61). لا تخضع سوق الجملة بمدينة تيارت لأي تنظيم ولا رقابة نظرا لغياب الإطار القانوني وهيأة تسهر على تنظيمها.

¹ Association American Marketing

تدعم الأسواق الأسبوعية والأسواق اليومية المغطاة والجوارية عمليات التبادل التجاري والتسويق الفلاحي على وجه الخصوص.



الصورة رقم 61: سوق الجملة للخضر والفواكه ببلدية الرشايقة

المصدر تحقيق ميداني، 2021

2.6 الفاعلون والمتعاملون في التجارة الزراعية.

تعتبر أنظمة التسويق ضرورية للإنتاج الزراعي لأداء وظيفته في تعزيز الامن الغذائي وتحسين دخل المنتجين، ففعالية هذه الأنظمة تجعل عمليات ما بعد الحصاد جيدة التصميم بالنسبة لشعبة الحبوب نظرا لوجود المتعامل الاقتصادي، الفاعل الرسمي لهذه الشعبة المتمثل في الديوان الجزائري للحبوب (OAIC)، المنشأ بموجب المرسوم الصادر في 12 يوليو 1962. يعتبر الديوان المتعامل الوطني الموكله إليه مهمة الخدمة العمومية المتعلقة بالتأمين، تنظيم السوق واستقرار أسعار الحبوب ودعم الانتاج وذلك من خلال هياكل وتجهيزات داعمة، كتعاونيات الحبوب والبقول الجافة (CCLS)، وهو ما سهل وجعل عملية التسويق والتوريد واضحة المعالم، لأن الديوان يسعى في كل الاحوال لتحقيق الأمن الغذائي الوطني بالنسبة للحبوب بمختلف أنواعها. يوجد على مستوى ولاية تيارت ثلاث تعاونيات للحبوب والبقول الجافة منها تعاونيتين بالسرسو إضافة إلى مؤسسة خاصة تقوم بنفس الدور. تسير التعاونيات كل بلديات الولاية، فترافق الفلاح طيلة الموسم الفلاحي بداية من عملية الحرث الى غاية الحصاد من خلال تغطية احتياجاته من البذور

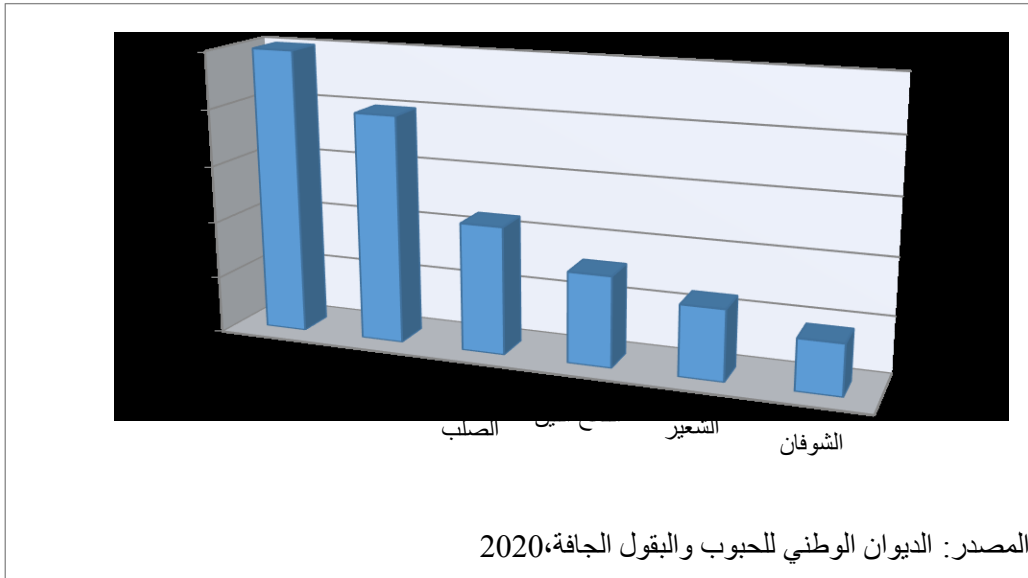
والاسمدة والمبيدات وضمان اقتناء المنتج في نهاية كل موسم (باستثناء ما حصل مع منتج العدس خلال الموسم 2020).

الجدول رقم 90: تجميع الحبوب بتعاونية الحبوب والبقول الجافة بمهدية 2020

التقاط	القمح الصلب(ق)	القمح اللين(ق)	الشعير(ق)	الشوفان(ق)	المجموع
عين دزاريت	23517.40	/	44.60	/	23562.00
سي الحواس	87165.80	7612.40	/	/	94778.20
مهدية	7114.80	2382.60	4542.20	/	14039.60
المجموع	117798.00	9995.00	4586.80	/	132379.80

المصدر: الفرع الاقليمي للفلاحة دائرة مهدية 2020

يقدم الديوان أفضل الأسعار كنوع من التحفيز من جهة واحتكار السوق الحبوب من جهة أخرى، لأن الأسعار ثابتة وطنيا ومحددة من طرف الدولة، وقد تم تحديثها سنة 2009 فارتفعت بنسبة 40 % عما كانت عليه سابقا (تعاونية الحبوب والبقول الجافة بتيارت، 2020). يسجل القمح الصلب أعلى سعر (4500 دج/القنطار) يليه القمح اللين (3200 دج/القنطار) ثم الشعير (2500 دج/القنطار)، بالمقابل توفره للموالين بسعر 1550 دج للقنطار فقط) وأخيرا الشوفان (1800 دج فقط)، وأعيد رفعها مؤخرا لتشجيع الإنتاج الفلاحي، بينما تسجل أسعار البقول الجافة ضعف أسعار الحبوب، بل وتتجاوز النصف لبعض الانواع ولا سيما الحمص (10.000 دج) ثم العدس (8000 دج) ونجد أن الأسعار لدى ديوان الحبوب أعلى بكثير من السوق الحرة في مواسم الحصاد. الفلاح ملزم ببيع المحصول لتعاونيات الحبوب (باستثناء المحاصيل التي تخزن للاستهلاك الذاتي) من أجل تسديد تكلفة البذور من جهة وتصريف المحصول من جهة أخرى، نظرا لعدم وجود مخازن بجودة عالية، فيما عدا بعض المساحات التي تستغل من طرف أغلب الفلاحين الموالين، لتخزين الشعير والشوفان لاستعماله الذاتي أو بيعه في السوق الموازية كعلف للمواشي في أوقات الندرة بأسعار مرتفعة. ارتفاع أسعار العلف عموما يؤدي إلى ارتفاع أسعار اللحوم الحمراء في أغلب الاحيان. يسيطر ديوان الحبوب بواسطة تعاونياته على حوالي 80 % من السوق الوطنية للحبوب، باعتبارها سوق نظامية تخضع لنظام السعر الموحد والثابت حيث يقوم الديوان بشراء الحبوب، تخزينها وتسويقها وبالتالي السيطرة على انتاج الخبز من خلال انتاج السميد والدقيق الابيض لتموين المخابز والصناعة الغذائية الخفيفة بصفة عامة وأيضا للسيطرة على قطاع اللحوم الحمراء (Zoubeidi, 2015)، باستثناء نسبة ضئيلة من المنتج تباع في الأسواق الأسبوعية ومنها ما يوجه لسوق التجزئة والاستهلاك الذاتي.



الشكل رقم 26: أسعار المنتجات الفلاحية لدى الديوان الجزائري للحبوب (دج/القطار)

لا تخضع تجارة المنتجات الفلاحية المتمثلة في الخضر والفواكه لأي سلطة رسمية، بل تخضع لقانون السوق (العرض والطلب) على عكس الحبوب بمختلف أنواعها، المسيرة من طرف ديوان الحبوب (OAIC) والحليب من طرف الديوان الوطني المهني للألبان (ONIL) رغم أن العملية من اختصاص وزارة التجارة من خلال مراقبة الأسواق وخاصة أسواق الجملة التي تعتبر أهم معيق للتسويق الجيد بالسرسو لأنها صغيرة الحجم تفتقر للنهنية والتسيير الجيد، في غياب الرقابة الصارمة، تعيش سوق الجملة بتيارات نوع من الفوضى والارتجالية، يشتكي التجار بهذه السوق من غياب التنظيم والتسيير، إضافة إلى وجود سلسلة من الوسطاء والمتعاملين غير الرسميين الذين يتحكمون في السعر عن بعد، مما يؤثر على استقرار السوق والأسعار معاً. السلع التي تباع في سوق الجملة بمدينة تيارت معظمها من خارج الولاية، في حين يسوق منتج المنطقة خارجا باتجاه الشرق والوسط (التفاح والزيتون) ونحو الجنوب (البطاطس، البصل والثوم، والشمام). غياب الفاعلين الرسميين الذين يشرفون على عملية ما بعد جني المحصول بالنسبة للخضر والفواكه هو الحلقة المفقودة في العملية التسويقية، فالفلاح باعتباره أهم فاعل في التنمية وهو المبادر والمكلف بتطبيق استراتيجية الدولة بالنسبة للزراعات ذات الاستهلاك الواسع (القمح بنوعيه العدس، الحمص والبطاطس) وبعض الزراعات التجارية مثل السلم الزيتي هذا الموسم، له الحق الكامل أن تكون له اتفاقية مع الجهات الوصية باعتباره شريك اقتصادي، تلتزم من خلالها الدولة بمرافته بواسطة هيئاتها العمومية أو الخاصة من مرحلة البذر بتوفير عوامل الإنتاج (البذور، الأرض والماء والدعم بمختلف أصنافه) وتسيير الأخطار المحتملة خلال الموسم الفلاحي إلى غاية مرحلة جني المحاصيل، مع ضمان استلام المنتج وأيضا ضمان تخزينه في أحسن الظروف من خلال توفير هياكل التبريد التي يشرف عليها فاعلون عموميين وخواص،

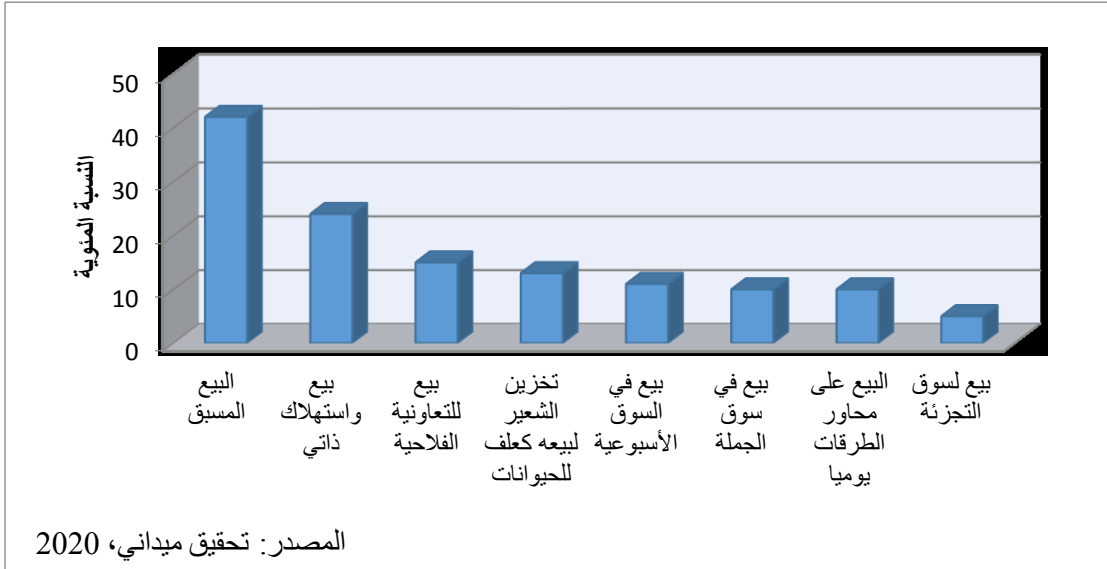
الى غاية وصول المنتج للمستهلك على مختلف المستويات (محلي ووطني)، لأن وفرة الانتاج لوحده غير كافية لتلبية الاكتفاء الذاتي إن لم يدعم بوسائل تضمن ذلك، فالسياسة التسويقية الحكيمة تبدأ من ضمان التخزين الى غاية تنظيم السوق والتوزيع.

3.6 استراتيجيات جديدة وأساليب تجارية متنوعة

يعتمد توزيع المنتجات الزراعية على ثلاث منافذ، من المزارع الى المستهلك مباشرة وتكون بالنسبة للمنتجات الغذائية، من المزارع الى تجار التجزئة ثم الى المستهلك، ومن المزارع الى تجار الجملة ثم تجار التجزئة ثم الى المستهلك، وفي الحالة الاخيرة تكون الأسعار النهائية مرتفعة بسبب هوامش الربح التي يأخذها الوسطاء وهم تجار الجملة والتجزئة (رضوان، 2011).

أبرزت نتائج التحقيق الميداني أن أهم أساليب التسويق المعتمدة من طرف فلاحي السرسو خارج شعبة الحبوب، تتم كالتالي:

يمثل أسلوب البيع المباشر أعلى نسبة 56 % من مجموع المحقق معهم، ويتبع هذا الاسلوب أصحاب الأراضي الفلاحية ذات المساحات الصغيرة (5-1 هكتار) ويسمى هذا نمط التسويق المباشر، لأن الفلاح يقوم بنفسه ببيع المحصول بطرق مختلفة، حيث يكون تحديد السعر من طرفه مباشرة. 18% من الفلاحين صرحوا أن المنتج يكون موجه للاستهلاك الذاتي وتخصيص جزء لبيعه وخاصة بالنسبة للبقول الجافة، كما أن نسبة 8 % منهم، يقومون بتسويق المنتج ببيعه يوميا على حواف الطرقات ولاسيما الوطنية التي تشهد حركة مرور كبيرة من طرفهم مباشرة أو عن طريق تشغيل عمالة من العائلة أو من فئة البطالين الذين يضمنون عملا مؤقتا عن طريق التجارة المتنقلة في أحياء المجمعات العمرانية، كما أنهم يقومون بعرض منتجاتهم بالأسواق الأسبوعية المحلية وأيضا القريبة (أسواق السوق، قصر الشلالة، الجلفة وقصر البخاري) التي تعتبر إحدى القنوات التقليدية لتصريف الانتاج الزراعي وخاصة الخضر، حيث ما يزال سكان السرسو يحافظون عليها، إضافة إلى الأسواق اليومية، الأسواق الجوارية وأيضا الأسواق غير الرسمية. يلعب الفلاح من خلال أدوات البيع المباشر السالفة الذكر دور التاجر في هذه الحالات نظرا لقلة حجم المحصول مما يجعله يتفادى التنقل لمسافات طويلة من أجل تخفيض التكلفة ورفع هامش الربح.



الشكل رقم 27: أساليب التّسويق الزراعي بالسّرسو

يحتل البيع المسبق المرتبة الثانية بـ 32 % من المحقق معهم، أي بيع المحصول قبل جنيهه (لمن يعرض أعلى السعر) ويتعلق الأمر بالفواكه وخاصة التفاح ببلدية الرّشايقة، الشّمَام والبطيخ ببلدية عين بوشقيف، والخضر وخاصة البصل والبطاطس ببلدية السّبعين والرّشايقة.



الصورة رقم 62: البيع المباشر بالسّوق الأسبوعية مهدية

غالبا ما يجعل هذا الاسلوب المحصول ملكا للمتعامل أو الوسيط الذي قد يقوم بجنيه قبل أوانه في بعض الحالات (حسب متطلبات السّوق). ينتج عن عملية البيع المسبق للمحصول الفلاحي فتح أفاق التّسويق عن طريق المتعاملين الاقتصاديين (تجار الجملة والوسطاء) خاصة خارج السّرسو. يوجه التّفاح إلى وسط الوطن ولا سيما ولايتي البليدة وعين الدّفلى، كما أن التّسويق باتجاه الغرب (سوق الجملة بتغنيف بولاية

معسكر) والجنوب، أصبح ممارسة مفضلة لدى الكثيرين وخاصة بالنسبة للبطاطس في مختلف المواسم والشمام والبطيخ في فصل الصيف نحو أدرار وتمنراست (تصريحات تجار الجملة بسوق تيارت) لمسافة تفوق 1700 كلم. كما تسوق المنتجات التي تباع وفق هذا الأسلوب خارج الوطن باتجاه تونس، موريتانيا وإيطاليا بواسطة متعاملين تجاريين من شرق الوطن (خاصة من برج بو عريريج وشلغوم العيد).

يلجأ الفلاح لهذه الأساليب المختلفة لتسويق الانتاج (خارج شعبة الحبوب) نظرا لعدم توفر هياكل التخزين وغرف التبريد على مستوى المستثمرة الفلاحية وان وجدت فهي محدودة عددا ومساحة، هذا ما يجعل الفلاح يفكر في عملية البيع أكثر من الانتاج لأنها تتطلب منه الالمام بعدة معطيات تتعلق بنوع التخزين الذي يحتاجه لضمان جودة منتجه ومدة تخزينه واختيار الوقت المناسب لبيعه. نقص أسواق الجملة وبعدها عن أهم المستثمرات الفلاحية وأكثرها انتاجا بالولاية مثل بلدية الرشايق (تبعد عن تيارت بحوالي 100 كلم في حين هي قريبة جدا من أسواق الجلفة، تفصلها مسافة 22 كلم فقط عن حاسي فبول) تدفع الفلاح لبيع المنتج للوسطاء الذين يقومون بتسويقه بطرق مختلفة (البحث عن أسواق مربحة) لا تحتكم إلى أي رقابة وهو ما يؤثر على عدم استقرار الأسعار في أغلب الأحيان.

4.6 الديناميكية التجارية والتوزيع المجالي لتجارة المنتجات الزراعية في السرسو

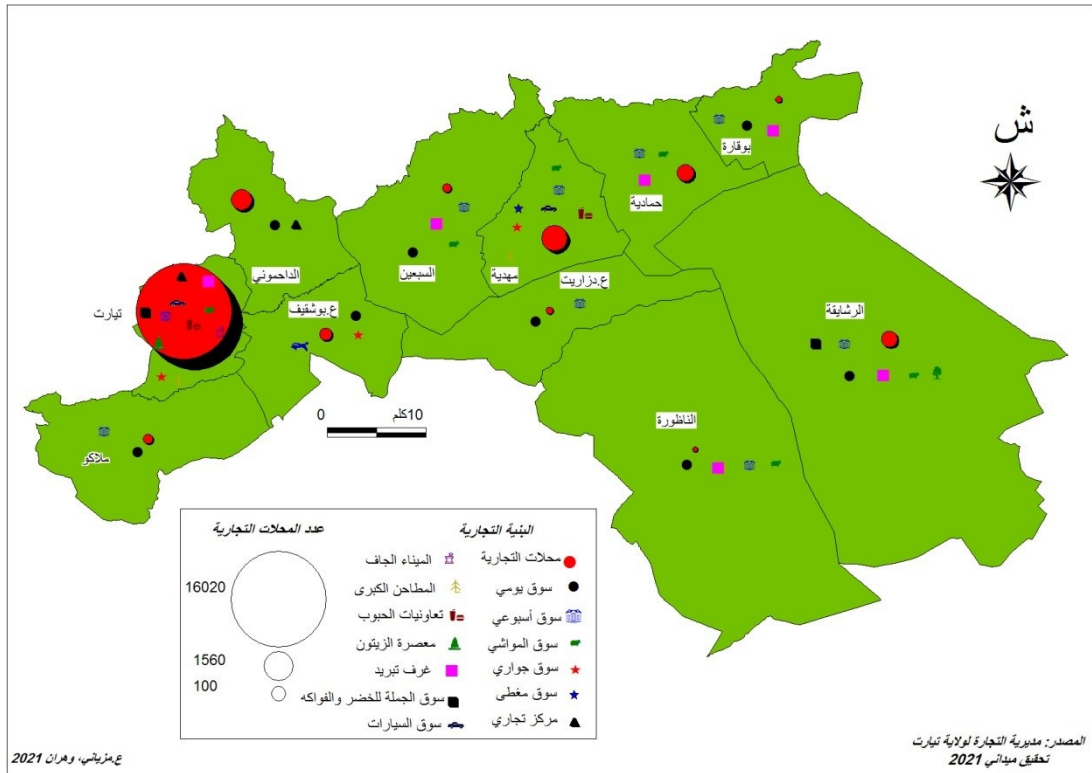
ساعدت أساليب التسويق الزراعي المختلفة على فتح أسواق إضافية للمنتجات الزراعية (الخضر والفواكه، المنتجات التقليدية كالحبز والحلويات واللبن) فهي تشكل رأس مال للإنتاج ومصدر للدخل، وبالتالي أدت إلى ديناميكية تجارية خاصة في الأوساط الحضرية باعتبارها الفضاء الأكثر استهلاكاً للمنتجات الزراعية والمجال الذي تتم فيه أهم المبادلات التجارية (مثل مدينة تيارت، مهدية والسوقر) بواسطة الأسواق اليومية، الأسبوعية والجوارية، وأيضا الأسواق المفتوحة غير الرسمية والمحلات التجارية الرسمية. تضاعف عدد التجار والمحلات التجارية في السرسو خلال السنتين الأخيرتين (ارتفع من 22512 تاجر تجزئة وجملة في نهاية 2018 إلى 41651 تاجرا في فبراير 2020، حسب مديرية التجارة لولاية تيارت) ما يعادل 57% من مجموع النشاط التجاري في ولاية تيارت، كما يوجد نوع آخر وهو التجارة الموازية المعتمدة على التنقل (تجارة متنقلة) حيث يعتمد ممارسوها على سيارات نقل البضائع كفضاء للبيع (شاحنة أو سيارة بمقطورة) أو الشبّه مستقرة (أكشاك مؤقتة) في الأوساط الحضرية والريفية على حد سواء وخاصة بالأحياء المحيطة والجديدة أين يوجد رواج لهذا النوع من التجارة لعدم وجود أسواق جوارية بها وكنوع من المنافسة التجارية لبعض المحلات الموجودة فيما يخص الانواع والأسعار، وهو عامل اجتماعي واقتصادي مهم ومؤشر لتوسع النسيج التجاري بالمنطقة وخاصة بمدينة تيارت.

تطور الانتاج الفلاحي وتنوعه بالمنطقة سمح بظهور ديناميكية تجارية جديدة تمثلت في تنامي ورواج تجارة الخضر والفواكه بشكل خاص على حواف الطرقات التي تشهد حركة مرور كثيفة ولاسيما الوطنية

منها، عن طريق عرض المنتجات لمستعملي الطرقات، حيث يشهد هذا النوع من التجارة اقبال كبير من المستهلك نظرا لاعتدال الأسعار مقارنة بالأسواق الحضرية الرسمية. خلق هذا النمط سوق غير نظامية احتوت أسلوب التسويق الحر المعتمد من طرف الكثير من الفلاحين الصغار وحتى بالنسبة للشباب الذي يبحث عن فرصة عمل وهو ما سمح أيضا بانخفاض معدل البطالة إلى (9.80%) حسب مديرية البرمجة وتسيير الميزانية لولاية تيارت وارتفاع نسبة المشتغلين بالقطاع الثالث (65%) سنة 2019. كما أعطى للمرأة فرصة العمل من البيت وممارسة صناعة وتجارة الأطعمة التقليدية كالكسكس، مختلف أنواع الخبز والحلويات (11% من ربات البيوت المحقق معهن يمارسن هذه الأنشطة من البيت) التي تجد لها سوقا جاذبة بالمجمعات العمرانية الكبيرة (الخريطة رقم 50،51) وأيضا بحواف الطرقات.

تتوزع الهياكل التجارية بكل أنواعها سواء كانت رسمية أو موازية توزيعا غير منتظما، إذ تتركز بالمجمعات العمرانية الكبيرة ولاسيما مجمعة تيارت التي تعتبر أكبر سوق استهلاكي نظرا لحجمها السكاني من جهة وكونها عاصمة الولاية، تستقبل ترددات يومية مهمة من البلديات التابعة لها إداريا وأيضا من بلديات الولايات القريبة منها. هذا التطور في أساليب التجارة المختلفة وانتشارها المكاني، له دور في بناء الفضاء المحلي، لذا يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار في السياسات العامة للتنمية الإقليمية والتنمية المستدامة (Pouzenc,2016)، لأنه مرتبط بسلوك المستهلك من جهة والمنافسة من جهة أخرى.

تعدى حجم الانتاج الزراعي بالسرسو خارج شعبة الحبوب في السنوات الاخيرة وخاصة البصل والبطاطس وظيفة ضمان الاحتياجات الغذائية المحلية، فقد ساعد على دفع التدفقات التجارية على نطاق أوسع وخلق ديناميكية اقتصادية جديدة في المنطقة من خلال التسويق والتبادلات التجارية الدولية وإن كانت ضئيلة ومحتشمة.



الخريطة رقم 51: التوزيع الجغرافي للبنية التجارية بسوسو تيارت

رغم أن التبادلات التجارية الدولية للسوسو ما تزال محدودة لحد اليوم، إلا أن أول تجربة لتصدير المنتجات الزراعية سنة 2018 تمت بنجاح واستمرت مع رفع حصة الصادرات، بالنسبة للبصل ارتفعت من سبعة الاف قنطار خلال سنة 2018 إلى ما يقارب 8557.5 قنطار في 2019، نحو كل من ليبيا، موريتانيا، تونس وإيطاليا، و 200 قنطار إلى روسيا في بداية عام 2020 لأن منتج البصل فاق 2.7 مليون قنطار بمحيط السقي السبعين، ثم ارتفعت الحصّة المصدرة إلى 4500 قنطار مع نهاية سنة 2020، كما تمّ تسويق منتج البطاطس نحو إيطاليا بحجم 1390 قنطار عام 2019. ساعد وجود هياكل تجارية كبرى كالميناء الجاف على ترسيخ هذا النمط الجديد من التجارة الخارجية في المنطقة.

الخلاصة:

يعتبر السوسو منطقة فلاحية بامتياز منذ التواجد الاستعماري، تدعمت بإيجاد صناعة غذائية من خلال المطاحن المنتشرة به، إلا أن إرادة الدولة في السبعينات جعلت منه قطبا صناعيا مهما في الغرب الجزائري من خلال الصناعة الميكانيكية في عين بوشقيف والتعدينية في تيارت. ساهم التوطن الصناعي في تعمير المنطقة في الثمانينات بوسطها الحضري والريفي بشكل مباشر، عن طريق المناطق الصناعية ومناطق النشاط التي استهلكت مساحة معتبرة من العقار الفلاحي، وصاحبها ذلك بناء أحياء للعمال بالوسط الريفي، وتعمير غير مباشر لأنه شجع على الهجرة الريفية خاصة نحو تيارت وعين بوشقيف والدحموني

واستقطب العمالة الزراعية فارتفع معدل الشغل في الصناعة من 6.9 % عام 1985 إلى 9.8 % عام 1988. لعب التوطن الصناعي القديم والحديث بالوسط الريفي (عين بوشقيف، عين مريم، سيدي منصور وسلمانة) دورا بارزا في تحضره. تراجع النشاط الصناعي في فترة التسعينات، متأثرا بالأزمة الاقتصادية التي عاشتها البلاد، إلا أنه عاود الانبعاث من جديد في السنوات الأخيرة، وأصبح يحاكي نوعا ما خصوصية المنطقة الزراعية وخاصة بالتوطن الصناعي الجديد في المناطق الريفية (سيدي منصور وسلمانة) من خلال الصناعة الغذائية (إنتاج الزيوت، الحليب ومشتقاته واللحوم الحمراء والبيضاء)، إضافة إلى الاستثمار في الصناعة غير زراعية الذي استقطب مستثمرين من خارج المجال، وهو ما تطلب تطهير العقار لدعم الديناميكية الصناعية الجديدة في السرسو.

تأكدت الديناميكية الحضرية في السرسو من خلال الوظيفة التجارية، فقد تطورت التجارة بشكل عام تزامنا مع التوسع العمراني للمجمعات وإنتاج السكن ولاسيما الجماعي منه، الذي صاحبه إنتاج عقار تجاري، كما ساهم انفتاح السوق وتحول الجزائر بشكل عام للاستيراد لمختلف المنتجات في توسع الشبكة التجارية، فظهرت تجارة المساحات الكبيرة والمراكز التجارية بالمجمعات الحضرية الكبيرة (تيارت وتيسمسيلت) وارتفع عدد الأسواق الجوارية ومحلات التجزئة الرسمية والموازية بالوسطين الريفي والحضري وتنامت التجارة المتنقلة عبر أحياء المجمعات العمرانية وعلى حواف الطرقات ولاسيما الوطنية منها، وهو ما انعكس على الجانب الاجتماعي للسكان حيث انخفض معدل البطالة وارتفعت نسبة المشتغلين في القطاع الثالث عما كانت عليه سابقا. ما تزال منطقة السرسو تحافظ على نشاط الأسواق الأسبوعية لما له من خصوصية اجتماعية واقتصادية، إذ تركز على ثمانية أسواق محلية وأخرى داعمة قريبة منها وخاصة سوق السوكر جنوبا، تنتشر في كامل المنطقة وخاصة في المجمعات الحضرية. كانت هذه الأسواق ولازالت تلعب دورا مهما وداعما في التبادلات التجارية وترسم علاقات مستمرة في الزمان والمكان بين المدن والأرياف، رغم التطور التجاري داخل الأنسجة العمرانية، فقد خلقت حركة اقتصادية مهمة ورواجا وتنوعا تجاريا بين كل ما هو تقليدي وحديث وبأسعار تنافسية على مستوى تواجدها وعلى المنطقة بشكل عام، مما أعطاه القدرة على الاستقطاب والديمومة، والمساعدة في تثبيت السكان ولو بشكل جزئي في الأرياف والقرى بتقريب منتجات المدينة منهم، فانعكس ذلك إيجابا على الاقتصاد المحلي وعلى دعم مداخل البلديات.

لعبت الزراعة الوظيفة الأصلية في المنطقة دورا فعالا في الديناميكية التجارية والصناعية، فقد أعيد التشكيل الوظيفي للسرسو بالانتقال من النمط الأحادي إلى المتعدد، كما عززت في نفس الوقت الزراعة التجارية الديناميكية في ريف السرسو، إلا أن المخاطر الفلاحية التي يشهدها الموسم الفلاحي تؤثر على كمية ونوع المنتج وتؤدي في أغلب الأحيان إلى مخاطر في التسويق خاصة وأن المنطقة تعاني من نقص التغطية بهيكل التخزين والتبريد. فتسويق منتجات الحبوب والبقول الجافة يخضع لهيئة رسمية تتمثل في الديوان

الوطني للحبوب يشرف على العملية وينظمها، إلا أنّ نقص الهياكل والآليات النظامية لتسويق الخضر والفواكه وقصور عمل الهيئة التنظيمية التي تشرف عليه جعل الفلاح يعتمد على أساليب تسويق متنوعة لتصريف منتجاته في أحسن الظروف تفاديا لتلفها وذلك بالاعتماد على نفسه في لعب دور التاجر، عن طريق البيع المباشر الذي يتم غالبا في المناطق الحضرية التي تعمل كوسيط بين مناطق الإنتاج ومناطق الاستهلاك، أو عن طريق البيع المسبق باللجوء إلى وسطاء ومتعاملين. يتأرجح التسويق الزراعي بين التجار والفلاحين وللتوفيق بينهما يتوجب الانتقال السلس بين العمليتين، بإيجاد سلسلة متكاملة نظامية من الإنتاج إلى التسويق.

الفصل الثامن

العلاقات مدينة/ ريف، تعيد صياغة
الأداء الوظيفي بالسّرسو

مقدمة:

أنتج التّحضر السّريع خلال العقود الأخيرة تنظيماً مجالياً جديداً، لعبت فيه الإرادة السياسيّة للدولة، على فتراتها متعاقبة دوراً مهماً للوصول لهذه الوضعيّة. سمحت التّرقية الإداريّة في سنة 1984 بإنشاء بلديات جديدة انطلاقاً من مراكز ريفيّة تم تجهيزها من خلال البرامج ومخططات البلديّة للتنمية، وسمح بظهور نمط جديد من التّنظيم المجالي وتطورت شبكة من المدن الصّغيرة والمتوسطة الحجم في السّرسو. أدت ترقية بعض المجمعات إلى مراكز إداريّة (ولاية ودائرة وبلديّة) إلى زعزعة سير العمل والتّنظيم السّابق لهذه المساحة، كما أدى التّعزير الإداري المدعوم بإجراءات تطوير النّقل البري إلى توفير وظائف اقتصاديّة وإداريّة جديدة للمراكز التي تم ترقيتها. وقد أدى هذا بالتأكيد إلى تأهيل هذه المجمعات للعب دور جديد في الشّبكة الحضريّة وإنشاء علاقات مكانية بينها وبين محيطها القريب والبعيد وتنظيم تبادلات بينها، وهي علاقات غير منعزلة بل متشابكة ومعقدة، ترتبط بمجموعة من القياسات المكانية التي تفسر سلوك العلاقات، ومستوى قوتها ومدى ارتباطها بظواهر مجاورة أو بعيدة (الكناني والجابري، 2018)، كما ترتبط بالتّنظيم المكاني للفعاليات الموجودة. نتناول في هذا الفصل طبيعة العلاقات المكانية والتبادلات بين مجمعات السّرسو، أي إلى أي مدى وفي أي اتجاه، يتم الاعتماد المكاني؟ وكيف ساهمت هذه العلاقات والتّحركات في إعادة صياغة الأداء الوظيفي بالمنطقة؟

1. شبكة النّقل متنوّعة وكثيفة ومتعددة الاتجاهات ذات بعد وطني

عرف قطاع النّقل في الجزائر بعد الاستقلال عدة نقلات مهمّة نظمتها مجموعة من القوانين والمراسيم التّنفيذية، لعبت فيها الدولة دور المحتكر في تسيير القطاع، إلّا أنّ هذا الأخير تحرر بموجب المرسوم التّنفيذي رقم 01-88 الموجه للمؤسسات العمومية المؤرخ في 12 يناير 1988، ينص على استقلالية المؤسسات لتحسين فعاليتها وتصبح أكثر إنتاجية وتعتمد على نفسها وتتعامل بحرية وفقاً للقانون التجاري، بما فيها المؤسسات الوطنيّة، الولائيّة والوكالات البلديّة للنّقل الجماعي للمسافرين عبر الطّرق أي أنّ الدولة تخلت عن تدعيم هذه المؤسسات وعليها بتحقيق مردوديتها كمؤسسة. في نفس السّنة صدر القانون رقم 17-88 المؤرخ في 10 ماي 1988 المتعلق بتوجيه وتنظيم النّقل البري الذي كان إطاراً لتعريف وتطوير عملية التّحول والتّخصيص للقطاع، مع الإشارة إلى أنّ عملية الخصخصة لم تؤخذ بعين الاعتبار إلّا في سنة 1995 كما أنّ تحرير النّقل الجوي تأخر إلى غاية 1998. توالى مجموعة من القوانين المنظمة والمسيرة على قطاع النّقل إلى غاية 2001، حيث ألغي القانون رقم 17-88 بموجب صدور القانون رقم 01-13 يتضمن توجيه النّقل البري وتنظيمه، وما يميز هذا القانون عن سابقه هو ربط سياسة النّقل بسياسة التّهيئة العمرانيّة.

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسّرسو

تعددت أنماط النّقل بالسّرسو وتدعمت بمشاريع مختلفة أهمها تلك المتعلقة بالنّقل بالسكك الحديدية، منها ما يخص تهيئة وإعادة إحياء الشّبكة القديمة الموروثة عن الفترة الاستعمارية، ومنها الخطوط الجديدة التي انتهت بها الأشغال وتم استلامها وتدشينها. تربط هذه الخطوط الجديدة السّرسو بولاية المسيلة والجلفة شرقا وعين الدّقلي شمالا وسعيدة في الجنوب الغربي، وسيدي بلعباس غربا. أنجزت بعض المحطات بالوسط الريفي مما يسمح بربط هذه المناطق الرّيفية كبقارة شرق السّرسو مثلا، بمحيطها القريب والبعيد وسوف تعمل على ديناميكيته مستقبلا.

تحتوي حظيرة نقل المسافرين بولاية تيارت¹ على 1363 حافلة (نقل جماعي) تتوزع على 203 خط لنقل المسافرين (ما بين الولايات، ما بين البلديات، النّقل الحضري وكذا الريفي) إضافة إلى الحافلات القادمة من شرق وجنوب الوطن، تعبر مختلف المراكز العمرانية بالمنطقة.

أما النّقل الحضري (الجدول رقم 94) فيقتصر على المجمعات الحضرية الكبيرة وهي تيارت، السّوقر، فرنده وقصر الشّلالة، تتوزع 281 حافلة على 43 خطا حضريا، أغلبها تتركز بمجمعة تيارت، بينما تشهد المنطقة ضعف شبكة النّقل الرّيفي، من حيث الخطوط (15 خط فقط) وأيضا من حيث عدد الحافلات خاصة وأنها قديمة ومتهاكة، على الرّغم أنّ المنطقة تركز على شبكة واسعة من المراكز الرّيفية.

الجدول رقم 91: أنماط النّقل ووسائله بولاية تيارت

طبيعة النّقل	عدد الخطوط	عدد الحافلات	عدد المتعاملين	عدد المسافرين (يومية)
القطاع الخاص	35	175	129	5775
	110	867	796	28611
النّقل الحضري (الخاص والعام)	43	281	232	9273
النّقل الريفي	15	40	38	1320
المجموع	203	1363	1195	44979

المصدر: مديرية النّقل لولاية تيارت 2019

تتكون حظيرة سيارات الأجرة من 3011 عربة تغطي كامل تراب ولاية تيارت، إلا أنّ أكثر من نصفها (1794 مركبة) تنشط بالوسط الحضري وتقتصر على المجمعات الكبيرة (تيارت، السّوقر، فرنده ومهدية)، وتتوفر هذه الخدمة أيضا بمدينة تيسمسيلت، كما توجد العربات التي تعمل بنظام المناوبة وعددها 426، وتقتصر هذه الخدمة أيضا على المجمعات الحضرية الكبيرة (تيارت، فرنده، السّوقر وقصر الشّلالة).

¹ استعملنا معطيات تغطي ولاية تيارت، نظرا لعدم توفرها حسب البلديات، واقتصرنا عليها لعدم توفر المعطيات التي تغطي تيسمسيلت في بعض الجزئيات.

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسرسو

تتعدم المواصلات اتجاه الولايات الأخرى بالمناطق الريفية (16 بلدية)، مما يحتم على سكانها التنقل بشكل غير مباشر، عن طريق احدى المجمعات الكبيرة القريبة منها، وهو ما يرفع نسبة التردد على هذه المجمعات وخاصة تيارت باعتبارها مركزا تتجمع فيه مختلف خطوط الحركة. أما التنقل بين البلديات فتؤمنه 791 مركبة فقط. إضافة إلى النقل الحضري والنقل بين البلديات يوجد النقل المدرسي (156 حافلة)، والنقل الجامعي الحضري فهو مؤمن بـ 137 حافلة تابعة لثلاثة متعاملين، ويسيره حصريا ديوان الخدمات الجامعية، أما النقل البري للبضائع فيتوفر على 16399 شاحنة، بسعة إجمالية تتجاوز 70833195 طن، هذه الطاقة تسمح بالتكفل التام بكافة الاحتياجات المتعلقة بالتأمين والتوزيع.

تتوفر خدمة النقل الجوي بالسرسو عن طريق مطار عبد الحفيظ بوصوف ببلدية عين بوشقيف، يؤمن رحلات موسمية تتعلق بالحج والعمرة، رغم أنه اشتغل في فترة 2017-2020 بخدمة نقل المسافرين باتجاه وهران والجزائر العاصمة. نشاط المطار غير مستقر بسبب التوقف المستمر، غير أنه حاليا يقتصر على نقل البضائع فقط. سمح الاستثمار في قطاع النقل بتطور حظيرة نقل المسافرين والبضائع (الجدول رقم 95) فقد انتقلت الحظيرة من 3614 سنة 2009 مركبة (مختلف الأنواع) إلى 4394 مركبة سنة 2019. أعلى نسبة تطور شهدتها سيارات الأجرة، بينما النقل الحضري لم يشهد تطورا معتبرا لأنه يقتصر على المجمعات الكبيرة فقط. بينما شهد نقل البضائع عبر الطرقات ارتفاعا كبيرا فانقل من 5264 مركبة سنة 2009 إلى 21334 مركبة عام 2019 بفارق 16070 مركبة وخاصة في القطاع الخاص.

الجدول رقم 92: تطور حظيرة نقل المسافرين والبضائع حسب النمط والطبيعة القانونية في ولاية تيارت

السنة	نقل المسافرين								نقل البضائع		
	سيارة الأجرة	النقل الجماعي							المجموع	خاص	عمومي
		حضري	بين البلديات		بين الولايات		عدد	عدد			
	عدد المركبات	عدد المركبات	عدد الخطوط الموزعة	عدد المركبات	عدد الخطوط الموزعة	عدد المركبات	عدد الخطوط الموزعة	عدد	العدد	العدد	
2009	2728	-	-	771	100	115	70	1201	4163	5264	
2010	2682	248	43	814	75	128	38	2090	6917	9007	
2011	2717	255	43	834	86	148	29	225	7462	9714	
2015	2943	-	-	863	10	175	02	6766	1180	16887	
2016	2671	258	-	858	12	177	01	6602	11835	18037	

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسرسو

21080	13661	7415	02	168	0	258	-	-	3151	2018
21334	13912	7422	29	148	86	834	43	251	3161	2019

المصدر: مديرية النقل لولاية تيارت، منوغرافيات الولاية (2009-2019)

يمكن تفسير هذا الارتفاع في الحظيرة بالتوسع العمراني، الذي شهدته مختلف المجمعات بمختلف أنواعها (الحضرية والريفية)، كما يعزى أيضا إلى الاستثمار في القطاع بواسطة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، ففي شهر فيفري 2009 صدرت التعلّيمية الوزارية التي تلزم مديري النقل في كل الولايات بفتح الاستثمار في مختلف الخطوط لكل الطلبات الممولة ذاتيا أو التي يتم تمويلها عن طريق مؤسسات التمويل. عدد مركبات نقل البضائع مهم جدا، يعبر عن حجم التبادلات بين تيارت وبقية أنحاء الوطن.

الجدول رقم 93: المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في قطاع النقل والمواصلات بولاية تيارت

السنة	عدد المؤسسات قطاع النقل	مناصب العمل المنشأة	مجموع المؤسسات الصغيرة والمتوسطة	النسبة %
2003	746	2244	6579	11.33
2011	1450	2937	9108	15.92
2016	3996	7992	21082	18.95
2019	3785	7570	10890	34.75

المصدر: مديرية الصناعة والمناجم لولاية تيارت

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه، تطور عدد المؤسسات الصغيرة والمتوسطة التي تنشط في قطاع النقل، فقد انتقل عددها من 746 مؤسسة سنة 2003 إلى 3785 مؤسسة سنة 2019، كما ارتفعت نسبة الاستثمار في هذا القطاع عبر السنوات من 11.33% سنة 2003 إلى 34.75% سنة 2019.

2. المجمعات الحضرية الكبيرة: علاقات تبادل محلية مهمة ووطنية بفضل توفر النقل

أكدت العديد من الدراسات التي أجريت على التنقل اليومي فكرة أن استراتيجيات التنقل للأفراد يتم وضعها وفقا لبرامج أنشطتهم اليومية (Orfeuil 2000؛ Miller 2004). تعتبر الأنشطة التي تشكل هذه البرامج إلزامية إلى حد ما ويجب أن تتم في أماكن وأوقات مقيدة بشكل أو بآخر. لذلك يتم تنظيم تنقل الفرد من أجل إدارة نظام القيود المكانية والزمانية بشكل أفضل.

تؤمن شبكة النقل بمنطقة السرسو علاقات بين المجمعات الحضرية والريفية مختلفة الاتجاهات، على رأسها بلدية تيارت. تربطها علاقات تبادلية تارة ووحيدة الاتجاه تارة أخرى مع أكثر من نصف البلديات التابعة لإقليمها (23 بلدية) بواسطة 35 خطا نشطا، منه خطين ريفيين (نحو كل من ببيان المصباح وعين مصباح).

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسرسو

توفر هذه الخطوط نقل أكثر من 10200 مسافر يوميا بواسطة النقل الجماعي، فضلا عن سيارات الأجرة التي تخدم بعض الخطوط المشتركة مع النقل الجماعي، كما تغطي أيضا خطوطا أخرى بمفردها مثل عين الذهب في الجنوب.

الجدول رقم 94: حركة التنقل بين مركز ولاية تيارت وبلدياتها

البلديات	عدد المقاعد	عدد المركبات	المسافة	البلديات	عدد المقاعد	عدد المركبات	المسافة
السوقر	1410	47	25	س. على ملال	204	12	41
مهدية	1050	42	46	تخمارت	180	10	85
فرنندة	1050	35	50	حمادية	175	7	56
ملاكو	860	36	16	س. الحسني	168	12	27
قصر الشلالة	750	25	114	عين بوشقيف	155	10	17
عين مصباح	750	5	7	نيدة	136	8	45
الداحموني	625	25	13	عين كرمس	120	4	75
مدروسة	595	27	30	زمالة الأمير ع. ق	90	3	125
بيبان المصباح	375	15	9	الناظورة	56	3	60
مشرع الصفا	366	8	32	تاقدمت	53	3	7
واد ليلي	357	21	25	مغيلة	45	3	48
قرطوفة	329	17	6	عين الحديد	30	1	67
الرحوية	325	12	38	المجموع	-	391	10254

المصدر: مديرية النقل لولاية تيارت 2020

تتكثف التنقلات نحو مدينة تيارت من مختلف مراكز البلديات التابعة لها وخاصة الكبيرة منها (السوقر، فرنندة، مهدية وقصر الشلالة)، بينما تتناقص بالنسبة لبعض الأجزاء التي تشهد نقص في عدد العربات، لكن تنقلات هؤلاء السكان نحو تيارت تتم بشكل غير مباشر، تغطية للعجز الذي تشهده بعض الخطوط.

تعتبر مدينة تيسمسيلت منطقة عبور بالنسبة لسكان البلديات التابعة لها إداريا، فتنقلاتهم باتجاه البلدية، الشلف، غليزان ووهران تتم عن طريقها أولا باستعمال سيارات الأجرة. هذه الخطوط الضئيلة غير مشبعة أيضا بوسائل النقل وهوما يتوجب إعادة النظر في توزيع الحظيرة لتغطية أماكن العجز خاصة باتجاه البلديات النائية والريفية كبلديات المعاصم، الأربعاء، بني شعيب، الأزهرية، الملعب وسيدي بوتشن.

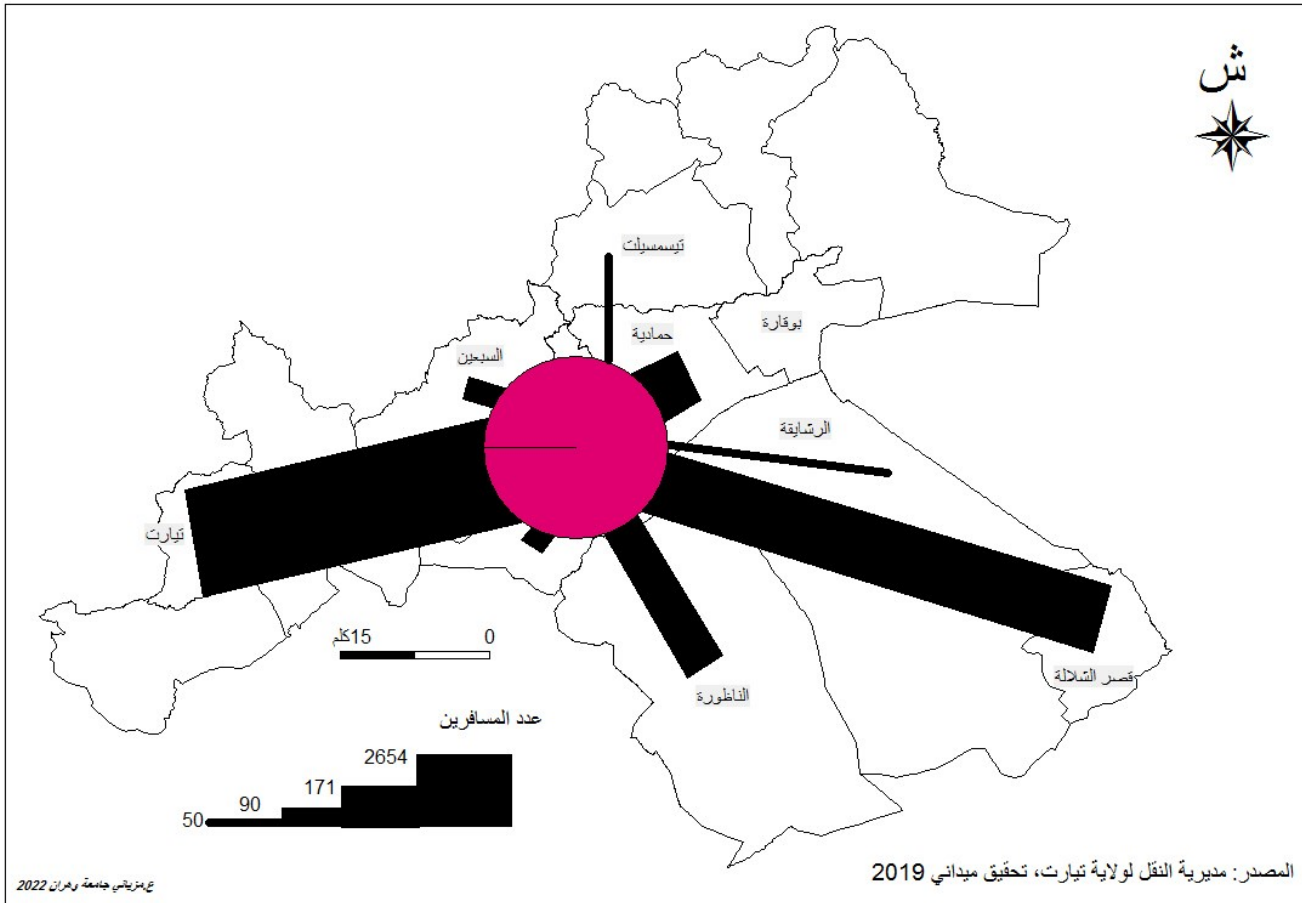
الجدول رقم 95: حركة المواصلات بواسطة النقل الجماعي انطلاقا من مدينة تيسمسيلت

داخل الولاية	عدد المسافرين	خارج الولاية	عدد المسافرين
لرجام	468	تيارت	702
ثنية الحد	396	مهدية	360
برج بونعامة	342	البلدية	198

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسرّسو

أولاد بسام	126	خميس مليانة	36
عماري	72	قصر الشلالة	36
سلمانة	18	بشار	144
		حاسي مسعود	48
		عناية	عبور

المصدر: تحقيق ميداني، المحطة البرية للمسافرين بتيسمسيلت (2020)

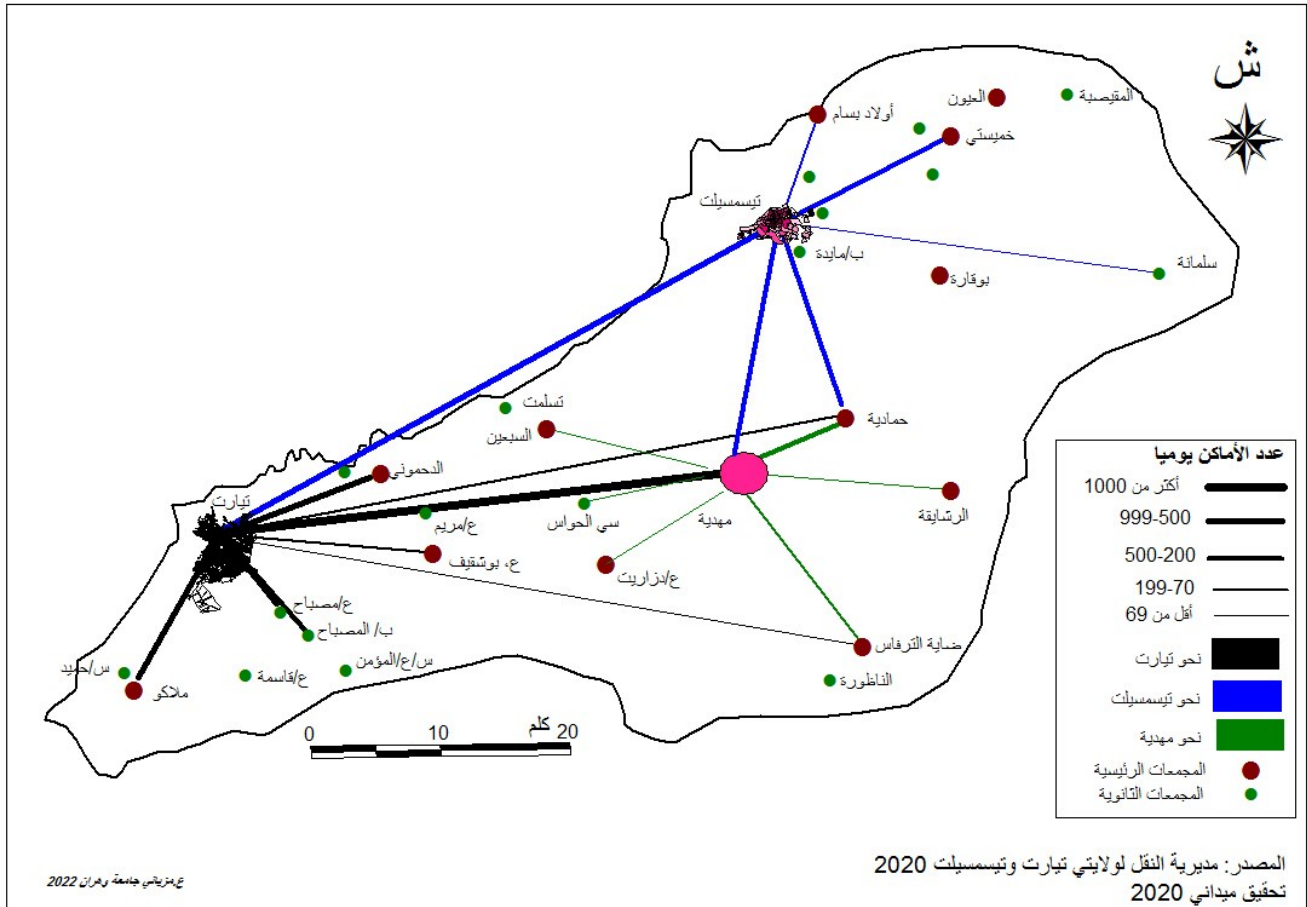


الخريطة رقم 52: حركة التنقلات في السرّسو انطلاقاً من مهدية

أما بالنسبة لمجموعة مهدية، فرغم أهميتها في سهل السرّسو، وأهمية التنقلات اليومية انطلاقاً منها، والتي تقدر بـ 2654 مسافر يومياً إلا أنّ التنقلات فيها تقتصر على بعض الاتجاهات على المستوى المحلي فقط (الخريطة 52) وخاصة نحو تيارت، ما يقارب ثلثي المسافرين يومياً (1575 مسافر)، وأيضاً نحو حمادية (570 مسافر) وقصر الشلالة والبلديات التابعة لإقليم دائرتها (الناظورة، عين دزاريت السبعين وسي الحواس)، ونحو

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسّرسو

تيسمسيلت بواسطة سيارات الأجرة لكن بنسبة ضعيفة، أمّا التّنقلات نحو وهران والجزائر العاصمة فتتم عن طريق تيارت خاصة.



الخريطة رقم 53: التّنقلات اليومية المحلية في السّرسو نحو المجمعات الكبيرة (2020)

موقع السّرسو الاستراتيجي جعل منه منطقة عبور مهمة بين الشّمال والجنوب، تتعدد الاتجاهات انطلاقا من مدينة تيارت على وجه الخصوص نحو عدة ولايات عبر الوطن خاصة القريبة منها، كتيسمسيلت وغليزان وأيضا وهران، نظرا لقرب المسافة من جهة ونظرا للعلاقات الاجتماعية التي تربطها كون تيسمسيلت كانت تابعة اقليميا لولاية تيارت قبل التّقسيم الإداري لسنة 1984 وحركة العمل أيضا كما سنوضح لاحقا. تتضاءل الحركة بين بلديات تيسمسيلت ومركز الولاية وتقتصر على خمس اتجاهات فقط، ونفس الوضع خارج الولاية، فيما عدا بعض الاتجاهات كالبليدة وعين الدّفلى لأنها ولايات قريبة منها، كما ترتبط بلدياتها أيضا ببلديات ولاية تيارت كقصر الشّلالة، مهدية وحمادية (الخريطة 53).

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسّرسو

الجدول رقم 96: حركة المواصلات من مدينة تيسمسيلت عن طريق سيارات الأجرة

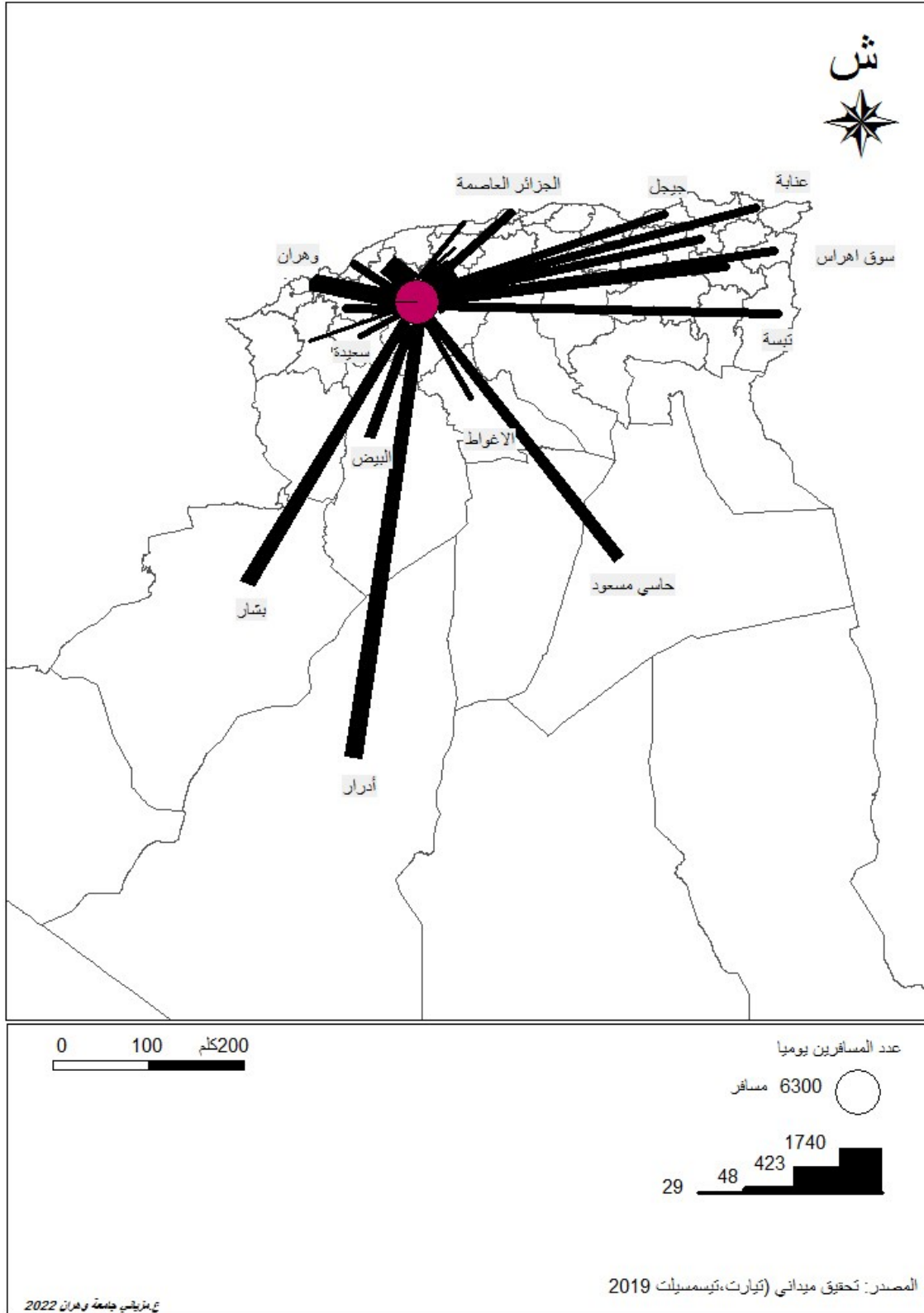
ولايات الوسط والشرق						ولايات الشمال الغربي				تيسمسيلت	
الجلفة	المسيلة	البلدية	خميس مليانة	الشلف	الجزائر	معسكر	بلعباس	مستغانم	وهران	تيارت	باتجاه
4	7	11	17	18	18	5	7	8	10	30	العدد
2.96	5.18	8.17	12.60	13.33	13.33	3.7	5.18	5.92	7.41	22.22	النسبة %

المصدر: مديرية النقل لولاية تيسمسيلت 2020

ترتبط السّرسو علاقة بمختلف جهات الوطن، وتتكثف هذه الأخيرة بشكل خاص في المنطقة الغربية، نحو وهران ومعسكر، ونحو الجنوب خاصة الغربي كبشار (188 مسافر يوميا) وأدرار، وحاسي مسعود في الجنوب الشرقي (188 مسافر يوميا) (الخريطة 54)، بينما تعدد خطوط النّقل اتجاه شرق الوطن، لكن عدد المسافرين يوميا ضئيل مقارنة بعددهم اتجاه المنطقة الغربية، لأنّ مدينة تيارت هي منطقة عبور بين الغرب والشرق.

تسجل التّنقلات عن طريق النّقل الجماعي بالحافلات ضعفا، خاصة المتجهة نحو الشمال الغربي (مستغانم، وهران، سعيدة وسيدي بلعباس) إلا أنّها مؤمنة بواسطة سيارات الأجرة، سواء من تيارت أو تيسمسيلت، غير أنّ التغطية مرتفعة بتيارت أكثر من تيسمسيلت، حيث الخطوط محدودة وعدد المركبات ضئيل (الجدول رقم 96) وهو ما يجعل سكانها ينتقلون إلى بعض الولايات وخاصة وهران عن طريق تيارت (تحقيق ميداني). نفس الظاهرة تتكرر بالنسبة للمحور الجنوبي الشرقي (الجلفة) والشمال نحو المدية، الشّلف، البلدية، والجزائر العاصمة، وباتجاه الشرق نحو سطيف وباتنة، خاصة أنّ النّقل الجماعي تدعمه الحافلات التي تمر بمختلف المراكز العمرانية في السّرسو.

ارتفاع عدد خطوط المواصلات بالسّرسو إضافة إلى العدد المهم لحظيرة المركبات، يعكس أهمية المجمعات الكبرى وخاصة تيارت ودورها في الشبكة العمرانية الوطنية.



الخريطة رقم 54: التّنقّلات اليومية الوطنية انطلاقا من السرّسو

ساعد توفر وسائل النقل والطرق وسهولة الوصول على ظهور تحولات عميقة في الأوساط، الريفية بالسرّسو وتلاشي وتفكك الأنظمة التقليدية، خاصة تلك القريبة من التجمعات الحضرية التي تشهد ديناميكية ايجابية مما يؤهلها أن تكون شبه حضرية، فالمناطق القريبة أو المحيطة بالمراكز الحضرية الكبيرة تشهد قوة جذب بالنسبة لليد العاملة، أما المناطق الأكثر تضررا هي تلك البعيدة والمعزولة والتي يصعب عليها الوصول للمناطق الحضرية وبالتالي سوق العمل والمنتجات الفلاحية.

3. تعمير الضواحي والأرياف حفز التّحركات السّكانية

نميز عادة على المستوى الجغرافي بين: التّنقل المهاجر، والسّفر، والتّنقل السّكني، والتّنقل اليومي الذي يشمل (الهجرات المتناوبة، والهجرات اليومية، والتّنقل بين المنزل والعمل). كل هذه الأنواع من التّنقل مترابطة حتما، وتؤثر على بعضها البعض. يتوافق التّنقل السّكني مع نزوح السّكان مما يؤدي إلى تغيير دائم أو نهائي في مكان الإقامة المعتاد وتشكل الهجرة الدّولية نوعا من هذا التّنقل الذي يتضاعف غالبا من خلال طابع متعدد التّقافات (Brunet, Ferras et al,1998).

التّحركات السّكنية هي إحدى أوجه التّحركات المجالية، ويقصد بها تغيير مكان الإقامة بصفة دائمة. التّهجير، التّجديد الحضري والتّحديث عوامل تزيد من التّحركات السّكنية، هذه الأخيرة تختلف اختلافا كبيرا عن تحركات الهجرة من حيث الأهداف، الميكنزمات والفضاءات المستهدفة (Trache,2010). تتعدد أسباب التّحركات السّكنية منها ما هو اختياري لأسباب تخص المسكن كضيق المساحة، الانفصال عن العائلة، التّحسين أو تخص الساكن كالبحث عن القرب من مكان العمل ومنها ما هو قصري أو إجباري، كعمليات التّرحيل قصد التّجديد الحضري للأحياء القديمة والهشة.

صنعت السياسات السّكنية في السبعينات البوادر الأولى للتّحركات السّكنية في السّرسو وخاصة اتجاه المجمعيات الكبيرة ولاسيما تيارت وتيسمسيلت ومهدية. فالإنتاج السّكني وفق آليات التجزئة السّكنية والمناطق السّكنية الحضرية الجديدة وأيضا سياسة القضاء على السّكن الهش تركزت بالمجمعيات الحضرية، فقد استقبلت المناطق السّكنية الحضرية الجديدة بتيارت وتيسمسيلت سكان المناطق الريفية الذين استقروا بهما من أجل العمل وخاصة في الصناعة بالنسبة لتيارت، وقد كان سببا مباشرا في رفع معدلات النمو السّكاني بهاتين المجمعيتين.

1.3 القرى الفلاحية الاشتراكية، تحركات سكنية بعضها حضرية باتجاه الأرياف.

أدى إنشاء القرى الاشتراكية بالسرّسو سواء المواقع الجديدة أو المدمجة ضمن نسيج قديم إلى تكوين محتوى بشري متنوع لساكنتها بين المحلي والوافد منذ بداية إنشائها إلى يومنا هذا، جمعت بين أفراد من الأعراس المحلية للمنطقة (بني مايدة، بني لنت، أولاد أحمد الرّشايقة، دوي حسني، العويسات، السّحاري وأولاد لكرد

وآخرون بنسبة 44.78%) وأفراد من أعراش أخرى لم تكن مستقرة في السرسو من قبل، مثل أعراش الجنوب(العربة، سعيد عتبة وأولاد نايل بنسبة 17.91%)، وأيضا أعراش الشمال (جبال الونشريس بنسبة 16.79%). استقطبت القرى في البداية الفلاحين التابعين لتعاونيات الثورة الزراعية والمزارع النموذجية، الفلاحين الموسمين والبدو الرحل، كما استقطبت عددا آخر من السكان أصحاب وظائف الإسناد يشتغلون في القطاع الثالث. بعدما اندمجت القرى الاشتراكية في الشبكة العمرانية أصبحت تشكل مراكز استقطاب لسكان آخرين انجذبوا للعمل في مختلف الأنشطة ولاسيما الفلاحية والصناعية (أفراد ينتمون لأعراش واد لهو: خلافة والروابع بنسبة 13.43%) وآخرون (7.09%)، أو للاستقرار بها نظرا لتوفرها على العقار بأسعار مقبولة (قرية عين مصباح، عين مريم، عين بوشقيف).

كما شكلت هذه القرى ملاذا لفئات سكانية من المراكز العمرانية الكبرى من خلال تأجير شقق السكنات الجماعية بعين مريم وعين بوشقيف بأسعار منخفضة، وسكنات فردية بعين مصباح من طرف أسر شابة من داخل وخارج السرسو (7.46%)، ترغب في الانفصال عن الأسرة الكبيرة من جهة والاستفادة من أنشطة المنطقة من جهة أخرى وهو ما يعبر عن تحول المجتمع القروي من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية.

2.3 إعادة الإسكان والتجديد الحضري، آلية حفزت التغيرات السكنية من المدينة إلى الوسط الريفي

التغيرات السكنية من مدينة تيارت إلى المجمعات الريفية (زعرورة وكارمان)، تمت على فترات متواترة، بدايتها كانت بتجسيد المشاريع السكنية الحضرية بالمجمعات الريفية في الثمانينات. استفادت مجمعة زعرورة (قبل اندماجها مع مركز التجمع الرئيسي لتيارت) من المنطقة السكنية الحضرية الجديدة رقم 2 (حي المنار حاليا)، الجامعة ثم الأحياء الجامعية ومعهد الهندسة المدنية ومنطقة النشاطات، وهو ما جعل الحزام المحيطي، يفقد دوره الاجتيابي الذي كان يلعبه في تلك الفترة، وأصبح يؤخذ أبعادا أخرى كمحور رئيسي لتوسع المدينة في الجهة الجنوبية كما صار طريقا مهيكلا للمدينة، يربط الأجزاء الجنوبية الغربية بالجهة الشرقية والشمالية الشرقية. هذه المنطقة الجديدة استفاد منها سكان مدينة تيارت وهو ما سمح لهم بتغيير مكان الإقامة من تيارت الى زعرورة، وتم في نفس الوقت نقل سكان زعرورة إلى مجمعة عين بوشقيف في إطار التجديد الحضري، فقد تم إزالة الحي الفوضوي وترحيل سكانه إلى عين بوشقيف، وهي تحركات سكنية قصيرة لعبت فيها إرادة الدولة دورا مفصليا لنقل سكان الضواحي إلى خارج المدينة.

تمت التغيرات السكنية أيضا في تيارت وفق آلية التجديد الحضري والقضاء على المساكن الهشة وبذلك استقبلت المجمعة العمرانية الثانوية كارمان سنة 1984 مشروع سكني في إطار القضاء على السكن الهش، فتم ترحيل عدد مهم من العائلات من تيارت نحوها (سكان حي إبراهيم بوخالفة)، ثم بناء 145 سكنا استقبل 870

نسمة في إطار السّكن الاجتماعي التّطوري. أصبحت مجمعة كرمان منطقة تمدد بالنسبة لمدينة تيارت فقد احتضنت مشاريع إعادة الإسكان من جهة ومشاريع توسع المدينة في المحور الشمالي الشرقي من جهة أخرى. ضمن إنشاء القطب الجامعي الجديد التّواصل العمراني بين المدينة والمجمعة الثّانوية على مساحة تفوق 141 هكتارا، استغلّت هذه المساحة العقارية لإنشاء البرامج السّكنية بمختلف الصّيغ وخاصة سكنات عدل (1500 مسكن). حفز قرب المسافة وتوفر العقار العمومي التّحركات السّكنية نحو كارمان عن طريق البناء الفوضوي أيضا، إضافة إلى توفر المواصلات وخطوط النّقل الحضري التي تربطها بمختلف أحياء مدينة تيارت.

عرفت مدينة تيسمسيلت نفس الظاهرة، حركتها الهجرة الرّيفية من جهة خاصة في نهاية السّبعينات وظهور الأحياء الفوضوية كحي الدّرب في الجنوب الغربي، والبرامج السّكنية من جهة أخرى. استقطبت مدينة تيسمسيلت سكان المناطق الجبلية في الفترة الأمنية الحرجة استقروا بضواحي المدينة بالأحياء الفوضوية خاصة حي الدّرب الذي توسع وأنشأت بجواره أحياء فوضوية جديدة في التسعينات كحي حليل عبد القادر وحي حسان وسيدي الهواري بالقرب من المقبرة الإسلامية جنوب غرب المدينة، انحدر هؤلاء النازحين بنسبة كبيرة فاق 60% من بلدية ثنية الحد، و20% منهم قدموا من بلديتي سيدي عابد وبني لحسن، كما استقبلت أيضا سكان من بلديات ولاية تيارت خاصة بوقارة وقصر الشّلالة (20%) استقروا بهذه الأحياء الفوضوية.

ساهمت سياسة القضاء على السّكن الهش، التي وجهت بشكل خاص بمجمعة تيسمسيلت للقضاء على السّكن الفوضوي في أطراف المدينة في تنشيط التّحركات السّكانية باتجاه الضواحي الجديدة خاصة حي عين لورا بالمدخل الشمالي الغربي للمدينة وحي الصّفاح وسيد خليفة في الجنوب الشرقي للمدينة، فقد استقبلت هذه الأحياء سكان الأحياء الفوضوية التي أزيلت وحلت محلها برامج سكنية بصيغتي العمومي الايجاري (900 مسكن) والترقوي المدعم.

4.3 تحويل التّعمير وقرب المسافة جعلا من الدّاحموني وعين بوشقيف مدنا توابع لتيارت

تقع مجمعتي الدّاحموني وعين بوشقيف شرق مدينة تيارت، ارتبطتا بها إداريا منذ نشأتها في الفترة الاستعمارية. قرب المسافة وتوفر المواصلات نشطا حركة سكانها اليومية نحو تيارت، وهي حركة أحادية الاتجاه في الغالب. استفادت المجمعتين من توطين برامج سكنية موجهة لسكان مدينة تيارت على أراضيها. استقبلت عين بوشقيف مشروع إعادة إسكان (حي 150، 204 مسكن) موجه لسكان حي زعرورة الفوضوي الذي أزيل نهائيا وتم ترحيل سكانه، ومشروع آخر استقبل سكان من مواقع مختلفة من السّرسو، إلا أن تيارت لوحدها ساهمت بنسبة 11.30% من الأسر المرحلة لهذا الموقع، كما ساهم التّوطن الصّناعي بعين بوشقيف سابقا في استقبال مشاريع سكنية أيضا لصالح عمال شركة السّباكة الموجودة بتيارت.

استقطبت مجموعة حمادية السّكان من مناطق مختلفة، إلا أن ما يقارب ربعهم (22%) من مجموعة تيسمسيلت، نظرا لقرب المسافة من جهة والعلاقات الاجتماعية من جهة أخرى. بينما وجدنا أن ما يقارب ثلاث أرباع السّكان المحقق معهم في عين بوشقيف وافدون من مناطق أخرى أغلبهم من بلدية تيارت (15,66%) والمجمعات الثانوية القريبة خاصة عين مصباح بنسبة 12%، ومن المنطقة المبعثرة (قرية سي عبد المؤمن، ياشر ومزرعتي بوعزة وبوزيان)، بينما لم تستقطب من السّوق إلا 4% فقط.

ينجذب السّكان الحضري في السّرسو نحو الإقامة بالأوساط شبه حضرية ويفسر ذلك بقرب المسافة، توفر العقار الحضري والعرض السّكني، إضافة إلى توفر المواصلات من جهة ووجود نشاط صناعي بعين بوشقيف يجذب اليد العاملة من جهة أخرى.

4. تيارت: وجهة مفضلة للتّنقّلات اليومية لأسباب مختلفة وحتمية.

تحركات السّكان حسب جهة القدوم والوجهة (Origine – Destination)، مركبة ومتعددة الأنماط، تعتمد على التّزامن المكاني للأقطاب المختلفة التي يقصدها الأفراد المتنقلون، ما يميز هؤلاء المتنقلين هو الطّريقة التي يتغلبون بها على مختلف القيود والعقبات المكانية والزّمانية في برامج أنشطتهم الشخصية. ويرجع ذلك إلى الخصائص الفردية المختلفة، بما في ذلك الوسائل المتوفرة والقيود والقدرات والمهارات للوصول إلى الأماكن والموارد والأنشطة المعنية (Tabaka, 2009). تتشابه دوافع التّنقّلات نحو تيارت وتيسمسيلت، لذلك نكتفي بإبراز مدينة تيارت، نظرا لأهميتها الإقليمية ودورها القيادي كمركز ولاية وموقعها كمدينة مفترق طرق، ما

مكنها من تطوير نظام تجاري متنوع، ينشط حاليا مع التّجارة الوطنية (Bekkouche et Otmane, 2020)

وجدنا حسب التّحقيق الميداني بالمحطات البرية بمدينة تيارت¹، أنّ هذه الأخيرة هي وجهة حتمية للكثيرين (20%) أثناء تنقلهم بين جنوب الوطن وشماله، وأيضا باتجاه الشرق، سواء كان هؤلاء المسافرين من داخل الولاية ويمثلون النسبة الأكبر (86.35%) أو من خارجها (13.64%). موقع مدينة تيارت في نقطة التّقاء مهمة بين الأوساط السّهبية جنوبا والتّلية شمالا وكونها محور ربط بين عدة ولايات، وأيضا أهميتها في الشّبكة العمرانية الوطنية منحها هذه الميزة، إضافة إلى دورها الإقليمي في المنطقة، فهي نقطة التّقاء نظرا لعدم تشبع بعض خطوط المواصلات بوسائل نقل مباشرة خاصة ببلدياتها الرّيفية.

¹ تم تجميع محطات النّقل البري في نفس المنطقة بالقرب من السوق الأسبوعية والميناء الجاف، تضم محطة مخصصة للنّقل الجماعي بين بلديات الولاية وأخرى للنّقل الجماعي بين الولايات، والثالثة موجهة لسيارات الأجرة بين البلديات والرابعة لسيارات الأجرة بين الولايات.

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسرسو

الجدول رقم 97: التّحركات في مدينة تيارت حسب مكان القدوم والسبب

مكان القدوم	عبور	ممارسة التجارة والتسوق: العرض التجاري متنوع والأسعار معقولة	التعليم العالي (الجامعة وشبه طبي) والتكوين المهني	العمل	العلاج وتوفر الخدمات الطبية المتنوعة	خدمات ادارية	أخرى	المجموع
السوق		3	5	3	2	4	1	18
الدّاحموني	1	4	5	5	1	3	1	15
فرنّدة		4	1		3	3		11
قرطوفة		3		3	2	2		10
مدروسة	5		1				3	9
حمادية	6		6			2		9
ملاكو		6		2	2	1		9
قصر الشّلالة		5		1	2			8
الرحوية		2	2		4			8
الرّشايقة	2		1		2	1		6
تخمرت	2		3	1				6
ع بوشقيف	1	2	1	1		1		6
عين الحديد	2	1	2		1			6
سيدي بخني		3		2				5
مهدية			1	3	1			5
سي عبد الغني	2	1	1				1	5
توسنينة			1				2	3
عين الذهب	2			1				3
عين كرمس				2				2
سيدي بلعباس	5		2		1		1	9
غليزان	4			2	1			7
تيسمسيلت	1	3	1	1	1			7
سعيدة	3						3	6
البيض	1	1				2	1	5
وهران				2			2	4
مستغانم				1			2	3
المجموع	37	36	28	25	23	19	15	185
%	20,00	19,46	15,14	13,51	12,43	10,27	9,19	100,00

المصدر: تحقيق ميداني بالمحطات البرية لنقل المسافرين (نقل عمومي وسيارات الأجرة) تيارت 2019

رفعت حلقة الوصل التي تلعبها تيارت نسبة التردد عليها، كما سهل تجميع مختلف وسائل النقل في مكان واحد بخلق مجموعة محطات متجاورة على هيئة محطة برية متعددة الأنماط (نقل حضري، شبه حضري، جماعي ولائي ووطني بواسطة الحافلات وسيارات الأجرة) الحركة والتنقلات بين أحيائها، كما أنها قلصت بعض الشيء

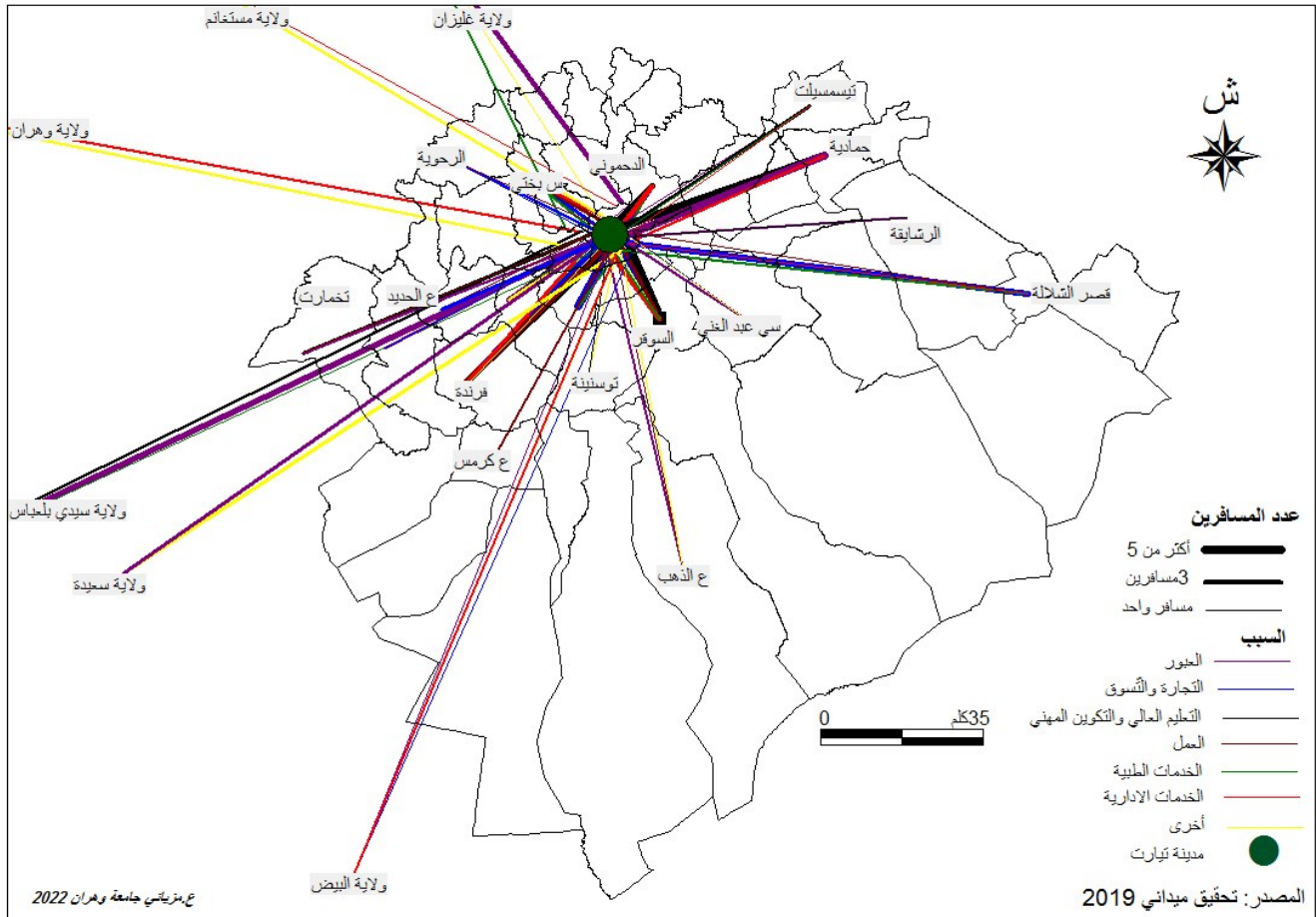
من التكلفة المادية ووفرت على المسافرين الوقت والجهد. فقد وجدنا حسب نتائج التحقيق الميداني أن 20% من المبحوثين، يقومون بأكثر من تنقل للوصول الى وجهتهم النهائية وهذه التنقلات تتم مرورا بمدينة تيارت. ترتفع نسبة المترددين يوميا على مدينة تيارت (الجدول رقم 97) قودما من البلديات الكبيرة مثل السّوق وفرنّدة وقصر الشّلالة، والبلديات القريبة منها مثل قرطوفة والدّحموني، بينما تقلّ نوعا من البلديات الجنوبية باستثناء عين الذهب، نظرا لوجود مدينة السّوق التي تلعب دورا مركزيا في المنطقة السّهية لتيارت. يجذب سكان البلديات الشمالية نحو تيارت وخاصة الرّحوية وسيدي بختي، رغم أنّ سكان سيدي بختي يشغلون أكثر مع فرنّدة نظرا لتوفر وسائل النّقل والقرب، وهي منطقة عبور أيضا بالنسبة لهم اتجاه تيارت، بعض البلديات تدفقاتها ضئيلة نحو تيارت نظرا لعدم توفر وسائل النّقل مباشرة. تتعدد أسباب التدفقات نحو تيارت، أهمها التّعليم العالي والتّسوق. تلعب مؤسسات التّعليم العالي وأيضا المعاهد الوطنية للتّكوين المهني المتخصص، دورا كبيرا وسببا في التّحركات اليومية نحو تيارت من مختلف بلدياتها وخاصة القريبة منها ومشبعة بخطوط المواصلات وأيضا من بعض الولايات المجاورة وخاصة تيسمسيلت. فقرب المسافة يسهل على الطّلبة الرّجوع يوميا إلى منازلهم. تتقارب نسب دوافع العمل والخدمات الطبية المتنوعة وأيضا التجارة والتّسوق، نظرا للعرض المتنامي والأسعار التنافسية. بينما تقلّ نسبة الترددات من خارج الولاية، تقتصر على ولايات الغرب في معظمها بسبب العبور إلى ولايات الجنوب (الخريطة رقم 56).

تعتبر تحولات سلوكيات المجتمع وتغيير أنماط الاستهلاك مغذي رئيسي لتنقل السّكان اتجاه المراكز الحضرية (تيارت، وتيسمسيلت)، لتحقيق رغباتهم الاستهلاكية حتى وان توفرت في أماكن اقامتهم غير أنّها لا تكون بنفس الجودة والمواصفات كتلك الموجودة غالبا في المجمعات الحضرية الكبرى. كما يعتبر التّسوق أحد أهم أسباب التّنقلات بسبب تنوع العرض التجاري والأسعار التنافسية والتخفيضات الموسمية التي غالبا تتوفر في المراكز التّجارية بالمدن الكبرى. يعيش بعض السّكان في السّرسو ممارسات حضرية جديدة كالنّقل إلى مدينة تيارت من أجل تناول وجبة العشاء خاصة في فصل الصيف، وقد ساهم في ذلك امتلاك السيّارة الخاصة.

تتعايش الأنشطة المتنقلة مع الأنشطة الثّابتة وتندمج أنشطة الحياة المهنية وتتداخل مع أنشطة الحياة الخاصة، ونتيجة لذلك، تصبح وسائل النّقل أيضا داعمة لأنواع أخرى من الأنشطة، ونظرا لتكلفة النّقل الزّمانية والمكانية وعناؤها خاصة بالنسبة لسكان المناطق المعزولة، يضطر هؤلاء إلى اعتماد أسلوب التّزامن بين الأنشطة خلال حركة واحدة مع تحركات متعددة في المدينة نفسها بوسائل نقل ولأغراض مختلفة، فقد وجدنا حسب التحقيق الميداني أن نسبة 42% من المحقق معهم وحدو بين الخدمات الحضرية وبين أغراض العمل لنفس الوجهة وفي نفس اليوم، كالجمع بين مراجعة الطّبيب، الفحوصات الطّبية والتّحاليل، اقتناء الأدوية والتّسوق والاستفادة

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسّرسو

من الخدمات الإدارية إن كانت هناك حاجة لذلك في نفس اليوم. هذا التّزامن يتولد عنه تحرك متعدد الأنماط والوسائل (المشي، النّقل الحضري (حافلة أو سيارة أجرة). لهذا السّبب من الضّروري التّجميع المكاني لأكبر عدد ممكن من الأنشطة حول اتجاه رئيسي لتقليل التّنقلات وترشيد المسافات المقطوعة، نظرا للعناء الذي يتلقاه الأفراد أثناء تنقلهم نحو المناطق الحضرية بشكل عام.



الخريطة رقم 56: التّنقلات اليومية نحو مدينة تيارت حسب بلدية القوم وسبب التنقل

يرتبط تطور أساليب التّجارة المختلفة وانتشارها المكاني بسلوك المستهلك من جهة والمنافسة من جهة أخرى، ممّا يساهم في بناء الفضاء المحلي، كما أن ممارسة التّجارة كنشاط (التّجار والمتعاملين) أو كخدمة (الزّبائن) يتطلب تنقلات للطرفين ويولد التّبادلات بين المراكز، لذلك يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار في السياسات العامة للتنمية الإقليمية والتنمية المستدامة (Pouzenc,2016).

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسرسو

لا تقتصر ممارسة التجارة في مدينة تيارت على سكانها المحليين، بل تستقطب تجارا من أصول جغرافية مختلفة، معظمهم شباب وذو مستويات تعليمية مختلفة يقودون الديناميكية التجارية التي تعيشها المدينة (Bekkouche et Otmane, 2020). أصبحت تيارت جاذبة في السنوات الأخيرة لتجار شباب من الشرق الجزائري وخاصة من ولاية سطيف وتيزي وزو رغم أن النسبة الأكبر يمثلها نشطين من بلدية تيارت تليها بعض المجمعات الكبيرة مثل فرنندة والسوقر والبلديات الصغيرة من السرسو عين بوشقيف والدحموني وملاكو وبعض البلديات الجبلية مثل الرحوية، سيدي الحسني قرطوفة. رغم أن التجار الشباب الذين ينحدرون من ولاية سطيف لا يقتصرون في توطنهم التجاري على مدينة تيارت فقط، بل أصبحت ظاهرة تغزو معظم المجمعات الحضرية الكبيرة بالغرب الجزائري.

الجدول رقم 98: الأصل الجغرافي للتجار (تيارت وتيسمسيلت)

الولاية	البلدية	العدد	النسبة %	الولاية	البلدية	العدد	النسبة %
تيارت	تيارت	61	61	تيسمسيلت	تيسمسيلت	50	50
	فرنندة	5	5		خميسي	12	12
	السوقر	4	3		العيون	7	7
	عين بوشقيف	3	3		ثنية الحد	5	5
	الدحموني	2	3		برج بونعامة	3	3
	قرطوفة	2	2		عماري	2	2
	الرحوية	2	2		المعاصم	1	1
	سيدي الحسني	2	2		عين الدفلى	5	5
	ملاكو	1	1		الشلف	4	4
	سطيف	4	4		ولايات الوطن	سطيف	3
تيزي وزو	4	4	تيارت	3		3	
تيسمسيلت	3	3	البلدية	2		2	
المسيلة	2	2	غليزان	1		1	
البلدية	1	1	المجموع	100		100	
الأغواط	1	1					
تيزازة	1	1					
غرداية	1	1					
غليزان	1	1					
المجموع	100	100					

المصدر: تحقيق ميداني (2019)

استقطاب المجمعات الكبيرة للتجار من خارج مجالها ظاهرة موجودة أيضا بمجمعة تيسمسيلت، حيث يجذب إليها نشطين في القطاع من بلدياتها القريبة خاصة بلدية خميسي بأعلى نسبة تليها ثنية الحد، وبعض البلديات

الريفية القريبة منها مثل عماري والمعاصم والبعيدة أيضا، كما تستقطب تجارا من الولايات الأخرى وخاصة من عين الدفلى، تليها الشلف وسطيف والولايات الشمالية خاصة البليدة ممن ينشطون في تجارة الملابس والأحذية على مستوى المركز التجاري فاميلي شوب. لعبت المراكز التجارية الكبيرة دورا مهما في جذب التجار من خارج الولاية.

5. العلاقات المكانية (مدينة-ريف) في السرسو تبادلية ذات اتجاهين

1.5 التنقل اليومي لسكان المجمعات الصغيرة والريفية، أنماط متعددة واتجاهات مختلفة

يعتمد السكان أثناء تنقلاتهم اليومية أو الموسمية على عدة أنماط ووسائل، أهمها النقل الجماعي بواسطة الحافلات بالمناطق التي تشهد خطوط مواصلات رسمية، أو تلك المناطق الريفية التي تقع على محاور الطرقات وتعبرها وسائل النقل المختلفة وقد سجل التنقل بهذه الوسيلة (27.14 % من أرباب الأسر المحقق معهم)، بينما المناطق المعزولة أو غير مجهزة بخطوط المواصلات وحتى تلك غير مشبعة بوسائل النقل فتعتمد على النقل غير الرسمي بنسبة 9.71 %. كما أن ارتفاع امتلاك السيارة الفردية (34.86 %) سهل التنقل نحو المجمعات الأخرى وحفز التبادلات الريفية والحضرية، وثبت بعض السكان وحفز آخرون على الاستقرار بالمجمعات الصغيرة، وهو مؤشر يدل على تحسن مستوى دخل الأفراد.

تعاني المناطق الريفية بالسرسو من تغطية سيئة جدا بالنسبة لخدمات النقل رغم توفر خطوط المواصلات (110 خط يربط بين مختلف البلديات والمجمعات الريفية) إلا أنه لا يوجد إقبال على تشغيل هذه الخطوط (23 خطا) من طرف المتعاملين في القطاع لأنها غير مربحة بسبب ضعف العلاقات والتحركات بين بعض منها، فالخوفا هدهم تجاري لذلك يقبلون على الاستثمار في الخطوط التي تشهد ارتفاعا في نسبة التدفقات، هذا العجز يدفع بالسكان إلى التنقلات غير المباشرة لوجهاتهم المختلفة كما ذكرنا سابقا، خاصة اليومية منها وعلى الأخص لغرض العمل، وهنا يتوجب تدخل الدولة باعتبارها الفاعل الرئيسي في إمداد وتنظيم النقل في التجمعات المعزولة.

وجدنا من خلال التحقيق الميداني أن سكان المناطق الريفية يعتمدون في تنقلهم على العتاد الفلاحي (5.43 %) أو عتاد نقل البضائع (6.00 %) نظرا للعجز المسجل بمناطق إقامتهم، خاصة بالقرى والتجمعات السكانية المعزولة مثل مجمعة سي عبد المؤمن جنوب غرب السرسو، دوار الغوالم ببوقارة، قرية حجيج وقرية حرملة بالرشايق.

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسرسو

يعتمد سكان هذه التجمعات على سلسلة رحلات واستعمال أكثر من وسيلة نقل أثناء تنقلهم للوصول إلى الوجهة النهائية¹ نظرا لتوزيعهم المكاني المبعثر ونقص شبكة الطرق وعدم تشبع بعض خطوط المواصلات وانعدامها في بعض المناطق، وهو ما يدفعهم لاستعمال النقل غير الرسمي لتجنب هذه السلسلة من التنقلات. رغم مشقة الرحلة وتكلفتها إلا أنهم يقومون بها وهنا يظهر مدى الارتباط القوي بين المناطق الحضرية والريفية.

الجدول رقم 99: أنماط تنقل سكان المناطق الريفية (التنقلات حسب الوسيلة المستعملة)

وسيلة النقل	العدد	النسبة
سيارة خاصة	122	34,86
نقل جماعي	95	27,14
سيارة أجرة	41	11,71
سيارة أجرة غير رسمية	34	9,71
شاحنة	21	6,00
عتاد فلاحي	19	5,43
مشيا على الأقدام	18	5,14
المجموع	350	100,00

المصدر: تحقيق ميداني (2019)

تنامي امتلاك السيارات الخاصة بسبب القروض التي تمنحها البنوك لشراء السيارات وأيضا الانفتاح التجاري ووجود عملاء لمختلف الماركات العالمية (Akkach Maacha, 2011). تعتبر السيارة إحدى شروط عصرنة أو تحديث عالم الريف، فامتلاكها كُفّ لعلاقات التبادلية بين القرى والمراكز العمرانية الكبرى، ودعمته في ذلك تطور وسائل النقل الجماعية والطرق.

2.5 العلاقات الحضرية الريفية، إقامة ريفية وعمل حضري

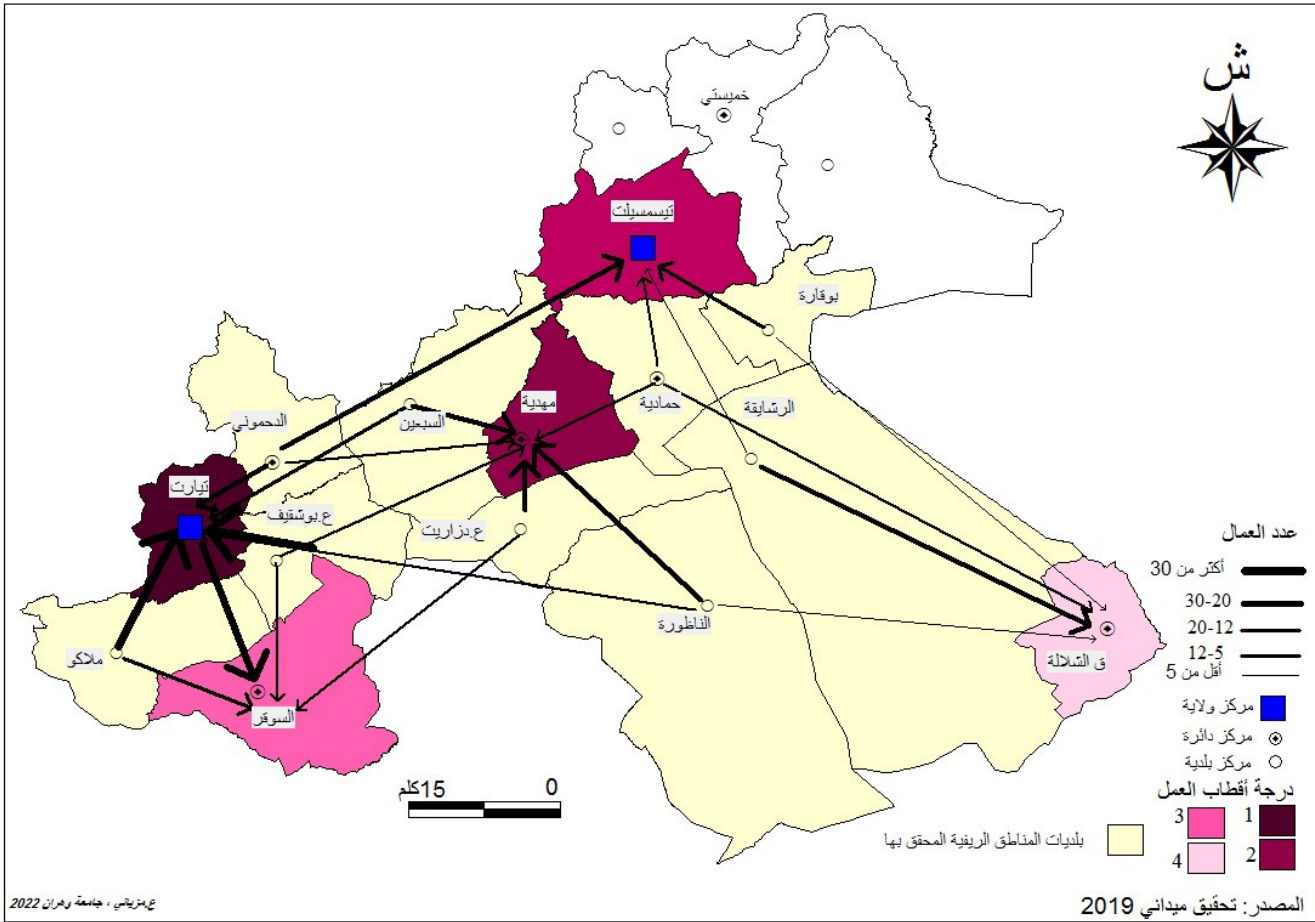
التنقل له تأثير في إنتاج الفضاء، من خلال ربط أماكن معينة. فهو يساهم في إنشاء توصيلات مكانية التي تربط وتضبط كائنات المجتمع في ترتيب معين (Tabaka, 2009). لذلك فالتنقل الفردي يمنح كل فرد سلطة تنظيمية على المكان، الذي يختار أن يقيم فيه أو ينفذ فيه أنشطته " (Orfeuill and Massot 2005). لعل أهم أنشطة الأفراد هي العمل أو الوظيفة الذي يمارسونها يوميا وتستدعي تنقلهم إليها بمختلف الأنماط والوسائل، سندرس في هذه الجزئية التحركات اليومية للأفراد المقيمين في الأرياف بغرض العمل، لنوضح إحدى أوجه العلاقة بين المدينة والريف.

¹ وجدنا من خلال التحقيق الميداني أن سكان المناطق المعزولة يستعملون أكثر من وسيلة نقل من أجل الوصول إلى الوجهة النهائية، أي القيام بسلسلة من الرحلات لغرض واحد وهذا ما يحصل غالبا في الأماكن المعزولة وغير مجهزة بشبكة مواصلات مشبعة. فالمنتقل من قرية الخول (بلدية بوقارة) إلى تيارت مثلا يتوجب عليه الانتقال إلى بوقارة أولا بواسطة سيارة أجرة غير مرخصة أو توقيف أي سيارة بالطريق، ثم استعمال النقل الجماعي باتجاه حمادية، ثم يمضي على الأقدام للوصول إلى محطة النقل الجماعي باتجاه تيارت حتى يتمكن من إكمال طريقه نحو وجهته الرئيسية

وجدنا من خلال التّحقيق الميداني في القرى والمناطق الرّيفية لرسو تيارت أنّ ما يفوق نصف أرباب الأسر (55.42%) يشتغلون بالمناطق الحضرية بمختلف مستوياتها في وظائف حضرية أيضا داخل وخارج السّرسو. تشكل تيارت كمدينة كبيرة أهم قطب حضري مهيم للعمل (33.51%)، تليها مهدية (21.13%) تيسمسيلت (15.46%) السّوقر (13.92%) وأخيرا قصر الشّلالة (7.12%) بينما النّسبة المتبقية تشتغل بمختلف ولايات الوطن (الخريطة رقم 57).

يستحوذ القطاع الثالث (تجارة وخدمات) على ما يفوق 57% من المشتغلين بقرى السّرسو، وهي أنشطة تتوفر غالبا في المناطق الحضرية، فالديناميكية التّجارية بهذه الأقطاب وخاصة تيارت، خلقت فرص عمل خاصة للشباب، لأن العمل في التجارة بالمدن التي تشهد ديناميكية لا يتطلب توفير محل قار، فيمكن ممارستها في الشوارع وبالقرب من المراكز التّجارية كما يجد سكان المناطق الرّيفية بالمجمعات الحضرية الكبرى أيضا فضاء لتسويق المنتجات الفلاحية وخاصة الخضّر. يشتغل 16% من سكان المناطق الرّيفية المحقق معهم في قطاع البناء والشغال والعمومية، وهو قطاع نشط بسبب ديناميكية التّعمير وخاصة في قطاع السّكن بالمجمعات الكبيرة، التي تستقطب العمالة الرّيفية لأنها لا تتطلب شهادات متخصصة، كما أن الأجر فيها يكون أسبوعيا وهو ما يجعل الاقبال عليها، رغم أنها شاقة ولا تضمن عملا دائما.

أدى تحرير قطاع النّقل وتطوير البنية التّحتية للطرق بمختلف أنواعها ولاسيما السّريعة منها، إلى تغيير العلاقة بين المدينة والريف، فالزيادة في السّرعة قلصت المسافة وسمحت بالوصول إلى مناطق جديدة للأسر مهما كانت بعيدة أو سيئة التّجهيز، فامتلاك السيّارة الخاصة في الوسط الريفي وشبه حضري (34.86%) كثف العلاقات التّبادلية بين القرى والمراكز العمرانية بمختلف مستوياتها وعزز التّحركات نحوها لأغراض متعددة، كما سمح باندماج السّكان اجتماعيا واقتصاديا، إذ تم بعث بعض الأنشطة التّقليدية من خلال عمل المرأة في البيت كالخياطة وصناعة المأكولات التّقليدية، التي تجد لها سوقا بالمراكز الحضرية الكبرى لاسيما تيارت كأكبر سوق استهلاكي ثم تيسمسيلت ومهدية والسّوقر وبالتالي دعم الدّخل العائلي الذي لا يبقى مقتصرًا على النّشاط الزراعي أو الوظائف فقط، حيث بلغت نسبة النّساء اللواتي يمارسن هذه الأنشطة 11%. كما أصبحت السيّارة الخاصة أيضا توفر عملا لمالكها وتوفر له دخلا باستخدامها في خدمة النّقل غير الرسمي، خاصة بالمناطق المعزولة التي تشهد ضعف في شبكة المواصلات.



الخريطة رقم 57: التّحركات السّكانية في السّرسو بغرض العمل

3.5 التّجارة أهم أوجه العلاقة الوظيفية بين المدينة والريف:

تتوزع الهياكل التّجارية بمختلف أنواعها (الرّسمية والموازية) بالسّرسو توزيعاً غير منتظم، إذ تتركز بالمجمعات العمرانية الكبيرة وخاصة تيارت وتيسميسيلت، باعتبارهما أكبر سوق استهلاكي نظراً لحجمهما السّكاني من جهة وكونهما مراكز ولائية من جهة أخرى. تنوع البنية التّجارية بالمجمعات الكبيرة جعلها تستقبل ترددات يومية مهمة من المناطق الرّيفية القريبة منها التابعة لها إدارياً أو للولايات المجاورة لها. تشكل العلاقات التّجارية بين المجمعات حلقات متعددة، حسب المواد المرغوب اقتنائها، باستثناء الخضار والفواكه إذ لها خصوصية لأنّها من التّجارة الغذائيّة. تنتقطب التّرددات في السّرسو حسب التّحقيق الميداني حول المجمعات التي توجد بها الأسواق اليومية وخاصة تيارت وتيسميسيلت.

تلعب تيارات هذا الدور بشكل عام بالنسبة للمجمعات القريبة منها مثل ملاكو، الدّحموني وعين بوشقيف، ولكن مع المجمعات الريفية بشكل خاص. يعتمد نصف سكان مجمعة عين مصباح اعتمادا كليا وحصريا على المحلات التجارية وأسواق مدينة تيارت (تحقيق ميداني)، بينما النسبة المتبقية فتنقسمها المحلات الموجودة في المجمعة نفسها والأسواق الأسبوعية المجاورة وخاصة سوق السّوقر وتيارت ونسبة قليلة تعتمد على سوق سي الحواس. بينما يعتمد سكان المجمعات الأخرى وخاصة البعيدة عن مدينة تيارت على التجارة الأولية المحلية، فسكان الرّشايقة يقتنون مشترياتهم الغذائية مما توفر بالمجمعة نفسها، ويدعمون ذلك بنسبة تفوق 20% اعتمادا على أسواق ومحلات حمادية، ويحتفظ نسبة 10% منهم بعلاقتهم مع قصر الشّلالة خاصة بسوقها الأسبوعي المشهور محليا، وأيضا لقرب المسافة وتوفر المواصلات ولأنّها كانت سابقا تابعة لها إداريا. أمّا سكان مجمعة السّبعين، فلهم ارتباط واسع بمجمعة سي الحواس، خاصة وأنّها أكثر ديناميكية مقارنة بالسّبعين، حيث أنّ أكثر من نصف سكانها (55,50%) يترددون على محلات اليومية بمجمعة سي الحواس، قصد التبضع وأيضا لسوق الثلاثاء الأسبوعي، بينما يتجه ثلث السّكان إلى مهدية. كما يعتمد ما يقارب ثلثي سكان عين بوشقيف بالنسبة للمواد الغذائية على المحلات اليومية بالمجمعة، و20% منهم تعتمد بشكل كبير على سوق السّوقر¹ الأسبوعي ثم سوق تيارت. بينما يجذب سكان عين دزاريت نحو سوق السّوقر بنسبة أكبر (63,6%) مقارنة بسوق مهدية التابعة لها إداريا.

ترتكز الثّنائية حضر ريف على شبكة كثيفة من العلاقات الاقتصادية أساسها الرّزاعة، فقد ساهمت هذه الأخيرة في تطوير أشكال متعددة من تسويق المواد التي تنتج في الريف، سواء المنزلية (مواد غذائية ومنتجات تقليدية) التي تجد لها سوقا استهلاكية في الأوساط الحضرية الكبيرة، أو الفلاحية من خلال مبادرات فردية في تسويق المنتجات بشكل مباشر، ببيعها على حواف الطّرق التي تشهد حركة مرور كثيفة وأيضا بالأحياء التي تفتقر للأسواق الجوارية بالمجمعات الحضرية مثل تيارت ومهدية، بواسطة سيارات نقل البضائع (شاحنة أو سيارة بمقطورة)، واستعمالها لنقل المنتجات لتجار التّجزئة وأيضا كفضاء للبيع في الأسواق الأسبوعية المحلية أو القريبة (سوق السّوقر، سوق حاسي فحول و قصر الشّلالة) (أنظر الفصل السّابع).

¹ يطلق عليه سكان المنطقة اسم سوق السّبت، تكرر ذكره في كل مجمعات المنطقة في استمارات التحقيق الميداني.

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسرسو

يختلف الأمر كليا بالنسبة لشراء الملابس والأحذية وما يتعلق بالأفرشة والأواني المنزلية والكهرومنزلية، فنجد أن تحركات السكان بغرض شراء هذه المواد يتجه بشكل كبير نحو المراكز التجارية بالمجمعات الحضرية وخاصة تيارت¹، ثم تيسمسيلت في المرتبة الثانية، وهنا يبدأ دورها يظهر بشكل كبير فيما يخص تجارة هذه المواد بالنسبة للمجمعات القريبة منها شرق السرسو، وتلك التابعة إداريا لولاية تيارت، خاصة بوقارة وحمادية،



إذ تساهم المسافة وتوفر وسائل النقل هذا التوجه، كما أن العرض التجاري بأسواق تيسمسيلت اليومية وأسعارها التنافسية وخاصة سوق السبالة للخضر والفواكه (الصورة 63) وسوق حي السبع دور هام في ذلك، وتليها مهدية خاصة المجمعات التابعة لها إداريا (الناظورة، عين دزاريت والسبعين).

الصورة رقم 63: سوق السبالة اليومي للخضر والفواكه بتيسمسيلت (بقرانة ودريش، 2022)

نستنتج مما سبق أنّ المشتريات تنتج بنية متعددة المراكز لصالح المراكز التجارية الموجودة بالمجمعات الحضرية، دون الإخلال بالتسلسل الهرمي الحضري.

تلعب الأسواق الأسبوعية دورا أيضا في رفع التردد وتعمل على استقطاب السكان ولاسيما من المجمعات الريفية القريبة والبعيدة وخاصة تلك الأسبوعية المشهورة² بالمنطقة مثل الرشايق وقصر الشلالة بالنسبة للجهة الجنوبية الشرقية للسرسو، سي الحواس ومهدية إلى غاية تيسمسيلت بالنسبة لوسط وشرق السرسو، بينما المنطقة الغربية فتتقطب حول أسواق تيارت سواء السوق الأسبوعي أو الأسواق اليومية وسوق السوقر ذو البعد الجهوي جنوبا. تصنع التجارة علاقات تبادلية بين المدن فيما بينها وبين المدينة والريف أيضا، ولدراسة هذه الجزئية اعتمدنا على نتائج التحقيق الميداني بسوق الجملة للخضر والفواكه ببلدية تيارت فيما يتعلق بالأصل الجغرافي للتجار المترددين عليه وذلك يوم 28 مارس 2021.

¹ تقريبا كل إجابات المحقق معهم ذكرت تيارت كمكان مفضل للشراء نظرا لتنوع العرض التجاري واعتدال الأسعار.
² مشهورة من وجهة نظر قدم تواجدها وأيضا لما توفره من عرض مناسب كما وكيفا وسعرا.

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسرسو

الجدول رقم 100: الأصل الجغرافي لتجار سوق الجملة للخضر والفواكه بمدينة تيارت

الولاية	البلدية	العدد	النسبة %
تيارت	تيارت	13	16,46
	الرّشايقة	8	10,13
	السّوقر	4	5,06
	عين الذهب	4	5,06
	مهدية	3	3,80
	فرنّدة	2	2,53
	حمادية	1	1,27
	مجموع ولاية تيارت		
ولايات الوطن	عين الدّفلى	16	20,25
	معسكر	13	16,46
	البليدة	7	8,86
	غليزان	5	6,33
	ميلة	3	3,80
المجموع خارج الولاية			55,70
المجموع الكلي			100,00

المصدر: تحقيق ميداني مارس 2021

لا تقتصر تجارة الجملة للخضر والفواكه في سهل على المقيمين به بل تجذب نشطين فيها من داخل وخارج المنطقة، لأنّ خصوصية النشاط تستدعي ذلك. وجدنا حسب التّحقيق الميداني أن ما يفوق نصف التّجار المترددين على السّوق في ذلك اليوم هم من خارج الولاية (55.70 %) أما النّسبة المتبقية فنتوزع على مختلف بلديات الولاية وخاصة بلدية تيارت في المرتبة الأولى تليها بلدية الرّشايقة (الجدول رقم 100). ويرجع عدم إقبال التّجار من داخل ولاية تيارت على هذه السّوق وحسب ما صرح به التّجار أنفسهم والعمال القائمين على السّوق، أن النّشيطون في تجارة الجملة للخضر والفواكه من داخل الولاية يتوجهون غالبا إلى أسواق المنطقة الغربية وخاصة سوق تيغنيف بولاية معسكر وسوق اللّيل بولاية مستغانم، ونحو الجنوب (أدرار وتمنراست) لتسويق منتوج البطاطا في موسميّه وتسويق البطيخ والشّمام في فصل الصّيف، بينما تجذب سوق تيارت تجارا من الغرب والوسط أكثر، ما يجعل تيارت في علاقة تبادل مهمة في مجال الخضر والفواكه مع ولايات الشّمال والجنوب على حد سواء.

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسّرسو

الجدول رقم 101: أماكن التسوق لتجار التجزئة (محلات المراكز التجارية) بمدينتي تيارت وتيسمسيلت

المجموع	مواد التجميل	الذّيكور والزينة	الأجهزة الكهرو منزلية	الأواني المنزلية	الأحذية	القماش والأفرشة	الساعات والإكسسوارات	الملابس	
44	1	1	11	15	1	3	12	0	العلمة
36	2	4			10	7	5	8	البليدة
32	3	3	3		3	6	6	8	الجزائر
26	4	5		3	2	2	5	5	وهران
26		2	0	4	3	6		11	الجلفة (حاسي فبول)
17		1			2	4		10	غليزان (سيدي خطاب)
13	3		3	1	1		2	3	تيارت
6	1				2		1	2	خارج الوطن
200	14	16	17	23	24	28	31	47	المجموع

المصدر: تحقيق ميداني (محلات المراكز التجارية بمدينة تيارت وتيسمسيلت) 2019

تعكس التبادلات التجارية بين المجمعات الحضرية الكبرى في السّرسو مع باقي ولايات الوطن انفتاحه على عالمه الخارجي من جهة، والديناميكية التجارية التي يشهدها من جهة أخرى (الجدول 101). يعتمد تجار المراكز التجارية بالسّرسو في اقتناء السلع بشكل كبير على سوقي العلمة التي تعتبر إحدى الحلقات الوطنية في التجارة العالمية، خاصة بالنسبة للساعات والإكسسوارات وأيضا الأفرشة، بينما يجذبون نحو أسواق البليدة لتوفير الأحذية، أما الملابس فتركز المحلات التي تعتمد في تجارتها على الجودة وتتميز بالأسعار المرتفعة على أسواق الجزائر العاصمة، بينما يعتمد تجار الملابس ذات الأسعار المعقولة على أسواق حاسي فبول وسيدي خطاب وهي تلك المحلات الأكثر انتشارا بالمراكز التجارية المتواضعة.

6. التجهيزات ذات المستوى العالي عززت العلاقات الريفية الحضرية

لعبت الترقية الإدارية في السّرسو سنة 1984 دورا مهما في تجهيز المجمعات العمرانية المرقاة بشبكة من المرافق العمومية تنماشى ووظيفتها الإدارية الجديدة، وان كانت أهميتها محلية فقط لكنها صنعت نسيجا من العلاقات مع محيطها القريب، وفي نفس الوقت مع المراكز الحضرية الكبيرة وخاصة تيارت وتيسمسيلت نظرا لوجود المرافق ذات الخصائص العالية كالمستشفيات، هياكل التعليم العالي والتكوين المهني، بينما يأتي التعليم الثانوي في مرتبة ثالثة نظرا لتجهيز مراكز المجمعات الصّغيرة بالثانويات حيث تستقبل تلاميذ القرى المجاورة لها، لذلك يبقى التعليم العالي والمعاهد الوطنية للتكوين المهني الموجودة في المراكز الحضرية الكبيرة والمتوسطة قوى جذابة، وتولد تدفقات حركة للتلاميذ والطلاب. هذا يؤدي إلى التنقل الوظيفي الذي يحدث بالتأكيد وفقا لمنطق جغرافي ولكنه إداري أكثر (Yousfi,2012).

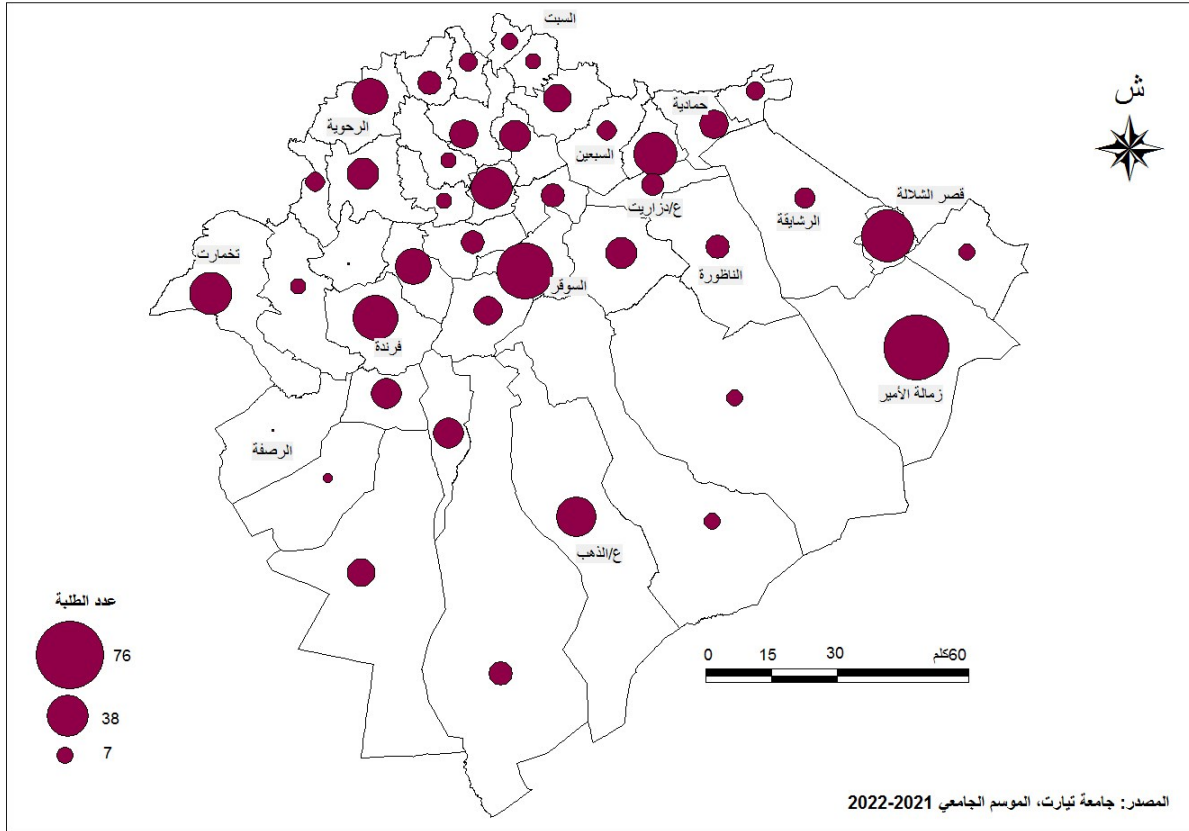
1.6 المعاهد والجامعات نشطت التعمير بتيارات وتيسمسيلت وأنعشت التّحركات اليومية

تطور النّسيج الجامعي ومؤسسات التّعليم العالي بالجزائر بعد الاستقلال، جعل السّرسو إحدى المحطات التي استفادت من مؤسسة جامعية في 1980 بإنشاء مركز جامعي بتيارات يضم معهدين وطنيين عاليين في بداية انطلاقه بتخصصات تتماشى وطبيعة المنطقة الزراعيّة الرعوية، المعهد الوطني العالي للبيطرة ذات بعد جهوي والعلوم الفلاحية حيث يضم قسم العلوم البيطرية مستشفى فريد من نوعه في الجزائر، ومعهد آخر متخصص في الهندسة المدنية. توسعت الخريطة الجامعية بالسّرسو كغيره من مناطق الوطن، بإضافة أقسام وكليات بتخصصات جديدة وتوفير مختلف الهياكل الجامعية التي تضم الخدمات الجامعية كإقامة الطّلبة، مديرية الجامعة، حظيرة النّقل الجامعي، المكتبة المركزية والمسكن الوظيفية لعمال القطاع (أنظر الفصل الأول)، ساهم هذا التوسع في ارتفاع عدد الطلبة من جهة وتقليص مناطق توافدهم من جهة أخرى حتى يضمن التوازن بين مختلف الهياكل الجامعية في الوطن عموما والمنطقة الغربية على وجه الخصوص.

بلغ عدد الطّلبة خلال السّنة الجامعية 2019-2020 بجامعة تيارات 30514 طالبا (29881 طالبا بنظام ل م د، 633 طالب مسجل في نظام كلاسيك شعبة علوم البيطرة) منهم 99 أجنبيا، والباقي من مختلف ولايات الوطن ولاسيما من بلديات تيارات وتيسمسيلت (الخريطة 58)، كما يقيم بأحيائها الجامعية الثّمانيّة (6 بمدينة تيارات، واحدة بالسّوقر وأخرى بقصر الشّلاله) 11653 طالبا من جنسية جزائرية و142 طالب من جنسيات مختلفة أغلبها من دولة مالي، النّشاد والصّحراء الغربية (ديوان الخدمات الجامعية تيارات، 2020).

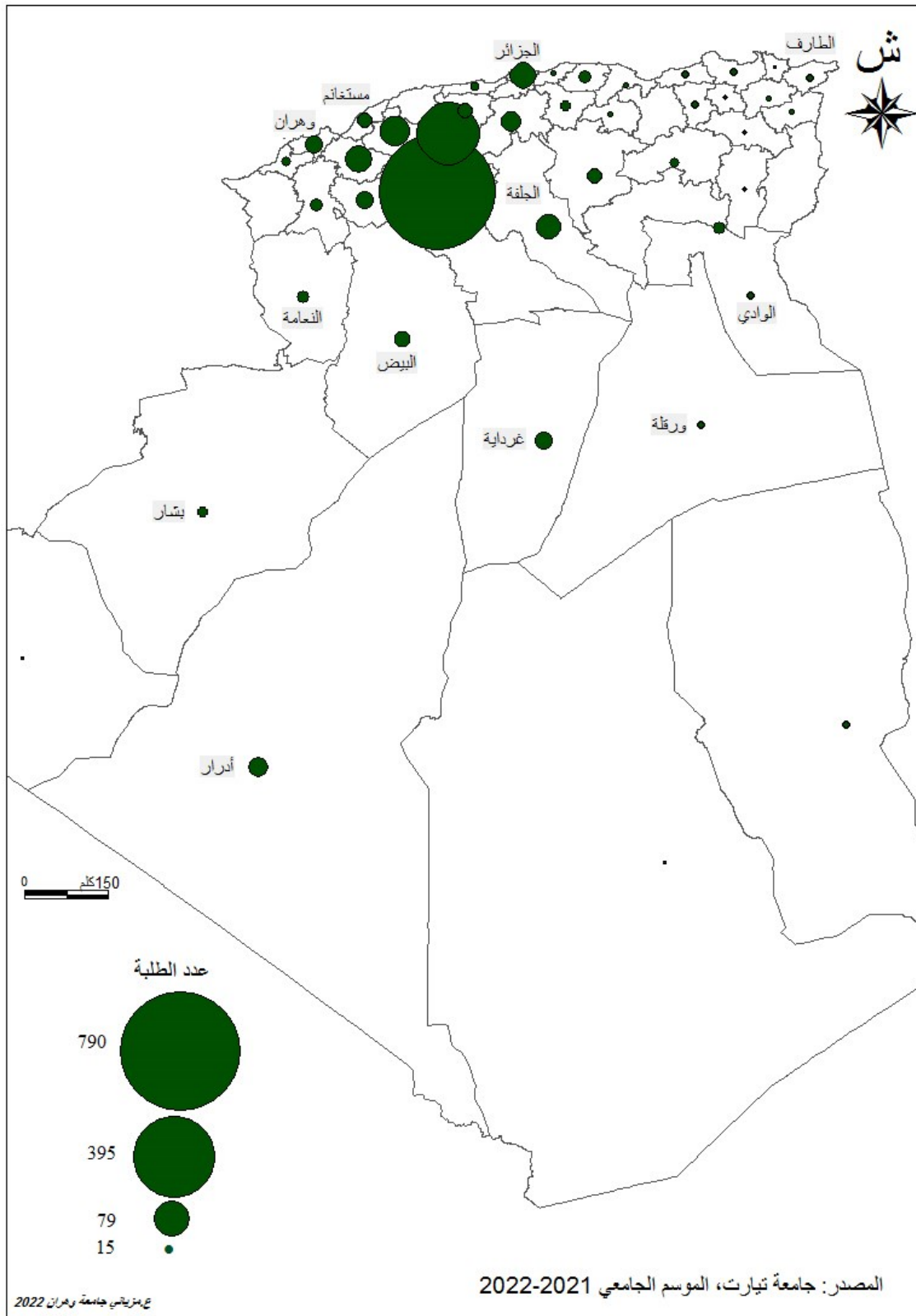
توسعت أيضا الخريطة الجامعية في السّرسو عن طرق الإنشاء الجديد، فقد استفادت تيسمسيلت أيضا من مركز جامعي في 2005 مع مختلف الهياكل والخدمات الجامعية سمح للمجمعة بالتّوسع شرقا على مساحة حوالي 66 هكتار قابلة للتّوسع مستقبلا. إنشاء مؤسسات التّعليم العالي وما ترتب عليها من هياكل إيواء وإطعام مركزي وأيضا برامج سكنية لعمال القطاع، شجع التّعمير بمناطق الإنشاء وحرك الهجرة اليومية اتجاهاها، كما نشط أيضا النّشاط التجاري المتخصص ولاسيما نشاط الإطعام، خدمات الإعلام الآلي والمكتبات والورقات خدمة للكّم الهائل من الطّلبة والمترددين على هذه المؤسسات التّعليمية.

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسرسو



الخريطة رقم 58: الأصل الجغرافي لطلبة جامعة تيارت سنة 2022 (بلديات الولاية)

بلغ عدد المسجلين الجدد للموسم الجامعي 2021-2022 بجامعة تيارت بمختلف التخصصات والشعب 1885 طالبا، أغلبهم من خارج الولاية بنسبة 53.47% (1008 طالبا)، أعلى نسبة قادمة من مختلف بلديات تيسمسيات (25.89%) تليها ولايات الشمال الغربي وتقل النسبة كلما اتجهنا شرقا (الخريطة رقم 59)، يمثل طلبة مختلف بلديات تيارت المرتبة الثانية (789 طالب) بينما لا يمثل الطلبة الأجانب إلا 4.67% (88 طالب).



الخريطة رقم 59: الأصل الجغرافي لطلبة جامعة تيارت سنة 2022 (خارج الولاية)

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسرسو

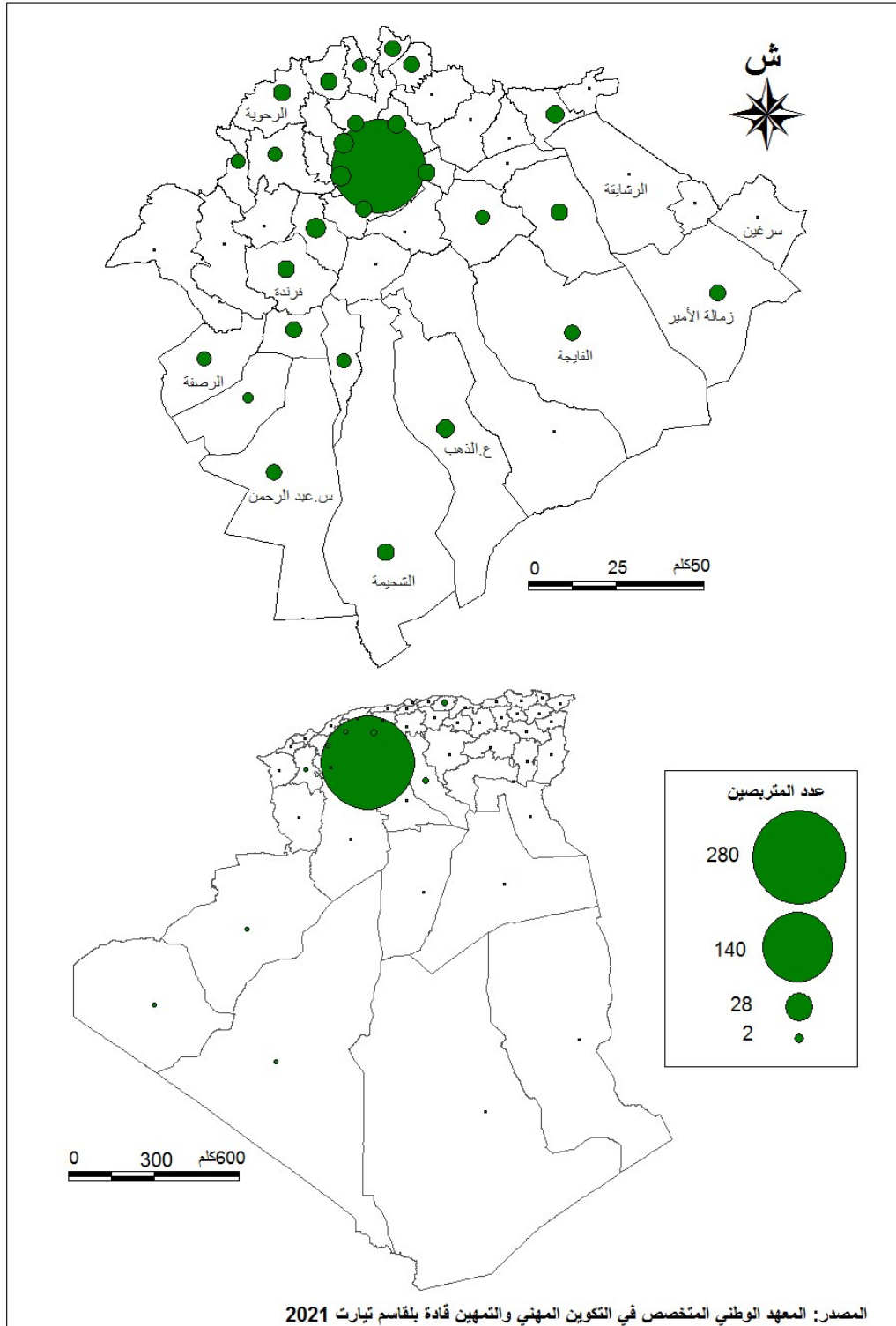
يستفيد كل الطلبة على حد سواء من خدمات النقل الجامعي الحضري والإطعام، بينما يستفيد أولئك القادمون من بلديات الولاية القريبة من خدمات النقل الجامعي شبه حضري، إلا أن خدمات الإيواء تقتصر على الطلبة القادمون من البلديات البعيدة. مكان قدوم الطلبة يتعلق بالخريطة الجغرافية المعدة من طرف وزارة التعليم العالي بالنسبة للولايات القريبة من تيارت، كما تستقطب الجامعة أيضا طلبة من مناطق بعيدة نظرا للتخصصات الموجودة فيها. التردد اليومي على الجامعة ومختلف هياكلها أنعش العلاقة بين تيارت والمناطق القريبة منها، وصنع علاقات تبادلية مهمة، ووفر وظائف مؤقتة لبعض الطلبة الذين أصبحوا يفضلون الجمع بين الدراسة والعمل في محلات الإعلام الآلي، وخدمات الإطعام بالقرب من الجامعة أو بمركز المدينة، فإقامتهم المؤقتة بمدينة تيارت فرصة مهمة لهم لإيجاد عمل إلى جانب الدراسة.

يعكس المعهد الوطني للشبه الطبي بتيارت، استقطاب الولاية للطلبة من مختلف بلدياتها ومن ولايات الوطن الأخرى أيضا، كونه يختص بتخصصات غير موجودة في معاهد أخرى، التوجيه إلى معهد تيارت مرتبط أيضا بالخريطة التي تعدها وزارة الصحة وتحديد مكان الدراسة حسب الإقامة، رغم تجهيز عدة ولايات مؤخرا بمعاهد مشابهة مثل الأغواط، تيسمسيلت، إلا أن اختلاف التخصصات الموجودة بكل معهد تفرض تحرك الطلبة وطنيا.

الجدول رقم 102: الأصل الجغرافي لطلبة المعهد الوطني لتكوين شبه الطبي

الولاية	عدد الطلبة	النسبة
تيارت	97	26.72
تلمسان	15	04.13
سيدي بلعباس	15	04.13
معسكر	27	07.44
غليزان	30	08.26
الشلف	21	05.78
عين الدفلى	19	05.23
المدية	11	03.03
تيسمسيلت	40	11.02
الأغواط	53	14.60
البيض	35	09.64
المجموع	363	100

المصدر: المعهد الوطني لتكوين شبه الطبي (مصلحة التمدريس) 2021



الخريطة رقم 60: الأصل الجغرافي لطلبة المعهد الوطني المتخصص في التكوين المهني والتمهين

كما تلعب المعاهد الوطنية للتكوين المهني، دورا مهما في نسج علاقات قوية بين تيارت والمناطق المجاورة لها، وتفسر الترددات اليومية والأسبوعية عليها، ولعل الدافع وراء استقطاب هذه المعاهد هي التخصصات المختلفة التي تدرس بها. يوجد بولاية تيارت خمس معاهد وطنية متخصصة في التكوين المهني والتمهين، اثنان منها بمدينة تيارت، وثلاثة بالمجمعات الحضرية الكبيرة (السوقر، فرندة وقصر الشلالة) إضافة إلى 21 مركز مهني بمختلف البلديات. يضمن قطاع التكوين المهني بولاية تيارت تكوين 8621 متربصا بمختلف التخصصات، منها 64 متربصا في الوسط الريفي، 3884 تكوينا إقاميا.

لدراسة استقطاب قطاع التكوين المهني، اخترنا المعهد الوطني المتخصص في التكوين المهني والتمهين "قادة بلقاسم" بمدينة تيارت (الخريطة 60)، لأنه أقدم معهد بالمنطقة، به تخصصات ما تزال تستقطب متربصين من داخل وخارج ترابها ولاسيما تخصص الميكانيك. بلغ عدد المتربصين في الموسم الدراسي 2019-2020 بهذا المعهد 657 طالبا، أكثر من نصف الطلبة مسجلون بالتكوين الإقامي (386 متربص ما يقابل 58,75%) أي أنهم يستفيدون من خدمات الإقامة الموجودة على مستوى المعهد، وهذه الخدمة تتعلق بالطلبة القادمين من خارج مدينة تيارت. أغلبية الطلبة المقيمون ينحدرون من مختلف بلديات الولاية تيارت، بينما نسبة ضعيفة منهم (13 متربص) قادمة من الولايات المجاورة والقريبة (تيسمسيلت وغليزان)، وخمس متربصين فقط من خارج الوطن من موريتانيا، مالي، النيجر والكمرون.

2.6 المؤسسات الاستشفائية، أدوات إدماج مجالية

تقاس التحركات من خلال التجهيزات الصحية ذات المستوى العالي والتوعوي كالمؤسسات الاستشفائية العمومية والمتخصصة والعيادات العمومية والخاصة. تتميز مدينة تيارت بقاعدة صحية واسعة ومتنوعة، إضافة إلى المؤسسة الاستشفائية "يوسف دمرجي" أكبر مستشفى في الولاية، تدعمت الشبكة الصحية بالمؤسسات العمومية والعيادات المتخصصة (التوليد وأمراض النساء، عيادة أمراض الكلى وتصفية الدم، مركز مرضى السرطان، الأمراض العقلية والنفسية، عيادة أمراض الأنف، الاذن والحنجرة، عيادة لجراحة الاسنان، عيادة لطب العيون) والمؤسسات العمومية للصحة الجوارية (عيادات متعددة الخدمات مراكز وقاعات العلاج).

لدراسة علاقات السرسو الحضرية والحضرية الريفية من خلال التجهيزات الصحية، اخترنا مستشفى تيارت (مؤسسة عمومية استشفائية) ومركز مرضى السرطان (مؤسسة عمومية متخصصة)، وأيضا المؤسسة

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسرسو

الاستشفائية المتخصصة في الأمراض العقلية والنفسية، كونها مستشفى ذات بعد جهوي، لقياس التّحركات التي يخلقها هذين التّجهيزين بين تيارت والمناطق المجاورة لها¹.

الجدول رقم 103: الأصل الجغرافي للمرضى المترددين على المؤسسات الصحيّة

البلديات	المؤسسة الاستشفائية العمومية (تيارت) ¹		المؤسسة الاستشفائية المتخصصة لمرض السرطان (تيارت) ²	
	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %
تيارت	263	33,63	194	36,95
الرحوية	122	15,60	18	3,43
السوقر	94	12,02	44	8,38
فرندة	64	8,18	42	8,00
مهدية	37	4,73	12	2,29
قصر الشلالة	28	3,58	15	2,86
ملاكو	28	3,58	10	1,90
الذاحموني	26	3,32	17	3,24
مشرع الصفا	25	3,20	16	3,05
عين كرمس	25	3,20	17	3,24
عين الذهب	20	2,56	16	3,05
جيلالي بن عمار	15	1,92	2	0,38
واد ليلى	13	1,66	8	1,52
مدريسة	10	1,28	13	2,48
عين الحديد	6	0,77	4	0,76
مغيلة	1	0,13	1	0,19
سيدي الحسني	1	0,13	9	1,71
عين بوشقيف	1	0,13	10	1,90
مدروسة	1	0,13	7	1,33
زمالة الأمير عبد القادر	1	0,13	4	0,76
سيدي عبد الرحمن	-	-	5	0,95
سيدي علي ملال	-	-	3	0,57
بوقارة	-	-	2	0,38
السبعين	-	-	5	0,95
قرطوفة	-	-	6	1,14
عين دزاريت	-	-	1	0,19
سرغين	-	-	3	0,57
سي عبد الغني	-	-	2	0,38
تخمرت	-	-	15	2,86
توسنية	-	-	10	1,90
النعيمة	-	-	1	0,19
الشحيمة	-	-	6	1,14
الرصفاة	-	-	1	0,19

¹ بالنسبة لمستشفى تيارت، استخدمنا المعطيات المتعلقة بالمرضى المقيمين بها خلال أربعة أشهر (جوان-سبتمبر 2021) حسب المؤسسة العمومية التي قامت بنقل المريض إلى مستشفى تيارت.

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسررسو

تيسمسيلت	1	0,13	3	0,57
عين طارق (غليزان)	-	-	2	0,38
أفلو (الأغواط)	-	-	1	0,19
المجموع	782	100,00	525	100,00

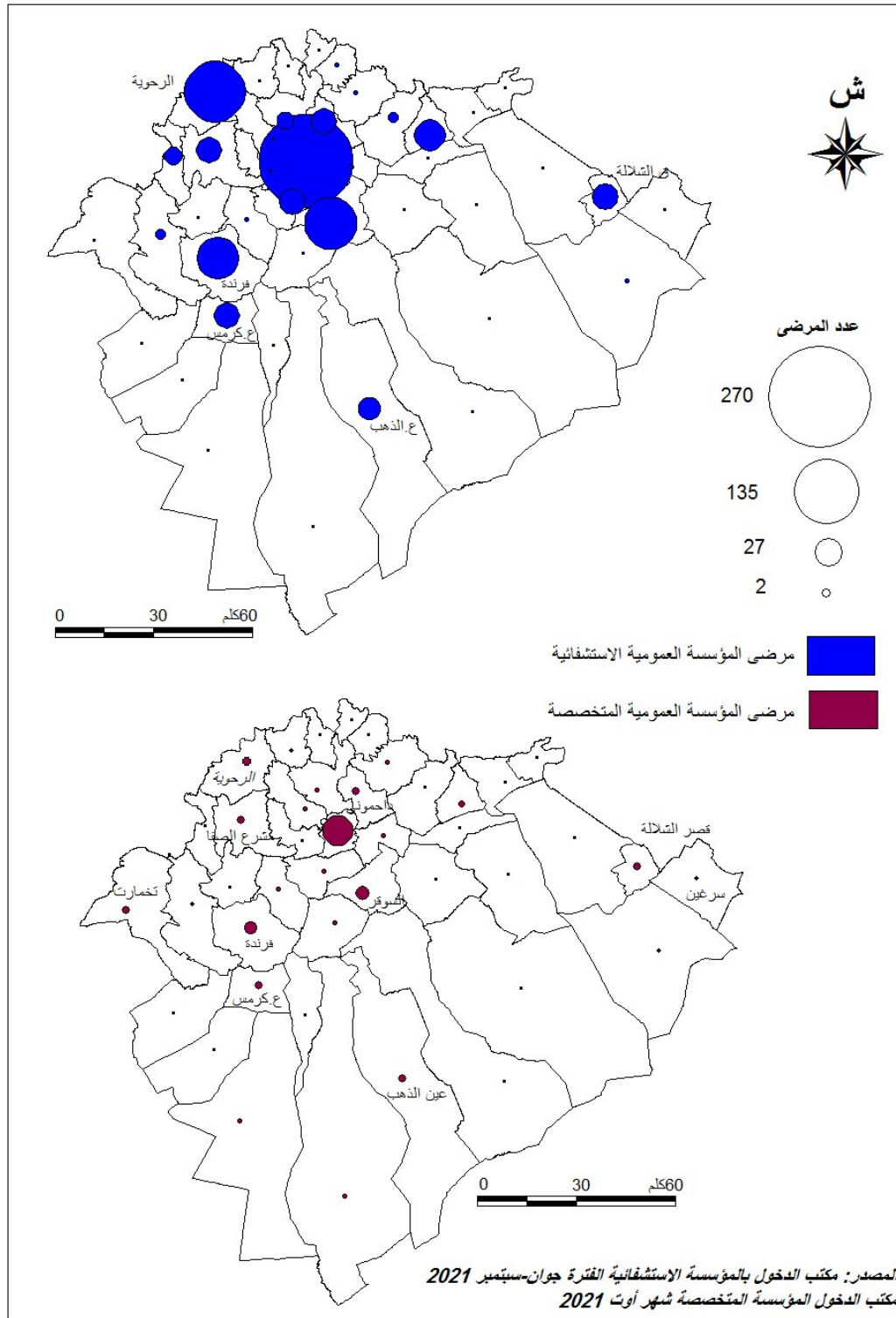
المصدر: 1-معالجة المعطيات من خلال دفاتر مكتب الدخول للمؤسسة العمومية الاستشفائية "يوسف دمرجي" للفترة 1-

2021-06 إلى غاية 2021/09/30

2-معالجة المعطيات من خلال دفاتر مكتب الدخول للمؤسسة الاستشفائية المتخصصة لمرض السرطان، شهر أوت 2021
يستقبل مستشفى تيارت مرضاه من مختلف بلديات الولاية، أعلى نسبة من سكان مدينة تيارت، تليها الرّحوية (15.60%) وتمثل البلديات المجاورة لها (مغيلة، السّبت، تيدة وسيدي على ملال) لأنها لا تحوز إلاّ على مؤسسة عمومية للصّحة الجوارية، وهي ضعيفة التّجهيز من حيث الأطباء وخاصة المتخصصين (ثلاث أطباء فقط)، مما يجعلها تعتمد على مستشفى تيارت.
توجه بقية مستشفيات الولاية الموجودة بالمجمعات العمرانية الكبرى (السّوق، فرندة، مهدية وقصر الشّلالة) مرضاها باتجاه مستشفيات تيارت، نظرا لنقص بعض التّخصصات بها ونقص الأطباء وخاصة مستشفى فرندة (6 أطباء متخصصين فقط)، يستقطب المستشفى أيضا مرضى من الولايات المجاورة وخاصة تيسمسيلت لكن بنسبة ضعيفة.

رغم تجهيز مختلف المجمعات الحضرية والريفية بالمؤسسات الصّحية على اختلاف مستوياتها وأنواعها، إلاّ أنّ ساكنتها تبقى مرتبطة بالمدينة الكبيرة نظرا لتوفر مختلف التّخصصات والفحوصات بالأشعة والتّحاليل وتنوع العرض الصّحي الذي يدمه القطاع الخاص بشكل كبير، فمدينة تيارت جيدة التجهيز فيما يتعلق بالتّخصصات الموجودة وعدد الأطباء أيضا، حيث يوفر هذا الأخير 108 طبيبا مختصا من أصل 139 عبر كامل الولاية. كما أنّ الطّلب على العقار الحضري في إطار الاستثمار الخاص في مجال الصّحة يكون غالبا بمدينة تيارت، وهو ما رفع الخدمات الصّحية بها مقارنة بباقي المجمعات الحضرية الأخرى. تشهد تيارت انطلاق إنجاز ست عيادات طبية مختلفة التخصصات، بالمنطقة الشّمالية الشّرقيّة للمدينة. يعتمد السّكان فيما يتعلق بالخدمات الصّحية على قرب المسافة خاصة في الحالات الاستعجالية، لذلك نجد أن سكان بوقارة وحمادية ينجذون نحو مستشفى تيسمسيلت (الخريطة 61).

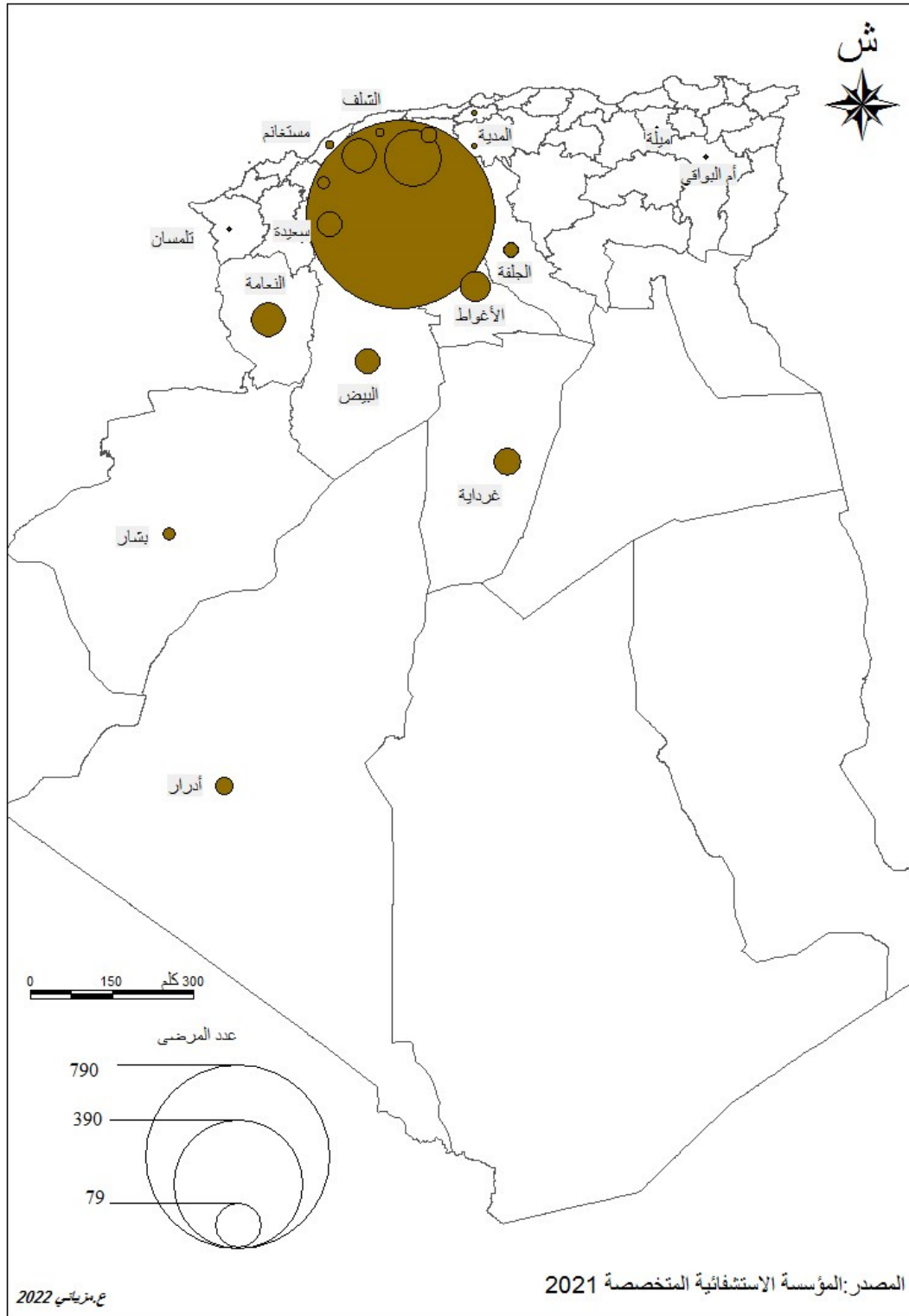
القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسرسو



الخرطة رقم 61: الأصل الجغرافي للمرضى في المؤسسات العمومية الاستشفائية والمتخصصة (2021)

تعتبر المؤسسة الاستشفائية المتخصصة في الأمراض العقلية والنفسية بمدينة تيارت من بين أكبر المؤسسات في الغرب الجزائري، تستقبل مرضى من مختلف مناطق الوطن وخاصة الجهة الجنوبية الغربية (الخريطة رقم 62)، ولاسيما الولايات القريبة (تيسمسيلت، غليزان وسعيدة) والولايات السهبية الغربية كالبيض والنعامة والوسطى (الجلفة والأغواط)، إلى غاية أدرار، بينما يتراجع استقطابه بالنسبة للولايات الشمالية الغربية نظرا لوجود تغطية صحية من طرف مستشفى وهران، كما تستقبل أيضا مرضى من ولايات الشرق لكن عددهم محدود جدا، يقتصر على عمال بعض القطاعات الخاصة.

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسرّسو



الخريطة رقم 62: التردد على المؤسسة الاستشفائية المتخصصة في الامراض النفسية والعقلية 2021

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسرسو

تضم ولاية تيارت أربع مؤسسات عمومية استشفائية، منها مؤسسة مهدية التي تلعب دورا مهما وداعما في نفس الوقت للهيكل الصحية بالولاية عموما ومنطقة السرسو على وجه الخصوص، نظرا لمواردها البشرية المتعددة ومختلف التخصصات الموجودة بالمستشفى (تسع تخصصات و12 طبيب مختص)، فموقع مهدية وسط السرسو أعطى لها ميزة سهولة الوصول إليها من مختلف البلديات داخل وخارج ولاية تيارت، وحتى من الولايات المجاورة.

الجدول رقم 104: الأصل الجغرافي للمرضى المترددين على مستشفى مهدية

بلدية /ولاية	العدد	%	بلدية /ولاية	العدد	%
مهدية	1166	49,14	الشارف	4	0,17
حمادية	237	9,99	الجلفة	3	0,13
الرّشايقة	180	7,59	الخميس	2	0,08
الناظورة	175	7,37	عين وسارة	1	0,04
عين دزاريت	119	5,01	مسعد	1	0,04
بوقارة	65	2,74	ولاية الجلفة	58	2,44
السبعين	63	2,65	تيسمسيلت	22	0,93
سي الحواس	58	2,44	خميسي	3	0,13
الدّاحموني	46	1,94	العيون	2	0,08
تيارت	18	0,76	أولاد بسام	2	0,08
قصر الشلالة	14	0,59	عماري	2	0,08
السّوقر	13	0,55	برج بونعامة	1	0,04
عين بوشقيف	9	0,38	سيدي سليمان	1	0,04
زمالة الأمير	5	0,21	لرجام	1	0,04
عين الذهب	5	0,21	ولاية تيسمسيلت	34	1,43
عين الحديد	3	0,13	وهران	7	0,29
سيدي الحسني	2	0,08	البيض	5	0,21
الرحوية	2	0,08	أم البواقي	3	0,13
تاقدمت	2	0,08	الأغواط	3	0,13
الفايجة	2	0,08	العاصمة	2	0,08
فرنّدة	2	0,08	الشّلف	2	0,08
مغيلة	1	0,04	قصر البخاري (المدينة)	1	0,04
سي عبد الغني	1	0,04	غليزان	1	0,04
ملاكو	1	0,04	البليدة	1	0,04
سيدي علي ملال	1	0,04	جيل	1	0,04
عين كرمس	1	0,04	سطيف	1	0,04
مدريسة	1	0,04	مستغانم	1	0,04
توسنية	1	0,04	بشار	1	0,04
ولاية تيارت	2193	92,41	ورقلة	1	0,04

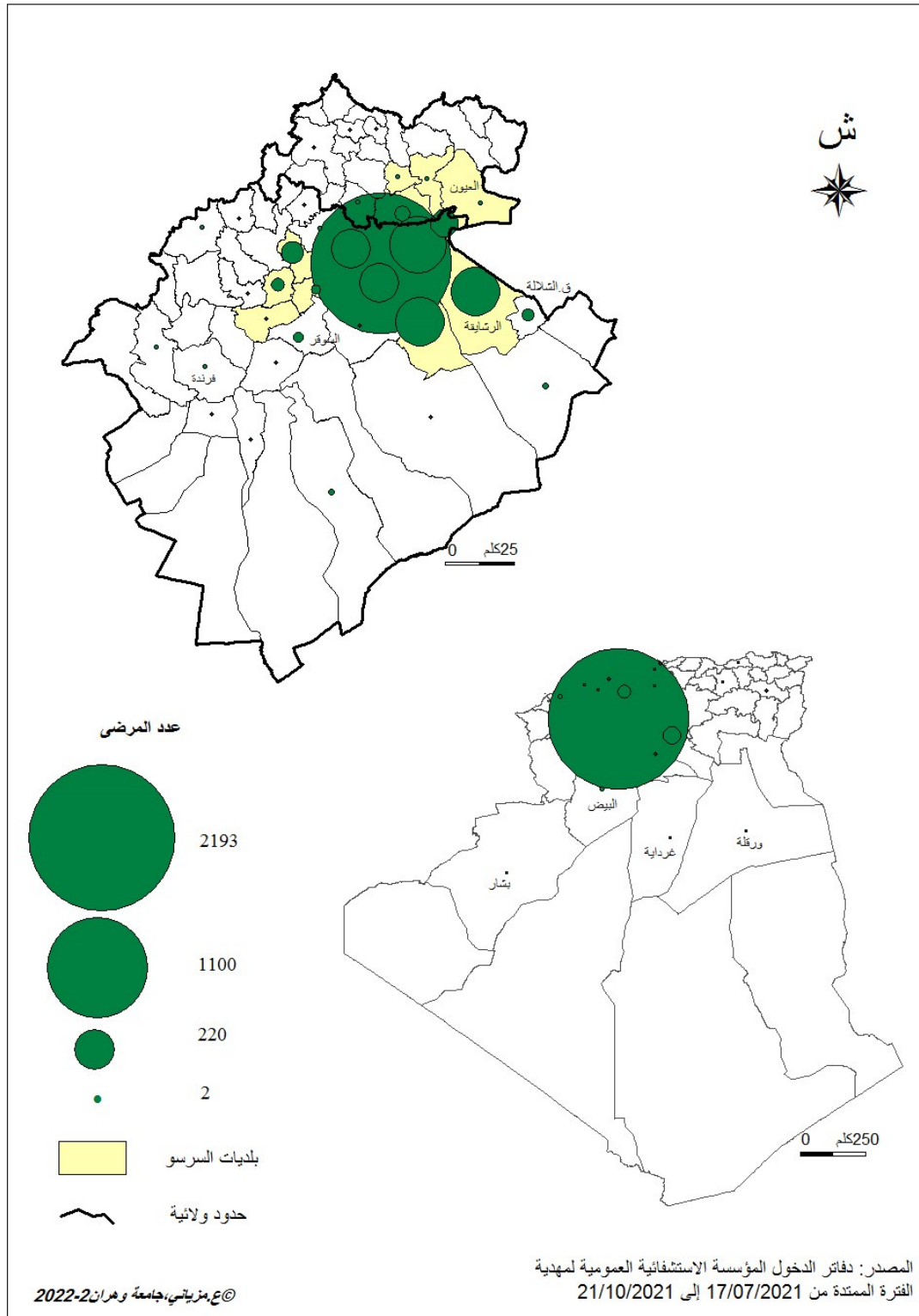
القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسرسو

0,04	1	غرداية	2,40	57	الرحل
1,31	31	باقي ولايات الوطن	1,60	38	حاسي فدل
100,00	2373	المجموع	0,21	5	سيدي لعجال
			0,17	4	عين الإبل

المصدر: سجلات الدخول وسجلات مصلحة الولادة بمستشفى مهدية (الفترة الممتدة من 2021/07/17 إلى 2021/10/21)

يستقطب مستشفى مهدية مرضاه من مختلف بلديات تيارت (92.41%) خاصة دائرة مهدية (مهدية، السبعين، الناظورة وعين دزاريت)، بما فيها مجمعة تيارت نفسها (0.76%) رغم وجود مستشفى وعدد من المؤسسات المتخصصة، تأتي بلديات ولاية الجلفة في المرتبة الثانية (2.44%) خاصة بلدية حاسي فدل، نظرا لقرب المسافة، كما يستقطب المستشفى مرضى ولاية تيسمسيلت خاصة البلديات القريبة التي تنتمي لسهل السرسو (الخريطة رقم 63)، فيما تقل نسبة المرضى من خارج ولايات تيارت وتيسمسيلت والجلفة، لكنها تغطي الكثير من ولايات الوطن. كما يستقطب أيضا مرضى السكان الرحل الذين يقيمون بالقرب من مهدية والبلديات المجاورة في فصل الصيف (عين دزاريت والناظورة) بنسبة 2.40% بمجموع 57 مريضا، مما يوحي أن رحلات البدو الرحل في السرسو مازالت قائمة إلى يومنا هذا.

القسم الثالث الفصل الثامن: العلاقات مدينة/ريف، تعيد صياغة الأداء الوظيفي بالسرسو



الخريطة رقم 63: الأصل الجغرافي لمرضى المؤسسة العمومية الاستشفائية لمهدية

الخلاصة:

العلاقات المكانية المختلفة في السّرسو هي علاقات تبادلية وذات اتجاهين، دعمتها التّحركات السّكنية من المجمعات الحضرية إلى المجمعات شبه حضرية والريفية. هذه التّحركات منها ما كان قسريا بتدخل الدّولة في محاولة التّجديد الحضري لبعض المواقع الهشة بمدينة تيارت، فتم الهدم وترحيل السّكان باتجاه المجمعات الريفية القريبة التابعة لها إداريا (زعرورة وكارمان) والمجمعات الشّبه حضرية (الدّاحموني وعين بوشقيف) مما سمح للمجمعات الريفية الالتحام مع المدينة الأم لأنها أصبحت مناطق توسع بالنّسبة لها، وجعل من الفئة الثّانية مدنا توابع لها. تأثرت هذه المناطق بنقل الحياة الحضرية إليها فتحوّلت مجاليا وعمرانيا ووظيفيا، لكنها بقيت في علاقة دائمة مع المدينة فيما يتعلق بالعمل، التّجارة ومختلف التّجهيزات خاصة ذات المستوى العالي. ومنها ما كان إراديا من طرف الأفراد كالتوجه نحو عين مصباح وعين مريم، بهدف توفير السّكن نظرا لوجود عقار صالح للبناء بالقرب من المجمعات الكبيرة (تيارت). ساهمت وسائل النّقل المختلفة وانتشار امتلاك السيّارة الخاصة في هذا الغزو العكسي، فقد ساعدت هذه العوامل في التّأثير السّريع على المناطق الريفية وأصبح الوصول إليها بسرعة يوفر الوقت والجهد، وبالتالي أظهر تحولات عميقة في هذه الأوساط، وتلاشت وتفككت الأنظمة التّقليدية وأصبح السّكان في الريف يعيشون الحياة الحضرية، وبالتالي لم تبقى التّحركات السّكنية تخضع لنفس المنطق القديم.

دعم القطاع الخاص مجال النّقل والمواصلات من خلال الاستثمار وتطور عدد المؤسسات الصّغيرة والمتوسطة، إلّا أنّ التّغطية الريفية لازالت ضعيفة نظرا لانعدام بعض الخطوط وعدم تشبع بعضها الآخر بوسائل النّقل، لكن إرادة السّكان والدّوافع القوية للتّحركات، أدت إلى اعتماد استراتيجية التنقل متعدد الأنماط بالاعتماد أيضا على العتاد الفلاحي والنّقل غير الرسمي، الذي أصبح يوفر دخلا لمالكه. كما دعم امتلاك السيّارة الخاصة التّحركات بالمنطقة وسهل التّنقل مما زاد من حدة العلاقات بين المدينة والريف.

ترتكز العلاقات الحضرية الريفية في السّرسو على العلاقات الخدمية بصفة خاصة وترسم هذه العلاقات من خلال تحركات العمل والخدمات ذات المستوى العالي (التّعليم والصّحة) هيكلًا مركزيا حول القطب المهيمن الذي يتركز حول المجمعات الحضرية الكبرى (تيارت، مهدية، تيسمسيلت، السّوقر وقصر الشّلالة بالترتيب)، أما التّحركات بهدف الشّراء فهي متنوعة وأنتجت بنية متعددة المراكز لصالح المراكز التّجارية في المجمعات الحضرية الكبرى ولاسيما تيارت وتيسمسيلت وأيضًا لصالح الأسواق الأسبوعية المحلية والداعمة وخاصة سوق السّوقر.

تحدد النشاطات الاقتصادية أهمية العلاقات الريفية الحضرية ولعل التجارة هي أحد أهم أوجه هذه العلاقة، عملت على تنشيط التبادلات بين الواسطين، وأدت إلى بروز اتجاهات جديدة وظهور علاقات تكاملية بينهما. وطورت أشكالاً متعددة في تسويق المواد التي تنتج في الريف وتستهلك في المدن، هذه التبادلات الريفية الحضرية جعلت من المدينة سوقاً استهلاكياً لكل ما ينتج في الريف المجاور ليس لمجرد أنها تستقبل منه ما يصنع وتأخذ منه ما تأكل، وإنما يتم ذلك بالدرجة الأولى بفضل مخازنها لتجميع وحفظ المحصول الفلاحي، ومؤسساتها التجارية التي تعرض الإنتاج وتتكفل بنقله وتوزيعه على أوسع مجال.

خلاصة القسم الثالث:

يتميز سهل السرسو بمقومات طبيعية متنوعة كتربته الخصبة وتنوع موارده المائية (الجوفية والسطحية) مما جعله منطقة فلاحية بامتياز تخصصت في الزراعات الواسعة وإنتاج الحبوب بكافة أنواعها ولاسيما القمح الصلب وبعض البقوليات وهو ما لفتت انتباه المستعمر إليه فقام بتعميره وأصبح مخزنا للحبوب بالغرب الجزائري، وتطورت على إثره صناعة غذائية تمثلت في ثلاث مطاحن وأربع مخازن للحبوب، تشق بارتفاع صوامعها انبساط سهل السرسو. تواصل النشاط الزراعي على هذا المنوال خلال فترة السبعينات والثمانينات ومع نهاية هذه الأخيرة ولد نمط زراعي جديد مبني على السقي في إطار قانون الحيازة على الملكية العقارية عن طريق الاستصلاح سنة 1983، خص به جنوب السرسو، أهل المنطقة لأن تكون قطبا زراعيًا له بعدا وطنيا في إنتاج بعض الخضروات (البصل، البطاطا والثوم) والأشجار المثمرة (التفاح). توسعت المساحة الزراعية المسقية على مستوى محيطين باستغلال مياه سدي بوقارة والدحموني والمياه الجوفية بعد تموين انجاز الآبار العميقة في إطار المخطط الوطني للتنمية الفلاحية بداية من سنة 2000، فتضاعفت المساحة المسقية 36 مرة في الفترة 1985-2020. يعرف السرسو حاليا ديناميكية زراعية مرتبطة بتوافد مزارعين ورؤوس أموال من مناطق تمتاز بماضي زراعي ودراية بهذا النشاط كمعسكر، عين الدفلى، بليدة وميلة، حيث لعب الماء دورا أساسيا في استقطابهم، كما أن زيادة الطلب على المنتجات الزراعية بسبب الزيادة السكانية وتحسن المستوى المعيشي للسكان جعل هذه الزراعات مربحة بشكل كبير. يعرف هذا الاستثمار الزراعي حركة دائمة في منطقة السرسو ويعتمد على كراء الأراضي والماء معا لفترات زمنية محدودة تتم على مستوى أراضي المستثمرات الفلاحية الجماعية أو الفردية، كما يتم على مستوى الأراضي المستصلحة بعد 1983.

تأكد البعد الزراعي للسرسو أثناء الفترة الاستعمارية وتأسست عليه صناعة غذائية من خلال المطاحن المنتشرة به واستمر الوضع بنفس المنحى إلى منتصف السبعينات، أين عرف سياسة جديدة في التصنيع لا تتماشى مع طبيعته الفلاحية، حيث أدرجت فيه صناعات تعدينية ثقيلة وميكانيكية وهيأت لها منطقتين صناعيتين بتيارت وأخرى بعين بوشقيف بالإضافة إلى عدد آخر من مناطق النشاط، وبذلك أصبحت تيارت تحتل المرتبة الثانية كقطب صناعي في الغرب الجزائري بعد وهران بالتساوي مع تلمسان وسيدي بلعباس. إن توطين مثل هذه الصناعات الثقيلة في منطقة زراعية بامتياز أثر بشكل سلبي على النشاط الزراعي حيث أحدث تنافسا على العقار، وشجع الهجرة الريفية واستقطب العمالة كما أعاد تشكيل الشبكة العمرانية في السرسو لصالح التّحضر، الذي نشطته الديناميكية التجارية بالمنطقة.

شهدت فترة التسعينات تراجعا كبيرا للنشاط الصناعي وغلغ العديد من المؤسسات وتسريح عمالها أو تقليص عددهم، الأمر الذي كانت له ارتدادات سلبية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي للمنطقة. بعد تحسن

مداخل النفط في بداية 2000 عرف السرسو إعادة بعث النشاط الصناعي، نظرا لوجود قاعدة صناعية مهمة، توسعت هذه الأخيرة بميلاد مناطق جديدة، وتخصيص أوعية عقارية بهذه المناطق الصناعية للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة التي تشغل أقل أو أكثر من 50 عاملا. تأثر التوطن الصناعي الجديد بالسرسو بديناميكيته الزراعية التي شجعت الاستثمار في الصناعة الغذائية ولا سيما شعبة الحليب في كل من تيارت و خميستي، كما تأثر الوسط الريفي أيضا بهذا التوطن، فقد أنشأت معصرة للزيتون في الرشايقة وأخرى في سلمانة التي استفادت من إنشاء مطحنة أيضا، إنتاج اللحوم البيضاء والحمراء من خلال الحظائر التي استفاد منها الشباب في إطار برامج التنمية الريفية، ساهم تنوع المنتجات الفلاحية في السرسو في توسع الشبكة التجارية بالمنطقة التي تعمل كوسيط بين مناطق الإنتاج ومناطق الاستهلاك، نتج عنه ارتفاع عدد الأسواق الجوارية ومحلات التجزئة الرسمية والموازية بالوسطين الريفي والحضري وتنامت التجارة بشكل عام استجابة لتحضر المنطقة من جهة وللتحولات المختلفة من جهة أخرى وتنشيط العلاقات التجارية بفضل الأسواق الأسبوعية المحلية والداعمة. هذا التزاحم الوظيفي في سهل السرسو عزز العلاقات المكانية (مدينة، ريف) ونشط التحركات بالمنطقة وخاصة السكنية منها وتلك التي ارتبطت بالنشاط الصناعي في فترة انتعاشه الأولى، أما التحركات بهدف الشراء والعمل فهي متنوعة وأنتجت بنية متعددة المراكز لصالح المراكز التجارية في المجمعات الحضرية الكبرى ولاسيما تيارت، تيسمسيلت ومهدية.

الخلاصة العامة

الخلاصة العامة:

تمتد منطقة السرسو المعروفة بموطن الحبوب والماشية بين كتلة جبل الونشريس بالأطلس التلي شمالا، إلى غاية أقدام جبل الناظور جنوبا وبين خطوط تقسيم المياه لواد نهر واصل شرقا و واد الشلف غربا، وهي منطقة مأهولة بالسكان منذ التواجد الروماني بالجزائر في بداية القرن الثالث، فقد لعبت دورا في الربط بين التل والمنطقة السهبية، إلى غاية التواجد العربي بها في حكم الدولة الرستمية، مما جعلها منطقة إستراتيجية تمر بها القوافل التجارية وهمزة وصل بين البحر المتوسط وغرب إفريقيا قرابة نصف قرن، إلا أنها كانت منطقة قليلة السكان وضعيفة التعمير يغلب عليها الطابع الريفي الرعوي.

اهتمام الاستعمار بزراعة الحبوب فتح الطريق أمام تعمير السرسو بطريقة سريعة، إذ قام بتوطين قرى جنينية خاصة بالمعمرين الأوائل، فبدأت تظهر في الأفق ثنائية مجالية، مجال عمراني تقليدي مبعثر متواضع، ومجال استعماري جديد مغاير لثقافة وسوسولوجية العالم الريفي المحلي. تعمقت هذه الثنائية المجالية وتجدرت في مختلف مناطق السرسو وصاحبها توطن صناعي غذائي، بدعامة العمليات والإجراءات الاستحواذية على المجال الريفي بنمطين من التعمير، نمط استعماري تمثل في المراكز العسكرية والقرى الاستعمارية ونمط تقليدي تمثل في الدواوير. انتهج المستعمر بعد 1940 آليات أخرى لتعمير المنطقة كقطاع التحسين الريفي (S.A. R) الذي جُسد من خلال إنجاز سكنات متجمعة وتوزيع قطع أراضي على الأهالي في منطقتين (عين بوشقيف وتيسمسيلت). تم تجميع الأهالي بعد اشتداد حدة الثورة بعد 1954 في العديد من مراكز المحتشدات (حي بوهني شرق تيارت، حي كاستور شمال شرق مهدية، حي جنوب قرية كرمان، مركز بني مايدة، مركز عين الصفا، عين دزاريت والسحاري (الناظورة حاليا). امتد تعمير السرسو بشكل محوري من الغرب إلى الشرق خصوصا على الطريق الوطني رقم 14، مما أسفر عن إنجاز سلسلة من المراكز المتتابعة، تتباعد فيما بينها بمسافة منتظمة تقدر بـ 15 كلم، فكانت محصلة التعمير في الفترة الاستعمارية إنجاز 15 مركزا عمرانيا إضافة إلى الدواوير التي أنشأت في القبائل المحلية وعددها 15 أيضا. إن تواجد هذا الكم الكبير من المراكز العمرانية في وسط مثل السرسو لم يكن بمحض الصدفة، فالتعمير هنا كان إراديا، الغرض منه اقتصادي لاستغلال الأراضي الزراعية الخصبة.

بعد الاستقلال تدخلت الدولة لتعمير وإصلاح الريف الجزائري، فقامت بإنجاز مجموعة من القرى الفلاحية في المناطق السهلية، استفاد السرسو من إنجاز 12 قرية، توطنت معظمها بالضفة الجنوبية لنهر واصل الذي يهيكل جزء كبير من السهل حيث المنطقة منبسطة وغنية بالأراضي الفلاحية المنتجة. أعادت القرى الاشتراكية مبدأ الانتشار السكاني على كامل مجال السرسو وأحدثت نوعا من التوازن ولو أن التوطن المحوري بمحاذاة الطرقات غلب على توزيعها، كما تدخلت أيضا بتعمير مختلف المجمعات الحضرية

والريفية بمختلف الأليات ولاسيما السكن والتجهيزات العمومية، كما لعبت الوظيفة الصناعية التي خصت بها ولاية تيارت دورا كبيرا في تعمير المنطقة.

سمح هذا التعمير المكثف بزيادة السكان، بمعدل نمو متوسط قدر بـ 1.71% في الفترة (1884-1957) بالرغم من أن مدينة تيارت سجلت معدلا أكبر من هذا بكثير (3%). تضاعف عدد سكان السرسو منذ الفترة الاستعمارية إلى يومنا هذا بسبعة مرات. ظل معدل التزايد السكاني مرتفعا من عام 1966 حتى 1998 (3.60%) ثم انخفض في سنة 2008 (1.61%) ليعاود الارتفاع مؤخرا (2.21%) وأصبح مهيكل بعدد من المجمعات الكبرى: تيارت كمركز رئيسي، تيسمسيلت في المرتبة الثانية، كلاهما يمثل مقرا للولاية ويؤدي دورا تسييريا، ثم تأتي مجمعات من الدرجة الثانية: مهدية، خميستي، ثم المجمعات الصغرى بأحجام متفاوتة.

ارتبط ميلاد الظاهرة الحضرية في السرسو بشكل خاص بمدينة تيارت، نظرا لقيمتها ومكانتها التاريخية في فترة الرستميين، وكأهم مركز استعماري في فترة الاحتلال الفرنسي، نمت وتطورت خارج أسوارها وتوسع عمرانها جنوبا على أراضي زراعية خصبة، بفضل البرامج السكنية والتجهيزات الكبرى وخاصة الجامعية والصناعية، امتدت مدينة تيارت باتجاه مجمعاتها الثانوية وخاصة زعرورة في سنوات الثمانينات جنوبا ونحو السانيا في الجنوب الشرقي وكارمان في الشمال الشرقي خلال السنوات الأخيرة، مما أنتج مركزية حضرية جديدة وأخرى في طريق التشكيل. لم ترقى مجموعة تيسمسيلت لنفس المستوى من النمو العمراني مثل تيارت، إلا بعد ترفيتها إداريا سنة 1984 لكن بوتيرة ضعيفة، غير أنها استكملت نموها الحضري خلال العشر سنوات الأخيرة وامتد عمرانها باتجاه الضواحي الريفية القريبة منها، لم يساير النمو الحضري لمجموعة مهدية مثيله بتيارت وتيسمسيلت، رغم أهميتها في الشبكة العمرانية للسرسو، لأن وتيرة نموها العمراني ضعيفة مقارنة بباقي المجمعات الحضرية.

تأثر المجال الريفي في السرسو، بتحويلات البنية العقارية من جهة وسياسة التعمير التي شهدتها من جهة أخرى، ولاسيما بدخوله عالم التخطيط والتوسع العمراني عن طريق مختلف الأليات الحضرية، خاصة السكن بمختلف أنماطه وأيضا الصناعة وما ترتب عليها من جذب لليد العاملة، تحولت القرى مجاليا، اقتصاديا واجتماعيا فأصبح البعض منها مجمعات شبه حضرية، أو مناطق تمدد حضري للفائض السكاني لمجمعتي تيارت وتيسمسيلت، تدعم نموها المجالي بوظائف مختلفة خاصة مع توفر العقار العمومي، فقد ساعدت على تثبيت السكان الذين ارتبطوا بها وتقبلوها لكن أعادوا صياغة فضاءاتها بما يتناسب مع احتياجاتهم وميولاتهم التي طغى عليها التأثير بالمقومات الحضرية التي فرضت عليهم ممارسات جديدة لخلق نوع من الاندماج في الشبكة الحضرية للمنطقة، وبالتالي لم يبق من أثار القرية الاشتراكية إلا اسمها وتاريخ نشأتها.

أنتجت سياسة تحديث الريف الجزائري التي اعتمدها الدولة في السبعينات عن طريق انجاز القرى الفلاحية بالسّرسو، مجمعات ريفية كثفت الشبكة العمرانية واندجت فيها بشكل تدريجي وعرفت حركة ديمغرافية متسارعة، مما أدى إلى توسعها مجاليا ووظيفيا. تجمع الشبكة العمرانية في السّرسو بين مزيج من المجمعات القديمة وأخرى حديثة مما جعلها تتميز بكثافة المجمعات العمرانية تهيكلها الطرقات، وهي أكثر تركزا بالوسط السّهلي أغلبها ذات نشأة استعمارية، تسيطر عليها المجمعات الريفية (أقل من 5000 نسمة)، بينما يمثل أكبر الأحجام السّكانية مركز عمراني واحد يحتل قمة النظام الهرمي متمثلا في مدينة تيارت. تتميز البنية الهرمية لشبكة المراكز العمرانية بالسّرسو بوجود قطبية أحادية على مستوى الرأس (تيارت) واتساع القاعدة لمراكز الفئة القاعدية، تنتشر المجمعات العمرانية على كامل المجال تربطها شبكة من الطرق، مما أنتج بنية مجالية لا مركزية شكلا، لكنها في الحقيقة بنية مركزية تنقبط حول مدينة تيارت، التي تلعب دور المركزية ليس على مستوى السّرسو فقط بل على مستوى المجالات المحيطة أيضا، فهي بحكم وظيفتها الإدارية كعاصمة ولاية تلعب دورا في تنظيم وتسيير المجال، بفضل تجهيزاتها المتنوعة، إضافة إلى مدينة تيسمسيلت كمركز دعم باعتبارها عاصمة ولاية تلعب دورا منظما لمجالها.

تأثرت البنية العقارية في السّرسو بمختلف السياسات التي تهدف إلى إصلاح البنية العقارية بإرساء الملكية العمومية وتنمية الريف الجزائري عن طريق عديد الآليات أهمها سياسة الثورة الزراعية في سبعينات القرن الماضي، بهدف إعادة الأرض إلى الفلاحين وتحديث الزراعة، سمحت هذه السياسة بدخول التخطيط لعالم الريف مما جعله يستفيد من التجهيزات ومباني الخدمة العامة، اتبعت الدولة آلية الاستصلاح الزراعي بغرض توسيع وإصلاح البنية العقارية، سمح الاستصلاح الزراعي بالحصول على الملكية العقارية وساهم في ظهور أقطاب زراعية وطنية جنوب السّرسو مثل الرشايقه بفضل وجود الماء، حيث أصبحت هذه المنطقة قبلة للكثير من المستثمرين الزراعيين ورائدة في عدد من المنتجات الزراعية، كما ظهر نوع جديد من الديناميكية الريفية الخاصة بالفلاحين الجدد. ألغى قانون التوجيه العقاري في التسعينات قانون الثورة الزراعية وأعاد الأراضي لملاكها الأصليين، غير أنّ أنظمة الإنتاج الفلاحي والأحداث الأمنية التي مرّت بها البلاد، منعت تطور الإنتاج، مما ساهم في تشجيع وتغذية الهجرة الريفية والتوجه نحو أنشطة القطاع الثالث. جاءت الإصلاحات مجددا لكن بالتركيز على تنمية وتجديد الأوساط الريفية من خلال المخططات الوطنية للتنمية الفلاحية وخطط التنمية الريفية المتكاملة بواسطة البرامج الجوارية للتنمية الفلاحية المدمجة التي استفادت منها معظم المناطق الريفية بالسّرسو، لكنّ نتائجها لم تكن بالحجم المتوقع، نظرا لبساطتها فهي لم ترقى لإخراج المناطق المهمشة من عزلتها

عرف سهل السرسو منذ التواجد الروماني بالمنطقة بإنتاج الحبوب دعماً لوظيفته الرئيسية المتمثلة في الرعي، وتؤكد هذا التوجه في الفترة الاستعمارية لكن بالتركيز على المزارع الفلاحية الكبرى المتخصصة في إنتاج القمح بشكل خاص حتى أصبح السرسو يعرف بمخزن القمح أو سلة الخبز للغرب الجزائري، صاحبه توطن صناعة غذائية تمثلت في المطاحن، دون إهمال لنشاط تربية الحيوانات الذي أصبح في تطور مستمر. عرف المجال الفلاحي بعد الاستقلال تغيرات مستمرة تتعلق بالملكية العقارية، فتأثرت بعض أنواع المنتجات كالتحول من زراعة الكروم إلى الحبوب في بعض مناطق السرسو وخاصة الدحموني وعين بوشقيف وتقلصت المساحة الزراعية الكلية بسبب توجه الدولة نحو التصنيع في نهاية السبعينات بإدخال صناعة تعدينية وميكانيكية منافية للوظيفة الفلاحية للمنطقة، مع إهمال الزراعة ضمناً فحدثت نهضة صناعية في المنطقة استهلكت العقار الفلاحي وجذبت العمالة الفلاحية في آن واحد، مما أثر على الوسط الريفي الذي استفاد من الوظائف الحضرية وأصبح جاذباً أيضاً لليد العاملة وللمشاريع السكنية لهذا السبب، فاتجه سكانه نحو الأنشطة غير الزراعية، وخاصة قطاعي الصناعة والتجارة والخدمات بشكل عام. ركزت الدولة في الثمانينات على المناطق السهبية والجنوبية باستصلاح أراضيها، استفاد جنوب السرسو من هذا التوجه وشهد ميلاد نمط جديد مبني على السقي، وأصبح بعد مرور سنوات من أهم الأقطاب الزراعية في الوطن وجاذباً لمستثمرين من شمال وشرق البلاد. تأثرت القطاعات المنتجة في السرسو بالأزمة الوطنية في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات، فراجع قطاع الصناعة بسبب إفلاس المؤسسات وتوقف النشاط الصناعي بشكل عام وتأثرت الفلاحة بنفس الأزمة أيضاً، فاتجه السكان إلى أنشطة القطاع الثالث بشكل كبير. بعد سنة 2000 عاود القطاعين الفلاحي والصناعي الانبعاث من جديد وبالتالي العودة إليهما بقوة، اكتسب السرسو على إثر هذا الانبعاث وظيفة ثالثة وهي إنتاج الخضار والفواكه ولم يفقد في نفس الوقت نشاط تربية الماشية. هذه الديناميكية الزراعية أثرت بشكل إيجابي على قطاع الصناعة الذي عرف ميلاد مناطق صناعية ومناطق نشاط جديدة توطنت بالوسطين الحضري والريفي، فتطورت بعض الصناعات الغذائية القائمة على المطاحن (إنتاج السميد والفريضة) والمعاصر (إنتاج زيت الزيتون)، إنتاج الحليب واللحوم الحمراء والبيضاء وأيضاً إنتاج أغذية الأنعام. تأثرت أنشطة القطاع الثالث في المنطقة بالتطور السكاني من جهة وانفتاح السوق الوطنية على التصدير من جهة أخرى، فازداد الطلب على استهلاك المواد، إضافة إلى ديناميكية النشاط الفلاحي والصناعي معاً، مما أسهم في تطور البنية التجارية في المنطقة وأنعش الحركة التجارية في الأسواق عموماً والأسبوعية على وجه الخصوص، هذه الأسواق التي لم تفقد دورها التقليدي، بل ساهمت في التطور الحالي من حيث تنوع الخدمات والسلع المعروضة. تطورت العلاقات المكانية بصفة عامة في السرسو، وهي علاقات تبادلية، دعمتها التحركات السكنية بفضل برامج السكن وتحويل التعمير نحو المناطق الريفية، وأكسبها تطور النقل وامتلاك السيارة الخاصة نوعاً من الاستمرارية

في الزمان والمكان. اكتسبت العلاقات الحضرية الريفية وهي علاقات معقدة ومتعددة الأبعاد نفسا جديدا بفضل تطور الطرقات ووسائل النقل أيضا، تركز هذه الأخيرة على العلاقات الخدمية بصفة خاصة من خلال التنقلات من أجل العمل والخدمات ذات المستوى العالي مما خلق أقطابا حضرية مهيمنة مركزها مدينتي تيارت وتيسمسيلت وعلاقات قائمة على الأنشطة الاقتصادية، التي تعتبر التجارة أحد أهم أوجهها، أنتجت هذه العلاقات بنية متعددة المراكز لصالح المراكز التجارية في المجمعات الحضرية الكبيرة تارة ولصالح الأسواق المحلية أو الداعمة تارة أخرى.

وهنا نستطيع القول أنّ السّرسو قد شهد تحولات عميقة مجاليا واجتماعيا واقتصاديا، لم يتكيف فقط مع الوظائف الحضرية الداعمة، بل ساهمت وظيفته الفلاحية الأصلية في إنعاش قطاع الصناعة والأنشطة التجارية، وبالتالي لم يفقد معالمه الريفية كلية التي تأثرت واستوحت الكثير منه، لأنها قاومت، حافظ البعض منها على استمراريته وتأقلم مع أخرى.

لكن يبقى التخطيط المبني على التقسيم الإداري من جهة وسيطرة مدينة تيارت التي لها تأثير كبير ومباشر على كل المجال الولائي الذي تمثل مركزه، وكذا المجالات القريبة ولاسيما تيسمسيلت عائق نوعا ما في الارتقاء بمنطقة السّرسو كي تؤدي دورا واضحا وفعليا في التنمية وتهيئة الإقليم الوطني ومن هنا تأتي الحاجة إلى الأخذ بعين الاعتبار:

- ❖ المنافسة بين المدينتين (تيارت وتيسمسيلت) وقياسها فيما يخص التشارك والتكامل في الوظائف الاقتصادية في المنطقة،
- ❖ الأخذ بعين الاعتبار الاندماج الاقتصادي لتيسمسيلت داخله وتأتي هذه المشاركة في جزئها الأكبر في المنطقة الفلاحية الأكثر خصوبة وإنتاجا،
- ❖ إيجاد موقف واضح في مواجهة المشاكل التي تهدد الزراعة في منطقة السّرسو في سياق النمو والتّحضر السريع ووضع سياسة احتياطات عقارية للفلاحة الشّبه حضرية، ليس كأداة للحفاظ على الإمكانيات الاقتصادية فقط، ولكن أيضا كضرورة بيئية للمشهد الحضري تؤخذ بعين الاعتبار في أدوات التخطيط والتنمية الحضرية.

تقودنا النتائج المتحصل عليها من خلال هذا البحث إلى فتح منافذ للتفكير في إشكاليات متعددة يمكن أن تدرس كل منها على حدا ك:

- دور المدن الداخليّة في الشبّكة العمرانية الوطنية،
- العقار بين الهيكلة والممارسات،
- العلاقات بين المدينة والريف في سياق العولمة،
- دور المرأة في الوسطين الريفي والحضري.

قائمة المراجع

باللغة العربية:

الكتب:

1. أحمد بن هطال التلمساني، 1788 "رحلة محمد الكبير "باي الغرب الجزائري" إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم محمّد بن عبد الكريم، دار عالم الكتب للنشر بالقاهرة، 168 صفحة.
2. بن حموش مصطفى أحمد، 2000 "فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري 946 هـ --1246 هـ / 1549 م -1830 م" دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث -الإمارات العربية المتحدة - 320 صفحة.
3. بوزياني الدراجي، 2010 "القبائل الأمازيغية أدوارها ومواطنها وأعيانها" الجزء الأول 471 صفحة.
4. بشير تيجاني (1987) "مفاهيم وأراء حول تنظيم الإقليم وتوطين الصناعة" ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر
5. محمد العاني، 2010 "أصالة المدينة كوحدة جغرافية وتخطيطية، دراسة تحليلية في عوامل النشأة وخصائص الفكر التخطيطي" دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع سوريا، 273 ص
6. محمد عيسى الحريري، 1987 "الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160-296 هـ " دار القلم دبي -277 صفحة
7. محمد بن حسن، 1986 " القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط" دار الرياح الأربع تونس 221 صفحة
8. مها صباح سلمان، 2017 " التوجهات الحديثة للعمارة المستدامة دراسة تحليلية لمبادئ تصميم المسكن المستدام" دار أمجد للنشر والتوزيع عمان الأردن
9. عمار علوي، 2006 " الملكية والنظام العقاري في الجزائر" دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع 2006.
10. ياقوت الحموي، 1997، (معجم البلدان: ج2) دار صادر بيروت، لبنان، 1997

المقالات العلمية:

1. الشاوش أيوب (2021) " الأسواق الأسبوعية.. موروث ثقافي وحضور قوي في المغرب" <https://khlaasa.net/887414.html>
2. الحيارى وآخرون (2019) "تحليل أنماط التسوق وخصائص المتسوقين في السوبرماركت والمراكز التجارية كبيرة الحجم في مدينة عمان"، مجلة دراسات: العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 2 المجلد 46، 2019

قائمة المراجع

3. آيت مولود ناصر (2011)، السوق وطقوس العبور في منطقة القبائل. إنسانيات العدد 54 ص 13 - 26.
4. المراكشي (الاستبصار في عجائب الأمصار) نشر وتعليق زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية، العراق، 1980.
5. بسعود عمر، 2003 "الفلاحة في الجزائر: من الثورات الزراعية إلى الإصلاحات الليبرالية (1963-2002)" مجلة إنسانيات العدد 23/2003 ص 9-22
6. بوشامة أحمد، 2014 "تاريخ الأبحاث الأثرية لموقع عين تكرية بخميسي ولاية تيسمسيلت" <https://www.djazairiss.com/ouarsenis/5482>
7. بولكعبيات إدريس، 2002 "تجربة الجزائر في التنمية قراءة في الانتقال من نموذج إلى نموذج مضاد" مجلة علوم إنسانية المجلد 13 العدد 1 الصفحة 113-126
8. بن صحراوي كمال، 2014 "الوضعية الاجتماعية والاقتصادية في بلدية السرسو المختلطة في أعقاب الحرب العالمية الثانية من خلال أرشيف ما وراء البحار" مداخلة مقدمة خلال اليومين الدراسييين حول التراث الثقافي بين المعرفة والمهارة في زمن الرقمنة أيام 14-15 ماي 2014 منشورة بمجلة أبحاث العدد الثالث (الصفحات 82-88)
9. بوحوص شهيناز (2021)، "دور الزعمات المحلية في تحقيق المشروع الاستعماري الفرنسي" في الفترة 1830-1871" للبحوث والدراسات التاريخية والمتوسطة، المجلد 7، العدد 02، ديسمبر 2021، ص 90-113.
10. بورطال أمينة (2020) "تفعيل لوجستيات الموانئ الجافة نظام النقل من الباب إلى الباب" مجلة الدراسات القانونية مجلة علمية دولية سداسية محكمة صادرة عن مخبر السيادة والعولمة - جامعة يحي فارس بالمدينة المجلد 6 العدد 1
11. جعفري جمال، العجال عدالة (2018). مبادرات إصلاح القطاع الزراعي في الجزائر وأثرها على الناتج الزراعي- دراسة تحليلية وقياسية للفترة (2000-2015)، مجلة دفاتر اقتصادية المجلد 10 العدد 2 (2018) ص 98-119.
12. خاتمي مصطفى ولورثان بختي (2022) "اكتشاف معصرة الكروم بمنطقة أولاد جلول، ولاية تيسمسيلت" مجلة هيرودوت للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 6 العدد 1 (2022) ص 97_107
13. علي رؤوف المالكي، (2014). الموارد المالية والأوضاع الاجتماعية لتاهرت كما ورد في رسالة ابن الصّغير المالكي ت 290 هـ / 912 م "مجلة العدد الثاني والثلاثون 2014 ص 205-217

قائمة المراجع

14. فكّار عثمان، (2013) الاستيطان العمراني الفرنسي في الريف الجزائري مقارنة سوسيو تاريخية" مجلة جامعة دمشق المجلد 29 العدد 3-4، 2013 (صفحات 587-610).
15. قاسمي عبد الهادي (2011) "قبيلة الكرايش العامرية (تيارت، تيسمسيلت)"
<https://www.alnssabon.com/t45474.html>
16. قيشاني عزيز (2016) "تجارة الشّارع بين الهشاشة الاقتصادية والاجتماعية، مدينة الجديدة نموذجا"
<https://altpresse.com/permalink/25251.html>
17. مجمج فوزي، 2017 "حركة صعود بدو السوايح إلى السهول القسنطينية، مقارنة منوغرافية" مجلة الباحث الاجتماعي العدد 13، 2017 (الصفحات 319-325)
18. مقدر نور الدين، 2020 " المحتشدات الفرنسية بالجزائر خلال الثورة التحريرية (1955-1962) مجلة دراسات المجلد 7 العدد 1 (2020) ص 9-27
19. غردي محمد، بن نذير نصر الدين، 2016 " تطور السياسة الفلاحية في الجزائر واهم النتائج المحققة منها" مجلة الإدارة والتنمية للبحوث والدراسات المجلد 1 العدد (10) الصفحات 194-209
20. مرضي مصطفى، 1999 "المجتمع الريفي: من الاستقلالية إلى التبعية: معالم ودلالات" إنسانيات العدد 1999/7 ص 11-24 (<https://doi.org/10.4000/insaniyat.12186>)
21. مغدوري حسان (2021) " التّنظيم الإداري في الجزائر مع بداية الاحتلال.... بين مزاعم التّغيير وحكم الموروث" المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية. المجلد 06، العدد (1/2021) ص 20-38.
22. مطمر محمد العيد (2003) "التنظيم الإداري في عهد الاحتلال الفرنسي وأثره على الحالة الاجتماعية للسكان بمنطقة الأوراس" مجلة العلوم الإنسانية، العدد الرابع 2003 (ص 41-52).
23. عبة فريد، 2016 "تقييم السياسات العقارية للقطاع الفلاحي في الجزائر والحلول المقترحة لحل الإشكالية الفلاحية" مجلة أبحاث اقتصادية وإدارية، العدد 20 ص 189-209.
24. عثمان طيب، 2007 " الجمع بين تربية الماشية والزراعات المسقية. ضرورة أم اختيار في منطقة أقصى شمال الشط الشرقي" مجلة انسانيات، العدد 2007/38، ص 13-23.
25. عشبيبي طاهر، علقمة جمال، 2010 "التنظيم القطري وأثره على البنية المجالية في الجزائر" مجلة المعرفة العدد 10، أبريل 2010 جامعة بسكرة

قائمة المراجع

26. كامل كاظم بشير الكناني وأحمد عبد السلام حنش الجابري (2018) "استخدام منهجية التحليل المكاني في تقييم الملائمة المكانية للتوسع الحضري لمدينة الكرت" مجلة كلية التربية، العدد 12 ص 241-270.

27. وابل بختة، (2021) " الملكية العقارية في الجزائر خلال الإمبراطورية الفرنسية الثانية"

المدخلات والملتقيات:

1. بن شريطوة سناء، (2020). محاضرات في العقار الفلاحي، كلية الحقوق، جامعة قسنطينة.
2. بربارة عبد الرحمن (2020) التوجيه العقاري والعقار الفلاحي، محاضرات في القانون العقاري، قسم العلوم القانونية جامعة البليدة.

<https://elearning.univ-blida2.dz/course/view.php?id=1367>

3. هاشمي طيب (2014) "القطاع الزراعي في الجزائر في ظل الوفرة المالية، الفترة (2006-2013) بين الانجازات والعقبات" مداخلة مقدمة في الملتقى الدولي التاسع حول استدامة الأمن الغذائي في الوطن العربي في ضوء المتغيرات والتحديات الاقتصادية الدولية. المنعقد بجامعة شلف يومي 23-24 نوفمبر 2014.

مذكرات الماجستير وأطروحات الدكتوراه:

1. أوثن فاروق، 2015 " تقييم آثار تنفيذ المشاريع الجوارية للتنمية الريفية المندمجة في تحقيق التنمية الريفية المستدامة دراسة حالة مشروع منطقة ايقوبان بلدية شلية ولاية خنشلة" مذكرة ماجستير في العلوم الاقتصادية، جامعة سطيف 340 صفحة
2. بن غضبان فؤاد (2009) "دور شبكة الخدمات في التنظيم المجالي بولايتي عنابة والطارف" رسالة دكتوراه في التهيئة العمرانية، جامعة قسنطينة 2009، 457 صفحة.
3. حوشين كمال، 2007 "إشكالية العقار الفلاحي وتحقيق الأمن الغذائي في الجزائر" أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية جامعة الجزائر.
4. عياش خديجة، 2011 "سياسة التنمية الفلاحية في الجزائر دراسة حالة المخطط الوطني للتنمية الفلاحية (2000-2007) مذكرة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة قسنطينة 118 صفحة.
5. عزباوي سهام، 2005 "دور الشبكات الحضرية في تنظيم مجال ولاية أم البواقي" مذكرة ماجستير في الجغرافيا، جامعة قسنطينة 2005
6. سعيداني سحنون (2008) " الاستيطان في منطقة الوئشريس والسرسو ورد فعل المقاومة الجزائرية (1830-1930)، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر.

قائمة المراجع

7. شواش عبد القادر، 2013 "الدينامية الإقليمية ورهانات التنمية المحلية المندمجة حالة دراسية لبلديات من الإقليم الشمالي لولاية سطيف" أطروحة دكتوراه في الجغرافيا والتهيئة العمرانية إشراف الدكتور شراد صلاح الدين- جامعة قسنطينة- 524 صفحة
8. قراوي نادية، 2010 " دور الريف الجزائري في مسار الثورة التحريرية 1954-1958" مذكرة ماجستير في التاريخ جامعة وهران 1.
9. رضوان. هشام (2011) أزمة القطاع الزراعي الفلسطيني ومعوقات التسويق في قطاع غزة، مذكرة ماجستير، الأكاديمية العربية في الدنمارك.
10. محمد عزام زين، 2012 " المخططات التنظيمية والتنمية الريفية العمرانية الحالة الدراسية (المحور الشمالي الرئيسي لريف محافظة حلب)" مذكرة ماجستير في الهندسة المعمارية إشراف الدكتورة لميس حربلي، جامعة حلب -209 صفحة.
11. مدور يحي، 2012 " التعمير وآليات استهلاك العقار الحضري في المدينة الجزائرية، حالة مدينة ورقلة" مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الهندسة المعمارية، تحت إشراف الدكتور ديب بلقاسم جامعة باتنة، 226 صفحة.
12. معبد سفيان (2013) "إشكالية توازن الشبكة العمرانية في ولاية سطيف" مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الجغرافيا وتهيئة الإقليم، جامعة هواري بومدين للعلوم والتكنولوجيا، 214 صفحة.
13. مزياي عائشة (2014) "استراتيجيات الإنتاج ورهانات التحكم في العقار الحضري بمجموعة فرنسة" مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الجغرافيا وتهيئة الإقليم، جامعة وهران 2.
14. ويلي صالح، 2009 "التنمية الريفية والفلاحية في بلديتين على السفوح الجنوبية للسلسلة التوميديية، بني حميدان (قسنطينة) وحمالة (ميلة) مذكرة ماجستير في الجغرافيا والتهيئة العمرانية، إشراف الدكتور شراد صلاح الدين- جامعة قسنطينة- 243 صفحة
15. وابل بختة، 2013 الاستيطان الفرنسي في منطقة تيارت (1840-1890) مذكرة ماجستير في التاريخ جامعة وهران 1.

مذكرات تخرج:

1. بن يمينة بلقاسم وبوفروج عبد القادر (2002)، التغيرات الطارئة على مدينة مهدية (ولاية تيارت) خلال الفترة الأخيرة (1987-2002)" مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا وتهيئة الإقليم، جامعة وهران (148 صفحة).

قائمة المراجع

2. بوقطوفة رابع، بورمل يحي بوغاري (1998) "تحولات البنية الزراعية بدائرة الدّاحموني ولاية تيارت" مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتّهيئة العمرانية، جامعة وهران 1998.
3. بوفروج عبد القادر (2018) "إعادة الإسكان في مجعتي دحموني وعين بوشقيف بولاية تيارت" مذكرة لنيل شهادة ماستر في الجغرافيا وتهيئة الإقليم، جامعة وهران 2.
4. بلقرانة رشيدة ودريش خليدة (2022) "السّكن الهش في مدينة تيسمسيلت، آليات التّدخل وانعكاساتها المجالية والاجتماعية" مذكرة لنيل شهادة ماستر في تسيير التقنيات الحضرية، جامعة شلف (134 صفحة).
5. حيساني خيرة وربوح وردة (2020) "الاستيطان الفرنسي في منطقة الونشريس والسرّسو، ورد فعل المقاومة الجزائرية (1844-1930)" مذكرة لنيل شهادة ماستر في التّاريخ، جامعة تيارت.
6. خفيف سعدية (2005) "دراسة المجمعات الحضرية السّكنية الجديّدة بمدينة تيسمسيلت، حالة حي المرجة" مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا وتهيئة الإقليم، جامعة وهران.
7. سكوم محمد، 2018 "انجاز قاعدة معطيات متعددة المصادر حول السّكن الريفي حالة بلدية العيون، ولاية تيسمسيلت" مذكرة لنيل شهادة ماستر في الجغرافيا، جامعة وهران 2 (78 صفحة).
8. عثمان طيب وسعاد عبد القادر (1992) "الصّناعة في تيارت" مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتّهيئة العمرانية، جامعة وهران 1992.
9. مرقومة منصور وصديقي قادة (1991) "الدّور الإقليمي لمدينة مهدية، ولاية تيارت" مذكرة لنيل شهادة مهندس دولة في الجغرافيا والتّهيئة العمرانية، جامعة وهران 1991.

باللّغات الجنبية:

Les Ouvrages :

- 1- CHALINE, C. (1980). La dynamique urbaine, Presses universitaires de France.
- 2- DE BAUDICOUR, L. (1853), La guerre et le gouvernement d'Algérie, Paris, Ed : S et Bray.
- FAUCOU, N. (1889). Le livre d'or de l'Algérie : histoire politique, militaire. https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&ved=2ahUKewilwZqawJf-AhWNh1wKHV8DCEwQFnoECA8QAQ&url=http%3A%2F%2Fwww.berberemultimedia.ft%2Fbibliotheque%2Fouvrages_2005%2FFaucon_Livred%2527Or.pdf&usg=AOvVaw2YzbxGcboX6cG-JkRJlw3c

- 3- Henni, S. (2019). Architecture de la contre-révolution : L'armée française dans le nord de l'Algérie. Paris, Éditions B42, 2019, 344p.
- 4- Lesbet, D. (1983). Les 1000 villages socialistes en Algérie. Office des Publication universitaire France, 335p.
- 5- MAROUF, N. (1981). Terroirs et villages Algériens, OPU 165p
- 6- POUGET Pédologue, (1973). Etude Agro pédologique Au 1 /100 000 Du Plateau Du Sersou. https://horizon.documentation.ird.fr/exl-doc/pleins_textes/divers15-05/37270.pdf

Les Thèses et les mémoires :

- 1- Bekkouche, A. (2016). Habitat Rural En Algérie Impact Des Mutations Sociales Sur La Production Du Logement Cas De La Vallée De La Seybouse Wilaya De Guelma. Thèse de doctorat en architecture université d'Annaba, 398p.
- 2- El Moujaddidi, N. (1995) « La dynamique urbaine des villes marocaines » Thèse en vue de l'obtention Du Doctorat en-sciences économiques- Université de Montesquieu Bordeaux IV p 1.
- 3- HACHELEF, M. (1988), L'industrialisation de l'Algérie intérieure Tiaret et sa région, thèse de doctorat en géographie université ; 428 p
- 4- Hadeid, M. (2006), Les mutations spatiales et sociales d'un espace à caractère steppique, le cas des Hautes Plaines sud-oranaises (Algérie).
- 5- Jean-Matthieu, H. (2009), « Mutation fonctionnelle de l'emploi et dynamique urbaine, Université de Lyon Institut d'études politiques de Lyon 104 p
- 6- KASDALLAH, N. (2013), Dynamiques d'urbanisation des villes intermédiaires au Maghreb (Algérie, Maroc et Tunisie) : Effet chef-lieu et perspectives de développement, Université De Cergy-Pontoise 351 p.
- 7- OTMANE, T. (2002) L'accession à la propriété foncière agricole par la mise en valeur dans le milieu steppique (wilaya de Tiaret) » thèse de magister en géographie université d'Oran 127 p.
- 8- OTMANE, T. (2010), Mise en valeur agricole et dynamiques rurales dans le Touat, le Gourara et le Tidikelt (Sahara algérien) thèse de doctorat en géographie université d'Oran 399 p.
- 9- Safar- Zitoun, M. (1976). Les villages socialistes de la Révolution agraire en Algérie : l'adaptation sociale à un cadre écologique nouveau. Thèse de 3e cycle de sociologie, Montpellier, 383 p. <https://om.ciheam.org/article.php?IDPDF=CI911704>

- 10- Saadoun, R. (1989). Elément d'analyse de la croissance urbaine d'une petite ville de l'intérieur le cas de Tissemsilt. Mémoire de fin d'étude pour obtenir DES en aménagement du territoire, université d'Oran.
- 11- Tabaka, K. (2009). Vers une nouvelle socio-géographie de la mobilité quotidienne. Etude des mobilités quotidiennes des habitants de la région urbaine de Grenoble. Thèse de doctorat en géographie de l'Université Joseph Fourier.
- 12- TRACHE, S. (2010), Mobilités Résidentielles Et Périurbanisation Dans L'agglomération Oranaise. Thèse de doctorat en géographie université d'Oran 399 p.
- 13- YOUSFI, B. (2012), Dynamiques urbaines, mobilités et transports dans le Sud-ouest algérien (wilayas d'Adrar et de Bechar). Thèse de doctorat en géographie université d'Oran 446 p.

Les Articles :

1. Arecchi, A., Megdiche, C. (1979), *Les villages socialistes en Algérie*. Cahiers de la Méditerranée (n° 19), pp 3-14. Consulté https://www.persee.fr/doc/camed_0395-9317_1979_num_19_1_1457
2. Akkach Maacha D. (2011), *Tizi-Ouzou, pôle générateur de déplacements*. In Insaniyat, Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales 54 | 2011 : Tizi-Ouzou et la Kabylie : mutations sociales et culturelles.
3. Alexandre, U. (1995). *La dynamique spatiale de la population en Roumanie : 1977-1992*, REVUE GÉOGRAPHIQUE DE L'EST Tome 35 N°2 -1995 Mutations des campagnes d'Europe centrale. pp. 105-113. http://www.persee.fr/doc/rgest_0035-3213_1995_num_35_2_2294
4. Bekkouche, A. Otmane, T. (2022), *Structural and functional transformations of an intermediate city and the emergence of commercial strips, the case of Tiaret in Algeria*. <https://doi.org/10.4000/cybergeog.39828>
5. Bessaoud, O. (1980). *La révolution agraire en Algérie : continuité et rupture dans le processus de transformations agraires*. Tiers-Monde, tome 21(n°83), pp 605 - 626. Consulté à <https://doi.org/10.3406/tiers.1980>.
6. Bessaoud, O. (2016). *Les réformes agraires postcoloniales au Maghreb : un processus inachevé*. [Revue d'histoire moderne & contemporaine](#), pages 115 à 137. Consulté à [2016/4-4bis \(n° 63-4/4 bis\)](#).
7. Blanchard, J.(2017) *Enjeux De La Commercialisation Des Produits Agricoles L'Analyse de Marché: un méthodologie venue des traders et pouvant être mise au service des petits*

- producteurs* (<https://docplayer.fr/63017390-Enjeux-de-la-commercialisation-des-produits-agricoles.html>)
8. Boumaza, N. (1997). *Rapports villes campagnes sur le contact Ouarsenis, Sersou*, Alger, 1997.
 9. Bousmaha ; A (2014). *Le Rôle Des Petites Villes Dans Le Mouvement d'urbanisation En Algérie : Le Cas De La Région Centrale Du Tell De L'est Algérien* : in Sciences & Technologie D - N°39, Juin (2014). pp.29-44.
 10. Brunet, R, Ferras. R, et al. (1998). *Les Mots de la géographie*, dictionnaire critique. Montpellier-Paris, La Documentation française.
 11. Cau, E, Cuenot, Y et Farah, B. (2011) *Les fruits et légumes en méditerranée : des complémentarités certaines à développer, Le cas de la filière fruits et légumes en Algérie*, Agroligne, Montpellier. P1-52 <https://www.agroligne.com/IMG/pdf/81.pdf>
 12. Chetaille, A et autres. (2011) *Gestion des risques agricoles par les petits producteurs Focus sur l'assurance récolte indicielle et le warrantage*, A F D document de travail n°113 mai 2011, France. P1-88 (<https://docplayer.fr/1015717-Gestion-des-risques-agricoles-par-les-petits-producteurs-focus-sur-l-assurance-recolte-indicielle-et-le-warrantage.html>)
 13. Chabi, N. (2008). *Les Villages Socialistes, une image fabriquée pour l'espace rural*. Sciences & Technologie D – (n°27), pp 53-60. Consulté à <https://fr.scribd.com/document/488602475/LES-VILLAGES-SOCIALISTES-UNE-IMAGE-FABRIQUEE-POUR-1-pdf>
 14. Christiansen, P.O. (2020). *Peasant and Farming Villages*. Consulté à (<https://www.encyclopedia.com/international/encyclopedias-almanacs-transcripts-and-maps/peasant-and-farming-villages>). Janvier, 2022
 15. Cocard, M. (2005). *Améliorer l'habitat rural, in La maison rurale en pays d'habitat dispersé*. Presses universitaires de Rennes, Rennes, pp 51-61. Consulté à <https://books.openedition.org/pur/11690#authors>
 16. Commerçons, N. (1985). *Espace commercial et dynamique urbaine : l'exemple de Chalon sur Saône*. In *Revue de géographie de Lyon*, vol. 60, n°1-2, 1985. pp. 27-55 <https://doi.org/10.3406/geoca.1985.4047> www.persee.fr/doc/geoca_0035-113x_1985_num_60_1_4047
 17. Côte, M. (1986). *L'habitat rural en Algérie, formes et mutations*. Annuaire de l'Afrique du Nord, Tome XXV Editions du CNRS, pp. 299–316.

18. Côte, M. (1994). *L'urbanisation en Algérie : idées reçues et réalités*. Travaux de l'Institut Géographique de Reims (n°85-86) Etudes Algériennes. pp. 59
19. Côte, M. (2011). *L'Algérie, mondialisation et nouvelles territorialités*. Méditerranée, (116), pp. 77-84.
20. Daoudi A, Colin J-P, Baroud K. (2021). *La politique de mise en valeur des terres arides en Algérie : une lecture en termes d'équité*. Cah. Agric. 30 : 4. https://horizon.documentation.ird.fr/exl-doc/pleins_textes/divers21-02/010080638.pdf
21. Derderi A, Daoudi A, Colin J-P (2022). *Durabilité du foncier irrigué en zones steppiques d'Algérie, le risque de l'effondrement hydraulique*. Cah. Agric. 31 : 18. <https://doi.org/10.1051/cagri/2022015>
22. De Villers, G. (1980). *L'État et la révolution agraire en Algérie*. Revue française de science politique, 30^e année (n°1), pp 112 - 139. Consulté à <https://doi.org/10.3406/rfsp.1980.393880>
23. Divigneau, G. (1986). *Nouveaux modes d'occupation de l'espace, nouveaux modes d'habiter sur les hauts plateaux Algériens*. Edition du CNRS, Annuaire de l'Afrique du Nord, Tome xxv p 323.
24. Doret, C. Megdiche, C. (1979). *Perception et connaissance des villages socialistes auprès des futurs architectes algériens*. Cahiers de la Méditerranée, (n°19). Villages socialistes en Algérie / Le Dahir berbère de 1930 et le monde arabe. pp. 35-38.
25. DE BAUDICOUR, L. (1853). *La guerre et le gouvernement d'Algérie*, Paris, Ed : S et Bray, 1853, p.456.
26. Ibrahim, S. Gaber, M. (2010). *Rural Development Policies in Egypt*. SUSTAINMED Working paper (n° 02) V2 (2) 10/102010, pp1-16. Consulté à https://www.researchgate.net/profile/Ibrahim-Soliman-7/publication/321866618_Rural_development_policies_in_Egypt/links/5a48964d458515f6b0572d0e/Rural-development-policies-in-Egypt.pdf?origin=publication_detail
27. Lesne, M. (1962). *Une expérience de déplacement de population : les centres de regroupement en Algérie*. In : Annales de Géographie, t. 71, n°388, 1962. pp. 567-603 (https://www.persee.fr/doc/geo_0003-4010_1962_num_71_388_21873)
28. Le Coz, J. (1979). *Dynamique de la Révolution agraire algérienne. La phase de la « bataille de la gestion »*. Méditerranée, troisième série, tome 35, 1-2. L'homme et son milieu naturel au Maghreb. P 93-97 Consulté à <https://doi.org/10.3406/medit.1979.1902>.

29. Mahgoub, Y. (2016). *The Transformation of Rural Settlements and Dwellings in Egypt*, ResearchGate.net. pp1-28. Consulté à <https://www.researchgate.net/publication/289056132>
30. Megdiche, C. (1977). *Les villages socialistes en Algérie (éléments pour une approche socio-historique)* In : Cahiers de la Méditerranée, n°14, 1, 1977. Le Maghreb, les Maghrébins et la France. pp. 81-92
31. Megdiche, C. (1979). *Le financement des villages socialistes*. Cahiers de la Méditerranée. Villages Socialistes en Algérie / Le Dahir berbère de 1930 et le monde arabe (n°19), pp 15-33.
32. Meziani, A. Otmane, T. (2022). *socialist agricultural villages in Sersou (western Algeria) rural areas' modernization with urban landmarks*. BSGLG, 79, 2022, 137-156 <https://popups.uliege.be/0770-7576/index.php?id=6862>
33. Miller, H. J. (2004). *Activities in Space and Time*. Handbook of Transport 5: Transport Geography. and Spatial Systems. P. Stopher, K. Button, K. Haynes et H. D.
34. Otmane, T. (2005). *Mise en valeur agricole et mutations socio-spatiales en milieu steppique : le cas de la wilaya de Tiaret*. Insaniyat, (n°29-30), pp175-189. <https://doi.org/10.1051/cagri/2022015>
35. Orfeuill, J.-P. (2000). *L'évolution de la mobilité quotidienne. Comprendre les dynamiques, éclairer les controverses*, Synthèse Inrets n° 37.
36. Perrin, R. (1960). *Le Sersou, Etude de géographie humaine (Deuxième article)* https://www.persee.fr/doc/medit_0025-8296_1961_num_2_1_3418
37. Perrin, R. (1960). *Le Sersou, Etude de géographie humaine (Premier article)* https://www.persee.fr/doc/medit_0025-8296_1960_num_1_2_987
38. Poncet, J. (1964). *Quelques problèmes de l'agriculture algérienne vus à travers l'exemple du département de Tiaret*. In : Tiers-Monde, tome 5, n°18, 1964. pp. 211-233 ; doi : <https://doi.org/10.3406/tiers.1964.1021>
39. Pouzenc, M. (2016). *Commerce et espaces ruraux*. Bulletin de la Société Géographique de Liège, n°66. P 27
40. Ramdini, S. et Autres (2016). *Le processus de régulation du service public local des transports en Algérie au gré des réformes : La problématique du désengagement-réengagement de l'Etat*. In Revue Algérienne de la mondialisation et des politiques économiques / N°07- 2016.

41. Saada, M. & Hmouda, A. (2020). *Habitat Rural : Vers Un Nouveau Fonctionnement De La Ruralité Cas De La Commune De Tigharghar (Aurès –Algérie)*. Revue Roumaine de Géographie, București, 64, (n°2), pp 215–227.
42. Sahli, Z. (1986). *Les Hautes-Plaines Du Sersou, Cadre D'interaction entre 'Deux Systèmes De Production : Le Système "Céréaliculture" Et Le Système "Ovin-Viande" I.N.E.S. - AGRO-VETERINAIRE TIARET* (pp 53-65)
43. Sahli, Z. (1991). *Ecosystèmes en crise, risques et sécurité dans une agriculture méditerranéenne ; Le cas de la zone semi-aride du Sersou (Tiaret, Algérie)*. Montpellier : CIHEAM Options Méditerranéennes : Série A. Séminaires Méditerranéens (n° 21), pp 49-52.
44. Picard, A. (1989). *Lotissements et colonisation : Algérie, 1830-1970*, In : Villes en parallèle, n°14, juin 1989. La ville fragmentée. Le lotissement d'hier et d'aujourd'hui. pp. 214-237 (<https://doi.org/10.3406/vilpa.1989.1062>)
45. PIESSE, L. (1882). *Itinéraire de l'Algérie, de Tunis et de Tanger 1882* (sur le site Gallica.bnf.fr) p 311.
46. Yacono. X. (1953). *LES Bureaux Arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest de tell Algérois (Dahra, Chéelif, Ouarsenis, Sersou) tome I, vol : 78*, Editions Larose, paris.

النصوص التشريعية:

القوانين:

1. الأمر 73/71 المؤرخ في 08/11/1971 المتضمن الثورة الزراعية.
2. القانون رقم 82-11 المؤرخ في 21 أوت 1982، المتضمن الاستثمار الاقتصادي الوطني الخاص، الجريدة الرسمية العدد 34 الصادرة في 24 أوت 1982.
3. القانون رقم 84-12 المؤرخ في 23 جوان 1984، المتضمن النظام العام للغابات- الجريدة الرسمية العدد 26 الصادرة في 26 جوان 1984.
4. القانون رقم 87-03 المؤرخ في 27 جانفي 1987، المتضمن التهيئة العمرانية-الجريدة الرسمية العدد 05 الصادرة في 28 جانفي 1987.
5. القانون رقم 87-19 المؤرخ في 08 ديسمبر 1987، المتضمن ضبط كفايات استغلال الأراضي الفلاحية التابعة للأملك الوطنية وتحديد حقوق المنتجين وواجباتهم-الجريدة الرسمية العدد 50 الصادرة في 09 ديسمبر 1987.

قائمة المراجع

6. القانون رقم 90-25 المؤرخ في 18 نوفمبر 1990، المتضمن التوجيه العقاري-الجريدة الرسمية العدد 50 الصادرة في 19 نوفمبر 1990.
7. القانون رقم 90-29 المؤرخ في 01 ديسمبر 1990، المتضمن التهيئة والتعمير-الجريدة الرسمية العدد 52 الصادرة في 02 ديسمبر 1990.
8. القانون رقم 90-30 المؤرخ في 01 ديسمبر 1990، المتضمن الأملاك الوطنية-الجريدة الرسمية العدد 52 الصادرة في 02 ديسمبر 1990.
9. القانون رقم 91-11 المؤرخ في 27 أبريل 1991 يحدد القواعد المتعلقة بنزع الملكية من أجل المنفعة العمومية-الجريدة الرسمية العدد 21 الصادرة في 08 مايو 1991.
10. القانون رقم 01-20 المؤرخ في 12 ديسمبر 2001 المتضمن تهيئة الإقليم وتنميته المستدامة-الجريدة الرسمية العدد 77 الصادرة في 15 ديسمبر 2001.
11. القانون رقم 11-04 المؤرخ في 17 فبراير 2011 الذي يحدد القواعد التي تنظم نشاط الترقية العقارية-الجريدة الرسمية العدد 14 الصادرة في 06 مارس 2011.
12. القانون رقم 08-14 المؤرخ في 20 يوليو 2008 يعدل ويتم القانون رقم 90/30 المؤرخ في 01 ديسمبر 1990، المتضمن الأملاك الوطنية-الجريدة الرسمية العدد 10 الصادرة في 03 أوت 2008.
13. الأمر 06-11 المؤرخ في 30 أوت 2006، يحدد شروط وكيفيات منح الامتياز والتنازل على الأراضي التابعة للأملاك الخاصة للدولة والموجهة لإنجاز مشاريع-الجريدة الرسمية العدد 49 الصادرة في 03 سبتمبر 2006.
14. الأمر رقم 08-04 المؤرخ في أول سبتمبر 2008، يحدد شروط وكيفيات منح الامتياز على الأراضي التابعة للأملاك الخاصة للدولة والموجهة لإنجاز مشاريع-الجريدة الرسمية العدد 49 الصادرة في 03 سبتمبر 2008.
15. القانون رقم 83-18 الصادر في أوت 1983 المتعلق باستصلاح الأراضي وحياسة الملكية العقارية الصادر بتاريخ 13/08/1983.
16. القانون رقم 08-16 المؤرخ في 3 أوت 2008 المتضمن التوجيه الفلاحي-الجريدة الرسمية العدد 46 الصادرة في 10 أوت 2008.
17. القانون رقم 10-03 المؤرخ في 15 أوت 2010، الذي يحدد شروط وكيفية استغلال الأراضي الفلاحية التابعة للأملاك الخاصة للدولة.

المراسيم التنفيذية:

1. المرسوم التنفيذي 69/15 المتضمن تعريف مجموعة العمال التابعين الاستغلال الفلاحي المسير ذاتيا

قائمة المراجع

2. المرسوم التنفيذي رقم 97-483 المؤرخ في 17 سبتمبر 1997 المحدد لكيفية منح قطع أراضي من الأملاك الوطنية الخاصة للاستصلاح في المناطق الصحراوية، السهبية والجبلية.
3. المرسوم التنفيذي رقم 03-313 المؤرخ في 16 سبتمبر 2003 الذي يحدد شروط وكيفيات استرجاع الأراضي الفلاحية التابعة للأملاك الوطنية المدمجة في القطاع العمراني- الجريدة الرسمية العدد 57 الصادرة في 21 سبتمبر 2003.
4. المرسوم التنفيذي رقم 10-326 المؤرخ في 23 ديسمبر 2010 الذي ينص على كيفية تنفيذ حق الامتياز لاستغلال الأراضي الفلاحية التابعة للأملاك الخاصة للدولة.

التعليمات:

1. التعليم رقم 01 المؤرخة في 19 أبريل 2010 الصادرة عن الوزير الأول تتعلق باقتطاع الأراضي الفلاحية لحاجيات أساسية مرتبطة بإنجاز مشاريع عمومية للتنمية.
2. التعليم رقم 02 المؤرخة في 12 ماي 2013 الصادرة عن الوزير الأول تتعلق باقتطاع أراضي فلاحية من أجل تلبية الحاجيات الضرورية المرتبطة بإنجاز مشاريع عمومية للتنمية.
3. تعليمة وزارية مشتركة رقم 01 المؤرخة في 07 جويلية 2014.
4. مقرر وزاري رقم 875/م.د.و. أ/المؤرخة في 26 جويلية 2015

المنشورات:

1. منشور رئاسي رقم 14 الصادر في 14 مارس 1981 المتعلق بالتسيير الذاتي
2. المنشور الوزاري المشترك رقم 108 المؤرخ في 23 فبراير 2011
3. المنشور الوزاري رقم 402 المؤرخ في 2 جوان 2011.
4. القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 24 نوفمبر 2022 يحدد كيفيات وإجراءات منح المحيطات للاستصلاح في إطار الامتياز

المخططات والوثائق التقنية:

1. مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلدية تيارت (2017) المنجز من طرف مكتب الإنجاز العمراني تيارت (URBATIA)، المرحلة الأولى والثانية.
2. المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلدية ملاكو (2017) المنجز من طرف مكتب الإنجاز العمراني تيارت (URBATIA)، المرحلة الأولى والثانية.
3. مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلدية مهدية (2017) المنجز من طرف مكتب الإنجاز العمراني تيارت (URBATIA)، المرحلة الأولى والثانية.
4. مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلدية عين بوشقيف (2017)، المرحلة الأولى والثانية.

قائمة المراجع

5. المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلدية السبعين (2007) المنجز من طرف مكتب الدراسات
6. مخطط تهيئة ولاية تيارت (1995) المنجز من طرف الوكالة الوطنية للتهيئة العمرانية (ANAT)
7. مخطط تهيئة ولاية تيارت (2013) المنجز من طرف مكتب الدراسات (URBATIA)
8. مخطط تهيئة ولاية تيسمسيلت (2016) المنجز من طرف مكتب الدراسات Agence Nationale à l'Aménagement et à L'Attractivité des Territoires
9. مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير مجمع بلديتي عين دزاريت والناظورة (2015) المنجز من طرف مكتب الدراسات BET DAAS NAWEL
10. مراجعة المخططات التوجيهية للتهيئة والتعمير للبلديات (ملاكو، مهدية، مجمع حمادية-بوقارة والرشايق، العيون، خميستي وأولاد بسام).
11. مخططات شغل الأراضي للأحياء (عين البرج، عين الحجر، عين لوراء، مركز المدينة، مجمعة عين الكرمة، الدرب، المرجة وحي حليل) بلدية تيسمسيلت.
12. Etude pour l'élaboration du schéma de cohérence urbaine de la ville de Tiaret (2014) réaliser par le Bureau d'étude Moyens d'Applications et Techniques de l'Hydraulique et de l'Environnement M.A.T.H Constantine
13. ARMATURE URBAINE « Recensement général de la population et de l'habitat 2008- Collection statistique N° 163/2011 Série S : statistique social 214 page

المواقع الالكترونية:

- 1- http://bu.umc.edu.dz/opacar/opac_css/index.php?lvl=categ_see&id=8&page=1&nbr_lignes=72&main=1&l_typdoc=a
- 2- <http://physio-geo.revues.org/2241>
- 3- http://theses.univ-batna.dz/index.php?option=com_docman&task=cat_view&gid=330&Itemid=4
- 4- www.bnf.fr/fr/collections_et_services/catalogues.html
- 5- Alger-oi.fr/Alger/documents_algeriens/social/.../50_population_1954
- 6- Ministère de l'instruction publique et des beaux-arts, « Bulletin de géographie historique et descriptive, 1900. (<https://books.google.dz/books?id=SPT0cscipe0C&pg=PA334&dq=Tingartia&hl=fr&sa=X&ved=2ahUKEwiZ3LSm3ab1AhUOyoUKHQ2VAgkQ6AF6BAgJEAI#v=onepage&q=Tingartia&f=false>)

الفهارس

قائمة الجداول

- الجدول رقم 1: الهجرة الأوروبية نحو السّرسو 34
- الجدول رقم 2: التّجزئة في مراكز السّرسو 36
- الجدول رقم 3: السّكن ببلديات السّرسو حسب الصّيغة السّكنية (2019-2020) 53
- الجدول رقم 4: توزيع الهياكل الصحية بالسّرسو 58
- الجدول رقم 5: الاستثمار في الصّحة ببلدية تيارت 58
- الجدول رقم 6: توزيع سكان السّرسو حسب المجمعات والأجناس عام 1884 61
- الجدول رقم 7: توزيع سكان السّرسو عام 1957 62
- الجدول رقم 8: الأصل الجغرافي للعمال الموسمين 68
- جدول رقم 9: معدل النّمو حسب نمط الاستيطان حسب بلديات السّرسو 69
- تابع الجدول رقم 10: معدل النّمو حسب نمط الاستيطان حسب بلديات السّرسو 70
- الجدول رقم 10: تطور سكان السّرسو حسب البلديات (1966-2019) 71
- الجدول رقم 11: تطور سّكان السّرسو حسب ولايات المنطقة (1966-2019) 73
- الجدول رقم 12: توزيع سكان السّرسو حسب نمط الاستيطان (1966-2008) 77
- تابع الجدول رقم 12: توزيع سكان السّرسو حسب نمط الاستيطان (1966-2008) 78
- الجدول رقم 13: السّكن الرّيفي ببلديات السّرسو في الفترة 2002-2016 79
- الجدول رقم 14: رصيد الهجرة حسب بلديات السّرسو 80
- الجدول رقم 15: تطور نسبة السّكان المتجمعين حسب بلديات السّرسو 82
- الجدول رقم 16: معدل نمو السّكان المتجمعون في السّرسو 85
- الجدول رقم 17: معدل نمو السّكان المبعثرون بالسّرسو (1966-2019) 88
- الجدول رقم 18: تطور المبعثرين حسب بلديات السّرسو (1966-2019) 90
- الجدول رقم 19: تطور الهيكلة الإدارية للسّرسو بعد الاستقلال 99

- الجدول رقم 20: الكثافة السكانية في السرسو حسب البلديات (1987-2019) 103
- الجدول رقم 21: معدل التّحضر في السرسو حسب البلديات (2008-1966) 105
- الجدول رقم 22: التوسع العمراني لتيارت 1977-1985 118
- الجدول رقم 23: انجاز السّكن ببلدية تيارت، حسب صيغته (2010-2019) 120
- الجدول رقم 24: انجاز السّكن ببلدية تيسمسيلت، حسب صيغته (2005-2009) (2010-2014) ... 126
- الجدول رقم 25: الحصص السكنية المسلمة سنويا بمهدية 133
- الجدول رقم 26: البرامج السّكن بمهدية حسب الصّيغة خلال البرنامج الخماسي (2015-2019) 133
- الجدول رقم 27: انتاج السّكن الرّيفي في السرسو (2002-2020) 142
- الجدول رقم 28: مكان الإقامة السّابقة لأرباب أسر مجمعة عين مصباح 152
- الجدول رقم 29: التّغيرات التي مست الفضاء السّكني بقرى السرسو الاشتراكية 157
- الجدول رقم 30: المشتغلين بالقرى الاشتراكية حسب القطاعات الاقتصادية 164
- الجدول رقم 31: توزيع المجمعّات العمرانية حسب نمط الاستيطان 177
- الجدول رقم 32: توزيع مجمعّات السرسو حسب الصّنف وعدد السّكان ومعدل النمو السنوي 184
- تابع الجدول رقم 32: توزيع مجمعّات السرسو حسب الصّنف وعدد السّكان ومعدل النمو السنوي 184
- الجدول رقم 33: مقارنة الشّبكة العمرانية بين سهل السرسو وسهل سطيف سنة 2008 191
- الجدول رقم 34: تطور الشّبكة العمرانية في السرسو 193
- الجدول رقم 35: تصنيف المجمعّات (1977-1966-2008-1998) 195
- الجدول رقم 36: توزيع الطرق في بلديات السرسو حسب نوعها 201
- الجدول رقم 37: تطور ملكية أراضي الاستيطان في دوار بني لنت وبني مايدة 215
- الجدول رقم 38: توزيع المستثمرات الفلاّحية في السرسو حسب الحجم والملكية (الإحصاء الزراعي
1951) 217
- الجدول رقم 39: الطّبيعة العقارية للأراضي التي أنشئت عليها المراكز العمرانية بالسرسو 219
- الجدول رقم 40: الاستصلاح الزراعي في السرسو 226

- الجدول رقم 41: الاستصلاح الفلاحي الجديد في إطار الامتياز بسهل السرسو 228
- الجدول رقم 42: المشاريع الفلاحية في إطار المخطط الوطني للتنمية الفلاحية دائرة الدحموني 230
- الجدول رقم 43: الاستفادة من المخطط الوطني للتنمية الفلاحية 230
- الجدول رقم 44: المشاريع الجوارية للتنمية الريفية المدمجة بالرسو 232
- الجدول رقم 45: البرامج الجوارية للتنمية الريفية المدمجة (حصة تربية المواشي) 233
- الجدول رقم 46: المشاريع الجوارية للتنمية الريفية المدمجة (تحسين مردود القطاع الفلاحي) 234
- الجدول رقم 47: برامج الدعم الفلاحي بالرسو (دائرة مهدية) 238
- الجدول رقم 48: تطور عدد المستثمرات الفلاحية في السرسو 239
- الجدول رقم 49: توزيع المساحات المزروعة في السرسو عام 1951 252
- الجدول رقم 50: أنماط الاستغلال الفلاحي في أراضي السرسو 254
- الجدول رقم 51: تطور المساحات الفلاحية في السرسو 260
- الجدول رقم 52: تطور المستثمرات حسب النوع والمنطقة 263
- الجدول رقم 53: الوضعية القانونية والعقارية للأراضي الفلاحية بالرسو حسب نوع المستثمرة 265
- الجدول رقم 54: توزيع المستثمرات الفلاحية حسب نوعها ومساحتها 266
- الجدول رقم 55: المساحات المسقية (محيط السقي بوقارة) 268
- الجدول رقم 56: تطور المساحة المسقية (محيط السقي السبعين) 269
- الجدول رقم 57: مصادر الرّي (منشآت تعبئة مورد الماء) في السرسو حسب البلدية ونوع المستثمرة 270
- الجدول رقم 58: ملكية مصادر الرّي في السرسو 271
- الجدول رقم 59: نظام السقي في السرسو 272
- الجدول رقم 60: توزيع المشتغلين في السرسو حسب القطاعات الاقتصادية والبلديات 277
- الجدول رقم 61: المشتغلين بالقرى الاشتراكية حسب القطاعات الاقتصادية 278
- الجدول رقم 62: المهن الممارسة من طرف فلاحي السرسو إلى جانب نشاطهم الفلاحي 278
- الجدول رقم 63: العمالة الزراعية في السرسو حسب البلدية ونوع المستثمرة 279

- الجدول رقم 64: الأنظمة الزراعية في السرسو 281
- الجدول رقم 65: المساحة المزروعة حسب النوع..... 284
- الجدول رقم 66: تطور انتاج الخضر في السرسو (2009-2019) 286
- الجدول رقم 67: تربية الماشية بسهل السرسو حسب النوع وعدد الرؤوس 290
- الجدول رقم 68: تربية الماشية وإنتاج العلف في السرسو 291
- الجدول رقم 69: التوسع العمراني لمدينة تيارت في الفترة 1977-1985..... 300
- الجدول رقم 70: التوطن الصناعي بالسرسو في الثمانينات..... 300
- الجدول رقم 71: الوحدات المنتجة في السرسو في الثمانينات 306
- الجدول رقم 72: توسع العقار الصناعي على حساب الفلاحي بولاية تيارت الفترة (1966-1977) .. 307
- الجدول رقم 73: المشتغلون في الصناعة حسب بلديات السرسو (1966-1987) 308
- الجدول رقم 74: التوطن الصناعي الحالي بالسرسو..... 309
- الجدول رقم 75: التوطن الصناعي بالمجمعات الصغيرة والمتوسطة 311
- الجدول رقم 76: طلبات الاستثمار الصناعي المقبولة في الحظيرة الصناعية عين بوشقيف 312
- الجدول رقم 77: توزيع المطاحن الخاصة بالسرسو حسب المنطقة وطاقة الانتاج 314
- الجدول رقم 78: المؤسسات الخاصة في انتاج اللحوم في السرسو 315
- الجدول رقم 79: إنتاج الحليب وتجميعه بسرسو تيارت 316
- الجدول رقم 80: إنتاج الحليب ومشتقاته بالسرسو..... 317
- الجدول رقم 81: المؤسسات الصناعية المتخصصة في انتاج وتركيب السيارات..... 319
- الجدول رقم 82: الاستثمار الصناعي الخاص بالمناطق الصناعية بالسرسو 320
- الجدول رقم 83: تطهير العقار الصناعي بالسرسو..... 321
- الجدول رقم 84: المراكز التجارية بسرسو تيارت 323
- الجدول رقم 85: توزيع الأسواق التجارية في مجمعات السرسو..... 325
- الجدول رقم 86: مرافق المركز التجاري فاميلي شوب..... 326

- الجدول رقم 87: توزيع التجارة حسب التخصص وحسب السوق على المستوى المحلي والاقليمي.... 329
- الجدول رقم 88: هياكل وقدرة تخزين الحبوب والبقول الجافة بـرسو تيارت 2020..... 333
- الجدول رقم 89: هياكل التبريد بـرسو تيارت..... 334
- الجدول رقم 90: تجميع الحبوب بتعاونية الحبوب والبقول الجافة بمهدية 2020..... 338
- الجدول رقم 91: أنماط النقل ووسائله بولاية تيارت..... 348
- الجدول رقم 92: تطور حظيرة نقل المسافرين والبضائع حسب النمط والطبيعة القانونية..... 349
- الجدول رقم 93: المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في قطاع النقل والمواصلات بولاية تيارت..... 350
- الجدول رقم 94: حركة النقل بين مركز ولاية تيارت وبلدياتها..... 351
- الجدول رقم 95: حركة المواصلات بواسطة النقل الجماعي انطلاقا من مدينة تيسمسيلت..... 351
- الجدول رقم 96: حركة المواصلات من مدينة تيسمسيلت عن طريق سيارات الأجرة..... 354
- الجدول رقم 97: التحويلات في مدينة تيارت حسب مكان القوم والسبب..... 361
- الجدول رقم 98: الأصل الجغرافي للتجار (تيارت وتيسمسيلت)..... 364
- الجدول رقم 99: أنماط تنقل سكان المناطق الريفية (التنقلات حسب الوسيلة المستعملة)..... 366
- الجدول رقم 100: الأصل الجغرافي لتجار سوق الجملة للخضر والفواكه بمدينة تيارت..... 371
- الجدول رقم 101: أماكن التسوق لتجار التجزئة (محلات المراكز التجارية) بتيارت وتيسمسيلت..... 372
- الجدول رقم 102: الأصل الجغرافي لطلبة المعهد الوطني لتكوين شبة الطبي..... 376
- الجدول رقم 103: الأصل الجغرافي للمرضى المترددين على المؤسسات الصحية..... 379
- الجدول رقم 104: الأصل الجغرافي للمرضى المترددين على مستشفى مهدية..... 384

قائمة الخرائط

- الخريطة رقم 1: الموقع الإداري لسهل السرسو..... 22
- الخريطة رقم 2: توزيع القبائل المحلية في سهل السرسو قبل 1863..... 26
- الخريطة رقم 3: التعمير في السرسو في الفترة الاستعمارية..... 31

- الخريطة رقم 27: إنتاج السّكن بالوسط الرّيفي والشّبه الحضري بالسّرسو حسب مختلف الصّيغ 146
- الخريطة رقم 28: التّوسع المجالي لقرية عين مريم من النّمت النّجمي إلى العضوي 147
- الخريطة رقم 29: تعمير قرية عين بوشقيف من النمط الخطي إلى الشّطرنجي 149
- الخريطة رقم 30: التّوسع المجالي لمجموعة سي الحواس، بلدية السّبعين 151
- الخريطة رقم 31: التّحوّلات المجالية في القرى الاشتراكية 162
- الخريطة رقم 32: التقسيم الإداري لشمال الجزائر في الفترة العثمانية 169
- الخريطة رقم 33: الشّبكة العمرانية في السّرسو في الفترة الاستعمارية (1884) 171
- الخريطة رقم 34: الشّبكة العمرانية في السّرسو في الفترة الاستعمارية (1957) 173
- الخريطة رقم 35: توزيع المجمّعات العمرانية في السّرسو سنة 1966 176
- الخريطة رقم 37: توزيع المجمّعات العمرانية في السّرسو سنة 1987 179
- الخريطة رقم 38: توزيع المجمّعات العمرانية في السّرسو سنة 1998 180
- الخريطة رقم 39: توزيع المجمّعات العمرانية في السّرسو سنة 2008 181
- الخريطة رقم 40: توزيع المجمّعات حسب التّسلسل الهرمي الوظيفي في السّرسو 198
- الخريطة رقم 41: شبكة الطّرقات بسهل السّرسو 203
- الخريطة رقم 42: البرنامج الوطني للسّكك الحديدية 204
- الخريطة رقم 43: البنية العمرانية في السّرسو 207
- الخريطة رقم 44: الوضعية العقارية شمال الجزائر سنة 1952 214
- الخريطة رقم 45: نوعية التّربة الفلاحيّة في السّرسو 251
- الخريطة رقم 46: المساحات المزروعة في سهل السّرسو بالعدس في الفترة 1950-1951 253
- الخريطة رقم 47: استخدام الأرض بالسّرسو 275
- الخريطة رقم 48: منطقة النشاطات بمدينة تيسمسيلت 303
- الخريطة رقم 49: توزيع الأنشطة الاقتصادية في السّرسو حسب البلديات (2011) 322
- الخريطة رقم 50: مقومات التّسويق الزراعي بسهل السّرسو مقارنة بولاية تيارت 336

- الخريطة رقم 51: التوزيع الجغرافي للبنية التجارية بسرسو تيارت 344
- الخريطة رقم 52: حركة التنقلات في السرسو انطلاقا من مهدية 352
- الخريطة رقم 53: التنقلات اليومية المحلية في السرسو نحو المجمعات الكبيرة (2020) 353
- الخريطة رقم 54: التنقلات اليومية الوطنية انطلاقا من السرسو 355
- الخريطة رقم 55: التغيرات السكانية بسهل السرسو (ولاية تيارت) 359
- الخريطة رقم 56: التنقلات اليومية نحو مدينة تيارت حسب بلدية القدام وسبب التنقل 363
- الخريطة رقم 57: التغيرات السكانية في السرسو بغرض العمل 368
- الخريطة رقم 58: الأصل الجغرافي لطلبة جامعة تيارت سنة 2022 (بلديات الولاية) 374
- الخريطة رقم 59: الأصل الجغرافي لطلبة جامعة تيارت سنة 2022 (خارج الولاية) 375
- الخريطة رقم 60: الأصل الجغرافي لطلبة المعهد الوطني المتخصص في التكوين المهني والتجهين .. 377
- الخريطة رقم 61: الأصل الجغرافي للمرضى في المؤسسات الاستشفائية والمتخصصة (2021) 381
- الخريطة رقم 62: التردد على المؤسسة الاستشفائية المتخصصة في الامراض النفسية والعقلية 383
- الخريطة رقم 63: الأصل الجغرافي لمرضى المؤسسة العمومية الاستشفائية مهدية 386

قائمة الأشكال

- الشكل رقم 1: مخطط للمسكن التقليدي في السرسو 154
- الشكل رقم 2: تصميم المسكن في القرى الاشتراكية في السرسو 156
- الشكل رقم 3: مخطط الكتلة للمسكن في القرى الاشتراكية في السرسو 157
- الشكل رقم 5: البنية التراتبية لمجمعات السرسو حسب حجمها سنة 1957 175
- الشكل رقم 6: البنية التراتبية لمجمعات السرسو حسب حجمها سنة 1966 183
- الشكل رقم 7: البنية التراتبية لمجمعات السرسو حسب حجمها سنة 1977 185
- الشكل رقم 8: البنية التراتبية لمجمعات السرسو حسب حجمها سنة 1987 187
- الشكل رقم 9: البنية التراتبية لمجمعات السرسو حسب حجمها سنة 1998 188

- الشكل رقم 10: البنية التراتبية لمجمعات السرسو حسب حجمها سنة 2008..... 190
- الشكل رقم 11: التسلسل الهرمي للمجمعات العمرانية في السرسو 197
- الشكل رقم 12: التصنيف الوظيفي للمجمعات حسب عدد التجهيزات وعدد المحلات التجارية 199
- الشكل رقم 13: تطور المساحة الفلاحية الكلية بالهكتار حسب بلديات السرسو..... 259
- الشكل رقم 14: تطور المساحة الفلاحية النافعة بالهكتار حسب بلديات السرسو 261
- الشكل رقم 15: تطور نصيب الفرد من المساحة الزراعية النافعة..... 262
- الشكل رقم 16: تطور المستثمرات الفلاحية حسب النوع في السرسو مقارنة بتيارات وتيسمليت..... 264
- الشكل رقم 17: تطور وتوزيع المساحة الفلاحية النافعة والمسقية بالهكتار في بلديات السرسو..... 267
- الشكل رقم 18: تطور المساحة المسقية بالهكتار في بلديات السرسو 267
- الشكل رقم 19: تطور المساحات المسجلة والمسقية بالهكتار بمحيط السقي السبعين 269
- الشكل رقم 20: تطور مساحات السقي والتكميلي (2009-2019) 275
- الشكل رقم 21: تطور انتاج القمح في السرسو مقارنة بولاية تيارت (2000-2019)..... 282
- الشكل رقم 22: زراعة البقول الجافة ببلدية مهدية (2019-2020) 283
- الشكل رقم: 23: تطور مردودية انتاج الخضر والفواكه القنطار/هكتار (2009-2019) 286
- الشكل رقم 24: المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في السرسو 311
- الشكل رقم 25: انتاج الحليب في بلديات السرسو (ألف لتر) حسب نوعه 317
- الشكل رقم 26: أسعار المنتجات الفلاحية لدى الديوان الجزائري للحبوب (دج/القنطار) 339
- الشكل رقم 27: أساليب التسويق الزراعي بالسرسو 341

قائمة الصور

- الصورة رقم 1: هضبة السرسو شمال غرب بيردو (مهدية حاليا) إلى جانب أحد روافد نهر واصل 37
- الصورة رقم 2: التجهيزات في مهدية خلال الفترة الاستعمارية..... 39
- الصورة رقم 3: القرية الريفية الاستيطانية بالا (ملاكو حاليا) 40

- صورة رقم 4: التّجمع السّكاني عين الصفا "مركز الاعتقال والتّجميع سابقا" (تيسمسيلت) 45
- الصورة رقم 5: التّعمير المصغر بواسطة المزارع الفلاحية الاشتراكية (DAS) ببلدية ملاكو 51
- الصورة رقم 6: تعمير وتوسع المزرعة الاستعمارية السّانيا جنوب شرق مدينة تيارت 51
- الصورة رقم 7: توطين منطقة صناعية بعقار فلاحي جنوب غرب تيارت 51
- الصورة رقم 8: تعمير وتوسع المزرعة الاستعمارية عين قاسمة بعد الاستقلال إلى 2022 هذا 52
- الصورة رقم 9: مركز التّكوين المهني المتخصص بالشّركة الوطنية للسّباكة سابقا 56
- الصورة رقم 10: جامعة بن خلدون حاليا على الوعاء العقاري 56
- الصورة رقم 11: التّجهيزات الجامعية بالسّرسو (مجمعتي تيارت وتيسمسيلت) 57
- الصورة رقم 12: توسع الدولة الرستمية في القرن التّاسع ميلادي 115
- الصورة رقم 13: المنطقة السّكنية الحضرية الجديدة بمدينة تيارت حاليا (حي فولاني) 117
- الصورة رقم 14: التجزئة السكنية بمجمعة تيارت (حي التّفاح)، تحقيق ميداني 2020 119
- الصورة رقم 15: البناء الذاتي في مجمعة كرمان، التّحولات الحاصلة في مساكن مخطط قسنطينة 121
- الصورة رقم 16: توسع مجمعة كرمان 122
- الصورة رقم 17: حي عدل بمدينة تيسمسيلت 127
- الصورة رقم 18: تجديد سكن هش بحي حليل عبد القادر، بمدينة تيسمسيلت 128
- الصورة رقم 19: السكن الهش بمركز المدينة 129
- الصورة رقم 20: مسجد القرية بعين الكرمة 137
- الصورة رقم 21: تجهيزات القرية الاشتراكية (ضاية التّرفاس) 141
- الصورة رقم 22: السّكن الرّيفي في السّرسو 1: سكن ريفي مبعثر (بلدية تيارت) 143
- الصورة رقم 23: التعمير الخطي للمنطقة الريفية سي بن خروبي 144
- الصورة رقم 24: التّوسع المجالي لقرية عين مصباح (بلدية تيارت) 153
- الصورة رقم 25: مزرعة قديمة في فيالار 155
- الصورة رقم 26: أطلال مسكن ريفي تقليدي (خربة أولاد بوزيان، بلدية الدحموني (2022) 155

- الصورة رقم 27: مسكن ريفي بدوار الزلجة بلدية الدحموني (2023)..... 155
- الصورة رقم 28: التغيرات في المسكن (قرية عين مريم، 2019) 159
- الصورة رقم 29: التوسعات الحديثة بنمط الجماعي غرب قرية ضاية الترفاس (2022) 160
- الصورة رقم 30: محطة القطار بوقارة (الخط الرابط بين تيسمسيلت وبوغزول) 205
- الصورة رقم 31: مخطط تجزئة الحدائق بإقليم هاردي (بوقارة) 220
- الصورة رقم 32: محيطات الاستصلاح ببلدية الرشايقه 227
- الصورة رقم 33: حفر بئر وتجهيزه بالطاقة الشمسية بدوار العوامر بلدية الدحموني (2022) 233
- الصورة رقم 34: السرسو سنة 1961 (موسمي الحرث والحصاد) 252
- الصورة رقم 35: أنماط السقي 274
- الصورة رقم 36: عمليتي الحرث والحصاد بمزرعة شاوشاوة ببلدية تيارت (الموسم الفلاحي
2021_2022) 281
- الصورة رقم 37: زراعة الفاصوليا الخضراء (بلدية الرشايقه) 2022 284
- الصورة رقم 38: منتجات مزرعة السيد قايدي ببلدية الرشايقه 286
- الصورة رقم 39: زراعة الأشجار المثمرة في السرسو 288
- الصورة رقم 40: مستثمرة خاصة (بلحسين لخضر) لتربية الأبقار وإنتاج الحليب بلدية ملاكو 290
- الصورة رقم 41: الرعي في السرسو 291
- الصورة رقم 42: مؤسسات القطاع الخاص في النشاط الفلاحي بالسرسو 292
- الصورة رقم 43: بعض مشاكل العمل الفلاحية في السرسو: الصقيع وملوحة التربة 295
- الصورة رقم 44: النسيج الصناعي بمجمعة تيارت 301
- الصورة رقم 45: مجمع الشركة الوطنية للسيارات الصناعية SNVI عين بوشقيف 302
- الصورة رقم 46: توسع العقار الصناعي بالوسط الحضري (تيسمسيلت ومهدية) 303
- الصورة رقم 47: توسع النسيج الصناعي ببلدية عين بوشقيف 304
- الصورة رقم 48: التوطن الصناعي في المناطق الريفية بالسرسو 305

- الصورة رقم 49: تركيب السيّارات للقطاع العسكري بعين بوشقيف (2020)..... 310
- الصورة رقم 50: المطاحن الكبرى بمهدية..... 313
- الصورة رقم 51: منتج معصرة قارة (سلمانة)..... 314
- الصورة رقم 52: معصرة الزيتون (قارة) بالمجمعة الثّانوية سلمانة، بلدية العيون..... 315
- صورة رقم 53: حظيرة لتربية الدّواجن ببلدية الرشايقَة (المستثمر حميسي أحمد)..... 316
- صورة رقم 54: ملبنة سيدي خالد (منطقة النّشاطات زعرورة، تيارت)..... 318
- الصورة رقم 55: تجارة المساحات الكبرى (فاميلي شوب) بمجمعة تيسمسيلت..... 326
- الصورة رقم 56: سوق السيّارات بمجمعة مهدية..... 328
- الصورة رقم 57: موقع السّوق الأسبوعية شمال شرق مجمعة حمادية..... 330
- الصورة رقم 58: سوق الماشية (السّوق الأسبوعي حمادية)..... 331
- الصورة رقم 59: تجارة الأشياء المستعملة، سوق مهدية 2022..... 332
- الصورة رقم 60: غرف تبريد (بلدية الرّشايقَة) المصدر: مديرية الفلاحة لولاية تيارت 2022..... 335
- الصورة رقم 61: سوق الجملة للخضر والفواكه ببلدية الرشايقَة..... 337
- الصورة رقم 62: البيع المباشر بالسّوق الأسبوعية مهدية..... 341
- الصورة رقم 63: سوق السّبالة اليومي للخضر والفواكه بتيسمسيلت..... 370

الملاحق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة: محمد بن أحمد (وهران 2)

كلية: علوم الأرض والجغرافيا والتهيئة الإقليمية

قسم: الجغرافيا والتهيئة الإقليمية

استمارة استبيان خاصة بسكان ومساكن منطقة السرسو (تيارت، تيسمسيلت)

* الاستبيان لغرض البحث العلمي (تحضيراً لأطروحة دكتوراه علوم في الجغرافيا والتهيئة الإقليمية) *

النموذج 1: استمارة استبيان خاصة بالسكان والسكن

اسم البلدية: الحي: إن كانت قرية اسمها:

1. الجانب الاجتماعي والمهني:

سن رب الأسرة: مكان الازدياد: (القرية/البلدية/الولاية) العرش:

الحالة المدنية: أعزب(ة) متزوج(ة) أرمل(ة) مطلق(ة)
المستوى الدراسي: مدرسة قرآنية ابتدائي متوسط ثانوي جامعي

مهنة رب الأسرة الحالية: القطاع المهني:

مكان العمل: حدد: وسط المدينة: البلدية حدد: خارج الولاية حدد:

مهنة أخرى: نعم ما هي؟ لا

المهنة السابقة: مكان العمل:

عدد الأسر في المسكن: عدد الأفراد في المسكن:

عدد الأفراد المشتغلين: ذكور: إناث: /عدد الأفراد غير المشتغلين:

وسيلة التنقل المستعملة:

2. الإقامة:

1.2 السكن السابق:

مكان السكن السابق: (القرية/البلدية/الولاية) حدد: سنة الإقامة به:

هل تأقلمت مع المكان؟

الوضعية العقارية للمسكن: ملك ارث مستأجر سكن عائلي

نمط بناء المسكن: القرية بناء ذاتي تجزئة وظيفي تساهمي إيجاري ريفي

وظيفة المسكن: سكن سكن + وظيفة نوع الوظيفة:

التجهيزات الموجودة في السكن: كهرباء ماء صرف صحي هاتف انترنت

حالة المسكن السابق: جيدة متوسطة رديئة

ما مصير المسكن السابق: هدم بيع إهمال تركها لوظيفة أخرى ما هي:

هل تحافظ على الروابط مع مكانك الأصلي: تملك سكن هناك العائلة بقيت هناك أخرى حدد:

2.2 السكن الحالي:

سنة بناء أو استعمال المسكن:

ما هو سبب تغيير الإقامة؟

لماذا اخترت هذا المكان تحديداً؟

نمط المسكن: الارتفاع: عدد الغرف: السطح:

الوضعية العقارية للمسكن: ملك ارث مستأجر سكن عائلي

نمط بناء المسكن: القرية استعماري بناء ذاتي تجزئة وظيفي تساهمي إيجاري ريفي

وظيفة المسكن: سكن سكن + وظيفة نوع الوظيفة:

موقع المسكن ضمن المجموعة: المركز التوسعات الحديثة السكن الفوضوي
 حالة المسكن الحالي: جيدة متوسطة رديئة
 التجهيزات الموجودة في السكن: كهرباء ماء صرف صحي هاتف انترنت
 هل أدخلت تعديلات على المسكن: نعم لا في حالة نعم ما هي؟
 هل استفدت من منحة البناء الريفي أو الهش: نعم متى لا لماذا؟
 كم هو مبلغ الاستفادة:

كيف تم استعمال منحة البناء الريفي: البناء في نفس المسكن بناء مسكن جديد لماذا؟
 هل لديك مسكن آخر أو ارض هنا: نعم لا
 هل تريد تغيير مكان السكن؟: نعم لماذا؟ لا لماذا؟

هل يوجد ركن في المنزل لممارسة المرأة للصناعات التقليدية؟ نعم لا
 في حالة نعم ما هي النشاطات التي تقوم بها؟
 في حالة لا لماذا تخلت المرأة عن الصناعة التقليدية في البيت؟

3. التنقلات:

من أين تشترون حاجياتكم اليومية:

سوق أسبوعية حدها	مدينة أخرى حدها	مركز البلدية	الأحياء المجاورة	من نفس الحي	
					خضر وفواكه
					مواد غذائية
					المواد الأخرى
					الخدمات الإدارية
					الخدمات الصحية

وسيلة النقل المستعملة: تاكسي حافلة سيارة خاصة دراجة أخرى حدد:

كم مرة تنتقل إلى مركز البلدية: يوميا مرة في الأسبوع أخرى حدد:

هل تنتقلون إلى مدينة تيارت: يومي اقل كم؟ حدد:

لأي الأغراض تنتقلون إلى مدينة تيارت: الصحية الإدارية لعمل للتعليمية شراء المستلزمات ترفيهية
 لأي الأغراض تنتقلون إلى مدينة تيسمسيلت: الصحية الإدارية لعمل للتعليمية شراء المستلزمات ترفيهية
 مدينة أخرى حدد:

4. وضعية الأراضي الفلاحية:

هل تملك؟: أرض أم استصلاح لا شيء لماذا؟

في حالة نعم أين تقع الأرض؟: قرب المسكن بعيد عن المسكن

ما هو اسم المحيط المسقي؟:

هل لديك في الأرض؟: بستان بئر

هل تشتغل في الأرض يوميا نهاية الأسبوع لماذا؟

هل استفدت في إطار PNDA؟ نعم لا

في حالة نعم حدد نوع الاستفادة:

ما هي نوعية الأرض؟

ماذا تنتج؟ كيف تتصرف في الإنتاج؟

هل تملك عتاد فلاحي؟ نعم لا في حالة نعم كيف تحصلت عليه؟ دعم من مالك الخاص

هل تمارس نشاط تربية الحيوانات؟ نعم لا

ما هو نوع الماشية؟

مكان الرعي:

شكرا على تعاونكم

النموذج 2: استمارة استبيان خاصة بالمسافرين

المحطة:

الإقامة أو مكان المجيء:

السن:

مكان الازدياد: (القرية/البلدية/الولاية)

الحالة المدنية: أعزب(ة) متزوج(ة) أرمل(ة) مطلق(ة)

المستوى الدراسي: مدرسة قرآنية ابتدائي متوسط نوي معي

المهنة: القطاع المهني:

مكان العمل: حدد:

الوجهة (إلى أين ستسافر):

سبب المجيء:

زمن الرحلة مسافة الرحلة

لماذا هذه المدينة تحديدا؟

ماذا تفضل كوسيلة للتنقل؟ سيارة أجرة لماذا؟ أافلة لماذا؟

كم مرة تتردد على هذه المدينة؟ يوميا أسبوعيا شهريا حدد

النموذج 3: استمارة استبيان خاصة بالتجار (الباعة)

اسم المركز التجاري:

نوع التجارة (تجزئة/جملة/مختلط)

السن:

مكان الازدياد:

الإقامة:

الحالة المدنية: أعزب(ة) متزوج(ة) أرمل(ة) مطلق(ة)

المستوى الدراسي: مدرسة قرآنية ابتدائي متوسط ثانوي جامعي

المهنة السابقة: تاريخ بداية العمل بالتجارة

تاريخ افتتاح هذا المحل: المساحة الوضعية العقارية

ما هي مميزات موقع المحل:

ما هي سلبيات الموقع:

في رأيك ما هو المكان المثالي للتجارة في هذه المدينة؟ لماذا؟

هل لديك مساحة لتخزين البضاعة غير هذا المحل؟ نعم لا

في حالة نعم أين تقع؟ المساحة" الوضعية العقارية:

هل تستعمل الرصيف لعرض السلع: نعم لا لماذا؟

هل تملك سجل تجاري؟

مصدر السلع:

هل يتردد عليك زبائن من خارج المدينة؟

مكان إقامة الزبائن التجار (الأكثر تعاملًا) حدد المكان إن أمكن

شكرا على تعاونكم

استمارة استبيان خاصة بالنشاط الفلاحي بمنطقة السرسو

الاستبيان لغرض البحث العلمي (تحضير رسالة دكتوراه في الجغرافيا وتهيئة الإقليمية)

النموذج 1: استمارة استبيان خاصة بالمستغل (الفلاح)

اسم المستثمرة: نوعها: جماعية فردية خاصة محيط السقي:

موقع المستثمرة: البعد (المسافة) عن السد:

صاحب المستثمرة: مكان الازدياد: (القرية/البلدية/لولاية) العرش:

الحالة المدنية: أعزب(ة) متزوج(ة) أرمل(ة) مطلق(ة)

المستوى الدراسي: مدرسة قرآنية ابتدائي متوسط ثانوي جامعي

هل لديك تكوين مهني في الفلاحة؟ نعم لا

المهنة السابقة: مكان العمل:

مهنة أخرى: نعم ما هي؟ لا

مكان الإقامة: حجم الأسرة:

عدد الأسر في المسكن: عدد الأفراد في المسكن: عدد الغرف في المسكن:

عدد الأفراد المشتغلين: ذكور: إناث:/عدد الأفراد غير المشتغلين:

وسيلة التنقل المستعملة:

هل استفدت من منحة البناء الريفي: نعم متى لا لماذا؟

كم هو مبلغ الاستفادة:

كيف تم استعمال منحة البناء الريفي: البناء في نفس المسكن بناء مسكن جديد ؟

هل أنت مالك للأرض الفلاحية؟ نعم لا حدد الوضعية العقارية

النموذج 2: استمارة استبيان خاصة بنظام الإنتاج

ما هو نظام الإنتاج؟ نظام تقليدي نظام جديد استصلاح زراعي

إذا كان استصلاح زراعي ما هو نوعه؟ صغير متوسط كبير

كم عدد المزارع لديك؟ المساحة الحالية؟ هكتار

عدد العمال وعدد أيام العمل: دائمة M.O.P موسمية M.O.S عائلية M.O.F حدد الفترة

هل لديك بطاقة فلاح؟ نعم لا

هل استفدت من P.N.D.A؟ نعم لا في حالة نعم: طبيعتها:

طبيعة المستثمرة: زراعة أحادية (monoculture) متعددة (polyculture)

العمليات المنجزة في إطار P.N.D.A:

نوع المستثمرة: منظمة نوعا ما فوضوية

هل المستثمرة مسيجة: نعم لا في حالة نعم ما هو نوع السياج؟

أنواع المزروعات:

➤ زراعة دائمة (كروم، الحمضيات، التين، الخوخ، الزيتون....) حدد:

عدد الأشجار: المساحة:

➤ زراعة الخضر: الأنواع أذكرها مع مساحة كل نوع:

➤ زراعات واسعة (الحبوب، قمح صلب، قمح لين، خرطال، أعلاف...) حدد: المساحة:

➤ زراعة البيوت البلاستيكية: حدد الأنواع..... المساحات:

➤ أنواع الزراعات المروية: المساحة:

مستوى التجهيز: جيد متوسط سيء

هل تملك عتاد فلاحي؟ نعم لا في حالة نعم كيف تحصلت عليه؟ دعم من مالك الخاص

هل تمارس نشاط تربية الحيوانات؟ نعم لا في حالة نعم

ما هو نوع الماشية؟ عدد الرؤوس.....

مكان الرعي:

هل تحصلت على الدعم الريفي: قرض دعم كان دعم في أي إطار؟ الرفيق تحدي

المصدر (بنك...)

مدتها؟

شروط الحصول عليها: فوائده

في ماذا يكون الدعم: بنور عتاد الري الأسمدة أشياء أخرى حددها:

النموذج 3: استمارة استبيان خاصة بنظام السقي

تاريخ إنشاء شبكة السقي:

مصدر الماء: بئر العدد والعمق: منبع العدد: بئر عميقة العدد والعمق:

ما هي ملكية مصادر الري الخاصة بك؟ APFA خاص جماعي دولة (حكومي)

تردد السقي: - دورة واحدة / أسبوع دورة واحدة / أسبوعين دورة واحدة / 21 يوم دورة واحدة / شهر

نظام الري المستخدم: - بالتنقيط الغمر

إذا كان مصدر السقي الخاص بك يشتغل بالكهرباء، هل تدفع فاتورة الكهرباء: نعم لا

فاتورة الكهرباء: عالية متوسطة

• هل تحصلت على إعانة من الدولة؟ تمويل كلي التمويل الجزئي لا يوجد تمويل

• هل لديك شبكة الصرف الصحي؟ نعم لا

تاريخ الإنشاء؟

النموذج 4: التسويق

وسائل النقل متوفرة؟ نعم لا

ما هي المحاصيل الأكثر مردودية؟

لمن يتم التسويق؟

هل تباع الغلة للتجار؟ نعم لا في حالة نعم كيف يتم ذلك

هل تباع في أسواق الجملة من طرف الفلاح نعم لا في حالة نعم؟ أين

ما هي مشاكل الفلاح في عملية التسويق؟

ما هي المشاكل والصعوبات التي تواجهها في العمل الزراعي؟

النظرة المستقبلية وأهم المطالب:

شكرا على تعاونكم وصبركم

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة وهران 2
كلية: علوم الأرض والكون
قسم: الجغرافيا وتهيئة الإقليم

استبيان موجه لتجار وزبائن الأسواق الأسبوعية

الاستبيان لغرض البحث العلمي (تحضيراً لرسالة دكتوراه في الجغرافيا وتهيئة الإقليم)

الموضوع : الديناميكية الحضرية والتحويلات المجالية والاجتماعية في السرسو
ضع الإشارة (X) في الإطار المناسب
النموذج الأول: السوق الأسبوعية
اسم السوق:

(1) التاجر

1. مكان الإقامة الحالي: (حدد المكان بدقة).....
2. المستوى الدراسي: بدون مستوى ابتدائي متوسط ثانوي جامعي تكوين مهني
3. بداية ممارسة النشاط.....
4. مهنة التجارة : أساسية ثانوية في حالة مهنة ثانوية: ما هي المهنة الممارسة.....
5. ما هي طبيعة نشاطكم التجاري.....
6. القدوم الى السوق :أسبوعياً بالمناسبة استثنائي
7. وسيلة التنقل إلى السوق: سيارة خاصة كراء سيارة وسيلة أخرى ما هي؟.....
8. سبب اختبار السوق: القرب التعود سهولة التنقل عوامل أخرى اذكرها.....
9. هل تملك محل: نعم لا حدد المكان:.....
10. الطبيعة القانونية للمحل: ملك خاص كراء مبلغ الكراء دج
11. هل تعمل بأسواق أخرى: نعم لا ما هي ؟ حدد.....
12. نوع التجارة الممارسة: ملابس وأحذية أثاث وأواني أفرشة مواد غذائية لحوم خضر وفواكه مواشي أخرى (حدد).....
13. من أين تشترون السلعة المعروضة؟.....
14. كم هو ثمن رسم (ثمن المكس) لدخول إلى السوق؟..... دج.
15. هل يؤثر ذلك في قيمة الأسعار؟.....

(2) الزبون

1. الجنس: ذكر أنثى
2. المستوى الدراسي: بدون مستوى ابتدائي متوسط ثانوي جامعي تكوين مهني
3. المهنة.....
4. مكان الإقامة (حدد المكان بدقة):.....
5. التردد على السوق : كل أسبوع بالمناسبة استثنائي
6. سبب اختبار هذه السوق: القرب التعود سهولة التنقل السعر مناسب عوامل أخرى (اذكرها)
7. ما هي مشترياتك؟ ملابس وأحذية أثاث وأواني أفرشة مواد غذائية لحوم خضر وفواكه مواشي حدد نوعها:.....
8. هل تلبى السوق احتياجاتكم؟ : نعم لا
9. ما هي النقائص التي تعاني منها السوق؟ الأمن نقص وسائل النقل من وإلى السوق نقص في السلع
10. ما هي اقتراحاتكم؟.....

النموذج 2: سوق المواشي. (.....)

ضع الإشارة (X) في الإطار المناسب

(1) التاجر:

1. عددهم:
2. مكان الإقامة: البلدية: الولاية:
3. تاجر بائع: عددهم نسبتهم (%)
4. تاجر مشتري: عددهم نسبتهم (%)
5. التردد إلى السوق:

أسبوعيا	مرة في الشهر	مرتين في السنة (كل 6 أشهر)	مرة في السنة	أخرى (حدد)

6. وسيلة النقل: شاحنة كبيرة شاحنة صغيرة طاقة الشاحنة (عدد الرؤوس التي تحملها):

7. رسم الدخول إلى السوق (ثمن المكس)

نوع الماشية	البقرة	البقرة ومعها نتاجها	الأغنام	الماعز	الجمال	الأحصنة	الحمير	أخرى (حدد)
الثلث (دج)								

8. هل تؤثر في الأسعار بالسوق؟ نعم لا في حالة "نعم"، هل هذا التأثير قوي محدود؟
9. المهنة السابقة:
10. أي الأسواق التي تتعامل معها (أذكرها)؟
11. سبب التردد عليها؟

(2) المواشي المعروضة للبيع:

نوع الماشية	الغنم	الماعز	البقر	العجول	الجمال	الطيور (حدد النوع)	أخرى (حدد)
العمر							
العدد (ذكور)							
العدد (إناث)							
العرض (موسمي أم دائم)							
يزداد العرض في موسم							
يقل العرض في موسم							
عدد الرؤوس المعروضة بغرض التربية							
عدد الرؤوس المعروضة بغرض اللحم							

1. أسباب ارتفاع العرض في موسم لماذا؟
2. أسباب تدني العرض في موسم لماذا؟

(3) الحركة إلى السوق

1. وقت الدخول إلى السوق: سا
2. وسيلة النقل:

نوع الحمولة	أبقار	عجول	أغنام	ماعز	أخرى
حجم الحمولة (عدد الرؤوس)					
جهة القدم					
صنف ورقم الطريق المسلوك					

(4) الحركة من السوق

- وقت الخروج من السوق: سا
وسيلة النقل:

نوع الحمولة	أبقار	عجول	أغنام	ماعز	أخرى
حجم الحمولة (عدد الرؤوس)					
الوجهة (الاتجاه)					
صنف ورقم الطريق المسلوك					

النموذج 3: تجار وزبائن سوق السيارات (تيارت، مهدية)

ضع الإشارة (X) في الإطار المناسب

تحديد السوق:

(1) مكان الإقامة: البلدية الولاية

(2) كم تبلغ المسافة بين السكن و السوق؟ كلم

(3) كم تستغرق من الوقت للوصول إلى السوق؟ سا

(4) متى تصل إلى السوق؟

(5) متى تغادر السوق؟

(6) لماذا تختار هذا السوق؟

(7) هي أسباب المجيء إلى السوق؟ - البيع التبادل البيع والشراء

(8) كم هو ثمن رسم (ثمن المكس) لدخول إلى السوق؟ دج.

(9) هل يؤثر ذلك في قيمة الأسعار؟

(10) ما هي المواسم التي يرتفع فيها العرض و يكثر فيها الطلب؟

(11) ما هي مهنتك الحالية؟

(12) ما هي مهنتك الأصلية؟

(13) في حالة تغيير المهنة، ماهي أسباب ذلك؟

شكرا على تعاونكم

ملاحظة: هذه الاستمارة موجهة للبحث العلمي، الرجاء ملؤها بعناية.

الجدول رقم 1: تطور المستثمرات الفلاحية في سرسو تيارت

عدد المستثمرات 2019		عدد المستثمرات 2008				عدد المستثمرات 2006				عدد المستثمرات 2005				عدد المستثمرات 2004				عدد المستثمرات 2003				البلديات
الخاص	عمومي	خاص	عمومي			خاص	عمومي			خاص	عمومي			خاص	عمومي			خاص	عمومي			
	الامتياز الفلاحي		المجموع	E.A.I	E.A.C		المجموع	E.A.I	E.A.C		المجموع	E.A.I	E.A.C		المجموع	E.A.I	E.A.C		المجموع	E.A.I	E.A.C	
46	305	28	169	138	31	29	169	138	31	29	169	138	31	50	238	231	7	29	169	138	31	تيارت
287	338	275	236	194	42	215	221	176	45	215	221	176	45	276	296	275	21	215	221	176	45	الدهموني
184	378	235	180	120	60	235	178	117	61	235	178	117	61	186	345	322	23	235	178	117	61	ع بوشقيف
70	707	40	213	114	99	41	213	114	99	41	213	114	99	70	262	171	91	41	213	114	99	ملاكو
122	432	113	90	21	69	113	90	21	69	113	90	21	69	142	135	69	66	113	90	21	69	مهديّة
818	485	617	140	77	63	618	140	77	63	618	140	77	63	889	172	118	54	618	140	77	63	السبعين
520	518	97	374	324	50	97	274	224	50	97	274	224	50	464	271	226	45	97	274	224	50	الناظورة
150	340	139	69	20	49	139	69	20	49	139	69	20	49	190	86	31	55	139	69	20	49	ع دزاريت
388	217	250	205	165	40	250	197	154	43	250	197	154	43	278	301	293	8	250	197	154	43	حمادية
1191	978	2000	779	650	129	2.000	1229	1039	190	2.000	1229	1039	190	947	462	409	53	2.000		1039	190	الرشايقّة
215	289	144	175	174	1	144	304	296	8	144	304	296	8	99	286	278	8	144	304	296	8	بوقارة
3991	4987	3938	2630	1997	633	1881	3084	2376	708	1881	3084	2376	708	3591	2854	2423	431	1881	3084	2376	708	سررسو تيارت
7982	9974	19600	5260	3994	1266	3762	6168	4752	1416	3762	6168	4752	1416	7182	5708	4846	862	3762	6168	4752	1416	الولاية

المصدر: مديرية التخطيط وتسيير الميزانية لولايّتي تيارت وتيسمسيلت

جدول رقم 2: تطور مساحات السّقي والسّقي التّكميلي ببلديات سرسو تيارت (2009-2019)

2019 (بالهكتار)							2009 (بالهكتار)							البلديات
المجموع	أخرى	الكروم	زراعة صناعية	الخضروات	الأشجار المثمرة	حبوب الشتاء	المجموع	أخرى	الكروم	زراعة صناعية	الخضروات	الأشجار المثمرة	حبوب الشتاء	
148	0	4	0	41	103	0	146	0	4	0	39	103	0	تيارت
338,5	0	4	0	187	147,5	0	328,75	0	0	0	171,25	157,5	0	ملاكو
6787	0	123	0	156,5	132,5	6375	6038	0	123	0	36	79	5800	الدّحموني
6545,5	0	2,5	0	172	71	6300	5716,55	0	2,5	0	139	75,05	5500	ع بوشقيف
152	0	0	0	105	47	0	137	0	0	0	90	47	0	مهديّة
2224	0	33	0	2040	151	0	1974	0	33	0	1790	151	0	السّبعين
120	0	0	0	95	25	0	120	0	0	0	95	25	0	ع دزاريت
541	0	0	0	265	276	0	456	0	0	0	180	276	0	النّاطورة
772	0	0	0	444	249	79	821	0	0	0	519	155	147	حماديّة
4555	100	0	0	2665	832	958	4465	0	0	0	2463	959	1043	الرّشايقّة
1072	478	20	0	169	273	132	178	0	0	0	0	115	63	بوقارة
23255	578	186,5	0	6339,5	2307	13844	20380,3	0	162,5	0	5522,25	2142,55	12553	السرّسو
60624,78	595	609,75	48	10351,5	105871,5	41491	73560,3	7272	613,25	0	10815,75	8824,8	45975	ولاية تيارت

المصدر: مديرية المصالح الفلاحية لولاية تيارت (2009-2019)

الجدول رقم 3: المشاريع المقبولة بالمنطقة الصناعية زعرورة (67 مشروع)

1-المشاريع المنطلقة:

الرقم	المقر الاجتماعي (الاسم واللقب)	العنوان	المشروع	المساحة م ²
1	Larbi Rachid	الرشايقة تيارت	تصنيع بلاط الأرضيات ومواد البناء الخرسانية مسبقة الصب	10002
2	Messaoud Khaled	تيارت	إنتاج المواد الغذائية المستعملة في تحضير الكعك	1590
3	(Groupe GTF) Eurl Entreprise Travaux publics	تيارت	الوحدة الصناعية للخرسانة الجاهزة	41188
4	FRIGOMEDIT spa représentant : Zefizef Djahid Abdelouaheb	القبة الجزائر العاصمة	غرف تبريد	27660
5	Sarl Isoplast Baghdache Mohamed	تيارت	تصنيع نجارة الألمنيوم	6300
6	Eurl luxe Wood Ghlamallah Abdelaziz	تيارت	نجارة صناعية	1496
7	Saadi Malik	تيارت	إنتاج حواف الأرصفة الخرسانية	2591
8	Sarl ABM Promo Bachour Ahcen	تيارت	خط إنتاج التكتل الخرساني قوالب تحضير (السقف، حواف، رصف)	4725
9	Sarl FRIGOTIAR Bousetta Djillali	تيارت	وحدة تصنيع معدات التبريد (عدادات وخزائن مبردة، غرف تبريد)	1575
10	Bounab Med Khaled	تيارت	انتاج حقن بلاستيك	1538
11	Mahdadoui Hichem	السوقر تيارت	انتاج أغذية الأنعام	1575
12	Tadger Ali	تيارت	ماكينة صناعة الخرسانة	3398
13	Bey Lotfi	سطاوالي الجزائر ع	بناء قطع غيار للصناعة	4950
14	sarl albassira luxe Belkacem Abdelkader	تيارت		4014
15	Mazzouz Abdelkader	الرحوية تيارت	وحدة لإنتاج أغذية الأنعام	2400
16	Fernane Abdelkader Abderezak	تيارت	وحدة انتاج البلاط والسيراميك	2825
17	Khodir Sid Ahmed adam	البيص	Fabrication de la préforme en PET	4500
18	Merkhouf Abdelatif	تيارت	وحدة لإنتاج البسكويت	1961
19	Zekri Said Ali	عين بوشقيف	انتاج الثلجات وغرف التبريد	1500
20	Sarl El Wassila Bouhenouche Tahar	تيارت	انجاز وحدة لإنتاج المواد الشبه صيدلانية	3000

2- المشاريع التي لم تنطلق بعد (7)

الرقم	المقر الاجتماعي (الاسم واللقب)	العنوان	المشروع	المساحة م ²
1	(Groupe GTF) Eurl Entreprise Travaux publics	تيارت	وحدة اللوح الخرساني الصناعي 01 خط	17043
2	Sebihi Ahmed	تيارت	Unité de chromage de Métaux	2300
3	Ouahrani Elhadj		غرفة تبريد	2028
4	SARL E,G,T,R Boudjlida Elhadj	تيارت	ماكينة صناعة الخرسانة	1500
5	Zoubiri Youcef	السحاولة الجزائر	وحدة معالجة لجميع نطاقات طباعة الورق والكرتون	1500
6	Sarl Espace Médical ouest Boukrissa Adel	وهران	فضاء لإنتاج المواد الاستهلاكية الطبية	3000
7	Mahieddine Ahmed Letaim Ahmed	السوقر تيارت	انتاج أغذية الأنعام	3150

3-مشاريع على مستوى العدالة

الرقم	المقر الاجتماعي (الاسم واللقب)	العنوان	المشروع	المساحة م ²
1	Bouramla Habib et Chebta Rachid	تيارت	وحدة إنتاج مكملات الأعلاف ومضافات الأعلاف	1575
2	Mediouni Hadi	تيارت	"تكيف الأسمت"	2358
3	Mr et Mme Achour Ait Larbi	السوقر تيارت	إنجاز مجمع زراعي - غذائي للإنتاج الصناعي	3000
4	Skander Mohamed Chakib	تيارت	مركز لفرز ومعالجة الورق المستعمل	3600
5	Cheriet Abed	الرشايقة تيارت	تغليب جميع أنواع الأسمدة الفلاحية	4316
6	Mokhtari Kheira	تيارت	أربع غرف تبريد	2415
7	Nait si Ahmed Abdelkrim	تيارت		1500
8	Tahir Mokhtar	تيارت	مطحنة لإنتاج الفرينة الغذائية	3 056,00
9	Omrane Nacer	السوقر تيارت	وحدة لصناعة البسكويت	2000
10	Issad Mohamed	تيارت	غرف تبريد	1222
11	Lazeb Moulay Larbi	تيارت	انتاج مواد البناء	3059
12	Benali Djillali	تيارت	محطة غسل، كهرباء السيارات، مراقبة تقنية للسيارات والعربات	1407
13	Charef Djillali	عين بوشقيف تيارت	وحدة لصناعة البسكويت	1500
14	Hallou Mohamed	تيارت	تحويل الرخام	3760

4-المشاريع المنتهية والنشطة

المساحة م ²	المشروع	العنوان	المقر الاجتماعي (الاسم واللقب)	الرقم
247648	"وحدة الصيانة واللوجستيات (نقل البضائع)	الرعاية الجزائرية	SARL TAHKOUT MANUFACTURING COMPAGNY	1
5400	مطحنة صناعية	تيارت	Sarl les moulins Bab sahra Belhocine Khatir & Bouhzila Abdelhalim	2
1707	تصنيع المنظفات ومعالجتها وتعبئتها	تيارت	Assou Mohamed Nadir	3
10438	مصنع الخرسانة وتصنيع قوالب الاسمنت والألواح والنجارة الصناعية	تيارت	Bouziane Ahmed	2
5115	تصنيع النجارة بالألومنيوم وأخرى	تيارت	Eurl IZDIHAR PVC Boukhors mohamed (SPA Accado Algérie)	5
1500	غرف تبريد (غرفة موجبة وأخرى سالبة)	تيارت	Ali Bacha Abdelkader	6
4950	ورشة لإنتاج مواد فلاحية	ملاكو تيارت	Medjber Khaled	7
4500	وحدة لإنتاج دعائم الطاقة الحديدية	تيارت	Boutamra Larbi	8

e/ Projets annulés (18):

المساحة م ²	المشروع	العنوان	المقر الاجتماعي (الاسم واللقب)	الرقم
3293	إنتاج الخرسانة الجاهزة	بوفاريك البلدية	SARL EGTPR Belhadi Radhouane	1
2000	وحدة إنتاج شاركوتيري	تيارت	Bouakkaz Mohamed Salim	2
1590	غرف تبريد	تيارت	Boualem Wahiba	3
1590	وحدة صيانة المعدات الزراعية	تيارت	Hadj Chaib Slimene Madani	4
3057	تصنيع مراتب ومخدات ومساند للذراعين	تيارت	Serardi Mohamed	5
1407	تجديد الإطارات واستعادتها	تيارت	Kaid Abdelkader	6
1388	تصنيع مواد البناء (طلاء الخزف بالمينا، المصق على السيراميك، الجص)	تيارت	Benchaib Nakib	7
2296	وحدة التخزين البارد	فرندة تيارت	Morsli Nassredine	8
1575	وحدة لإنتاج حفاظات الأطفال	السوق تيارت	Aggoune Zineb	9
1500	وحدة لإعادة تدوير البلاستيك	عين مصباح تيارت	Kekoun Abdelkader	10
1500	تصنيع مواد التنظيف لصناعة	تيارت	SARL SCF Safa Mustapha	11
1500	وحدة لإعادة تدوير البلاستيك	تيارت	Tahar Abdelmadjid	12

1382	مصنع لإنتاج الأكياس، الأكواب والمناديل الورقية	مهدية تيارت	Baamer Ilyes Mansour	13
1841	ورشة الملابس	تيارت	Mendjel Oulhadj	14
2500	تغليف المنتجات الغذائية (البقول)	تيارت	Zitouni Khaled	15
1260	معالجة وتحويل الزيتون	تيارت	Driche Saad	16
1500	وحدة لإنتاج البسكويت	تخمرت تيارت	Meftah Habib & Boughoufala Abdelhadi	17
2833	وحدة لإنتاج المتلجات	تيارت	salmi mohamed	18

المصدر: مديرية الصناعة لولاية تيارت، 2021

الجدول رقم 4: توزيع الأنشطة الاقتصادية في السّرسو حسب نتائج الإحصاء الاقتصادي 2011

المجموع	صناعة	خدمات	تجارة	البلديات
5419	483	1597	3300	تيارت
161	9	56	93	بوشقيف
99	10	22	67	ع دزاريت
125	10	47	68	ملاكو
530	40	202	286	دحموني
875	65	217	589	مهدية
135	10	46	78	السّبعين
304	29	69	206	الرّشايقة
554	51	153	349	حمادية
86	9	23	54	بوقارة
88	5	18	65	الناظورة
1978	153	620	1190	تيسمسيلت
312	20	81	211	العيون
420	36	111	264	خميسّتي
129	8	31	90	اولاد بسام
11215	938	3293	6910	المجموع

المصدر: الدّيون الوطني للإحصاء (2011)

المخلص:

يعتبر تدمير السرسو قديم النشأة إلا أنه كان محصورا مجاليا، تسارع هذا التعمير في الفترة الاستعمارية بدوافع عسكرية واقتصادية، مما أدى إلى إنشاء مدن وقرى صغيرة لتأطير ومراقبة المناطق المحيطة به ولاستغلاله زراعيًا خصوصا في انتاج الحبوب بإعادة صياغة بنيتها العقارية على حساب القبائل المتواجدة به. تواصل تدمير السرسو بعد الاستقلال لكن بدوافع وأغراض مغايرة، فتكثفت الشبكة العمرانية بإنجاز القرى الفلاحية الاشتراكية التي أدت إلى تثبيت السكان لكنهم اعدوا صياغة فضاءاتها السكنية متأثرين بالأوساط الحضرية وملاحمها، كما توطنت به أنشطة صناعية أخرى في نهاية السبعينات من القرن الماضي فزادت من الاستقطاب العمراني.

حفزت الزيادة الديمغرافية المتسارعة نمو عمرانها كبيرا، كان أكثر بروزا في المجمعات الثانوية. لعبت الترقية الإدارية دورا مهما في تكثيف تجهيز المنطقة واكسابها وظائف جديدة وأيضا دورا مفصليا في إعادة صياغة الأداء الوظيفي للمجمعات وتأطيرها لمجالاتها، خصوصا الصغيرة منها. كان إنجاز السكن بصيغ متعددة محركا لإنتاج عقار عمراني على الأراضي الزراعية العمومية في الغالب ومحفزا أساسيا في الوسط الحضري كما في الوسط الريفي على حد سواء في تمدد أنسجة المجمعات العمرانية.

تراجع قطاعي الفلاحة والصناعة في التسعينات من القرن الماضي في المنطقة ثم عاودا الانتعاش من جديد. عرف السرسو، بالإضافة إلى نشاطه الفلاحي المعتاد المعتمد على الزراعات المطرية وتربية الماشية، في إطار الاستصلاح الزراعي في الثمانينات من القرن الماضي، بفضل مصادره المائية المتعددة وخصوبة تربته، ميلاد نمط زراعي جديد تكثيفي مبني على السقي الحديث وموجها لإنتاج الخضر والفاكهة، فأصبح قطبا زراعيًا وطنيا جاذبا لمستثمرين تليين. كما تم بعث صناعات تعدينية وتركيبية ذات بعد دولي.

نمت البنية العمرانية لسرسو في خضم هذه التحولات وتميزت بشبكة متكاملة من المراكز الكبيرة، المتوسطة والصغيرة، الموروثة عن الفترة الاستعمارية والحديثة، التي تنقسمها كل من ولايتي تيارت وتيسمسيلت ويغلب عليها التوزيع المجالي المتجانس، تراتبياتها الحضرية الظاهرية لامركزية لكنها تدور في فلك مركز عمراني كبير، تيارت، بحكم تاريخه وتجميعه لعديد الوظائف السامية، إلا أنه أصبح يشهد منافسة من قبل مدينة تيسمسيلت، مقر الولاية الفتية، لتسيير مجالها الإداري خصوصا الغربي منه.

أثرت الديناميكية الاقتصادية والحضرية في المنطقة على بنيتها التجارية، فتطورت الخدمات التجارية القارة وحافظت الأسواق الأسبوعية على زخمها وتنوعت تجاراتها وصاحبها تطورا في شبكة الطرقات ووسائل النقل، مما نشط التحركات والتنقلات السكانية والتبادلات الخدمية والتجارية وأعاد صياغة العلاقات بين المدينة والريف. إن تحضر السرسو لم يفقده معالمه الريفية كلية التي تأثرت واستوحت الكثير منه، لأنها قاومت، حافظ البعض منها على استمراريته وتأقلم مع أخرى.

الكلمات المفتاحية: السرسو، الديناميكيات، الشبكة العمرانية، التحضر، التحولات، الزراعة، الأنشطة، علاقات مدينة/ريف

Résumé

L'urbanisation du Sersou est ancienne, mais elle a été circonscrite spatialement, elle s'est accélérée pendant la période coloniale pour des raisons militaires et économiques, ce qui a conduit à la création de petites villes et villages pour encadrer et contrôler les zones environnantes et pour l'exploitation agricole notamment céréalière en déposant les tribus qui y étaient présentes. Cette urbanisation s'est poursuivie après l'indépendance, mais pour des objectifs différents, en conséquence, le réseau urbain s'est densifié par l'implantation des villages socialistes agricoles qui ont permis la fixation de la population, mais celle-ci, influencé par le mode de vie urbain, a transformé l'espace habité. De plus, des activités industrielles ont été implantées à la fin des années 1970 dans la zone faisant augmenter la polarisation urbaine.

La croissance démographique rapide a stimulé un développement urbain important, plus particulièrement dans les agglomérations secondaires. La promotion administrative a joué un rôle important dans l'équipement de la zone et la création de l'emploi, ainsi que dans la réorganisation du fonctionnement du réseau d'agglomérations et dans l'encadrement de leurs espaces respectifs, en particulier les petites agglomérations. La production du logement sous diverses formes a constitué un moteur pour la production du foncier urbain sur des terres agricoles majoritairement publiques et un stimulant majeur de l'expansion des tissus urbains tant aux centres urbains qu'aux centres ruraux.

Les secteurs agricole et industriel ont décliné dans les années 1990 dans la zone, une période de récession économique, puis ils se sont à nouveau redressés. Outre son activité agricole habituelle basée sur les cultures pluviales et l'élevage, et grâce à ses multiples ressources hydriques et à la fertilité de son sol, le Sersou a connu un développement, dans le cadre de la mise en valeur agricole des années 1980, de l'agriculture intensive qui est basée sur l'irrigation et orientée à la production des légumes et des fruits, ainsi, il est devenu un pôle agricole national qui attire les investisseurs telliens. De plus, il connaît une réindustrialisation de dimension internationale.

Dans ce contexte des transformations, la structure urbaine du Sersou s'est développée en constituant un réseau composé de grandes, moyennes et petites agglomérations, héritées des périodes coloniale et récente, appartenant aux wilayas de Tiaret et de Tissemsilt, et caractérisée par une répartition spatiale équilibrée. De fait, la hiérarchie urbaine paraît décentralisée, mais elle s'articule autour d'un grand centre urbain, Tiaret, de par son histoire et les nombreuses fonctions supérieures qu'il regroupe, cependant, il est soumis aujourd'hui à une concurrence par la ville de Tissemsilt, le chef-lieu de la jeune wilaya, pour gérer son territoire administratif, surtout la partie ouest de celui-ci.

La dynamique économique et urbaine de la zone a affecté sa structure commerciale, subséquemment, les services commerciaux se sont développés dans les agglomérations et les marchés hebdomadaires ont maintenu leur élan tout en diversifiant leur offre commerciale. Cette dynamique a été soutenue par le développement du réseau routier et des moyens de transport, ce qui a stimulé les déplacements des populations et les mobilités résidentielles ainsi que les échanges commerciaux et de service, et recomposé les relations ville/campagne. En fin, l'urbanisation du Sersou n'a pas fait lui perdre complètement ses caractéristiques rurales, mais elle lui a beaucoup influencé et inspiré ; certains aspects ruraux ont résisté, d'autres ont gardé des permanences tout en s'adaptant.

Mots clés : Sersou, Dynamiques, urbanisation, réseau urbain, transformations, agriculture, activités, relations ville/campagne.